مركز وثائق و تاريخ مصر المعاصر

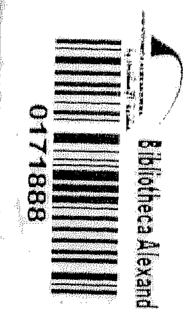
سلسلة المذكرات التاريخية

# أوراق محمد فريد

المجلد الأول

## مذكراتى بعد الهجرة

(١٩٠٤ - ١٩١٩)






# أوراق محمد فريد

## مذكراتي بعد الهجرة

## ١٩٠٤ - ١٩١٩

اهداءات ١٩٩٨
مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع
القاهرة

مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر
سلسلة المذكرات التاريخية

# محمد فريد

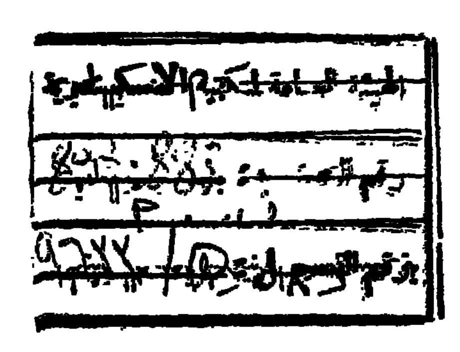
## أوراق محمد فريد

### المجلد الأول

## مذكراتي بعد الهجرة
## (١٩٠٤-١٩١٩)











الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٧٨

# تصدير

عندما أنشىء مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ، وضع ضمن برنامج عمله ترتيب الوثائق الخاصة بتاريخ مصر تمهيدا لإصدارها فى مجموعات متناسقة موضوعياً. وقد أنفق المركز وقتاً طويلا فى تجميع الوثائق وترتيبها ، وفى توفير الباحثين المتخصصين فى الدراسات التاريخية لإعداد هذه الوثائق للنشر ، وفى تزويد مكتبته بمختلف المراجع اللازمة للبحث التاريخى .

وقد امتدت اهتمامات المركز إلى مذكرات السياسيين المصريين المودعة بدار الوثائق القومية ، وخطته فى هذا تقوم على نشر المذكرات محققة تحقيقاً علمياً لتكون بين أيدى القارىء العام والدارس المتخصص . ولعل فى نشر هذه المذكرات ما يصونها من التآكل والتلف الذى تتعرض له يوما بعد يوم نتيجة تداولها المستمر بين أيدى الباحثين ، ولعله أيضا يضع حدا لاستخدام هذه المذكرات استخداماً جزئياً فى دراسات متفرقة بأقلام متخصصة وغير متخصصة دون أن تكون بين أيدى القارىء الصورة الأصلية لهذه المذكرات .

« ومذكراتى بعد الهجرة ( ١٩٠٤ — ١٩١٩ ) » لمحمد فريد رئيس الحزب الوطنى بعد مصطفى كامل ، التى بين يدى القارىء الآن ، هى باكورة أعمال مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر فى سلسلة نشر مذكرات السياسيين المصريين يتبعها المجلد الثانى من هذه المذكرات المتعلق بمراسلات محمد فريد والثالث المتعلق بمخطوطته (تاريخ مصر من إبتداء سنة ١٨٩١ مسيحية ) ، ثم مذكرات السياسيين الأخرى .

وقد قام بتحقيق المجلد الأول الأستاذ أحمد نجيب حمدى ، وأشرف على التحقيق وقدم للكتاب بدراسة تحليلية الدكتور عاصم الدسوقى ، وأعده للنشر الأستاذ عبد الحميد سليم :

ويأمل المركز بذلك أنه يكون قد أسهم فى التأريخ لفترة من تاريخ مصر الحديثة ، والله الموفق .

**مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر**

# تقديم

محمد فريد أحد القيادات السياسية التي كان لها تأثيرها الواضح على الحركة الوطنية في مصر في مواجهة الاحتلال البريطاني ، وكان قد شارك مصطفى كامل في العمل السياسي في مراحل مختلفة إلى أن رأس الحزب الوطني عام ١٩٠٨ (بعد وفاة مصطفى كامل ) ، واستمر متبعا سياسة مصطفى كامل من حيث التنديد بالاحتلال وملتزما بشعار « لامفاوضة إلا بعد الجلاء » . غير أن الظروف الموضوعية فرضت عليه مغادرة البلاد في مارس ١٩١٢ ، فذهب إلى الآستانة واتخذ منها مركزا لنشاطه يستمد منه العون ووسائل النضال المختلفة تحت راية الرابطة العثمانية . فلما قامت الحرب العالمية الأولى ، أخذ يتنقل بين المدن الأوربية، وما أكثرها، وراء شعاع من الأمل ظل يتمسك به طوال حياته بحثا عن الوسائل الممكنة لكسب استقلال بلاده واخراج الإنجليز ، وهو لم يفقد هذا الأمل حتى في اللحظات اليائسة التي أدرك فيها أن دولة الأتراك لم تعد تهتم بقضية بلاده ، بل على العكس من ذلك أخذ يطرق كل الأبواب رافعاً راية النضال متحاملا على نفسه ومتجاهلا مرضه ، وعز عليه أن يسقط في الطريق ووطنه يرنو إليه ينتظر منه الكثير ، إلى أن صرعه تيار المرض ومات (نوفمبر ١٩١٩) غريباً عن الأرض التي دفع حياته ثمناً لتحررها .

ودور محمد فريد في الحركة الوطنية المصرية أضخم من أن يذكر في سطور بسيطة ، وتحاول الدراسات التاريخية التي تناولت تلك الفترة ، وقد يعيب بعض هذه الدراسات عدم الرجوع إلى مذكرات هذا الزعيم السياسي ، وكان إعتمادها فيما يتعلق بنشاط محمد فريد على ما كتبه عبد الرحمن الرافعي في كتابه « محمد فريد رمز

الأخلاص والوطنية » . ومن المعروف أن « الرافعى » كان قد اطلع على المذكرات بحكم ظروف خاصة ولكنه ركز بصفة خاصة على ما يخدم الصورة المثالية التى رسمها فى مؤلفه . ومن هنا فإن نشر مذكرات محمد فريد يعتبر عاملا هاماً فى استجلاء جوانب هذه الشخصية والتعرف على مواقفها المختلفة بايجابياتها وسلبياتها ، خاصة وأن المذكرات السياسية تعتبر مفتاحاً رئيسياً لفهم الشخصيات التاريخية التى اعبت دوراً فى تاريخ بلدها.

على هذا الأساس فإن مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر يضع بين أيدى القراء والباحثين مذكرات محمد فريد السياسية التى كتبها عن المدة من ١٩٠٤ — ١٩١٩ اسهاما منه فى إلقاء الضوء على دور هذه الشخصية التاريخية فى الحركة الوطنية المصرية .

ولما كان موضوع هذه المذكرات يدور حول أحداث معاصرة نسبيا ، وأبطالها أشخاص معروفون إلى حد كبير فى تاريخ مصر ، وعباراتها جاءت سهلة واضحة فى الوقت نفسه ، فلم يكن ثمة حاجة إلى الوقوف كثيراً أمام بعض أسماء الأعلام التى وردت بها أو الأحداث التى تناولتها ، فهذه المذكرات تختلف عن مخطوطات العصور الوسطى من حيث الموضوع والزمان واللغة إلى غير ذلك من الخصائص التى تفرض على الباحث أن يجرى تحقيقاً حول كل محتوياتها .ومع ذلك فسوف يلمس القارىء الجهد المبذول فى تسليط الأضواء على بعض هذه الأعلام والتعريف بها،فضلا عن شرح بعض الأحداث التاريخية التى مر عليها محمد فريد مروراً عابراً .

ولقد مهدنا لهذه المذكرات بدراسة تحليلية عن : (ا) « محمد فريد فى ضوء أوراقه » ، (ب) محمد فريد ومخطوطته « مذكراتى بعد الهجرة » ، وهى ليست دراسة عن محمد فريد كشخصية تاريخية لعبت دوراً ، وإلا تطلب الأمر الرجوع إلى كافة المصادر والوثائق المتعلقة به ، ولكنها تعنى أساساً بما تلقيه المذكرات من أضواء على حركة محمد فريد السياسية فى مصر وفى أوروبا بكل ما تشتمل عليه من علاقات مع مختلف القوى السياسية فى مصر وأوروبا وتركيا .

ولما كانت المذكرات مكتوبة بخط يد دقيق ، فقد كان طبيعياً أن ترد فى ثناياها ألفاظ احتاجت إلى كبير عناء فى التحقق من صحتها هذا من جهة ، ومن جهة أخرى استلزم إعدادها جهداً مضنيا فى نسخها ثم كتابتها على الآله الكاتبة الأمر الذى استلزم بدوره مراجعة دقيقة ومطابقة لما كتب على أصل المذكرات .

ومن الصعوبات التى واجهناها فى إعداد هذه المذكرات : كتابتها فى عبارات متصلة دون استخدام علامات الترقيم ، وكذلك وقوع كاتبها فى أخطاء لغوية ، مما سيلمسه القارىء عند قراءتها .

وراعينا للأمانة التاريخية وضع العناوين الجانبية فى مكانها كما وردت بالمذكرات وإن لم يوضع بعضها فى موضعها الصحيح .

ويجب أن أقرر أن السيد أحمد نجيب حمدى الباحث الأول بالمركز قد قام بالجهد الأكبر فى تحقيق هذه المذكرات : فجمع المادة العلمية المتعلقة بالكثير من النقاط فضلا عن تحليله لها وصياغتها ، وهو بهذا الجهد جدير بكل تقدير وثناء .

كما أتوجه بالشكر إلى كل من : السيدة الباحثة / آمال كامل بيومى ، والسيد الباحث / كمال أحمد محمود لقيامهما بنسخ المذكرات ، والسيد الباحث / عبد القوى فهمى ، لمساهمته فى تحقيق بعض الأعلام وإعداد الكشافات ، والسيدة / ملكة محمد حامد ، لقيامها بنسخ المذكرات على الآلة الكاتبة .

ولقد كان لتوجيهات الأستاذ الدكتور جلال يحيى ، السديدة ، أكبر الأثر فى أن خرجت الدراسة التحليلية التى كتبتها ، على هذا النحو .

وكان للتعضيد والمعاونة الصادقة التى لقيناها من الأستاذ عبد الحميد سليم مدير عام المركز الفضل الكبير فى إخراج هذه المذكرات بالصورة التى نأمل أن تحقق الغرض المرجو منها، فضلا عن أنه شارك مشاركة فعالة فى جمع وتحقيق المادة التاريخية المتعلقة بكثير من نقاط هذه المذكرات .

ولا يفوتنا أن نوجه الشكر إلى السيد الأستاذ الدكتور السيد محمود الشنيطى نائب وزير الثقافة والاعلام ورئيس مجلس إدارة الهيئة المصرية العامه للكتاب على رعايته الدائمة والفعالة للمركز والعاملين به مما يدفعه دواماً إلى تحقيق رسالته العلمية .

والله ولى التوفيق وعليه قصد السبيل

**د : عاصم الدسوقى**

**( المشرف بالمركز )**

# دراسة تحليلية

● محمد فريد في ضوء أوراقه
« مذكراتي بعد الهجرة »
● محمد فريد ومخطوطته

# محمد فريد
# فى ضوء أوراقه

تضم أوراق محمد فريد المودعة بدار الوثائق القومية ثلاثة أقسام :

الأول : تاريخ مصر من ابتداء سنة ١٨٩١ مسيحية والثانى : مذكراتى بعد الهجرة والثالث : مجموعة خطابات متبادلة بين محمد فريد ومجموعة من الأصدقاء أجانب ومصريين من أعضاء الحزب الوطنى بالإضافة إلى مسودة عن تاريخ الخلافة الإسلامية منذ بدايتها كمقدمة لتاريخ الدولة العثمانية .

والقسم الأول من هذه الأوراق وهو « تاريخ مصر من ابتداء سنة ١٨٩١ مسيحية » كما عنونه محمد فريد نفسه لا يعتبر مذكرات سياسية لزعيم سياسى لعب دوراً على مسرح الحياة السياسية المصرية ، ولكنه يدخل فى باب التأريخ لفترة من تاريخ مصر من وجهة نظر مؤلفه شملت حوادث سبع سنوات من ١٨٩١ — ١٨٩٧ ، ذلك أن المذكرات السياسية للزعماء تقتصر على تسجيل الدور الذى لعبوه فى فترة المشاركة فى العمل السياسى وتوجيه الأحداث ، ولا تتسع لتشمل حوادث بعيدة عن هذا المجال سواء قبل مشاركتهم فى العمل السياسى أو بعده ، فإذا ما امتد نشاطهم الفكرى بعيداً عن هذه الفترة تصبح كتاباتهم ألصق بالتاريخ العام منها بالمذكرات السياسية ويصبح دورهم فى هذه الحالة هو دور المؤرخ المعاصر الذى قد يخطىء وقد يصيب فى فهم وتحليل الحوادث التى يشاهدها ويسجلها .

وقد وصف محمد فريد نفسه هذا القسم من الأوراق بأنه « مذكرات » أحياناً وبأنه « مفكرات » (١) أحياناً أخرى ، بينما وصف الثانى « بمذكراتى بعد الهجرة »

---

(١) انظر حوادث ١٨٩٢ بمناسبة ترقيته لدرجة شغال بالمحفل الماسونى فى ١٨٩٣/٣/٥ . وبمناسبة سفر الخديوى الى الأستانة فى ١٨٩٣/٧/١٠ . انظر أيضا حوادث ١٨٩٥ بمناسبة تسجيله أول رحلة له باوروبا فى ١٨٩٥/٦/١١ ؛

وهى الفترة التى تشمل نشاطه السياسى ابتداء من عام ١٩٠٤–١٩١٩ . ولا شك أن هناك فرقاً واضحاً بين استخدام كلمة « مذكرات » . وكلمة « مذكراتى » فضلا عن أنه وصف هذا القسم الأول بأنه « تاريخ » وهذا صحيح بينما لم يصف القسم الثانى بذلك :

وبناء على هذا التحديد فنحن نعتبر أن المذكرات السياسية لمحمد فريد هى ذلك القسم المعنون « مذكراتى بعد الهجرة » ( ١٩٠٤ – ١٩١٩ ). ويرتبط بهذا القسم مجموعة الخطابات المتبادلة (القسم الثالث) فكثيراً ما كان يشير إليها فى سياق مذكراته كما أنها قدمت مادة لهذه المذكرات . أما ما عدا ذلك من أوراق سواء « تاريخ مصر من ابتداء سنة ١٨٩١ مسيحية » أو « تاريخ الخلافة الإسلامية » (١) فهو لا يعتبر من المذكرات السياسية كما سبقت الإشارة . وهذه التفرقة مبنية على عدة حقائق مستخلصة من واقع هذه الأوراق ، فالقسم الأول منها يقوم على نظام الحوليات التاريخية حيث درج محمد فريد على تسجيل ما يحدث فى السنة من بدايتها إلى نهايتها على نمط منهج مؤرخى العصور الوسطى أو كتاب الحوليات فيسجل كل ما يتعلق بتاريخ مصر من سياسة الاحتلال البريطانى والحياة النيابية والأوضاع المالية والقضائية والثقافية وبعض الأحداث الشخصية المتعلقة به وبأسرته مع تعليق على بعض هذه الحوادث .

والقارىء لهذا القسم الذى يشمل فترة سبع سنوات من تاريخ مصر (١٨٩١ – ١٨٩٧ ) لا يجد أثراً لمحمد فريد فى الحياة السياسية أو فى الحركة الوطنية ، إذا كانت ثمة حركة وطنية قد بدأت فى الظهور ولو على شكل إرهاصات . فمحمد فريد فى هذا القسم وطنى مثقف يروعه ثقل الاحتلال البريطانى الجاثم على أرض مصر ويحزنه موقف الخديوية وتخاذلها أمام السياسة البريطانية ، ويبتئس لهذا الركود المخيم على النفوس وخاصة نفوس المستوزرين من المصريين وعجزهم عن اتخاذ مواقف جادة لتخليص البلاد من الاحتلال ، وفى كل هذه الأحوال لا يقوم بأكثر من التعليقات التى ينثرها هنا وهناك التى تفضح نوايا الإنجليز فى الاستيلاء على مصر بالتدريج ، وربما كان يبث أشجانه وأحزانه تلك لخلصائه وأصدقائه حسبما تقضى به الأحوال والظروف .

ومما يؤكد هذا ، أن محمد فريد يذكر فى حوادث ١٨٩٣ (٢) أزمة تعيين وزارة

---

(١) يعتبر تاريخ الخلافة الاسلامية أسبق فى الكتابة من « تاريخ مصر من ابتداء سنة ١٨٩١ مسيحية » حيث يشير محمد فريد فى حوادث ١٨٩٤ الى صدور كتابه عن « تاريخ الدولة العلية » اللى يعتبر تاريخ الخلافة الاسلامية مقدمة طبيعية لهذا الكتاب ( انظر مخطوطة تاريخ مصر من ابتداء سنة ١٨٩١ ، حوادث ١٨٩٤ ) .

(٢) انظر حوادث ١٨٩٣ ( مخطوطة تاريخ مصر من ابتداء سنة ١٨٩١ مسيحية ) .

رياض باشا على غير رغبة الإنجليز الذين أرادوا إسقاط وزارة فخرى وتعيين مصطفى فهمى باشا رئيساً للنظار وكيف أن الخديو انتصر على الانجليز فى هذه الأزمة وما صاحبها من تأييد الباب العالى والجماهير المصرية له فى هذه الحركة ، ثم قيام المظاهرات ضد جريدة المقطم .. الخ .. وفى استعراضه لهذا الموقف لا يذكر ما يفيد أو يشير إلى اشتراكه مثلا فى هذه المظاهرات أو الاتيان بما يعبر عما فى نفسه ، فدوره هنا هو دور المثقف الوطنى الذى يلاحظ ، الغيور على مصالح وطنه دون أن ينخرط فى العمل السياسى أو يتورط فيه .

ولعل ابتعاد محمد فريد عن العمل السياسى والمشاركة فيه راجع إلى قيود الوظيفة العامة (١) التى تجعله بالضرورة خاضعاً للإدارة البريطانية المسيطرة على مصر ، وليس صدفة أن يعلق على استقالته من الخدمة بالحكومة فى نوفمبر ١٨٩٦ عقب قضية التلغرافات المشهورة (٢) بأنه تخلص من خدمة الحكومة « التى لا تقبل إلا كل خاضع لأوامر الانكليز ميت الإحساس غير شريف العواطف » (٣) .

ويذكر محمد فريد بعد هذه الاستقالة أن الخديو أصدر أمراً فى مايو ١٨٩٧ بتعيينه بوظيفة وكيل مستشار لقلم قضايا الأوقاف ، غير أن اللورد كرومر اعترض على هذا التعيين ، ويعلل محمد فريد هذا الاعتراض بأن تعيينه « مع اشتهارى بمعاداة المحتلين وجهاراتى بآرائى الحرة يعد تشجيعاً لى على هذه الخطة ولغيرى على سلوك هذا الطريق » (٤) وهذا يعنى أن الفترة من استقالته وتخلصه من قيود الوظيفة فى نوفمبر ١٨٩٦ وحتى مايو ١٨٩٧ كانت حافلة بالمجاهرة بآرائه الوطنية ، والحقيقة أن حولياته ١٨٩١ – ١٨٩٧ لا تكشف لنا عن شيء من هذا ، بل ان مقالاته بمجلة الآداب عام ١٨٨٨ وكانت بتوقيع م. ف ، لا تشير إلى مثل هذا (٥) . كما أن مقالاته بمجلة الموسوعات التى أسسها

---

(١) بعد تخرج محمد فريد من مدرسة الحقوق عين فى ١٨٨٧/٥/٢١ بوظيفة مترجم بقلم قضايا الدائرة السنية و رقى وكيلا فى ١٨٨٨/٦/١٤ . ثم نقل الى النيابة العمومية بوظيفة مساعد نيابة فى اغسطس ١٨٩١ ثم وكيلا للنيابة فى ١٨٩٣ ثم وكيلا بنيابة الاستئناف فى مايو ١٨٩٥ (. الرافعى ، محمد فريد ص ٣٦ .

(٢) حوادث ٨٩٦ . لمزيد من التفاصيل . أنظر : الرافعى ، محمد فريد . ص ٣٣ – ٣٦ .

(٣) حوادث ١٨٩٦

(٤) حوادث ١٨٩٧

(٥) مجلة الآداب ، أنظر على سبيل المثال : السلطة التنفيذية فى الولايات المتحدة (١٨٨٩/١١/٢٣) ، ارتقاء الحكم ( ١٨٨٩/١١/٣٠ ) ، الديانات في روسيا ( ١٨٨٩/١٠/٢ ) .

فى نوفمبر ١٨٩٨ وإن كان بعضها يتناول الاستعمار الانجليزى والفرنسى فى افريقية (١). تعتبر لاحقة لهذا الحادث وليست سابقة عليه .

ولا يعنى هذا إلقاء ظلال من الشك على تاريخ محمد فريد أو الإقلال من دوره فى الحركة الوطنية بقدر ما يعنى محاولة الوصول إلى البداية الفعلية لمشاركة محمد فريد فى العمل السياسى ، فهى نقطة غامضة بعض الشىء . والحق ان هناك فروقاً بين المشاعر الوطنية الفياضة التى يكنها الوطنى لوطنه والجياشة بالسخط على الاحتلال ، وبين ترجمة مشاعر السخط هذه إلى حركة فعلية لتحرير الوطن .. ومن هذا التصور نحاول فى هذه الدراسة العثور على تلك البداية .

سبقت الإشارة إلى أن أوراق محمد فريد (تاريخ مصر من ابتداء سنة ١٨٩١ مسيحية )لا تشير إلى بداية اشتغاله بالعمل السياسى وإن كانت توضح مشاعره الوطنية الفياضة من خلال انتقاداته للسياسة البريطانية وبداية نمو الإحساس الوطنى لديه ، ولعل هذا كان وراء التحاقه بالحركة الماسونية فى فترة مبكرة حين اشترك بالمحفل الأكبر الوطنى فى ١٢ ديسمبر ١٨٩٢ وأعطيت له « أسرار درجة مبتدئ » (٢).

وإذا كان الغموض يكتنف بداية العمل السياسى لمحمد فريد ، فإنه يكتنفه أيضاً فيما يختص ببداية اتصاله بمصطفى كامل ، وهذه نقطة غير واضحة فى أوراق محمد فريد وخاصة « تاريخ مصر من ابتداء سنة ١٨٩١ مسيحية » ، وهو الذى كان حريصاً على تسجيل المسائل العامة والخاصة ..

والمتتبع للمرات التى أشار فيها محمد فريد إلى مصطفى كامل صراحة بالإسم فى « تاريخ مصر » لا يجد فيها ما يؤكد وجود علاقة بينهما بل ان ذكر مصطفى كامل كان يأتى عرضاً ضمن الأحداث التى يؤرخ لها محمد فريد خلال الفترة من ١٨٩١ — ١٨٩٧ . كانت أول إشارة لمصطفى كامل فى حوادث ١٨٩٦ ، عندما قال ان « المؤيد » نشر فى ٢٩ فبراير ١٨٩٦ صورة خطاب مرسل « من الوطنى الصادق مصطفى أفندى

---

(١) على سبيل المثال : الكلترا وفرنسا بافريقية ، عدد ١٨٩٩/٤/٢٦ . الانكليز فى غرب افريقية ، عدد ١٨٩٩/٨/١٨ . انكلترا فى جنوب افريقية ، ١٨٩٩/١١/١٩ . الشركة الانكليزية الافريقية الشرقية ، ١٩٠٠/٣/٣١ ، ١٩٠٠/٤/٣٠ ، كيف ضاع استقلال جزائر هاواى ، ١٨٩٩/٨/٢٣ ، انكلترا والترنسفال ، ١٨٩٩/٩/١١ . مطامع أوروبا فى الصين ، ١٩٠٠/٨/١١ ( أنظر الرافعى المصدر السابق ، ص ٣١ — ٣٣ ) علما بأنه لا يوجد بدار الكتب الا العدد الأول والثانى من هذه المجلة .

(٢) تاريخ مصر ، حوادث ١٨٩٢ . ثم ترقى الى درجة « شبغال » فى ١٨٩٣/٣/٥ ( حوادث ١٨٩٣ ) .

كامل إلى المستر غلادستون زعيم الأحرار السابق فى إنكلترا .. »(١) دون تعقيب من محمد فريد على هذا الموقف وكأنه لا يعنيه فى كثير أو قليل وهو الحريص على ابداء رأيه فيما يتعلق بالمسألة الوطنية ، مما يؤكد لدينا أن محمد فريد فى هذا القسم من الأوراق ليس أكثر من مؤرخ أو شاهد عيان لأحداث لم يشارك فى صنعها بشىء .

والإشارة الثانية كانت فى حوادث ٣ مارس ١٨٩٦ بمناسبة خطبة مصطفى كامل التى ألقاها بالاسكندرية فى « وجوب الاتحاد فى العمل ... » (٢) ، ونشرها المؤيد ودون تعقيب من محمد فريد أيضا .

والإشارة الثالثة جاءت فى حوادث ١٥ أبريل ١٨٩٦ بمناسبة خطبة مصطفى كامل التى ألقاها بالفرنسية بمسرح زيزينيا بالاسكندرية ووصفها محمد فريد بأنها « شائقة » ويزيد بأن الحاضرين « خرجوا شاكرين هذا الشاب على مساعيه الوطنية كللها الله بالنجاح » (٣) .

أما الإشارة الرابعة فكانت فى حوادث أكتوبر ١٨٩٦ بمناسبة سفر مصطفى كامل من باريس إلى برلين وويانه وبأنه سيعود إلى مصر فى منتصف نوفمبر عن طريق الآستانة ويعلق « ساعده الله على نجاح أعماله » (٤) .

وكانت الإشارة الخامسة بمناسبة عودة مصطفى كامل من الآستانة فى نوفمبر ١٨٩٦ وارتياح السلطان العثمانى إلى أعماله ، ويعلق بأن فى رضاء السلطان عنه وفيما كتبته الصحف الألمانية عنه « ما يشجع كل وطنى على الإقتداء بمثله وإتخاذه قدوة حسنة » (٥) ثم كانت الإشارة السادسة بمناسبة رسالة مصطفى كامل للصحف الألمانية فى ٢٧ يناير ١٨٩٧ وقد عقب محمد فريد على ذلك بقوله « أكثر الله من أمثال هذا الشاب ووفقنا جميعاً لخدمة البلاد .. » (٦) .

أما الإشارة الأخيرة . فكانت بمناسبة خطبة مصطفى كامل بالاسكندرية فى ٨ يونية ١٨٩٧ ثم سفره للآستانة فى ٢٦ يونية ومنها لأوربا ، وكان تعقيب محمد فريد بأنه « سيعود إلى وطنه العزيز فى آخر نوفمبر القابل » (٧) .

ويلاحظ أن أخبار مصطفى كامل هذه التى أشار إليها محمد فريد قد أستقاها مما نشرته جريدة المؤيد كما يذكر هو ، وليس من واقع مراسلات خاصة بينه وبين

---

(١ ــ ٦) تاريخ مصر ، حوادث ١٨٩٦ .
(٧) حوادث ١٨٩٧ .

مصطفى كامل ، وإلا كان قد أشار إليها. غير أن الرافعى (١) يذكر أن أقدم خطاب عثر عليه من مصطفى كامل إلى محمد فريد تاريخه ٢١ أكتوبر ١٨٩٦ بمناسبة جولة مصطفى كامل فى ألمانيا والنمسا لتعريف الرأى العام الأوروبى بالقضية الوطنية ، بينما نجد أن محمد فريد فى ذكره لهذه الجولة فى حوادث أكتوبر ١٨٩٦ (الإشارة الرابعة) لم يشر إلى وجود رسائل متبادلة مع مصطفى كامل . ومما هو جدير بالذكر أن إشارة محمد فريد إلى مصطفى كامل باعتباره قدوة حسنة (الإشارة الخامسة) جاءت فى أعقاب ذكره أخبار استقالته من القضاء كما لو كان قد قرر أن يعد نفسه للعمل السياسى .

نخلص من هذا إلى أن علاقة محمد فريد بمصطفى كامل خلال الفترة قبل عام ١٩٠٤ بدأت برصد أخباره فى تاريخه كشاب وطنى ثم تطورت إلى مرحلة الإعجاب بمساعيه دون أن يشارك فى العمل السياسى الذى كان ينفرد به مصطفى كامل ، أما الخطابات المتبادلة (٢) بين الطرفين — وغير واضح من البادىء بالمراسلة — والتى يرجع أقدمها كما يذكر الرافعى ، إلى ٢١ أكتوبر ١٨٩٦ ، فليس فيها ما يشير إلى نوع من المشاركة ، بل هى تقتصر على إحاطة مصطفى كامل لمحمد فريد علما بنشاطه فى أوربا ، ورغبة مصطفى فى أن يشاركه فريد فى هذه الجولات ، كما تدور بعض المراسلات حول تكليف محمد فريد بقضاء بعض الأمور العائلية أثناء غيبته خارج مصر ، ثم ان هذه الخطابات فى مجموعها نوع من التجاوب بين اثنين جمعتهما رابطة حب الوطن وما تؤدى إليه من حاجة كل منهما إلى تبادل مشاعر الآلام والآمال الوطنية.

على هذا الأساس يمكننا القول أن بداية العمل السياسى لمحمد فريد كانت فى عام ١٩٠٤ وليس قبل ذلك ، وهو العام الذى توثقت فيه صلاته بمصطفى كامل ، فبعد استقالته من القضاء ( نوفمبر ١٨٩٦ ) اشتغل بالمحاماة فى يولية ١٨٩٧ لمدة سبع سنوات ، ويذكر الرافعى أن محمد فريد « اعتزل المحاماة فى أواخر ١٩٠٤ كما ضحى من قبل بالمناصب ومن ثم ازدادت صلته بالفقيد العظيم مصطفى كامل »(٣) وهذا تعليق من الرافعى له مغزاه على أن فترة الاشتغال بالمحاماة هذه ، وهى التى تقع بين ١٨٩٧ — ١٩٠٤ ، هى نفس الفترة التى لم يدون فيها محمد فريد مذكراته فى تاريخ مصر التى

---

(١) الرافعى ، مصطفى كامل . ص ٣٥٤ .
(٢) أنظر مجموعة الرسائل . وأيضا الرافعى ، محمد فريد . ص ٣٩ — ٤٤ .
(٣) الرافعى ، محمد فريد . ص ٣١ .

بدأت من ١٨٩١ ، بل ان من الملاحظ أن حوادث عام ١٨٩٧ فى « هذا التاريخ » تنتهى عند حوادث شهر يونيه ، أى قبل أن يقيد اسمه بجدول المحامين فى الشهر التالى وهو شهر يوليه . فليس إذن من قبيل الصدفة أن تتوقف هذه المذكرات عند بداية اشتغاله بالمحاماة ، وتستأنف ، بعد استقالته من المحاماة (١٩٠٤) بطريقة أخرى وفى ظروف أخرى بعام ١٩٠٤ نفسه تحت عنوان « مذاكراتى بعد الهجرة » وهى التى تغطى الفترة من ١٩٠٤ – ١٩١٩ ، فترة العمل السياسى لمحمد فريد .

وفى ضوء هذا ، ليس من المتصور أن يكون لمحمد فريد كراسات أخرى فى تاريخ مصر عن المدة من ١٨٩٧ – ١٩٠٤ وفقدت بفعل تفتيش البوليس لمنزله كما لاحظ الرافعى »(١) لأن محمد فريد لا يشير فى أوراقه إلى قيام البوليس بتفتيش منزله وأخذ أوراق ، إلا فيما ذكره من أنه – فى أعقاب مقتل بطرس غالى – قام بإعدام كل الأوراق التى ، يمكن اتخاذها سبيلا للإضرار ببعض إخواننا » (٢) . ثم ان أوراقه من ناحية أخرى تشتمل على خطابات متبادلة بينه وبين كثيرين ترجع من حيث تاريخها إلى ما قبل مغادرته البلاد . وعلى هذا الأساس فإن عام ١٩٠٤ يسجل بداية اشتغال محمد فريد بالعمل السياسى ؛ ومن ثم حرصه على أن تبدأ هذه المذكرات بهذا العام وبحادثة معينة فى أغسطس ، وهى المقابلة التى تمت بين مصطفى كامل ومحمد فريد ومعهما محمود أبو النصر ، وبين الخديو عباس الثانى فى بلدة «ديفون» الحمامات بفرنسا وكان محمد فريد قد وصل إليها بعد سياحته ببلاد النرويج حيث دار الحديث حول المسائل الهامة فى مصر .. وإذا كانت هذه المذكرات قد بدأ محمد فريد فى تسجيلها عام ١٩١٣ بعد مغادرته مصر فى مارس ١٩١٢ ؛ فقد كان قادرا على أن يبدأها قبل عام ١٩٠٤ بأى سنة من السنوات .

---

(١) الرافعى ، محمد فريد ص ٢٧ .

(٢) مذكراتى ، ص ٢٤٦ .

(٢) نفسه ص ٢٤٦ .

# محمد فريد ومخطوطته

## « مذكراتى بعد الهجرة »

تغطى هذه المذكرات السياسية الفترة الممتدة من أغسطس ١٩٠٤ – سبتمبر ١٩١٩ ، وتقع فى إحدى عشرة كراسة مجموعها ٣١٦ صفحة على النحو التالى : (الكراسة الأولى ٢٧ صفحة ، والثانية ٣٢ ، والثالثة ٣٠ والرابعة ٣٨ ، والخامسة ٢٠ ، والسادسة ٢٠ ، والسابعة ٤٠ ، والثامنة ١٠ ، والتاسعة ٤٢ ، والعاشرة ٣٠ ، والحادية عشرة ٢٢ ) .

ويلاحظ على هذه الكراسات ما يلى :

١ – أن الكراسة الأولى تنتهى بصفحة رقم (٢٧) والكراسة الثانية تبدأ بصفحة رقم ٤١ ، وهذا يعنى أن الصفحات من ٢٨ إلى ٤٠ بيضاء ( * ) وأغلب الظن أن محمد فريد تركها لاستكمال بعض النقاط أو الموضوعات ولم تتح له الظروف ذلك خاصة وأنه كتب على هامش صفحة ٢٧ الأيسر ( فى منتصفها تقريبا ) عنوانا جانبيا على عادته فى المذكرات بشكل عام عن « مؤتمر الشبيبة بجنيف ١٩٠٩ ومحمد فهمى » ، كما أن الكراسة الثانية التى تبدأ بصفحة رقم ٤١ تبدأ بموضوع جديد ليس له أصول فى صفحات سابقة وهو عن تبرعه بمكتبته لنادى المدارس العليا .

٢ – وجود فقرات مطموسة بأكملها بالكراسة السابعة والتى تستغرق يوميات من ديسمبر ١٩١٥ – أكتوبر ١٩١٦ فى صفحات رقم ٢٠٠ – ٢٠٣ ، ٢٠٥ – ٢٠٦ ، ٢٠٩ – ٢١٠ ، ولا يعرف على وجه الدقة من الذى قام بهذه العملية ، ربما محمد فريد نفسه ؛ خاصة وأن العناوين الجانبية لهذه الفقرات مطموسة أيضا ، وقد يكون أحد

(*) أنظر بيانات دار الوثائق التاريخية القومية على حافظة الكراسة الأولى من مذكراتى بعد الهجرة لمحمد فريد ، والموجودة صورة منها بمركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر .

أعضاء الحزب الوطنى ، من الذين تناقلوا هذه المذكرات ممن يمسهم ما ورد بهذه الصفحات ، قد سمح لنفسه إحداث هذا الطمس ، وعلى كل حال فمن الصعب تحديد مسئولية هذا الطمس .

٣ — أن محمد فريد لم يكن يستخدم فواصل بين العبارات وكان كل ما يفعله ، عندما ينتقل إلى جملة جديدة هو أن يترك مسافة بسيطة . وقد قمنا تسهيلا على القارىء بوضع الفواصل اللازمة فى الأماكن المناسبة . كما لاحظنا سقوط بعض الكلمات وخطأ بعضها من سرعة الكتابة على ما يظن ، وقد قمنا بالتهميش لها ، كما أننا حرصنا على إثبات رقم الصفحات كما هى بالمذكرات حتى تسهل المطابقة بينها وبين الأصل لمن يرغب فى الرجوع إليها من الباحثين .

* * *

بدأ محمد فريد كتابة هذا الجزء من المذكرات ابتداء من عام ١٩١٣ بعد مغادرته مصر فى ٢٧ مارس ١٩١٢ ، ولهذا فإنها تنقسم إلى قسمين : قسم يشمل الفترة من أغسطس ١٩٠٤ — ١٩١٣ كتبه محمد فريد من الذاكرة ملخصا فيه أهم الحوادث ولهذا فكثيرا ما كان يستخدم كلمة « كما أتذكر » أو كلمة « أذكر » . والقسم الثانى الذى يبدأ من عام ١٩١٣ — سبتمبر ١٩١٩ كتبه محمد فريد من وحى الأحداث مباشرة ، وبعضها سجله فى حينه على شكل يوميات والبعض الآخر سجله بعد فترة قصيرة من وقوع الحدث عندما لم يكن فى استطاعته تسجيل الحدث فى حينه ، بسبب انشغاله فى الرحلات أو المؤتمرات ، أو بسبب المرض الذى كان يعاوده من حين لآخر ،

وتدور موضوعات هذه المذكرات بشكل عام حول نشاط الحزب الوطنى فى مصر قبل خروج محمد فريد منها ( ٢٦ مارس ١٩١٢) ، وفى أوربا بعد انتقاله إليها . وتلقى الأضواء على مجموعة علاقات الحركة الوطنية بالقوى السياسية فى مصر وخارج مصر وهى : الاحتلال البريطانى والخديوية والأتراك والقوى الأوروبية الأخرى ( ألمانيا ، فرنسا ، انجلترا ) ومحمد فريد هو المحور الرئيسى فى هذه الموضوعات بطبيعة الحال ، فقد كان على اتصال بكل القوى وعنى بتسجيل رؤيته الخاصة لأبعاد الصراع الأوروبى وآثاره على قضيته الأولى وهى استقلال مصر وإبداء رأيه بوضوح فى شخصيات هذا الصراع بأطرافه المختلفة .

والصفحات التالية محاولة لتقديم هذه المذكرات طبقا للمحاور السابقة ملتزمين المنهج الموضوعى مع عدم إغفال الزمن التاريخى .

* * *

عندما دخل محمد فريد ميدان العمل السياسى ، كان الاحتلال البريطانى قد تدعم من خلال مجموعة من الإصلاحات الاقتصادية واصطناع قوى اجتماعية معينة تدين بالولاء له وتقوم عنه بعبء الترويج لوجوده فى البلاد . وكان الركود قد خيم على الحركة الوطنية إلا من نشاط مصطفى كامل الذى بدأ فى أوربا بتوجيه انتقاداته للسياسة البريطانية مطالبا بالجلاء والوفاء بالوعود ، فأيقظ بهذا الشعور النائم وأصبح قدوة يقتدى بها كل من يجد فى دعوته خلاصا من ثقل الاحتلال . وكان محمد فريد أحد هؤلاء الشباب الذى نذر نفسه للقضية الوطنية ومن ثم ترك العمل بالوظائف الحكومية التى تقيده فى التعبير عن نفسه ، والمحاماة التى تغرقه فى مشكلات الأفراد الحياتية وانضم إلى صفوف الحركة الوطنية .

وإذا كانت الحركة الوطنية منذ الاحتلال البريطانى قد حصرت نشاطها فى كيفية تحقيق الجلاء بالأساليب المختلفة بالاستناد إلى قوة دولة الخلافة العثمانية فى مرحلة ، وبالاستناد إلى قوة الخديوية فى مرحلة أخرى . وبالاستقلال عن هاتين القوتين فى مراحل تالية ، فانه يتعين علينا تقصى الدور الوطنى لمحمد فريد كما تكشفه المذكرات من خلال علاقاته بأطراف الصراع محليا وخارجيا .

ويمكن تقسيم مراحل النضال الوطنى لمحمد فريد إلى مراحل أربع تسهيلا للبحث وهى :

الأولى — قبل عام ١٩٠٨ (منذ دخوله ميدان العمل السياسى إلى وفاة مصطفى كامل)

الثانية — ١٩٠٨ — ١٩١٢ (فترة رئاسته للحزب الوطنى فى مصر ) .

الثالثة — ١٩١٢ — ١٩١٤ ( نشاطه خارج مصر بعد خروجه منها وحتى قيام الحرب العالمية الأولى ) .

الرابعة — ١٩١٤ — ١٩١٩ (نشاطه فترة الحرب العالمية الأولى وحتى وفاته ) .

**المرحلة الأولى : قبل عام ١٩٠٨ :**

فى هذه المرحلة نجد أن محمد فريد — منذ أن بدأ يؤرخ لمصر — يحدد طريقه فى النضال لاستقلال مصر ، ورؤيته لطبيعة الصراع القائم ، فأهدافه تتلخص فى المطالبة بخروج الإنجليز وتقوية «عرى التبعية للدولة العلية » حفظاً للإسلام واعلاء لكلمته ، ولا يعنى هذا فى رأيه عودة مصر ولاية عثمانية كما كانت ، ولا بأس من الإستناد إلى تأييد الدول الأوربية فى إدارة الصراع مع إنجلترا اعتمادا على تناقض المصالح .

والأساس فى كل هذا عند محمد فريد لبلوغ الهدف ضرورة إيجاد الوحدة الوطنية « ولو من العدم » وتدعيمها .. على أن محمد فريد فى هذه الحالة يفضل أسلوب المرحلية والتدرج والإعتدال فى الوصول للهدف وليس مرة واحدة « كما رغب العرابيون ١٨٨٢ فعادوا بالخيبة .. » (١) . ومن هنا كانت دهشته عندما وصلته أنباء ثورة ١٩١٩ كما سيأتى فى حينه .

وهو فى هذه المرحلة يحاول التوفيق بين ضرورة خروج الإنجليز وبين حاجة مصر لوجودهم « حتى تبلغ شأنا من التمدن والتقدم فى سبل المعارف » وذلك لمدة خمسة عشر عاما على الأقل خاصة وأنهم « لم يأتوا حتى الآن (١٨٩١ ) أمرا يوجب كراهتنا لهم » .ولم تمنعه هذه الرغبة من توجيه النقد واللوم للخديو توفيق « لضعفه وملاينته لهم » . وكذلك لكبار المصريين الذين يقبلون تولى الوظائف العالية تحت سيطرة الإنجليز لأنهم بهذا الموقف يطيلون أجل الإحتلال ولا يعجلون بالاستقلال (٢) .

أما علاقته بالخديو عباس خلال هذه المرحلة فكانت سطحية ، فقد رأى فيه محمد فريد الأمل فى أن يتشدد فى مواجهة الإنجليز وألا يكون كوالده «الذى عرف بضعف العزيمة » (٣) .

ويبدو أن محمد فريد حاول التقرب للخديو بعد ماعرف عنه تشدده ازاء الإنجليز فانتهز فرصة الانتهاء من تأليف كتابه « تاريخ الدولة العلية العثمانية » فأهداه نسخة فى ٢٢ فبراير ١٨٩٤ فقبلها الخديو « بكل ارتياح وأجلسنى بحضرته وأخذ يشجعنى على التأليف » (٤) . وقابله للمرة الثانية بعد إستقالته من القضاء وكان ذلك فى ٦ ديسمبر ١٨٩٦ فأحسن مقابلته ، ولكن الخديو لم يظهر له استحسانه لهذه الاستقالة (٥) . غير أن الخديو حاول فى مايو ١٨٩٧ تعيين محمد فريد بوظيفة (وكيل مستشار لقلم الأوقاف) إلا أن اللورد كرومر احتج على ذلك (٦) .

ولا تكشف المذكرات فى هذه المرحلة عن تطورات العلاقات بين الطرفين ، وقد يكون هذا راجعا إلى أن العلاقة الأساسية كانت بين الخديو ومصطفى كامل ،

(١) حوادث ١٨٩١ ، ١٨٩٢ .
(٢) حوادث ١٨٩١ ـ ١٨٩٢ .
(٣) حوادث ١٨٩٢ .
(٤) حوادث ١٨٩٤ .
(٥) حوادث ١٨٩٦ .
(٦) حوادث ١٨٩٧ .

والعلاقة مع محمد فريد كانت بالتبعية . وهذا شيء طبيعي لوجود مصطفى كامل على المسرح السياسي ، بل ان مصطفى كامل - كما تشير المذكرات - كان يخفي عن فريد علاقاته السرية بالخديو (١) .

وهذه الفترة تم فيها تأسيس الحزب ومؤسساته. وقبل ذلك تسوية المصالح البريطانية الفرنسية ، وإعلان سياسة الوفاق بين الدولتين عام ١٩٠٤ ، وتأزم الموقف بين الخديو ومصطفى كامل ، ويؤكد محمد فريد أن مصطفى كامل كان ينوى قطع علاقاته بالخديو عباس قبل الوفاق بسبب موقف الخديو من مسألة زواج الشيخ علي يوسف (٢) . ولقد قطعت العلاقات بالفعل لمدة عامين ( ١٩٠٤-١٩٠٦ ) ثم عادت عقب حادثة دنشواى وتأسيس الحزب بالتعاون والتفاهم مع الخديو . ولكن مالبث أن ظهر العداء مرة أخرى بصورة مستترة . ولقد حكم هذا العداء علاقة محمد فريد بالخديو بعد وفاة مصطفى كامل .

**المرحلة الثانية ( ١٩٠٨ - ١٩١٢ ) :**

وتبدأ هذه المرحلة عقب وفاة مصطفى كامل ( فبراير ١٩٠٨ ) والاستعداد لانتخاب رئيس جديد للحزب ، وهنا أخذ الخديو يعد عدته لإبعاد محمد فريد - الذى يعد استمراراً لمصطفى كامل - واختيار رئيس يكون « طوع أمره » ومن ثم قام رجال الخديو بترشيح رجال يتوسمون فيهم الطاعة مثل يوسف المويلحى وعرفى باشا وعلى يوسف بالإضافة إلى أن الخديو استغل رغبة على فهمى كامل (شقيق مصطفى كامل ) في الترشيح لمنصب الرئاسة كنوع من وراثة الحزب ، فرمى بثقله وراءه (٣).

وبعد فوز محمد فريد برئاسة الحزب وفشل مؤامرة الخديو ضده ، أراد الخديو أن يسيطر عليه من ناحية أخرى فعرض عليه المال لتمويل نشاط الحزب وخاصة الجرائد ، إلا أن فريدا رفض ذلك ومن هنا بدأ الشقاق وا ضحا بين الطرفين (٤) .

وقد استهل محمد فريد نشاطه السياسى فى هذه المرحلة بطلب المجلس النيابى والدستور فكانت خطبته الأولى (٢٩ إبريل ١٩٠٨ ) تدور حول هذا الهدف حتى أنه استطاع أن يجمع ٧٥ ألف توقيع من المواطنين لذلك . ويذكر فريد أن حركة التوقيعات

---

(١) مذكراتي بعد الهجرة لمحمد فريد ص ٨ - ٩ .
(٢) نفسه ، ص ١ .
(٣) نفسه ، ص ٢ .
(٤) نفسه ص ٤ .

تمت بالاتفاق مع الخديو على أن يعرض الخديو هذا الطلب على الملك إدوارد ملك إنجلترا على أساس أنه مطلب جماهيرى (١) .

وقد استجاب الخديو لهذه الحركة ، لكنه أجهضها بعد ذلك عن طريق إرسال وفد برئاسة إسماعيل باشا أباظة عرف بالوفد الأباظى إلى لندن للمطالبة بالدستور ، بحيث يكون دستوراً بسيطاً يعترف ضمنا بالاحتلال البريطانى لمصر ويساعد المصريين فى الحصول على قدر من المشاركة فى الحكم . ولا شك أن هذا كان متمشيا مع سياسة الخديو الذى انقلب ممالئا للسياسة الانجليزية بعد سياسة الوفاق ، على عكس سياسة محمد فريد المناوئة للوفاق . فلما انتهى الوفد الأباظى بالفشل حنق الخديو على محمد فريد لأنه كان دائم الانتقاد لسياسة هذا الوفد ، وزاد من حنقه أن موقف محمد فريد بشكل عام يسىء إلى سياسة الوفاق التى بدأت بين الخديو والإنجليز ، وكان بطرس غالى يشجع الخديو على ذلك وأقنعه « بأن الحركة الوطنية لا شىء والأحسن استعمال سياسة الشدة معها » ولم يكن غريبا أن يوافق الخديو على ذلك فقد عرف عنه استهانته بالرأى العام والأمة (٢) .

وأخذ الخديو بمساعدة بطرس غالى يخطط لضرب الحركة الوطنية ، وكان الاثنان قد سافرا إلى إنجلترا حيث « تقوت » سياسة الوفاق ، ومما ساعد الخديو على استخدام سياسة الشدة ضد الحزب ، حصوله على أوراق مصطفى كامل بواسطة شقيقه على فهمى كامل ، وهى تتعلق بالمقابلات السرية التى كانت تتم بين مصطفى والخديو فى أوربا ومصر (٣) . عندئذ أسرع محمد فريد إلى مهاجمة الخديو فى الصحف والاعراض عنه فى مختلف المناسبات ، كما حدث عندما تواجد الاثنان فى الآستانة بمناسبة احتفالات ٢٣ يوليو ١٩٠٩ الخاصة بالدستور التركى (٤) .

وأمام سياسة الوفاق بين بريطانيا وفرنسا ، وسياسة الوفاق بين بريطانيا وعباس ، ازداد تعلق محمد فريد بالدولة العثمانية باعتبارها دولة الخلافة الإسلامية التى يستطيع عن طريقها مواجهة الغرب الأوربى . ومن هنا رفض فى هذه المرحلة كل ما يسىء إليها أو يؤدى إلى الاستقلال عنها ، فعندما عرض عليه عزيز المصرى الاشتراك فى « جمعية شبان العرب » التى أسسها المصرى (١٩٠٩) ، رفض فريد مبينا له « ضرر الانقسام

---

(١) مذكراتى بعد الهجرة ص ٤ .
(٢) نفسه ، ص ٦ .
(٣) نفسه ، ص ٨ - ٩ .
(٤) نفسه ، ص ٧ .

بين عنصرى الدولة » (١). وعندما سافر فى ابريل ١٩٠٩ للآستانة لأول مرة فى حياته أعلن أن هذه الزيارة « لتوثيق الروابط بين حزبنا (أى الحزب الوطنى) وبين رجال حزب الاتحاد » (٢). وهو نفس الموقف الذى جعله يعارض سياسة حزب الأمة الرامية إلى « التخلص من سياسة الدولة العلية ومعاداتها بل معاداة كل تركى بل كل مصرى من أصل تركى وبالتالى للعائلة الخديوية (٣) وليس بمستغرب أن يكره محمد فريد سياسة أعضاء حزب الأمة هذه لأن كراهيتهم لكل مصرى من أصل تركى تنسحب على محمد فريد وهو المصرى من أصل تركى .. كما أن فلسفة هذا الحزب تتعارض تماما مع فلسفة محمد فريد ، فسياسة هذا الحزب كما شرحها فريد تتلخص فى أن « مصر غير قادرة على حماية نفسها وما دامت مضطرة للاحتماء بقوى ، فالأحسن لها أن يكون هذا الحامى هو إنكلترا (٤) » .

وفى هذه المرحلة بدأ محمد فريد يواجه أول الانقسامات فى الحزب الوطنى ، وبدأت بالخلاف بينه وبين على فهمى كامل فى الصراع حول رئاسة الحزب عقب وفاة مصطفى كامل ، ولما فشل على فهمى فى نيل مأربه ، أخذ يحارب محمد فريد ، ومظهر ذلك العداء قيام لجنة السيدة زينب بانتقاد سياسة محمد فريد تجاه الخديو بتأثير على فهمى كامل ، وبتأثيره أيضا دبر اعتصاب عمال اللواء وإصدار جريدة « مصر الفتاة » على مبادىء الحزب الوطنى وكان هذا كله بالاتفاق مع محمد سعيد باشا ناظر الداخلية . على أن هذه المحاولة فشلت باستقطاب محمد فريد « للسيدعلى » رئيس تحرير « الجريدة » ولم يستقر الأمر بين محمد فريد وعلى فهمى كامل بعد المشكلة القضائية حول شركة اللواء بين الورثة فانتهت علاقة محمد فريد باللواء فى مارس ١٩١٠ بانشاء جريدة « العلم » حيث أخذت « اللواء » تطعن فى سياسة محمد فريد بعد ذلك (٥) .

كما شهدت هذه المرحلة أيضا بداية سوء العلاقات بين محمد فريد والشيخ عبد العزيز جاويش بسبب مقال الشيخ فى ذكرى دنشواى (مايو ١٩٠٨) ورغبة محمد فريد فى تصحيح ما جاء به حيث قام برفع دعوى جنحة ضد الشيخ الذى احتمى بالحماية الفرنسية ، ومع هذا انتهت القضية ببراءة الشيخ رغم رفض فرنسا الاعتراف بالحماية .

---

(١) مذكراتى ، ص ٤٣ — ٤٤ .
(٢) نفسه ، ص ٦ — ٧ .
(٣ ، ٤) نفسه ، ص ١١ — ١٢ .
(٥) نفسه ، ص ١٠ — ١٣ .

**المرحلة الثالثة ( ١٩١٢ ـ ١٩١٤ ):**

وتبدأ هذه المرحلة منذ مغادرة محمد فريد مصر ( ٢٦ مارس ١٩١٢ ) وحتى قيام الحرب العالمية الأولى . وتتميز باتساع شقة الخلاف بينه وبين الخديو عباس وتوثيق علاقاته أكثر بدولة الخلافة لمواجهة تعسف السلطات البريطانية ومطاردتها إياه . ومن ناحية أخرى شهدت محاولات محمد فريد لإنشاء حركة طلابية فى أوربا من الطلبة المصريين الذين يتلقون العلم بها حتى يصبحوا بمثابة ركائز للحزب الوطنى بعد عودتهم إلى مصر بأمل الحفاظ على جذوة الحركة الوطنية متوهجة برغم ابتعاده عن الوطن .

لقد انتهزت القوى المعادية لمحمد فريد فرصة ابتعاده عن البلاد فبذلت المحاولات للحيلولة دون رجوعه لمصر مرة أخرى وذلك بنسف كل الجسور التى تمكنه من ذلك ، وبالعمل على محاصرته بالخارج ورصد نشاطه أينما حل وأينما سار فى الأراضى الأوربية أو أراضى الدولة العثمانية ..

فى البداية حاول الخديو عباس فصل محمد فريد من عضوية نادى المدارس العليا كرد فعل، كما يذكر فريد، لما يكتبه «ضد الخديو والنظار فى جريدة الهلال العثمانى التى كان يصدرها الشيخ عبد العزيز جاويش بمال جمعية الاتحاد والترقى وما كتبه كذلك بجرائد أوربا وبالأخص فى جريدة السيكل » (١) . وفشلت هذه المحاولة لأن أعضاء النادى رفضوا القيام بهذا العمل رغم تهديد الحكومة بغلق النادى ، وإن كان فريد قد بعث باستقالته ـ حفاظاً على بقاء النادى ـ لتقديمها إذا دعت الضرورة ، ولكنها لم تقدم لتمسك أعضاء النادى بموقفهم .

ولما فشلت الحكومة فى فصل محمد فريد من النادى ، لجأت إلى مناورة أخرى وهى « إضعاف نادى المدارس العليا أو قتله بإنشاء نواد خصوصية فى كل مدرسة عالية » حتى لا يكون هناك تنظيم يضم جميع الطلبة (٢) .

وقد استقر الأمر لدى الحكومة المصرية ، بإيعاز من المعتمد البريطانى اللورد كتشنر ، بعدم إصدار العفو عن محمد فريد « فاللورد يفضل أن يعفو عن مجرمى السجون ما عدا محمد فريد » . وأكثر من هذا فانه خط لخطة وضعت بعدم السماح له بالعودة حتى بعد انتهاء سقوط العقوبة وذلك عن طريق رفع دعوى جنحة

---

(١) مذكراتى ، ص ٤١ .

(٢) نفسه ، ص ٤٨ .

أو جناية ضده بسبب ما يكتبه بجرائد أوربا فيصدر بذلك حكم آخر غيابي وهكذا حتى لا يعود . وفي تحليل هذا الموقف قال حسين رشدي رئيس النظار « ان محمد فريد كالكلب المحبوب الذى يضطر سيده لقتله إذا أصيب بالكلب رغماً من حبه له » (١) .

وزيادة فى إحكام حلقة الحصار والرقابة حول محمد فريد بالخارج ، استحدثت الحكومة المصرية وظيفة لم تكن موجودة من قبل وهى وظيفة ( مراقب طلبة ) تكون مهمته « مراقبة الطلبة الذين يقيمون بأوربا على حسابهم أى خارج البعثات الحكومية فى كل من فرنسا وسويسرا وايطاليا وبلجيكا وألمانيا وانكلترا »(٢ ) . ورغم هذا الموقف المعادى للسلطات الحاكمة فى مصر ( الخديو والإنجليز ) لمحمد فريد ، إلا أن ثمة محاولات حدثت للصلح أو رأب الصدع بين محمد فريد والخديو عباس ، وقد بدأت فى أغسطس ١٩١٣ من جانب الخديو نفسه بواسطة يوسف صديق ( رئيس ديوان الخديو ) وحمد بك على دولار ( وكيل الخاصة ) ولم يمانع محمد فريد فى ذلك على أساس « خدمة البلاد الخدمة الصادقة » (٣) ، وهى عند محمد فريد تعنى أن يتخلى عباس عن سياسة الوفاق وتقوية صلاته بالدولة العثمانية والعمل بجانب الحزب الوطنى .

وبناء على هذا ، فقد شكلت لجنة من أعضاء الحزب بمصر فى أغسطس ١٩١٣ للتوفيق . ومن ثم فقد امتنع محمد فريد — بتأثير أعضاء اللجنة — عن كتابة المقالات ضد الخديو فى مجلة « ترقى الإسلام » أو الكلام عنه فى الخطب العامة التى كان يلقيها فى المحافل التى يدعى إليها فى أنحاء أوربا . وقد نجحت اللجنة فى مسعاها ، ومن ثم خطا الخديو خطوات فى سبيل ذلك أهمها تطهير المعية من بعض الشخصيات مثل حافظ عوض بتعيينه رئيساً لتحرير المؤيد ، وإعانة جريدة الشعب ( لسان حال الحزب الوطنى ) بألف جنيه ، وتنظيم لقاء بين محمد فريد والخديو بأوربا . غير أن محمد فريد أظهر استياءه وعدم ثقته فى هذه المحاولات لأن المؤيد التى ترأس تحريرها حافظ عوض هى لسان حال المعية بالإضافة إلى صعوبة إزالة شعور الكراهية المتبادل بينه وبين الخديو ، هذا إلى جانب أن محمد فريد رأى فى حرص الخديو على التصالح محاولة منه فى تدبير شىء للإيقاع به ، أى محمد فريد ، أو تشويه سمعته على الأقل (٤) .

---

(١) مذكراتى ، ص ٧٩ — ٨٠ .
(٢) نفسه ، ص ٤٢ .
(٣) نفسه ، ص ٤٥ .
(٤) نفسه ، ص ٧٤ — ٧٦ — ٧٨ .

وكما فشلت هذه المحاولات ، فقد فشلت أيضا محاولة أخرى حدثت فى غضون أكتوبر ١٩١٣ وفى أثناء عمل اللجنة الأخرى ، وبواسطة مدام روشبرون وكانت هذه السيدة تتقاضى عشرة جنيهات تركية شهريا للتجسس على محمد فريد لحساب الخديو واستخدمها محمد فريد لذات الغرض . وقد أخبرته باستعداد الخديو للتصالح ، فأظهر فريد عدم رضاه عن أسلوب الوساطة فى التعامل بينه وبين الخديو مفضلا أن يكون الاتصال بطريق مباشر . وانتهت هذه المحاولة أيضا بالفشل ، ويعقب محمد فريد على ذلك بأنها « محاولات (من جانب الخديو ) وألاعيب كسبا للوقت » (١) .

فى تلك الأثناء كانت الترتيبات قد تمت لعقد مؤتمر عام للطلبة فى أوربا فى ٢٥ يوليه ١٩١٤ بجنيف . وكان الخديو قد حضر إلى باريس ولم يفكر فى الاتصال بمحمد فريد وفق ترتيبات اللجنة المشار إليها ، ورغم أن روشبرون أشارت على الخديو بضرورة الوصول إلى اتفاق قبل انعقاد المؤتمر ، إلا أن الخديو طلب تأجيل مقابلته لمحمد فريد ، ومن ثم أدرك فريد أن الخديو يناورهم ولهذا قال لزملائه « الأولى والأصلح للحزب هو الابتعاد عنه (أى الخديو ) والسير بعيدين عن كل سلطة كما كانت خطتنا وكما يجب أن تكون » (٢) .

هكذا كان الموقف بين محمد فريد والخديو عند انتهاء هذه المرحلة من مراحل نضاله حيث كان عباس لا يخشى فى الحزب الوطنى أو الحركة الوطنية إلا محمد فريد الذى وصفه بأنه « صلب ولا يمكن استمالته ، أما الشيخ جاويش فرجل بسيط سهل القياد يمكن التأثير عليه » (٣) .

فى مواجهة هذا الحصار المضروب حوله ، عمل محمد فريد على تدعيم نفسه بالاستناد إلى قوى أخرى بالإضافة إلى قوة الحزب والوطنيين بصفة عامة ، ومن هنا كان اشتراكه فى مؤتمر السلام العام بجنيف فى سبتمبر ١٩١٢ (٤) ، كما قام بتأسيس جمعية ترقى الإسلام ( فبراير ١٩١٣ ) فى جنيف من بعض المسلمين المقيمين بها (الأتراك وغيرهم ) وتأسست مجلة بهذا الاسم تصدر كل شهرين

(١) مذكراتى ، ص ٤٩ ــ ٥٣ .
(٢) نفسه ، ص ٨٠ ــ ٨١ .
(٣) نفسه ، ص ٧٣ .
(٤) نفسه ، ص ٣٠ .

أو ثلاثة ، فى مجلد واحد . وقد أسس محمد فريد فروعا لهذه الجمعية فى جهات أخرى وخاصة بالآستانة ، ومن الملاحظ أن هذه الجمعية كانت تضم أعضاء من غير المسلمين « من أكابر المسيحيين » وكانت هذه نقطة خلاف بينه وبين جاويش (١) .

وليس من المفهوم حقيقة كيف يوافق محمد فريد على انضمام أعضاء مسيحيين إلى هذه الجمعية وقد عرف عنه تعصبه للإسلام ولدولة الخلافة الإسلامية ، كما لا تكشف المذكرات عن حقيقة أهدافه من هذه الفكرة ، كما طالب بإنشاء « جمعية خيرية إسلامية » (نوفمبر ١٩١٣) (٢) .

وعلى مستوى العمل مع الحركة الطلابية ، فكر محمد فريد فى النصف الثانى لعام ١٩١٣ ، فى إنشاء جمعيات تضم الطلبة المصريين بأوربا واختار لها اسم « أبو الهول » على أن يعقد مؤتمر عام لهذه الجمعيات بعد استكمال تأسيسها ، فى جنيف ١٩١٤ . وفى الوقت نفسه فكر فى إنشاء ناد للطلبة بلندن (٢١ فبراير ١٩١٤) على أن يساهم كل عضو بنصف جنيه فى التأسيس ويكون رسم الاشتراك للعضوية نصف جنيه أيضا ، بحيث يفتتح النادى فى إبريل ١٩١٤ . وقد شعر محمد فريد بكثير من الارتياح لهذه الجهود التى يبذلها من أجل احتواء الطلبة بأوربا وربطهم بعضهم ببعض من خلال المؤتمرات الدورية التى تنظم (٣) .

وعلى حين كانت تلك هى جهود محمد فريد مع الطلبة ، كان الشيخ جاويش يرفض اشتغالهم بالسياسة وخاصة فى تركيا حيث كان يقيم ويعمل فى خدمة الخديو عباس فى تلك المرحلة وطالب بإغلاق ناديهم وأخذ يضع العقبات أمام نشاط فريد فى الآستانة حتى لقد منع نشر مقالاته بجريدة « الهلال العثمانى » . وهى مقالات ضد الخديو وسياسته ، وأكثر من هذا حاول جاويش منع مظاهرة طلابية كان محمد فريد رتبها للهتاف ضد الخديو أثناء زيارته للآستانة فى صيف ١٩١٢ (٤) . ومن ثم فقد ساهم موقف جاويش هذا فى زيادة حدة الخلاف بينه وبين محمد فريد ، بل ان الشيخ كان يصف سياسة محمد فريد بأنها « سياسة طيش وجنون وأن الأولى الاعتدال والتفاهم مع الخصوم » (٥) .

---

(١) مذكراتى ، ص ٢٢ ، ٤٤ .
(٢) نفسه ، ص ٥٥ .
(٣) نفسه ، ص ٧١ — ٧٢ .
(٤) نفسه ص ٤٥ .
(٥) نفسه ، ص ٤٥ .

على أن محمد فريد رغم خلافه الشديد مع الخديو خلال هذه المرحلة ، إلا أنه كان يرى خطأ وخطورة الاستناد للانجليز ضد الخديو ، ويتضح هذا من موقفه من ترشيح الحزب الوطنى لسعد زغلول لعضوية الجمعية التشريعية (١٩١٣) بأمل استمالته للحزب وتعهده بأن يكون مع الحزب « قلبا وقالبا » ، فقد اعترض محمد فريد على هذا الترشيح وبنى اعتراضه على أن سعدا يكره الخديو وأن هذه الكراهية قد تجعله ينضم أو يتفق مع الإنجليز . ولهذا نبه فريد الحزب أن يحترس جيدا وأن تؤخذ من سعد « المواثيق كتابة حتى يخشى التحول » لأن محمد فريد يخشى « من أمثال هؤلاء الناس الانتهازيين opportunists الذين يسيرون مع الحوادث كما فعل سعيد باشا » . ويذكر محمد فريد أن رأيه قد تحقق فى سعد زغلول من حيث انتهازيته ورغبته فى الوصول لكرسى الوزارة وذلك عندما طلبت الحكومة أن تكون بعض جلسات الجمعية التشريعية سرية . وكان هذا يخالف القانون الأساسى فى شأن علنية الجلسات كلها فكان سعد زغلول مع رأى الحكومة عند التصويت ومعارضا لرأى عبد اللطيف الصوفانى وجماعة الحزب الوطنى (١) .

**المرحلة الرابعة ( ١٩١٤ - ١٩١٩ ) :**

وهذه المرحلة من أخصب فترات نضال محمد فريد من أجل استقلال مصر ، وتتميز بتشابك العلاقات وتداخلها بين أطراف الصراع ، حيث فرضت ظروف إعلان الحرب وخلع الخديو عباس ودخول تركيا إلى جانب دول الوسط على محمد فريد ، أن يغير من تكتيكه من حيث التعامل مع أعداء الأمس ، مع الاحتفاظ باستراتيجيته الثابتة القائمة على الاستناد إلى دولة الخلافة الإسلامية فى مواجهة الاحتلال البريطانى ، وهو المبدأ الذى لم يتخل عنه إلا عندما تغلبت الفكرة التورانية على نظام الدولة العثمانية . فى هذه الحالة لم يملك إلا الأسف يعلنه لهذه التطورات ولاستخفاف العنصر التركى بمعالجة مثل هذه الأمور الحيوية .

عندما أعلنت الحرب العالمية الأولى (أول أغسطس ١٩١٤ ) حاول محمد فريد الإفادة من الظروف التى صاحبتها . فكان يرى أن الخديو لو انتهز الفرصة وأعلن الدستور فلن تستطيع بريطانيا الوقوف ضده ، تماما كما وعدت روسيا بولونيا بتوحيدها حتى تضمن ولاءها . ومن ثم فكر فى إرسال خطاب بهذا المعنى للخديو ،

---

(١) مذكراتى ، ص ٦٣ ، ٦٨ ، ٦٩ .

وكان مقيما بالآستانة ، فى ٢٢ أغسطس ١٩١٤ . وهو هنا — فى الخطاب — يضع مطلب الدستور مساويا تماما لمطلب الجلاء فيقول « إذا كنا لم نستعد للمطالبة بالجلاء فلنكفر عن هذا التقصير فى حق أمنا مصر بأن نسعى فى إنالتها الحكم الداخلى على الأقل » (١) . ومحمد فريد هنا لم يدرك الارتباط العضوى بين المطلبين ، فتحقيق «الحكم الداخلى »مرتبط بتحقيق الجلاء، خاصة وقد سبقت الإشارة إلى أنه اتفق مع الخديو على أن يطلب من الملك ادوارد ملك انجلترا منح المصريين الدستور .

وعندما وصل خطاب محمد فريد إلى الخديو كان الانجليز قد قرروا منعه ، أى الخديو ، من العودة إلى مصر ، ومن ثم وجدها الخديو فرصة مواتية للاستناد إلى الحزب الوطنى فى العودة لمصر والظهور فى نفس الوقت بمظهر المستجيب لنداء محمد فريد .

وقد أسرع فريد للآستانة بدلا من أن ينتظر رد الخديو إليه فى جنيف فغادرها فى ٢٨ أغسطس ١٩١٤ ووصل الآستانة (٦ سبتمبر ) حيث علم أن الخديو ممنوع من السفر لمصر وأنه يتنازعه فى هذه المسألة أمران :

الأول — « الاتفاق مع الانكليز على إعطاء مصر الدستور وانفصالها عن الدولة العلية وقبول الاحتلال بشروط معينة » .

الثانى — « الاتفاق مع الترك على استرداد مصر بالقوة بمساعدتهم وعودة الحالة إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال » .

وقد علم أيضا أن الخديو ميال للأمر الثانى ، ولما كانت هذه هى خطة محمد فريد ذاتها ، فلم يجد فريد ضررا من تعديل موقفه من الخديو وفى أن يضع نفسه تحت تصرفه (٢) . وبناء على هذا تباحث مع السلطات التركية التى لم تمانع فى الأمر وإن أبدت تخوفها من تصرفات الخديو عباس لموقفه السابق من الحرب الطرابلسية (٣).

ولما كان الخديو قد اقتنع بأن الانجليز لن يسمحوا له بالعودة لمصر حتى ولا بعد انتهاء الحرب ، فقد أراد « عمل ثورة تحت رئاسته وقيادته أو فتح البلاد ثانيا بمساعدة الترك » . غير أن الأتراك علقوا تقديم أى مساعدة عسكرية له على نتيجة الحرب ، ثم

---

(١) مذكراتى ، ص ٨٤ — ٨٥ .
(٢) نفسه ، ص ٨٥ — ٨٦ .
(٣) نفسه ، ص ٤٣ بشأن موقف الخديو من هذه الحرب .

تبلور الأمر أخيرا فى إرسال جيش عثمانى عن طريق العريش لمحاربة الانجليز فى مصر والاستعانة فى ذلك بعزيز المصرى (١).

فى تلك الأثناء كان الخديو ومحمد فريد (جبهة مصر آنذاك) قد أعدا منشورا، كتب مسودته الشيخ جاويش موجها إلى المصريين بحيث يوزع عليهم قبيل دخول الحملة مصر، على سبيل التمهيد وإثارة حماس المصريين لمقاومة الإنجليز. وجاء فيه «اننا نعلن من الآن منحكم الدستور الكامل وإلغاء القوانين المنافية للحرية وإعادة الضمانات واستقلال القضاء والعفو عن المجرمين السياسيين ومن صدرت ضدهم أحكام أو رفعت عليهم دعاوى بسبب الحوادث الأخيرة (يقصد الحزب) » (٢) وقد وقع الخديو المنشور فى ١١ نوفمبر ١٩١٤، وقد رأى محمد فريد فى هذا التوقيع مكسبا هائلا حيث نال الحزب الوطنى بذلك أحد مطلبيه وهو الدستور «وسينال الثانى وهو الجلاء قريبا».

وقد عرض المنشور أولا على السلطات التركية فوافقت عليه وأبدى عباس رغبته فى قيادة الحملة أو مرافقتها إلى مصر، لكن الأتراك - كما أفهموا فريد - تخوفوا من وجود عباس لعدم خبرته العسكرية واحتمال تدخله فى القيادة وكان من الواضح أن هذه حجج قصد بها إبعاد عباس تماما عن هذه العملية حتى لا يكتسب حقا يخول له الدخول إلى مصر، ولا شك أن هذا يتفق مع خطة الأتراك بإعادة ضم مصر لتركيا تحت نظام « سلطان تركيا ومصر ».

وعندما عزل الانجليز عباسا من خديوية مصر فى ١٩ ديسمبر ١٩١٤ وعينوا بدله حسين كامل سلطانا (وهو الإجراء الذى دفع فريد إلى أن يكتب فى جريدة توران مقالة ضد حسين كامل وحسين رشدى مطالبا « بإصدار فتوى بأنه خارج على الخليفة وأن دمه أصبح هدرا ») أسرع عباس بالتنصل من هذا المنشور، ولما نشرته جريدة فرانكفورت زيتونج فى أوائل ١٩١٥ أسرع أيضا بتكذيبه خوفا - كما يذكر فريد - من أن يصادر الإنجليز ممتلكاته فى مصر (٣).

وكان هذا هو محور سياسة الخديو طوال الحرب، التعامل مع الأتراك بأمل العودة إلى مصر، والخوف من المجاهرة بعداء الإنجليز خشية مصادرة أملاكه.

---

(١) مذكراتى ص ٨٧ - ٨٩.

(٢) نفسه ص ٩٥ - ٩٦.

(٣) نفسه ص ٩٧ - ٩٩ - ١١٠.

وتكشف مذكرات محمد فريد عن أن جمعية الاتحاد والترقى كانت منقسمة بشأن تدعيم الخديو والحزب الوطنى فى موضوع دخول مصر وتخليصها من الإنجليز : فعلى حين كان طلعت باشا وأنور باشا متفقين تماما على دخول عباس مصر بعد الحملة العثمانية والتنسيق فى ذلك مع محمد فريد ، كان الصدر الأعظم ( سعيد حليم) يرفض ذلك بل كان يكره شعار « مصر للمصريين » ويقول ان «مصر للأتراك» ، كما عرف عنه قوله أنه بعد دخول الجيش العثمانى مصر سيطرد منها أعضاء الحزب الوطنى وكل من يقول مصر للمصريين (١) .

ولقد اتضحت نية حكومة الاتحاد والترقى فى هذا الموقف عندما وصلت الحملة العثمانية إلى العريش حيث أمر جمال باشا القائد العام للحملة « رجال الخديو بالعودة للآستانة مع ما معهم من خيام وخيول وخلافه » ومن ثم تأكدت مخاوف الخديو إزاء الترك كما أدرك محمد فريد الموقف وقال « القوم هنا ( يقصد الترك ) يداعبون حزبنا الوطنى ليساعدهم على فتح مصر وبعدها ينفذون ادارتهم الاستبدادية فى بلادنا » وازداد يقينا بذلك عندما اصطحب جمال باشا معه فى الحملة كلا من فؤاد سليم وأحمد فؤاد ومحمد حلمى والشيخ جاويش وهم ممن ينادون بأن «مصر للمسلمين لا للمصريين» حتى يروجوا لهذه الفكرة أثناء الحرب وبعد الفتح (٢) .

ورغم اقتناع محمد فريد وتيقنه من هذه النتيجة (٣) إلا أنه خشى أن يقدم الخديو على ما يزيد العلاقات توترا بينه وبين حكومة الاتحاديين فصمم على اللحاق به فى « ويانه » وكان قد سافر إليها فى ١٥ ديسمبر ١٩١٤ حتى لا يصرح للصحافة بشىء مضاد خاصة وأن يوسف صديق باشا الملازم للخديو كان لا يميل إلى تحسين العلاقات بين عباس والأتراك (٤) .

وفى سبيل إنقاذ الموقف : حاول محمد فريد استخدام علاقة التحالف بين ألمانيا وتركيا فى أن تمارس ألمانيا ضغطا على تركيا حتى تصدر « إرادة سنية من السلطان بتفهيم المصريين نوايا الدولة نحو مصر وضرورة سفر الخديو مع الحملة ليدخل مصر فى آن واحد مع قائدها عقب الانتصار » ...

(١) مذكراتى ص ٩٩ ـ ١٠١ . أنظر أيضا ص ١٩٤ لشرح أطماع الصدر الأعظم .

(٢) نفسه ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦ .

(٣) نفسه ، أنظر ص ١٩٣ ـ ١٩٤ للتأكد من مواقف لاحقة للأتراك .

(٤) نفسه ، ص ١٠٧ .

وتحقيقا لهذا الغرض قابل فريد « زمرمان » وكيل خارجية ألمانيا فى ٤ يناير ١٩١٥ وأفهمه « ضرورة تغيير الصدر الأعظم سعيد حليم لأنه رجل الانكليز ولم يوافق على الحرب » . كما قابل أيضا لنفس الغرض سفير ألمانيا بويانه فى ١٩ يناير ١٩١٥ حيث طمأنه السفير بأن « القصد الوحيد للحملة الزاحفة على مصر هو إزالة السلطة الانكليزية وإعادة مصر إليكم لتديروا أمورها كيفما تريدون وتحت إمرة الخديو الذى تنتخبون » (١) .

وفى سبيل إنقاذ عرشه من عبث الأتراك، عمل الخديو على استطلاع نوايا أطراف الصراع فقرر الاتصال بفرنسا وكانت روشبرون قد رتبت له مقابلة مع « بوسنو » عضو مجلس النواب الفرنسى ووكيل لجنة الأمور الخارجية والاستعمارية بالمجلس فى مدينة « فريبورج » فى ١٥ مايو ١٩١٥ ، لكن المقابلة لم تتم (٢) .

وحتى يبعد عن الأتراك مظنة أنه يتصل بالحلفاء ، أقنع الألمان أن باستطاعته عمل دعاية لدول الوسط لدى الرأى العام الفرنسى ، فحصل من الحكومة الألمانية على مبلغ أربعة مليون مارك لشراء أكبر الصحف الفرنسية كالفيجارو واستخدامها لصالح الألمان (٣) . كما فكر أيضا فى الاتصال بالانجليز — فى سبيل هذا الغرض — بطريقة سرية حتى لا يعلم محمد فريد بهذا الأمر ، وقد بنيت فكرة الاتصال على أساس الاعتقاد بهزيمة الأتراك والألمان أمام الحلفاء ومن ثم وجوب الاتصال بالانجليز من الآن للوصول إلى تسوية لأموره معهم خاصة بالحفاظ على أملاكه ووراثة العرش لابنه (٤) .

وكان محمد فريد لا يرى غضاضة فى التعاون مع الألمان لأنهم حلفاء الأتراك أساساً بل ان صلاته بألمانيا كانت من خلال تعامله مع الأتراك . وتصوره لهذا التعامل قائم على الاعتقاد بانتصار دول الوسط فى هذه الحرب ، وانتصارهم يعد انتصارا لقضية الجلاء باعتبار أن تركيا تعارض الاحتلال الإنجليزى لمصر ، أما إذا هزمت دول الوسط ، « فإننا لن نخسر شيئا زيادة عما خسرناه للآن وهو الاستقلال »(٥) .

على أن محمد فريد من ناحية أخرى ، كان يبدى تخوفاً من زيادة النفوذ الألمانى لدى الأتراك ، وكان يتقبل أنباء اشتراكهم فى حملة مصر بامتعاض شديد . ولما علم

---

(١) مذكراتى ، ص ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٦ .
(٢) نفسه ، ص ١١١ ، ١٣٩ .
(٣) نفسه ، ص ١٥٥ .
(٤) نفسه ، ص ١٤٥ — ١٤٦ ، ١٧٥ — ١٧٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٥ .
(٥) نفسه ، ص ١٢٠ .

أن الأتراك رفضوا أن يشترك الألمان فى الدفاع عن الدردنيل وحملة مصر استحسن هذا الموقف خاصة وأنه كان يقرأ فى الصحف الألمانية مقالات عن احتلال ألمانيا لمصر بدل الإنجليز ، وكانت وجهة نظره فى ذلك أنه يمكن الاستعانة بالألمان ضد الأتراك فيما لو استبد الأتراك بمصر بعد نجاح الحملة ولكن لو اشترك الألمان فى دخول مصر سيصعب الاستناد إلى قوة أخرى للنضال ضدهم (١) .

وتوضح المذكرات أن فرنسا فى أوائل عام ١٩١٥ عملت على استكشاف إمكانية التعاون مع محمد فريد باعتباره « القوة العاملة بين الأتراك والخديو والألمان » ، ومن ثم حدثت محاولة الاتصال بواسطة « بوسنو » عضو مجلس النواب الفرنسى ووكيل لجنة الأمور الخارجية والاستعمارية بالمجلس . وقد أبدى محمد فريد حذره فى البداية من هذا التعامل . لكنه عاد واقتنع بتجريب الاتصال بعد حديث روشبرون معه خاصة وأنها كانت وراء إجراء هذا الاتصال من البداية ؛ بل انه قام من ناحيته بإقناع جمعية الاتحاد والترقى بولوج هذا الباب وإرسال مندوب منهم للتخابر .

وقد حلل محمد فريد محاولة فرنسا الاتصال به على أساس وجود تناقض بين فرنسا وانجلترا لخصه فى وجود اختلاف بين الدولتين على منطقة فى الشام تريد انجلترا ضمها لمصر بينما تريد فرنسا ضمها لمنطقتها ، من هنا كان هدف فرنسا من إجراء هذا الاتصال مع قوة الوسط من وراء ظهر انجلترا . ومن ناحية أخرى فإن محمد فريد فكر فى الإفادة من هذا التناقض وهو يسميه « نفوراً » لصالح الحركة الوطنية ولصالح الدولة أيضاً (٢) .

ومن الواضح أن لكل طرف مأرب معين من إجراء هذه الاتصالات . ففرنسا كانت تأمل إغراء تركيا للصلح فتضعف بذلك ألمانيا . أما السلطات التركية فقد قبلت مبدأ الاتصال بفرنسا بأمل أن يتم الصلح مع فرنسا فتخرج من الحرب وتبقى انجلترا وحدها فيسهل على كل من تركيا وألمانيا إيقاع الهزيمة بانجلترا وتنال مصر بذلك استقلالها وفق تصور محمد فريد . وكان يشجع محمد فريد على الإغراق فى هذا التصور : الانتصارات التى كانت تحققها ألمانيا ضد انجلترا وفرنسا خلال مراحل الحرب الأولى (٣) .

---

(١) مذكراتى ، ص ١٦٩ .
(٢) نفسه ، ص ١٢١ — ١٢٣ .
(٣) نفسه ، ص ١٢٧ ، ١٢٩ .

ولما علم الخديو بأمر هذه الأتصالات من روشبرون – اليد المنظمة لها – أفهمها أنه يريد الاتصال ببوستو أيضا للاتفاق سراً مع الإنجليز والفرنسيين فيما سوف يحدث فى مؤتمر الصلح « حتى ولو كانوا مقهورين » لأنه موقن تماما من شعور الكراهية المتبادل بينه وبين الأتراك (١) .

ولقد ظل محمد فريد يرفض فكرة التصالح مع إنجلترا بل كان يعارض أى محاولة يقدم عليها أحد رجال الحزب فى هذا الطريق ، وكان يرى أن أية « علاقة مع الإنكليز معناها قبول الحماية بأى شكل من الأشكال » . وعندما كتب « على الشمسى » كتيبا بعنوان « المسألة المصرية » يحبذ فيه بطريق خفى الاتفاق مع الإنجليز على أن تكون مصر مستعمرة مستقلة تماما فى الداخل مثل كندا واستراليا ، عارض ذلك . والحق ان اعتماد فريد على الأتراك لم يكن اعتمادا أعمى مطلقا ، فقد أعلن أنه « غير راض عن سياسة الأتراك نحونا ولكنى لاأقول بالاتفاق مع الإنكليز ما دام عندنا أمل فى الخلاص منهم »(٢) . كما قال أيضا أنه فى حالة هزيمة تركيا « نجتهد فى تجهيز الثورة فى مصر » (٣) .

بالإضافة إلى هذا فإن الرجل كان يشعر فى قرارة نفسه بأن الأتراك أصبحوا لا يهتمون بالمسألة المصرية ذلك أن بعض مسئوليهم قد صرحوا بأنه من الأفضل بقاء مصر تحت الاحتلال البريطانى عن استقلالها لأن استقلالها خطر على الدولة التركية ؛ والبعض أيضا لا يحب أن تكون مصر متحدة مع تركيا ( كاتحاد ممالك ألمانيا تحت رئاسة بروسيا ) لأن مثل هذا الاتحاد يتطلب تشكيل مجلس عام للنواب مثل الرايخشتاج الألمانى ، يزيد فيه عدد مندوبى المصريين والبلاد العربية عن نواب الترك فيصبح الأتراك بهذا فى المقام الثانى (٤) .

غير أن محمد فريد لم يصرح بهذا الشعور لأحد من خلصائه وان سجله فى مذكراته حرصا – فيما يبدو – على الإبقاء على مظاهر الترابط بين المصريين ( الحزب الوطنى ) وبين الأتراك دون زعزعة أو خلخلة . وهذا الحرص هو الذى فرض على محمد فريد أن يظل لفترة طويلة يعمل على إزالة التناقضات بين الخديو عباس والأتراك حتى لا تتسع شقة الخلاف وينتهز أعداء الخديو الفرصة لايغار صدر الأتراك

(١) مذكراتى ، ص ١٣٧ .
(٢) نفسه ، ص ١٤٥ – ١٤٦ ، ٢٧٤ .
(٣) نفسه ، ص ٢٧٣ .
(٤) نفسه ، ٢٣٧ .

عليه . وكان فريد يستعين فى ذلك بالشخصيات الأوربية ذات الصلة بالخديو وخاصة الألمانية والنمساوية ، لأنه كان حريصا بدوره على عدم الاتصال بالحلفاء وخاصة انجلترا فيما عدا اتصاله المعروف بيوستو ، كما سبقت الإشارة . وكان فريد فى اتصالاته هذه يحرص على إخطار السلطات التركية والألمانية بمحل إقامته ومواعيد سفره وعودته أثناء هذه الاتصالات .

ومع كل حرصه على إزالة التناقضات بين الخديو والأتراك ، كان حريصا أكثر على عدم الظهور بالمظهرالذى يجعل الأتراك يعتقدون أنه يعمل كنائب أو تابع للخديو . كان فقط يوجه الأحداث ويقدم النصح والإرشاد ويوزع الأعباء والمسئوليات بين الرجال دون أن يتورط فيما يجعل الأتراك يغيرون نظرتهم إليه . وعندما طلب منه مثلا أن يقوم بمهمة إبلاغ الأتراك مطالب الخديو قال « أسافر للآستانة لأساعد رسول الخديو وبصفتى رئيس الحزب لا بصفتى مندوبا عنه ( أى الخديو ) ولا أسافر مع الرسول حتى يقال بأننا على اتفاق » (١) .

وعندما اتضحت لدى محمد فريد حقيقة نوايا عباس تجاه الحركة الوطنية من حيث تعامله مع الإنجليز بدافع المصلحة الخاصة فقط ، واغضابه للأتراك دائما ، ظهر عباس وكأنه يهدم ما يبنيه محمد فريد فى تسوية العلاقات بينه ( أى عباس ) والأتراك وتدعيم الحركة الوطنية ووحدتها ، حينئذ عمل محمد فريد على فضحه وإسقاطه فى أعين المصريين ، ومن ثم أملى مندوب جريدة المقطم بسويسرا (أواخر يوليو ١٩١٦ ) مقالا عن حقيقة اتصالاته بمعسكر الحلفاء المعادى للحركة الوطنية المصرية (٢ ) ، وفاته أن المقطم فى خدمة الوجود الانجليزى بمصر .

وتكشف مذكرات محمد فريد — خلال هذه المرحلة — عن حقيقة الانشقاقات التى تعرض لها الحزب الوطنى فى أوربا (بعد ١٩١٢ ) . فمن الملاحظ أن مجموعة الحزب التى تواجدت فى أوربا ( سواء بالهجرة أو بالنفى أو بحكم الدراسة ) انقسمت إلى ثلاث مجموعات متعارضة فيما بينها وهى :

١ — مجموعة تعمل مع الأتراك تحت جناح الصدر الأعظم سعيد حليم الذى كان يطمع فى عرش خديوية مصر بحكم انتمائه للعائلة الحاكمة فى مصر ، وترفع هذه المجموعة شعار « مصر للمسلمين » ويتزعمها الشيخ عبد العزيز جاويش

(١) مذكراتى ، ص ١٧٤ .
(٢) نفسه ، ص ٢١٢ .

وتتكون من ( فؤاد سليم الحجازى ، أحمد فؤاد . عوض البحراوى . بهجت وهبى . اسماعيل كامل . عبد الملك حمزة. عبد الحميد سعيد .. ) .

ب – مجموعة تعمل مع الخديو عباس ، تكره الأتراك وتسعى للمصالحة مع انجلترا بهدف ضمان أملاك الخديو فى مصر وضمان جعل ولاية عرش مصر للأمير محمد عبد المنعم ابن عباس . وتتكون هذه المجموعة أساسا من حاشية الخديو ومن انضم إليهم مثل ( يوسف صديق . السيد كامل . محب باشا . محمد فهمى . عبد الله البشرى . محمد باشا يكن . منصور القاضى .. ) .

حـ – مجموعة محمد فريد التى ظلت تعمل بولاء كامل لتحرير مصر من الإنجليز . وترفع هذه المجموعة شعار « مصر للمصريين » وعلى أن تظل فى إطار الجامعة الإسلامية . وأبرز عناصر هذه المجموعة : ( اسماعيل لبيب . منصور رفعت . اسماعيل حسنى . على الشمسى وعبد العزيز عمران فى بعض الفترات ) .

على أن مجموعة جاويش تعرضت للاهتزاز بعد استقالة سعيد حليم من منصب الصدارة العظمى ( فبراير ١٩١٧ ) حيث فقدت بذلك سندا قويا (١) . ومن ثم حدث نوع من التقارب مرة أخرى بين مجموعة جاويش ومحمد فريد بعد أن اعتذر جاويش لمحمد فريد وموافقته هو وعبد الملك حمزة بأن يكون محمد فريد « المسيطر على كل شىء يختص بالحزب وأعماله » وكان ذلك فى ١٩ ديسمبر ١٩١٧ (٢) . على أن الخلاف بين محمد فريد وجاويش ظل موجودا حتى بعد هذا التقارب أو الصلح الذى تم حيث تشير المذكرات إلى هذا الخلاف المستتر أحيانا والواضح أحيانا أخرى (٣) .

وقد شهدت هذه المرحلة من نضال محمد فريد متابعته لتدعيم الحركة الطلابية بأوربا من حيث زيادة أعداد جمعيات « أبو الهول » والإكثار من المؤتمرات واللقاءات العامة بين هذه الجمعيات والعمل على إظهار صوت مصر لدى الرأى العام الأوروبى . ولهذا فقد أصدر صحيفة أسبوعية بالفرنسية فى جنيف باسم « صدى مصر L'écho de l'Egypte » . كما حاول إصدار صحيفة أخرى ببرلين (٤) . كما

(١) مذكراتى ، ص ٢٣٣ – ٢٣٧ .
(٢) نفسه ، ص ٣٦٥ .
(٣) نفسه ، ص ٢٧٣ ، ٢٨٦ – ٢٩٢ .
(٤) نفسه ، ص ١١٨ – ١١٩ ، ١٢٤ – ١٢٥ .

فكر فى تأسيس جمعية باسم « جمعية أصدقاء مصر » ببرلين وتقوم بإصدار نشرات عن قضية مصر لإيقاظ الرأى العام الألمانى (١) .

وقد حرص محمد فريد — خلال هذه المرحلة أيضا — على حضور المؤتمرات الدولية المناهضة للاستعمار لشرح قضية مصر أمامها ، وكان أبرز هذه المؤتمرات مؤتمر الاشتراكيين فى بروكسل ( يوليو ١٩١٧ ) . وقد حضره كمراقب فقط لأنه لا يمثل حزبا اشتراكيا . ومن الطريف أن نشير إلى أن محمد فريد قد وقع فى حرج بالغ أثناء عرضه لقضية مصر أمام هذا المؤتمر حين سأله أحد الأعضاء « هل تطلب الاستقلال التام أو تريد أن تبقى ولاية عثمانية ممتازة » فلم يجب إجابة محددة لأنه على حد قوله : « المطالبة بالاستقلال التام تغضب الدولة العثمانية . والموافقة على البقاء ولاية ممتازة يسقطه فى أعين المؤتمر المطالب بتحرير المستعمرات » . ومن هنا جاءت إجابته غامضة حيث قال « إن سيادة الدولة أسمية فقط » وهى لا تتداخل فى شئون مصر منذ ١٨٤٠ تاريخ « منحنا الاستقلال الداخلى » وأضاف « اننا على أى حال نريد أن نحكم أنفسنا بأنفسنا تبعاً لمبدئكم » . ولكن عندنا سئل عن رأيه فى الجزية التى تدفعها مصر للدولة العثمانية قال — وهذا أمر مثير — أن « الدولة تنازلت عن هذه الجزية إلى بنك روتشيلد بلوندرة لمدة ستين سنة من ١٨٩٠ » ، واعتقد الرجل أن مجرد تحويل الجزية إلى بنك روتشيلد — وهو الذى تم لتسوية ديون تركيا — ينفى علاقة التبعية (٢) . المهم أن محمد فريد فى مذكراته عن حوادث عام ١٨٩١ فى تاريخ مصر علق على هذا الموقف بقوله ان « أهمية هذا الأمر العالى تأييد تبعية الحكومة المصرية إلى الدولة » (٣)

ومما تجدر الإشارة إليه أن محمد فريد — فى هذه المرحلة — اقتنع بفكرة العمل الثورى المسلح ضد انجلترا وقد حاول الاستعانة فى ذلك بالألمان ، فقد بدأ اتصاله بالألمان منذ فترة ميكرة ( ١١ سبتمبر ١٩١٤ ) فى أعقاب إعلان الحرب وكانت ألمانيا تعمل لفتح جبهات ضد انجلترا عن طريق المساهمة فى تعزيز الحركات الوطنية فى المستعمرات البريطانية ومن هنا أبدت ألمانيا استعدادا لمساعدة الحزب الوطنى فى مصر بالسلاح والضباط إذا ما كان الحزب يفكر فى القيام بعمل

---

(١) مذكراتى ، ٢٧٧ — ٢٧٨ .

(٢) نفسه ، ص ٢٥٠ — ٢٥١ .

(٣) حوادث ١٨٩١ . تاريخ مصر من ابتداء سنة ١٨٩١ مسيحية .

بتحرير مصر من الإنجليز .. غير أن محمد فريد لم يعلق على هذا الأمر فى حينه (١).
ولكنه عاود الاتصال بالألمان (مايو ١٩١٥) لبحث إمكانية إرسال أسلحة لمصر وذلك عندما بلغه أن الحزب الوطنى فى مصر يستعد «للثورة عند سنوح الفرصة» وأنه ينتظر إرسال «الأسلحة والذخائر» من أوربا بمعرفته (أى محمد فريد) وغيره من أعضاء الحزب بأوربا (٢).

وثمة تقارب حدث بين أطراف الحركة الوطنية المتناقضة بفعل تطورات الحرب فى مراحلها الأخيرة، وكان أبرز هذه التطورات قيام ثورة البلاشفة فى روسيا وخروجها من دائرة الصراع وقيامها بعقد صلح منفرد مع دول الوسط فى «برست ليتوفسك» .. حينئذ بعثت اللجنة الإدارية للحزب الوطنى (وكانت قد تشكلت فى ديسمبر ١٩١٧ بعد الصلح مع جاويش) ببرقية إلى المؤتمر المنعقد فى برست ليتوفسك بشأن الموقف من المسألة المصرية. غير أن الأتراك أهملوا النظر فى هذه البرقية بحجة أن المسألة المعروضة على المؤتمر مسألة عثمانية داخلية. وهنا تأكدت ظنون محمد فريد بشأن حقيقة نوايا الترك تجاه مصر فدفعه هذا إلى أن يرسل تقريرا للمؤتمر وللصحف ولباقى أعضاء الحزب الوطنى يثبت فيه أن المسألة المصرية ليست عثمانية بل هى مسألة دولية، مطالبا بإعطاء «الأمة المصرية» حقها فى تقرير الطريقة التى تحكم بها نفسها فى ضوء «الاعتراف بحيدة ترعة السويس تبعا لمبدأ الجنسيات ولمبدأ حرية البحار» (٣).

ولقد دفعت هذه التطورات نفسها الشيخ جاويش — بعد أن انكشف وجه الأتراك الحقيقى — إلى أن يقترح توحيد مجموعات الحزب الوطنى المنقسمة تحت اسم آخر غير اسم الحزب الوطنى لتكثيف الجهود قبيل انعقاد مؤتمر السلام العام. واقترح آخرون تشكيل حكومة فى المنفى بجوار الخديو ويرأس وزارتها محمد فريد حتى يصبح مركز الخديو أشبه بمركز ملك بلجيكا أو الصرب. غير أن محمد فريد لم يوافق على اقتراح جاويش الذى صادف هوى فى نفس الخديو اعتقاداً منه (أى فريد) أن الشيخ جاويش يريد أن يأخذ «مركزاً كبيراً فى المسألة المصرية» على حساب اسم الحزب الوطنى الذى يعتبر علما على الحركة الوطنية (٤).

---

(١) مذكراتى، ص ٨٨.
(٢) نفسه، ص ١٢٦، ١٣٢.
(٣) نفسه، ص ٢٦٧.
(٤) نفسه، ص ٢٧٢.

بعد هزيمة دول الوسط فى الحرب بدأ محمد فريد يتطلع إلى مؤتمر السلام العام وترتيب كيفية عرض قضية مصر عليه : ولهذا ، غادر برلين أولا إلى ميونيخ حتى يكون بعيدا عن المؤثرات التى قد تلحق به نتيجة لهزيمة ألمانيا ، وأسرع بإرسال برقية إلى رؤساء اللجان الدولية فى مؤتمر الصلح وتقريراً آخر إلى الرئيس «ولسن» وتقريراً آخر للعرض على مؤتمر الاشتراكيين وكان قد سبق أن أرسل برقية شكر للرئيس « لينين » بناء على النداء الذى وجهه بشأن تحرير مصر والهند من الاستعمار (١) .

وظل يرقب تطور الموقف ، وفى تلك الأثناء بلغته أنباء أحداث مارس ١٩١٩ فى مصر (ثورة ١٩١٩) التى أدهشته غاية الدهشة لأنها « ثورة عامة » ونالت إعجابه فى الوقت نفسه « لما أظهره المصريون من التضامن والاتفاق » . ومن ناحية أخرى أظهر عدم رضاه عن الأسلوب الذى سلكه قادة الثورة فى شرح القضية المصرية عندما ركزوا فى تقاريرهم على أن مصر ساعدت إنجلترا فى الانتصار على الأتراك ومن ثم حقها فى الاستقلال لأن هذا غير صحيح فالتطوع كان قسرا ، ولأن هذا القول يغضب المسلمين بصفة عامة ، ذلك أن دولة الأتراك تمثل الخلافة الإسلامية ؛ ومن ناحية أخرى يعد « تملقا باردا » لانجلترا وحلفائها . ثم انه ألقى الوقوع فى هذا المنزلق الخطر على حزب الأمة الذى سيطر أعضاؤه على الثورة وهو الحزب الذى — كما يقول محمد فريد — « لا يتأخر عن الاتفاق مع الإنكليز لو وجد منهم صدرا رحباً » ، وفى هذه الحالة ، طبقاً لتصور فريد ، لا يبقى فى ساحة العمل الوطنى غير الحزب الوطنى المخلص الحقيقى لاستقلال مصر .. ومع هذا وحرصاً على وحدة الحركة الوطنية فقد أعلن محمد فريد تشجيعه للوفد مع اعتقاده « بعدم إخلاص رجاله » (٢)

وظل يتابع الموقف ويسجل الأحداث أولا بأول حتى آخر سبتمبر ١٩١٩ حين لم تساعده الظروف على المتابعة ، وكان قد كتب عنوانين جانبيين تمهيدا للتعليق عليهما وهما « قرار لجنة الأمور الخارجية لمجلس شيوخ أمريكا وتكذيبه . مأمورية اللورد وأحاديث الجنرال اللنبى » (٣) .

ويبقى أن نشير فى هذه الدراسة إلى فكرة محمد فريد عن الوطنية الإسلامية ، ومحورها عنده التعاون مع دولة الخلافة الإسلامية (الدولة العثمانية) . وكانت هذه

(١) مذكراتى ، ص ٢٦٧ ، ٢٩٦ — ٢٩٧ .
(٢) نفسه ، ص ٣٠٢ — ٣٠٤ .
(٣) انظر هامش ص ٣١٦ من هذه المذكرات .

الفكرة تتناقض فى نفس الوقت مع فكرة العروبة التى اشتغلت بها عناصر شامية واشتغل بها الخديو عباس بهدف آخر . وتتناقض أيضا مع الفكرة التورانية التى انتصرت فى تركيا أخيرا ..

عندما وضع محمد فريد كتابه عن « تاريخ الدولة العلية العثمانية » فى سنة ١٨٩٤ ، كان يود إثبات أن تأخر شأن المسلمين راجع إلى تفرق كلمتهم ومن ثم فإن وجود الدولة العثمانية ضرورى فى الإبقاء على الإسلام خاصة وأنها قامت بدور مشهود فى مقاومة جميع دول أوربا المسيحية .. والمسألة الشرقية طبقاً لهذا التصور ، مسألة دينية لا سياسية (١) .

وفى فترة الصراع الأوربى تبلورت لديه فكرة إيجاد اتحاد إسلامى كالاتحاد الجرمانى (الألمانى) يضم تركيا ومصر وإيران وأفغانستان . وأخذ يدعو لهذا الاتحاد فى كافة المناسبات بل انه كاشف زمرمان وكيل خارجية ألمانيا بهذه الفكرة ووافقه الرجل عليها وأفهمه أن ألمانيا تعمل لهذا الغرض بمجرد انتهاء الحرب (٢) .

وبينما كان محمد فريد يتشدد ويتمسك بفكرة الجامعة الإسلامية ، كانت جمعية الاتحاد والترقى المسيطرة على السياسة التركية قد تخلت عنها وبدأت تتحرك نحو فكرة الجامعة التورانية وكانت هذه الفكرة تتسع لتشمل « المجريون » ، ورغم أنهم مسيحيون إلا أنهم من أصل تركى بينما العرب وهم مسلمون مستبعدون من هذه الفكرة (٣) .

وقد استاء محمد فريد كثيراً لهذه الفكرة التورانية وكان دائماً يقول ان الدولة « بغير الخلافة لا قيمة لها » وما ساءه أكثر أن هذه النزعة صاحبها الإتجاه نحو العلمانية التى شجعت سفور النساء واشتراكهن فى الحياة العامة وتغيير الألقاب الدينية (٤) .

وقد لام محمد فريد الأتراك على سياستهم التورانية التى وضحت بعد معاهدة « برست ليتوفسلك » من حيث انصرافهم عن مسألة استعادة العراق وفلسطين من

---

(١) حوادث ١٨٩٤ .

(٢) مذكراتى ص ١٣٦ ، ١٦٧ – ١٦٨ . أنظر أيضا الرافعى ، محمد فريد ، ص ١٣٣ . حيث يشير الى أن جلال نورى أحد أحرار الترك عرض فكرة أن تتحد تركيا ومصر فى دولة واحدة ثنائية شبيهة بنظام النمسا والمجر وذلك فى مقال له فى ١٩٠٩/٧/١٩ فى جريدة ( كوربيـــه دوريان ) وكان محمد فريد بالآستانة فى تلك الآونة .

(٣) مذكراتى ، ص ١٩٨ – ١٩٩

(٤) نفسه ، ص ٢٤ . أنظر رأيه فى مسألة تحرير المرأة ص ٥٦ .

أيدى الانجليز واهتمامهم باحتلال بلاد القوقاز وولاية أذربيجان بدعوى أن سكانها أتراك ويجب الحاقهم بتركيا . (١)

وكما اعترض محمد فريد على الفكرة التورانية لأنها تؤدى إلى القضاء على الجامعة الإسلامية ، فقد اعترض أيضاً على فكرة العروبة التى تعنى الانفصال عن الدولة العثمانية والتى يدين بالولاء لها ويرى فى بقائها قوية قوة للمسألة المصرية ..

والمعروف أن إنشاء مملكة عربية كانت مشروعاً تبلور على نحو ماحدث فى مراسلات الحسين — مكماهون وعلى نحو ما حدث فى ١٩١٦ . لكن مذكرات محمد فريد تكشف أطرافاً أخرى فى هذا العمل .. يذكر محمد فريد أن الخديو عباس يشتغل فى هذه المشروعات وقد دفعه إلى ذلك الطريق كراهيته للأتراك ورغبته فى الانتقام منهم. وقد اشتغل الخديو بالتمهيد لهذا العمل قبل إعلان الحرب العالمية الأولى بحيث كان أحد ركيزتين اعتمدت عليهما إنجلترا فى الإعداد لهذا المشروع : كان أحدهما الحسين شريف مكة والآخر عباس نفسه الذى كانت تمنيه إنجلترا بأن يكون ملكاً على المملكة العربية المزمع إنشاؤها وخليفة لكافة المسلمين. ولهذا فانه عندما قامت الثورة فى ١٩١٦ على نحو ماهو معروف ، أعلن الخديو «كدره من حصول هذه الحركة بدون أن يكون له يد فيها أو تكون له صلة مع الشريف» ولهذا السبب أبدى محمد فريد ارتياحاً عميقاً لوجود عباس بالآستانة عند قيام الحرب ومنعه من العودة لمصر وكان عزله وتعيين حسين كامل بدلا منه خدمة للدولة «لا تقدر» إذ لو أنه كان بمصر لكان «أضر بالدولة ضرراً جسيما واتحد مع عرب الجزيرة والشام ضد الدولة» (٢) .

وتكشف مذكرات محمد فريد عن أسلوبه فى النضال الوطنى ، فهو استمرار لأسلوب مصطفى كامل من حيث مخاطبة الرأى العام من خلال الخطبة فى اجتماع عام أو مؤتمر محدود ، أو المقال السياسى فى الصحافة لتنوير الأذهان حول قضية معينة ودحض الآراء المعارضة سواء فى الصحف الوطنية أو الصحف الأجنبية .. وأيضاً الاستناد إلى دولة الخلافة الإسلامية (تركيا) دون السماح باحداث أى تناقض بينها وبين الحركة الوطنية. ومحاولة الإفادة من التناقضات الدولية التى تبرز بين الحين والآخر والاعتماد فى الحركة على حزب وليد لم يتمرس أعضاؤه المنتمون إليه على أساليب النضال ضد الاستعمار فى وقت كان العمل ضد الاستعمار آخذا فى النمو .

---

(١) مذكراتى ص ٢٧٩ — ٢٨٠ ، ٢٨٣ .

(٢) نفسه ، ص ٤٣ ، ٤٧ ، ٥٤ — ٥٥ ، ١١٧ — ١١٨ ، ١٢٧ ، ١٤٢ ، ٢٠٦ — ٢٠٧ .

ولقد انحصر أسلوبه فى شكل أساليب الصالونات السياسية التى انتهجها المثقفون البورجوازيون بشكل عام ودون الاعتماد على قواعد ثورية حقيقية ، بل إن محمد فريد وصف جريدة « القصاص » – وكانت توزع فى تركيا – بأنها ارهابية مع أن هدفها كان وطنياً ضد الخديو والخونة من المصريين (١) .

ولقد كان الاعتماد على تركيا فى الصراع ضد الانجليز أمرا غريبا فى الحركة الوطنية الممثلة فى الحزب الوطنى . فقد انقطعت صلة التبعية التى كانت تربط مصر بتركيا منذ انفراد محمد على بولاية مصر فى ١٨٠٥ وما اتبعه خلفاؤه من محاولات تأكيد هذا الانفصال والاستقلال بصرف النظر عن استمرار العلاقة الشكلية المتمثلة فى إصدار فرمانات التولية . وكان هذا الاعتماد فى الوقت الذى كانت سلطة الحكم فى مصر وخاصة فى عهد عباس الثانى تكره الأتراك كراهية عمياء ، يعتبر وكأنه محاولة لإحراج هذه السلطة الشرعية بالاتصال من وراء ظهرها بقوى أخرى ( تركيا ) ، وهو من ناحية أخرى عامل قوى فى تشجيع الأتراك على إقحام أنفسهم فى الأمور المصرية .

وإذا كانت الحركة الوطنية موجهة أساساً ضد الانجليز فقد كان هذا يتطلب تجميع القوى السياسية القائمة للوصول إلى قدر من وحدة العمل السياسى وكان من الأفضل أن لا تقع الحركة فى خطأ اغضاب الخديو ( السلطة الشرعية ) بل تحاول كسبه إلى جانبها ضد الإنجليز خاصة وأن الإنجليز زعموا فيما زعموا أن مقدمهم لمصر كان لحماية الخديو من خطر الثورة . ولكن اتضح أن محمد فريد ومن قبله مصطفى كامل أخفقا فى التعاون ولو مؤقتاً مع هذه السلطة فكانت النتيجة الطبيعية ارتماء هذه السلطة دائماً فى أحضان الإنجليز (٢) . وذلك رغم أن الإنجليز كانوا وراء عزل عباس من عرش الخديوية . ومع هذا الموقف ، لم يلجأ الخديو عباس للأتراك لاستخدامهم فى استعادة عرشه المفقود ، بل استند إلى الإنجليز باعتبارهم القوة الدولية البارزة المتفردة .

وفى إدارته لحركة الحزب الوطنى فى أوربا ، كان يعتمد اعتماداً مطلقاً على انتصار دول الوسط ضد الحلفاء . ورغم أن لهذا الاعتماد مايبرره من حيث الانتصارات التى كسبها الوسط فى جبهة الحلفاء إلا أنه لم يضع فى حسابه أو فى تخطيطه احتمال العكس وهو هزيمة الوسط ومن ثم ضرورة وضع البدائل السريعة لاستمرار الحركة . وحتى

---

(١) مذكراتى ص ٣٦ .

(٢) نفسه ص ٥ . أحاديث محمد فريد مع الخديو .

عندما أخفقت الجهود التركية فى الحملة المصرية فى كل من فبراير وابريل .
وأغسطس سنة ١٩١٦ كان تحليل محمد فريد للموقف أن « اليأس دخل إلى قلوب المصريين وأصبح كل يفكر فى أحسن طريق للاتفاق معهم على منح مصر الدستور »(١ ).
وإذا كان هذا التحليل صحيحاً فلا يبعد — فى تقديرنا — أن يكون هذا هو التراث الحقيقى للحركة الوطنية المصرية التى وقفت من انجلترا موقف المطالب بالدستور — جوهر الحكم الذاتى — بعد أن قطع كل أمل فى الاستناد إلى تركيا فى تحقيق الجلاء.

د . عاصم الدسوقى

---

(١) مذكراتى ص ٢١٢ .

# مذكراتى بعد الهجرة
## ١٩٠٤ - ١٩١٩

---

بقلم
**محمد فريد**

# الكراسة الأولى

من صفحة ١ الى صفحة ٢٧

## (١)

### جواب مصطفى كامل للخديو

فى أغسطس سنة ١٩٠٤ (أربعة (١)) كنت سافرت إلى بلاد النرويج للسياحة، ثم عدت إلى فيشى، ومنها حضرت إلى ديفون Divonne الحمامات، حيث كان مصطفى كامل ومحمود أبو النصر بك (٢) مع الخديو وكان معه عثمان أفندى صديق ياوره (هو الآن بكباشى فى الجيش العثمانى وحضر الحرب مع البالقانيين (٣)). وصلت المحطة مساء وكان مصطفى بانتظارى بها فتوجهنا تواً إلى الأوتيل الكبير، وكان الخديو بانتظارنا أمام قاعة التياترو، فقابلنى أحسن استقبال وأخذ يسألنى عن سياحتى فى بلاد النرويج. وفى آخر السهرة اجتمعنا فى إحدى صالات الأوتيل ودار الكلام فى المسائل الحاصلة بمصر، وكان أهمها وقتئذ قضية زواج الشيخ على يوسف (٤) بصفية بنت السيد

---

(١) هذا تاكيد من محمد فريد على انها سنة ١٩٠٤ وليست سنة ١٩٠٦ ، اذ يتضح انها كتبت فى بادىء الأمر ( ستة ) ثم شطبها وكتب بدلا منها ( اربعة ) .

(٢) هو أحد أعضاء الحزب الوطنى القدامى الذين شاركوا مصطفى كامل ومحمد فريد فى العمل السياسى وكان اول المكتتبين فى شركة جريدة لتندار و ذى اجبشيان ستاندرد ( فى مارس ١٩٠٧ ) وله مواقف وطنية مشهورة تحمل بسببها العنت من سلطة الاحتلال البريطانى ، من ذلك انه كان قد عين مدرسا للغة العربية بمدرسة اللغات الشرقية بباريس ، وحدث أن أرسل طلبة البعثة المصرية فى باريس تهنئة لمسيو فيلكس فور عقب توليه رئاسة الجمهورية نظرا لما هو معروف عنه من تأييده للمصريين ضد الانجليز ، فدعاهم الرئيس فور لزيارته فى قصره بالاليزيه وكان على راس الوفد محمود أبو النصر ، وأمام ذلك قامت السلطات الانجليزية بفصله من منصبه لولا تدخل مسيو كوكوردان سفير فرنسا فى مصر .

( انظر : على فهمى كامل : سيرة مصطفى كامل ص ص ١٨٨ و ١٨٩ ج ١ ، الرافعى : مصطفى كامل ، ص ٢٧٢ )

(٣) يقصد : البلقانيين .

(٤) ولد الشيخ على يوسف فى سنة ١٨٦٣ وكان أبوه ناظر زراعة آل حمادى من عشائر الصعيد . تلقى مبادىء العلوم الدينية على الشيخ حسن العدوى ثم أرسله أبوه الى الأزهر لاستكمال دراساته الدينية واللغوية . ولما قدم أحمد فارس الشدياق الى مصر وانشأ « جريدة القاهرة الحرة » ، اتخذ الشيخ على محررا بالجريدة . ( فى الصحافة تاليف يوسف الدسوقى ومحمد كامل الدسوقى ، ص ص ١٣٨ ــ ١٤٠ ، أنظر أيضا ترجمة محمد فريد له على صفحتى ٥٧ و ٥٨ من هذه المذكرات ) .

عبد الخالق السادات . وكان الخديو يساعد الشيخ على مساعدة كبيرة حتى أنه أرسل أخاه محمد على لمصر قبل ميعادعودته ليتكلم مع قاضي مصر اذ ذاك يحيى أفندى (١). مصطفى أخذ يلوم الخديو بلطف على مداخلته فى هذه القضية مبيناً له أن هذه المداخلة تسىء سمعته خصوصاً وأن الرأى العام كان ساخطاً على الشيخ على لرغبته التزوج بالبنت رغم إرادة والدها . فقال الخديو (رأى عام إيه يا شيخ هو فيه حاجة اسمها رأى عام أو أمة أنا إن لبست برنيطة ومشيت فى البلد ما حد يتكلم) واحتد الخديو وقال لمصطفى أخيراً (أنا ماحبش تنصحنى أنا عارف الواجب على) وقام زعلاناً فبقينا نحن ، وكان مصطفى فى حالة هياج شديد يقول لابد من قطع علاقاتى مع هذا الرجل الخ . وفى الصباح صممنا على السفر لجنيف وامتنع مصطفى عن مقابلة الخديو فى محله . فقابلته أنا ومحمود أبو النصر . ومن دهاء عباس لم يتكلم مطلقاً فى حادث الليلة السابقة بل أخذ يكلمنى فى الزراعة وبخصوص عزبة كانت لى بجهة فايد على قنال السويس (٢).

عدنا بعد ذلك مع مصطفى إلى مدينة جنيف فأراد مصطفى أن يكتب للخديو جواباً بقطع علاقاته معه فمنعناه بكل مشقة ، ولكنه صمم على رأيه فى نفسه . ولما عاد لمصر فى سبتمبر حرر الجواب المشهور وأرسله إليه من اسكندرية وأرسل صورته إلى

---

(١) هو يحيى أفندى عبد الرحمن فاضل .

(٢) ترك أحمد فريد باشا (والد محمد فريد) لورثته نحو ١٢٠٠ فدان منها ٦٥٢ فدان موقوفة بموجب حجة حررها عام ١٨٩٢ ، وكان يخص محمد فريد من هذه الأملاك ١٥٠ فدانا موقوفة و ١٥٠ فدانا أخرى غير موقوفة بالاضافة الى قصر بشارع شبرا مساحته ٥ أفدنة ، فضلا عن عمارتين اقتناهما فيما بعد . وجدير بالذكر أن أحمد فريد باشا ولد فى سنة ١٨٣٦ ، درس العلوم العسكرية ، وعين فى سنة ١٨٦٣ ناظرا لقلم التحريرات بمصلحة السكة الحديدية فناظرا لقلم حسابات هذه المصلحة ثم ناظرا لقلم قضاياها ، وفى سنة ١٨٧٢ رقى الى وظيفة وكيل عموم المصلحة ، وفى ١٦ أبريل سنة ١٨٧٧ ترك خدمة السكة الحديد ، ولم يمض على ذلك شهر وبضعة أيام حتى صدر أمر عالى بتعيينه عضوا بمجلس الأحكام فى ٢٥ يونيه سنة ١٨٧٧ ، ثم عين فى السنة نفسها مديرا للشرقية ، ثم نقل مفتشا لحسابات دوائر العائلة الخديوية . وفى ١٣ فبراير سنة ١٨٧٨ عين محافظا لدمياط ، وفى ٩ يناير ١٨٧٩ عين مديرا للمنيا ثم مديرا للقليوبية فى سنة ١٨٨٠ ثم عاد مديرا للشرقية . وأنعم عليه برتبة الباشوية . وفى سبتمبر من تلك السنة عاد لمديرية الشرقية لثالث مرة ، وفى ديسمبر سنة ١٨٨٣ عين مديرا للغربية ، وفى أبريل سنه ١٨٨٤ نقل الى الدائرة البلدية بمصر ، وفى يولية سنة ١٨٨٦ عين ناظرا عاما للدائرة السنية ، وظل فى هذا المنصب حتى أحيل الى المعاش فى ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٩٤ ، وكان قبل احالته الى المعاش قد أنعم عليه بالنيشان المجيدى من الدرجة الاولى . وتوفى فى ١٠ مارس سنة ١٩٠١ .

(الرافعى : محمد فريد ص ص ١٣ ـ ١٧ وص ٥٤٠ ، محمد فريد : مخطوطة تاريخ مصر من ابتداء سنة ١٨٩١ مسيحية ، حوادث ١٨٩١ ص ١٠ ، ١٣ ، حوادث ١٨٩٤ ص ٨٠) .

جريدة الأهرام قبل مقابلتى حتى لا أمنعه (١) ، ولما وصل القاهرة نشره فى اللواء ، وقطعت بذلك العلاقات بينهما مدة سنتين تقريباً. ثم فى ١٩٠٦ لما حصلت مسألة دنشواى كاتب مصطفى الخديو بواسطة أحمد شفيق باشا (٢) (ولكنه لم يقابله) ولم يخبرنى بهذه المخابرات مع أنى كنت معه بباريس ثم سافر إلى لوندره (٣) وقام بحركته ضد كرومر (٤) وخطب هناك خطبة كبيرة فى جمع من الكبراء وكتب جواباً عظيما فى الفيجارو (٥) نشر بها بواسطة الكاتب الشهير لوتى Pierre Lotti (٦) ثم أتى فيشى حيث كنت بانتظاره.

صلح مصطفى مع الخديو

---

(١) كتب مصطفى كامل هذا الخطاب فى ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٠٤ ونشرته جريدة اللواء وجريدة الأفكار فى ١٩٠٤/١٠/٢٨ وقد ذكر فيه مصطفى كامل المبررات التى تفرض ابتعــاده فى ذلك الوقت عن الخديو حتى لا يتخذ الانجليز من هذه العلاقة وما هو معروف عن موقف مصطفى كامل منهم ذريعة لزيادة تدخلهم فى شئون البلاد ، وقد كرر له فى هذا الخطاب صدق شعوره من ناحية العرش ، وأن نقده لبعض الشخصيات التى تحيط بالخديو كان بدافع الوطنية المخلصة .. الخ . وقد كان لهـذا الخطاب صدى واسع فى الصحافة حيث نشرت حوله بعض المقالات أهمها : اللواء فى ١٩٠٤/١٠/٢٧ ، الظـــاهر فى ١٩٠٤/١١/٦ ، الصـــباح فى ١٩٠٤/١/٥ ، الـــوطن فى ١٩٠٤/١٠/٢٥ ، المقطم فى ١٩٠٤/١٠/٣١ .

(٢) أحمد شفيق باشا ( ١٨٦٠ - ١٩٤٠ ) مؤرخ مصرى ، تخرج فى مدرسة العلوم السياسية وكلية الحقوق بباريس ، وعين وكيلا للجامعة المصرية الأهلية ، وولى رئاسة الديوان الخديوى فى عهد عباس حلمى الثانى وأسهم فى معالجة القضايا الشرقية والعربية السياسية ، له عدة مؤلفات منها « حوليات مصر السياسية » ( ٩ أجزاء ) و « مذكراتى فى نصف قرن » و « الرق فى الاسلام » .

( الموسوعة الميسرة ، ص ٦١ ) .

(٣) لوندره Londres الاسم الفرنسى لمدينة لندن .

(٤) هو سير الفلن بيرنج Sir Evelyn Baring الذى خلف فى مايو سنة ١٨٨٣ سير ادوارد ماليت Sir Edward Malet معتمد انجلترا وقنصلها العام فى مصر . وكانت له دراية سابقة بأحوال مصر ، اذ سبق له الاشتراك فى صندوق الدين والمراقبة الثنائية كما كان عضوا بارزا فى مؤتمر لندن الذى عقد فى سنة ١٨٨٤ للنظر فى المالية المصرية . وقد صار الحاكم الفعلى للبلاد ، اذ وصفه محمد فريد فى مخطوطته « تاريخ مصر من ابتداء سنة ١٨٩١ مسيحية » ، بأنه « خديويها الأعظم » . وقد ظل فى منصبه الى أن استقال فى أبريل سنة ١٩٠٧ ، وخلفه سير الدون غورست .

( لمزيد من التفاصيل أنظر : أحمد لطفى السيد ، « صفحات مطوية من تاريخ الحركة الاستقلالية فى مصر » ص ص ٦٩ - ١١٢ ، محمد فريد : مخطوطة تاريخ مصر من ابتداء سنة ١٨٩١ مسيحية ، حوادث سنوات ١٨٩١ ، ١٨٩٣ ، ١٨٩٤ ، ١٨٩٥ ، ١٨٩٦ ، ١٨٩٧ ، الرافعى : الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ص ٣١ ) .

(٥) نشرت الفيجارو هذا المقال بعددها الصادر فى ١٩٠٦/٧/١١ بعنوان « الى الأمة الانجليزية والعالم المتمدن » حيث عرض فيها لحادثة دنشواى مستثيرا الضمير الانسانى العالمى ( الرافعى ، مصطفى كامل ص ٢٠٨ - ٢١٧ ) .

(٦) أديب فرنسى مشهور كانت له صلة قوية بمصطفى كامل ، وبينهما رسائل متبادلة وكان ينشر بعض المقـالات فى جريدة « الاتيندار اجبســـيان » وكان ينشر بعضهـــا فى نفس الوقت فى جريـــدة « الفيجارو » . وقد وضع كتابا فى عام ١٩٠٩ عن مشاهداته فى مصر ، وقدم له بكلمة اهداء الى روح مصطفى كامل قال فيها : « الى ذكرى صديقى المجيد العزيز مصـــطفى كامل باشا الذى استشــهد يوم ١٠ فبراير سنة ١٩٠٨ فى ميدان الجهاد الشريف عاملا على رفعة شأن مصر والاسلام » ( الرافعى ، مصطفى كامل ص ٣٩٥ ، ٤١٨ - ٤١٩ ) .

لطيف سليم باشا والدكتور صادق رمضان بك

وفى خريف سنة ١٩٠٦ المذكورة توسط الدكتور صادق رمضان ومهد السبيل للمقابلة وفعلا اجتمعنا أنا ومصطفى كامل والدكتور صادق ولطيف سليم باشا (١) وقابلنا الخديو ليلا فى عزبة مسترد (٢) . وفى هذه الليلة

(٢)

اتفقنا على تأسيس الحزب الوطنى والنادى وجرائد الاتنداد بالفرنسية والانكليزية وكنا مختلفين فى هل يكون الحزب سرى أو علنى وكان رأى الخديو بأن يكون سرياً ، وبأن تنتخب أعضاء لجنته الإدارية السرية من بين أعضاء النادى بعد الاختبار ، ولكن تغلبنا على جعله جهرياً ولا بأس من تشكيل لجنة سرية فيما بعد من بين الأعضاء العاملين المخلصين ليقرروا مايرونه لازماً فيما بينهم وعند تقدير (٣) اللجنة الإدارية الجهرية يؤيدونه معا

عارض المرحوم لطيف باشا فى مقابلة الخديو أو العمل معه لعدم ثقته به لأنه رجل أنانى يفضل دائماً منفعته الشخصية على الصالح العام ، ولأنه جربه جملة مرار فكان يخونه ولا يفى بما اتفقوا عليه ، وكان يكرر دائماً هذه الجملة ( هذه كلها قناطر مررنا عليها ووجدناها غير موصلة للطريق ) وأخيراً أقنعناه فقبل . بعد هذه المقابلة اجتمعنا جملة مرات مع الخديو أنا وصادق رمضان ومصطفى بجامع سيدى التبرى بجنينة القبة ولم يحضر لطيف باشا هذه الاجتماعات . وفى إحدى هذه المقابلات تكلم معه الدكتور رمضان صراحة بخصوص بيع الرتب والنياشين وأن هذا الأمر يجعل للانكليز سبيلا للطعن عليه وكانت التيمس قد كتبت وقتها فى هذا الموضوع بإيعاز اللورد كرومر اتهمت فيها الخديو بأنه هو البائع . فقال الخديو بأن هذه المسألة كانت من أمور الشبوبية وقد تركها وسيشتغل من الآن فى المسائل العامة بجد واجتهاد ويترك هذه الصغاير .

تأسيس شركة الاتنداد

فى أثناء ذلك أسسنا شركة الاتنداد برأس مال قدره عشرين ألف جنيه دفعت منها أنا خمسماية . وأوعز الخديو الى الكثيرين من الأغنياء بالدفع فدفعوا مثل

(١) هو ابن سليم باشا الحجازى أحد قادة الجيش المصرى فى عهد محمد على ووالد فؤاد سليم زميل وصديق مصطفى كامل بمدرسة الحقوق ، وقد عين مفتشا بوزارة المعارف ثم مديرا للفيوم ثم رئيسا فخريا للمحكمة المختلطة ، وكان من زعماء الضباط الذين ثاروا ضد وزارة نوبار باشا فى فبراير سنة ١٨٧٩ فى عهد الخديوي اسماعيل . ( الرافعى ، مصطفى كامل ص ٢٦ ، ٣٧٠ - ٣٦١ ، ٣٩٨ ) .

(٢) المقصود بها مسطرد التابعة لمركز شبرا الخيمة بمحافظة القليوبية .

(٣) من المرجح أن تكون هذه الكلمة ( تقرير ) وليس ( تقدير ) .

الأمير جميل طوسون ومدحت باشا يكن وغيرهما (١) مما أخبرني عنهم مصطفى عند وفاته.
ومصطفى اكتتب بألف جنيه ولكني لا أدري إن كان الخديو دفع له مساعدة في هذا المشروع أم لا لأنه رحمه الله كان يخفي على كل ما يختص بالمساعدات المالية التي كان يأخذها سواء كان من الخديو أو من السلطان عبد الحميد ، على أنه اعترف بأخذ مساعدات كثيرة من الخديو ولكنه لم يعترف لي مطلقاً بأخذ شيء من عبد الحميد ، سافرنا بعد ذلك معاً لأوربا في ديسمبر سنة ١٩٠٦ لاختيار المحررين للجرائد الوطنية، فأقمنا بباريس ثم سافرنا لوندره ثم عدنا لباريس وفيها قابلنا المستر « روبرتسون » العضو بمجلس النواب الانكليزي (٢) ، ذاهباً لمصر مع المستر مالوني Malony الشاب الايرلندي الذي كان انتخبه لنا المستر « بلانت » (٣) ليكون محرراً بالجريدة الإنكليزية . المستر « روبرتسون » هذا سافر لمصر بناء على دعوة ( سرية ) من الخديو لزيارتها على مصاريفه كما سافر المستر Brailes Ford مدير جريدة الديلي نيوز والمستر « روموند » الأرلاندي ليدرسوا الحالة بنفسهم ويحاربوا كرومر في الجرائد الإنكليزية وفي البرلمان . وكان الخديو أخبرني بنفسه بدعوة هؤلاء الأشخاص ذات يوم حيث كنت لديه بالمنتزة باسكندرية حينما كان يشتغل بهمة ضد كرومر . قابلنا « روبرتسون » بالمحطة مع زميله وأنزلناهما بلوكانده ريشموند بشارع Hilder ثم دعوناهما إلى التياترو ، وفي أثناء الحديث علمت من كلام « روبرتسون » أنه لا يريد الاشتغال معنا وأنه أميل لآراء المؤيد بسبب تأثير رسول الخديو إليه وإلى إخوانه

---

(١) تأسست في نوفمبر ١٩٠٦ شركة مساهمة لاصدار جريدتي « ليتندار اجبسيان » و « اجيبشيان ستاندرد » الأولى تصدر في المساء والثانية تصدر في الصباح . وكان المساهمون هم : مصطفى كامل باشا ، محمد فريد بك ، عمر سلطان باشا ، ومحمود بك انيس ، على بك فهمي كامل ، محمد بك أحمد الشريف ، اسماعيل بك صادق ، ابراهيم بك حليم ، أحمد فائق باشا ، حسن حارس باشا ، سيف الله يسرى باشا ، محمود بك أبو النصر ، محمد بك سعاد ، مصطفى بك رشيد ، يوسف بك حافظ ، محمد بك عبد اللطيف الصيدلي ، اسماعيل افندي كامل ، أحمد بك حجازي ، حسن محسن باشا ، محمد بك خورشيد ، عثمان بك أبو شنب ، فؤاد بك المنشاوي ، اسماعيل افندي حافظ ، خالد بك سعيد ، عبد الحميد بك عمار ، ابراهيم افندي نيازي ، حسن بك جمجوم ، يوسف بك ذهني ، قليني باشا فهمي ، جلال أديب بك عارف ، توفيق بك حموده ، حافظ افندي مصطفى ( الرافعي ، مصطفى كامل ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦ ) .

(٢) المقصود بمجلس النواب الانكليزي : مجلس العموم البريطاني .

(٣) هو ويلفرد سكاون بلنت Wilfred Scawen Blunt المعروف في التاريخ المصري بصداقته الشخصية لأحمد عرابي وتأييده لثورته العرابية ، وكثيرا ما كان يكتب المقالات المؤيدة لها في الصحف البريطانية . وضع كتابا بعنوان « التاريخ السري للاحتلال البريطاني لمصر » كما نشر يومياته وضمنها كثيرا من أحداث الثورة العرابية أولا بأول .

وهو المستر « موزلى Mosly » الذى كان قاضيا بالمحاكم وكلف بالاستعفاء لسوء سلوك زوجته وتهتكها . هذا الرجل أخذ يشتغل بعد ذلك فى المحاماة مع شاب

(٣)

مصرى اسمه محمد زكى محمد كان كاتبا بمحكمة مصر ، وكان يشتغل مع مستر « موزلى » لما كان قاضيا ، ثم درس الحقوق بالقسم الليلى بمصر . ولما حصل على الليسانس استقال واشتغل محاميا . ولكنه كان مشهورا بعدم طهارة الذمة والنصب وما شاكل . فاشتغل مع موزلى وكان يتداخل فى مسائل الرتب والنياشين وبيعها بواسطة موزلى المذكور .

**المستر موزلى والشيخ على يوسف**

موزلى هذ كان من شركاء الشيخ على يوسف فى الأمور السياسية وفى أمور النصب وتوصل إلى أن صار رسول الخديو لدى بعض كبار الإنكليز بلوندرة . وكان يأخذ منه مبالغ جسيمة لهذا الغرض . وهو الذى دعى هؤلاء الإنكليز لزيارة مصر ، ولذلك فلم أستغرب حالة المستر زوبرتسون معنا بباريس وقوله لنا بأنه لا يريد أن يقابل فى مصر الرجال الظاهرين من إخوان مصطفى كامل . بل انه يريد أن يكون مستقلا حتى لا يرمى بالتحيز لو تكلم فى مجلس النواب وقد تأكد ظنى فيه . فإنه لما وصل مصر كان حافظ عوض(١) من أعوان الشيخ على مرافقا له وأقيمت له الحفلات بمصر والأرياف وكان دائما حافظ عوض معه (وسنذكر تاريخ حافظ عوض فيما يلى )

مرض مصطفى فى شهر ينايرسنة ١٩٠٧ مرضا شديدا وكان يعالجه الدكتور « روبرن Rubrin » وبمجرد ما تماثل للشفاء عدنا لمصر . واستمرت مقابلاتنا للخديو ومخابراتنا معه بواسطة الدكتور رمضان ولم تعلم علاقة مصطفى بالخديو ولا صلحه معه إلى أن مات رحمه الله .

**تاسيس الحزب الوطنى**

فى صيف سنة ١٩٠٧ سافر مصطفى لأوروبا فى ٢٧ يونيه على ما أذكر وقمت مقامه فى مراقبة الجرائد فكنت أكتب دائما فى الجريدة الفرنسوية (٢) التى ظهرت فى مارث (٣) سنة ١٩٠٧ ولما عاد فى أواخر سبتمبر ذهبت لمقابلته باسكندرية على الباخرة . وكان

---

(١) ولد حافظ عوض حوالى سنة ١٨٨٢ وتعلم فى مصر ثم التحق بجريدة المؤيد حيث سخر قلمه لخدمة الخديو . وفى سنة ١٩٠٩ ترك صحيفة « المؤيد » واصدر صحيفة « المنبر » واصبح مندوبا صحفيا للخديو . وفى سنة ١٩١٠ شارك الشاعر احمد شوقى مسئوليات العمل فى خدمة القصر السرية ثم أعفى من العمل بالمعية ليرأس تحرير « المؤيد » سنة ١٩١١ ، ولقد انضم حافظ عوض بعد ذلك الى حزب الوفد سنة ١٩١٩ واصدر صحيفة « كوكب الشرق » سنة ١٩٢٤ .

( مجلة الكاتب : العدد ١١٠ ، مايو ١٩٧٠ ص ١٨٧ ) .

(٢) هى جريدة ليتنـدار اجبسـيان L'étendard égyptien . وقد صـدرت يوم ٢ مارس سنة ١٩٠٧ .

(٣) كان لفظ ( مارث ) يطلق على شهر ( مارس ) وقتذاك

الدكتور رمضان بانتظارنا فى لوكاندة «أبات» فلما رآه مصفرا أخضر اللون قال لى همسا إن حالته الصحية غير مرضية ولابد أن يكون مصابا بالسل ، وهذه هى عبارته بالفرنساوية : Il file du mauvais coton .

وفاة مصطفى

فى ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٠٧ ألقى فى اسكندرية خطبة طويلة أعلن فيها مبادىء الحزب العشرة (١) . ثم زاد عليه المرض ولزم الفراش مدة واضطربت ماليته كثيرا بسبب المضاربات التى كان دخل فيها هو وأخيه على . ولما رأى ازدياد حالته أسرع بتأسيس الحزب . وخطب خطبته فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٠٧ (٢ )، وتأسس الحزب بالكيفية المعروفة ومن يومها لم يفارق غرفته حتى مات ، وأنا والدكتور صادق بجواره إلى أن أسلم الروح ودفن فى مشهد لم يسبق لغيره بمصر ، تجلت فيه الحركة الوطنية فى أجمل مظاهرها وأخذ الإنكليز والخديو يحسبون لها ألف حساب .

من يوم وفاته ابتدأ الخديو يدس دسائسه لانتخاب رئيس يكون طوع أمره ليستعمله فى أموره الشخصية وليحارب به الإنكليز فأرسل رجاله فى الجنازة والمآتم ونفس الشيخ على يوسف عدو مصطفى والمنافس له فى جميع أموره ، حضر المآتم والليالى الثلاث الأول وكذا عرفى باشا من رجاله أيضا . وأخذوا يرشحون .

(٤)

من يتوسمون فيهم الطاعة من الرؤساء مثل يوسف المويلحى أو عرفى باشا ، وبعضهم رشح الشيخ على يوسف نفسه . كل هذا لم يفد ، وفى يوم انعقاد الجمعية العمومية التى كنت دعوتها يوم ١٤ فبراير أى بعد الوفاة بأربعة (٣) . انتخبت بالإجماع (٤ ) ، وممن لعبوا دورا مهما فى هذه المسألة بإيعاز الخديو : على بك فهمى كامل

---

(١) ألقى مصطفى كامل هذه الخطبة مساء الثلاثاء ٢٢ أكتوبر ١٩٠٧ بمسرح زيزينيا وقد استعرض فيهـا الحيـاة السياسـية فى مصر بعد الوفاق الودى وفند التهم الموجهة اليه بالتعصب واثارة الروح الطائفية . غير أن الخطبة لم تتضـمن المبـادىء العشرة كما أشار محمـد فريد بذلك ، كما لم تتضمن مبادىء أخرى معينة انما هى من نوع الخطب الوطنية الطويلة التى اعتـاد مصطفى كامل أن يلقيها فى المناسبات المختلفة وان تميزت هذه الخطبة عن غيرها بوضوح الفكرة .

(٢) وهى الخطبة التى القاها فى أول جمعية عمومية للحزب الوطنى عقدت بدار اللواء حيث انتخب رئيسا للحزب الوطنى مدى الحياة .

(٣) هكذا وردت بالأصل ، ويستقيم المعنى لو أضيفت كلمة ( أيام ) .

(٤) اجتمعت الجمعية الوطنيـة للحزب الوطنى بدعـوة من اللجنـة التنفيذيـة يوم الجمعة ١٩٠٨/٢/١٤ وتولى رياسة الجمعية أحمـد فائق باشا أحد وكيلى الحزب وقد خطب محمد فريد فى هذا الاجتماع منوها بزعامة مصطفى كامل وتاريخه وعلاقته الشخصية القديمة وفى نهـاية الاجتماع انتخب محمد فريد بالاجماع رئيسا للحزب وانتخب على فهمى كامل وكيلا وأحمد بك لطفى المحـامى عضوا باللجنة الادارية كما تقرر جعل مدة رئاسة الحزب ثلاث سنوات بخلاف ما تقرر لمصطفى كامل أن يكون رئيسا لمدى الحياة وكان هذا بناء على طلب محمـد فريد ( الرافعى ، محمـد فريد ، ص ٥٠ ـ ٥٤ ) .

لأنه كان يريد أن ينتخب بصفته أخ الفقيد وجهز أوراقاً مكتوبا عليها أسمه ووزعها على بعض الحضور وأدخل فى محل الاجتماع الكثيرين من غير الأعضاء بواسطة من وضعهم على الباب من رجاله ، ولكنه لما رأى التيار قويا ضده حول الدفة وخطب فى الحضور مرشحاً لى بناء على جواب كان كتبه له أخوه من أوربا يوصيه فيه بانتخابى رئيسا لو فاجأه القدر المحتوم .

**حديثى مع الخديو عقب انتخابى رئيسا**

وكان رجال الخديو أثناء هذه الحركات يترددون على على فهمى ويشجعونه على السعى فى أن ينتخب واعدينه بمساعدة الخديو المادية والأدبية ، وهو لطمعه وحبه للمال كان يميل إلى وساوسهم ولكنه خاب . يوم إنتخابى طلبنى الخديو بالتلفون فتوجهت إلى سراى عابدين بعد الظهر . فقابلنى على الفور وهنأنى بكل لطف مؤملا الخير الكثير من وجودى فى مركز السياسة (١) ومن عباراته لى هذه الجملة أو ما معناها : إن وجود مثلك على رأس الحركة الوطنية مفيد جدا لأنك لست محتاجا ولا طالبا للمال ، ولأنك من عائلة خدمت البلاد ، ووالدك كان مشهورا بالعفة والصدق والإخلاص ، ولا يمكن للإنكليز أن يقولوا عنك بأنك طالب شهرة أو مال أو وظيفة الخ الخ .. من هذه العبارات اللطيفة ثم سألنى عن حالة الجرائد فأخبرته بأنها ستسير بإذن الله ، وأننا وضعنا نظاما يساعد على بقائها ، ثم عرض على استعداده للمساعدة بالمال فرفضت حتى لا أكون أسيره وطوع أمره وانصرفت .

رأى الرجل عقب ذلك بأنى لست ممن يطيعون أوامره إطاعة عمياء فأخذ يدس الدسائس لإسقاطى من جهة ويظهر لى التودد من أخرى مما سيأتى شرحه تفصيلا .

وفى ٢٩ ابريل سنة ١٩٠٨ خطبت أول خطبة لى كبيرة فى مرسح الشيخ سلامة بشارع الجنينة البحرى (٢) وكان لها تأثير شديد ، وفى هذه الفترة كنا شرعنا فى الحصول على تواقيع بطلب المجلس النيابى التام وكانت خطبتى فى هذا الموضوع ،

---

(١) من المرجح ان تكون هذه الكلمة : رئاسة وليست سياسة .

(٢) يذكر الرافعى فى كتابه : محمد فريد ، ص ٦٥ ، أن هذه الخطبة كانت فى ١٩٠٨/٤/١ وليس يوم ٢٩ كما سجله محمد فريد من وحى الذاكرة فى هذه الصفحات الأولى من المذكرات .

وأثرت كثيرا حتى أننا جمعنا نحو الخمسة وسبعين ألف توقيع (١). وكان الشروع في هذا العمل بالاتفاق مع الخديو حتى إذا سافر إلى انكلترا تكلم مع الملك إدوارد وأظهر له أن الأمة طالبة الدستور وأنه يرى إعطاها اياه لأنه من حقوقها .

وفي مايو عزمت على السفر إلى أوروبا وقابلته قبل السفر بيومين ودار بيني وبينه هذا الحديث :

(٥)

الخديو : ماذا عزمت عليه ياسي فريد – سأسافر لأوروبا وأسير في طريق مصطفى حتى لايقال أن الحركة ماتت بموته ، ولأظهر للعالم الأوروبي أن حركتنا قوية لاتقوم بقيام شخص ولا تسقط بموته ، الخديو : عظيم عظيم سافر نجح الله مقاصدك – سأسافر إن شاء الله وإنما أطلب من افندينا أن لا يعاكسني في مساعي وأن لا يرسل لي خلفي من يسعى ضدي أو يعرقل مساعي كما فعل أفندينا في العام الماضي سنة (١٩٠٧) حيث أرسل حافظ عوض وأباظة باشا (٢) والشيخ على يوسف إلى لوندره لمعاكسته (٣). الخديو: لا والله ياسي فريد لا تخف، مصطفى نوع وانت نوع ومع ذلك فأنا لم أرسل حافظ عوض في العام الماضي – إن أمر إرساله مثبوت وأنك أعطيته ثلاثماية جنيه مصاريف سفريته . الخديو : لا والله ماية وخمسين فقط . (ثم تلعثم وتغير لونه) فقمت وانصرفت مودعا ، وكنت قبلها كلمته في أمر عرائض طلب المجلس النيابي فأمرني بتقديمها إلى ديوان خديوى ، فقدمتها قبل سفرى إلى شفيق باشا بجواب رسمي من الحزب ذكرت فيه أن هذا التقديم بناء على أمر الخديو.

دسائس الخديو ضد الحزب الوطني

---

(١) أعد الحزب الوطني صيغة لطلب الدستور وطبع منها عشرات الآلاف من النسخ ليوقعها المواطنون وهي كما يلي :

( مولاى :

انى بكل اخلاص وثقة بميولكم السامية التمس من لدنكم أن تمنحوا رعيتكم المخلصة ما منحها ابوكم الكريم في سنة ١٨٨١ وهو انشاء مجلس نيابي يكون عونا لحكومتكم السنية على نشر العلوم والمعارف ويساعدكم على ترقية البلاد تحقيقا لميولكم الطاهرة ، وأنت يا مولاى الأمير خير من يقدر الدستور قدره لأنك نشأت نشأة عصرية ضاعفت محبتك لرعيتك التى رقيها اجل امنيتك .

وتفضلوا يا مليكي بأن تعدونى في مقدمة رعاياك المخلصين » .

الامضاء

(٢) المقصود هو اسماعيل باشا أباظة . انظر ما كتبه عنه محمد فريد على صفحة ٨٢ من هذه المذكرات

(٣) المقصود بالمعاكسة هنا هو : الزعيم مصطفى كامل .

سافرت بعدئذ إلى أوروبا وبعد قليل سافر الوفد الأباظى إلى لوندره وكان من ضمنه محمود بك سالم وعبد اللطيف بك الصوفانى ورئيسه إسماعيل باشا أباظة ومعه حافظ عوض ومترجم قبطى حكيم من اسكندرية اسمه إبراهيم عبد السيد ، وكانت مهمته الاتفاق مع الإنكليز على اعطائنا دستوراً صغيراً فى مقابل قتل حركة الحزب الوطنى والاعتراف ضمنا بالاحتلال الإنكليزى . وهذا دليل على عدم إخلاص الخديو فإنه لم يخبرنى بشىء من هذا يوم وداعى له مع أن الأمر كان متفقا عليه .

الوفد الأباظى الى لوندره

سافرت أنا من باريس إلى لوندره وأقمت بها بضعة أيام وزرت المستر بلانت وقابلنى روبرتسون من أعضاء مجلس النواب والمستر بريلسفورد (١) وتناولنا الغداء معا فكلمونى فى ضرورة السكوت عن الاحتلال وعدم المطالبة بالجلاء . وهم يساعدوننا على نوال ما نطلب من الاصلاح الداخلى والدستور فرفضت طبعا لثقتى أنها خدعة يراد بها إسقاط الحزب فى أعين الأمة فيصبح آلة فى يدهم كحزب الأمة أو كحزب حكومة، وبعدها سافرت إلى أدنبره (٢) حيث أقمت يومين . أقام لى الطلبة المصريون مع الجمعية الإسلامية بها مأدبة حضرها اللورد حاكم المدينة وخطبت فيها بضرورة الجلاء حتى تصبح الأمة المصرية صديقة للأمة الإنكليزية تكون معها لا عليها، إذا قامت بينها وبين دولة أخرى حرب عظمى .

فى أثناء ذلك رفعت دعوى جنحة على الشيخ عبد العزيز جاويش (٣) بسبب مقالة له فى ذكرى دنشواى (٤) فدفع بالحماية الفرنساوية وكتبوا لى من مصر بالسعى لدى نظارة الخارجية لاعتمادها، وكنت فى فيشى فعدت إلى باريس وقصدت

---

(١) مدير تحرير جريدة الديلى نيوز وقتذاك .

(٢) كان هذا فى مايو سنة ١٩٠٨ وقد خطب الدكتور محمد بدر رئيس الجمعية الاسلامية بادنبره فى هذا الحفل وعرض عليه أن يكون رئيس شرف للجمعية فقبل .

(٣) هو تونسى الأصل ، ولد بالاسكندرية سنة ١٨٧٦ وتوفى بالقاهرة فى سنة ١٩٢٩ ، تعلم بالأزهر ودار العلوم ، ولما تفوق فى دراسته أرسل فى بعثة الى انجلترا للتخصص فى علوم التربية والآداب ، ونبغ فى اللغة الانجليزية ، وكان أثناء ذلك يدرس اللغة العربية بجامعة اكسفورد . ولما عاد الى مصر تولى عدة مناصب فى نظارة المعارف العمومية ، وله مؤلفات منها : « أثر القرآن الكريم فى تحرير الفكر البشرى » و « خواطر فى التربية والسياسة » و « أبحاث عن المرأة المصرية والشئون العامة » ، وكتاب فى التربية والتعليم . ( الموسوعة العربية الميسرة ص ١١٨٣ ، وانظر أيضا ترجمة محمد فريد له على صفحة ٤٥ وما بعدها من هذه المذكرات ) .

(٤) يذكر الرافعى فى كتابه محمد فريد ص ص ٨٥ ، ٨٦ أن النيابة اقامت دعوى عمومية ضد الشيخ جاويش بتهمة اهانته وزارة الحربية ونشر أخبار مثيرة للخواطر عن حادثة عرفت بحادثة الكاملين ، وليس بمناسبة مقال فى ذكرى دنشواى كما يشير محمد فريد فى مذكراته . وخلاصة الحادثة ان السلطات البريطانية قمعت بشدة ثورة قام بها الشيخ عبد القادر فى بلدته كاملين بالســودان مما دفع جاويش لأن ينشر فى اللواء مقالا بعنوان « دنشواى أخرى فى السودان ــ ٧٠ مشنوقا و ١٣ سجينا » .

(٦)

الخارجية مع المسيو كورتلمون Courtellemont وقابلت المسيو Defraner وزير فرنسا الآن (يوليه سنة ١٩١٣) فى مصر، ولكن فرنسا لم تعترف بالحماية، فعدت لمصر فى ١٤ يوليه سنة ١٩٠٨ وأنتهت القضية ببراءة الشيخ جاويش. فى يوليه المذكور تحصل الأتراك على الدستور فخطبت خطبة فى اسكندرية فى ١٤ أغسطس (١) طعنت فيها على الوفد الأباظى كما حملت عليه جميع الجرائد الوطنية. وفى ١٤ سبتمبر سنة ١٩٠٨ خطبت خطبة أخرى بالقاهرة (٢) بمناسبة تاريخ دخول الإنكليز مصر، وفى مساء اليوم المذكور قصدت الزقازيق مع بعض رجال الحزب لحضور احتفال آخر. فتظاهر الأباظية ضدى بالمحطة. وأرادوا منع الاحتفال فمنعهم البوليس وتم الإحتفال وخطبت فيه خطبة صغيرة. وفى الصباح قصدت أبو كبير مع اسماعيل بك لبيب وأخيه عبد الله بك طلعت (٣) وقضينا اليوم هناك ثم عدنا فى المساء إلى القاهرة.

تحريض بطرس باشا للخديو على معاداتنا

وكانت نتيجة رفض الاتفاق مع الإنكليز وطعنى على الوفد الأباظى تغيظ الخديو منى لأنه كان ابتدأ فى سياسة الوفاق وعضده فى ذلك بطرس باشا (٤) وكنت

---

(١) كانت الخطبة فى ١٥ اغسطس (وليس ١٤) بمسرح زيزينيا بالاسكندرية.

(٢) كانت بمسرح عباس (دار سينما كوزمو الآن).

(٣) عضو أول لجنة ادارية شكلت للحزب الوطنى، وكانت هذه اللجنة تتكون من ثلاثين عضوا بالانتخاب طبقا لما تقرر فى أول جمعية عمومية للحزب عقدت فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٠٧ (الرافعى: مصطفى كامل، ص ٢٧٠).

(٤) هو بطرس باشا غالى، ولد فى بلدة الميمون ببنى سويف سنة ١٨٤٦ وهو أكبر أولاد غالى بك فيروز الذى كان موظفا فى الدائرة الخاصة الخديوية. أدخله والده أحد الكتاتيب الابتدائية فى بنى سويف وبعد سنة أرسله الى مدرسة حارة السقايين حيث تلقى فيها بعض العلوم العربية ومبادىء اللغة الفرنسية، وبعد ذلك ذهب الى أوربا لاكمال تعليمه. تلقى علوم الترجمة التى أدخلها رفاعة رافع الطهطاوى. اشترك مع محمد قدرى باشا فى سنة ١٨٧٤ فى تعريب قوانين المحاكم المختلطة الى اللغة العربية (ولازال أكثر هذا التشريع ساريا فى مصر الى الوقت الحاضر) وكانت له اليد الطولى فى وضع قانون المحاكم الأهلية. عين وكيلا للحقانية فى سنة ١٨٨١، ثم عين سكرتيرا لمجلس النظار فى سنة ١٨٨٢ وظل فى هذا المنصب الى أن عين ناظرا للمالية مرتين الاولى فى نظارة حسين فخرى باشا والثانية فى نظارة مصطفى رياض باشا، ثم عين ناظرا للخارجية فى نظارة نوبار باشا وفى نظارة مصطفى فهمى باشا وظل فى هذا المنصب الى أن تولى رياسة النظارة من ١٢ نوفمبر ١٩٠٨ حتى ٢١ فبراير ١٩١٠.

(لمزيد من التفاصيل انظر: محمد فريد، مخطوطة تاريخ مصر من ابتداء سنة ١٨٩١ مسيحية، حوادث سنوات ١٨٩٣، ١٨٩٤، ١٨٩٥، ١٨٩٦، النظارات والوزارات المصرية ج ١. من ص ١٤٨، ١٥٢، ١٦٥، ١٦٦، ٥٦٩، الياس زخورا، مرآة العصر فى تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصر. ج ٢، ص ص ٦٢ - ٦٤، د. محمد حسين هيكل: تراجم مصرية وغربية ص ص ١١٠ - ١٢٨).

انتقدت هذه السياسة فى خطبة أبريل سنة ١٩٠٨ وحذرت الخديو من سوء نتيجتها ولكن بطرس تغلب عليه وأقنعه بأن الحركة الوطنية لاشىء والأحسن استعمال سياسة الشدة معها . وسافرا معا إلى لوندره وهناك تقوت سياسة الوفاق وعاد الخديو لمصر مصراً على محاربتنا ، وأتتنا أخبار بذلك من باريس ممن قابلوه من الإخوان .

لما عاد لمصر سافرت لاسكندرية وقابلته فى المقابلة العمومية التى حصلت بمناسبة عودته وبمناسبة شهر رمضان فسألنى : ماذا فعلت فى أوروبا ياسى فريد — ج : اشتغلت فى تنفيذ البروجرام الذى اتفقنا عليه ياأفندينا ، فظهر عليه التغير وانصرفت. من هذا اليوم أيقنت أن الرجل خاننا واتفق مع الإنكليز بواسطة بطرس باشا والسير الدون غورست (١) على محاربتنا فكتبت فى اللواء مقالة شديدة ضده بعنوان ( ماذا يقولون) (٢) كانت سببا فى طعن جرايد المؤيد والأهرام ، التى تأتمر بأوامر المعيه وفتحت باب المناقشة فى سياسة الوفاق ، وزاد الخلف بيننا نحن معشر الحزب الوطنى وبين الخديو ورجاله .

ثم فى سنة ١٩٠٩ فى شهر مارث أصدرت الحكومة قانون المطبوعات القديم الصادر فى سنة ١٨٨١ أيام الثورة العرابية فحصلت مظاهرات عظيمة ضده فرقها البوليس بالقوة (٣) وأخذت الجرائد الإنكليزية تقول بأن الأمن فى مصر غير مستتب وجرائد الافرنج فى مصر تهيج الرأى العام الأوروبى

---

(١) توفى سيرجون الدون غورست Sir John Eldon Gorst فى ١٢ يوليو سنة ١٩١٢ ، وبموته تعرضت سياسة « الوفاق » بين السلطة الشرعية والسلطة الفعلية للتصدع ، وعين لورد كتشنر Lord Horatio Herbert Kitchener معتمدا بريطانيا خلفا له ، ولم يكن كتشنر ممن يرون اتباع سياسة الوفاق . وقد عرف عن كتشنر قبل قدومه الى مصر أنه سيعيد عهد كرومر . ( الرافعى : محمد فريد . ص ٢٤٤ ).

(٢) هى سلسلة مقالات كان اولها فى جريدة اللواء بتاريخ ١١ ابريل سنة ١٩٠٨ قبل سفر الخديو عباس الى لندن . والثانية فى سبتمبر .

(٣) صدر هذا القانون فى ١٨٨١/١١/٢٦ واوقف العمل به او لم يعمل به منذ ١٨٩٤ ثم اعيد العمل به بقرار وزارى صادر من مجلس الوزراء فى ١٩٠٩/٣/٢٥ يخول وزارة الداخلية حق انذار الصحف وتعطيلها مؤقتا او نهائيا دون محاكمة ، أو دفاع . وكان صدور هذا القرار أول مظاهر تحالف الخديو والوزارة والاحتلال على مناهضة الحركة الوطنية . وقد احتج الحزب الوطنى على هذا القانون وقامت المظاهرات احتجاجا عليه ونشبت معركة بين المتظاهرين وقوات البوليس بقيادة « هارفى باشا Harvey Pasha » الانجليزى حكمدار العاصمة ، وتطبيقا لهذا القانون حبس الشيخ جاويش ثلاثة شهور لنشره مقالا فى ١٩٠٩/٨/٢٢ فى ذكرى حادث دنشواى ، كما أنذرت جريدة اللواء فى اليوم نفسه لنشرها مقالا من الشاب الهندى « دنجرا » .

( أنظر : شحاته عيسى : عظماء الوطنية فى مصر فى العصر الحديث ، ص ٢١٨ — ٢٢٠ ؛ و ص ٤٦ من هذه المذكرات ) .

سفرى للآستانة لأول مرة عقب الدستور

فى ٩ أبريل من السنة المذكورة سافرت إلى الآستانة لأول مرة فى حياتى فوصلتها فى ١٢ منه وفى صبيحة ١٣ منه حصلت الحركة الارتجاعية المشهورة التى انتهت بعزل عبد الحميد بقوة حزب الاتحاد والترقى وهمة البطل محمود شوكت باشا . ومن غريب المصادفات أنها حصلت صبيحة وصولى فأخذت أرسل الأخبار تلغرافيا للواء فى اليوم مرتين أو ثلاثة ، وكانت أخبارى أصدق أخبا الجرائد لأنى كنت أستقيها من أصدق المصادر حتى قال بعضهم أنى كنت على علم بما سيحصل هناك ولذلك سافرت فجأة . والحقيقة أن سفرى كان .

(٧)

لتوثيق الروابط بين حزبنا وبين رجال حزب الاتحاد . ولقد حضرت صلاة الجمعة مع السلطان عبد الحميد بجامع حميديه قبيل عزله . وحضرت الصلاة فى أول يوم جمعة عقب تولية محمد رشاد الخامس بجامع أيا صوفيا ونشرت كل ما رأيته مفصلا فى مقالاتى التى نشرها اللواء حينئذ .

بعد ذلك عدت لمصر فى أوائل مايو بعد أن أقمت فى الآستانة ثلاثة أسابيع فقط .

وفد الحزب الوطنى للآستانة فى يولية سنة ١٩٠٩

ثم قررنا أن نسافر ثانيا مع وفد من الحزب الوطنى لحضور عيد الدستور فى ٢٣ يوليه سنة ١٩٠٩ ، فسافرت فى ١٦ يوليه مع محمود بك حسيب ومحمود بك محرم رستم ومحمد على بك المحامى بأسيوط (١) وعبدالسلام ذهنى المحامى بالمنيا ، واجتمعنا هناك بالمرحوم الوردانى (٢) وانضم إلينا على بك علوى الجزار من حزب الأمة مع محمد بك حبيب وكلاهما من أعيان المنوفية وانضم إلينا هناك المرحوم إبراهيم الوردانى .

لما وصلنا الآستانة قابلنا الكثير من المصريين وأعضاء نادى الأحرار من الفرس والأتراك وغيرهم . وفى الأيام التالية زرنا مجلس الأعيان رسميا حيث قابلنا الغازى مختار باشا (٣) وكيله ، ومجلس النواب حيث أجلسنا فى أحسن مكان ثم قابلنا رئيسه

---

(١) هو محمد على علوبة بك ، وقد وصف علوبة هذه الرحلة فى صفحة ٥٦ من مذكراته ( التى سينشرها المركز ضمن سلسلة المذكرات التاريخية ) .

(٢) هو ابراهيم ناصف الوردانى الذى قام باغتيال بطرس باشا غالى رئيس مجلس النظار فى ٢٠ فبراير سنة ١٩١٠ .

(٣) مختار باشا الغازى (١٨٣٧ ـ ١٨٩٩) قائد تركى ، ولد فى مدينة بورصة وتلقى مبادىء العلوم فيها ثم أكمل دراسته فى الآستانة ، وانتظم فى سلك الجيش العثمانى وعين يوزباشيا سنة ١٨٦٠ ثم رقى الى رتبة بيكباشى سنة ١٨٦١ والى رتبة اميرالاى سنة ١٨٦٨ ، وفى أواخر السنة ذاتها أرسل الى اليمن لاخماد الفتنة التى شبت فيها . وفى سنة ١٨٦٩ رقى الى رتبة فريق ثم مشير وعين بعد ذلك واليا لكريت ، ولما نشبت الحرب بين روسيا والدولة العلية ( ١٨٧٦ ـ ١٨٧٨ ) عهد الى مختار باشا بقيادة الفيلق الرابع من الجيش العثمانى واستبسل فى دفاعه عن اقليم قرص وعن أرضروم ومنحه السلطان عبد الحميد فى ٢ أكتوبر سنة ١٨٧٧ الوسام العثمانى المرصع ولقبه بالغازى . وفى سنة =

أحمد بك رضا فى غرفته وزرنا كذلك محمود شوكت باشا فى الحربية ، ودار المشيخة الإسلامية والصدر الأعظم حسين حلمى باشا . قوبلنا أحسن استقبال فى كل مكان قصدناه وكانت الجرائد تنشر أخبارنا يومياً . ثم دعيت إلى الوليمة التى أقامها الاتحاديون مساء ٢٣ يوليه فى سلاملك سراى يلدز مع اثنين من إخوانى فرافقنى محمود بك محرم رستم ومحمد بك مصطفى من أعيان بلبيس . وكان الخديو مدعواً إليها ، فلما علم بوجودنا اعتذر عن الحضور . دعينا كذلك إلى حضور استعراض الجيش فى ساحة الحربية ، وجلسنا فى مكان لائق بنا وكان هناك الخديو وحاشيته فلم نقابله ولم نسلم عليه وكان برفقتنا أحد معاونى المحافظة ( شهر أمانتى ) وعلى ذراعه شارة المستقبلين ليوسع لنا الطريق .

وفى المساء استأجرنا وابوراسمه ( إحسان ) من الشركة الخيرية وزيناه وعلقنا عليه لوحات مكتوب عليها بخط جلى كبير الحزب الوطنى المصرى وسرنا به بالبوسفور إلى أن حان وقت التوجه إلى دعوة الاتحاديين بيلدز فنزلت أنا وزميلى بأسكله بشكطاش (١) واستمر الباقون فى تنزههم .

امتعاض الخديو ) لم ينشرح الخديو من هذه الزيارة ولا من هذه الاستقبالات ، فأرسل لى يوسف بك صديق (٢) الذى كان إذ ذاك (قبوكخيا(٣) ) أو وكيله هناك ، إلى لوكاندة بيرا پلاس ، وهذا أخذ يلومنى بصفة صديق قديم على عدم زيارة الخديو قائلا ان الخديو متأسف جداً من هذا الأمر وكيف أننا نزور النظارات ولا نزوره مع أنه حاكم بلادنا ونحن من رعاياه إلى غير هذا من الكلام الدال

(٨)

دسائس الخديو ضد الوفد بالاستانة

على الخنوع والاستعباد . فقلت له انى مستعد لزيارة سموه مع إخوانى أعضاء الوفد

---

= ١٨٨٣ عين سفيرا فوق العادة لدولته فى المانيا ، واخيرا أرسل الى مصر للمخابرة مع السير ادموند روو بشان المسألة المصرية وبقى بها بصفة قوميسير (معتمد) عن الدولة العلية حتى السنة الأولى التى اعقبت عزل السلطان عبد الحميد عندما تاصبه الاتحاديون العداء واستبدلوه برءوف باشا . وفى ١٩١٣/٧/٩ تولى الصدارة العظمى بعد سقوط الاتحاديين أمام الحركة التى قامت فى الجيش بزعامة « هيئة ضباط الانقاذ » والتى تم بمقتضاها استقالة الصدر الأعظم سعيد حليم باشا . وله مؤلفات بالعربية فى علم الفلك وغيره من الفنون الحربية ( انظر الياس زخورا ، ج ١ ، ص ص ٢٣٥ ـ ٢٣٨ ، محمد فريد « المخطوطة تاريخ مصر من ابتداء سنة ١٨٩١ مسيحية ، حوادث سنوات ١٨٩٣ و ١٨٩٤ و ١٨٩٧ ) ، توفيق على برو : العرب والترك ، ص ص ٣٧٥ ـ ٣٨٩ ، وانظر أيضا ص ١٣٢ من هذه المذكرات ) .

(١) أحد المراسى الواقعة حول البوسفور والقرن الذهبى . اسكلة كلمة تركية تعنى « الرصيف » .

(٢) انظر ترجمة محمد فريد له على صفحة ٦١ من هذه المذكرات .

(٣) ( قبوكخيا ) أو ( القبوكتخدا ) هو منصب نائب الخديوية فى تركيا ( انظر : أحمد شفيق باشا : مذكراتى فى نصف قرن ، ج٢/ق ٢ ، ص ٧٢ ) .

اذا قبل أن يقابلنا بهذه الصفة التى قوبلنا بها لدى الحكومة العثمانية . أما أننا نتوجه إلى سراى بيك حيث تقيم والدته (١) لنقيد أسماءنا، فلا . فوعد يوسف باشا بأخباره بذلك ثم لم يعد لأن سيده لم يقبل هذا الطلب . ومن ثم أخذ يسعى ضدنا لدى الصدر الأعظم حتى لا نقابل السلطان وكنت طلبت من حلمى أن يمهد لنا سبيل هذه المقابلة فاستدعانى حلمى باشا إلى الباب العالى ، وقال لى ان الخديو زعلان من عدم زيارتنا له والأحسن أن نزوره فقصصت عليه مادار بينى وبين يوسف صديق من الحديث فوعدنى بالتكلم مع يوسف صديق وإخبارى بما يتم ثم عدت فوجدت عنده محمود شكرى باشا من رجال الخديو فتكلمنا كثيراً وأخيراً رأيت أن المسألة دخلت فى دور غير مناسب لأن الخديو احتج على مقابلتنا فى الباب العالى بصفة وفد من حزب معاد له (على زعمه) وساعده فى ذلك سفير انكلترا ، خصوصاً وأن هذا الأمر حصل بعد مقابلة السلطان لوفدنا الأول المؤلف من اسماعيل لبيب بك وأخيه الدكتور منصور ، وعثمان غالب (الذى انقلب علينا ، وسيأتى ذكره ) ، لذلك ومنعاً للقيل والقال قررت مع إخوانى الاكتفاء بما حصل من مظاهر المجاملة . وسافرنا عائدين لمصر بدون أن نقابل الخديو فازداد غيظه وأرسلت للصدر الأعظم تلغرافاً من أزمير أشكره فيه على حسن استقبالنا فورد الرد منه بجواب رسمى إلى العاصمة (محفوظ ضمن أوراقى ) .

الوفد الوطنى الأول -

من ذلك العهد زاد حقد الخديو على حزب الاتحاد والترقى وتزايدت كراهيته لهم حتى انه لم يجسر هذه السنة (يوليه سنة ١٩١٣ ) على السفر إلى الآستانة لاشتراكه على ما يقال فى المؤامرة التى قتل فيها محمود شوكت باشا وكان يراد بها قلب حكومة الاتحاد وإرجاع حكومة كامل باشا ، صديق الخديو و صديق الانكليز .

مسألة أوراق مصطفى كامل والخديو : —

رغماً مما كان بينى وبين مصطفى من الصداقة والإخلاص المتبادل كان يخفى على بعض أموره الخاصة السياسية ومن ذلك مسألة هذه الأوراق فإنى لم أطلع عليها ولم أرها مطلقاً . ولكن لما أشيع عقب وفاته أن أخاه على بك سلم هذه الأوراق إلى الخديو بمقابل مبلغ عظيم ، أخذت أبحث سرياً وهاك خلاصة ما وقفت عليه :

سمعت من الدكتور صادق رمضان أنه يعرف الأوراق، وأن مصطفى كان محتفظا بها جيداً وواضعها تحت مخدته فى سرير مرضه ، وكان الدكتور يقول لو علمت أن على سيسلم فيها لسرقتها من مصطفى . وهذا كان سهلا عليه لأنه كان الطبيب المعالج وكان يقضى بجانبه بضع ساعات كل يوم .

---

(١) وكانت تلقب بالوالده باشا .

(٩)

ولكنه هو الآخر لم يرها. ويظن أنها كانت عبارة عن جوابات من أحمد شفيق باشا يحدد لمصطفى مواعيد مقابلة مع الخديو بأوروبا أو فى بعض أماكن سرية بمصر . قال لى الدكتور المذكور أن الواسطة فى أخذ هذه الأوراق كان خليل بك حمدى وكيل مدرسة البوليس ، ومحمود بك حسنى ناظر مدرسة عابدين ، ومحمود بك سامى ذهنى من الملتصقين بشوقى بك شاعر المعية ، وربما كان لدلاور بك وكيل الخاصة الآن يد فى ذلك ، وأن الخديو بنفسه أتى بسيارة إلى ميدان الأزهار ومعه شوقى بك وأحد ياورانه ( وهو الذى أخبر الدكتور بهذه التفصيلات ) وهناك قابله على بك أو ركب معه وسلمه الأوراق .

مســألة اوراق مصطفى وبيع على فهمى لها

لم أكتف بذلك بل سألت محمود بك سامى ذهنى ( وهو كان من رجال الحزب ثم انفصل عنا عقب حملتى على الخديو بمقالات ماذا يقولون ) فأخبرنى بأنه حقيقة وجد بمنزل على بك فهمى ( دار اللواء ) ذات ليلة مع محمود حسنى وخليل حمدى وتكلموا بصدد هذه الأوراق . ثم دخل على معهما فى أودة صغيرة وأطلعهما عليها أما هو أى محمود سامى فلم يرها بعينه . والذى يؤيد هذه الحادثة وأن على فهمى خان الحزب فيها ، أن الخديو ابتدأ يستعمل الشدة مع الحزب ويبث الدسائس ضده بعد الحصول عليها ، وأن على فهمى الذى كان يشتكى الفقر المدقع ، سافر عقبها إلى أوروبا ومنها إلى الآستانة وهناك قابل الخديو أيضا ( على ما يقال ) واستلم منه مبلغا من المال وسافر إلى المدينة المنورة لحضور الاحتفال بافتتاح السكة الحديد الحجازية (١) ثم عاد لمصر وأخذ يدس دسائسه لا يجاد فشل فى لجنة الحزب الإدارية وليضع يده على جريدة اللواء ويدير سياستها بما يوافق الخديو .

تحقيقات فى هذا الموضوع

اننا من أول الأمر لم نثق بعلى فهمى لأنه يعتقد أن رئاسة الحزب كانت له بحق الميراث وانى اختلستها منه ولذلك ما فتىء يحاربنى سرا إلى الآن رغما من الجوابات التى يكتبها لى من وقت لآخر .

دسائس على بك فهمى كامل

لما أنشأنا اللجان الفرعية ببعض عواصم المديريات وبعض أقسام القاهرة ، أنشانا لجنة بقسم السيدة زينب كان مركزها بشارع خيرت بمنزل محمد عفيفى على المقاول .

وكان من أعضائها محمود عزت مأمور إدارة اللواء وكل محرريه ، سيد أفندى على ،

دسائس على فهمى كامل

(١) بدأت فكرة مشروع سكة حديد الحجاز فى ١٩٠٠ ليربط بين دمشق والمدينة المنورة ومكة المكرمة وقد استغرق تنفيذه ثمان سنوات ، وافتتح رسميا فى سبتمبر ١٩٠٨ ( جورج أنطونيوس : يقظة العرب ، ص ٧٢ و ١٠٩ ) .

وأمين أفندى عمر (أبو حفص)، ودخل بها يوسف المويلحى فكانت اجتماعاتهم كلها دائرة على انتقاد سياسى ضد الخديو ، وكان على فهمى يحضر أغلب جلسات هذه اللجنة أو يرسل محمود عزت مكانه ، وأول أمر دبروه لاحداث الفشل اعتصاب عمال اللواء .

وهاك سببه الظاهرى : بعد موت مصطفى اتفقنا على جعل اللواء شركة لنأخذ نحن* ضمان مصطفى

(١٠)

أسهما مما لنا قبله . لأنه مات مديوناً للبنوك بنحو عشرين ألف ، منها ١٢ ألف بضمانة عمر بك سلطان ( باشا الآن ) و (٣٤٠٠) بضمانتى ، والباقى لمحمد بك الشريف من أعيان ابيار . بعد جهاد طويل ، ورجاء لعمر سلطان من جهة وعلى فهمى من أخرى ، اتفقنا على أن يكون رأس مال الشركة ٤٠ ألف جنيه وهو ثمن باهظ جدا ولكنا قبلناه منعا للمشاكل ولنضع يدنا على إدارة الجرنال خوفا من تلاعب على وعدم ثقتنا به ( فى هذا العمل ابتدأ محمد طلعت بك حرب وكيل أشغال عمر سلطان يمثل دورا غريبا كانت نتيجته الختامية سقوط اللواء الفرنسى ) وترك عمر اللجنة الادارية ثم انفصاله عنا بالمرة (وسأشرح دوره فيما يلى) ، ثم لاكثار عدد الأعضاء أدخلت أنا من باطنى محمد بك خلوصى بخمسة أسهم لم يدفع من ثمنها إلا سهم واحد أعنى ماية جنيه ثم امتنع عن دفع الباقى وأدخل عمر من باطنه محمود بك فهمى حسين المحامى وانتخبنا مجلس إدارة من ثلاثة : على بك فهمى ومحمد بك خلوصى وأنا ، وسار العمل على ذلك . فى أثناء المخابرات بيننا وبين على بك فهمى والورثة ، كان على فهمى يقبض الإيراد ويتصرف به وعند استلام العمل باسم الشركة ظهر للشركة مبالغ جسيمة من حق الشركة كاشتراكات مستقبلة وأجر إعلانات ، وكذلك لم يوجد المبلغ الذى كان محصلا من مدة باسم سكة حديد الحجاز فتعهد على بدفعه . وفعلا دفعه أثناء وجوده بالآستانة فى حفلة افتتاح سكة حديد الحجاز . ويظن بأنه دفعه مما أخذه من الخديو ثمن الأوراق التى باعها إليه . وكان الاتفاق أن الاشتراكات القديمة تكون(١) حق الورثة فكان كل ما يرد منها يخصم فيما ظهر للشركة طرف الورثة . كل هذا لم يرق لذى على بك فهمى طبعا وكان الموظفون

شركة اللواء

(١) هكذا وردت بالأصل ، ويستقيم المعنى لو أضيفت ( من ) بعد ( تكون ) .

كلهم من رجاله وبالأخص محمود أفندى عزت فأخذوا يتآمرون علينا لأننا رفعنا يدهم عن العمل تقريبا ولما سافر على بك إلى أوروبا فى أغسطس سنة ١٩٠٨ وكل عنه فى مجلس الإدارة محمود أفندى عزت المذكور فزادت الحزازات بيننا وبينه .

بعد ذلك و بعد عودة على بك من أوروبا ، أخذوا فى تدبير الاعتصاب وكان مركزهم لجنة السيدة زينب . وفى أواخر أكتوبر سافر أحد الموظفين إلى اسكندرية واسمه غانم أفندى – على ما أذكر ، فأمرنا برفته وعندها تداخل المحررون السيد أفندى على وأمين أفندى عمر ( الذى كان يوقع بإمضاء أبو حفص ) وطلبوا ارجاعه فرفضنا طبعا ثم طلبوا أن نحرر لهم عقودا بمدد معينة مدعين أنهم أصبحوا غير آمنين على وظائفهم فرفضنا كذلك . ففى صبيحة يوم ٣ نوفمبر لما حضرت من منزلى لم أجد أحدا من العمال لا كبير ولا صغير وبعد قليل حضر محمود أفندى عزت مندوبا من قبل المعتصبين فلم نتفق . أخيرا استدعيت بعض الاخوان بالتلفون واستحضرنا عمالا آخرين وجمعنا الجرنال ( اللواء ) وطبعناه فى مطبعة الجريدة بعد اتفاق مع أحمد بك لطفى السيد لأن عامل آلة الطبع كان رفع منها بعض قطع لتعطيلها ، وفى أثناء ذلك علمنا أن الخديو أرسل لهم ستين جنيه إعانة وكان السيد أفندى على أخذ معه كل الأصول الموجودة عنده تعطيلا للعمل .

اعتصاب عمال اللواء

(١١)

وفى أثناء هذه المخابرات كان على فهمى يظهر الاتفاق معنا ولكن يرجونا فى قبول طلباتهم وكذلك عثمان صبرى أفندى زوج أخته . وفى المساء حضر للنادى محمد أفندى عفيفى المقاول ويوسف المويلحى سعياً فى قبول طلبات المعتصبين وحصل بينى وبينهم كلام شديد . انتهى الأمر برفت جميع العمال واستبدالهم بغيرهم وسار العمل ووجدت القطع التى كانت ناقصة من آلة الطبع ملقاة فى برميل حبر وجدت بارشاد على بك فهمى . كل ذلك جعلنا نسىء الظن بحق فى هذا الرجل الذى اشتهر بيننا بالكذب والرياء والنفاق إلى غير ذلك .

لما رفت المحررون ضمن من رفت اتفقوا مع محمود عزت ومحمد عفيفى والمويلحى وغيرهم على إنشاء جريدة يومية تعرب عن لسان الحزب الوطنى وتسير على مبادئه لتحاربنا وتحارب اللواء وتأخذ مركزه إن أمكن ، وجمع له رأس مال كان الدافع لجزء كبير (١) المويلحى من الأموال السرية التى كانت تعطى له من

(١) هكذا ورد بالأصل ويستقيم المعنى لو أضيفت ( منه ) بعد ( كبير ) .

الداخلية . (مما يؤيد أنه كان من رجال البوليس السرى أن محمد باشا سعيد (١) نفسه أخبرنى وهو ناظر الداخلية أن يوسف المويلحى المذكور حضر ذات يوم إلى عبد الله باشا صفير الشامى (٢) ، رئيس البوليس السرى السياسى وطلب منه ثلاثة آلاف جنيه ليخرب اللواء والحزب الوطنى فعرض صفير الأمر على محمد سعيد ، وهذا يدعى بأنه رفض الدخول فى مثل هذه الأمور ) . ولكن يعلم الله أنه كاذب وأنه كان من أكبر العاملين على خراب اللواء وكان يظهر لى وللحزب الاخلاص نفاقا حتى لا نأخذ الأهبة لكفاحه .

المويلحى ومحمد سعيد باشا

أسست الشركة ، وظهرت جريدة مصر الفتاة ، وكان مركزها بشارع خيرت بجوار منزل عفيفى ، وأنشأوا ناديا للجنة السيدة زينب الفرعية كان مركزها بمحل الجريدة ، يعنى ظهر جليا أن جماعة هذه اللجنة كانت هى المؤسسة لكل هذه الأعمال الداعية للتفريق ، وكان المحرك لكل هذه الأعمال هو يوسف بك المويلحى الذى لم يقبل مطلقا عضوا بالحزب بصفة رسمية لعدم ثقتنا به بل لعلمنا أنه من رجال البوليس السرى .

شركة مصر الفتاة

ولكنى لم أقاطع السيد أفندى على واخوانه بل زرتهم فى محل إدارتهم وشجعتهم على العمل . ولما ألقيت خطبتى السنوية فى آخر السنة (٣) ، أرسلت صورتها للسيد

---

(١) ولد بالاسكندرية فى ١٨ يناير سنة ١٨٦٣ ، درس الحقوق ونبغ فى القانون وكانت اول وظيفة تقلدها منصب وكيل نيابة فى محكمة الاستئناف المختلطة ١٨٨٢ ، وعين بعد ذلك مستشارا لها فى ٥ ابريل سنة ١٨٩٣ . انشأ جمعية العروة الوثقى بالاسكندرية ، ونقل فى سنة ١٨٩٥ مفتشا فى لجنة المراقبة القضائية ثم عين مستشارا فى محكمة الاستئناف الأهلية عام ١٩٠٥ . وعندما عين ناظرا للداخلية ( ١٢ نوفمبر ١٩٠٨ - ٢١ فبراير ١٩١٠ ) أسند الوظائف الرئيسية فى نظارته الى الوطنيين ، وبعد مقتل بطرس باشا غالى أسندت اليه رياسة النظارة ( ٢٣ فبراير سنة ١٩١٠ - ٥ أبريل ١٩١٤ ) وتولى الرياسة مرة أخرى ( ٢٠ مايو ١٩١٩ - ٢٠ نوفمبر ١٩١٩ ) واستقال منها احتجاجا على لجنة ملنر Sir Alfred Milner وتوفى سنة ١٩٢٨ . ( لمزيد من التفاصيل أنظر الياس زاخورا ، ج٢ ، ص‌ص ٦٥ - ٦٧ والموسوعة الميسرة ، ص ١٦٦ والنظارات والوزارات المصرية ج١ ، ص ٥٩٦ ، ومحمد فريد ، مخطوطة تاريخ مصر من ابتداء سنة ١٨٩١ مسيحية ، ص ص ١١ ، ١٢ ، ١١٢ ) .

(٢) ولد فى بيروت سنة ١٨٥٤ وهاجر الى الاسكندرية وهو فى السادسة عشرة من عمره ، والتحق فى سنة ١٨٧١ بوظيفة كاتب بالقلم الافرنجى فى محافظة الاسكندرية ، ثم رقى الى وظيفة معاون ادارة بوليس الاسكندرية وظل فى هذه الوظيفة الى سنة ١٨٧٩ الى أن عين ناظرا لادارة بوليس الاسكندرية . وفى سنة ١٨٩١ رقى الى وظيفة رئيس ادارة البوليس السرى بالداخلية .

( لمزيد من التفاصيل : أنظر الياس زاخورا ، ج ٢ ، ص ص ١٤٨ - ١٤٩ ) .

(٣) وهى الخطبة التى القاها فى اجتماع المؤتمر الوطنى للحزب فى ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٠٨ ، وكان هذا هو الاجتماع الثانى للجمعية العمومية للحزب أما الاجتماع الأول لها فكان برئاسة مصطفى كامل فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٠٧ ، وقد تقرر فى هذا الاجتماع الذى يشير اليه محمد فريد : تعديل قانون الحزب وتجديد طلب الدستور من الخديوى .

على لينشرها فى جريدته وقت إلقائها، كما أعطيت اللواء ، وتكلمت عن تأسيسها فى هذه الخطبة فقلت انها للحزب الوطنى الذى أصبح له جريدتان بدل جريدة واحدة وبذلك كسبت السيد على الذى ظل محافظا على ولائى لدرجة ما

دور طلعت حرب فى القتال الاقتدار ثم افساد امر اللواء علينا

هذا الرجل من رجال حزب الأمة الذى شكل لخدمة الإنكليز ضد الخديو . ومن رأى هذا الحزب ومبادئه أن مصر غير قادرة على حماية نفسها وما دامت مضطرة للاحتماء بقوى فالأحسن لها أن

(١٢)

يكون هذا الحامى هو إنكلترا و سياستهم قائمة على التخلص من سيادة الدولة العلية ومعاداتها بل معاداة كل تركى بل كل مصرى من أصل تركى وبالتالى للعائلة الخديوية لأنها تركية ليس إلا .

طلعت حرب هذا من المشتغلين بالمال واختاره عمر بك سلطان (باشا الآن) لأن يكون وكيلا لدائرته لينظم له أعماله المختلة ويسوى ديونه الباهظة التى يصرفها فى القمار ومع النساء بأوروبا و بمصر بكل تبجح ووقاحة . عمر بك كان من أصحاب المرحوم مصطفى باشا كامل . ولكنه لم يساعده بالمال كما أشيع واشترك فى شركة الاتندار بألف جنيه مثلى . دفع نصفها . ولما شكل مصطفى الحزب الوطنى انتخبه من ضمن اللجنة الإدارية وعين أميناً لصندوقها ثم استقال من هذه الوظيفة وضمن المرحوم لدى بنك سلانيك فى مبلغ ١٢ ألف جنيه تقريبا . لما مات مصطفى وسوينا ديونه وأخذنا نصف اللواء بعشرين ألف جنيه نظير ضماناتنا ، أصبح هو من ضمن مجلس إدارة الجريدة ، ولكن لجهله من جهة ولإنهماكه فى الملذات وعدم وجود الوقت الكافى لديه (١) ، أناب عنه وكيله طلعت حرب فكان حربا على الجريدتين إذ أخذ يحاربهما بكل قواه خدمة لحزبه الذى كان يريد بذلك خدمة ساداته الإنكليز . لما كنت بباريس مع الدكتور صادق بك رمضان فى صيف سنة ١٩٠٨ ، تقابلنا مع عمر بك سلطان وأخبرناه بحالة الاستندار وبأن المبلغ الذى وجدناه باقيا من رأس مال الشركة بعد وفاة مصطفى وهو سبعماية وكسور جنيه لايكفى لسير الجريدة ، وأن الحزب جارى الصرف عليها الآن من إيراده القليل . وعد عمر بك بأنه يصرف من ماله كل ما يلزم لحفظ كيان الاتندار . ولما عدت لمصر فى ١٤ يوليه من السنة المذكورة ، قابلت طلعت حرب الوكيل وكلمته بهذا الشأن فلم يقبل صرف شيء ، ولما عاد عمر بك أقنعه حرب بعدم الصرف لأن الجريدة لا يمكنها

(١) يستقيم المعنى لو اضيفت بعد كلمة ( لديه ) عبارة ( من جهة اخرى ) .

الأستمرار على أى حال وبذلك اضطررنا لالغائها نهائيا من أول سنة ١٩٠٩ بعد أن صرفنا عليها من خزينة الحزب ما يقرب من ألفين وخمسماية جنيه . وتسب لى أعدائى عدم القدرة على الاستمرار فى أعمال مصطفى ونحن حفظا لاسم مصطفى لم نرد أن نقول الحقيقة وهى أن مصطفى وأخاه على صرفا فى سنة واحدة على الجريدتين الفرنسية والإنكليزية ما يزيد عن ثلاثة عشر ألف جنيه .

أما أعمال طلعت حرب فى اللواء فلم تكن نتيجتها بأقل ضررا من نتيجة أعماله المشؤومة فى الاتندار .

لما ألفنا شركة اللواء كان طلعت حرب معارضا وناصحا لعمر بك بعدم الدخول فيها بهذه الكيفية بل كان يريد أن يضع يده على إدارة اللواء ليسيره فى سياستهم الاحتلاليـــة . وأخيراً تغلبت على عمر وتحصلت منـــه على التوقيع على عقد الشركة فى غياب طلعت حرب فزاد حقده على، ولكنه كان ولم يزل يظهر لى التودد الكاذب نفاقا منه شأن كل جبان ، فكان دائما يغرى على فهمى كامل على معاكستنا وأخيراً انتهز فرصة الإشكال القضائى الذى وقع بين على فهمى وأخواته وزوج أخته عثمان أفندى صبرى ، وعضد هذا الأخير على تعيين يوسف المويلحى حارسا على اللواء لتغيير سياسته أو للإجهاز عليه وقد حصل وهذا تفصيله :

(١٣)

على فهمى كان مثقلا بالديون بسبب اشتغاله بالبورصة فخسر مبالغ باهظة وحكم بها عليه . ولما كان يملك نصف اللواء بعقد من أخيه قبل وفاته (يقال انه مزور ) اتفق مع أخيه وأختيه على أن يرفعا عليه دعوى ببطلان العقد الذى يملك النصف بمقتضاه ، حتى إذا حكم لهم لا يمكن لدائنيه أن ينفذوا إلا على ثلث نصف الجريدة لا (١) على النصف كله ، واتفق معهم على أن هذه القضية صورية وأخذ عقودا منهم ببيع نصيبهم له فيما لو حكم لصالحهم ، ثم تثاقل وأهمل فى الدفاع حتى حكم لهم . عند ذلك تداخل عثمان صبرى زوج إحدى الأختين فى الأمر وتحصل بالتهديد أو بالتأثير من زوجته على كتابة تنفى الكتابة التى أخذها على فهمى عليها ، وبصفته وكيلا عن زوجته ، رفع دعوى مختلطة على شركة اللواء بإثبات ملكية زوجته ومن معها لنصف اللواء ، وطلب تعيين حارس قضائى هو يوسف بك المويلحى أحد رجال بوليس سرى الداخلية . واشترك فى هذه الدسيسة الجديدة كل أعضاء لجنة السيدة زينب الذين قاموا بحركة الاعتصاب ، وساعدهم طلعت حرب بأن وافق على تعيين المويلحى ، وبعد مرافعات طويلة حكم فعلا بتعيينه لأن بعض دائنى اللواء من الأجانب انضموا

(١) لم ترد كلمة ( لا ) فى الأصل ، واضيفت ليستقيم الكلام .

أيضا إلى المدعين . بعد ذلك حضر المويلحى للتنفيذ فى ٢٨ فبراير سنة ١٩١٠ أى بعد قتل بطرس بثمانية أيام،والحكومة قائمة بشدة ضد الحزب الوطنى ورجاله وجرائده، واستلم إدارة اللواء وأحضر معه كل العمال الذين أخرجوا بسبب الاعتصاب ، وأراد التداخل فى سياسة الجريدة والاطلاع على كل ما يكتب فيها ، فعارضت بصفتى [أ]رئيس الحزب وصاحب الإشراف على سياسته وسياسة جريدته فلم يقبل طبعا لأن قصدهم كان وضع يدهم على الجريدة ، فتركناها وأعلنا بأنها أصبحت ولا علاقة لها بالحزب ، وأسسنا جريدة العلم وظهر العدد الأول يوم٧أو٨ مارث أى بعد أسبوع ، وساعدنا محمد باشا سعيد إذ ذاك بالحصول على رخصة اصدار العلم وتساهل معنا فى مسألة التأمين. وبالاختصار قام فى هذه الحادثة بما يجب عليه لأنه كان ما زال محتاجا لتعضيد الحزب الوطنى له . أما اللواء فسار فى خطة الطعن على بكل شدة والاستناد على اسم مصطفى كامل . أما على بك فهمى فكان يظهر لنا التألم من هذه الحالة ، وفى آن واحد أولم وليمة للمويلحى ومن معه فى دار اللواء يوم التنفيذ ، فكانت سياسته فى هذه الحادثة كسياسته طول حياته السياسية ، سياسة نفاق ورياء ومنفعة ليس إلا .

بعد ذلك استمر اللواء بين الحياة والموت حتى عزل المويلحى وعين مكانه على فهمى فى أوائل سنة ١٩١٢ونشر خطبتى التى ألقيتها فى ٢٠مارث وحبس من أجلها على فهمى ثلاثة شهور مع اسماعيل حافظ مدير العلم إذ ذاك ثم أقفل اللواء نهائيا فى سبتمبر أو أكتوبر سنة ١٩١٢ وبذلك انتهت حياة الألوية الثلاثة (١) وكان لعمر سلطان ووكيله حرب وعلى فهمى ورجاله، الفضل الأكبر فى ذلك .

---

(١) يذكر الرافعى أن جريدة العلم بدأ ظهورها فى مارس سنة ١٩١٠ وانها حلت محل اللواء فى المكانة السياسية والصحفية . وقد حاربت وزارة محمد سعيد صحيفة الحزب الجديدة بحجة انها خرجت فى كتاباتها عن حد الاعتدال ، فصدر قرار فى ٢٠ مارس سنة ١٩١٠ بايقافها مدة شهرين ، فرأى محمد فريد ان يصدر فى اليوم التالى لقرار الايقاف « جريدة الاعتدال » ثم « الشعب » و « العدل » و « الاعتدال » ثانية ، ثم عاد « الشعب » الى الظهور من ٢٥ مارس الى أن انتهت مدة ايقاف « العلم » ، فصدر « العلم » مرة ثانية فى ٢٠ مايو سنة ١٩١٠ .

أما بالنسبة لجريدة اللواء الفرنسية L'Etendard Egyptien واللواء الانجليزية The Egyptian Standard ، فيذكر الرافعى أن هاتين الجريدتين ألغيتا فى أوائل سنة ١٩٠٩ بسبب عدم اقبال القراء الأجانب على قراءتهما ، الأمر الذى أدى الى نفاد رأسمال الشركة .

( الرافعى : محمد فريد ، ص ١٠٠ ، ١٥٧ ) .

(١٤)

سفرى من مصر

ألقيت خطابي السنوى فى جمعية الحزب العمومية يوم الجمعة ٢٢ مارث سنة ١٩١٢ ونشرت صورتها حرفيا فى اللواء والعلم ، وكانت خفيفة اللهجة بالنسبة للخطب السابقة . وفى يوم الأحد ٢٤ لما عدت لمنزلى ليلا أخبرنى الجنايني أن أحد ضباط البوليس حضر لمقابلتى فأفهمه بأنى عدت للجريدة بعد الغذاء، فطلب منه أن يخبرنى عند عودتى بأن أنتظره لأنه يريد مقابلتى لأمر خصوصى ، فانتظرته حتى حضر ، وبعد الجلوس أخبرنى أنه مكلف بتوصيل جواب رئيس نيابة مصر إلى، فدهشت لأنه لم يخطر لى على بال مطلقا أن خطبتى بها شىء يعاقب عليه . ولكن زاد دهشى لما اطلعت على الجواب ووجدته يدعونى للحضور صباح الاثنين لاستجوابى عما جاء بها .

حينئذ وعدته بالتوجه فى الغد إلى النيابة فطلب منى كتابة ذلك على الظرف ففعلت وانصرف . من هذه اللحظة صممت على ترك مصر (١) ولكنى لم أخبر زوجتى بل لما سألتنى عما يريده منى هذا الضابط قلت لها انه صاحبى ويريد استشارتى بصفتى محامى فى مسألة تخصه . وبعدها خابرت صادق بك رمضان وفؤاد بك سليم (٢) ومحمود بك فهمى المحامى واسماعيل لبيب واسماعيل حافظ أى أعضاء اللجنة الخصوصية التى كنا شكلناها للمداولة فى مسائل الحزب الهامة قبل عرضها على اللجنة الإدارية .

فى صباح يوم الاثنين نزلت بالقطار من محطة الحلمية حيث كنت ساكنا ، إلى محطة الزيتون وقصدت منزل الدكتور صادق وأخبرته بالحادثة وبعزمى على السفر، فوافق واتفقنا على الاجتماع بمنزل اسماعيل بك لبيب بالحلمية الجديدة بعد الاستجواب ثم نزلت إلى العاصمة فوجدت محمود بك فهمى بانتظارى بمحطة كوبرى الليمون أو بمحطة القبة ، لا أتذكر جيدا ، ووجدت بعض ضباط البوليس الطليان بملابس ملكية يراقبون حركاتى مع أنى أعرفهم شخصيا . ركبت عربة مع محمود بك فهمى إلى مكتبه وهناك تركنى وذهب ليقابل محمد سعيد باشا ليعلمه بالأمر ، وأنا انتظرته بمكتبه . بعد أكثر من نصف ساعة عاد بدون أن يقابله لأنه

---

(١) يذكر الرافعى أن أصدقاء محمد فريد تداولوا الرأى فيما يجب عمله لاحبـاط هذه المؤامرة ( أى المحاكمة ) التى دبرها الانجليز وأجمعوا على ضرورة هجرة الزعيم الى المنفى .
( الرافعى : محمد فريد : ص ص ٣٢٨ ـ ٣٢٩ ) .

(٢) هو نجل لطيف سليم الحجازى ( أنظر هامش (١) بصفحة ( ٥٤ من هذا الكتاب ) .

أرسل يخبره بأنه لم يلبس ملابسه ولينتظر ولكنه أبطأ عليه (عمدا بالطبع). عندها قصدنا النيابة معا وقابلنا على بك توفيق رئيس النيابة فقال لنا أن المكلف باستجوابى هو على بك ماهر(١) بنيابة الاستئناف، فصعدنا إلى الدور الثانى ورافقنا هو ومعه الدوسيه. أخذ على بك ماهر يتأفف من هذه المأمورية ومن ظلم الحكومة واضطهادها لنا إلى غير ذلك وكان موجودا أخى ابراهيم بك وكيل النيابة بها ثم حضر أحمد لطفى المحامى وأحمد عبداللطيف وعبد العزيز فهمى (٢) المحامين وحضروا الاستجواب. وأخيرا بعد الظهر بنصف ساعة أذن لى على بك ماهر بالانصراف، فانصرفت مع محمود بك فهمى إلى منزل اسماعيل لبيب وهناك قصصت على الإخوان ما دار بالتحقيق.

(١٥)

فتقرر بالإجماع سفرى خارج القطر، وبعد الغدا ذهبت إلى نادى الحزب الوطنى، وذهب اسماعيل لبيب إلى محل «كوك» للاستعلام عن السفن المسافرة إلى الخارج فوجدنا الوابور الروسى (٣) «الملكة أولجا» يسافر(٤) إلى الآستانة ويبريه فى اليوم التالى أى يوم الثلاث. فقررنا السفر فيه بالكيفية الآتية وهى: أن اسماعيل لبيب يقطع تذكرة لنفسه للآستانة، وأنا أسافر من مصر يوم الثلاث باكسبريس الصباح الساعة ٧ صباحا كأنى مسافر إلى اسكندرية للمرافعة فى قضية بمحكمة الاستئناف المختلطة، ثم أرافقه إلى الوابور فان ضبطت أو تعرض لى البوليس أقول بأنى حاضر لوداعه

---

(١) هو السياسى المصرى الذى يعتبر من أشهر رجال السياسة والقانون المصريين خلال النصف الأول من القرن العشرين. بدأ حياته بالمحاماة وعين قاضيا بمحكمة مصر. انضم لثورة ١٩١٩، وشارك فى وضع دستور ١٩٢٣، وعين ناظرا لمدرسة الحقوق سنة ١٩٢٣ فوكيلا لوزارة المعارف ثم وزيرا لها سنة ١٩٢٤ وتنقل بين عدة وزارات ثم عين رئيسا للديوان الملكى. وفى سنة ١٩٣٦ تولى رئاسة الوزارة فكونت فى عهده الجبهة الوطنية ثم عين رئيسا للديوان الملكى مرة ثانية وشكل الوزارة للمرة الثانية فى سنة ١٩٣٩، وشكل الوزارة الثالثة فى ٢٧ يناير سنة ١٩٥٢ عقب حوادث حريق القاهرة، ثم شكل وزارة للمرة الرابعة والأخيرة فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ثم استقال فى ٧ سبتمبر من السنة نفسها. (الموسوعة العربية الميسرة ص ص ١٢٣١ - ٣٢، النظارات والوزارات المصرية ج ١، ص ٥٤٧)

(٢) عبد العزيز فهمى (١٨٧٠ - ١٩٤٨) هو السياسى المصرى المعروف. وقد انتخب عضوا بالجمعية التشريعية سنة ١٩١٤ ثم نقيبا للمحامين. وكان أحد الثلاثة الذين ذهبوا لدار الحماية البريطانية فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ للمطالبة باستقلال مصر. اشترك فى عضوية الوفد المصرى منذ تأسيسه حتى عام ١٩٢١ ثم انفصل عنه، عين رئيسا لمحكمة الاستئناف ومحكمة النقض، وعين وزيرا للحقانية فى ١٣ مارس ١٩٢٥، ووزيرا للدولة من ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ الى ٢٧ أبريل سنة ١٩٣٨. رأس حزب الأحرار الدستوريين فى عام ١٩٤٠ خلفا لمحمد محمود باشا. له مؤلفات لغوية. (أحمد عطية الله: القاموس السياسى ص ٣٦٠، الموسوعة الميسرة، ص ١١٨٣، النظارات والوزارات المصرية ج١، ص ٥٨٣).

(٣) يقصد: الباخرة الروسية.

(٤) يقصد: المسافرة.

وبما أنى سأكون بمفردى بلا شنطة ولا ملابس بل ولا تذكرة سفر فلا يمكن لأحد أن يظن بأنى مسافر . بعد ذلك ذهبت مع اسماعيل لبيب بعربة إلى الجزيرة للفسحة وعدنا منها إلى نادى الحزب، أخذت بعض أوراق من مكتبى . وفى الساعة الثامنة مساء قصدت منزلى . وأنا بالنادى حضر أحمد بك لطفى المحامى ونصحنى بالسفر لأن الحكومة تنوى القبض على بالصباح وأنه طلبت ذلك من على بك ماهر فامتنع ريثما يطالع الأوراق وأنه يخشى أن تؤخذ الأوراق وتسلم لغيره من ضعاف العزيمة فيأمر بالقبض على(١) فأسريته بالأمر (٢) وبأنى مسافر بالغد . عند نزولى من النادى قابلنى أمام لوكاندة كونتيننتال عبد الحميد بك عمار وحافظ عوض فأخذنى عبدالحميد بك على انفراد وسألنى هل قابلت أحمد بك لطفى وهل لم يقل شيئاً فقلت له قابلنى ولم يقل لى شيئا يستحق الذكر . ثم ذهبت إلى منزلى . هناك أخبرت زوجتى بالأمر سرا، وطلبت منها أن لا تخبر الأولاد ولا أحدا من العائلة . وأفهمتها ضرورة سفرى. وبما أن الجرائد ستأتى فى الصباح ،وبها تفصيلات استجوابى فلتحجزها حتى لايطلع عليها الأولاد . وبما أنها امرأة عاقلة وفاهمة خطر مركزى قبلت القضاء بالرضا وشجعتنى على السفر، وتحمل مشاق النفى أولى من الحبس .

فى الصباح نزلت من المنزل فى نحو الساعة ٦ صباحا ولم آخذ القطر من محطة الحلمية بل سرت على الأقدام نحو كيلو متر وركبت القطار من محطة الزيتون ثم سافرت بالاكسبريس وقابلت بمحطة مصر وبالقطار كثيرين من إخوانى ومن المعارف فسألونى عن وجهة سفرى فكنت أجيبهم بأنى قاصد اسكندرية للمرافعة فى قضية وسأعود فى المساء . ولم أبح لأحد بالسر حتى ولا لمحمد بك عبد اللطيف الأجزجى بطنطا ولذلك بلغنى فيما بعد بأنه امتعض لأنى كتمت الأمر عنه ، لما وصلت اسكندرية قصدت المحكمة ومنها توجهت لإدارة جريدة وادى النيل وقابلت الكلزة (٣) وأخبرته بالسر وعند حضور قطر(٤) الساعة ١٢ ونصف من مصر قصدت لوكاندة « أبات » للغداء وهناك حضر اسماعيل لبيب

(١٦)

بك ومعه أخوه عبد الله بك طلعت . وبعد الأكل قصدنا الوابور الروسى فركب

---

(١) لم ترد كلمة ( على ) بالأصل ، واضيفت ليستقيم الكلام .

(٢) يقصد : اعلمته بالأمر بطريقة سرية .

(٣) هو محمد الكلزة الذى أصدر بالاسكندرية جريدة « وادى النيل » اليومية سنة ١٩٠٨ وقد ظلت تصدر بها حتى عام ١٩٣٦ ( لقولا يوسف ـ أعلام من الاسكندرية ، ص ٤٨٢ ) .

(٤) يقصد : قطار .

اسماعيل وأخيه عربة وركبت أنا مع الكلزة ولما وصلنا الرصيف نزلا هما أولا وصعدا
إلى الوابور ثم نزل الكلزه ليرى إذا كان الدخول للوابور سهلا أم لا ، وإذا كان هناك
مراقبون ثم استبطأته فنزلت قاصدا الوابور فقابلني ضابط من حرس الكمرك
أسود يظهر عليه أنه جعفرى وأنه لم يعرفني فدلني على مكان الصعود فصعدت ودخلت
إلى غرفة اسماعيل بك . أما الكلزه فانصرف بعد قليل ثم حضر محمود بك فهمى
المحامى بالقطار الذى يصل اسكندرية الساعة ٣ بعد الظهر ، وأتى إلى الوابور وسلم
على ، ثم انصرف وظل على الرصيف حتى قامت الباخرة . عند حضور مفتش
الكرانتينه(١) دخلت إلى محل الأدب(٢) واختفيت فيه نحو عشر دقائق ثم خرجت
لما نادانى اسماعيل لبيب وأخبرنى بخروجه . بعد قيام السفينة دفعت أجرة السفر
ولم أعلم القومسيير باسمى وأظنه هو ومن بالوابور لم يعرفوا اسمي مطلقا . لما اقتربنا
من بيريه ثغر بلاد اليونان الذى عزمنا النزول فيه للتوجه إلى أثينا لحضور مؤتمر
المستشرقين الذى كان سينعقد فيها بعد أسبوع وكنا مشتركين فيه نحن الاثنين ، رأى
اسماعيل بك أن لا أنزل إلى البر بل استمر فى سياحتى إلى الآستانة ، بما أن حكومة
اليونان صغيرة وممالئة لانكلترا ولا يبعد عليها أن تسلمنى ، فاستحسنت رأيه وبقيت
بالسفينة لحين إقلاعها أما هو فنزل إلى البر بضع ساعات ثم عاد . لما وصلنا أزمير
نزلنا معا إلى البر وأرسلت تلغرافا إلى الشيخ عبد العزيز جاويش أخبره بحضورنا .
تأخر وصول الوابور للآستانة لأننا قضينا ليلة ببيريه خلافا للعادة لوجود بضائع
كثيرة للشحن ، وكذلك طالت(٣) وقوفنا فى جناق قلعة ( الدردنيل ) وأخيرا يوم وصولنا
الآستانة صباح الأحد ٣١ مارث سنة ١٩١٢ كان الضباب مخيما على بحر مرمرة بصفة
عجيبة وكثافة تامة حتى أن الربان اضطر للوقوف خوفا من الارتطام بإحدى الجزر
الصغيرة أو بسفينة أخرى ، وكانت صفارة السفينة تصيح من وقت لآخر بصفة مزعجة
جداً فتجاوبها السفن لتكون كلها على حذر وتعرف المسافات التى تفصلها عن بعضها
تقريبا . أخيراً وصلنا إلى بر السلامة وثغر الحرية الدستورية فلم نجد الشيخ جاويش
بانتظار نابل وجدنا سعيد بك الشيمى الذى كان عينه الأستاذ مأمورا لإدارة جريدته
اليومية التى كان يصدرها بمال لجنة الاتحاد والترقى ، نزلنا إلى البر وأنا قصدت إدارة
الهلال العثمانى مع الشيمى أما اسماعيل فلم يقبل لأنه كان بينه وبين الشيخ بعض الشىء

(١) المقصود بكلمة الكرانتينة : الحجر الصحى .
(٢) يقصد : دورة المياه .
(٣) صحتها : طال

من قبل مبارحة الشيخ لمصر ولأنه استقبح عدم انتظاره لنا على الرصيف كما كان المأمول .

وجدت بالآستانة أحسن قبول من الاتحاديين واستعدادا لمساعدتى ولكن حصل اختلاف بينى وبين

(١٧)

الشيخ جاويش بسبب الطلبة ونادیهم واشتغالهم بالسياسة من عدمه . وكان أحمد فؤاد مساعدا له على سياسته الجديدة القاضية بقفل النادى وعدم اشتغالهم بالسياسة فعضدت أنا الطلبة وسار النادى رغم أنف الشيخ ومساعديه ، ويظهر لى أن المسبب لكل ذلك الخلاف هو سعيد الشيمى (رئيس بوليس المعية سابقا ) ومأمور إدارة الهلال العثمانى والذى ما أوجد فى هذا المركز إلا للتجسس على الشيخ وإيقاع الشقاق بين الطلبة كما ظهر فيما بعد ..

وكان الدكتور أحمد فؤاد مع الشيخ جاويش فى كل حركاته لانتفاعه ماليا من وجوده بجانبه ومشاركته فيما يأخذانه من لجنة الاتحاد ، أو من الحاج عادل ناظر الداخلية إذ ذاك لحساب جريدة الهلال العثمانى؛ ومع ذلك فالشيخ جاويش بسبب جبنه لم يجسر على مقاومتى ظاهرا بل كان يسعى ضدى لدى طلعت بك الذى كان ناظرا للبوسطة وله أكبر تأثير فى لجنة الاتحاد والترقى ، فكان ينشر مقالاتى فى الهلال العثمانى وكلها طعن فى الخديو وسياسته ولكنه فى آخر الأمر ، أى فى شهر يونيه سنة ١٩١٢ ، ابتدأ يبدى بعض ملاحظات على كتابتى بإيعاز أحمد فؤاد ولما أشدد فى طلب نشرها كان ينشرها رغما ، لكن أحمد فؤاد كان يشجعه على مقاومتى وذلك كله لأغضب وأمتنع عن الكتابة . كل ذلك بمساعى رجل الخديو مع الجريدة سعيد الشيمى الذى كان فى الوقت نفسه يظهر لى العبودية ويولم لى الولائم فى منزله ويتظاهر بكراهة الخديو حتى وصلت به الحالة إلى أن قال لى : ( ان سيفه تحت أمر الحزب الوطنى ورئيسه ) .

ظهرت معاكسة الشيخ لى فى أعمالى السياسية لما حضر الخديو للآستانة فى صيف سنة ١٩١٢، فقد كنا قررنا مع الطلبة عمل مظاهرة ضده فى المحطة فكلمنى الشيخ فى منعها ونصح الطلبة بالعدول عنها فلم أقبل وقلت له انى موافق على هذا العمل فقال لى أمام جميع الحاضرين بغرفة التوزيع بالدور الأول من إدارة جريدته حينئذ: اسمح لى بأن أحاربك فى هذه المسألة فقلت له افعل ما شئت . عند ذلك قابل

طلعت بك هو واحمد فؤاد (بصفة مترجم ) وطلبا منع المظاهرة بالقوة فأجابهم طلعت بعدم إمكان عمل أى شيء ضد الطلبة ، إلا إذا حصل منهم ما يخل بالأمن العام . كما طلبا منه قفل النادى فلم يقبل . أحمد فؤاد اعترف بذلك أمامى وأمام اسماعيل لبيب ، بصارى يار(١ ) عندما كنت أوبخه على أعماله الدالة على نكرانه الجميل ودناءة أصله ، واعتذر بأنه كان مترجما فقط .

تاريخ الدكتور احمد فؤاد

أحمد فؤاد هذا شاب كان بمدرسة الطب بمصر واشتهر بالوطنية والتحمس واتهم مع الوردانى ثم حبس مدة لتهديده الدكتور كتنج ناظر مدرسة الطب بالقتل (٢ ) ضمن جواب مرسل لأحد أصدقائه بليون بفرنسا

(١٨)

ولكن لم ترفع الدعوى عليه لعدم وجود نص يعاقب بمقتضاه حيث كانت القوانين الاستثنائية لم تصدر بعد . ومع ذلك فالحكومة رفتته من المدرسة فساعدناه على السفر للآستانة والدخول بمدرستها الطبية لإتمام دروسه وعيناه مكاتبا للعلم بثمانية جنيه شهريا ، ومكث بها حتى أتم دراسته ودخل جمعية الاتحاد والترقى ولما استوطن الشيخ جاويش بالآستانة انضم إليه واشتغل معه فى تحرير الهلال العثمانى بمرتب مناسب . ومن ذلك الوقت اشتهر بين اخوانه بأنه من الذين يسعون لصالحهم الشخصى ، ويستخدمون الوطنية والإسلامية لجمع المال . وقد أكد لى ذلك أنه تكلم معى ذات يوم بالآستانة بشأن الإشتغال بالمسائل المالية والتوريدات والامتيازات وإمكانى الإغتناء منها بواسطة معارفى من الماليين الأجانب وحسن علاقاتى مع رؤساء جمعية الاتحاد والترقى وهو يشتغل الآن ( ١٩١٤ ) مع الجمعية بصفة عامل فى لجان المهاجرين واللونانمة(٣) وغيرهاأى أنه ذيل بلا صفة رسمية ، وقطع علاقاته معى من عهد مسألة

---

(١) احدى المراسى الواقعة حول مضيق البوسفور والقرن الذهبى .

(٢) يرجع السبب فى ذلك الى أنه فى ١٥ ديسمبر سنة ١٨٩١ نشر امر من نظارة المعارف بناء على قرار مجلس النظار بفصل حسين باشا محمود ناظر مدرسة الطب وتعيين ابراهيم باشا حسن بدلا منه وتعيين دكتور كتنج الانجليزى وكيلا له .

(٣) صحتها : « الدونمة » وهى كلمة تركية تعنى المرتدين ، وهى طائفة يهودية تركية استقرت فى سالونيكا وأشهرت اسلامها تشبها بـ « مبتاى تزفاى » الماشيخ الدجال ، وهى حركة ظهرت فى القرن السابع عشر وظلوا يتمسكون سرا بتقاليدهم اليهودية وبايمانهم الراسخ بان تزفاى هو الماشيخ المنتظر ، وقد تفرق شمل هذه الطائفة على اثر اتفاقية تبادل السكان التى وقعتها تركيا واليونان بعد الحرب العالمية الأولى سنة ١٩٢٤ بسبب اضطرار أفرادها الى ترك مقرهم فى سالونيكا والإستقرار فى جهات متفرقة بتركيا ، الا أنهم لم يهاجروا الى اسرائيل .

( د. عبد الوهاب المسيرى : الأقليات اليهودية بين التجارة والادعاء القومى ) .

أحمد مختار ( التى سيأتى شرحها ) حتى انه لما وجدت فى العام الماضى بالآستانة من ٢٣ فبراير إلى ٣ مايو سنة ١٩١٣ لم يقابلنى ولا مرة وقطع مكاتبتى ، كل ذلك تبعا لسياسته مع الشيخ جاويش .

حضرت عائلتى إلى الآستانة فى ١٧ يونيه وأقامت فى المنزل الذى كنت استأجرته على البوسفور بالقرب من البحر الأسود بجهة صارى يار وكانت عيشة هنية بين زوجتى وأولادى فكنت أقضى الوقت بالمنزل والاشتغال بالبستان . وأقضى جزءا منه مع الإخوان المصريين الساكنين ( صيفا ) بهذه الجهة مثل عبد العظيم بك العفيفى وعلىّ بك فهمى المحامى وعبد الحميد أفندى رفعت واسماعيل بك لبيب وكانت دارى ملتقى المصريين الواصلين من مصر وما كنت أذهب للآستانة إلا قليلا لنشر بعض مقالات فى جريدة الجون ترك (١) أو الهلال العثمانى قبل أن نختلف مع الشيخ جاويش فإن من مظاهر الخلاف إظهاره التألم من نشر مقالاتى ضد الخديوى ثم الإمتناع عن ذلك فى آخر الأمر .

إقامتى بالآستانة ثم سفرى منها

لما ابتدأت حركة حزب الإئتلاف ضد جمعية الإتحاد والترقى كنت ذات يوم بمجلس النواب مع عبد الملك أفندى حمزة ومحمد أفندى على محمد المهندس، وكان ومها بعض الضباط مجتمعين باستانبول لطلب حل مجلس النواب بدعوى حصول ضغط من الإتحاديين وقت الإنتخابات ، فقابلت أحمد رضا بك رئيس التركية (٢) قديما

---

(١) جريدة يومية صباحية أسسها جلال نورى بك سنة ١٩٠٨ بعد اعلان الدستور . وقد قدمت له الجمعية الاسرائيلية أموالا للانفاق عليها ، واشترك فى تحريرها جويد بك ناظر المالية السابق ومصرى أفندى وزير الأشغال ، أحد أعضاء مجلس الأعيان وغيرهما من أقطاب جمعية الاتحاد والترقى . وقد حملت الجريدة حملة شعواء على دول الاتفاق الثلاثى وبالأخص روسيا ، وكان يشترك فى الكتابة بهـا الكتاب المسلمون الروس الذين هاجروا الى تركيا . ( جريدة المحروسة . عدد ١٩١٣/٤/١٢ مقال بعنوان « الصحافة الاجنبية فى الأستانة » ) .

(٢) المقصود بالتركية : « جمعية الاتحاد والترقى العثمانية » وكانت تتألف من جماعتين احداهما جمعية سرية تكونت فى استانبول لمحاربة استبداد السلطان عبد الحميد الثانى ( ١٨٧٦ ـ ١٩٠٩ ) ، والأخرى جماعة من الشبان الموجودين فى باريس كانت تعمل تحت امرة أحمد رضا الذى هاجر الى باريس للعمل فى سبيل حرية بلاده ، وأخذ يصدر جريدة سماها « مشورت » يعنى « المشورة » . وقد نجحت الجمعية المذكورة فى تحقيق غايتها الأصلية باعلان الدستور وبخلع السلطان عبد الحميد الثانى ، وانتخب أحمد رضا رئيسا لأول مجلس نيابى ( مجلس المبعوثين ) الذى تشكل فى عهد السلطان محمد الخامس ( ١٩٠٩ ـ ١٩١٨ ) .

( ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ص ٩٠ ـ ٩٢ ، انظر أيضا :
Charles Swallow : The Sick Man of Europe (Ottoman Empire to Turkish Republic 1789-1923), pp. 88, 89.

والعضو بمجلس الأعيان وقتذاك وكان معه المرحوم محمود شوكت باشا فقلت لهما الأوفق الحكم على هؤلاء الضباط بالاعدام فى أقرب وقت قبل استفحال الأمر ، فلم يوافقانى .

(١٩)

فكانت النتيجة ما كنت أخشاه من تفاقم الحركة وسقوط الإتحاديين وتشكيل وزارة أحمد مختار باشا التى كان من ضمن أعضائها كامل باشا ، صديق الانكليز المشهور ، بوظيفة رئيس مجلس شورى الدولة .

بمجرد ما تعين كامل باشا داخلنى الخوف على نفسى لعلمى بعلاقته مع الإنكليز من جهة ومع الخديو عباس من جهة أخرى ، فأخبرت زوجتى بقلقى وأفهمتها أن صالحى يقضى علىّ بالابتعاد عن الآستانة حتى تتغير الأحوال نوعا . وبما أنى كنت عازما على السفر لأوروبا لحضور مؤتمر السلام العام بجنيف فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٩١٢ ، قررت أن أقدم سفرى شهرا بحجة الاستحمام بمياه فيشى أو الفسحة فى باريس . وفعلا سافرت من الآستانة مع اسماعيل بك لبيب وأخيه منصور رفعت يوم الثلاث ١٦ أغسطس سنة ١٩١٢ (١) الموافق ٧ رمضان سنة ١٣٣٠ عن طريق السكة الحديد إلى باريس مباشرة . فودعنى الطلبة المصريون جميعا وكان معهم الشيخ جاويش رغما من مقاطعتى له ( وأتذكر أن أحمد فؤاد كان معه أيضا ) ولما تحرك القطار هتف الطلبة لى وودعونى أحسن وداع .

**القبض على جاويش بالاستانة وتسليمه لمصر**

بعد سفرى بأسبوعين تقريبا أى فى ٣ أو ٤ سبتمبر قبض على الشيخ جاويش بدعوى اشتراكه فى تهمة أحمد أفندى مختار الطالب بمدرسة الحربية العثمانية بإدخال العدد الأول من جريدة القصاص (٢) وفتش منزله وأرسل إلى

---

(١) يذكر الرافعى ان تاريخ السفر هو ٢٠ اغسطس ١٩١٢ .

(٢) عرفت هذه القضية بقضية المنشورات ، وذلك عندما ضبطت نسخة من جريدة « القصاص » مع أحمد مختار ( بك فيما بعد ) الطالب بمدرسة الحربية بالآستانة وهى جريدة يسارية تنشر الأفكار الاشتراكية بشكل عام ، وذلك اثناء عودته لمصر وكاجراء وقائى ألقت السلطات القبض على عناصر كثيرة يشتبه فى انتمائهم لاحدى الخلايا الثورية التى تعمل ضد الوجود الانجليزى فى الخارج . وفكرت هذه السلطات أول ما فكرت فى أن يكون لكل من محمد فريد والشيخ عبد العزيز جاويش دخل فى هذا العمل ..

مصر مخفورا وكان أمر القبض عليه يشمل أمر القبض علىّ أنا أيضا . ولما لم يمكنهم تنفيذ الأمر ضدى فتشوا منزلى بصارى يار . فلم يعثروا على شيء خلاف جواب منى لزوجتى أخبرها فيه بأنى عزمت على عدم العودة للآستانة مادام حزب الارتجاع فى الوزارة وأترك لها الخيار فى البقاء بالآستانة أو العودة لمصر .

لما قرأنا فى جرائد باريس ولوندره خبر القبض على الشيخ جاويش وسعى الحكومة فى القبض على بفرنسا أو سويسرا ، اتفقت مع إخوانى اسماعيل لبيب وعبد الحميد سعيد(١) وعبد الملك حمزة ومحمد على محمد بأن الأوفق أنى أترك فرنسا بسبب مجاملتها لانكلترا وأن أسافر فورا إلى جنيف فسافرت يوم الخميس ٥ سبتمبر سنة ١٩١٢ ليلا . ومن المؤكد أن الحكومة المصرية كانت تبذل جهدها بواسطة سفراء انكلترا لطلب تسليمى حتى أن المقطم ذكر فى أحد أعداده أن الحكومة تنتظر تلغرافا من ساعة إلى أخرى بخبر القبض على الخ .. ونشرت جرائد سويسرا صبيحة وصولى أن المخابرات دائرة بين مصر وسويسرا لهذا الغرض ولكنى تأكدت فيما بعد من معارفى بمجلس نواب سويسرا بأن الحكومة السويسرية لم تتلق أى خبر من مصر بهذا الخصوص .

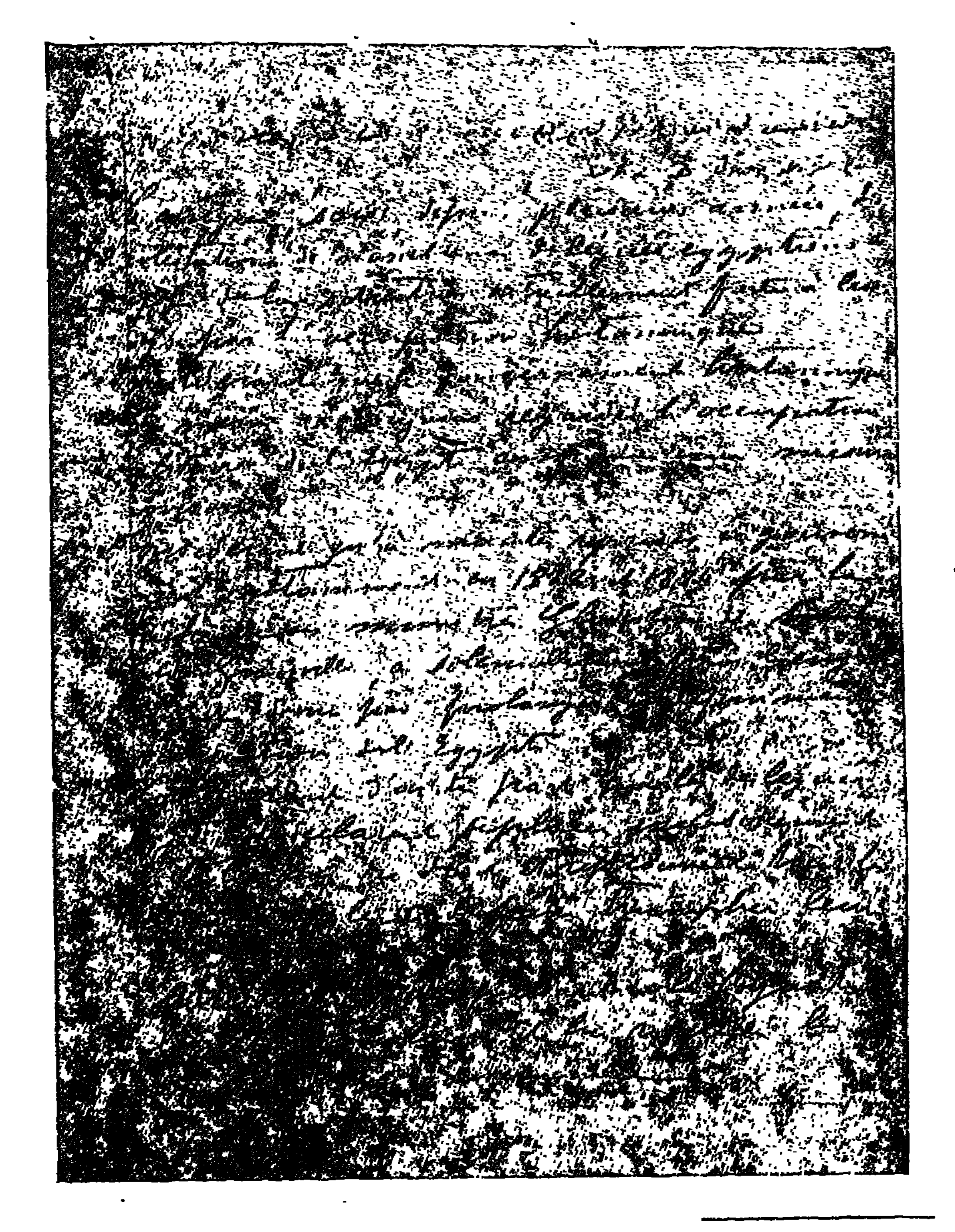
(٢٠)

أقمت فى جنيف لحين انعقاد مؤتمر السلام العام فى ٢٢ منه وفيه تكلمت كثيراً وحصلت على قرار مهم قاض بعدم مشروعية الاحتلال هذا نصه حرفيا :

---

= لقبض على جاويش وأعيد إلى مصر وكذلك عبد الغفار متولى وحسين مرتضى الطالبان بمدرسة الطب بالآستانة وأفرج عنهم فى ١٩/١٠/١٩١٢ بينما حكمت محكمة جنايات اسكندرية بالسجن عشر سنوات على أحمد مختار ( الرافعى ، محمد فريد . ص ٣٤٤ ) .

(١) هو الدكتور عبد الحميد سعيد مؤسس جمعية الشبان المسلمين فى نوفمبر سنة ١٩٢٧ ، وهى من أشهر المؤسسات الموالية للفكرة العربية وأقدمها فى مصر ، وقد لاقت دعوته اقبالا كبيرا عند شباب مصر المسلم ثم انتشرت الدعوة بين الشباب المسلم خارج مصر ، وأصبح للجمعية عشرون فرعا فى العراق وسورية وفلسطين بعد مرور سنتين على تأسيس الجمعية فى مصر .
(أنظر : أنيس صايغ : الفكرة العربية فى مصر ، ص ١٩٧ ) .



مؤتمر السلام العام *
بجنيف سنة ١٩١٢

(*) أورد الرافعى فى كتابة محمد فريد ص ص ٢٧٩ ــ ٨٠ ترجمة لقرار هذا المؤتمر نصها كالآتى :
« مضت سنوات عديدة والمؤتمر يعلم بالاحتجاجات التى رفعها الكثيرون من الأعضاء المصريين على الحالة السياسية التى سببها الاحتلال الانجليزى ، ولما كان المؤتمر يعلم أن الحكومة البريطانية نفسها كانت ولا تزال تعتبر الاحتلال العسكرى فى مصر مؤقتا ، وأنه فى كثير من الأحوال ولا سيما فى سنة ١٨٨٢ وسنة ١٨٨٤ تعهدت الحكومة البريطانية عهودا صريحة على لسان مستر جلادستون ولورد جرانفيل ، أنها لا تمد أجل احتلال مصر الى وقت لا نهاية له ، وأن الأعضاء المصريين قد صرحوا أنهم يبنون عملهم بأكمله على أساس القانون ، وأنهم يستنكرون استخدام وسائل القوة لتحقيق مطالبهم ، فالمؤتمر يركن الى شعور الأمة البريطانية بمناشدتها الجلاء عن مصر فى أقرب وقت ممكن ، وأن يعاد تأسيس حكومة ذاتية فى مصر تكون فيها الضمانات الكفيلة بحفظ المصالح الدولية والأهلية » .

(٢١)

Il émet le vœu que l'[illegible]
de l'Egypte [illegible]
[illegible]
[illegible] les garanties [illegible]
[illegible]
[illegible] soit rétabli en Egypte [illegible]

وقد انتخبت فى هذا المؤتمر وكيلا له عن المصريين وكنا أكثر من ٢٢ عضوا ، وكان محمد أفندى فهمى نزيل جنيف جهز تقريراً مطولا عن المسألة المصرية أدرج فيما بعد فى مجموعة أعمال المؤتمر ، وكان الطلبة الحاضرون قد احتجوا على تسمية نفسه رئيس لجنة الشبيبة المصرية الدائمة بأوروبا وقدموا هذا الاحتجاج لسكرتير المؤتمر قائلين أنهم لا يريدون أن يمثلهم هذا الإنسان وأن لجنته لا وجود لها .

محمد بدر الدين بك بجنيف ودخول احمد سلطان البوليس السرى

فى أثناء المؤتمر كان موجودا محمد بدر الدين بك رئيس قسم الضبط بالداخلية بمصر . أتى لمراقبتى ومراقبة الطلبة فكاتب أحمد أفندى سلطان الطالب بالطب هنا وكان من أعضاء نادى المصريين بالآستانة وطلب منه مقابلته فأطلعنى على التذكرة وأخذ رأيى فنصحته بالمقابلة ، فقابله ، عندها عرض عليه أن يكون جاسوسا علينا فقبل بناء على رأيى ، ثم سافر إلى باريس ومنها إلى رومانيا والآستانة حيث قابل الخديو وظل يرسل لى تقاريرا بما يرى ويسمع ولكنه خاننا فى آخر الأمر وقطع مكاتباته وأصبح جاسوسا حقيقيا وعين له مرتب ١٢ جنيه ثم عين فى الأوقاف الخصوصية .

بعد انقضاء المؤتمر سافرت إلى السويد لأقضى أسبوعين فى ضيافة مدام لومبار (١) بضواحى ستوكهلم (٢) . وكان سفرى فى ٢٩ سبتمبر إلى برلين ، وهناك قابلت الدكتور محمود لبيب محرم فوجدته فى هياج عصبى أو مبادىء جنون ولذلك أخذته ، ثانى يوم وصولى ، زوجته إلى إحدى المستشفيات وبقى بها حتى مات فى ٤ سبتمبر سنة ١٩١٣ . رحمه الله .

---

(١) كانت مدام لومبار احدى المشتركات فى مؤتمر السلام وقد انتهز محمد فريد فرصة اقامته هناك بضاحية « يورشولم » وقام بزيارة معالم المدينة الهامة وكتب مقالا عما شاهده بعنوان « أسبوعان في ضواحى استوكهلم » نشرت بجريدة « العلم » فى ١٩١٢/١١/٣ أشار فيها الى امكان نقل بعض تجارب هذه البلاد وخاصة في ادارة المستشفيات والعمران الى مصر .

أقمت فى برلين ٤ أيام ثم سافرت توا إلى ستوكهلم فى الدرجة الثالثة وهى أول سفرة لى فى هذه الدرجة بسبب قلة النقدية . أقمت هناك إثنى عشر يوما ثم عدت فى الدرجة الثالثة إلى أنفر (١) ببلاد بلجيكا (٢) لأن لى بها معارف من أعضاء مؤتمر السلام وكل ذلك كان بقصد ابتعادى عن الجواسيس وكانت جواباتى ترسل لى تارة إلى البنك الألمانى ببرلين ثم تحول لى حيث أكون، بواسطة اسماعيل حقى بك من شبان الترك

(٢٢)

والمستخدم بهذا البنك، وتارة إلى جنيف باسم أحد معارفى حتى لا تعرف بوسطة (٣) مصرى عنوانى بالضبط . أقمت بمدينة أنفر أسبوعين زرت فى خلالها المحفل الماسونى فقوبلت بكل إكرام وقبلنى أعضاء من أكبر نادى فى البلد وهو النادى الملوكى Club Royal ورئيسه أحد المحامين وبالاختصار عوملت كأخ حقيقى . وفى أواخر أكتوبر سافرت إلى بروكسل ومنها لباريس فوصلتها فى أول نوفمبر سنة ١٩١٢ وأقمت بها خمسة أيام فقط لأنى كنت أخذت تذكرة ذهاب وإياب لخمسة أيام ولم أقابل أحدا من المصريين بباريس إلا قريبى محمد أفندى السادة .

ثم عدت إلى انفرس وأقمت بها إلى ١٠ نوفمبر ثم سافرت عائدا لجنيف ووقفت فى طريقى ٢٤ ساعة بمدينة لوكسمبرج عاصمة الإمارة الصغيرة التى بهذا الاسم لزيارتها وزيارة المسيو مرشى أحد أعيانها وعائلته التى أعرفهم من باريس فرافقتنى زوجته وابنته طوال اليوم تقريبا فى زيارة المدينة وتناولت عندهم طعام العشاء . وفى نصف الليل قمت إلى سويسره فوصلتها ١٢ نوفمبر قبيل الظهر .

أقمت بجنيف إلى ٢٠ فبراير سنة ١٩١٣ وقد سافرت إلى الآستانة بعد قتل ناظم باشا وعزل كامل باشا (٤) وعودة السلطة إلى الاتحاديين حيث أصبحت ولا خوف

---

(١) انفر : النطق الفرنسى لمدينة انفرس Anvers

(٢) نشر محمد فريد مقالا وصفيا عن بلاد بلجيكا وتاريخها السياسى ووضعها فى الصراع الاوروبى وذلك فى عدد ١٩١٢/١١/٧ من جريدة « العلم » .

(٣) المقصود بعبارة : « بوسطة مصرى » : بواسطة ( عن طريق ) احد المصريين .

(٤) انتهز الاتحاديون فرصة قيام الحرب البلقانية ، للتخلص من « كامل باشا » ، وكان من رجال « تركيا الفتاة » ، وكان قد تولى الصدارة العظمى فى ١٨ أكتوبر ١٩١٢ ، فاستقدموا « انور بك » من طرابلس الغرب توطئة للقيام بانقلاب ، وعقدوا النية على تنفيذه فى ٢٣ يناير ١٩١٣ ، فقاموا بمهاجمة الباب العالى على رأس مظاهرة تزعمها « أنور بك » وطلعت بك وجمال بك ، واقتحموا أروقة المبنى ، وأثناء الصدام المسلح بين المهاجمين ومرافقى الوزير ، قتل ناظم باشا وزير الحربيـــة ، ثم دخل انور بك على كامل باشا وأرغمه على الاستقالة ، وألف محمود شوكت باشا الوزارة بعد ذلك . ( انظر : توفيق على برو : العرب والترك فى العهد العثمانى ، ص ص ٤٦٠ ـ ٤٦١ ) .

على من تسليمى إلى الحكومة المصرية كما حصل للشيخ جاويش . فى آثناء إقامتى هذه المدة بجنيف تعرفت ببعض المسلمين بها من أتراك وغيرهم وسعيت فى إيجاد رابطة بينهم على اختلاف الأجناس ، فدعوت نحو الخمسة عشر منهم إلى وليمة فى ١٠ محرم سنة ١٣٣١ (١) واتفقنا على تأسيس جمعية ترقى الإسلام (٢) وعلى إصدار مجلة بهذا الاسم (٣) لنشر أخبار المسلمين وما يقاسونه من العذاب بالبلاد الواقعة على سلطة المسيحيين . وصــدر العدد الأول منهــا بتاريخ فبراير سنة ١٩١٣ ، وكذلك كتبت رسالة صغيرة من ١٤ صحيفة باللغة الفرنساوية فى أزمة الدولة العلية وأسباب الحرب مع بيان أسباب ضعفها وكيف تنهض وطبعت على نفقة هذه الجمعية بمساعدة ميرزا سعيد بك أحد أركانها أو بالحرى المساعد الوحيد لى فى جميع أحوالها . هذه الجمعية موجودة إلى اليوم ( يوليه سنة ١٩١٤ ) ومجلتها تصدر بانتظام كل شهرين أو ثلاثة مجموعة فى مجلد واحد وقد انتشرت نوعا وإن كانت لم تصل إلى الدرجة التى أريدها لها . وقد ساعدتنا فى هذه السنة جمعية الاتحاد والترقى بألفين فرنكا أرسلها لى جويد بك ناظر المالية أثناء وجوده بباريس فى مارث سنة ١٩١٤ بعد زيارتى له بها فى ٤ مارث المذكور بعد عودتى من بلجيكا.

سفرى الى الاستانة فى فبراير سنة ١٩١٣

رسالتى عن حالة الدولة

جمعية ترقى الاسلام

( يراجــع فى الجزء الثالث )

أقمت بالآستانة لغاية ٣ مايو سنة ١٩١٣ وفى أثناء إقامتى سعيت فى إعادة نادى المصريين

(٢٣)

الذى كان قد قفل وتفرقت أعضاؤه بسبب اضطهاد كامل باشا للوطنيين المصريين وقبضه على الشيخ جاويش وتسليمه للحكومة المصرية ارضاء للإنكليز والخديو (٤) ، فأعيد إلى حالته وانتظم فى سلكه كل الطلبة المصريين تقريباً ورجوت من اسماعيل

عــودة نادى المصريين بالاستانة

---

(١) يوافق ١٩ ديسمبر ١٩١٢ .

(٢) ولقد انضم لهذه الجمعية بعض الشخصيات المسيحية الشرقية وبعض الشخصيات الأوربية امثال بيير لوتى الأديب الفرنسى ، ويلفرد بلنت الانجليزى صــديق المصريين فى الثورة العرابية والفريد دوران الاستاذ بمدرسة اللغات الشرقية بباريس ، وكلود فارير الأديب الفرنسى وغيرهم . وتتلخص غاية الجمعية فى تقوية روابط التضامن بين الأمم الاسلامية وبعث روح النهضة الفكرية والاقتصادية فيها . ( الرافعى : محمد فريد ، ١٩٤٨ ، ص ٣٠٤ ) .

(٣) كانت المجلة تصدر باللغة الفرنسية وعنوانها : Bulletin de la Société Endjaumen Terekki-Islam (Progrès de l'Islam)

ومن أغراض هذه المجلة بحث أحوال الشرق والعالم الاسلامى وشئون الأمم والممالك الشرقية كافة والدفاع عن مصالحها وبث روح النهضة بها . وقد ظلت المجلة تصدر بانتظام الى أن توقفت أثناء الحرب العالمية الاولى .

(٤) ( أنظر تفاصيل الحادث على ص ٨١ من هذه المذكرات .

لبيب بك تعضيده والدفاع عنه لو سعى الشيخ جاويش فى معاكسته كما حصل أثناء سنة ١٩١٢ ، وهو لم يزل سائرا فىطريق التقدم واشترك فى مؤتمر الطلبة الذى عقد فى جنيف من ٢٥ إلى ٣٠ يوليه سنة ١٩١٤ وأناب عنه اسماعيل لبيب بك المذكور ويغلب على ظنى أن محمود مظهر الذى أطلق الرصاص على الخديو فى ٢٥ يوليه كان من أعضائه .

ثانى يوم وصولى للآستانة قابلت يوسف ضيا بك قنصل الدولة العليه بجنيف وكان موجودا بالصدارة العظمى كمعاون للصدر سعيد حليم باشا (١) ، فقلت له إنى أريد مقابلة الصدر فأخبره ليحدد لى ميعاداً . وبعد يوم عدت إليه فأخبرنى بالميعاد المحدد ، فذهبت إلى الصدارة فى الوقت المعين ، وانتظرت نحو نصف ساعة فى قاعة الإنتظار ، وبعد ذلك حضر ضيا بك وأخبرنى بأن الصدر ليس لديه وقت لمقابلتى لأنه يدرس ملفات المسائل التى ستعرض على مجلس الوزراء ، فانصرفت على أنى لن أعود ولم أقابله فعلا مرة أخرى . وذلك لأنى تحققت بأن جبنه وخوفه من الخديو حملاه على عدم مقابلتى بعد أن وعد . وقد لاحظت عليه أثناء إقامتى بصارى يار على البوسفور فى صيف سنة ١٩١٢ ، أنه كان يجتنب الجلوس معى لما نتقابل صدفة فى وابورات الشركة الخيرية فكنت أتعمد مضايقته وأجلس بجانبه وأحادثه :

دعوى الخديو مساعدتى بالمال

فاتنى أن أذكر انى أثناء وجودى بالآستانة فى سنة ١٩١٢ علمت أن الخديو ومحمد سعيد باشا يقولان بأن الخديو حضنى على ترك مصر وأرسل لى ثلاثماية جنيه مع عبد الحميد بك عمار مساعدة على السفر . وبما أن هذا الأمر كذب محض فكتبت للخديو جواباً مسوكراً أرسلته إليه بسرايه بالبوسفور أثناء وجوده بها فى صيف تلك السنة وهاهى صورته حرفيا :

صارى يار (بوغاز) ١١ يونيه سنة ١٩١٢ سمو خديو مصر

وجوابابى له

لقد علمت من الأخبار الخصوصية الواردة من مصر أنكم كلفتم أحد إخوانى ممن يترددون عليكم بأن ينصحنى بالسفر عقب استجوابى بالنيابة ، وأنكم سلمتم له مبلغاً من المال ليوصله إلى مساعدة على مصاريف السفر واسم هذا الشخص معلوم عندى ولكنى أكتمه الآن . فاستغربت جداً حصول هذا الأمر بعد ماكتبته لكم

---

(١) كان يطلق عليه لقب الصدر الأعظم أى رئيس مجلس الوزراء ، وهو ابن حليم باشا بن محمد على الكبير .

صورتها

بخصوص حادثة العلايلى (١) والثلاثمائة جنيه التى أخذها باسمى وطلبت منكم عمل تحقيق بخصوصها ولكنكم أهملتم أمرها وبعد أن أعلمتكم بأنى أترفع عن قبول أى مساعدة منكم ولو كنت فى أحط دركات الفقر مع أنى بحمد الله فى سعة من العيش فلتكونوا على ثقة بأن

(٢٤)

كل مايؤخذ منكم باسمى هو من باب النصب وأنى لا أقبل ولن أقبل منكم أى مساعدة مادامت مهمتى الجهاد فى تحرير البلاد من الانكليز ومن كل من يعاونهم على توطيد قدمهم فى مصر كائنا من كان ، والسلام على من أتبع الهدى .

**محمد فريد**
المخلص لمصر

أما مسألة العلايلى فهاهى :

فى ١٥ سبتمبر سنة ١٩١١ خطبت خطبة سياسية فى دار العلم قبيل سفرى إلى روما لحضور مؤتمر السلام العام (٢) ، وبعد الانتهاء منها قابلنى العلايلى . وقال لى بأنه أرسل ملخصها بالتلفون للخديو باسكندرية ، وأنه أنبسط منها لعدم الطعن فيها عليه . وبما أنى كنت مسافرا إلى أوروبا فى صبيحة اليوم التالى فقد أتى إلى منزلى بشبرا نحو نصف الليل (وكان الوقت فى شهر رمضان) بقصد توديعى ومكث معى نحو نصف ساعة ثم أنصرف. بعد ذلك كتب لى صادق رمضان بأوروبا يخبرنى بأن الخديو قال لمحمد سعيد باشا بأنه أرسل لى ثلاثمائة جنيه مساعدة على سفرى فتغيظت طبعا ، ولما عدت فى نوفمبر من تلك السنة لمصر تباحثت فى الموضوع مع صادق رمضان ومحمد سعيد واتفقنا على أن أكتب للخديو جوابا أطلب فيه التحقيق فكتبته وهذا نصه :

مولاى سمو الخديو المعظم

أتشرف بأن أعرض على مسامعكم الشريفة مايأتى : علمت من جملة مصادر عقب عودتى من الآستانة ، بأن حامد العلايلى يشيع بأنه وصل لى ثلاثمائة جنيه من

(١) أنظر تفاصيل الحادث على ص ٢٤ من هذه المذكرات التى ورد بها أيضا ترجمة محمد فريد له على صفحتى ٧٤ و ٧٥ .

(٢) يذكر الرافعى أن الخطبة كانت فى ١٤ سبتمبر ١٩١١ فى ذكرى دخول الانجليز مصر .

طرف سموكم مساعدة لى على مصاريف السفر ، فلم أعبأ بهذه الإشاعات لظنى أنها من ضروب الوشايات التى يحاربنى بها رجال بطانتكم . ولكن سمعت أخيراً ممن لاأشك فى صدقهم بأن قلتم بأنكم دفعتم هذا المبلغ لحامد العلايلى باسمى وهو أوصله لى . عند ذلك أيقنت أن الأمر أكثر من وشاية بل انه أقرب إلى النصب حيث أخذ هذا المبلغ باسمى كما يأخذ الخونة الرشاوى باسم القضاة الأبرياء .

وحيث أنى لم أقبل مطلقاً أنكم تعتقدون أنى استلمت هذا المبلغ فحررت هذا لسموكم راجيا اعمال تحقيق دقيق مع من يدعى ايصاله إلىّ ويكون التحقيق بمعرفة أحد كبار الحكومة حتى يكون ذلك بمواجهتى والا فانى أرى نفسى مضطرا لتبليغ النيابة العمومية ضد حامد العلايلى وهو أحد رجال بطانتكم والتحقيق معه يجر حتما لذكر اسمكم الشريف .

يا سمو الأمير ان وجود مثل هؤلاء ومن على شاكلتهم حولكم يحط من قدركم العالى ويلوث اسمكم الشريف فانهم يكررون فى القهاوى والبارات ما تدلون به إليهم من أسراركم مثل اجتماعاتنا أيام المرحوم مصطفى كامل والمرحوم لطيف باشا سليم بمسترد والشيخ التبرى(١) واتفاقاتنا السرية

(٢٥)

على محاربة الاحتلال وعميده كرومر بمصر وإنكلترا ، وغير ذلك من الأسرار التى لم أفكر مطلقاً فى إفشائها رغما من السعى المتواصل ضدى وضد الحزب الوطنى والتأثير على ضعاف العزيمة وأصحاب المطامع منا لإيجاد الفشل فى لجنة حزبنا أو لإخراجى من الرئاسة . على أنى لم أزل محافظاً على سركم على أى حال حتى الممات .

**محمد فريد المخلص**

ولكن لم يعبأ الخديو بهذا الجواب بل اطلع العلايلى عليه قائلا له أنه لايصدق ما به أما الجواب الذى أرسلته له من الآستانه وكنت أطلعت الشيخ جاويش عليه ، فعارض فى ارساله شديد المعارضة وصار يستحلفنى بعدم ارساله وكان هذا أول أمر صدر منه مساعدة للخديو ، غير أنى لم ألتفت إليه اذ ذاك لاعتقادى فيه الاخلاص والتفانى ، ولكن بكل أسف أصدرت الحوادث التابعة (٢) أن جبنه لايوصف وأنه مال للخديو كل الميل خصوصاً بعد حبسه فى سبتمبر سنة ١٩١٢ بسبب حادثة مختار أفندى .

---

(١) المقصود هنا : زاوية الشيخ محمد التبرى التى تقع بالقرب من حمامات القبة بضواحى القاهرة . ( ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، هامش ص ١٣١ ) .

(٢) هكذا ورد بالأصل ، ولعله يقصد أن الحوادث المتتابعة أثبت ..

حادثة مختار

لما سقط الاتحاديون فى يوليه سنة ١٩١٢ وفاز كامل باشا وتولى الصدارة أحمد مختار باشا خشيت على نفسى من انتقام كامل باشا منى لأنى طعنت عليه كثيراً فى « العلم » بسبب ميله للإنكليز ومساعدته لهم فى كل مشروعاتهم بالدولة . وبما أنى كنت مصمماً على السفر إلى سويسرا لحضور مؤتمر السلام العام فى سبتمبر من السنة المذكورة ، استحسنت أنى أقدم سفرى قليلا وأسافر فى أغسطس فعزمت على السفر فى يوم الثلاث ٢٠ أغسطس سنة ١٢ ( ٧ رمضان ١٣٣٠ ) مع اسماعيل لبيب بك وأخيه الدكتور منصور رفعت ، وأشرت على الشيخ جاويش بالابتعاد عن الآستانة فى هذه الظروف خصوصاً وأن وزارة مختار باشا قطعت عنه المساعدات التى كان يأخذها لإصدار جريدته الهلال العثمانى ، فأنى معتقداً أنه لا يمكن تسليمه للحكومة المصرية فى أى حال من الأحوال وقد حضر للمحطة لوداعى مع أغلب الطلبة وغيرهم من المصريين. وصلنا باريس يوم ٢٣ أغسطس وفى يوم ٥ سبتمبر قرأنا فى جرائدها خبر حادثة مختار والقبض على الشيخ جاويش بالآستانة ، وذكرت بعضها أن الحكومة المصرية تخابر الحكومة الفرنساوية لتسلمنى . قرأنا هذا الخبر فى جرائد الصباح

مكرر سهوا

فقصدت اسماعيل لبيب واجتمعنا عند عبد الحميد سعيد مع عبد الملك أفندى حمزه ومحمد على حمد المهندس وقررنا بأن أسافر فوراً إلى جنيف بدون أن أعود إلى مسكنى بضواحى باريس لأخذ عفشى ، وتعهد عبد الملك باحضاره ، فسافرت من باريس الساعه ٩ مساء ووصلت جنيف صبيحة يوم ٦ ، فوجدت جرائدها تقول بأن الحكومة المصرية طلبت تسليمى من حكومة سويسره لكنى لم أجزع لهذا الخبر لتأكدى بأن هذا الأمر غير ممكن . (١) .

قبيل سفرى من الآستانة أقترب منى أحد طلبة الطب وسلمنى مجلداً مغلقاً وملفوفاً فى ورق كثير ، وقال خذ هذه المجموعة من جريدة جديدة توزعها على من تريد لما أكتب لك بباريس .

## (٢٦)

ثم أعطانى نسخة مفردة لقراءتها فى القطار . فلما قام القطار أخرجتها وتصفحتها فاذا هى جريدة من صحيفتين اسمها القصاص كلها تهديد ووعيد للخديو والخونة أى ارهابية ، فأطلعت اسماعيل لبيب والدكتور منصور عليها ولم يرها غيرهما ، ولم

(١) أنظر ص ١٩ من هذه المذكرات حيث سبق أن أورد محمد فريد هذه الوقائع ولكن بايجاز ، وقد كتب بنفسه على هامش هذه الفقرة هنا أنها مكررة سهوا .

يقل ذلك الطالب بأنهم أرسلوا منها عدداً مع مختار أفندى كما أنه لم يخبرنى بسفره مطلقاً ، بل بالعكس كان مختار أفندى قد أخبرنى فى إحدى زياراته أنه سيقضى أجازته بالمدرسة ، لأن نظارة الحربية حذرتهم من السفر إلى الخارج خوفا من مراكب الطليان التى كانت توقف السفن وتفتشها لتقبض على الضباط الأتراك المسافرين إلى طرابلس الغرب أو الآتين منها .

فحقيقة المسألة أنى لم أعلم بهذه الجريدة ولا بارسالها بل ولا طبعها ، كما اعتقد الشيخ جاويش كذبا ، وبنى مقاطعته ومعاكسته لى على هذا الاعتقاد الفاسد .

مؤتمر السلام بهولانده

فى ١٥ أغسطس سنة ١٩١٣ سافرت من جنيف إلى مملكة هولانده لحضور مؤتمر السلام العام بها ، وكان معى عبد الملك أفندى حمزه ومحمد أفندى على محمد ومحمد فندى السادة والسيد أفندى منصور، هذين الأخيرين من طلبة العلم بباريس . سافرنا بالسكة الحديد إلى مدينة كوبلانس (١) بألمانيا بعد أن قضينا نحو ساعتين فى أمدينة بال على حدودها . قضينا الليلة فى كوبلانس وفى الساعة العاشرة صباحا ركبنا باخرة فى نهر الرين Rhin إلى كولونيا . ومنها ركبنا القطار إلى عاصمة هولانده La Haye فوصلناها قبيل نصف الليل . حضرنا أغلب جلسات المؤتمر لكن لم يسمح لنا بالتكلم فى المسألة المصرية ، بما أن المؤتمر السابق كان نظرها وقرر فيها القرار المنشورة صورته فى صحيفة ٢٠ ولم يجد بها شىء يستوجب بحثها من جديد . وقد زرنا مع المؤتمرين مدينة دلفت القديمة ومدينة روتردام وامستردام وشفننجن (٢) على بحر الشمال ، وكنا دائما نقابل بكل احترام لابسين طرابيشنا للدلالة على جنسيتنا ولو أن القوم كانوا يسموننا الأتراك حتى فى جرائدهم لاعتبار كل لابس طربوشا، تركيا مهما كان جنسه . ودعينا كذلك إلى حفلة رقص أعدها لنا حاكم العاصمة . وفى تلك الليلة (١٩ أغسطس سنة ١٣) ، نشرت جرائد المدينة تلغرافا يفيد اكتشاف مؤامرة لقتل لورد كتشنر (٣) ، وأن المكلف بالقتل

---

(١) كوبلانس Coblence هو النطق الفرنسى لمدينة Koblenz التابعة لألمانيا الغربية .
( أنظر : Petit Larousse, p. 2256 )

(٢) اسمها بالألمانية : Scheveningen

(٣) فى أول أغسطس ١٩١٢ قبض البوليس على : محمد عبد السلام وامام واكد ومحمود طاهر العربى بتهمة المؤامرة على حياة الخديو وكتشنر ومحمد سعيد . ولقد كان تدبير القبض عليهم من فيلبيدس مأمور ادارة الضبط بالقاهرة ، وأحيلوا للمحاكمة فى ١١ أغسطس ، ورغم انكارهم للتهمة المنسوبة اليهم أصدرت المحكمة حكمها عليهم فى ١٢ أغسطس بالسجن مع الأشغال الشاقة ١٥ سنة على : امام واكد ، وبالسجن مع الشغل ١٥ سنة على كل من : محمود طاهر العربى ومحمد عبد السلام . ( أنظر : أحمد شفيق باشا : مذكراتى فى نصف قرن ، ج ٢/ق٢ ص ص ٢٦٨ و ٢٦٩ )

وجدير بالذكر أن لورد كتشنر عمل أولا فى وزارة الحربية ثم انتقل لوزارة الداخلية فى مايو سنة ١٨٩١ ، وعهد اليه تنظيم البوليس ( الشرطة الآن ) والأمن العام ، فقام باعفاء كثير من الضباط=

شاب مصرى من طلبة العلم ، بلوندره وممن لهم علاقة متينة بى ، سافر إلى مصر خصيصا لتنفيذ القتل . فأخذ الكل يتساءلون عما إذا كنت أنا المعنى بالتلغراف ، وقد التصق بنا ضابط قديم قدم نفسه الينا مظهرا ميله واستعداده لمساعدتنا فى أى أمر ثم سألنى عن هذا الخبر ، وقال انه يعرف مدير البوليس وسيقابله ويفيدنا بكل ما يعرفه أو يسمعه بهذا الخصوص ، وغلب على ظننا أن الرجل مكلف بمراقبتنا .

علمت بعد ذلك أن هذه الإشاعة بنيت على سفر أحمد أفندى عبد الغفار من أهالى تلا ( منوفية )

(٢٧)

وعودته لمصر بعد إتمامه دراسته فى أكسفورد . وهو حقيقة من الشبان الذين ساعدوا الحركة الوطنية بلوندره ، وكان عضوا فى لجنة مصر الانكليزية التى أسسها المستر بلانت وكانت تصدر مجلة (اجبت (١)) وساعدها بالمال، وكان يكاتبنى كثيراً ويساعد مجلة ترقى الإسلام بماله . ولكن يظهر أن السبات المصرى استولى عليه بعد عودته فقد قابل الخديو كما زار الخديو عائلته أثناء رحلته فى الوجه البحرى فى أوائل صيف سنة ١٩١٤ ، وانقطع عن مكاتبتى بالمرة ، لأنه علم بأنه مراقب مراقبة شديدة فخشى على نفسه ، وانكمش كما انكمش غيره من الشبان الذين كانوا شديدى الحماس أثناء طلب العلم بمصر أو أوروبا ثم خبت نارهم بمجرد دخولهم فى ميدان الحياة . بعد انتهاء المؤتمر سافرت مع الرفاق إلى بلجيكا لزيارة المعرض العام الذى كان قائماً (٢) بمدينة جنت أو جاند Gand وبعد زيارته قصدنا جميعا مدينة باريس فوصلناها فى ٢٧ أغسطس .

مؤتمر الشبيبة بجنيف سنة ١٩٠٩ ومحمد فهمى (٣)

( انتهت الكراسة الأولى )

= واستبدلهم بضباط من الجيش المصرى ثم كون فرقة فى مدرسة الحقوق لدراسة مبادىء القانون وكيفية ضبط الوقائع . وفى ٢٧ مارس سنة ١٨٩٢ عين سردارا للجيش المصرى . وأخيرا خلف غورست فى منصب المعتمد البريطانى . ( لمزيد من التفاصيل أنظر محمد فريد : مخطوطة تاريخ مصر من إبتداء سنة ١٨٩١ مسيحية ص ص ٣ ، ١٧ ، ٧٤ ، ٩٣ ، ١١٧ ) .

(١) كانت مجلة Egypt مجلة شهرية تصدرها اللجنة المصرية بلندن المؤلفة من بعض أحرار الانجليز والايرلنديين برئاسة المستر ويلفرد سكاون بلنت ، الذى كان فى الوقت نفسه يتولى الاشراف على تحريرها وادارتها . وقد ظهر العدد الأول منها فى مارس ١٩١١ ومنعت الحكومة المصرية دخولها مصر سنة ١٩١٢ بايعاز من كتشنر ( الرافعى : محمد فريد ، ص ٢٢٤ ) .

(٢) يقصد : مقاما .

(٣) كتب محمد فريد هذا العنوان الجانبى ويبدو أنه تركه توطئة لتسجيل ما كان ينوى تسجيله عنه فيما بعد ، ولكن لم تتح الظروف له ذلك .

# الكراسة الثانية

من صفحة ٤١ الى صفحة ٧٢

(٤١) (*)

من نحو ثلاث سنوات تبرعت لنادى المدارس العليا (١) بمكتبتى بأجمعها إلا الكتب المهداة لى من مؤلفيها بخطوطهم . تبرعت أولا بخمسماية مجلد يختارها مجلس إدارة النادى ، ثم تبرعت بالباقى بعد عودتى من أوروبا فى سنة ١٩١٠ ، فوضعت هذه المكتبة بدواليبها فى غرفة مخصوصة وضعت بها صورتى بأعلا أحد الدواليب ، وكتب لى النادى خطاب شكر كتب بخط لطيف ، ووضع فى إطار ألطف « شكراً على هذه الهبة التى هى فى الحقيقة أقل واجب نحو الوطن والشبيبة» ، ونشرت صورة هذا الخطاب فى الجرائد وقتها . بعد سفرى من مصر فى مارث سنة ١٩١٢ ، وما كتبته ضد الخديو والنظار فى جريدة الهلال العثمانى التى كان يصدرها الشيخ عبد العزيز جاويش بها(٢) بمال جمعية الاتحاد والترقى ، وما كتبته كذلك بجرائد أوروبا وبالأخص فى جريدة السيكل Siècle أراد الخديو محو اسمى

الحكومة ونادى المدارس بخصوصى

(*) تجدر الاشارة الى أن الكراسة الأولى تنتهى عند ص ٢٧ . ونبدأ الكراسة الثانية بصفحة ٤١ ، أى أن هناك ١٣ صفحة بيضاء لم يدون محمد فريد فيها شيئا ، ويغلب على الظن أنه تركها توطئة لتدوين ما ينوى تدوينه فيها ، ولكن الظروف حالت بينه وبين تحقيق ذلك ، ومما يؤيد صحة ظننا أنه كتب عنوانا جانبيا على الهامش الأيسر فى ص ٢٧ عن مؤتمر الشبيبة بجنيف سنة ١٩٠٩ ، ومحمـــد فهمى ، وبدأ الكراسة الثانية بموضوع ليس له ارتباط بسابقه وهو تبرعه لنادى المدارس العليا .

(١) بدأ التفكير فى انشاء نادى يجمع بين طلبة المدارس العليا بعد أن تغلغلت بينهم حركة فكرية قومية ساعد على اذكائها النشاط الوطنى لمصطفى كامل . وقد اجتمعت أول جمعية عمومية للنادى كهيئة تأسيسية فى ١٩٠٥/١٢/٨ وتم افتتاح النادى فى ١٩٠٦/٤/٥ برئاسة عمر بك لطفى .

( الرافعى : مصطفى كامل ، ص ص ١٨٨ ـ ١٩٠ )

(٢) بها : المقصود : بالآستانة .

من عداد أعضاء هذا النادى فطلب ذلك من النظار ، وهم طلبوا عزت شكرى بك رئيس النادى وطلبوا منه شطب إسمى **لأنى مجرم** ، هذه الكلمة قالها عبد الخالق باشا ثروت (١) النائب العمومى ، فقال لهم عزت بك بأن الأمر صعب لتعلق الطلبة بى . فهددوه بقفل النادى إن لم يتم الشطب فى بحر أسبوع ، فعاد عزت وأخبر أعضاء لجنة النادى فرفضوا بالإجماع قائلين أنهم يفضلون قفل النادى على إتيان هذا العمل الذى يدل على نكران الجميل ، فعاد شكرى فطلبوا منه أن يطلبوا منى الاستقالة بالتلغراف فرفضت اللجنة كذلك . وأخيراً كلفوا أمين الرافعى سكرتير النادى بأن يكتب لى بشرح المسألة طالبا منى إرسال استقالة تقدم إذا قضت الضرورة حتى لا يقفل النادى ، فأرسلتها إليهم ولكنها لم تقدم وبالتالى لم تقبل ، وسكتت الحكومة أمام إصرار الطلبة . وكتب لى عزت شكرى وقتها جوابا بكل ما جرى ، وأخبرنى أمين الرافعى بالتفصيلات أمس (٢٤ يوليه سنة ١٩١٣) ومما قاله لى أن عزت قال أثناء الحديث لعبد الخالق باشا ثروت : ها أنت من أعضاء النادى فاحضر بنفسك واقنع الطلبة ، فارتجف أمام إخوانه الوزراء وأراد الإنكار قائلا: إنى كنت عضواً ولكنى تركته ، فأجابه عزت بأن هذا غير صحيح لأنه سوى حسابه ودفع ما كان لخزينة النادى قريبا ، فبهت الكذاب ، وعندها قال حشمت باشا ناظر المعارف (٢) : اشطبوا فريدا ونحن كلنا ندخل النادى .

**ترشيح عزت شكرى بك لمراقبة الطلبة بأوروبا**

عزت بك شكرى كان قاضيا بالمحاكم الأهلية وهو من أصدقائى من مدة التلمذة بمدرسة الحقوق إلا أنه سافر مع أخيه نجيب بك لإتمام علومه بأوروبا . وأنا أتممت دراستى بمصر . ومن صغره له ولع بحب الظهور والتقرب من الكبراء

---

(١) هو محمد عبد الخالق ثروت باشا ( ١٨٧٣ ـ ١٩٢٨ ) أبوه اسماعيل عبد الخالق باشا بن عبد الخالق أفندى ، من أصل أناضولى ، وكان من كبار الحكام فى عهد محمد على ، وكانت أمه من بيت تركى . تلقى تعليمه فى مدرســة عابدين وهو فى الثامنة من عمره ، ثم تابع دراســته فى الذورمال حتى اذا نال شهادة الدراسة الثانوية التحق بمدرسة الحقوق ، وكان أول الناجحين فى اجازة الليسانس سنة ١١٩٣ ، وبعد تخرجه التحق بنظارة الحقانية سكرتيرا للمستشار القضائى بها ، وكان يومئذ سيرجون سكاون، ثم انتخب عضوا فى ادارة الجمعية الخيرية الاســلامية وعضوا فى ادارة الجامعة المصرية ، وكان لا يزال يشغل منصب النائب العام • وتوفى فى باريس فى ١٩٢٨/٩/٢٢ وكان قبلها قد ذهب الى سان موريتز للاستشفاء • وقد تقلب فى عدة مناصب وزارية عديدة فى المدة من ١٩١٤ الى ١٩٢٨ ، كما تولى رياسة الوزارة مرتين الأولى من ١٩٢٢/٣/١ الى ١٩٢٢/١١/٢٩ والثانية من ١٩٢٧/٤/٢٥ الى ١٩٢٨/٣/١٦ ( أنظر : د• محمد حسين هيكل ، ص ص ١٨٨ ـ ٢١٦ • النظارات والوزارات المصرية ج١ ، ص ٥٤١ و ٥٨١ ) •

(٢) أنظر ما كتبه عنه محمد فريد على صفحة ٥٣ من هذه المذكرات ، هذا ، وقد تولى حشمت باشا نظارة المعارف من ١٩١٠/٢/٢٣ حتى ١٩١٣/١١/٢٠ •

والبرنسات والانتساب ولو كذبا للعائلة الخديوية ، حتى كنا أيام المدرسة نغيظه بالطعن على محمد على باشا وعائلته فكان يغضب ويترك الأكل فنضحك عليه ونأكل غذائه . لما كبر ودخل وظائف القضاء ، تقدم عليه أخوه الأصغر إسماعيل صدقى باشا وكيل نظارة الداخلية الآن(١) ، فلم تقبل نفسه البقاء فى الخدمة خصوصا وأنه تزوج

(٤٢)

باحدى بنات رقية هانم بنت البرنس مصطفى فاضل باشا أخ اسماعيل باشا الخديو (٢) ومع أن زوجته ليست بأميرة لأن والدها تونسى اسمه بن عياد فهو يلقب زوجته دائما بالبرنسيسة ومن الغريب أنه يقبل أنها تكتب على أوراق زيارتها(٣)
( Mme Izzat Choukri, née Princesse Ben Ayad d'Egypte)
وهو كذب محض . لما كنت بالآستانة فى أواخر سنة ١٩١٠ قابلته هناك وقدمته لكثير من رجال الحكومة، مثل طلعت بك ناظر الداخلية وأحمد رضا بك رئيس مجلس النواب وغيرهم وسعيت له فى أن يعين فى السفارات ، وقبلوا إلا أنه أراد أن يعين مستشارا فى إحداها مباشرة فلم يقبلوا ، وعرضوا عليه وظائف اعتبرها صغيرة بالنسبة له . ثم عاد لمصر وسعى فى أن أحيل(٤) على المعاش بسبب مرض غير حقيقى بشهادات مكذوبة من بعض أطباء أوروبا . بعد ذلك فى سنة ١٩١١

---

(١) هو اسماعيل صدقى باشا ( ١٨٧٥ ـ ١٩٤٩ ) ، أبوه احمد شكرى باشا من كبار رجال الحكومة فى عهد الخديو اسماعيل والخديو توفيق ، وكانت والدته فاطمة هانم كريمة محمد سيد احمد باشا رئيس ديوان الأمير محمد سعيد باشا بن محمد على باشا الكبير . ويذكر اسماعيل صدقى رواية تعيينه وكيلا لنظارة الداخلية فيقول :

« جلست فى تلك الليلة ـ ليلة وفاة رئيس النظار ـ مع محمد سعيد باشا فى منزله ، فقال لى : « والله طارت الوزارة يا اسماعيل » . فقلت له : « بالعكس ، فانى أتنبأ بانك رئيس النظار المقبل » .

وقد حدث فى اليوم التالى ما تنبأت به ، فعهد اليه الخديو عباس تأليف الوزارة الجديدة ، فكان هو للرياسة والخارجية والداخلية ، وأحمد حشمت باشا للحقانية ويوسف سابا باشا للمالية واسماعيل سرى باشا للأشغال والحربية ، وخرج سعد زغلول باشا وفخرى باشا من الوزارة ، وعين نجيب غالى نجل بطرس باشا وكيلا للخارجية وانعم عليه بالباشوية وعينت أنا وكيلا للداخلية ، وانعم على بالباشوية أيضا » . ( انظر : اسماعيل صدقى : مذكراتى ، ص ٥ ، ١٠ ) .

(٢) هو الخديو اسماعيل باشا ابن ابراهيم بن محمد على ، ولد بمصر فى ٣١ ديسمبر سنة ١٨٣٠ ، رتربى بالمدرسة التى أنشأها جده محمد على باشا بالقصر العالى ثم أوفده لما بلغ السادسة عشرة من عمره مع طائفة من الشباب الى باريس حيث التحق بمدرسة أركان حرب ، ثم عاد الى مصر بعد أن أتم دراسته . وتولى الحكم عقب وفاة سعيد باشا فى ١٨ يناير ١٨٦٣ وعزل عن العرش فى ٢١ يونيه ١٨٧٨ وأقام فى ايطاليا ثم انتقل الى الآستانة الى أن توفى بها فى ٢ مارس سنة ١٨٩٥ . ( لمزيد من التفاصيل انظر : د. محمد حسين هيكل : تراجم مصرية وغربية ص ص ٤٧ ـ ٧٢ ) .

(٣) يقصد بطاقات زيارتها .

(٤) يقصد : يحال .

رشح لوظيفة سكرتير جنرال مجلس بلدى اسكندرية (١) ، وساعدته الوزارة (٢) وقبل الخديو بكل مشقة ، ولكن غورست عارض بسبب وجوده معى فى الآستانة . بعد ذلك تقرب منى كثيراً حتى رشحته لرياسة نادى المدارس بعد وفاة المرحوم عمر بك لطفى (٣) ، وانتخب فعلا فى ابريل سنة ١٩١٢ . ولما شرعت الحكومة فى إيجاد مراقبين للطلبة الذين يتعلمون على مصاريف أهلهم (٤) بأوروبا (عقب مهاجرتى من مصر وإقامتى بها) سعى فى أن يكون هو المراقب بباريس ، وحجته فى ذلك أنه يريد الإقامة بباريس وإيراده لا يكفيه وأنه يخدم الطلبة ويمنع عنهم أذى عظيما ، وقدم طلبا بذلك للمعارف والنظار ساعده كثيرا ولكن كتشنر أبى كما رفض غورست من قبل لانتمائه إلى حزبنا ولو بصفة غير رسمية . لما أشيع هذا الأمر بمصر كتب لى بعضهم بذلك فكتبت لعزت جوابا شديد اللهجة ، أحذره فيه من قبول هذه الوظيفة التى هى عبارة عن جاسوسية محضة فزعل ولم يكاتبنى إلى أن قابلته بباريس فى ٢٣ يونيه الماضى وعاتبته ، فادعى أن كتشنر رفض تعيينه لأنه هو رفض مقابلته رغما من إلحاح النظار ، ولكنى على يقين من أنه كاذب كما أخبرنى بذلك أمين أفندى الرافعى وغيره من الوافدين من مصر . وعليه فعزت شكرى لم ينل الوظيفة وخسر ثقة إخوانه وثقة الطلبة ، ولا يمكن أن يعاد انتخابه للرئاسة عند انعقاد الجمعية العمومية المقبلة . كل ذلك لتقيم زوجته (البرنسيسة) بباريس وتعيش بها عيشة الزهو والإسراف .

ولقد عين بباريس أحمد فهمى بك العمروسى (٥) ناظر مدرسة التجارة ومحمد أمين بهجت بجنيف ومحمد بك أسعد بلوندره للقيام بهذه الوظيفة الجديدة مع آخرين من الأجانب ، تلك الوظيفة التى لم تفكر فيها الحكومة إلا بعد هجرتى من مصر وإقامتى بين أوروبا والآستانة . ومن غريب ما اتصل بعلمى أنه لما قابلوا (٦)

---

(١) يقصد : سكرتير عام المجلس .

(٢) المقصود بها : نظارة محمد سعيد باشا الأولى من ٢٣ فبراير سنة ١٩١٠ حتى ٥ ابريل سنة ١٩١٤ .

(٣) كان عمر بك لطفى مدرسا بمدرسة الحقوق الخديوية فوكيلا لها ، ثم تولى رئاسة نادى المدارس العليا فى ٨ ديسمبر ١٩٠٥ ، وكان من خاصة أصدقاء مصطفى كامل ، ويعتبر رائد الحركة التعاونية التى ظهرت فى مصر سنة ١٩٠٨ على اثر الأزمة المالية التى انتابت البلاد سنة ١٩٠٧ ، وتوفى فى ١٤ نوفمبر سنة ١٩١١ ، ورثاه احمد شوقى بقصيدة مطلعها :

قفوا بالقبور نسائل عمر — متى كانت الارض مثوى القمر

(لمزيد من التفاصيل أنظر الرافعى : محمد فريد ، صفحات ١٨ ، ٩١ ، ١٥٥ ، ٢٢٤ ، ٢٩٠ ، ٢٩٤ - ٢٩٦ ، ٢٩٨ - ٣٠٠) .

(٤) المقصود : على نفقة ذويهم .

(٥) انظر ما كتبه عنه محمد فريد على صفحة ٤٩ من هذه المذكرات .

(٦) يقصد : لما قابل .

هؤلاء المعينون اللورد كتشنر ليزودهم بنصائحه الغالية قال إلى مراقب جنيف بأن مهمته ستكون شاقة نوعا . فظن أحمد فهمي العمروسي بأن اللورد يشير إلى وجودي بها ، فأجاب – لا . بل مركزي أنا لأن فريدا يقيم الآن بباريس (وكنت بها فعلا من ١٤ إلى ٢٥ يونيه الماضي ) فضحك اللورد عليهما .

(٤٣)

(٢٧ يوليه سنة ١٩١٣ ) من الأخبار الموثوق بها التي وردت لي اليوم ، أن الخديو كانت له اليد الطولى في التفريق بين عزيز بك المصري والشيخ السنوسي ، وتفصيله أن الإيطاليين استنصحوه فيما يفعلونه في برقة وطلبوا منه المساعدة مقابل تسهيل مشترى سكة حديد مريوط منه ، فقال لهم ان أحسن طريقة هي مخابرة كل من عزيز بك والشيخ السنوسي بشأن الصلح على حده، أي بشرط أن لا يعلم أحدهما بما يجري مع الآخر ، حتى إذا علما فيما بعد بأن كلا منهما يخابر الطليان على غرة من الآخر يفقد الثقة فيه، وبذلك يزول اتفاقهما وهو المطلوب، فوافقوه على هذا الرأي وهو مكلف بتنفيذ بعضه . فأوفد من مصر حسن بك حمادة (وهو محامي سوري درزي من رجال الشيخ علي يوسف ومن جواسيس المعية من سنين ) . إلى عزيز بك المصري ومعه ستة آلاف جنيه مصري بصفة إعانة مالية إسلامية ، وأخذ ينصحه بترك برقة مع من معه من العساكر النظامية لعدم الفائدة من استمرار الحرب بعد عقد الصلح مع الدولة العلية ، وأنه إذا كان يريد الاشتغال بمسألة استقلال العرب وتأليف سلطنة وخلافة عربية ، فالأحسن أن ينسحب إلى بيروت وهي الآن خالية من الجند بسبب حرب البلقان (١) ، وهناك يمكنه إعلان استقلال سوريه مع من معه من العساكر النظامية ، وفرنسا وانكلترا تساعدانه على أن يكون أميرا مستقلا بجهات العرب إلى غير ذلك من التغرير . ولما كان عزيز بك هذا

الخديو وطرابلس الغرب وعزيز بك المصري

---

(١) نشبت حربان قصيرتان لاحتلال الأراضي الأوربية التابعة للامبراطورية العثمانية . قامت الأولى في ١٨ أكتوبر سنة ١٩١٢ بين تركيا في جانب ودول البلقان الأربع : بلغاريا واليونان والصرب والجبل الاسود في جانب آخر ، وكانت نتيجتها طرد الأتراك من الأراضي التركية باوربا فيما عدا القسطنطينية ، وقامت الثانية عندما أعلنت الصرب ، بعد انتهاء القتال ، عزمها على ضم جزء كبير من البانيا لايجاد منفذ لها على البحر الادرياتي ولكن وقفت في سبيل هذه الخطوة : النمسا والمجر وايطاليا والبانيا التي أعلنت استقلالها ، وعقد مؤتمر من سفراء الدول العظمى في لندن سنة ١٩١٣ وقرر انشاء دولة البانية مستقلة كبيرة المساحة نوعا ، وبذلك منعت الصرب من الوصـــول للبحر ، ولم ترض الصرب عن هذه الشروط فطالبت بلغاريا بنصيب أكبر من مقدونيا ، فادى ذلك الى هجوم بلغاريا على الصرب وهجـــوم رومانيا واليونان وتركيا على بلغاريا ، ونتج عن هذه الحرب البلقانية الثانيـــة أن خسرت بلغاريا أراضي لجميع أعدائها . والجدير بالذكر أن الحروب البلقانية هيأت الجو لقيام الحرب العالمية الأولى .

( الموسوعة الميسرة ، ص ٧٠٧ )

يشتغل من مدة بالمسألة العربية (كما سأشرحه) أصغى إلى هذه الوساوس وأخذ يناوىء الشيخ السنوسى فجلد أخاه (هلالى) وأراد قتله بدعوى أنه يخابر الطليان، وهو شاب لا يبلغ الخمسة عشرة من عمره فاغتاظ الشيخ وقال لعزيز بك الأحسن بأن ينسحب هو وجنوده، فانسحب وهاجمه العرب فى الطريق وقتلوا من رجاله ضابطا ونحو أربعين عسكريا، وبذلك خلى جيش السنوسى من الضباط والنظام العسكرى وسهل على الطليان فتح بلاده. وهذا من فعل وخيانة عباس حلمى خديو مصر، هذه المعلومات وصلت لى عن لسان يحيى بك صديق القاضى، لأنه سافر إلى السلوم عند وصول عزيز ورفاقه بدعوى أن له أقاربا بين ضباطه، وهو الذى نقل التفصيلات لمن نقلها إلى هنا بجنيف مشافهة.

أما عزيز بك المصرى فهو عبد العزيز على، ولد بمصر من أبوين شركسيين، وتعلم بمصر حتى حصل على شهادة الدراسة الثانوية ودخل مدرسة الحقوق المصرية ثم لسبب لم أقف عليه، سافر إلى الآستانة. ودخل المدارس الحربية ونجح فيها وامتاز فى الجيش العثمانى، فى الحروب التى أقامها الرجعيون ضد أنصار الحرية بعد الدستور فى بلاد الأرنؤد وفى بلاد اليمن، وهناك كان له عمل يشكر عليه مع عزت باشا القائد العام هناك إذ ذاك (ناظر الحربية الآن وقائد الجيوش المحاربة للبلغار) فى الصلح مع الإمام يحيى، ولما نشبت حرب الطليان بطرابلس. سافر إليها مع أنور بك(١) وكثير من الضباط. أما سياسته فكان ولم يزل اتحاديا ولكنه يفكر دائما فى مسألة تأليف سلطنة أو خلافة عربية، بدعوى أن العنصر التركى فقد كل صفاته القديمة الحربية والسياسية، وأن لا قيام للإسلام من حالته السيئة إلا بالعنصر العربى

(٤٤)

وقد أتى مصر فى شهر رمضان الذى أعقب إعلان الدستور بالآستانة (سنة ١٩٠٨)، واجتمع بى وببعض أعضاء لجنة الحزب الوطنى الإدارية مرة بمنزلى بشبرا وأخرى بمنزل أحمد بك لطفى المحامى، وكان معنا على ما أتذكر محمود بك

---

(١) كان أنور بك (باشا) (١٨٨١ – ١٩٢٢) رجل دولة من رجال تركيا الفتاة. التحق بعد تخرجه من الأكاديمية الحربيـة باستانبول، بقيادة الجيش الثالث فى مناستير، وهناك انضم الى جمعية الاتحاد والترقى. وفى سنة ١٩٠٩ عين ملحقا حربيا ببرلين، وفى سنة ١٩١١ اعتزل منصبه وتطوع فى الحرب الليبية التى أبلى فيها بلاء حسنا. وفى سبتمبر ١٩١٢ عين «متصرفا» لسنجق بنغازى، ثم عاد الى استانبول واشترك اشتركا فعليا فى سياسة جمعية الاتحاد والترقى، وكان من أنصار دخول تركيا الحرب الأوربية الأولى. وفى يناير سنة ١٩١٤ عين وزيرا للحربية فى وزارة سعيد حليم باشا وقرب قيام الحرب العالمية الأولى عين نائبا لقائد الجيش العام وتولى مهمة الدفاع عن الدردنيل ثم تولى بنفسه قيادة الجيش الثالث على الجبهة الروسية فى جبال أرمينية. (لمزيد من التفاصيل أنظر: دائرة المعارف الاسلامية، مجلد ٢٥ ص ص ١٢٢ – ١٣٢).

فهمى والشيخ جاويش وطلب منا الانضمام لجمعيتهم السرية المسماة (جمعية شبان العرب). وبعد مناقشة طويلة رفضنا الاشتراك فى عمله بعد أن أبنا له ضرر الانقسام بين عنصرى الدولة ولكن يظهر لى أنه أسس بمصر شعبة لهذه الجمعية.

تصرف الجمعيـــة الخيرية الاسـلامية بمصر نحوى وشطب اسمى منها

(٢٨ يوليه سنة ١٩١٣) قابلت اليوم محمد أفندى حامد مأمور إدارة الجمعية الخيرية الإسلامية، فكلمته بشأن شطب إسمى من عداد أعضاء مجلس إدارتها بعد سفرى، بسبب عجزى عن دفع ما علىّ للجمعية بسبب الظروف التى وجدت بها وتركى لمصر مكرها هربا من السجن، فلم يفه بكلمة. ولقد أذكرتنى هذه المقابلة تصرف البرنس حسين كامل باشا (١) فى هذه المسألة، وضعف الأعضاء واستسلامهم له مع أنهم قاوموه فى أول العام الماضى عند معارضته فى تجديد انتخابى. وتفصيل ذلك أن مدة انتخابى انتهت فى آخر سنة ١٩١١ بمضى الخمسة سنوات المحددة لمدة العضوية، فعرض بعض الأعضاء تجديد انتخابى، فعارض البرنس بدعوى أنى رئيس حزب سياسى اشتهر بالعداء للخديو والحكومة، فقاومه الأعضاء وبالأخص حسن بك عبد الرازق، ولطفى بك السيد، والهلباوى وغيرهم وأخيراً انتخبت رغم أنفه بأغلبية عظمى. ولكن لما هجرت مصر فى ٢٦ مارث سنة ١٩١٢ لم يتيسر لى دفع ما كان متأخرا علىّ لصندوق الجمعية وكنت قسطته على أقساط شهرية، ولم أقبل أن تتركه لى الجمعية عندما عرضوا علىّ ذلك ودفعت فعلا بعض الأقساط. وفى أواخر سنة ١٩١٢ كتبت لها بتنازلى لها عن سهم لى فى شركة التعاون المالى قيمته أربعة جنيه وكسور لتخصم قيمته مما علىّ، ولكن كانت قررت قبل ذلك شطب اسمى بسبب هذا التأخر، ولم تراع الظروف التى وجدت بها ولا أنى من مؤسسى الجمعية من ٢٢ سنة ولى ١٥ سنة فى مجلس إدارتها. فكتبت لى جوابا بتوقيع حسن بك عبد الرازق يخبرنى بالشطب، وباستعداد الجمعية بقبولى بصفة عضو جديد فتكدرت من هذا التصرف ولى ١ جنيها بل كتبت لنسيبى اسماعيل أفندى حافظ بأن يستلم السهم واستلمه فعلا.

الشيخ جاويش وجمعيـة ترقى الاسلام

وصلنى اليوم جوابا من الآستانة من رجب أفندى أحد أعضاء جمعية ترقى الإسلام التى أسستها هنا، يخبرنى ضمنه بأنه قابل الشيخ عبد العزيز جاويش بالآستانة، وتكلم معه بشأن جمعيتنا فأظهر عدم ممنونيته لقبولنا الغير مسلمين بها من أكابر المسيحيين فلم أستغرب هذا الأمر منه لأنه الآن يعاكس كل مشروع أقوم به مهما كان نافعا، وذلك لأنى لمته على وجود علاقات سرية بينه وبين عدونا

(١) هو ابن « الخديو اسماعيل باشا » كان سلطانا لمصر فى الفترة من ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ حتى وفاته فى ٩ أكتوبر سنة ١٩١٧، وهو التاريخ الذى ارتقى فيه السلطان (الملك) احمـــد فؤاد عرش مصر.

الأكبر الخديو عباس حلمى كما ثبت لى ذلك أثناء وجودى بالآستانة فى شهرى مارث وأبريل من هذا العام .

توفيق زاهر

فى أغسطس قابلت توفيق بك زاهر القاضى وهو ممن لهم علاقة بالخديو من عهد التلمذة فأخبرنى بأنه قابل الخديو بباريس عدة مرات

(٤٥)

وأن الخديو أظهر له احتقاره لعثمان غالب باشا فأجابه توفيق : ولم أنعمت برتبة ( باشا ) فقال : مكافئة له على طعنه على محمد فريد ( يشير بذلك إلى المقالات التى نشرها عثمان غالب المذكور فى جرائد مصر : الأهرام والمؤيد ضدى فى شهر سبتمبر سنة ١٩١١ (١) ) . ثم كلمنى ( توفيق زاهر ) فى الصلح مع الخديو فأجبته بأنى لا أعارض فى ذلك إذا قبل الخديو شروطنا ، فإذا كان يريد الصلح حقيقة فتكلم أنت مع إخواننا فى مصر ، وإذا اتفقتم معهم على شىء هم يخبرونى لأبدى رأيى .

لبيب بك البتانونى
يوسف صديق

كذلك حادثنى فى هذا الموضوع محمد بك لبيب البتنونى ، عند مقابلتى له هذا الشهر بجنيف فأجبته بمثل ذلك . لما كنت بباريس من ١٣ إلى ٢٥ يونيه لحضور مؤتمر الشوام (٢) ، قابلت يوسف صديق باشا رئيس ديوان خديوى بقهوة السلام صدفة ، وكان معى محمد بك على دلاور وكيل الخاصة الآن ، فأخذا يدافعان عن الخديو ويقنعانى بأنى مخطىء فى اعتقاده نحوه ، وأخيراً فاتحنى يوسف صديق فى أمر الصلح وطلب منى أن أزوره فى محل نزوله Elysée Palace ، فلم أقبل وأجبته بالرفض قائلا

---

(١) نشرت جريدة العلم فى ٢٢ أغسطس ١٩١١ مقالا بعنـــوان « رحلة صيف » بتوقيع « عليم بما هنالك » ، هاجمت فيه الدكتور عثمان بك غالب بسبب علاقته بالخديو عباس حلمى الثانى ، فما كان منه الا أن نشر مقالا في ٢٠ سبتمبر ١٩١١ بجريدةالمؤيد تحت عنوان « كشف الستار عن تاريخ علاقتى ببعض زعماء الحزب الوطنى » سرد فيه أصول علاقاته بمصطفى كامل وأعضاء الحزب والدور الذى قام به فى النشاط السياسى للحزب فى الداخل والخارج ، كما تضمن المقال هجوما شديدا على محمد فريد واسماعيل لبيب وبعض أعضاء الحزب الآخرين • وأشار الى علاقة محمد فريد بمصطفى كامل وكيفية انضمامه ( أى محمد فريد ) للحركة الوطنيـــة محاولا التشكيك فى قدراته السياسية حيث يعتبره أقل كفاءة من سلفه • كما تعرض لحياة محمد فريد الشخصية وكيف أنه بدد أمواله وأموال الحزب فى المضاربات المالية والانفاق على النساء • وأخيرا يصـــف الحزب الوطنى تحت زعامة فريد بأنه عصابة من مثيرى الأحقاد والخواطر ويحذر الأمة من شره •

(٢) وهو المؤتمر المعروف بالمؤتمر العربى الأول بباريس عام ١٩١٣ ، وقام بعقده بعض شباب الجالية السورية الموجودة فى باريس ، لبحث أحوال بلادهم تحت الحكم العثمانى ، وكانت غاية المؤتمر هى « أن يكون وسيلة لحفظ كيان الأمة العربية وازالة العقبات من طريق ارتقائها ، فتقوى بذلك ويقوى مجموع الدولة العثمانية بقوتها » وقد حضر هذا المؤتمر ــ الذى بدأت أولى جلساته فى القاعة الكبرى للجمعية الجغرافية فى باريس فى ١٩١٣/٦/١٧ وآخرها فى ١٩١٣/٦/٢٣ وحضره من الطلبة المصريين ، سيد أفندى كامل الطالب فى الحقوق بباريس •

( توفيق على برو ، العرب والترك فى العهد الدستورى العثمانى ، ص ص ٥٠٣ ــ ٥٢٠ ) •

له : إنى لو زرتك لقال رجالكم إنى قصدتك متوسلا أو مستجدياً أو ما ماثل ذلك فإن أردت مقابلتى فليكن بالقهوة ثم قلت له : ماذا تريدون منى ؟ إن الخديو كلما يقابل أحداً من معارفى الأخصاء يقول لهم بأن يكتبوا لى بالصلح ، ولكنه لم يبين مطلقاً ماذا يعنى بذلك وعلى أى أساس يكون ، ها أنا مستعد للاتفاق معه على خدمة البلاد الخدمة الصادقة ، فقل لى ماذا تريدون أو ماذا تريد ؟ فقال لى هذا سؤال لا يمكنى الإجابة عليه فوراً ، و بما أنى سأقابل الخديو قريباً فسأحضر لمقابلتك بجنيف وأبلغك ما يقول . حضر محمود بك سالم جزءاً من هذا الحديث . ولم يحضر يوسف صديق لجنيف كما وعد وها أنا الآن ( ٣٠ أغسطس سنة ١٩١٣ ) بباريس ثانياً وعلمت أن يوسف صديق مازال بها ولكن لم أقابله .

الشيخ جاويش

لما كنت هنا فى شهر يونيه زرت مادام (١)كاما الهندية ، فأخبرتنى بأنها قابلت الشيخ جاويش فى أوائل ذلك الشهر،وعلمت منه أنه آت لبحث ودرس نظام الجامعات لتحضير قانون الجامعة الإسلامية التى يريدون تأسيسها فى المدينة المنورة ، وأنه حادثها بشأنى وأخذ يطعن على وعلى سياستى واصفاً إياها بأنها سياسة طيش وجنون، وأن الأولى الاعتدال والتفاهم مع الخصوم،فأجابته هذه السيدة العاقلة أن لكل إنسان طريق ،وما دام الغرض واحداً فلابد لجميع الساعين فى هذه الطرق المختلفة من الالتقاء معاً يوماً ما .

وليس هذا بغريب من الشيخ جاويش فهاك تاريخ هذا الرجل :

تعرفت به فى مؤتمر المستشرقين بمدينة الجزائر فى شهر ابريل سنة ١٩٠٥ ، فأعجبت بقوته فى اللغة العربية ، وبقوة عقيدته الإسلامية ، وميله إلى فكرة الاتحاد الإسلامى . وفى ١٩٠٦ قابلته بباريس وعرفته بالمرحوم

(٤٦)

مصطفى كامل فتمكنت بيننا أواصر الصداقة . ولما عاد من انكلترا إلى مصر فاتحناه فى أن يكون معنا فى اللواء فقبل، ولكنه طلب من مصطفى كامل أن يحرر له عقداً بمدة خمس سنوات ، فرفض مصطفى واعتبر هذا الطلب إهانة له وعدم ثقة بقوله . ولما توفى المرحوم عرضت عليه الأمر ثانياً وقبلت التعاقد معه على ما يرغب ، وحرر له العقد فعلا من مجلس إدارة شركة اللواء لخمس سنوات ومرتب شهرى أربعون جنيه مصرى . واشتغل معنا بجد واجتهاد ، ثم حوكم سنة ١٩٠٨ وبرىء نهائياً ولكنه عوقب بالحبس فى سنة ١٩١٠ ثلاثة شهور لكتابة مقالة ذكرى دنشواى فى يونيه سنة ١٩٠٩ . وأنذر اللواء عقب ذلك لنشره مقالة على « دنجرة » الهندى قاتل أحد الانكليز بلوندرة . وفى سنة ١٩١٠ حبس ثلاثة شهور أخرى لمقدمة كتاب الغاياتى التى حبست أنا من أجلها

(١) المقصود : مدام

ستة شهور فى سنة ١٩١١ ( من ٢٣ يناير إلى ١٨ يوليه ) . من ذلك الحين ابتدأ يظهر الضعف والخوف ، وأخذ يرمينى بالتهور والطيش ، ولكنه أمامى كان يوافقنى على خطتى . وقد لاحظ عليه الكثيرون هذا التذبذب . ولما ابتدأت حرب إيطاليا فى طرابلس اشتغل فى تهريب الأسلحة إلى طرابلس مع القومسارية العثمانية ، وعلمت الحكومة فأخذت تراقبه ، ولما ضبطت بعض المهربين خشى أن يقبض عليه فسافر فجأة إلى الآستانة ، وهناك اشتغل مع لجنة الاتحاد التى ساعدته بالمال على تأسيس جريدة سياسية يومية أسماها الهلال العثمانى (لما كنت بالآستانة سنة ١٩٠٩ كنت تكلمت مع طلعت بك بخصوصه ورجوته فى أن يجد له وظيفة بالآستانة حتى نخلص منه ، لأنى كنت ابتدأت أشك فى إخلاصه بسبب ميله إلى مصالحة الخديو والسير معه ، حتى أنه كان فاتحنى فى هذا الأمر فى أواخر سنة ١٩١١ بعد عودتى من الآستانة وأوروبا فى منزل عبد اللطيف بك الصوفانى ، حيث اجتمع مروجو هذه الفكرة وأرادوا إقناعى باتخاذ هذه السياسة مما شرحته فى مذكراتى قبل الهجرة ) .

سافرت إلى الآستانة فى مارث سنة ١٩١٢ هرباً من الحكم على فى القضية التى حكم على فيها فى ٣٠ أبريل سنة ١٩١٢ بالحبس سنة مع الشغل ، فوجدته متغيراً وأخذ يعاكس نادى المصريين ويسعى لديهم فى عدم المظاهرة ضد الخديو عند حضوره ، وتكلم مع طلعت بك فى منعها بالقوة إلى غير ذلك ، فابتعدت عنه ولكنه أتى للمحطة وودعنى عند سفرى لأوروبا فى ٢٠ أغسطس سنة ١٩١٢ . ثم سلمه كامل باشا فى ٤ سبتمبر للحكومة المصرية ، فحبس تحت التحقيق مدة ثم أفرج عنه بدعوى عدم كفاية الأدلة على شرط أنه لا يقيم بمصر فسافر إلى الآستانة فى ١٨ أكتوبر (١) . ولما عدت أنا إليها فى ٢٣ فبراير سنة ١٩١٣ ، وجدته تغير تماماً وامتنع عن أن يكتب لى شيئاً فى جريدة (الحق يعلو ) لا ضد الخديو ولا ضد الانكليز . ثم علمت من محمد بك كامل نجاتى بأنه رأى عنده محمود أفندى وصفى وكيل الخديو بقصر جبوقلى ، وأنه اختلى به فتأكدت وجود علاقات بينه وبين رجال المعية فكلفت مدام روشبرون بأن تستجلى الحقيقة من محمود وصفى نفسه ، فأخبرها هذا بأنه حقيقة يتردد على الشيخ جاويش لمشاكل تتعلق بالقضية ( مع أنها حفظت ) . بعد ذلك كلفت محمد بك كنج نجل محمد شاكر باشا بأن يكلمه فى هذا الخصوص فكلمه وعاد مقتنعاً بأن الرجل تغير كلية . أثناء التحقيق معه فى مصر قال أنه مخلص للخديو وأنه قابله بالآستانة ، وأيد حسين رشدى باشا (٢) ذلك بناء على كلام الخديو نفسه . سألت الشيخ عن هذه

---

(١) لابد أن يكون السفر بعد ١٩ أكتوبر لأن قرار الافراج صدر فى يوم ١٩ .
(٢) انظر ترجمة محمد فريد له على صفحة ٧٦ من هذه المذكرات .

النقطة فأنكرها فطلبت منه تكذيبها فى جريدته فامتنع . هذا ملخص تاريخ الرجل . وكذلك كلفت محمد بك كنج نجل المرحوم شاكر باشا بأن يكلمه فى هذا الموضوع ويطلب منه التكذيب فكلمه ولكنه امتنع كذلك .

(٤٧)

قابلت اليوم، ٢٨ أغسطس سنة١٩١٣ ، أحمد عبداللطيف وحسن صبرى المحامين ، وكان معى عبد الملك أفندى حمزة ومحمد أفندى على محمد المهندس، ودار الحديث طبعاً على الحوادث الأخيرة بمصر والدولة العلية، فاعترفا بأن الخديو يشتغل من سنين بمسألة الخلافة العربية ، وهذا الاعتراف مهم لأن حسن صبرى ممن لهم علاقة كبرى بالخديو ، وهو الآن مستشار بديوان الأوقاف . واعترفا كذلك بأن وجود الدولة العلية قوية معينة للمسألة المصرية ، وأنه من الضرورى أن نكون دائماً باتفاق مع رجال « تركيا الفتاة » . وهذا الاعتراف مهم كسابقه لأنه صادر من رجال لهم علاقة كبرى بحزب الأمة ولطفى السيد الذى يقول عكس ذلك .

الشيخ جاويش يسعى للعودة لمصر

أول سبتمبر ، اليوم أخبرنى عبد الملك أفندى حمزة بحضور محمد على محمد ، أن الشيخ جاويش كتب له من الآستانة بأنه كتب لاسماعيل بك شرين سكرتير محمد سعيد باشا يطلب منه أن يسعى لدى الحكومة بأن تبيح له العودة لمصر على شرط أن لا يشتغل بالسياسة مطلقاً ، ويطلب من عبد الملك أن يقابل شرين ويرجوه فى هذا الأمر . ثم أرسل له أخا زوجته الفولى أفندى التلميذ الآن بمدرسة الطب بالآستانة يكلمه فى هذا الخصوص، فغضب عبد الملك ومحمد على محمد لذلك وكتب له جواباً يشرح له فيه أن هذه المساعى تسقطه فى أعين الحكومة وأعين الأهالى معاً فيما لو علمت، وأن لو أتى على مثل هذا الشرط فيفقد اسمه وشرفه ، والأحسن له أن يبقى فى الآستانة . ولكن يظهر أن هذه المساعى علمت، وطبعاً محمدسعيد باشا وذيوله هم الذين أشاعوها. ومن المؤكد الآن أن الشيخ جاويش فقد كثيراً من نفوذه لدى الشبيبة المصرية بسبب ضعفه وجبنه . وأخبرنى عبد الملك أفندى أيضاً بأنه سمع من الفولى والد زوجة الشيخ جاويش ، بأن الحكومة عرضت على الشيخ أن يوظف بوظيفة شرعية ككاتب للافتاء أو ما شاكل وأنه قبل، ولكن الانكليز عارضوا . وأكد عبد الملك أن إسماعيل شرين كان مع الشيخ بالوابور يوم سفره إلى الآستانة، وأنه اختلى به وأنه رأى ذلك بعينه، فهذا يؤكد لى ما بلغنى من أن شرين أعطاه خمسين جنيه مصرى من طرف سعيد باشا، وقال لى عبد الملك أنه سأل الشيخ عن هذه الزيارة، فقال أن سعيد أرسله إليه ليخبره بأنه

مستاء مما حصل له وأنه مستعد لمساعدته فشكره . أكد لى عبد الملك كذلك بأن شرين قابل الشيخ فى السجن أكثر من مرة (مرتين على الأقل ). كل هذا يؤيد أن القضية لم تحفظ مؤقتاً إلا بعد أن تعهد لهم الشيخ بأن لا يشتغل بسياسة مصر مطلقاً بالآستانة . ويؤيد هذا مكالمته معى بالآستانة فى فبراير سنة ١٩١٣ بأن الحكمة تقضى بتعديل اللهجة وعدم التعرض للخديو حتى لا يمنع جرناله ( الحق يعلو ) من دخول مصر ، ولقد منع كما منعت مجلة الهداية . ولقد سقط الرجل ولولا استخدام الاتحاديين له فى بعض المسائل الخاصة بالعرب وبمسائل التعليم ، لأصبح لاشيء ، وهذا نتيجة تذبذبه وضعفه . فلا حول ولا قوة إلا بالله .

٢ منه : أخبرنى اليوم محمد أفندى قاسم المهندس بمصلحة المساحة بالجيزة ، بأنه رأى بعينه أمين بك واصف مدير

(٤٨)

الجيزة يقبل يد مستشار الداخلية . فدهشت جداً لأن هذا المدير من الشبان المتعلمين الذى ما كان ينتظر منهم مثل هذه الدناءة . كذلك أخبرنى محمد أفندى قاسم المذكور بأن أحمد حلمى باشا ناظر المالية (١) وحشمت باشا ناظر المعارف امتنعا عن الجلوس أمام كتشنر فى نادى محمد على بمصر فى حفلة كانت أقيمت له ، فعجب الحاضرون من جبنهم وسخطوا عليهم .

**تقبيل مدير يد مفتش انكليزى ودناءة وزيرين**

المؤامرة المكذوبة وألاعيب صبيانية — فى الشهر الماضى سافرت من جنيف مع عبد الملك أفندى حمزة ، ومحمد أفندى على محمد ، ومحمد السادة قريبى ، والسيد منصور ، وكلاهما من طلبة العلم بباريس ، لحضور مؤتمر السلام فى مدينة لاهى عاصمة هولانده ، فوصلناها مساء الأحد ١٧ أغسطس . وفى يوم ١٩ منه كان أعضاء المؤتمر مدعوون لدى عمدة المدينة ، ونحن معهم إذ جاءنى أحد من تعرفت بهم من الهولانديين وأطلعنى على قطعة من جريدة هولاندية بها تلغراف من لوندره يقول فيه مرسله أنه اكتشفت مؤمراة باكسفورد بين الطلبة المصريين لقتل كتشنر باشا ، وان المكلف بالتنفيذ هرب وهو ممن لهم علاقة بمحمد فريد بك رئيس الحزب الثورى (كذا) . فدهشت للخبر ولوروده يوم الاجتماع ، وأخذت أراقب جرائد باريس ولوندره فى اليومين التاليين فلم أجد بها شيئاً ثم كذب الخبر . ويظهر لى أن هذا التلغراف مفتعل

**خبر مؤامرة ضد كتشنر بانكلترا**

---

(١) أنظر ما كتبه عنه محمد فريد على صفحة ٥٣ من هذه المذكرات .

أرسله أحد أعدائنا السياسيين بقصد تسوىء سمعتنا لدى أعضاء المؤتمر ، أو فى أمل أن ينالنا أذى من الحكومة الهولاندية ، ولكنهم لم يفلحوا فلم يهتم أحد بهذا الخبر مطلقاً (١) .

مشروع تأسيس نادى المدرسة الحقوق

٢ سبتمبر ، أخبرنى اليوم عبده أفندى البرقوقى وهو عائد من مصر فى هذين اليومين ، بأن الحكومة المصرية تنوى فتح نادى جديد خاص بطلبة مدرسة الحقوق ومتخرجيها ، يكون مكانه فى الجزء المخصص لسكن ناظر المدرسة فى بناء المدرسة نفسها . ويظهر أن نية الحكومة إضعاف نادى المدارس العليا أو قتله بإنشاء نواد خصوصية فى كل مدرسة عالية ، حتى لا يكون هناك مجتمع يضم جميع الطلبة وذلك بعد أن أعيتها الحيل فى قفل النادى الحالى بصورة لا تهيج الرأى العام عليها .

جمعية الأخوة الاسلامية بباريس

٣ سبتمبر ، اليوم يوافق ٢ شوال سنة ١٣٣١ وقد اجتمع بعض الطلبة المصريين ومعهم شباب من أتراك الروس بقهوة **Striffeler** للعشاء معا احتفالا بعيد الفطر ، ودعونى لأرأس حفلتهم فقبلت ، وكنا ١٤ نفسا كلنا مصريون إلا واحد فقط . وبعد إنتهاء الأكل خطب الدكتور منصور فهمى ، مرسل الجامعة المصرية والذى أتم دروسه ، وسيعود لمصر بعد شهر ليعين مدرسا بالجامعة المذكورة ، خطبة وطنية إسلامية كان لها وقع حسن ، ثم تكلمت بما ناسب المقام . وأخيرا تكلم محمود بك نصير من أعيان المنصورة ( وهو شاب وطنى فى نحو الثلاثين من عمره ) بما أملاه عليه اخلاصه نحو وطنه وبلاده . وقبل الانصراف قررنا أرسال تلغراف إلى سفير الدولة بباريس ، نهنئه بالعيد ونطلب منه ارسال تهانينا إلى جلالة الخليفة الأعظم .

قضية عبد الحليم المصرى

٥ منه ، من الأخبار التى وردت فى جرائد مصر متأخرة ، الحكم بالحبس ثلاثة شهور على عبد الحليم أفندى حلمى المصرى غيابيا ، لأنه نشر فى جريدة الأهرام قصيدة خيالية يصف بها بخل ابن الخصيب والى مصر أيام العباسيين ويذم فيها شاعره ، فرأت الحكومة أن الوصف القبيح ينطبق على الخديو وشاعره أحمد بك شوقى (٢) .

---

(١) هذا الخبر مكرر . أنظر ص ٢٦ من هذه المذكرات .

(٢) نشرت جريدة الأهرام فى ١٢ يونيه ١٩١٣ قصيدة للشاعر عبد الحليم حلمى المصري بعنوان « جائزة شاعر خمسين ألف دينار » . تعرض الشاعر فيها للعلاقة بين « الخصيب » والى مصر أيام العباسيين و لشاعر ابن هانىء المعروف « بأبى نواس » وذلك فى الأبيات من البيت رقم ٣١ وأوله :

« ما للخصيب يغالى بابن هانئه    ما أعرف المين الا فى المغـالاة »    ( المين : الكذب )

الى البيت رقم ٦٣ وأوله :

« واهنأ بمصر ومن فيها فقد رغبت    عنك النفوس التى طيلت بأبيات »

=

ورفعت الدعوى العمومية عليه ، ورغما من أن المحامي عنه قدم شهادات طبية تفيد أنه مريض باسكندرية ، حكمت عليه المحكمة هذا الحكم تحت رئاسة ( الجزار ) مجدى باشا . وقد عارض المحكوم عليه وستنظر قضيته ثانيا فى ٢٠ سبتمبر تحت رئاسة عزيز باشا كحيل الشامى المسيحى .

احمد فهمى العمروسى

قابلت أحمد فهمى العمروسى الذى عين مراقبا للطلبة المصريين الذى يتعلمون على نفقة أهلهم بفرنسا ، فلمته على قبوله هذه الوظيفة التى أساسها الجاسوسية على سير الطلبة من الوجهة السياسية ليس إلا ، مع أنه كان ناظرا للمدرسة التجارية العليا بمصر ، فاعتذر بأنه موظف لا يمكنه رفض ما تعينه فيه الحكومة ، ثم دافع قائلا انه لا يتجسس ولا يقبل أن يكون جاسوسا وسنرى عمله فيما بعد فنحكم عليه بما يستحق . ووعدنى بالمقابلة للتكلم فى هذا الموضوع وغيره .

احتجاج الطلبة على القانون النظامى الجديد

نشرت جرائد مصر الصادرة فى ٢١ أغسطس الماضى صورة احتجاج لفيف من طلبة أوروبا بجنيف ولوندره وليون على قانون الجمعية التشريعية الجديد(١) ولم تعلق شيئاً . أطالت هذه الجرائد فى مسألة المؤامرة الوهمية ضد كتشنر واتهمتنى بعضها وبالأخص ( البورص ) بأنى أبث روح الثورة بين الطلبة وذلك رغما من تكذيب الخبر رسمياً .

---

= وقد رأت السلطات المصرية أن هذه الابيات يشتم منها التعريض بذات الخديو الذى يشير الناظم اليه بالخصيب ، وان كل ما جاء عن الخصيب من الانهماك فى ملذات الحياة الدنيا والانصراف عن الزكاة والاهتمام بجمع الجبايات والتشبه بفرعون في دعوى الألوهية ، قصد به الخديو الذى يكثر من الاحتفاء بالشاعر أحمد شوقى وتكريمه كما كان الخصيب يجزل العطاء لشاعره أبى نواس . ولما كان صاحب القصيدة موظفا بديوان وزارة الأوقاف ، فقد قام ابراهيم باشا نجيب وزير الأوقاف آنذاك (انظر ترجمته بهذه المذكرات ص ص ٦٠ ، ٦٣) بالتحقيق معه اداريا « على تعديه حدود الأدب فيما كتب » . كما قام عبد الخالق ثروت باشا النائب العمومى آنذاك بالتحقيق معه جنائيا . وقد حكمت عليه المحكمة غيابيا فى ١٦ اغسطس سنة ١٩١٣ بالحبس لمدة ثلاثة شهور ( المحروسة ٢٠ يوليه ، ١٨ اغسطس سنة ١٩١٣ ) .

(١) رأى هؤلاء الطلبة فى التعديل الذى أدخل على القانون النظامى للجمعية التشريعية ، أنه يحرم النواب من مناقشة الأمور الحيوية مثل الميزانية ومخصصات الخديوى وعلاقات مصر الخارجية ، فى وقت كانت المناقشات تدور فيه حول اعطاء تسهيلات للأسطول الانجليزى فى ميناء الاسكندرية ، وحول الامتيازات الأجنبية واتفاقية السودان .. الخ . كما احتج الطلبة أيضا على قصر عضوية الجمعية على من هم فوق سن الخامسة والثلاثين ورأوا فى ذلك التحديد « اخلاء المجلس من الروح الحماسية التى تكون عادة عند من هم دون هذا السن » .

( نص الاحتجاج منشور بجريدة « الجريدة » عدد ١٩ اغسطس ١٩١٣ ، والطلبة المشار اليهم هم طلاب العلم بانجلترا وفرنسا وبلجيكا . كما نشر بهذه الجريدة أيضا احتجاج مماثل لطلبة جنيف ؛ بعددها الصادر فى ٢ اغسطس ١٩١٣ ) .

وفد جديد لبرقة

من أهم أخبار مصر التى رأيتها اليوم (٧ سبتمبر) فى الشعب الصادر فى ٢٩ الماضى ، خبر إرسال وفد من بعض علماء مصر وخلفاء السنوسية و بعض أقارب الإدريسى إلى السيد أحمد الشريف السنوسى لحضه على التسليم لايطاليا ، وهذا الوفد موفد بايعاز الخديو وبناء على نصائحه وقد كتبت بطلب التفصيل .

جمعية سرية بالفيوم

١١ سبتمبر ، فى مساء اليوم أطلعت فى جريدة الطان على خبر من مصر يقول بأنه ضبط بعض الوطنيين فى الفيوم بتهمة تشكيل جمعية سرية بقصد استعمال الارهاب ، لكن لم يبين إذا كان الارهاب سياسى أو بقصد السرقة والقتل كما هو الحال فى العصابات المسلحة ، وسننتظر التفصيل فى جرائد مصر

طلب روشبرون التوسط فى الصلح

١٢ منه ، الليلة قال لى عزت بك شكرى (١) أن الخديو أخبره عند مقابلته فى العام الماضى فى أكتوبر أو نوفمبر ، أن مدام روشبرون كتبت له و ليوسف باشا صديق تعرض عليهما أن تتوسط لدى فى الصلح مع الخديو ، ولكنه أمر يوسف باشا بعدم الرد عليها بهذا الخصوص . وهذه السيدة تنقد عشرين جنيه تركى شهرياً للتجسس علىّ وافادتهم بأخبارى ولكنها أخبرتنى بجلية الأمر ، وهى الآن تنقل لى أخبارهم كما تنقل لهم ماتقف عليه من أخبارى .

تورنايزن باشا

أخبرنى الليلة تورنيزن باشا أحد رجال الخديو وقد قابلنى بقهوة ( فوكيه ) ، بأن الخديو سافر إلى أراضيه بالأناطول (٢) فى ٦ الجارى أى بعد عيد الفطر ، وأنه سيمر بالآستانه ثم يحضر إلى هنا ( باريس ) فى آخر الشهر . أما هذا الباشا ، فهو مجرى الأصل أيضاً وموظف بالمعية منذ عهد إسماعيل باشا وأهم أعماله (القيادة) (٣) أى التعريص

(٥٠)

وفاة الدكتور لبيب محرم ببرلين

١٣ سبتمبر ، قرأت اليوم فى جرائد الآستانة تلغرافا من برلين يخبر أن الدكتور محمود لبيب محرم انتحر لأسباب مجهولة (٤) . هذا الدكتور مصرى ومن مؤسسى الحزب الوطنى ، اشتغل معنا فى السياسة من ١٨٩٥ (٥) يوم لم تكن إلا ثلاثة متحالفين : مصطفى كامل وهذا الدكتور وأنا ، ثم هجر مصر وأقام فى ميونيخ بألمانيا بسبب ضعف

---

(١) انظر ترجمة محمد فريد له على صفحة ٤١ من هذه المذكرات .

(٢) الأناطول Anatolic هو النطق الفرنسى للاناضول .

(٣) المقصود بالقيادة هنا : القوادة .

(٤) انتحر محمود لبيب يوم ٤ سبتمبر ١٩١٣ .

(٥) يذكر الرافعى استنادا لمقالة كتبها محمد فريد ( لم يذكر مكان نشرها ) فى عام ١٩١٣ ان كلا من مصطفى كامل ومحمد فريد التقيا بمحمود لبيب عقب عودته من ألمانيا فى ١٨٩٦ ( الرافعى ، محمد فريد ص ١٦٨ ) .

فى قواه العقلية لا يوافقه حر مصر ، وتزوج هناك بسيدة فى غاية الأدب والاستقامة. وقد أشترك معنا فى مؤتمر الحزب الوطنى سنة ١٩١٠ ، وحضر لباريس مع بعض الألمانيين من مجلس النواب وغيرهم ورافقنا إلى بروكسل لما منعت فرنسا إنعقاد المؤتمر بأرض فرنسا. وزرته فى أواخر سنة ١٩١٠ ببرلين وبواسطته وواسطة أصحابه دعيت لألقاء خطبة فى نادى المستعمرات فى حفلة خطب فيها صديقنا الدكتور Weigelt وهو أيضاً ، وخطبت فيها ضد الاحتلال . وتكلمت عن هذا الإجتماع جميع جرائد ألمانيا الكبرى . وفى أول أكتوبر سنة ١٩١٢ زرته فى برلين أيضا فوجدته قواه العقلية غير منتظمة ثم زادت حالته. وفى ٤ منه، أخذته زوجته إلى أحدى الملاجىء. وفى هذه السنة كتب Weigelt مرارا بأن حالته لم تتحسن فهو انتحر حينئذ بسبب جنونه رحمه الله. وهذا الداء وراثى فى عائلته لأن والدته (شركسية الأصل) توفيت مجنونة ، وله أخ اسمه إبراهيم أصيب كذلك ببعض نوب (١) عصبية من هذا القبيل . وموته خسارة كبيرة ، لأنه كان يمثل الحركة الوطنية المصرية فى برلين ويهتم بالشبان المصريين بها ويساعدهم ويقدم لهم الخدم (٢) الجمة والمساعدات .

تعهد الشيخ جاويش بالسكوت

٢٢ منه ، اليوم وصلنى جواب من روشبرون تخبرنى فيه بأنها قابلت يوسف باشا صديق وأنه أكد لها بأن الشيخ جاويش تعهد لهم بالسكوت أى بأنه لايتكلم فى مسألة مصر ولا يطعن على الانكليز ولا على الخديو بل يترك السياسة المصرية كلية وهذا يؤيد ما كتبته عنه سابقا .

زيارتى لاقليم تورين بفرنسا

سافرت يوم ٢٢ إلى جهة تورين Touraine (٣) عند عائلة Gallet بجهة اسمها La Hte Birden وأقمت عندهم خمسة أيام قضيتها بالكيفية الآتية : يوم ٢٢ بعد الظهر فسحة بالأوتوموبيل إلى مدينة Amboise التى سجن بها بقصرها عبد القادر الجزائرى مع عائلته بضع سنوات ، وعملت أبحاث عمن مات بها من أهله وعشيرته؛ ولكن لم أجد أثراً لقبورهم إذ لم تقام أى علامة على مدافنهم ، ولكن وجدت أسماؤهم فى سجل المدينة سنة ١٨٤٩ وسأكتب عنها رسالة للشعب . يوم ٢٣ ، زرت مدينة Blois وهى على بعد عشرين كيلو مترا . وبعد الظهر عدت ثانيا إلى Amboise لزيارة الكهوف التى يخزن فيها النبيذ ، وسأفصل ذلك

---

(١) المقصود بكلمة نوب : نوبات Fits
(٢) المقصود بكلمة الخدم هنا : الخدمات .
(٣) مقاطعة قديمة كانت تقع فى غرب فرنسا ، عاصمتها تور Tours

فى مقالاتى للشعب . يوم ٢٤ ذهبنا إلى مدينة Tours فزرت كنيستها ومتحفها وفى ٢٥ زرت قصر Villamry وهو يبعد عن مسكن العائلة بنحو ستين كيلو مترا وكل ذلك بالأوتوموبيل .

(٥١)

سفر الخديو للوندره

عدت لباريس فى مساء ٢٧ منه ، فوجدت جواباً من الآستانة يفيد أن الشيخ عبد العزيز لا يخفى سياسته الجديدة بل يعلن أنها سياسة اعتدال ، وأنه ملازم دائماً لسعيد بك الشيمى رئيس جواسيس المعية ، وأنه سافر مراراً إلى قصر بباك أثناء وجود الخديو ولا يبعد أنه قابل الخديو فالرجل تحول جبناً وهلعاً .

تحول الشيخ جاويش بالمرة

ما زالت جرائد مصر تنكر أن الخديو سافر إلى إنكلترا فى الصيف، ولا أدرى لهذا الإنكار من سبب ، فإن مصطفى أفندى الجوربجى المحامى بطنطا قابلنى بجنيف فى ١٥ اغسطس عائدا من إنكلترا ، وأخبرنى أنه رأى الخديو على الباخرة التى سافر عليها هو وأحد أصدقائه (وأظنه مصطفى بك النحاس القاضى ) من فرنسا إلى دوفر وكان معه يوسف باشا صديق . وأن يوسف باشا كلمهما لما سمعهما يتكلمان بالعربية وسألهما عن أسمائهما إلى غير ذلك فلا شك أن الخديو سافر إذن إلى انكلترا .

ولد ليوسف باشا صديق من الزنا

٣٠ سبتمبر ، علمت أمس بطريقة غريبة أن يوسف صديق له ولد من الزنا يتربى فى مدينة الهافر Le Havre وقد رأيت هذا الغلام ، وهو يبلغ الحادية عشرة وتظهر على ملامحه سيما المصريين ، وسألته عن إسمه فقال صديق وهو لا يعرف كلمة من العربية . عندها قالت لى فهيمة هانم زوجة محمود مسعود بك وبنت مصطفى باشا صديق أخ يوسف باشا (وكانت مع أولادها فى لوكاندة ستار 63, rue Galilée ) أنه غلام يتيم تبناه عمها يوسف ولكنها كانت تتلعثم وظهرت عليها امارات الخجل لأنها قالت لى فى مبدأ الأمر عند سؤالى منها عن هذا الغلام (إنى لا أعرف أباه)، فقلت لها عجبا انه كله مصرى تقريبا مادام يكون من الطبقة الوسطى أو العالية (١) .

أول أكتوبر ، وصلنى اليوم جواب من روشبرون تقول فيه أنها قابلت يوسف صديق والخديو ووعدت بإرسال التفصيلات فى جواب آت .

---

(١) لعله يقصد بهذه الجملة : انه مصرى من الطبقة الوسطى أو العالية .

وصلني جواب من مصر به أسماء الوفد الذى أرسل لمقابلة السنوسي ونصحه بالاتفاق مع إيطاليا وهم: الدكتور عزت الجندى السورى الذى كان ضمن بعثة الهلال الأحمر، والشيخ محمد الطوخى الذى كان قاضيا شرعيا، واثنين من عائلة الإدريسى القديمين بجرجا ، وأن السنوسى رفض مقابلة الوفد لعلمه أنه مؤلف من خونة أرسلهم الخديو خدمة لإيطاليا . وبهذه المناسبة أقول بأنى لما كنت بالآستانة فى مارث الماضى قابلت وفد السنوسى الذى كان نازلا بطوب قبو وأوقفت أعضائه على دسائس الخديو هناك مع الإنكليز والطليان، وأعطيتهم أسماء من أرسلوا قبل ذلك التاريخ للشيخ السنوسى وحذرتهم من دسائسه .

دسائس الخديو بجهة ن غازى

(٥٢)

٤ أكتوبر ، سمعت من إبراهيم نور الدين الذى كان أرسل هنا للتمرين على أعمال البوليس السرى ، أن عثمان باشا غالب أصبح من رجال البوليس الرسميين ، وأن بوسطة بدر الدين بك والتلغرافات التى ترسل إليه أثناء وجوده هنا تأتية بعنوان هذا الباشا الجاسوس . سمعت كذلك بضرب محمد عرفى باشا لمحمد بدر الدين المذكور بباريس لأنه وجده بالتياترو مع امرأته زهرة هانم وتابعة لها اسمها الست نفيسة وهى على ما بلغنى أخت زوجة يحيى بك صديق القاضى ببور سعيد الآن وأن بدر الدين كان له بها علاقات بحلوان من بضع سنين . وصل خبر المشاجرة للبوليس الفرنسى فصرفها وصالح الطرفين منعا للفضيحة . وعرفى هذا هو ابن عرفى باشا الذى كان محافظا للإسكندرية واشتغل هو بالبوليس بصفة ملاحظ ثم ترك الخدمة وتزوج هذه الأميرة، وهى من بنات مصطفى فاضل باشا وبالتالى أخت نظلة هانم (١) المشهورة بعداوتها للمصريين . وأخذ يسرف ويبذر وهو الآن من أعوان الخديو وجاسوس له ويعيش من المقامرة بصفة جالب للاعبين من أغنياء المصريين وله مرتب على ذلك ، ومنفصل عن زوجته يعيش كل منهما فى جهة بباريس . وبينهما قضايا أمام المحاكم الفرنساوية .

محمد عرفى باشا مشاجرته مع بدر الدين بباريس

سمعت من زيور باشا (٢) محافظ اسكندرية ، أن أحمد باشا عفيفى (٣) وكيل زوجة شواربى الغنى الكبير الذى مات قريبا ، وجد ضمن أوراق المتوفى سندين على : أحمد باشا

(١) من المؤكد أن محمد فريد يقصد الأميرة نازلى ابنة الأمير مصطفى بهجت فاضل باشا أخ الخديو اسماعيل ( ١٨٥٣ ـ ١٩١٣ ) ومما يؤكد أنها المعنية أنها أدلت بآراء معادية للمصريين لرجال الصحافة ( أنظر ترجمة محمد فريد لها على ص ٦٦ من هذه المذكرات وتهميشتنا لهذه الصفحة ) .

(٢) هو أحمد زيور باشا الذى أوردنا ترجمة له على هامش صفحة ٣٠٣ من هذه المذكرات .

(٣) أنظر ما كتبه عنه محمد فريد على صفحة ٥٦ من هذه المذكرات .

فتحى زغلول أحدهما بألف ومايتين جنيه والثانى بأربعماية مقسطين على أقساط شهرية كل منها بخمسة وعشرين فقط بلا فائدة ، وأن فتحى باشا أراد إتلافهما وعدم درجهما فى المطلوب للشواربى أى أراد سرقة السندات لضياع المبلغ فلم يوافقه ، فكان فتحى باشا مقابل هذه الخدمة يساعد الشواربى كثيراً فى أعماله ، فهكذا الموظفون الأمناء !!

فتحى باشا : اسمه فى الأصل فتح الله صبرى وكان تلميذاً بالمدارس التجهيزية إبان الثورة العرابية ، وكان من الخطباء الذين يحضون على الثورة مع المرحوم عبد الله نديم (١) ، ولما دخل الإنكليز مصر ، وعين المرحوم أحمد خيرى باشا الكبير ناظرا للمعارف (٢) ، رفت فتح الله صبرى من المدارس بسبب اشتراكه فى الثورة . ولكن خيرى كان يحبه لنباهته وفصاحته فأراد مساعدته على إتمام دراسته فنصح إليه بتغيير اسمه حتى يتسنى إدخاله المدرسة ثانياً كأنه طالب جديد غير فتح الله المرفوت ، فتسمى أحمد فتحى ودخل مدرسة الألسن وكنت بها مع الدكتور صادق رمضان . وفى سنة ١٨٨٣ أرسل إلى أوروبا لدرس الحقوق فدرسها وعاد فى سنة ١٨٨٧ ووظف فى قلم قضايا الحكومة . وفى سنة ١٨٨٩ لما أنشئت المحاكم الأهلية بالوقف عين بها ، وترقى إلى أن صار رئيس محكمة مصر . واشتهر عنه الإرتشاء وسوء السلوك والإنهماك فى القمار ، ولذلك منع وحرم من الترقى مدة ، وكانت النية معقودة على رفته إلا أنه عين قاضيا فى محكمة دنشواى فى يونية سنة ١٩٠٦ ، ووافق الإنكليز على حكمهم القاسى المشهور ، فقام الرأى العام ضده ورماه بالخيانة ، فعضده الإنكليز وعينوه وكيلا لنظارة الحقانية ، ولم يزل بها للآن وينتظر له الترقى فى ظل أعداء البلاد (٣) .

---

(١) هو عبد الله النديم الذى ولد فى سنة ١٨٤٥ بالاسكندرية ، أرسله أبوه الى الكتاب ثم الى مدرسة جامع الشيخ ابراهيم باشا ( الجامع الأنور ) ولم ينتظم فى دراسته ، فقد كان الأدب يستحوذ على مشاعره ، فاخذ يكتب ويشعر ويزجل ، ولم تكن هذه الفنون وقتئذ مهنة يكتسب منها صاحبها ، فاضطر أن يعمل « تلغرافيا » فى بنها ، وفى القاهرة فيما بعد • اتصل بأديب اسحق وسليم نقاش وكتب فى صحيفتهما « مصر والتجارة » ثم حرر جريدة « الطائف » وكانت صحيفة تحمل على المساوىء الاجتماعية كالمواخير والحانات والمراقص التى غزت القاهرة فى ظل الامتيازات الأجنبية ، وكثيرا ما نشر المقالات الرائعة فى جريدتى « المحروسة » و « العصر الجديد » اللتين كان يصدرهما سليم نقاش • واصدر صحيفة أدبية هزلية اسمها « التنكيت والتبكيت » فى ٦ يونيو سنة ١٨٨١ كانت فى مجموعها مقالات اجتماعية عن الحياة فى مصر • كما أصدر صحيفة « الأستاذ » فى ٢٣ اغسطس سنة ١٨٩٢ وهى صحيفة علمية تهذيبية فكاهية • وتوفى فى أواخر عام ١٨٩٦ • ( لمزيد من التفاصيل أنظر : د• ابراهيم عبده : أعلام الصحافة العربية ، ص ص ١٢٥ ـ ١٣٠ ، وتطور الصحافة المصرية وأثرها فى النهضتين الفكرية والاجتماعية ص ص ١٢٦ ـ ١٢٨ و ص ١٥٤ ) •

(٢) شغل هذا المنصب فى المدة من ١٨٨٢/٧/٢٨ الى ١٨٨٣/٥/٢٣ فى نظارة محمد شريف باشا الرابعة •

(٣) وقد ظل فى هذا المنصب حتى توفى سنة ١٩١٤ ، ومن أشهر آثاره : ترجمته لكتب : =

سمعت نقلا عن والده الدكتور مياس الإسرائيلي الموظف الآن فى استبالية الرمد الكبرى أنها أتت من مصر مع حشمت باشا ناظر المعارف فى باخرة واحدة، وأنها حادثته فى المسائل المصرية ، وبالحملة فى سفر الطلبة لأوربا . فقال لها أن المصرى لا يفلح ولا يفيده التعليم بل هو حمار وسيظل حماراً ، وضرب لها مثلا قائلا ( إذا أرسلت حمار إلى أوروبا عشرين عاما ثم عاد لمصر فهل تتغير طبيعته أو يعود حماراً ؟ هكذا المصرى ) تاريخه : حشمت باشا كان فى القضاء ثم انتقل للإدارة ، وكان مديرا للدقهلية ثم رفت لسوء سلوكه واحيل على المعاش ، ثم تزوج بفاطمة هانم ابنة معجون بك وكانت مشهورة بسوء السلوك هى أيضاً ولكنها صاحبة مال . وهو من أصدقاء الشيخ على يوسف صاحب المؤيد ، فساعده لدى الخديو فدخل الوزارة وعين ناظرا للمالية ثم للمعارف . وهو إنكليزى محض جبان يرتكب كل دنيئة إرضاء لهم ، وله قصة مشهورة فى هذا الباب وهى أنه « لما كان مديرا لأسيوط أقام حفلة رقص لمفتش الداخلية المدعو برش بك وأحضر له راقصات من الفواحش ، وكان منزله بجوار رئيس المحكمة الأهلية إذ ذاك أحمد بك حلمى ( أحمد حلمى باشا الآن وناظر المالية ) فاحتج عليه حلمى بك وأرسل له قائلا بعدم جواز احضار الفواحش وسط بيوت الأحرار والأعيان وطلب منه تسريحهن حالا والا يخطر النيابة لإتخاذ الطرق القانونية، فخاف حشمت وانفضت الحفلة . الا أن حلمى هذا أصبح الآن أطوع للإنكليز من حشمت ( إن أمكن ) (٣)

أحمد حشمت باشا تاريخه وعبارة منقولة عنه

فى يوم ٩ أكتوبر ، سافرت صباحا من باريس إلى جنيف . وهناك فى اليوم التالى أى مساء ١٠ منه ، حضرت روشبرون موفده من قبل الخديو لمقابلتى والاتفاق معى على

---

(*) « أصول الشرائع » للفيلسوف الانجليزى بنتام ، و « الاسلام » لهنرى دى كاسترى ، « سر تقدم الانجليز السكسونيين » لديمولين الفرنسى ، « سر الاجتماع » و « سر تطور الأمم » لجوستاف لوبون .

( الموسوعة الميسرة ، ص ص ٦ ، ٦٢ ) .

(١) فى الاسبوع الأول من شهر يناير سنة ١٨٩٧ أنعم بعدة رتب ونياشين بناء على طلب مجلس النظار ، الذى لم يراع العدل فى طلبها بل كانت طلباته خبط عشواء ، وكانت أهم هذه الرتب رتبة باشا ميرميران التى أنعم بها على « أحمد حشمت » مدير أسيوط وأحمد خيرى مدير البحيرة ( محمد فريد : مخطوطة تاريخ مصر من ابتداء سنة ١٨٩١ مسيحية ، ص ص ١٢٥ ، ١٢٦ ) .

(٢) رقى أحمد حلمى باشا من مدير للمنوفية الى ناظر للمالية بدلا من يوسف سابا باشا الذى أحيل الى الاستيداع ، وقد تولى هذا المنصب فى الفترة من ١٥ أبريل سنة ١٩١٢ الى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩١٣ ، فى وزارة محمد سعيد باشا الأولى ( النظارات والوزارات المصرية : ج١ ص ص ١٧٤ ، ٥٤١ و ٥٦٠ ) .

(٣) المقصود : ان صح هذا التعبير .

تكليف الخديو لـ(م) روشبرون بأن تكون واسطة الصلح معى وبعض هذه المساعى

الصلح ، وكانت كتبت بذلك من قبل وبأنها قابلت الخديو فى جبوفلى ( بوسفور ) وأظهر لها أسفه مما حصل ، وأخبرها بأنه يريد أن تكون هى واسطة الصلح ، وأعطاها فعلا مصاريف السفر وأتت ، فاجبتها بأنى مستعد للصلح على شرط أن تكون المخابرة بينى وبينه مباشرة بلا وسيط وبدون حضور أحد أياً كان . استعلمت من محل المسيو هكسيدس وكيله بجنيف فأخبرها أن الخديو بلوزان ، فأرسلت إليه تلغرافا يخبره بما حصل، ثم يوم الاحد ١٢ أخبرها هكسيدس بالتلفون بأن تلغرافها وصل الخديو ، ولكنه سيسافر غدا إلى الآستانة ، ويطلب ( هاكسيدس ) مقابلتها فى الغد (١٣) ليبلغها أوامر الخديو — يظهر لى أنها أعوبة من الألاعيب السابقة ، وأن الرجل لايريد الاتفاق حقيقة ، فإن حصل (١) مثل ذلك فى مصر عقب عيد الفطر إذ قابل توفيق بك زاهر الإخوان بمصر وأخبرهم بما دار بينى وبينه من الحديث هنا فى شهر أغسطس فأخبروه بأنهم مستعدون على شرط أن يكون الكلام بينه وبين أحد الإخوان ، وعينوا الدكتور رمضان لهذه المأمورية فكتب توفيق بك له بذلك ولكنه أى الخديو سافر إلى الآستانه بدون جواب

(٥٤)

ثم أتى الآستانة ولعب هذا الدور الجديد ولا أدرى ماذا يريد من ذلك .

اطلع حسن شافعى الطالب بباريس على ورقة رسمية تفيد أن حسين حيدر بن على بك حيدر طبيب العيون بمصر المسافر إلى أوكسفورد بإنكلترا من البوليس السرى فأخبر إخوانه وكتبوا للجامعة بأكسفورد بذلك .

١٤ أكتوبر ، قابلت توفيق بك زاهر وقد حضر لإدخال ولده المدرسة ، فلم أخبره بهذه المخابرات الجديدة التى لم تأت بفائدة ، وأخبرنى هو بما حصل بمصر وكتب لى عنه محمود بك فهمى فى وقته ، فقلت له إن كان الخديو يريد الإتفاق حقيقة فلابد من أن تكون المخابرة بين الخديو مباشرة وبين أحد أعضاء اللجنة أو معى مباشرة ، وبما أن الخديو قد عاد للآستانة فلا مندوحة من أن يكون الوسيط عضو من اللجنة بمصر ، وإذا كان الخديو لا يريد أن يقابل الدكتور رمضان فيمكن انتداب خلافه من اللجنة .

فى هذا اليوم قابلت محمد بك أمين بهجت مراقب الطلبة . بسويسرا وإيطاليا وألمانيا وبلجيكا ومركزه جنيف ، فلم أكلمه فى موضوع مأموريته التى أساسها التجسس .

روشبرون قابلت هاكسيدس فأخبرها أن الخديو سافر وأنه سيرسل لها بالأوامر اللازمة من مصر ، فحضرت هى إلى باريس لمقابلة يوسف صديق ، وأنا حضرت باريس (٢) كذلك فى صباح يوم الجمعة ٢٥ ، لأقيم بها فصل الشتاء كله أو بعضه ،

(١) هكذا وردت بالأصل ، ولعله كان يقصد : فانه قد حصل .

(٢) هكذا وردت بالأصل ولو أضيفت ( الى ) قبل ( باريس ) لاستقام المعنى .

**عدت الى باريس صباح الجمعة ٢٤ اكتوبر (١) بنية الاقامة بها طول الشتاء**

وقابلت روشبرون فقالت لى أنها قابلت يوسف صديق، وأنه أخبرها بأن الخديو خشى جواسيس الإنكليز الذين علموا بأنه يريد الصلح معنا ، وعلى ذلك سافر إلى الآستانة بدون أن يدخل جنيف حتى لا يتهم بمقابلتى .

يوم السبت ٢٦ منه ، قابلت الست فكتوريا مطران السورية صديقة لجنة الإتحاد والترقى التى نكلفها ببعض المأموريات السياسية . فعلمت منها أنها سافرت للآستانة أثناء غيابى بجنيف ، وأنها قابلت طلعت بك وإخوانه الذين أطنبوا فى مدحى واطروا إخلاصى ، ثم سألتها عن سبب احتفاء اللجنة بالخديو هذا الإحتفال الكبير بعد ما علموه من دسائسه ضدهم ، فاخبرتنى أن سبب ذلك عبد العزيز على المصرى (٢) الذى كان ببنى غازى ودرنه مع أنور بك وحصل بينهما خلاف، وأخيراً عاد للاستانة عن طريق مصر ، واتهمته بعض الجرائد بأنه انقلب على السنوسى بسبب دسائس الطليان بواسطة الخديو ، كما اتهمته (واتهمه أنا ) بالاشتغال مع الخديو فى مسألة الخلافة العربية . هذا الرجل أفهم اللجنة بأنه من الضرورى الإحتفاء بالخديو لأنه خدم الدولة فى حرب طرابلس وحرب البلقان فانخدعت اللجنة برأيه وعملت به : ولكن أعضائها ما زالوا لا يثقون بالخديو ويعتبرونه خائنا ولكنهم يداهنونه سياسة .

**مقابلة الاتحاديين للخديو بالاستانة سببها**

**البرنس محمد على ودسائس اخيه**

زرت السيدة مطران مرة أخرى وكان عندها أخواها رشيد بك وندرة بك، فدار الحديث على أيام عبد الحميد ورجاله ، واشتغال الخديو عباس بالمسألة العربية. فأخبرنى رشيد بك بأن البرنس محمد على ، شقيق عباس يساعده أخاه فى هذه

**(٥٥)**

المساعى وأنه تكلم بشأنها كثيرا عندما زار الشام والولايات المتحدة حيث كانت كل أحاديثه دائرة حول هذه النقطة ، فاستغربت الأمر لأنى كنت اعتقد لتلك اللحظة أن محمد على بعيد عن السياسة كل بعد، على أنى أعلم منه الإنصياع لأوامر أخيه عباس ولا بد أن تكون كلفه فى هذه المأمورية الفسادية فتبا لها من عائلة مخربة . كذلك أخبرنى ندره مطران ببعض تفصيلات عن مشروع الشيخ رشيد رضا (٣) ومساعيه

---

(١) صحة التاريخ هو : الجمعة ٢٥ اكتوبر ، ويلاحظ انه كتب كلمة ( عدت ) ولا شك انه يقصد ( عودتى ) .

(٢) أنظر ترجمة محمد فريد له على صفحة ٤٣ من هذه المذكرات .

(٣) ولد فى سنة ١٨٦٥ فى القلامون بطرابلس الشام ورحل الى مصر سنة ١٨٩٧ واتصل بالامام الشيخ محمد عبده وتتلمذ له . أصدر مجلة المنار لبث آرائه فى الاصلاح الدينى والاجتماعى . عاد الى دمشق فى أعقاب اعلان الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨ واضطر الى العودة الى مصر لينشىء مدرسة الدعوة والارشاد ، وفى أيام حكم الملك فيصل قصد سوريا وانتخب رئيسا للمؤتمر السورى وغادرها على اثر دخول الفرنسيين اليها سنة ١٩٢٠ فاقام فى مصر ، ثم رحل الى الهند والحجاز واوربا ، وعاد =

الشيخ رشيد رضا جاسوس انكليزى

ـ لما كان بالآستانة عقب إعلان الدستور وسعيه فى إنشاء مدرسة لتعليم وعاظ ومرسلين مسلمين لجميع الجهات ، ونتيجة هذه البيانات أن المشروع إنكليزى كما خشينا من أول الأمر وأنه هو (أى ندرة مطران) قدم الشيخ رشيد لرجل من كبار الإنكليز بالآستانة ، وقدمه لسفير إنكلترا ، وأن هذا السفير زود الشيخ رشيد بجوابات للوكالة البريطانية بمصر ليساعدوه على تنفيذ مشروعه بها حيث أن مساعى الشيخ رشيد بالآستانة لم تفلح ، لأن حكومة الإتحاديين طلبت إذ ذاك أن تكون المدرسة تحت مراقبة شيخ الإسلام ، فرفض رشيد لأن هذه الرقابة تحول دون الدسائس الإنكليزية .

روشبرون ودسائس فرنسا فى الشام

قابلت روشبرون يوم الأحد ٩ نوفمبر فأخبرتنى بأنها قابلت شخصاً اسمه المسيو Dubosc ودار الحديث بينها وبينه على مسائل الدولة ، فعلمت منه أثناء الحديث أن فرنسا تسعى جهدها فى استمالة كثير من الشوام لمساعدتها ، وأن الروسية تبذل جهدها كذلك فى بلاد أرمينيا وأنه ينتظر حدوث ثورات بولايات أرمينية فى الربيع القادم، وأنه هو سافر مراراً إلى الشام لهذه الغاية ، وأنه يريد أن يجعل بينها وبين خارجية فرنسا علاقة لتوافيها بالأخبار وربما تعينها بمأمورية فى جهة أرمينيا لمساعدة الروسيا ، أى أنها ستكون جاسوسة هناك، ولا غرابة فى ذلك فإنى توسمت فيها ذلك من مدة ، بسبب سعيها فى التقرب من رجال الإتحاد والترقى والتعرف بالضباط وبالأخص ضباط أركان حرب وسألاحظ ذلك من الآن .

جمعية الاخوة الاسلامية بباريس والاحتفال بعيد الأضحى

وافق يوم الأحد ٩ نوفمبر ١٠ ذى الحجة سنة ١٣٣١ أى عيد الأضحى وكنت سعيت من نحو أسبوعين لعمل وليمة فى هذا اليوم تجمع الكثير من المسلمين المختلفى الأجناس احتفالا بالعيد ، ودعيت إليها بعض الافرنج المشتغلين بالإسلام فاجتمع نحو خمسين طالباً أغلبهم مصريين وبينهم بعض الأتراك والفرس وحضرها المسيو Alfred Durand (١) و Gervais Courtellemont (٢) وبعض مكاتبى الصحف. وبعد الأكل خطبت فى ضرورة تشكيل جمعية خيرية إسلامية وخطب الأخوان الأخيران فى تضامن الإسلام وتضافرهم (٣) وفى الختام أخذت صورنا جميعاً وقبل الإنفصال تكلمت ثانياً

---

= ليستقر فى القاهرة وتوفى بها فى سنة ١٩٣٥ اثر حادث . ومن أشهر آثاره : مجلة المنار ( ٣٤ مجلدا ) وتفسير القرآن ( ١٢ مجلدا ) لم يتم ، و « تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده » وغيرها . ( الموسوعة الميسرة ص ١٦٦٠ ) .

(١) الفريد دوران الأستاذ بكلية اللغات الشرقية بباريس .

(٢) جرفيه كورتلمون الصحفى الفرنسى .

(٣) المقصود : تضامن المسلمين لا الاسلام .

بالعربية فى ضرورة تقوية جمعية الطلبة المصريين فوجدت آذانا صاغية ولدى أمل عظيم فى تقوية حركة .

(٥٦)

الطلبة المصريين بأوروبا رغما من مراقبة الحكومة المصرية .

رفعت باشا سفير الدولة

١١ نوفمبر ، اليوم قابلت سفير الدولة العلية رفعت باشا فوجدته كله يأس وأنه من القائلين برفع الحجاب عن المرأة المسلمة وأن لا تقدم لنا إلا بإعطاء المرأة حريتها الإجتماعية. وهو فى نظرى رأى فاسد وأرى أن الذى يجب الاهتمام به هو تعليم المرأة كالرجل فى كل درجات التعلم ابتدائى وثانوى وعالى ، وإنى استغرب جداً القول بجعل المسلمة كالأوروبية أخلاقا ، بعد الذى نراه هنا من فساد الأخلاق فى جميع الطبقات ، ذلك الفساد الناشىء من الاختلاط .

والمسائل الشاغلة للأفكار فى مصر الآن ، مسألة الانتخابات ، فقد تمت انتخابات الدرجة الأولى فى ٢٦ أكتوبر وستكون إنتخابات ثانى درجة فى ١٣ ديسمبر . ولقد شرح (١) الكثيرون أنفسهم ومنهم سعد زغلول باشا ولذلك رأيت أن آتى هنا على ملخص ترجمته .

سعد زغلول باشا زغلول والانتخابات

سعد زغلول، نشأ فقيراً وتعلم بالأزهر بدون أن يتمم أو يحصل على شهادة أى إجازة بالتدريس . ثم اشتغل بصفة كاتب عند حسين بك صقر المحامى أمام المحاكم القديمة قبل الحوادث العرابية . وكان يلبس لباساً بسيطا بلدياً ويأتى مع مخدومه إلى منزل المرحوم والدى بشارع الباب الأخضر المسمى الآن بشارع فريد باشا لقضاء السهرة ، أما هو فكان يحمل الفانوس أمام مخدومه فى الذهاب والإياب ويجلس مع الخدم. ثم استخدم كاتبا بالوقائع المصرية (على ما أتذكر) ودخل معهم(٢). ولما دخل الإنكليز مصر اتهم بالإشتراك فى جمعية سرية اسمها جمعية الإنتقام وحبس (٣) واضطهد مع حفنى بك ناصف، وأحمد أفندى سمير ،وأحمد أفندى على، الذى كان

---

(١) هكذا وردت بالأصل وصحتها : رشح .

(٢) لعل محمد فريد يقصد أنه التحق بهيئة تحرير الوقائع المصرية اذا ثبت فعلا ان سعد زغلول بعد أن انهى دراسته بالأزهر فى أوائل أكتوبر ١٨٨٠ استدعى للعمل محررا بالجريدة المذكورة مع الشيخ محمد عبده ، واستمر يعمل بها فى الفترة من ٥ أكتوبر ١٨٨٠ حتى ٣ مايو ١٨٨٢ ، ولم يكتب فيها سوى مقالين اثنين أحدهما بعنوان : « غوائل الفقر » ( العدد ٩٦٧ الصادر فى ١٨٨٠/١١/٢٣ ) ، والثانى بعنوان : « الأقدام » ( العدد ١٣١٩ الصادر فى ١٨٨٢/١/٢٨ ) ( د. عبد الخالق لاشين : سعد زغلول ص ص ٦١ ، ٦٦ ، ٦٧ ) .

(٣) قبض عليه فى ٢٠ يونيه ١٨٨٣ ، ويبدو أن هدف جمعية الانتقام كان طرد الانجليز من مصر واقصائهم عن الوظائف الحكومية أو المعينين فى الجيش المصرى . وقد أفرج عن سعد باشا فى ١٨٨٣/١٠/٣ ( المصدر السابق . ص ص ٧١ ، ٧٢ ) .

بالأوقاف وداسه الوابور فى محطة قليوب ولم يخلص من الحبس إلا بمساعى المستر بلانت صديق المصريين . ولما أنشيت(١) المحاكم الأهلية سنة ١٨٨٣ اشتغل أمامها بصفة محام ، وكانت المحاماة وقتها كالقضاء بلا شهادة لعدم وجود العدد الكافى من الدارسين وحاملى الشهادات ، فنال فيها شهرة واسعة باستقامته وفصاحته . وكان له صداقة متينة بالأميرة نازلى هانم المشهورة ، وكانت لهم إجتماعات عندها يحضرها المرحومين قاسم بك أمين والشيخ محمد عبده وغيرهما . وبسبب هذه الصداقة ومساعى الأميرة لدى كرومر عين سعد بك (وقتها) مستشاراً فى الإستئناف وهى حادثة لم يسبقها ولم يعقبها مثلها . ومما يؤثر عنه أنه درس اللغة الفرنساوية وعلم الحقوق وأدى الإمتحانات المؤدية إلى الليسانس أمام كلية باريس أثناء وجوده بالاستئناف ، وسبب ذلك أن أحمد باشا عفيفى زميله احتقر رأيه فى أثناء المداولة فى إحدى القضايا وعيره بعدم دراسته القانون .

من المعلوم أن الشيخ محمد عبده وإخوانه كان من رأيهم الاستعانة بالإنكليز على نوال بعض الإصلاح ولو أدى ذلك لمعاداة الخديو ، بل لتضحيته ولذلك لما أراد كرومر أن يظهر بمظهر المساعد للحركة الوطنية بتعيين رجال النشأة الحديثة بالوظائف العالية ، إختار سعد باشا لأن يكون وزيراً للمعارف وعرض تعيينه على الخديو فى ١٩٠٦ أو سنة ١٩٠٥(٢)

(٥٧)

ناظراً للمعارف فامتثل الخديو طبعاً . ولكنه كلف الدكتور صادق بك رمضان بأن يقابل سعد باشا ويسعى فى استمالته للخديو ، وقد حصل . حضر صادق من إسكندرية وقابلنى بشبرا بمنزلى قبل أن يقابل سعد وأخبرنى بالأمر قبل أن يعلم أحد بتعيين سعد ثم قابله ونصحه وأقنعه بضرورة احترام الخديو وعدم معاكسته ، فقبل سعد ، ولكنه عند المناقشة فى قانون مدرسة القضاء الشرعى بمجلس النظار استعمل سعد الغلظة فى الكلام فتضايق الخديو وحفظها له حتى انتقم منه بمساعدة محمد سعيد واضطروه للإستقالة فى سنة ١٩١٢ من نظاره الحقانية التى كان نقل إليها فيما بعد. فى أثناء الكلام فى تعيين سعد، قابلت الخديو بإسكندرية مع صادق بك فأخذ يشتكى من النظار وأنهم يحضرون إليه متفقين ومعهم جدول أعمال

(١) هكذا كانت تكتب فى عصر محمد فريد ، وتكتب اليوم : انشئت .

(٢) عين سعد زغلول باشا ناظرا للمعارف من ٢٨ أكتوبر ١٩٠٦ حتى ٢١ فبراير ١٩١٠ . وجدير بالذكر أنه كان يطلق على الوزراء لقب النظار منذ انشاء أول هيئة نظارة فى ١٨٧٨/٧/٢٨ حتى ١٩١٥/٦/١٠ وتحول اسم هيئة النظارة تبعا لذلك الى « مجلس الوزراء » .

( النظارات والوزارات المصرية ، ج١ ، ص ك و ٥٧٧ ) .

بنحو مائة مسألة ويقرأونه عليه بمجرد قراءة وتكون الأوامر العلية جاهزة فيوقع عليها فى الحال ، وقال لى انه يريد أن أكون يوما فى الغرفة الملاصقة لغرفة الإجتماع لأرى ما يحصل ، وقال أيضا إنه يخشى من تعيين سعد وأمثاله من أدنياء الأصل المتعلمين فإنهم يكونون حربا عليه ويضحون بكل شيء لحفظ مركزهم(١) ، وقد حصل .

ساعد محمد سعيد الخديو على اكراه سعد على الإستقالة ، لأنه يخشى منه المزاحمة على مركز الرياسة وكان أشيع أن حميه مصطفى باشا (٢) يسعى لدى أصدقائه الإنكليز لجعل سعد رئيسا فتمكن سعيد من اخراجه ليبقى بلا مزاحم ، لأن النظار الحاليين ليس فيهم من يقوى على مزاحمته لدهائه وخبثه ، لذلك يغلب على الظن أن سعيد يعاكس سعد باشا فى الإنتخاب للجمعية التشريعية لأنه يخشى أن يجمع حوله أغلبية تناقشه الحساب وتجادله خصوصا وأن جريدة الشعب لسان الحزب الوطنى تعضد سعد ، على أنى أعتقد أنه سيفوز رغم مساعى سعيد .

**وفاة الشيخ على يوسف ترجمته**

توفى الشيخ على يوسف يوم ٢٥ أكتوبر بداء القلب عن نحو خمسين سنة فانهد بموته ركن النفاق والذبذبة . هذا الرجل نشأ فقيراً حقيراً فى بلصفورة (٣) بصعيد مصر ، وتعلم شيئا قليلا بالأزهر ثم دخل فى خدمة رجل أديب من رجال الحكومة اسمه على بك رحمى بصفة خادم ، ثم أخذ يقول الشعر للاستجداء . كل ذلك ثبت رسميا فى الحكم الذى أصدره المرحوم الشيخ أحمد أبو خطوه ضده فى قضية زوجيته مع صفية بنت السيد عبد الخالق السادات . أخيراً أسس مجلة صغيرة أسماها الآداب (٤) كنت أكتب فيها فى سنة ٨٧ وسنة ٨٨ أى عقب خروجى من مدرسة الحقوق ولكن بلا اسمى بل بتوقيع م . ف . لأن والدى كان ينهانى دائما عن الكتابة فى الجرائد والاشتغال بالسياسة خوفا على من أن يصلنى أذى الإنكليز والحكومة (وقد حصل ما كان يخشاه ، رحمه الله) . ثم فى سنة ١٨٨٩ أراد المرحوم رياض باشا انشاء جريدة يومية إسلامية لمحاربة الإحتلال والمقطم ، وكلف إبراهيم بك مصطفى ناظر مدرسة دار العلوم (٥) إذ ذاك وحسن رفقى بك طبيب شرعى المحاكم (باشا الآن) . فقد ماله

---

(١) وردت فى الأصل ( مركزه ) وعدلت على هذه الصورة ليستقيم المعنى .

(٢) هو مصطفى باشا فهمى الذى تولى النظـــارة ثلاث مرات : الأولى من ١٨٩١/٥/١٤ حتى ١٨٩٢/١/١٧ ، والثانية من ١٨٩٢/١/١٧ حتى ١٨٩٣/١/١٥ ، والثـالثة من ١٨٩٥/١١/١٢ حتى ١٩٠٨/١١/١١ . ( النظارات والوزارات ج ١ ، ص ٥٤٨ ) .

(٣) قرية من أعمال محافظة سوهاج ، حاليا .

(٤) من نماذج كتابات محمد فريد فى هـــذه المجلة :

- « الديانات فى روسيا » ( العدد ٩٣ الصادر فى ١٨٨٩/١٠/٢ ، وتكملة المقال فى الأعداد ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ) .
- « دارون صاحب مذهب الارتقاء » ( العدد ٩٨ الصادر فى ١٨٨٩/١١/١٦ ) .
- « السلطة التنفيذية فى الولايات المتحدة » ( العدد ٩٩ الصادر فى ١٨٨٩/١١/٢٣ ) .
- « ارتقاء الفكر » ( العدد ١٠٠ الصادر فى ١٨٨٩/١١/٣٠ ) .

(٥) قرر مجلس النظار فى ٢٥ فبراير سنة ١٨٩٥ الغاء مدرسة دار العلوم وضمها الى مدرسة ـ

هذا الشيخ الفقير الرث الثياب فساعده بالمال وأسس المؤيد، وكان له فيه شريك يدعى الشيخ أحمد ماضى توفى بعد ذلك بالسل . فاستقل الشيخ على بالجريدة وكان فى حالة فقر مدقع ، وكثيراً ما جمعنا له التبرعات بواسطة المرحومين على بك فخرى (١) وحسن باشا عاصم (٢)

(٥٨)

بالاشتراك مع محمود بك سالم وغيرهم لدفع ديونه ورفع الحجز الذى كان أوقعه أحمد نجيب المحامى بطنطا (وكان بينهما) على المطابعة . سار الشيخ على يوسف وطنيا خديويا وكنا كلنا معه ، ثم لما أثرى قليلا وظهر اسمه ، أخذ يزاحم مصطفى كامل عند الخديو ويعاكسه بعدم نشر مقالاته التى كان يرسلها من أوروبا عن يدى . وأخيراً قررنا انشاء جريدة وطنية لنتخلص من ... كسات الشيخ على — فأسس مصطفى كامل اللواء ، وظهر العدد الأول فى أول رمضان سنة ١٣ (مارث ١٨٩٩) (٣) . وفى

---

= المبتديان لتكون كقسم عال بها ، وترتب على ذلك الاستغناء عن ناظرها ابراهيم بك مصطفى ولعب أرتين باشا الأرمنى ، وكيل نظارة المعارف العمومية وقتذاك ، الدور الرئيسى فى ذلك الالغــاء بالتعاون مع الانكليز . ويعلق محمد فريد على هذا الحادث بقوله : « أما غرض الانكليز فى لغوها ( = الغائها ) فهو تضييق دائرة التعليم فى مصر من جهة ، ولأن هذه المدرســة كانت معدة لتخريج قضاة شرعيين ومفاتى ( جمع مفتى ) . وتلامذتها يؤخذون من الأزهر متشربين بالمحبة الوطنية والحمية الاسلامية ، وقصد أعداء البلاد قتل هاتين العاطفتين الشريفتين فى المصريين . » ( محمد فريد ، مخطوطة تاريخ مصر من ابتداء سنة ١٨٦١ مسيحية ، حوادث سنة ١٨٩٥ ، ص ٩٤ ) .

(١) كان على بك فخرى من أوائل علماء القانون ، أنتظم فى ســلك المناصب القضــائية وتدرج فيها الى أن عين رئيسا لنيابة الاسكندرية الأهلية ، فكان بحكم منصبه عضوا بمجلسها البلدى . وارتقى فى المناصب القضائية فعين قاضيا بالمحاكم المختلطة ثم مستشارا بها . وقد كسب احترام القضاة والمستشارين الأجانب حتى صاروا يرجعون الى رأيه فى المشكلات القانونية ، وكان من أصــدق أصدقاء مصطفى كامل من أكبر نصرائه . وتوفى فى يونيو سنة ١٩٠٦ .

( لمزيد من التفاصيل ارجع الى الرافعى : مصــطفى كامل ص ص ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، وانظر أيضا محمد فريد : مخطوطة تاريخ مصر من ابتداء سنة ١٨٩١ مسيحية ، حوادث سنة ١٨٩٣ ، ص ١١ » ) .

(٢) كان حسن عاصم عضوا بلجنة المراقبة بنظارة الحقانية . وفى ٢١ فبراير سنة ١٨٩٤ تولى منصب المحامى العام ثم أصبح قاضيا بمحكمة الاستئناف من الدرجة الثانية فى ١٨ أبريل سنة ١٨٩٥ ، ثم تولى وظيفة سر تشريفاتى خديوى فى ١٤ نوفمبر ١٨٩٥ ، وقد أنعم عليــه برتبة مريران الرفيعة ( باشا ) فى ١٦ أبريل سنة ١٨٩٦ ، وفى أواخر سنة ١٩٠٤ أحيل الى المعاش وهو فى منصب رئيس ديوان خديوى بأمر من الخديوى عباس حلمى بسبب موقفه فى حادثة « مشتهر » وخلاصتها أن أحد الماليين اليونانيين الذين لهم صلة بالخديو ( وهو المسيو زرفوداكى ) عرض على ديوان الأوقاف أخذ أطيان له بالجيزة مقابل تفتيش مشتهر التابع للأوقاف ، والذى كان قد اتفق مع الخاصة الخديوية على شرائه ، وعرضت صفقة البدل على مجلس الأوقاف الأعلى ، وكان حسن باشا عاصم من أعضائه ، فرفض اقرار الصفقة برغم أنها كانت تهم الخديو .

ومن أبرز نشاطاته دوره الواضح فى نهضة الجمعية الخيرية الاسلامية .

( لمزيد من التفاصيل أنظر : محمد فريد : مخطوطة تاريخ مصر من ابتداء سنة ١٨٩١ مسيحية ، صفحات ٧٥ ، ٨٣ ، ٩٦ و ١٠٩ و ١١١ . وانظر أيضا الرافعى : مصطفى كامل ، ص ١٤٣ ) .

(٣) يذكر الرافعى أن العدد الأول من اللواء صدر يوم الثلاثاء ٢ يناير سنة ١٩٠٠ م ( غــرة رمضان ١٣١٧ هـ ) . ( الرافعى ) : مصطفى كامل ، ص ١٤٣ ) .

وقت قليل انتشر الجورنال وذاع اسم مصطفى بمصر وأوروبا والتف حوله الطلبة وسارت الحركة الوطنية خطوات واسعات . ولما تم اتفاق فرنسا وإنكلترا سنة ١٩٠٤ تغيرت سياسة الشيخ على وعدل عن المطالبة بالجلاء صراحة وأصبح أميل إلى الإنكليز . وسافر إلى لوندره ، وهناك اجتمع حافظ عوض وأباظة باشا وموزلى وغيرهم ، وأقاموا وليمة خطب فيها الشيخ على وقال مخاطباً المصريين مامعناه (يجب أن تكون لوندره كعبتهم من الآن ) فسخط الشعب عليه وأصبح مكروهاً مرذولا . ولكن الخديو لم يزل يساعده حتى فى قضية الزوجية المشهورة التى حكم فيها الشيخ أحمد أبو خطوة حكما أصبح تاريخياً . وبعد انفصال الحزب الوطنى عن الخديو أخذ الشيخ على يحارب الحزب ، فهاج الطلبة ضده وكذلك الأزهريون وتظاهروا أمام داره ورشقوه بالحجارة . ولما توفى الشيخ السادات والد صفية زوجته عينه الخديو شيخ سجادة السادة الوفائية ، ولقبه بالسيد فى أمر تعيينه رغما من حكم المحكمة الشرعية من أنه وضيع وليس من الأشراف ، ولكن حب الخديو له أعماه عن ذلك . ويظهر أن هذه المساعدات كانت مبينة على الخوف منه أكثر من حبه له لأنه أشتغل معه فى الدسائس ببلاد العرب ضد الدولة العلية طمعاً فى الخلافة الإسلامية وواقف على جميع أسراره ، فكان يخشى لو انفصل أن يفضحه أكثر مما هو (١) مفضوح الآن ، وكان الشيخ المتوفى أكبر سمسار فى الرتب والنياشين ومسائل الأوقاف وما شاكل من الأمور التى يتجر فيها الخديو علنا . وبعد وفاته عين السيد أفندى كامل مديراً سياسياً للمؤيد ورئيساً لتحريره .

السيد كامل

هذا الشاب ممن أفسد تربيتهم الخديو والشيخ على يوسف . نشأ من عائلة فقيرة ووصل إلى مدرسة الحقوق المصرية ثم اختارته الجامعة ضمن أول ارسالية لها (٢) فأتى باريس ، وبعد سنة رفت لسوء سلوكه وعدم نجاحه فى الامتحان. وكانت له صلة جاسوسية بالشيخ على يوسف فساعده الشيخ لدى الخديو فعينوه جاسوساً على الطلبة وساعياً لدى الشوام الموجودين بباريس فى الدسائس العربية . وفى سنة ١٩١١ أسس جمعية أسماها جمعية ترقية اللغة العربية ، ولكن علم أمره فانفض المصريون من حوله وكان يلازم باب الخديو أثناء وجوده بباريس . وأخيراً لما أتم دراسته وحصل على

---

(١) أضفنا ( هو ) ولم تكن واردة بالأصل ليستقيم المعنى .

(٢) أوفدت أول بعثة للجامعة المصرية فى سنة ١٩٠٨ ، للتخصص فى تدريس العلوم والآداب ، وكانت هذه البعثة مؤلفة من أحد عشر عضوا ، منهم سبعة أوفدوا الى جامعات فرنسا ، وهم : سيد كامل ، ومحمد توفيق الساوى ، ومحمود عزمى ومنصور فهمى ، وحسن فؤاد الديوانى ، والدكتور محمد ولى ، والدكتور محمد كمال ، وأربعة أوفدوا الى انجلترا وهم : كامل حسين ، ومحمد حسنى ، ومحمد صادق ، وتوفيق سيدهم .

( جريدة وادى النيل ، عدد ١٤ يوليه ١٩٠٨ ، الرافعى ، محمد فريد ، ص ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ ) .

الدكتوراه (١) كان على وشك أن يعين وكيلا بالنيابة العمومية ، ولكن استحسن الخديو أن يعين (٢) مكان أبو شادى بك المحامى فى المؤيد فاستقال أبو شادى وأختير وكيلا لمجلس ادارته وعين السيد كامل باربعين جنيه شهرياً على مابلغنى من حسين بك شرين أثناء مروره بباريس فى أواخر نوفمبر الجارى .

**(٥٩)**

٢٥ نوفمبر ، من الأخبار المهمة الواردة اليوم فى جرائد مصر ، جعل ديوان الأوقاف نظارة كباقى النظارات ، أى داخله تحت مراقبة الإنكليز الفعلية ، وانشاء نظارة الزراعة وتعيين محمد محب باشا مدير الغربية ناظراً . أما الأوقاف فالعالم كله مجمع على عدم انتظام أعماله ، وما سبب ذلك إلا تداخل الخديو فيه وتعيين محاسيبه وجواسيسه فيه بمرتبات باهظة مع عدم كفاءتهم ، ومن جهة أخرى فإن الخديو يصرف كثير من ايراد لأوقاف الخيرية فى شؤونه الخاصه أى يسرقه سرقه بمساعدة الموظفين من رجاله . لذلك لم يزعج هذا الخبر أحدا لأن الكل ساخط على الخديو وسرقته لأموال فقراء المسلمين وكثيراً ما طلبنا منه صرف هذه الأموال فى انشاء المدارس فلم يقبل .ويقال بأنه أخذ فى هذين الشهرين ثلاثين ألف جنيه دفعها فى قسط عليه لأحد البنوك . ونتمنى جميعاً أن تؤخذ منه الأوقاف (٣) العائلة الخديوية وتضم إلى نظارة الأوقاف حتى يحصل المستحقون على نصيبهم فيها ، فإنى أعلم جيداً أنهم لا يستلمون عشر ما يخصهم ولا يستلمونه إلا بعد أن يصدقوا على الحساب على علاته وإلا فلا يأخذون شيئاً . وقد سمعت هذه الشكوى من كثير منهم . وقد بلغنى عن ثقة أن الموعز بهذه المسألة البرنس سعيد حليم باشا الصدر الأعظم لأن الخديو أراه أنواع العذاب فى مسائل الوقف وعاكسه وعاكس عائلة حليم باشا كثيراً ، فانتهز فرصة وجوده فى هذا المركز السامى وأوعز إلى سفير إنكلترا بذلك ، وهو أوعز إلى حكومته. ولما طلب هذا الأمر من الخديو غضب جداً على محمد سعيد باشا وزيره الأول ، وحسين رشدى باشا وزير الحقانية ، واتهمهما بمساعدة كتشنر عليه .وأخيراً لما ألح كتشنر وقال بأنه وردته أوامر صريحة بذلك ، أحال الخديو الأمر على الآستانة وطلب إستفتاء الباب العالى فى ذلك فورد الرد بالموافقة طبعا ، وبذلك خضع الخديو وزالت هذه الأموال الطائلة من تحت يده (٤) .

جعل الأوقاف نظارة

---

(١) حصل على الدكتوراه فى القانون والاقتصاد ، ولما قامت الحرب العالمية الاولى كان بالخارج وبقى هناك حتى انتهت الحرب ، وبعد عودته الى مصر اشترك مع طلعت حرب فى تخطيط ودراسة المشروعات الاقتصادية التى كان يقوم بتمويلها بنك مصر . ( الأهرام ، عدد ١٩٧٧/٩/٢٨ ) .

(٢) بضم الياء الأولى وفتح الثانية وتشديدها .

(٣) هكذا وردت بالأصل ، وصحتها ( أوقاف ) .

(٤) أنظر تفاصيل هذا الموضوع على صفحة ٦٣ من هذه المذكرات والهامش الذى أوردناه . ولقد شغل هذا المنصب فى الفترة من ٢٠ نوفمبر ١٩١٣ الى ٥ ابريل ١٩١٤ . ( النظارات والوزارات المصرية ، ج ١ ، ص ٦٠١ ) .

محب باشا

أما نظارة الزراعة فلا معارض لها مطلقاً بل كثيراً ما طلبنا انشاءها ولكن سيعين لها رجل سراق نهاب وعباد المال وخدام الإنكليز وهو محمد محب باشا(١) ذلك الرجل الذى لم يصل إلى هذا المركز إلا بالتعريص والدياثة لمن يسمى برش باشا الإنكليزى لما كان مفتشاً بالداخلية، وله وقائع سرقة بالغربية أهمها سرقة أموال تركة البدراوى باشا من أهالى سمنود فى سنة ١٩١١ . وقد ثبتت عليه ثبوتاً كما سمعت ذلك من نفس محمد سعيد باشا ، ومحمد بك علام الذى حقق المسألة من طرف الحقانية ، ومحمود بك زكى الذى حققها من طرف الداخلية ، ولكن حماه السير غورست بدعوى أن الحزب الوطنى والخديو متحاملان عليه لحبه الإنكليز وبذلك بقى فى مركزه ثم رقى إلى منصب الوزارة .

قانون الرتب والنياشين

من الأخبار السارة الهامة وضع نظام لمنح الرتب والنياشين يغل أيدى الخديوى عن بيعها بيع السلع للعمد والأعيان ، وهى أيضاً نتيجة من نتائج طمعه وسوء تصرفه مع أنه تعهد أمامى أنا ومصطفى كامل والدكتور رمضان بك بمقام التبرى فى أحدى مقابلاتنا السرية سنة ١٩٠٧ بأنه عدل عن هذه الأمور الذى أساسها الطيش والشبوبية ( هذه ألفاظه هو ) ، ولكن حب المال غلبه فنزل به إلى هذا الحضيض . أساس عيوب هذا الرجل أنه يفضل مصالحه على المصالح العامة .

(٦٠)

القانون النظامى الجديد وعدم احترامه

فى صيف هذه السنة، أثناء وجود الخديو بأوروبا أشيع أن الحكومة عزمت على اصدار قانون نظامى جديد وقانون الإنتخاب يوسع دائرة الناخبين والمنتخبين (٢) ، ولكنها لم تنشر المشروع حتى يناقش فى الجرائد ، ولم تعرضه على مجلس الشورى بل أعتبرت هذا العمل منحه من الخديو أو من الحكومة ليكون لها شبه الحق فى تغييره فيما بعد وفى عدم احترامه . أرسل هذا المشروع مع حسين رشدى باشا (٣) إلى الخديو بأوروبا فوقع عليه (بلامعارضة ) فى أول يوليه سنة ١٩١٣ ، ونشر فى مصر فى الجرائد الرسمية فى ٢١ منه طبعا بعد اطلاع الحكومة الإنكليزية . حينئذ ظهر أنه سلب الأمة بعض حقوقها ، وانتقدته كل الجرائد ، وأنا كتبت عنه رسالة فى الفرنساوية مطولة نشرت فى مجلة La vie بباريس فى عددى ١١ أكتوبر و ٨ نوفمبر سنة ١٩١٣ ،

---

(١) عين ناظرا للزراعة من ١٩١٣/١١/٢٠ الى ١٩١٤/٤/٥ فى وزارة محمد سعيد باشا الأولى

(٢) هو القانون رقم ٢٩ لسنة ١٩١٣ الخاص بانشاء الجمعية التشريعية وذلك عن طريق ادماج مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، المشكلان فى ١٨٨٣ ، فى هيئة واحدة .

(٣) كان ناظرا للحقانية فى ذلك الوقت .

وستنشر ترجمتها فى مجلة تيمس أفريقيا بلوندره(١) فى آخر هذا الشهر. هذا القانون لم يحترم من يوم صدوره فانه حدد يوم أول نوفمبر لإنعقاد الجمعية التشريعية الأولى ، ولكن أرسل كتشنر تلغرافاً بتأخير الإنتخاب حتى يعود خوفاً من تداخل الخديو فى الانتخابات، فحدد إنتخاب أول درجة فى ٢٦ أكتوبر ، وإنتخاب ثانى درجة فى ١٣ ديسمبر ، وعلى ذلك لاتجتمع الجمعية قبل أول يناير سنة ١٩١٤ . ولم يحترم هذا القانون كذلك عند إنشاء النظارتين الجديدتين لأن القانون المذكور يقضى بعرض كل ما يتعلق بنظام الحكومة على الجمعية التشريعية (٢) وقد تعجل كتشنر واستصدر أمر أنشائها فى نوفمبر بدون أخذ رأى الجمعية فيه . وهكذا الأمور فى مصر لاقانون ولادستور بل ارادة الإنكليز .

حركة الانتخابات

حصلت إنتخابات أول درجة فى ٢٦ أكتوبر ، ولم يكن الإهتمام كاللازم لأسباب مختلفة، فبعضهم قصر فى درج اسمه وإعطاء صوته لأن الجمعية الجديدة لا رأى قطعى لها ، وهؤلاء يرون الإضراب عن الإنتخاب أوفق لإعتباره كاحتجاج على تصرف الحكومة ، والآخرون وهم الأغلب قصروا لعدم أهتمامهم بالشئون العامة . ولكن بعد ذلك وجدت حركة تبشر بالخير لترشيح الفضلاء ، فاجتمع المندوبون فى جهات كثيرة للمداولة فيمن ينتخبونه ورشح بعضهم نفسه لأن ينتخب وبعضهم من المنسوبين للحزب الوطنى . ولقد كتب لى على بك فهمى كامل بأن لجنة الحزب الإدارية قررت مساعدة كل مرشح تعتقد فيه النفع وان لم يكن من رجال الحزب المعروفين ، وذلك بأمل استمالته وتكوين حزب داخل الجمعية التشريعية يسير على مبادئنا ، ولكنى أرى أن الخوف من بطش الحكومة يمنع من تكوين هذا الحزب ، ومع ذلك فربما يوجد من بين المنتخبين من تكون لديهم الشجاعة الأدبية الكافية للمجاهرة بأفكارهم .

تنقلات بين النظار واحالة ابراهيم نجيب باشا على المعاش

نقل أحمد حشمت باشا (٣) من المعارف إلى الأوقاف بدل إبراهيم باشا نجيب الذى أحيل على المعاش ، ونقل أحمد باشا حلمى ناظر المالية إلى المعارف

---

(١) يقصد مجلة أفريكان تيمس التى كان يتولى رئاسة تحريرها دوس محمد ( انظر هامش ص ٧١ من هذه المذكرات ) .

(٢) المعروف أن الجمعية التشريعية افتتحت يوم الخميس ٢٢ يناير ١٩١٤ برئاسة أحمد مظلوم باشا ، وقد انتهى الفصل التشريعى الوحيد للجمعية فى شهر يونية سنة ١٩١٤ ولم تجتمع بعد ذلك لنشوب الحرب العالمية الأولى ، فقد صدرت أوامر عالية متتابعة بتأجيل انعقاد دور الانعقاد الثانى الى اول يناير ١٩١٥ ثم ١٥ أبريل ثم أول نوفمبر ١٩١٥ ثم تأجل الانعقاد الى أجل غير مسمى بموجب المرسوم الصادر فى ١٩١٥/١٠/٢٧ ولم تدع بعد ذلك للانعقاد ( الرافعى : محمد فريد ج٢ ، ص ٣١٩ )

(٣) نقل من المعارف فى ١٩١٣/١١/٣٠ الى الأوقاف التى ظل بها حتى ١٩١٤/٤/٥ .

(٤) انظر ترجمة محمد فريد له على صفحة ٦٢ من هذه المذكرات .

ورقى مكانة سعيد باشا ذو الفقار (١) مدير المنوفية ، والظاهر أن نقل حشمت باشا من المعارف هو لكونه أخذ يشتغل بهمة فى ترقية اللغة العربية خلافاً لرأى دانلوب (٢) ولأن أحمد حلمى .

## (٦١)

### أكثر منه اطاعة للإنكليز

مصطفى باشــا خليـل يحتفل بالانكليز فى بلده

زار أسطول فرنساوى اسكندرية فى أواخر نوفمبر ، وكذلك أسطولان ايطالى وإنكليزى فاحتفلت كل جالية بضباط أسطول دولتها ودعاهم الخديو لمائدته . كل هذا لا انتقاد عليه ، ولكن المؤلم ما حصل لضباط الأسطول الإنكليزى ، فإن مصطفى باشا خليل من أعيان الشرقية ، دعى عدداً عظيماً منهم إلى بلدته وأحتفل بهم احتفالا عظيماً وصفف لهم الخفراء على جانبى الطريق من المحطة إلى منزله . ثم زاد الطين بأن خطب بينهم مطريا أعمال الإحتلال ، محبذا اتفاق الأمتين المصرية والإنكليزية ، قائلا ان المصريين يحفظون جميل الإنكليز إلى غير ذلك من السخافات الدالة على قصر عقل الرجل ومن شاركه فى هذا الإحتفال من الخونة الذين لا يرون فى الاحتفال

---

(١) هو ابن ذوالفقار باشا . ولد سنة ١٨٦٣ وتلقى علومه فى المدارس المصرية ثم أكملها فى مدارس أوربا . أجاد الفرنسية والتركية والايطالية ، وعين فى قلم الترجمة فى سراى عابدين ثم انتقل الى الديوان الافرنجى ، وفى سنة ١٨٩٢ نقل الى ديوان التشريفات وترقى الى أن وصل الى منصب سر تشريفاتى فى ٤ نوفمبر سـنة ١٨٩٣ . ومن المناصب التى تقلدها ، نظارة المالية ( ١٩١٣/١١/٢٠ ــ ١٩١٤/٤/٥ ) كما عين وكيلا للجمعية التشريعية ، وأسند اليه السلطان حسين كامل منصب كبير الأمناء وأنعم عليه بنيشان النيل الأول فى ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ .

( انظر الياس زاخورا ، ص ص ٧٥ ــ ٧٧ ، محمد فريد : مخطوطة تاريخ مصر من ابتداء سنة ١٨٩١ مسيحية ، ص ٣٥ ، النظارات والوزارات المصرية ج١ ، ص ٥٧٨ ) .

(٢) كان دنلوب مفتشا بنظارة المعارف المصرية ، ثم عين سكرتيرا عاما لهذه النظارة فى ٨ مارس سنة ١٨٩٧ . وقد كان جعل التعليم باللغة العربية من المسائل المثارة بشدة بين صفوف الوطنيين باعتباره أحد الوسائل الوطنية لاعطاء المصريين الحق فى حكم بلادهم . وقد حدث صدام حول هذه المسالة بين كرومر ودنلوب من جهة وسعد زغلول من جهة أخرى خاصة عندما أراد سعد أن يسمح بالامتحان باللغة العربية للمتمكنين منها ، وعندما نجح الوطنيون فى الضغط على الاحتلال وتقرر التعليم باللغة العربية لجأ الانجليز الى التشكيك فى عدم امكانية المصريين القيام بمهمة تدريس اللغة العربية وأرادوا تعيين معلمين من الانجليز لأداء المهمة ، غير أن سعد لم يخصص لهؤلاء الانجليز سوى وظيفتين فقط فى مدرسة المعلمين ، فلجأ دنلوب الى محاولة تشكيل فرق من الانجليز فى المدرسة المذكورة لتأهيلهم لتعليم اللغة العربية استمرارا من الانجليز فى محاولة السيطرة على التعليم ، وقد اعترض سعد زغلول على هـذه السياسة التى رآها مثبطة لعزيمة المصريين وكان من رأيه أن الوقت الذى يستغرقه هؤلاء الانجليز حتى يصلحوا لتدريس اللغة العربية كاف لتخريج أجيال من الوطنيين ، ولم يكتف سعد بهـذا بل انتهز فرصة سفر دنلوب الى الخارج وأمر بتعيين وطنيين فى الوظيفتين اللتين يراد تعيين الانجليز فيهما » .

( مصطفى النحاس جبر : سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية ص ٤٨ ، محمد فريد ، مخطوطة تاريخ مصر من ابتداء سنة ١٨٩١ مسيحية ، حوادث ١٨٩٣ ، ١٨٩٧ : ص ١٢٨ ) .

بأعداء البلاد نكراً أو انتقاداً . وقد كتبت فى هذا الموضوع مقالة فى العام الماضى بجريدة الهلال العثمانى موجودة بين محفوظاتى .

نقل يوسف صديق الى الخاصة

تأسست فى هذا الشهر ( نوفمبر ) أول غرفة تجارية وطنية بمصر تحت رئاسة عبد الخالق مدكور الذى أعطى لقب باشا مكافأة له ، وحبذا لو كان اعطاء الرتب مكافأة على مثل هذه الأعمال لا تجارة .

نقل يوسف باشا صديق رئيس ديوان خديوى إلى نظارة الخاصة ونقل مكانه عثمان مرتضى باشا السر تشريفاتى وهذا النقل يعتبر تنقيصا لقدر يوسف باشا حيث أصبح ولا دخل له فى الأعمال السياسية . وأشيع استقالة ثلاثة آخرين من رجال المعية فإن صح ذلك كان دليلا على تداخل كتشنر فيها لإصلاحها وتنقيتها من الأدران وهو ما طلبته مرارا من الخديو وجعلته شرطاً لازماً للصلح معه ولكنه كان يرفض ذلك دائماً . يوسف صديق (١) من رجال هذا الجيل المتعلمين تعلما عاليا وتربيته أوروبية

تاريخ يوسف صديق

وهو ابن (٢) اسماعيل صديق باشا الشهير بالمفتش الذى قتله الخديو اسماعيل (٣) . اشتغل بالسياسة فى بادىء الأمر مع اسماعيل بك الشيمى (٤) ومحمود بك سالم ، وكان موظفاً بالقضاء المختلط فرفت منه هو وزميلاه بسبب اشتغالهم بالسياسة ضد الاحتلال فرفع قضية على الحكومة خسرها . بعد ذلك اشتغل بالسمسرة فكسب

---

(١) يوسف صديق ، هو احد مؤسسى مدرسة النيل الخيريه التى افتتحت فى اول يناير سنة ١٨٩٣ ، وقد اشترك معه فى تاسيسها كل من محمد راتب باشا ومحمود أفندى محمد ، وهما من الشخصيات الرئيسية فى محفل النيل الماسونى . وفى ٢٧ فبراير سنة ١٨٩٦ عين قاضيا بمحكمة المنصورة المختلطة ، وكان يعمل قبل ذلك سكرتيرا بنظارة الخارجية .

(لمزيد من التفاصيل أنظر مخطوطة تاريخ مصر من ابتداء سنة ١٨٩١ مسيحية ، ص ص ٤ و ١١٥)

(٢) أضيفت كلمة ( ابن ) الى النص لتتمشى مع صحة السرد ، ومن المؤكد أنها سقطت من الزعيم سهوا .

(٣) يرجع السبب فى قتل الخديو اسماعيل لاسماعيل صديق باشا الى أن « جوشن » عضو الرقابة الثنائية التى جاءت الى مصر فى أكتوبر سنة ١٨٧٦ لاصلاح مالية البلاد المرتبكة ، اشترط اقصاء اسماعيل صديق باشا عن وزارة المالية ، فاستقال وعين الأمير حسين كامل خلفا له ، ولما اعتزم « جوشن » مقاضاة اسماعيل صديق باشا أمام المحاكم المختلطة لمسئوليته عن العجز فى الميزانية ، وخوفا من أنه اذا قدم اسماعيل صديق باشا للمحاكمة ربما ألقى المسئولية على الخديو ، عهد الخديو الى اتباعه بقتله ، فقتلوه وألقوا بجثته فى النيل فى نوفمبر سنة ١٨٧٦ . ( الرافعى : عصر اسماعيل ج ٢ ، ص ص ٦٢ - ٦٤ ) .

(٤) اسماعيل الشيمى ، هو أحد أقطاب الحزب الوطنى ، أصدر جريدة البلاغ المصرى الذى صدر أول عدد منها فى ١٩٠٠/٧/٩ ، وكانت تنقسم الى قسمين ، أحدهما بالعربية والآخر بالفرنسية تحت عنوان La Dépêche Egyptienne . وقد اتخذت موقفا غاية فى التطرف سواء من الاحتلال أو من الخديو مما أذن بنهايتها بقرار من ناظر الداخلية محمد سعيد باشا باغلاقها فى مطلع عام ١٩١١ .
( د. يونان لبيب ، الأحزاب المصرية قبل ثورة ١٩٥٢ ، ص ٣٦ ) .

أموالا طائلة خسرها فى المضاربات . ولصلته القديمة بالخديو من عهد أن كانا معا أيام التلمذة بالمدرسة العلية ثم بجنيف ، ولتوافق طباعهما فى الأمور المالية وظفه عنده وكيلا لوكيل الحكومة المصرية (قبو كيخيا) بالآستانة ثم قبو كيخيا ، وكانت أهم أعماله هناك التجسس على أنا والمصريين هناك . كما كانت له اليد الطولى فى القبض على الشيخ جاويش فى سبتمبر سنة ١٩١٢ (١) ، ثم عين رئيس ديوان خديو . والرجل خالى من المبادىء الشريفة لا يهمه إلا كسب المال وقد قال لى (انه يلزمه سنويا خمسة آلاف جنيه ليعيش عيشة هنية ولا بد له من كسبها بأى كيفية) هذا مبدؤه .

(٦٢)

عثمان مرتضى

أما عثمان مرتضى (٢) ، فرجل فاسد الأخلاق مخنث (ثلاثن) ومن أصل وضيع جداً . قاده حب العلو إلى التقرب من الخديو ولكنه متعلم تعلما متينا اشتغل طول حياته فى القضاء إلى أن وصل إلى وظيفة قاض بالمحكمة المختلطة الاستئنافية باسكندرية .

الخديو وروشبرون

فى يوم السبت ٢٩ نوفمبر ، ورد لى جواب (محفوظ ضمن دوسيه روشبرون) من روشبرون تقول فيه ان محل كوك أرسل لها تذكرة درجة أولى من باريس إلى القاهرة بالوابور الذى يغادر مرسايا يوم ٥ ديسمبر ، وأنها تنتظر مرتب الشهر لتسافر حسب الطلب ، ولظنى أن هذا الطلب لابد وأن يكون له علاقة بمخابرات الصلح كتبت على الفور لاسماعيل حافظ بأن يخبر فؤاد بك سليم بذلك وبأن يرفضوا تداخلها بالمرة وأظن أن الخديو لم يطلبها إلا بعد قرار مجلس إدارة الحزب بعدم التكلم فى الصلح معه بناء على أنه غير صادق فى مسعاه وغير كتوم للسر فإن اللجنة كانت قررت فى آخر أكتوبر قبول المخابرة معه وعينت عبد الملك أفندى حمزة ومصطفى أفندى الشوربجى لينوبا عن اللجنة فى المخابرات ، ثم عدلت عن هذا القرار لإشاعته بالقهاوى من جهة وبعد وقوفهم على ما دار من المخابرات بواسطة توفيق بك زاهر وصادق رمضان من جهة أخرى(٣) ، تلك المخابرات التى لم تأت بفائدة .

---

(١) قبض عليه فى القضية المعروفة بقضية المنشورات (انظر تفصيلها على ص ١٩ من هذه المذكرات ، وانظر أيضا الهامش الذى أوردناه) .

(٢) عين عثمان مرتضى عضوا بلجنة المراقبة بالمقابلة فى ١٨٩٤/٢/٢١ ثم سكرتيرا للنظارة الحقانية ثم نقل الى محكمة الاستئناف المختلطة فى أعقاب حركة التنقلات التى تمت فى ٦ يناير سنة ١٨٩٦ .
(لمزيد من التفاصيل أنظر محمد فريد : مخطوطة تاريخ مصر من ابتداء سنة ١٨٩١ مسيحية صفحات ٧٥ ، ١١٢ و ١١٤) .

(٣) اضيفت عبارة (من جهة أخرى) ولم تكن واردة بالأصل ، ليستقيم المعنى .

تأخر سفر روشبرون لعدم وصول المرتب إليها ، وأخرت التذكرة إلى يوم ١٠ أو ١٢ نوفمبر .

ان الرجل أصبح فى غاية الحيرة ، لا يدرى ماذا يعمل بعد أن كرهته الأمة وخانته وزارته . ولقد كتبت فى هذا الموضوع رسالة أسميتها : الحكام الثلاثة كرومر وغورست وكتشنر ، ستظهر فى مجلة التمس الافريقية فى عدد ديسمبر ، وربما نشرت أيضا فى إحدى المجلات الفرنساوية . وأظن أنه سيكون لها دوى فى الدوائر الحكومية لاحتوائها على أشياء كثيرة لم تشع للآن مما دار بينى وبين الخديو من الأحاديث فى بعض الشؤون .

إبراهيم نجيب باشا تاريخه

هذا الرجل تعلم بأوروبا ثم استخدم فى المحاكم وترقى فيها إلى أن صار رئيسا لمحكمة مصر ، ثم نقل إلى الإدارة فعين محافظا للأسكندرية(١) وأخيرا وكيلا للداخلية ، ولما عين محمد سعيد ناظرا للداخلية أراد تعيين اسماعيل صدقى باشا وكيلا له فأحالوا نجيب على المعاش وعين اسماعيل صدقى بوظيفة سكرتير عمومى النظارة . وعندها زرت إبراهيم نجيب وكان معى الدكتور رمضان بك وطلبنا منه أن يشتغل معنا فى السياسة حيث أنه ضحى وأهين لوضع شاب مثل اسماعيل صدقى مكانه . فتردد ثم لم يقبل محتجا بأنه فقير ومديون بسبب السراى التى بناها بجهة قصر الدوبارة . ولذلك لابد له من التوظف ثانيا . بعد ذلك سعى بواسطة الشيخ على يوسف لدى الخديو فعينه محافظا للعاصمة ، ويقال بأنه دفع للواسطة ( أى للخديو حيث أنه شريك لوسائطه فى هذه المسائل ) ثلاثة آلاف جنيه . ثم نقل للأوقاف ولكن كتشنر غير راض عنه لأنه ساعد الخديو على سرقة ثلاثين ألف جنيه من الأوقاف مرة واحدة دفعها

(٦٣)

فى قسط كان عليه لأحد البنوك وهذه المسألة كانت من أهم الأسباب التى حملت

---

(١) كان رئيسا لمحكمة مصر الأهلية ، وعين فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٩٣ محافظا للاسكندرية ، وقد انعم عليه فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٩٣ برتبة المرمران ( باشا ) ، ثم عين محافظا لمصر فى ١٥ اكتوبر سنة ١٨٩٤ . فوكيلا للداخلية فى وزارة نوبار باشا الثالثة ( ١٥ ابريل ١٨٩٤ ـ ١٨٩٥ ) . وقد انعم عليه فى ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٩٤ بالنيشان العثمانى الثانى . ( لمزيد من التفاصيل ، أنظر محمد فريد : مخطوطة : تاريخ مصر من ابتداء سنة ١٨٩١ مسيحية ص ص ٢٣ ، ٨٦ ، ٩٠ ، أنظر أيضا النظارات والوزارات المصرية ، ج١ ، ص ٥٤٢ ) .

الإنكليز على جعل الأوقاف نظارة (١) ، وبعدم إبقاء إبراهيم نجيب باشا ولا وكيله فيها . وهو ابن إبراهيم بك نجيب الطبيب وجده ألبانى الأصل ووالدته مصرية من مديرية الجيزة وهو رجل متكبر قتله حب الظهور وميله إلى أن يكون صاحب سلطة ولكنه عفيف النفس لا يرتشى ويحافظ على كرامته لدرجة محدودة .

١٣ ديسمبر ، اليوم يعتبر فى تاريخ مصر يوم تاريخى لحصول انتخابات ثانى درجة فيه والظاهر من مجارى الأحوال أن سيكون بين المنتخبين كثير من رجال المعارضة سواء من الحزب الوطنى أو من حزب الأمة ، وربما اتفق منتخبو الحزبين لتكوين حزب واحد (٢) داخل الجمعية التشريعية ، وحسنا يفعلون .

جميع الاجتماعات التى حصلت بالقاهرة وبعض جهات الأرياف كان الصوت العالى فيها لرجال الحزب الوطنى فالحركة فى الحقيقة من أعمال الحزب وإن كانت الظروف السياسية منعت اللجنة الإدارية من الظهور فيها . ويظهر أن سيكون سعد باشا زغلول ومحمد أفندى زمضان المحامى من ضمن المندوبين عن القاهرة . أما انتخاب سعد باشا فيغيظ الخديو ، ومما يزيده غيظاً أن الحزب الوطنى عضده وساعده بقوته .

٢٠ منه ، لم تأت لليوم أخبار بنتيجة الانتخابات ، ولكن المأمول أن يكون لنا أعضاء كثيرون . فى تاريخه ورد لى جواب من عبد الملك أفندى حمزة به همة الحملة بخصوص ترشيح سعد باشا : « ولم نرشح سعد إلا بعد أن عاهدناه على أن يكون معنا قلبا وقالبا وأشهر هذا التعهد وإذا وفقنا إلى الفوز إنشاء الله نجدد ذلك العهد ونعلنه للناس » . وقد أجبته بجواب فى ٢٢ منه قلت فيه ما يأتى : « إنما يلزم لذلك أن يعلن انضمامه للحزب بعد أن تتأكدوا إخلاصه وأن قصده لم يكن الاستعانة بنا للوصول إلى الوزارة ثم ينقلب كما فعل سعيد باشا ، يجب الاحتراس الكلى مع هؤلاء الناس الذين يسيرون مع الحوادث Opportunists . انى أعرف سعد من مدة

تعهد سعد باشا

---

(١) ذلك أن كتشنر لما عرف أن فى هذه الصفقة محاباة للخديو سعى لدى الباب العالى بمساعدة الأمير سعيد حليم الصدر الأعظم فى ذلك الحين حتى حصل على موافقته وموافقة شيخ الاسلام على هذا التحويل ، وأبلغ كتشنر رئيس النظار برأيه فى تحـويل ديوان الأوقاف ( وكانت تبعيته للخديو ) الى نظارة ، فلما احتج الخديو على ذلك ، لوح له كتشنر بانه فى حالة رفض التحويل سيسلم العرش للامير سعيد حليم الصدر الأعظم . وأثنى الخديو عن موقفه وتحول ديوان الأوقاف الى نظارة فى نوفمبر سنة ١٩١٣ . وكان أحمد حشمت أول من عين ناظرا للأوقاف ( ٢٠ نوفمبر ١٩١٣ - ٥ أبريل ١٩١٤ ) ، ( أنظر : اسماعيل صدقى باشا ، مذكراتى ، ص ١١ بتصرف ، و « النظارات والوزارات المصرية » ج ١ ص ٦٤٥ ) .

(٢) لتكوين حزب واحد : يعني لتكوين جبهة سياسية واحدة .

نحو عشرين سنة أو أكثر وسحت معه بأوروبا ولا أشك فى وطنيته ولكنى أعرف، من جهة أخرى أنه يكره الخديوى وربما تؤديه هذه الكراهة للاتفاق مع الإنكليز للانتقام منه فاحترسوا جيدا وخذوا منه المواثيق كتابة حتى يخشى التحول » .

سافرت روشبرون إلى مصر عن طريق مرسليا يوم الخميس ١٩ الجارى بناء على دعوة الخديو لها .

(٦٤)

٢٨ ديسمبر ، سافرت أمس من باريس إلى جنيف بقطار الليل بالدرجة الثالثة وكان البرد شديدا ولكن العربات كانت مسخنة جيدا ، على أنى تضايقت جدا لكثرة العساكر المسافرين إلى بلادهم بالاجازة بمناسبة عيد رأس السنة حيث، كانت رائحتهم قبيحة جدا ولكن « يقضى على المرء فى أيام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن » .

وصلت إلى جنيف فى الصباح وتوجهت توا إلى المحل الذى استأجره الدكتور منصور رفعت ، فوجدته لائقا ومناسبا جدا ،وصممت على الإقامة معه رغبة فى الاقتصاد ثم تركته بعد خمسة أيام مفضلا العزلة فى السكن

٣١ منه ، فى مساء هذه الليلة تحتفل جمعية الطلبة المصريين المسماة ( أبو الهول ) بإحياء وليمة فاخرة مشاركة لأهل جنيف فى الاحتفال بعيد مرور ماية سنة على إعادة جمهوريتهم بعد احتلال نابليون لها مدة ١٥ سنة ، وهى فكرة صائبة .

احتفال الطلبة المصريين بعيد جنيف

أول يناير سنة ١٩١٤، تم الاحتفال والوليمة أمس على غاية من الرونق والبهاء ، وقد ألقيت فيها جملة خطب ، وخطبت فى الآخر حاثا الشبان على الثبات على هذه المبادى بعد إتمام الدراسة والعودة إلى البلاد ناصحا لهم بعدم الاغترار بوظائف الحكومة ذات المرتبات الضخمة ،وسترسل تفاصيل الحفلة إلى جريدتى الشعب والأهرام ، كما أرسلها بطرس أفندى البستانى (١) إلى جريدة جورنال دى كبر الفرنساوية .

---

(١) من أسرة لبنانية ، بدأ دراسته الأولى بلبنان ثم توجه الى روما وأمضى بها عشر سنوات ثم عاد الى بلده واعتمد عليه الانجليز مترجم لهم يوم نزلت جيوشهم الشـــام لمحاربة ابراهيم باشا ومكافحة محمد على فى تلك الربوع • ألف معجما عنوانه ( محيط المحيط ) رتبه على حروف المعجم وجمع فيــه الكثير من الألفاظ العامية وصححها بالفصحى وبين أصول كثير من الألفاظ الأعجمية أنشأ نشرة سماها « نفير سوريا » باللغة العربية سنة ١٨٦٠ كأول صحيفة فى الشام ، وفى سنة ١٨٧٠ أنشأ مجلة للعلم والأدب والسياسة أسماها « الجنان » وأسند ادارتها الى ابنه « سليم » ، ثم اشترك مع ابنه فى اصدار =

وفى مساء هذا اليوم احتفلنا بافتتاح نادى الوطنيين المصريين الذى فتحه وأسسه الدكتور منصور رفعت ووجد معنا بعض الأتراك وألقيت كذلك عدة خطب وطنية ، ولكن أخشى عدم استمرار هذا النادى لأن القائم به الدكتور رفعت بمفرده ولم يمل أحد لمشاركته لاستبداده فى آرائه وسوء خلقه ، كما لم يساعده أحد فى إصدار الجريدة الشهرية التى يريد إصدارها باسم الوطن المصرى La Patrie Egyptienne لهذه الأسباب ، ولاتباعه فى الكتابة خطة لا تتفق مع السياسة مطلقا . هذا الشباب وطنى مخلص يضحى ماله ووقته خدمة للبلد ، ولكن فظاظته تجعل الناس ينفضون من حوله وأظن من جهة أخرى أن عقله غير تام وأنه معرض لنوب عصبية شديدة تشبه الجنون أو هى الجنون نفسه كما حصل له فى عام ١٩١٢ عندما كنا مع أخيه اسماعيل بك لبيب على البوسفور فى صارى يار فوضعه أخوه فى بيت صحى بضواحى باريس عدة شهور ثم نقله إلى بيمارستان الآستانة فى أوائل سنة ١٩١٣ ولم يخرج منه إلا فى ٤ أبريل . لهذه الأسباب كلها لم أطق الإقامة معه بل نقلت إلى بانسيون لأكون بعيدا عنه بقدر الإمكان مع معاونته على أشغاله من وقت لآخر .

فتح النادى المصرى

وردت جرائد مصر وبها الأمر العالى الصادر بتشكيل الجمعية العمومية (١) وحدد موعد اجتماعها ٢٢ يناير سنة ١٩١٤ .

(٦٥)

فى غاية ديسمبر ، توفى على باشا أبو الفتوح وكيل نظارة المعارف وهو شاب لم يتجاوز الأربعين من سنه تعلم بأوروبا وعاد حائزا شهادة الليسانس فى علم الحقوق سنة ١٨٩٥ فعين معاونا للنيابة بالاستئناف وكنت أنا بها وكيلا أيام ما كان اسماعيل باشا صبرى نائبا عموميا ، ترقى تدريجيا بنيابة الاستئناف وامتاز بتحقيق بعض قضايا كبيرة أظهر فيها استقلالا يمدح عليه وأخيرا سعى والده أحمد باشا أبو الفتوح من أعيان بلقاس فى أن ولده يعين مديرا ويؤكدون أنه دفع للخديو

---

= صحيفة سياسية سماها « الجنة » كانت تعمل لمصر كصحيفة مصرية ولقى من عطف الخديو اسماعيل الكثير . وفى سنة ١٨٧١ أصدر صحيفة جديدة أسماها « الجنينة » واشترك فى تحريرها ابن عمه سليمان البستانى ثم أصدر فى القاهرة فى سنة ١٨٧٩ صحيفة « النجاة » .

على أن الاثر الخالد له هو دائرة المعارف التى بدأها فى سنة ١٨٧٥ أتم ٦ مجلدات منها ثم مات سنة ١٨٨٣ فقام أبناؤه باتمام هذا الارث الرفيع ونشروا المجلدات تباعا فى بيروت ثم فى مصر .
( د. أبراهيم عبده : أعلام الصحافة العربية ص ص ٢ ٤ـ ٤٩ ) .

(١) المقصود الجمعية التشريعية

أربعة آلاف جنيه رشوة للوصول لهذه الغاية فعين مديرا لجرجا ثم للفيوم وأخيراً وكيلا لنظارة المعارف .

**وفاة علي باشا أبو الفتوح**

هذا الشاب كان من أكبر أنصارنا وكان يكتب في مجلة الموسوعات التي أصدرتها سنتين ونصف حوالي سنة ١٨٩٩ وسنة ١٩٠٠ . واشترك في تأسيس الاتنداز اجيبسيان (١) وساعد كذلك في الصرف عليه بعد موت مصطفى كامل باشا ، ولكنه تغير كلية بعد أن عين مديرا ، وانقطع عن زيارتي وزيارة أمثالي ممن اشتهر بالاشتغال بالسياسة فلما زرته لتهنئته عقب تعيينه مديرا ، لم يرد لي الزيارة ولا في العيد الذي أعقب تعيينه وأرسل لي مع أخي إبراهيم بك معتذرا بأن مركزه في الحكومة يمنعه من ذلك مع بقائه محافظا على ولائي ومحبتي ، وبعد ذلك لم أره مطلقا . واستمر هو ووالده وأخوه محمد بك أبو الفتوح عمدة بلقاس في التقرب من الخديو والانكليز طمعا في أن يحصل على الوزارة ، ولو بقي حيا لوصل إليها بلا شك . وهكذا تؤثر المناصب على ضعاف العزائم ومحبي الأبهة وعشاق الرتب والنياشين وهو ضعف وراثي في كثير من الشبان المصريين لا يؤمل أن يزول مرة واحدة بل لابد من مرور زمن طويل حتى تربى ملكة الوطنية الحقيقية في نفوسنا ، أصلح الله الأحوال .

**تاريخه**

**وفاة نازلي هانم تاريخها**

في أول يناير ، توفيت الأميرة نازلي هانم الكبيرة بنت الأمير مصطفى فاضل باشا أخ الخديو اسماعيل ، كانت من أنصار الإنكليز وعشاقهم وكانت تجاهر بذلك . تربت تربية أوروبية ثم تزوجت بخليل شريف باشا أخ علي باشا شريف سفير الدولة العلية بباريس ، وعاشت معه سنين بها عيشة أوروبية بحتة ، ولما توفي عادت لمصر وبقيت مدة بلا زواج صاحبت في أثنائها الكثيرين من الافرنج والمصريين. وكان لها شغف خصوصي بضباط الإنكليز ، وكانت تقابل الرجال على العادة الأوروبية وتحيي ليالي موسيقية في دارها وتكثر من شرب الخمر وبالأخص الشمبانيا على الطعام بل وقبل كل طعام . كانت تتردد على تونس لزيارة أختها رقية هانم زوجة القائد ابن عياد فتعرفت بالسيد خليل بوحاجب وتزوجته وبقيت معه إلى أن ماتت .

---

(١) كما اشترك أيضا مع جماعة من زملائه الأدباء والمثقفين في تأسيس جمعية « التقدم المصري » الذي كان قد اسس مثلها في فرنسا لايجاد رابطة علمية ادبية بين الطلبة المصريين .
(انظر الياس زخورا : مرآة العصر في تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصر ، ج ٢ ، ص ص ٢٧٣ – ٧٦)

(٩٦)

ولم تعقب . كانت مشتغلة بالدسائس فكانت تتجسس لعبد الحميد على الخديو وعليه كذلك للإنكليز ، وكانت تخاطب الصحافيين وتنشر آراءها فى الجرائد وكلها ضد المصريين ولها حديث مشهور نشره جرفيل Guerville الأمريكى فى كتاب على مصر(١) وصفت فيه الشبيبة المصرية أقبح وصف ، وحديث آخر نشر فى الايجبسيان غازيت حوالى سنة ١٩٠٩ قالت فيه أن الشاب المصرى لا يساوى ثمن الحبل الذى يشنق به ، فقامت عليها الجرائد وكتبت ضدها بإمضاء (صديق قديم ) فى العلم كتابات أهاجتها (٢) ، فأرسلت لى نفيسة هانم إحدى وصيفاتها تطلب منى الكف عن الكتابة ضدها ، وتنكر ما عزاه إليها الصحافى . فطلبت منها أن تحرر لى جوابا بذلك فأبت ، كانت لى بها صلة تعارف بسبب مهنة المحاماة حيث كلفتنى بقضايا وقف جدتها لأبيها ، فترددت عليها مرارا . ولمازرت تونس دعتنى مرارا فى دارها بحمام الأنف وبالمرسى وأكرمتنى ، وإن كنا على طرفى نقيض فى السياسة لكنها كانت تحترم آرائى وكانت تكره مصطفى كامل وتتهمه بالمتاجرة الوطنية ، ولكنها كانت لا تكلمنى بشأنه مطلقا لاختلافنا الكلى على هذه النقطة ، ثم زعلت معها وقاطعتها من أواخر سنة ١٩٠٧ عندما كان البشير صفر ناظر أوقاف تونس وصديقى نازلا عندها وكان مصطفى كامل فى مرضه الأخير ، فدعت عليه أمامى وتمنت موته فغضبت منها ولم أقابلها بعدها قط مع أن صلتى بها كانت متينة وحضرت عقد زواج بنتى فريدة وزواج أحمد كمال ابن أختى . كانت لها صلة بالمرحوم الشيخ عبده وجماعته ، وسعد زغلول وقاسم أمين وعفيفى باشا وغيرهم . وكانت تتداخل فى القضايا مقابل سمسرة تأخذها باسمها أو باسم القضاة ، فأضرت باسمهم كثيرا وتداخلها فى قضية الست ليله هانم ابنة زوجها من الحرام من فرنساوية مشهورة حيث حصلت لها على حكم بأنها ابنته فورثت أوقافه الواسعة مقابل مبلغ جسيم أخذت به كمبيالات على ليله هانم إلى أن تزوجت هذه بمحمد بك عارف الماردينى أحد ولاة الدولة لم يدفع هذه الكمبيالات ورفعت بشأنها دعاوى

---

(١) والكتاب المقصود هو : Guerville, A.B., de: New Egypt, London, 1905

(٢) نشرت أيضا جريدة البروجرية حديثا آخر للأميرة نازلى بشأن مصر مجدت فيه الانجليز قائلة ان الشعب المصرى تمتع بالحرية والعدل تحت حكمهم لمده ٢٧ عاما واضافت « النا ما كنا لننال الدستور ونبلغ الأمل لو لم تكن قد أنكرنا جميل الحكومة الانكليزية وفضلها ومعروفها علينا ولكنا غمضنا عيوننا عن رؤية الخير العظيم الذى صنعوه معنا ولم نشأ ان ننظر الا الى الشر القليل الذى يمكن أن يكون قد وقع منهم علينا وقمنا نقول انهم لم يفعلوا لنا شيئا على الاطلاق فنحن الآن نحصد ما زرعنا ونجنى ثمر جنينا » . ( المقطم ٢٦ فبراير ١٩٠٩ ) .

أمام المحكمة المختلطة وأرادت توكيلي فيها نازلى هانم فلم أقبل لعلمى بأجل الكمبيالات وأن سببها غير شرعى .

حسن خالد ابن أبو الهدى الصيادى

عين الخديو حسن بك خالد بن الشيخ أبو الهدى (١) وهو من الارتجاعيين أعداء حزب الاتحاد والترقى رئيسا لديوانه التركى ، وهى غلطة سياسية يغضب بها الباب العالى بلا فائدة خصوصا وأنه كان عين هذا الرجل شيخا لزاوية الكلشنى بمصر براتب ٢٥ جنيه زيد فيما بعد إلى خمسين جنيه ، ولما جعل الأوقاف نظارة رفت فتعيينه بعد رفته بفيد تعلقه به وبمثله من الارتجاعيين .

(٦٧)

وكذلك أخطأ فى تعيين محمد عارف بك التركى تلغرافجى وجاسوس عبد الحميد ، سر تشريفاتى بمرتب ١٥٠٠ جنيه فى السنة مع الإنعام عليه برتبة ميرمران (باشا) بدل عثمان باشا مرتضى الذى نقل رئيس ديوان خديو ..

٨ يناير ، كان عيد تولية الخديو فلم تحصل تشريفات بل سافر الخديو لمزارعه بمريوط ، ويظهر أن كتشنر يريد من تقليل هذه المقابلات بقدر الإمكان .

٢٢ منه ، احتفل بافتتاح الجمعية التشريعية الجديدة احتفالا عظيما تغريرا بالأمة وإيهاما لها بأنها نالت شيئا يذكر ، ولكن الحزب الوطنى لم يترك الأمة تحت هذا التأثير السيء بل اجتمعت لجنته الإدارية مساء يوم ٢٠ منه ، وقررت إرسال تلغراف للخديو بأن هذه الجمعية ليست هي ما تطلبه الأمة بل انها تطالبه برد الدستور وأرسلته إليه فعلا ونشر فى الشعب (٢) ، كذلك نظم مظاهرة على طول الطريق بين سراى عابدين ونظارة الأشغال يهتفون له بطلب الدستور ، وأرسلت جمعيات الطلبة

---

(١) الشيخ أبو الهدى الصيادى سورى من حلب ، عين مستشارا للسلطان عبد الحميد ، ونظرا لانه كان عدوا للحركة الاصلاحية فى الدولة العثمانية ، فقد نعده عبد الله النديم فى كتابه « المسامير » وكان قد خصصه لهذا الغرض ، وقد حاول الصيادى الحصول على هذا الكتاب فلم يفلح لأن النديم كان قد أودعه عند أحد أصدقائه . ( شحاته عيسى ابراهيم : عظماء الوطنية فى مصر فى العصر الحديث . ص ١٣٦ ) .

(٢) ارسل الحزب برقية بتوقيع وكيله على فهمى يقول فيها :

« سمو الخديو المعظم » :

اتشرف بان أبلغ سموكم ان اللجنة الادارية للحزب الوطنى اجتمعت مساء اليوم وكلفتنى أن أرفع الى سموكم قرارها ، وهذا نصه

« بمناسبة افتتاح الجمعية التشريعية غدا ، تذكر اللجنة الادارية سموكم بالتصريحات العديدة التى تفضلتم بها والتى تضمنت القول بضرورة الحكم النيابى لها وتصرح لسموكم بان اختصاصات الجمعية التشريعية لا تطابق رغبات الأمة التى تريد كما يريد سموكم اشتراكها اشتراكا تاما فى الاشراف على مرافقها ومراقبتها للقوة التنفيذية مراقبة فعلية ، لذلك تطلب اللجنة الادارية من سموكم رد دستور الأمة اليها » .

بأوروبا عرائض مختلفة المبنى متفقة المعنى لرئيس الجمعية يطلبون منها لغو القوانين الاستثنائية والعفو عمن حكم عليهم بموجبها . ولقد نشرت إلى يوم ٢٣ منه عرائض جمعيات جنيف وبلجيكا وتولوز فى جرائد الشعب والجريدة والأهرام (١) .

مما ساء الأمة يوم هذا الاحتفال ، وقوف العساكر الإنكليزية على جانبى جزء من الطريق ساعة الاحتفال . بينما كانت الجنود المصرية فى الجزء الثانى ، وهذا الاشتراك يقصد به الإنكليز إظهار سلطتهم ووجودهم ، ومما ساءهم أيضا دعوة كتشنر لجميع أعضاء الجمعية لتناول الشاى عنده ، بعد ظهر يوم الأربع ٢١ منه أى قبيل الاجتماع ، ولكن عبد اللطيف بك الصوفانى أحد مندوبى البحيرة ، والعضو فى لجنة الحزب الإدارية لم يلب هذه الدعوة فحاز رضا إخوانه عنه ، وكفر ما كان حصل منه فى شهر سبتمبر سنة ١٩١٢ من حضور دعوة كهذه بعد أن تعهد لإخوانه بعدم الذهاب إليها ولكن كان ذلك الأمر بتأثير عبد الحميد عمار علية ذلك المذبذب الذى لم ينتخب هذه المرة لعدم مساعدة الحزب الوطنى له

فى مساء يوم ٢١ المذكور ، أولم محمد سعيد وليمة بأوتيل سافواى لأعضاء الجمعية والنظار .

خطبة الخديو التى ألقاها يوم الافتتاح ركيكة ولا شىء فيها عن التعليم أو السياسة بل كلها حض على الاشتغال بالزراعة وترقيتها وقد انتقدها أمين أفندى الرافعى انتقادا أعجبت به كثيرا ظهر فى عدد الجمعة ٢٣ منه .

٣١ يناير ، قضيت هذا الشهر بمدينة جنيف ، وكان البرد شديدا ولم يزل كذلك فلم تظهر فيه الشمس إلا مرتين ونزل الثلج فى أغلب أيامه وبالاختصار كان شهرا محزنا كئيبا ولو ساعدتنى الظروف(٢) المالية لسافرت إلى جنوب

(٦٨)

فرنسا أو إلى جزائر الغرب ولكن الأمل فى نوال ذلك ضعيف .

لقد توصلت بمساعى مع بعض الطلبة وأصحاب النفوذ على إخوانهم إلى تأليف

---

(١) ركزت جمعيات الطلبة المصرية - بأوروبا - فى العرائض المقدمة منها الى الجمعية التشريعية - بصفة خاصة على الغاء قانون المطبوعات الذى يقيد حرية الكتابة ، لأن هذا التقييد على حد قولهم : « من أسام محظورات القانون فى بلدنا . » وأشاروا الى أن « التشريع جاد بقاعدة الأخلاق - ولا يضار كاتب ولا شهيد » .

وأخيرا ناشدوا نواب الأمة بأن يكونوا عند حسن ظن الشعب بهم وأن فى ذلك ضمان لتأييد الأمة لهم . ( الجريدة ، العدد الصادر فى ٢٢ يناير ١٩١٤ : من الطلبة المصريين فى طولوز الى نواب الأمة ) .

(٢) لم ترد بالأصل كلمة ( الظروف ) وأضيفت هنا ليستقيم المعنى .

جمعية بجنيف اسمها أبو الهول ، وهي التي قامت باحتفال ٣١ ديسمبر الماضي ، وأن يكون في المدن الأخرى التي بها طلبة مصريون جمعيات بهذا الاسم وهذا كله توطئة لجمع مؤتمر الطلبة في الصيف الآتي ، لأن الاجتماع الذي حصل بالعام الماضي في شهر يوليه بمدينة Collonges بمديرية Hte Savoie بفرنسا بجوار جنيف حصل عفوا ولو أن نتيجته كانت جسنة حيث قدم نقدا على القانون النظامي الجديد موقع عليه من مندوبي كثير من الجامعات وقد وجدت للآن جمعيات باسم أبو الهول في نيو شوتل (١) وتولوز (٢) ومنتظر تشكيل مثلها في شهر فبراير في لوندره وبلجيكا وغيرهما .

وقد أدى هذا التضامن بين جماعات الطلبة بأوروبا أن أرسلت جمعيات جنيف وتولوز ولوندره وبلجيكا عرائض للجمعية التشريعية بطلب لغو القوانين الاستثنائية والعفو التام عمن حكم عليهم بموجبها وكلها تقريبا متحدة في المعنى وإن اختلفت بعض الاختلاف في الكتابة ونشرت بمصر في جرائد الشعب والأهرام والجريدة . أخبار مصر الخصوصية تفيد تقدم الحزب الوطني وتقوية مركزه عن ذي قبل ، وتنبيء عن السعي في تشكيل حزب معارضة في الجمعية يكون تحت رئاسة سعد زغلول باشا ، وقد كتبت لهم في ٣١ من هذا الشهر (يناير) بأن يجتهدوا في إدخال سعد باشا اللجنة الإدارية وانتخابه وكيلا بعد أحمد لطفي الذي برهن على أنه رجل مال ليس إلا ، فلو تحقق ذلك لأصبح مركز الحزب قويا في الظاهر والباطن وإن كان في الحقيقة قويا في الباطن .

خالد الفوال وفاته تاريخه

قرأت في جرائد مصر خبر وفاة خالد الفوال المستشار بقلم قضايا الأوقاف وهو من جواسيس المعية وحضر معي مؤتمر جنيف في سبتمبر سنة ١٩٠٩ ، وكان جاسوسا من قبل المعية والحكومة معاً ، وكان وقتها محاميا فكوفيء على تجسسه بأن عين في الأوقاف ، وكان سيء السيرة قبيحها مرتكب للدنايا مع حميه شوقي بك الشاعر ، ومحمود بك حسني ، وحسن رضا بك وغيرهم ممن لا خلاق لهم ، فالله تعالى يتولى محاسبته وقد سبقه إلى القبر زميله في الفجور والتجسس حسن رضا وقريبا يلحق بهم شوقي أيضا .

ابتدأ الخلاف بين الحكومة واللجنة المنتخبة من الجمعية لتحضير اللائحة الداخلية

---

(١) صحتها نيو شاتل Neuchâtel مقاطعة في ؟ سويسرا وتقع على بحيرة نيوشاتل .

(٢) Toulouse . مدينة بجنوب فرنسا ، تقع على نهر الجارون Garonne

للجمعية لأن الحكومة تريد أن تعطى الرئيس سلطة إخراج العضو الذى يتكلم فيما هو خارج عن اختصاصها ، واللجنة تريد أن هذا الحق يكون للجمعية دون غيرها ، وهى حركة تفيد تمسك أعضاء اللجنة بكرامة الجمعية ، ولكن هل تستمر على هذه المقاومة؟؟

(٦٩)

قد سلمت الحكومة للجنة فى هذه النقطة ولكن كسبت منها نقطة أخرى وهى جعل الجلسات سرية فى بعض الأحيان ان رأت لزوما لذلك ، وهو مخالف للقانون الأساسى الذى حدد الأحوال التى يمكن فيها جعل الجلسة سرية . وعذر اللجنة فى قبول ذلك أن الحكومة وعدت بأنه لو حلت الجمعية بسبب خلاف بينها وبين الحكومة فكون رأى الجمعية الجديدة قطعياً أى واجب القبول . وهى خديعة من الحكومة لأنها ليست ملزمة بالحل بل لها الحق فى إصدار القانون بدون الأخذ بطلبات أو تعديلات الجمعية . وقد صرح محمد سعيد باشا بهذا التعديل وسجل على الحكومة فى محضر الجلسة . ومن الغريب أن سعد باشا كان فى هذه المناقشة فى جانب الحكومة معارضا فى ذلك رأى الصوفانى ومن تبعه فى المحافظة على علنية الجلسات إلا فى الأحوال المعينة فى القانون . وهذا التحول يؤيد رأيى فيه وهو أن الرجل يريد الوصول إلى الوزارة على أكتاف رجال الحزب الوطنى .

لوندره فى ١٨ فبراير سنة ١٩١٤ ، ما كنت أظن أنى آتى إلى بلاد الإنكليز وأنا محكوم على لأبل كنت أخشى أن أسلم إلى الحكومة المصرية ، ومع ذلك فقد جازفت ؛ حضرت إليها يوم الأحد ١٥ الساعة ٧ مساء . وتفصيل ذلك أن مدام درابهرست الارلندية ، كتبت لى فى شهر يناير بأن مؤتمر الأجناس المضطهدة والمستعبدة سينعقد فى يومى ١٦ ، ١٧ فبراير ، وتتمنى لو حضرته لأرفع صوت مصر فيه لأن كلامى به يكون أوقع من كلام بعض الطلبة ، وأنها لا ترى مانعا من حضورى ولا تعتقد بأن الحكومة تجرأ على معاكستى خصوصاً وأن مجلس النواب منعقد الآن : فكتبت اليها بأنى أود ذلك ولكن ضيق ذات اليد يمنعنى ذلك فجمعت من تعرفهم من الطلبة المصريين وفهمتهم الحالة فتبرعوا بأجرة التذكرة ذهابا وإيابا بالدرجة الثانية من جنيف إلى لوندره ، وهى أيضا دفعت جزءاً من الأجرة ومجموعها ١٦٥,٢٥ فرنكا وأرسلوها لى ، فلم أجد بداً من السفر ، وسافرت فعلا من جنيف مساء يوم الجمعة ١٣ الجارى فوصلت باريس صباح السبت وفى هذا اليوم الساعة ٥ مساء كان إجتماع اللجنة الفرنساوية العثمانية المشروع فى تكوينها للدفاع عن الدولة العلية ، وكنت دعيت إليها فحضرتها واعتبرت من المؤسسين فيها . وفى ظهر يوم الأحد

سافرت إلى لوندره فوصلتها الساعة ٣ مساء . ووجدت بالمحطة مدام درابهرست وقليلا من الطلبة لأنى كنت كتبت إليها بعدم إذاعة خبر مجيئى حتى لا يتنبه البوليس . مما سرنى بعد ذلك أن جمعية أبو الهول التى كونت فى لوندره على مثال جمعية جنيف وغيرها لجمع كلمة الطلبة بأوروبا قد حجزت لى غرفة فى أمبريال أوتيل الفخم ، وطلبت منى بكل أدب بل وخجل أن أقبل أن أكون ضيفها مدة إقامتى فقبلت بكل انشراح ، لأن هذا العمل دل على تقدم كبير فى الأفكار وميل لمساعدتى وصل تأثيره إلى أعماق قلبى .

( ٧٠ )

ومما زادنى سروراً أن فريقا آخر كان حجز لى مكانا فى بانسيون جميل هم ساكنون فيه ، وأخذ الفريقان يتنازعاننى ، وأخيراً تغلب الفريق الذى أختار الأوتيل وعند وصولى إلى الأوتيل طلب منى عبد الرؤوف أفندى رشدى أن أقبل مبلغا صغيرا ليقوم بمصروفى أثناء إقامتى بلوندره فقبلت شاكراً فدفع لى سبعة جنيه مصروف مدة الأسبوع الذى اتفقنا على أن أقيمه هنا . نعم أن هذا المبلغ شىء قليل، ولكنه بالنسبة للظروف الموجود أنا بها الآن ، وبالنسبة للشعور الدافع على التبرع به جعله عندى كبير القيمة كبير الأهمية . بعد ظهر يوم الإثنين ١٦ ، توجهت إلى محل إجتماع المؤتمر فقوبلت بالتصفيق من الحاضرين وأغلبهم مصريين وهنود وبينهم فريق من نواب الإنكليز وكان الرئيس: السير هنرى كوتون H. Cutton فصافحنى وأجلسنى بجانبه . ولما أتى دور التكلم على مصر وقانون الصحافة بها دعيت للخطابة من الرئيس بعد أن حيانى بكلمات لطيفة (١) فألقيت خطبة (٢) فى هذا الباب صفق لها مراراً . وفى الختام اقترح الرئيس إرسال طلب للخديو وللجمعية التشريعية بلغو قانون المطبوعات (٣) والقوانين الأخرى الإستثنائية ، والعفو التام عمن حكم عليهم بمقتضاه . بعد ذلك عدت إلى اللوكاندة وتبعنى نحو خمسين من الطلبة لأخذ الشاى وهناك أخذوا فى توزيع أوقاتى لأتناول العشاء والغداء فى مدة إقامتى عندهم فريقا بعد فريق :

---

(١) قال عنه « انه أحد الرجال العظماء الذين يقدرون مبدأ التضحية والذين تعذبوا فى سبيل خدمة قومهم ( الرافعى ، محمد فريد ص ٣٨٨ )

(٢) ألقاها بالفرنسية وترجمت للانجليزية ( المصدر نفسه )

(٣) عن قانون المطبوعات : أنظر الهامش رقم (٥) الذى كتبناه تعقيبا على ما ورد ذكره عنه بالصفحة السادسة من هذه المذكرات .

فى يوم الثلاث ١٧ ، سافرت إلى عزبة المستر بلانت لقضاء اليوم عنده فوجدته فى غاية الصحة . وقد أطلعنى على(١) جوابين محررين إلى عرابى باشا أحدهما من الشيخ محمد ظافر والثانى من أحمد راتب باشا فى ربيع الأول سنة ١٢٩٩ ، يفيدان صراحة بأن السلطان عبد الحميد كان يمنيه بملك مصر ويحضه على الدفاع عنها حتى لايملكها الأجنبى كما أخذت فرنسا تونس . وقد نشر ترجمتها فى كتابه « تاريخ احتلال مصر السرى »(٢) وسينشر نصهما بالفتوغراف فى ترجمة هذا الكتاب الذى وعده بنشرها أحمد أفندى عبد الغفار (٣) من أعيان تلا (منوفية) والذى كان تلميذاً فى اكسفورد . ولقد اطلعت بطريق الصدفة على جواب كان بينهما من الشيخ محمد عبده إلى بلانت بتاريخ ذى الحجة ١٢٩٩ أرسله إليه من السجن يشتكى من حاله . ويذكر له مقابلة المستر برودلى المحامى له فى السجن . ويقول فيه ما معناه أنه واثق بأن انكلترا سيكون لها تمثال فى قلوب المصريين وبكل أسف لم أتمكن من أخذ صورته . وعلمت من المستر بلانت بأن لديه أوراقاً كثيرة بالعربية من رجال الحزب الأهلى اذ ذاك فإذا مكنتنى الفرص وأقمت فى لوندره بضع أسابيع سأعود إليه وأطلب منه إطلاعى على هذه الأوراق على أجد فيها شيئاً يفيد نشره .

يوم السبت ٢١ منه : أقيمت لى حفلة شاى فى سافواى أوتيل دعى إليها كثيرون من رجال الصحافة .

(٧١)

وبعض أعضاء البرلمان وحضرها كثير من الطلبة المصريين من لوندره وأرسل طلبة أوكسفورد وطلبة كامبردج وفوداً تنوب عنهم ، وأرسل طلبة ادمبرج ودبلن بارلانده وليفربول وغيرها تلغرافات تحية واعتذار فكان الإجتماع يسر كل محب لمصر وكانت الدعوة باسم عبد الحليم أفندى حلمى طالب طب بصفته رئيساً لجمعية أبو الهول بلوندره ، وفى الساعة ٤ ونصف افتتح الحفلة بكلمتين ثم خطب كثير من الطلبة خطباً حماسية كانت احداها بالإنكليزية وهى التى ألقاها عزام أفندى(٤)

---

(١) لم ترد بالأصل كلمة (على) واضيفت لكى يستقيم المعنى .

(٢) والكتاب المقصود هو : Blunt, W.S.: Secret History of the British Occupation of Egypt, London, 1907.

(٣) انظر ترجمة محمد فريد له على صفحة ٢٦ و ٢٧ من هذه المذكرات .

(٤) هو عبد الرحمن عزام ، الذى التحق بالجيش العثمانى فى حرب البلقان سنة ١٩١٣ واسهم فى شبابه فى الحركة العربية أثناء اقامته فى اوربا ، واشترك فى عدة معارك بالصحراء الغربية ( ١٩١٥ - ١٩١٧ ) ، وانضم الى الحركة الوطنية بمصر تحت زعامة سعد زغلول . تولى وزارة الأوقاف فى الفترة من ١٩٣٦/٨/١٨ الى ١٩٣٩/١٢/٢٠ ثم وزارة الشئون الاجتماعية فى الفترة من ١٩٣٩/١٢/٢٠ الى ١٩٤٠/٦/٢٧ . وهو اول من شغل منصب الأمين العام لجامعة الدول العربية ، وله مواقف مشهورة فى الدفاع عن قضية فلسطين فى الامم المتحدة ، كما عمل مستشارا سياسيا للمملكة العربية السعودية . ( انظر : الموسوعة العربية الميسرة ص ١١٨٢ ، النظارات والوزارات المصرية ، ج ١ ، ص ٥٨٢ ) .

وباقيها بالعربية ألقاها السيد أفندى دسوقى وعبد الرؤوف رشدي وألقى مجد الدين ناصف ابن حفني بك ناصف قصيدة بليغة كلها حماسة ودعوة إلى تخليص مصر وقد أخذت صورتها منه بخطه لتكون تذكاراً ،وخطب من الإنكليز المسيو أرثر فيلد Arthur Field عن الجمعية الإنكليزية العثمانية والمسيو أودنيل Odonnel الارلاندى (١) وأخيراً أعطيت الكلمة (٢) إلى دوس أفندى محمد صاحب مجلة افريكان تايمس (٣) . ثم دعيت للتكلم فألقيت خطبتين الأولى بالفرنساوية في حالة مصر السياسية. وأبنت فيها أن القانون الدستورى الجديد لعبة تياترية (٤) لا يوصل إلى الغاية المطلوبة وقرأت وشرحت لهم بعض مواده ، وأخيراً قلت اننا لا نطلب دستوراً ولا إصلاحاً من إنكلترا ولا نطلب ذلك إلا (٥) من الخديو المسئول أمام الأمة ، أما انكلترا فلا نطلب منها إلا الجلاء . ثم تكلمت بالعربية موجهاً كلامي للطلبة ناصحاً لهم بالاتحاد وتأليف الجمعيات وأبنت لهم ضرورة عمل نادى يجمعهم كل أسبوع مرة على الأقل فوجدت منهم آذاناً صاغية ووعدوني بتأليف لجنة في أقرب وقت لتنفيذ هذا المشروع . وبالاختصار كانت هذه الحفلة باعثة على زيادة الأمل عندى فى الشبيبة المصرية ، فإني أجد أن شبيبة اليوم أرقى إحساساً وشعوراً وطنياً من التى سبقتها ، وأقرب

---

(١) كان محررا لشئون السياسة الخارجية فى جريدة « اليقظة » Outlook

(٢) لم ترد بالأصل عبارة ( أعطيت الكلمة ) واضيفت هنا لكى يستقيم المعنى .

(٣) ولد دوس محمد عام ١٨٦٧ من اسرة مسلمة سودانية الأصل كانت تقيم فى الاسكندرية ؛ وكانت أسرته على صلة بضابط فرنسى تبناه ومنحه اسمه ، ولهذا حمل الفتى اسم الضابط واصبح اسمه المتداول هو دوس Duse محمد علي . وعندما بلغ التاسعة من عمره أرسله والده الى لندن ليتعلم هناك ، وقد ساءت حالته المالية هناك نتيجة لهلاك أسرته تماما بسبب عدوان الأسطول الانجليزى على الاسكندرية عام ١٨٨٢ وقد اتصل دوس بجاليات الملونين فى لندن ، ومن هنا بدأ يزداد تجربة ووعيا بمشكلة الشعوب الملونة وعلاقتها بأوربا وخضوعها للاستعمار ، كما اتصل أيضا بمجموعات الشباب المصرية الذين كانوا يستكملون دراساتهم فى لندن والعواصم الاوربية الأخرى ، وكان لهم نشاط وطنى فى مناهضة الاحتلال البريطانى . وقد ورد اسم دوس فى عدد كبير من الكتب التى عرضت تاريخ الدعوة الى الجامعة الافريقية ومؤتمراتها منذ المؤتمر الأول المنعقد فى لندن عام ١٩٠٠ ( بان افريكانزم Pan Africanism) وبهذا يعتبر دوس الرائد المصرى للجامعة الافريقية . وتوفى فى نيجيريا سنة ١٩٤٥ .

هذا ، وقد صدر العدد الأول من مجلة أفريكان تايمز آند اورينت ريفيو African Times and Orient Review في يوليه سنة ١٩١٢ واستمرت المجلة فى الصدور حتى عام ١٩١٩ فيما عدا فترات احتجاب مؤقتة ، وكان دوس يتولى رئاسة تحريرها منذ صدورها حتى انقطاعها عن الظهور .

( د. عبد الملك عودة : سنوات الحسم فى افريقيا ١٩٦٠ ـ ١٩٦٥ ، ص ص ٢٦٧ ـ ٢٧٧ ) .

كما أنه صدر له كتاب بعنوان :

Duse, Mohamed : In the Land of the Pharaohs (A Short History of Egypt from the Fall of Ismail to the assassination of Boutros Pasha), London, 1911.

(٤) المقصود : لعبة مسرحية .

(٥) لم ترد بالأصل كلمة « الا » واضيفت لكي يستقيم المعنى .

إلى فكرة تخليص البلاد بالقوة من ذى قبل ، فإنهم كانوا يخطبون بكل شجاعة وبدون احتراس فى إبداء أفكارهم بكل صراحة مع تأكدهم وجود جواسيس بين الحاضرين ومع وجود فؤاد بك شرين سكرتير المراقبة المدرسية .
فى يوم الثلاث ٢٤ منه ، دعيت إلى عشوة مصرية فى منزل السيد أفندى دسوقى بضواحى لوندرة ، وكان المدعوون نحو أربعين من خيرة الشبيبة ، فأكلنا مريئاً مآكل كلها مصرية من طبخ الشبان أنفسهم ، وقبل الأكل وفى أثنائه تكلمنا كثيراً فى ضرورة تأسيس نادى للطلبة ، وعينا على الفور لجنة لتنفيذ المشروع وقررنا أن كل عضو يدفع نصف جنيه على الأقل فى مصاريف التأسيس ، وكذلك كل عضو يريد الدخول فيه يدفع مثل هذا المبلغ ، وفتحنا اكتتاباً فتبرع أغلبهم بما يزيد عن النصف الجنيه المقرر ، وبعضهم دفع فى الحال ، وبذلك أصبح الأمل قريباً فى فتحه ، وقد وعدتهم بالعودة فى شهر ابريل لافتتاحه بنفسى . وفى الساعة ٩ من هذه الليلة سافرت عائداً إلى باريس فوصلتها الساعة ٥ ونصف .

**(٧٢)**

سافرت يوم الإثنين ٢٣ فبراير إلى اكسفورد بناء على دعوة حفنى أفندى محمود ابن محمود باشا سليمان (١) الطالب بها فوصلتها نحو الظهر مع عبد الرؤوف أفندى رشدى ، وبعد تناول الغذاء فى محل حفنى أفندى بمدرسة Bulliol قصدنا مسكن عبد السلام أفندى عبدالغفار بمدرسة Lincoln حيث كانت الجمعية المصرية مدعوة ، فحضر أعضائها كلهم ، وحضر بعض الهنود المسلمين لزيارتى ودعونى إلى العشاء معهم تلك الليلة فى وليمة لهم عادة فى عملها مرة كل سنة ، تشمل الهنود المسلمين وغير المسلمين ، فاعتذرت لشدة تعبى من هذه الولائم المتكررة ، وادعيت بأن لدى مواعيد بلوندرة تمنعنى من إطالة إقامتى فى اكسفورد إلى المساء . خطب كثير من الطلبة فى واجبات الوطن وفى ضرورة تخليص بلادنا وكان يتخلل الخطب مدحى وتشجيعى

---

(١) هو والد محمد محمود باشا ، ايضا ، تلقى العلم فى الجامع الأزهر ، وفى العقد الثالث من عمره عين عمدة على بلدة أبو تيج ، ثم تقلد منصب نائب مدير على مديرية جرجا وأسيوط ، ثم ترك وظائف الحكومة وتفرغ لادارة أطيانه الواسعة التى ورثها عن والده سليمان بك عبد العل . ولما أنشئ مجلس النواب قبيل الثورة العرابية انتخب عضوا فيه ، ثم عين فى مجلس شورى القوانين وظل فيه مدة ثلاثة عشر عاما قضى ثمانية منها فى نيابة رئاسة الجمعية العمومية والجمعية الوطنية . وهو احد مؤسسى شركة الجريدة فى سنة ١٩٠٧ الناطقة باسم حزب الأمة ، وكان أول رئيس لهذا الحزب . ولما قامت ثورة ١٩١٩ كان أحد المشتركين فيها ، وكان رئيسا للجنة المركزية فى القاهرة اثناء وجود الوفد فى أوربا .

( الياس زخورا : مرآة العصر فى تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصر ، ج٣ ، ص١٥٣ - ٤ ) .

على تحمل آلام الاغتراب ، وأخيراً خطبت فيهم بما ناسب المقام . ثم رافقني الجميع إلى المحطة عند عودتي إلى لونذره . ساعة سفرى من لوندره مساءالثلاث كان بالمحطة نحو ماية من الطلبة لوداعى أغلبهم بالطرابيش فكان المنظر مبهجا ومشجعا . وبالاختصار كانت نتيجة هذه الرحلة باعثه إلى الأمل وزيادة العمل لربط الطلبة ببعضهم وجمع مؤتمر من مندوبيهم وأصبح هذا الأمر محققاً تقريباً .

وصلت باريس صباح الأربعاء ، فاسترحت بها يومى الأربع والخميس . وفى مساء الخميس حضرت جمعية الطلبة المصريين فدعيت لرئاسة الجلسة وكان الموضوع الزواج فى مصر وكان الخطيب عبده أفندى البرقوقى ، وبعد إنتهاء الخطبة والمناقشة فى بعض نقطها ، تكلمت معهم فى ضرورة تأسيس جمعية أبى الهول بباريس ، فوافق كثيرن منهم ووعدونى بتأسيسها فى أقرب وقت .

سافرت إلى Liège ببلجيكا بعد ظهر يوم الجمعة الساعة واحدة و ٤٥ دقيقة فوصلتها حوالى الساعة السابعة ، وكان بالمحطة جميع الطلبة المصريين وكثير من الأتراك أعضاء جمعية اتحاد الإسلام ، ونزلت ضيفاً على حمزة أفندى محمود الطالب بالمدرسة التجارية ، وفى المساء أى بعد تناول العشاء معه قصدنا النادى الإسلامى فوجدنا به بعض الأعضاء وقضينا السهرة فى مبادلة أفكار وبحث فى الشؤون الإسلامية . وفى اليوم الثانى أى يوم السبت ، زرت المدينة وضواحيها فى أوتوموبيل مع حمزة أفندى فوجدتها نظيفة جداً كجميع مدن الشمال وبها من المتنزهات والطرق الواسعة والتياترات والميادين العمومية شيء كثير . وبعد الظهر أعدوا لى حفلة شاى بالنادى خطبوا فيها خطباً كثيرة ثم ألقيت عليهم بعض كلمات فى وجوب اتحاد المسلمين وقبلها كنا توجهنا إلى أحد المصورين نحن المصريون فقط فأخذت صورتنا تذكاراً لهذه الزيارة . وفى ظهر يوم الأحد قصدنا البستان الكبير مع أعضاء النادى على اختلاف أجناسهم وصورنا كذلك وكنا نحو الثلاثين . وفى الظهرتناولنا الغذاء جميعا عند

( انتهت الكراسة الثانية )

# الكراسة الثالثة

( من صفحة ٧٣ الى صفحة ١٠٢ )

حمزة أفندى محمود . وهناك شكلنا جمعية أبو الهول ببلجيكا مركزها لييج وانتخب كاتبا لها عبد الغفار أفندى متولى أحد أعضاء نادى المصريين سابقا بالآستانة ، وأمين صندوق حسين أفندى مرتضى كذلك من نادى الآستانة ، وهم من ضمن الشبان الذين شنقهم كامل باشا إرضاء للخديو والإنكليز عند القبض على الشيخ جاويش فى سبتمبر سنة ١٩١٢ : عقب سفرى من الآستانة إلى أوروبا فى ٢٠ أغسطس سنة ١٩١٢ .

وفى الساعة ٣٤,٣ دقيقة بعد الظهر ، سافرت إلى بروكسل حيث قضيت الليل . وفى الساعة واحدة بعد ظهر يوم الاثنين ٢ مارث سافرت إلى باريس فوصلتها الساعة ٥ ونصف تقريبا لحضور جمعية الاتحاد والترقى الإسلامية بها وقد حضرتها فعلا الساعة ٩ مساء .

وفى اليوم الثانى ، اجتمع بعض المصريين عندى بالأوتيل ، وقررنا جمع من اريد تأليف جمعية أبو الهول بباريس منهم فى اليوم التالى . وقد اجتمعوا وأسسنا أبو الهول أيضا بهذه المدينة .

فى ظهر يوم الثلاث ٣ مارث ، تناولت طعام الغداء مع جاويد بك العثمانى وكان معه عمر ناجى بك من أركان لجنة الاتحاد والترقى ، وتداولنا فى كثير من الشؤون وقد وعدنى بمساعدة جمعية ترقى الإسلام بجنيف بشىء من المال من قبل جمعية الاتحاد ، وقد وعدنى طلعت بك هذا الوعد من العام الماضى حين ما كنت بالآستانة ولا أدرى إذا كانوا يوفون بوعدهم هذه المرة أولا .

غادرت باريس فى مساء الأربعاء ٤ مارث ، الساعة ١٠،٩ دقائق مساء فوصلتها (١) فى الساعة ٨ ونصف صباحا بعد أن غبت عنها عشرين يوما قضيتها فى خدمة البلد والتأليف بين الشبيبة وبث روح التضحية فيهم خدمة لمصر ، فوجدت الدكتور منصور رفعت معدا وليمة لاستقبالى فى مساء ذلك اليوم فى نادى الوطنيين الذى هو رئيسه ؛ ودعى معى جمعا كبيرا من الطلبة وبعض أهالى جنيف فأكلنا وشرب من شرب وألقيت بعض خطب وأنا شرحت لهم رحلتى ونتائجها وآمالى فى المستقبل الخ .

يوم الثلاث ٣ مارث ، وقت الغدا مع جويد بك أخبرنى عمر ناجى بك أنه لما قابل الخديو عند سفره إلى بنغازى ، دار الحديث بينهما على الحزب الوطنى . فقال عباس انه لا يخشى أحدا خلافى لأنى صلب ولا تمكن استمالتى ، أما الشيخ جاويش فرجل بسيط سهل القياد يمكن التأثير عليه : وهذا يؤيد ما أظهره من الضعف والجبن أثناء قضية مختار فى سبتمبر سنة ١٩١٢ وعدوله فيما بعد عن الاشتغال بالمسألة المصرية .

يوم الأحد ١٥ منه ، فى صباح هذا اليوم ورد لى تلغراف من مصر بتوقيع اسماعيل لبيب يقول فيه

(٧٤)

ما معناه ( اطلعت على الجواب المرسل لروشبرون ، لاتنشر المقالات القائل عنها به فى مجلة ترقى الإسلام وانتظر جواب منى ) فدهشت للغاية لكراهة اسماعيل لبيب لهذه السيدة وطعنه عليها فقلت كيف أنها تطلعه على جواباتى مع توتر العلائق بينهما بهذه الصفة ، فكتبت إليه جوابا أخبره بوصول التلغراف وبأنى أنتظر جوابه حتى إذا وجدت به من الأسباب ما يحملنى على عدم الاستمرار فى الحملة على الخديو امتنعت عن نشر هذه المقالات وإلا أستمر بكل شدة فى طريقى .

والجواب المرسل إلى روشبرون ويشير إليه فى تلغرافه قلت لها فيه انى سأنشر فى العدد الآتى من المجلة مقالات شديدة ضد الخديو حتى اضطره إلى الاتفاق مع الحزب الوطنى لأنه لا يستحق الرحمة وإن سكت عنه استمر فى غيه وفى معاكساته .

يوم السبت ٢١ منه ، وصلنى جواب مطول من روشبرون تقول انها أرسلت جوابى المذكور إلى الخديو عن يد العلايلى ، وأن العلايلى اهتم بما فيه وقال لها انه

---

(١) يقصد جنيف .

سيكلف أحد أصحابى ممن أثق فيهم (١) بأن يكتب لى تلغرافا بعدم نشرها، فعلمت حينئذ سر هذا التلغراف وأن اسماعيل لبيب لم يقابل روشبرون بل اطلع على جوابى مع العلايلى . ومن الغريب أن جواب اسماعيل لبيب الموعود به فى التلغراف لم يصل ليوم تحرير هذه المذكرة (٢٥ مارث) مع أن التلغراف تاريخه ١٤ منه، ولو كان أرسل الجواب عقب إرسال التلغراف أى فى ١٥ لوصلنى قطعيا لأن الجرائد وصلتنى أمس لغاية ١٨ منه . فللأمر سر سيظهر عند ورود جواب روشبرون ردا على ما كتبته لها فى أول أمس (٢٣) .

حامد العلايلى

من هو وتاريخه — شاب فى نحو الخامسة والعشرين من عمره كان طالبا بانكلترا اشتهر فى أول أيامه بالوطنية وترأس نادى الطلبة بلوندره . وفى سنة ١٩١٠ اشتغل كثيرا فى تحضير مؤتمر الحزب الوطنى ، وفى يوليه أغسطس فى تلك السنة حضر إلى باريس مع الدكتور رفعت منصور (٢) بصفتهما مندوبين عن لجنة المؤتمر بمصر. وبلغنا حينئذ أنه جاسوس من قبل الخديو فسألناه عن الحقيقة فأخذ يبكى ويتبرأ ولكنه اعترف بأنه مر بالآستانة وقابل الخديو وأن من رأيه الاتفاق معه فلمناه وناقشناه حتى اقتنع . وبعد تمام المؤتمر طبع التقرير الذى قدم إليه على حده وأرسل منه للخديو نسخة (٣) وعليها كتابة شديدة أرسل منها صورتها لى بالآستانة فنشرتها فى جريدة الجون ترك فى نوفمبر سنة ١٩١٠ على ما أتذكر ، وفى سنة ١٩١١ أثناء وجودى بالسجن (٤) سمعت أنه اجتمع بالخديو بباريس وأنه وظف بالمعية ، وأنه يسعى

(٧٥)

لدى الطلبة بباريس ليقربهم من الخديو مع عثمان غالب وحافظ عوض وغيرهما . ولكن عبد الحميد سعيد وقف له بالمرصاد وأحبط مساعيه . لما خرجت من السجن وعاد هو من أوروبا قابلنى فى إدارة العلم بعد أن استأذننى بواسطة حسن عمار ابن عبد الحميد عمار فأخذ يتبرأ مما نسب إليه فطلبت كتابة جواب بذلك لينشر فأبى . وكان حاضرا هذه المقابلة الشاب حسن الشيتينى . أخيرا تأكد خبر توظفه بالمعية

(١) أضيفت كلمة « فيهم » بعد ( أثق ) ليستقيم المعنى .

(٢) صحة الاسم : منصور رفعت .

(٣) أضيفت كلمة « نسخة » بعد ( للخديو ) ليستقيم المعنى .

(٤) يشير الزعيم هنا الى الحكم عليه بالسجن فى الفترة من ٢٣ يناير سنة ١٩١١ الى ١٧ يوليه سنه ١٩١١ بسجن الاستئناف بباب الخلق ، وذلك بسبب كتابته مقدمة ديوان « وطنيتى » الذى ألفه الشيخ على الغاياتى .

( لمزيد من التفاصيل أنظر الرافعى : محمد فريد ، صفحات ٢١٩ و ٢٢٧ و ٢٢٩ و ٢٣٠ — ٢٣٤ ) .

وقابلني بعد ذلك وأخبرني أنه يسعى في جذب الخديو للحزب الوطني ، وطلب أن أمهله شهرين حتى إذا خابت مساعيه استقال ، وبعد ذلك استمر في خدمته إلى الآن ، وكثيراً ما أخذ نقوداً بدعوى توزيعها على رجال الحزب الوطني كذبا وبهتانا ويأخذها لنفسه وهو الآن من المقربين جدا على أنه ما زال يقول بأنه خادم للحزب بل خادم لشخصي وستظهر الأيام ما هو فاعل .

٢٦ مارث ، في هذا اليوم تمت سنتان من يوم خروجي من مصر بالصفة المشروحة في مذكراتي الأولى(١) — ٢٧ منه هذا اليوم وصلني جواب اسماعيل بك لبيب يطلب مني فيه أن لا أطعن على الخديو لأن مركز الوزارة (٢) مزعزع ومن صالحنا عدم إغضاب الخديو الآن ، ويخبرني بأنه سيحضر قريبا لمنا (جنيف) للمخابرة معي شفهيا في جميع هذه المسائل . وعلى ذلك عدلت ما كنت جهزته للطبع ضد الخديو ، فإن استمر في غيه ولم يتم الاتفاق بيننا ، كما أتوقعه ، عدت لنشره في العدد القادم .

جواب اسماعيل لبيب بك

٣١ مارث ، في هذا اليوم وردت التلغرافات العمومية منبئة بخبر استعفاء محمد سعيد باشا بسبب اختلافه مع الخديو وهجمات الجمعية التشريعية عليه ، وأن الرئاسة عرضت على مصطفى باشا فهمي الذي استدعي للقصر لأخذ رأيه في ذلك فكتبت في الحال مقالة صغيرة نشرت في آخر مجلة ترقي الإسلام التي ستصدر بعد باكر ، وأرسلت صورتها إلى لوادره لتنشر في مجلة أفريكان تيمس وذكرت بها ما وردني من مصر ضمن جواب اسماعيل لبيب بك المؤرخ ١٥ مارث حيث قال فيه : « توجد إشاعة وهي قرب سقوط وزارة سعيد وتعيين مصطفى فهمي رئيسا للنظار ويقال انه اشترط تعديل قانون المطبوعات وإلغاء القوانين الاستثنائية ، والعفو عن الذين حوكموا بمقتضاها ويؤكدون بأن أصحاب الشأن يوافقوه على قبول الشرط الأول والثاني ، ولاتزال المخابرات مستمرة والأمة تنتظر بفروغ الصبر تحقيق هذه الإشاعة ، لأنها مجمعة على كراهة سعيد وتتمنى التخلص منه بكل الوسائل ،

استعفاء وزارة سعيد

(٧٦)

فان ما وصلنا إليه من سوء الحال وفساد الأخلاق لا يقبل المزيد(٢) .

في ٣ أبريل ، وصلني جواب من روشبرون يحتوي حديثا بينها وبين حسين رشدي باشا ناظر الحقانية ، من ضمن ما فيه أنه اعترف بغلطة الحكومة في مسألة

---

(١) أنظر صفحات ١٤ و ١٥ و ١٦ من هذه المذكرات ( الكراسة الأولى ) .

(٢) المقصود: ( نظارة ) محمد سعيد باشا .

الوكيلين بالجمعية التشريعية ، وبأن أغلبية الحكومة مكونة من مغفلين لا يعتمد عليهم (١) ، ثم تكلم بشأنى فطعن فى ووصفنى بأنى ( قاتل ـ سفاك للدماء ) وبأنى أغرى الطلبة ، وختم حديثه بأنى ( خطر ) و ( معدى ) وهو جواب مهم .

وزارة حسين رشدى

جاءت التلغرافات بخبر استعفاء الوزارة وعدم توفق مصطفى باشا فهمى لتأليف الوزارة ، وأنها شكلت تحت رئاسة حسين رشدى الذى أخذ الداخلية وخرج من الوزارة السابقة محمد سعيد ، وسعيد ذو الفقار ، وحشمت باشا ، ودخل مكانهم عبد الخالق ثروت باشا فى الحقانية ، واسماعيل صدقى وكيل الداخلية فى الزراعة ، ونقل محب منها إلى الأوقاف ، ونقل يوسف وهبه من الخارجية إلى المالية ، وعين عدلى باشا يكن (٢) فى الخارجية ، أما أحمد حلمى فبقى فى المعارف ، واسماعيل سرى (٣) فى الأشغال والحربية.

ولكن لا أمل لى فى هذه الوزارة ، لأن حسين رشدى غير كفؤ فى السياسة وإن كان عالما فى القانون وقاضى فاضل. ويظهر أن الخديو اختاره لثقته فيه ولكن سوف يخونه كما خانه سعيد . وحسين رشدى هو ابن المرحوم محمود حمدى طبوزاده باشا الذى كان وكيلا للداخلية وتعلم باوروبا القانون ونبغ فيه ، ولما عاد لمصر عين فى

---

(١) أضيفت كلمة « عليهم » ليستقيم المعنى .

(٢) هو ابن ابراهيم باشا يكن ، ولد سنة ١٨٦٦ وتوفى سنة ١٩٣٣ ، سافر مع والده الى الآستانة واقام فيها نحو ثلاث سنوات قضاها فى دراسة مبادىء العلوم ، ولما عاد الى مصر دخل المدرسة الألمانية ودرس فيها اللغتين العربية والفرنسية ثم نقل منها الى مدرسة الفرير فمدرسة الجزوئيت فمدرسة مارسيل حيث أتقن فيها اللغة الفرنسية والتركية . ولما أتم دروسه عين فى سنة ١٨٨٠ كاتبا بقلم الترجمة بنظارة الداخلية فكاتبا بقلم المطبوعات ثم عين سكرتيرا لنظارة الخارجية ورئاسة مجلس النظار فى عهد نوبار . وفى سنة ١٨٩٠ عين وكيلا لمديرية المنوفية فوكيلا لمديرية المنيا فوكيلا لمحافظة القنال ، وفى سنة ١٨٩٤ عين مديرا للفيوم فمحافظا للقاهرة ثم مديرا لديوان الأوقاف ، وأنعم عليه برتبة المتمايز . ودخل الوزارة لأول مرة سنة ١٩١٤ عندما عين ناظرا للخارجية ، وتقلب فى مناصب وزارية عديدة ، والف الوزارة الأولى له من ١٦ مارس ١٩٢١ الى ٢٤ ديسمبر ١٩٢١ ، والثانية من ٧ يونيو ١٩٢٦ الى ٢١ أبريل ١٩٢٧ ، والثالثة من ٣ أكتوبر ١٩٢٩ الى أول يناير ١٩٣٠ . وكانت وفاته فى باريس . وكان أول رئيس لحزب الأحرار الدستوريين الذى شكل فى أكتوبر ١٩٢٢ بعد خروجه من الوفد .
( الياس زخورا ، ج ١ ص ص ٢٧٥ ـ ٧٧ ) .

(٣) ولد اسماعيل سرى فى أواخر سنة ١٨٦١ وتوفى سنة ١٩٣٧ . تلقى علومه بمصر، وأثناء تلقيه الهندسة بمدرسة المهندسخانة فى مصر أرسلته الحكومة فى نوفمبر ١٨٧٨ الى فرنسا وانجلترا لاستكمال علومه . وقد عين فى أوائل سنة ١٨٨٦ وكيلا لتفتيش رى قسم أول بالقاهرة ، وفى سنة ١٨٩٢ عين مديرا للرى بمديرية جرجا وقبلى أسيوط فمفتشا لرى قسم ثان بمديرية الغربية والمنوفية ، وعين ناظرا للأشغال العمومية وللحربية والبحرية ( ١٢ نوفمبر ١٩٠٨ ـ ٥ أبريل ١٩١٤ ) فى نظارتى بطرس غالى باشا ومحمد سعيد باشا ، وتقلب فى هذين المنصبين حتى سنة ١٩٢٦ .
( الياس زخورا ، ج ٢ ، ص ص ١٠٩ ـ ١١١ ، و « النظارات والوزارات المصرية » ، ج ١ ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٧٢ ، ٥٦٧ ) .

المعارف مفتشا ثم انتقل للقضاء حتى وصل إلى وظيفة مستشار بالاستئناف الأهلى ونقل منها إلى الوزارة .

عاد من مصر عبد العزيز أفندى عمران الطالب بالطب هنا (جنيف )؛ وأخبرنى أن اللجنة قربت من الاتفاق مع الخديو ، ولذلك فهم يرجوننى بعدم الطعن عليه الآن حتى لا ينفر ؛ وأن الصوفانى بك سيحضر فى الصيف لمقابلتى مع بعض الإخوان ، وهذا يؤيد ما كتبه لى إسماعيل لبيب ، ويقول عبد العزيز أفندى أن استعفاء حافظ عوض من المعية ، وتعيينه رئيس تحرير المؤيد مقدمة لتنقية المعية ممن فيها من الأدران والحشرات . ولكن لا أصدق ذلك لأن المؤيد لسان حال المعية ، ولأنه لم يتفق مع اللجنة على من يكون الخلف له فى المعية حسب طلباتى السابقة وهى أن يعين رجال المعية بالاتفاق السرى معنا .

صلح اللجنة مع الخديو

سافرت من جنيف يوم السبت ١١ ابريل ، فى نحو الساعة التاسعة مساء قاصداً مدينة نيس Nice لمشاهدة هذه الجهة المشهورة بجمالها الطبيعى وحرارة طقسها بالنسبة لأوروبا ، والتى يقصدها الإفرنج فى فصل الشتاء هرباً من

(٧٧)

برد أوروبا وثلجها ، فوصلنا فى نحو الساعة ١٠ من صباح يوم الأحد التالى أى بعد سفر أربعة عشر ساعة وكسور ، والذى شجعنى على هذه الرحلة انعقاد مؤتمر البوليس القضائى الدولى بمدينة موناكو والامتيازات الممنوحة لأعضائه وأهمها وأولها السفر بنصف أجرة ذهاباً وإياباً ، وعدة سياحات بالسيارات وولائم لدى الأمير وغير ذلك . وكل ذلك مقابل دفع عشرين فرنك رسم اشتراك .

قضيت يوم الأحد بنيس ، ويوم الإثنين قصدت موناكو ، وهى على بعد نصف ساعة بالسكة الحديد أو ساعة وثلث بالترمواى . إنما طريق الترمواى أجمل لمروره على أعالى الجبال فيشرف الراكب فيه على البحر وسواحل هذا الإقليم المسمى (ساحل اللازورد(١)) لزرقة مائه وصفاء جوه لكن أين هذا من البوسفور أو من صفاء جو مصر نا العزيزة فى الشتاء ؟!! .

رحلتى الى نيس وما يليها

---

(١) يقصد : Côte d'Azur

كان أهل إمارة موناكو يحتفلون بمرور ٢٥ سنة على تولية أميرهم البرت الأول . وكان يوم الإثنين ١٣ ابريل مخصص لمرور موكب تاريخي يمثل ملابس القوم الاهلية والعسكرية في العصور الوسطى، وقد شهدته فكان منظراً جميلا. يوم الثلاث، حضرت افتتاح المؤتمر في قاعة كبرى بمتحف المخلوقات البحرية، ويوم الثلاث قضيته في نيس، ويوم الأربع حضرنا وليمة الظهر في أوتيل متروبول بمونت كارلو، ويوم الخميس دعينا لمشاهدة التمثيل والرقص في تياترو مونت كارلو . يوم الجمعة ، دعينا للمرور بالسيارات على ساحل البحر إلى سان ريمو بإيطاليا وبها تناولنا الشاى في أوتيل سافوا . ويوم السبت قضيته بنيس . ويوم الأحد دعينا لآخر رحلة بالسيارات فقمنا من موناكو صباحاً الساعة ٩ إلى كان Cannes وبها تناولنا طعام الظهر بكازينو المجلس البلدى. وبعدها سرنا داخل البلاد، أواسط الجبال إلى ارتفاع نحو ٩٠٠ متراً ثم انحدرنا إلى قاع وادى الكو Le Coup وبه أخذنا الشاى ثم عدنا إلى نيس حيث نزل الساكنون بها منا ، وسار الباقون إلى موناكو وبذلك انتهت الولائم والفسح . وبعد نصف ليل ذلك اليوم ، أو في صباح الإثنين ٢٠ ابريل ، سافرت الساعة ١ ونصف إلى جنيف حيث وصلتها الساعة ٥ بعد الظهر .

حضور اسماعيل لبيب بك

وجدت اسماعيل بك لبيب بانتظارى ومنه علمت اتفاق اللجنة مع الخديو ودفعه ألف جنيه مساعدة لجريدة الشعب وأنه اتفقوا معه على مقابلتى في الصيف عند مجيئه لأوروبا، والاتفاق معي على ما يلزم عمله هنا لخدمة المسألة المصرية . فطلبت أن لا يسافر حتى يحضر المقابلة ، إن حصلت ، ويكون كل شيء بعلمه حتى لا يدعى الخديو بما لايحصل . على أني لهذه اللحظة لم أثق بهذه الأعمال ولا بهذا الرجل لأن

(٧٨)

كراهته لى مستحكمة ولابد أنه يكون(١) يدبر شيئاً للايقاع بي أو تسوىء سمعتى ولذلك سأسير معه بكل احتراس .

رحلتى الى ليبج ولوندره

دعتنى جمعية أبو الهول بليبج لإلقاء خطبة مطولة في المسألة المصرية في حفلة أعدوها ليوم ١٢ مايو في تياترو الجيمناز . ودعتنى كذلك جمعية لوندره لافتتاح ناديها الذى تقرر تأسيسه عندما كنت هناك في شهر فبراير ، وحددوا لافتتاحه يوم السبت ١٦ مايو فسافرت من جنيف يوم السبت ٩ الساعة ١٠ و٤٥ دقيقة إلى نوشاتل حيث

---

(١) هكذا وردت بالأصل ولو حذفت كلمة ( يكون ) يستقيم المعنى .

كان يريد الطلبة المصريون بها أن أزورهم فانتهزت هذه المناسبة لزيارتهم . وصلت نوشاتل نحو الساعة واحدة مساء فكانوا بانتظارى فرافقونى إلى بانسيون جميل يقيم فيه بعضهم بضواحي المدينة . وهناك تناولنا طعام الغداء على مائدة مخصوصة زينت بالأعلام العثمانية ، وبعد الغداء قصدنا مصوراً لتصويرنا جميعاً تذكاراً لهذه الزيارة ، ثم عدنا لتناول الشاى معهم . وفى أثناء ذلك ألقى منصور أفندى القاضى بعض أبيات احتفالاً بى ، وأخيراً قصدنا المحطة وسافرت الساعة ٨,١٠ مساء قاصداً لييج ، وصلتها الساعة ٨ صباحاً وكان بانتظارى الطلبة فرافقونى إلى أوتيل دى سويد H. de Suède حيث حجزوا لى غرفة جميلة . ثم أخذت فى توضيب الحفلة معهم وتحضير ما سيقال ويلقى . وفى مساء الأحد ١٢ مايو (١) ، تمت الحفلة على أحسن نظام ، وكان النجاح باهراً ، إذ حضر التياترو نحو ألف نفس على أقل تقدير . وجعلت الرئاسة لعبد الحليم أفندى متولى وخطب أخوه عبد الغفار أفندى والمسيو Demanel أستاذ فى العلوم التجارية وأنا . وكتبت جريدة الموز La Meuse ملخصاً عن الحفلة ونشرت بعض قطع من الخطب ، وبالاختصار كانت النتيجة مسرة للغاية . ثم سافرت الساعة ٤ بعد ظهر يوم الأربع ١٣ منه ، إلى Gembloux بناء على دعوة طلبة مدرسة الزراعة بها . وقضيت الليلة هناك . وفى صباح يوم الخميس سافرت إلى Anvers لزيارة بعض معارفى . وفى صباح الجمعة سافرت إلى بروكسل ومنها إلى Bruges لزيارتها لأنها قديمة وبها عمارات من القرون الوسطى . والساعة ٤ تقريباً سافرت منها إلى Ostende ومنها بحراً إلى دوفر إلى لوندره حيث وصلت الساعة ١٠ من مساء يوم الجمعة المذكور ، ونزلت فى أوتيل أمبريال ضيفاً على طلبتها . وفى يوم السبت ١٦ منه ، اجتمعت الجمعية العمومية للنادى تحت رئاستى وناقشت القانون ثم صادقت عليه وانتخب عبد الحليم أفندى حلمى رئيساً ، وأحمد زكى أبو شادى (٢) سكرتيراً ، وعباس طلعت صبور أميناً للصندوق .

---

(١) لا شك أن محمد فريد كان يقصد الأحد ١٠ مايو ، لأن تسلسل التواريخ يؤكد أن يوم السبت كان ٩ مايو والأحد ١٠ مايو .

(٢) ولد أحمد زكى أبو شادى بالقاهرة فى ٩ فبراير ١٨٩٢ ودرس الطب بالقاهرة وانجلترا ، وعمل بالبلدين السنوات الطوال وعندما انتقل الى الاسكندرية فى خريف سنة ١٩٣٥ عمل بكتريولوجيا بالمستشفى الحكومى ثم أستاذا ووكيلا بكلية الطب . أخذ يكرس فراغه للأدب والعلم والكتابة فى الصحف والمحاضرة فى الأندية وتاليف جماعات الأدب ، ثم أصدر فى يناير ١٩٣٦ مجلة « الامام » الأدبية وكان يحررها مع عدد من أدباء الاسكندرية منهم بيرم التونسى واسماعيل أدهم ، كما أصدر مجلة « أدبى » فى يونية ١٩٣٦ ، ونقل الى الاسكندرية مجلة « مملكة النحل » التى أنشأها بالقاهرة سنة ١٩٢٠ ، ثم مجلة « الدجاج » – لسان حال جمعية الدواجن المصرية – ومجلة « الصناعات الزراعية » الى جانب مجلة « أبولو » التى أنشأها بالقاهرة سنة ١٩٣٢ ، ثم هاجر الى أمريكا فى أبريل ١٩٤٦ وتوفى فى واشنطن فى ١٢ أبريل ١٩٥٥ .

( نقولا يوسف : أعلام من الاسكندرية ، ص ٤٩٨ ) .

وفى مساء الثلاث ١٩ منه، سافرت من لوندره الساعة ٩ مساء إلى باريس فوصلتها الساعة ٥ ونصف صباحاً

(٧٩)

وقضيت بها ثلاثة أيام اجتمعت فى خلالها بأعضاء جمعية أبى الهول ، وحضرت مساء الجمعة جمعية الطلبة المصريين حيث ألقى محمد أفندى السادة خطاباً فى القوم . وفى صباح السبت ، سافرت الساعة ٨ ونصف إلى جنيف فوصلتها الساعة ٧ و٤١ (ساعة سويسره) وبذلك انتهت هذه الرحلة .

وفى أثناءها اتفقت مع هذه الجمعيات على عقد مؤتمر للطلبة بمدينة جنيف فى أواخر يوليه القادم .

دعوة ليون

دعتنى جمعية الطلبة بليون لحضور وليمة تقيمها لى يوم الجمعة ٢٩مايو وتدعو إليها خوجات(١) الجامعة وبعض المحامين ورجال الحكومة وشيخ المدينة . وقد ذكرت فى ورقة الدعوة أن الوليمة مقامة إكراماً لى بمناسبة وجودى بمدينة ليون .

فسافرت إلى ليون يوم الأربعاء ٢٧ ، الساعة واحدة ونصف بعد الظهر فوصلتها الساعة ٦ مساء أى ٧ باعتبار الساعة الفرنساوية ، ونزلت فى أوتيل Du Globe واجتمعت بالطلبة أيام الخميس والجمعة وتمت الحفلة على غاية من الأبهة والجلال، وقد حضرها ١١٦ مدعواً من بينهم نحو عشرين من الطلبة المصريين، وحضر المسيو Herriot (٢) شيخ المدينة وأحد وكلائه ، وتليت خطب كثيرة كلها فى تشجيع الحركة الوطنية . وقد نشرت جرائد يوم السبت ٣٠ منه ملخصات عما دار وألقى فيها ، وكلها عاطفة علينا وعلى حركتنا . ثم بارحت ليون يوم الأحد الساعة ١٢ ونصف فوصلت إلى جنيف الساعة ٤ فرنساويه أى ٥ سويسريه . وسنشتغل من الآن فى تحضير مؤتمر الشبيبة الذى اتفق مبدئياً على جمعه فى أواخر يوليه .

---

(١) خوجات جمع خوجة ، وهى كلمة فارسية تعنى : أستاذ أو معلم .

(٢) هو ادوار هريو Edouard Herriot رجل سياسة وكاتب فرنسى ( ١٨٧٢ - ١٩٥٧ ) وأحد قادة الحزب الاشتراكى الراديكالى ، عمل محافظا لمدينة ليون من ١٩٠٥ وولى رئاسة مجلس النواب من ١٩٣٦ الى ١٩٤٠ ثم الجمعية الوطنيــة من ١٩٤٧ الى ١٩٥٤ ، وتولى منصــب رئيس الوزراء عــدة مرات . ( انظر : Petit Larousse, p. 1407)

وقد حضر الحفل أيضا المسيو شارت وكيل المحافظ وادوار لامبير ناظر مدرسة الحقوق الخديوية بمصر سابقا والأستاذ بكلية الحقوق بليون وزملاؤه : بيــك ، أفلتون ، بوفييه ، الأساتذة بكلية الحقــوق ، والمسيو ويل ، وبورات الأستاذان بكلية الطب ، وسيفاسو ، وباتور المستشاران بمحكمة الاستئناف . والمسيو ادجانيور الوزير السابق والعضو بالجمعية الوطنية . ( الرافعى : محمد فريد ص ٢٣٣ ) .

أول يوليو سنة ١٩١٤ . في شهر يونيو الماضي عادت من مصر مدام دي روشبرون وأخبرتني بأهم ما رأته وسمعته بمصر من الأمور الهامة . وقالت انها لم تقابل الخديو لأنه خشي ذلك بسبب مراقبة الانكليز له ، ولكنها قابلت حسين رشدي باشا قبل وبعد تعيينه لرئاسة النظار ، وتكلمت معه بخصوصي فقال لها ان الحكومة تخشاني جداً لأنها تعتبرني رئيس الفوضوية . ولي تأثير عظيم على الطلبة خصوصاً بأوروبا بعد إقامتي بها ، ولذلك فالحكومة لا تصرح برجوعي لمصر حتى بعد انقضاء مدة سقوط العقوبة ، وتقول انها فهمت من محادثتها معه ، ومع علي ذو الفقار باشا محافظ مصر ، أن الحكومة تنوى رفع دعوى جنحة أو جناية عليّ بسبب ما أكتبه بجرائد أوروبا حتى يحكم على غيابياً من جديد ولا أرجع لمصر . وقد قال حسين رشدي بأنه يحبني شخصياً لأنه يعهد فيّ الإخلاص والصدق ، ولكنه يعتبرني كالكلب المحبوب الذي يضطر سيده لقتله إذا أصيب بالكلب (١) رغماً من حبه له ، فهو يراني كالكلب العقور الذي يجب إعدامه . ثم قالت لي عن مقابلتها مع اللورد كتشنر ، أن اللورد يخشاني كذلك ،

(٨٠)

ولذلك فهو يعارض في العفو عني بل وعن الشبان المحكوم عليهم في مؤامرة شبرا ، وعن مختار أيضاً لأنه يعتبرني المحرض على كل هذه المسائل ، وأنه يفضل أن يفتح أبواب السجون ويخلي سبيل كل من بها من المجرمين عن أن يدعني أدخل مصر ثانياً . وقال لها عن الخديو انه شاب مغرور غشوم لا يدري ماذا يفعل ، وأنه (أي اللورد) لا يسمح له بالطواف بالبلاد وزيارة الأعيان كما فعل في هذه السنة قبل سفره إلى أوروبا . قالت لي أيضاً أن علي باشا ذو الفقار أخبرها بأن الانكليز يعرفون جيداً أن الخديو يشتغل بواسطة العلايلي في تأليف مؤامرة لقتل كتشنر . وهذا يؤيد ما قالته لي مدام كاما الهندية من سنتين من أن العلايلي اتفق مع اثنين من شبان الهنود في صيف سنة ١٩١٢ ، عقب تعيين كتشنر ، على قتله ، وأنهم أخذوا من الخديو ألفين جنيه لهذه الغاية ، وأنها لما قابلت الخديو بباريس (بواسطة العلايلي) لامته على اشتغاله بمثل هذه الأمور الخطرة مع هؤلاء الشبان الذين يأخذون منه المال ، فاعتذر لها وقال انه لم يدفع إلا ثلاثمائة جنيه .

أخبرتني كذلك أنها قابلت أحمد لطفي السيد وتكلمت معه في مبادئه الوطنية ،

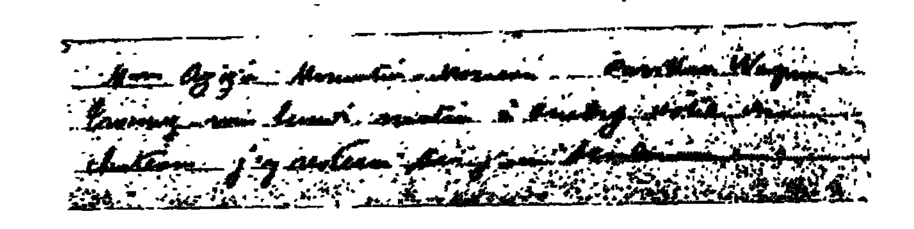
(١) ( المقصود : داء الكلب .

فصرح لها بضرورة بقاء الاحتلال والانفصال عن الدولة العلية وهذا ليس بشيء جديد فهو قاله لي أكثر من مرة .

انتهى شهر يونيه ، ولم يردنا خبر عن مجيء الخديو مع أنه بارح مصر في ٢١ مايو . وذكرت التلغرافات بأنه مر من برنديزي في ١٧ يونيه ولابد أنه يكون الآن بباريس ويظهر لي أنه لايريد مقابلتي كما أوهم عبد الله طلعت وإخوانه ، فإنه يعتقد الآن بأنه اشترى (الشعب )وأنه أوقع الخلاف بين أعضاء اللجنة بسبب قبض عبد الله المساعدة المالية بدون علم بعضهم وبعد أن تقرر في اللجنة عدم الاتفاق معه فهو بذلك حصل على ما يريد ولا يهمه الاتفاق معي وستظهر الأيام ما يبطن .

تقرر انعقاد مؤتمر الطلبة في ٢٥ يوليه هنا بجنيف . ونؤمل أن يحضره الكثيرون خصوصاً من لوندره لأن جمعيتها أكثر الجمعيات اهتماماً بالأمور السياسية .

١٢ يوليه ، صباح اليوم ورد تلغراف إلى مدام دي روشبرون المقيمة الآن بضواحي جنيف هذا نصه حرفياً :



(٨١)

وهو بلا إمضاء ويظهر أنه من الخديو أو يوسف باشا صديق وهو مرسل من باريس الساعة ٢٣ أي ١١ مساء يوم السبت ١١ منه . وقد سافرت مساء الليلة أو بالحرى صباح الاثنين الساعة ١ صباحا حسب الطلب . عادت مساء الاثنين وأخبرتني بأن الذي دعاها لهذه المقابلة هو يوسف باشا صديق ليتكلم معها بشأن تأجيل مقابلة الخديو لي إلى ما بعد سفره للآستانة أي في سبتمبر : فقالت له بضرورة تمام الاتفاق قبل انعقاد مؤتمر الطلبة في ٢٥ يوليه حتى أعلم أنا ماذا يجب علي عمله لأتمم الصلح وأقرر خط السير بناء على الاتفاق ، فوعدها بتبليغ ذلك لعباس . وإخبارها بما يقول . وفي مساء السبت التالي (١٨) يوليه ورد تلغراف إليها من يوسف هذا نصه بالحرف :

فأطلعت اسماعيل لبيب بك على نصه ، واتفقنا على أنه يكتب لعبد الله بك أخيه بأن الرجل يجادلنا(١) ويداعبنا ولا يخلص فى عمله ،وأن الأولى والأصلح للحزب هو الابتعاد عنه والسير بعيدين عن كل سلطة كما كانت خطتنا وكما يجب أن تكون .

وبناء على ذلك أخذت فى تحضير الخطبة التى سألقيها فى المؤتمر وكلها دائرة على وجوب الابتعاد عن الخديو ، وأن سبب ما لحق بلجنتنا الحزبية من الفشل هو التقرب منه فى مبدأ الأمر ، ودخول بعض من يأتمرون بأمره أو يراعونه من الأعيان والذوات .

مؤتمر الطلبة بجنيف

٢٥ يوليه ،اجتمع اليوم مندوبو الجمعيات فكان عددهم ٣٣ يمثلون سبع جمعيات للطلبة ، ولم يتخلف إلا طلبة نوشاتل أما طلبة ليبج فلم يحضروا ، ولكن من المؤكد تقريبا حضورهم يوم الاثنين أو الثلاث . وقد انتخبت لجنة لإدارة أعمال المؤتمر من سبعة عن كل جمعية واحد ، وستكون الرئاسة لكل منهم بالتناوب . وانتخبت أنا رئيس شرف له ، وسيكون الاجتماع الثانى فى يوم الاثنين ٢٧ منه (٢ ) .

٢٦ منه ، فى صباح هذا اليوم نشرت الجرائد تلغرافا من الآستانة ينبىء بأن محمود أفندى، مظهر الطالب بمدرسة البحرية التجارية أطلق على الخديو مسدسه أثناء خروجه من البنك العالى (٣ ) بعد ظهر أمس السبت ٢٥ منه ،أول رمضان سنة ١٣٣٢

الشروع فى قتل الخديو

---

(١) هكذا تبدو بالأصل ولعله كان يقصد « يحاورنا » .

(٢) تميز هذا المؤتمر بتعدد وتنوع موضوعاته فقد تكلم فى اول جلسة ( ٢٥ يوليو ١٩١٤ ) محمد فريد والسيد عبد العزيز خضر مندوب جمعية مونبلييه عن البحث والابتكار عند المصريين . وفى الجلسة الثانيه تكلم مندوب طلبة برلين عن حاجة مصر الى العلوم . وفى الجلسة الثالثة تكلم مندوب جمعية جنيف عن العقيدة الوطنية ، وتكلم طالب آخر عن السياسة ومسالة الاشتغال بهما . وفى الجلسة الرابعة تكلم احد طلبة جنيف فى موضوع التعليم العالى بمصر وأوروبا .

وفى جلسة تالية تكلم عبد الرحمن عزام عن طلبة لندن فى موضوع ضرورة الحكم الدستورى بمصر . وقد انتهى المؤتمر بارسال برقية لوزارة الخارجية البريطانية بالاحتجاج على وجود الاحتلال والمطالبة بالجلاء ، كما قرر المؤتمر مطالبة الجمعية التشريعية فى مصر بوضع قانون يجعل التعليم الابتدائى اجباريا ومجانيا للبنين ، والغاء القوانين الاستثنائية وقانون المطبوعات . وتقرر أيضا بأن يعقد المؤتمر الثانى فى لندن فى عيد الفصح ، غير أنه لم يعقد بسبب قيام الحرب العالمية الأولى .

(٣) هكذا وردت بالأصل وصحتها : الباب العالى .

فأصابه فى وجهه وذراعه إصابات خفيفة ، وأصاب كذلك صهره جلال الدين باشا فريد واثنين من الواقفين بالشارع ، فأطلق ياور الخديو الرصاص على هذا الشاب وقتله، وقالت الأخبار أنه قبض على شاب كان مع الشارع فى القتل وأن الضرب نتيجة مؤامرة .

(٨٢)

هذا الشاب لا يتجاوز التاسعة عشر من عمره وهو بن المرحوم أحمد بك مظهر رئيس محكمة بنى سويف(١) بمصر،وهجر الوطن طلبا للعلم، وهو أصغر إخوته وأمه شركسية الأصل ، ويظهر أنه مصاب ببعض الشيء فى عقله لأنه شرع من نحو سنة ونصف فى قتل نفسه فأصيب برصاصة إلا أنه نجى منها . وقد رأيته مرارا أثناء وجودى بالآستانة ، وكان من المترددين على نادى المصريين هو وأخوه صلاح الدين أفندى .

بعد أن قالت التلغرافات بأن إصابة الخديو خفيفة قالت الديلى ميل عن مكاتبها بالقاهرة ، أن حالة الخديو شديدة ، وأنه أصيب بأربع رصاصات ، إحداها فى وجهه دخلت من خده الأيمن وخرجت من خده الأيسر(٢)فكسرت أربع أسنان، وثلاثة فى الذراع الأيمن حيث يظهر أن الخديو أراد أن يحمى وجهه بذراعه بعد الضربة الأولى ، ومع ذلك ستعرف الحقيقة من جرائد مصر عند وصولها .

انتخاب أباظة باشا

انتخب اسماعيل باشا أباظة نائبا عن دائرة ههيا فى مديرية الشرقية ، وفاز على منافسه مصطفى خليل باشا بمساعدة الحكومة التى أرادت إيجاده فى الجمعية التشريعية ليقاوم سعد باشا زغلول ، رئيس الأحرار ، ويقوى مركز حزب الحكومة . والحزب الوطنى ساعد مصطفى خليل باشا ولو أنه مجرم ، ومتملق للإنكليز ، وهو الذى دعى ضباط الأسطول الإنكليزى لداره وأولم لهم ولائم سائنة ، لأنه أقل ضررا فى الجمعية التشريعية من أباظة باشا (٣) حيث لا يقوى على تعضيد حزب الحكومة

---

(١) فى ٦ يناير ١٨٩٦ قرر مجلس النظار جملة تنقلات من بينها تعيين يوسف بك شوقى رئيس محكمة طنطا قاضيا بالاستئناف ، وترقى حسن بك جلال رئيس محكمة بنى سويف مكانه ونقل أحمد بك مظهر رئيس محكمة قنا مكانه . ( محمد فريد : مخطوطة تاريخ مصر من ابتداء سنة ١٨٩١ مسيحية ، حوادث سنة ١٨٩٦ ، ص ١١٢ ) .

(٢) أضيفت كلمة « الأيسر » ليستقيم المعنى .

(٣) كان اسماعيل باشا أباظة قبل عضويته للجمعية التشريعية عضوا بمجلس شورى القوانين سنة ١٨٩٦ ، ومن خلال عضويته بهذا المجلس صار عضوا كذلك بالجمعية العمومية ، وظل يشغل هذا المنصب حتى أوائل سنة ١٩١١ . وقد شارك طوال حياته فى الحياة السياسية المصرية وتقلب بين مؤيد ومعارض =

أولا لضعفه وجهله وثانيا لميله للحزب الوطنى نوعا ، وإرادته أن تغفر له الأمة فعلته الشنعاء ( دعوة الضباط الإنكليز ).

أباظة باشا المذكور من رجال الخديو وهو معين مأمور أوقاف، قوله التابعة للخديو بقصد مساعدته على التعيش وعلى الظهور . وكثيراً ما سعى لدى فى التوفيق بينى وبين الخديو وتردد على مرارا بمصر خصوصاً قبيل محاكمتى فى يناير سنة ١٩١١ حيث وعدنى بحفظ القضية إذا رضيت بمقابلة الخديو وسرت كما يريد أى أنى أتبع سياسة المؤيد وهى التقرب من الإنكليز من جهة والكتابة والخطابة بما يوحى به إلى من السراى من جهة أخرى(١) ، فرفضت طبعا ، وفى أثناء حبسى عندما شرع فى المؤتمر الوطنى(٢) الذى جمعه محمد سعيد بناء على رغبة غورست لمحاربة الأقباط وبالتالى للتفريق بين الأقباط والمسلمين . سعى أباظة كثيرا فى التقريب من الحزب الوطنى وحضر خطبة ألقاها الشيخ جاويش فى مارث سنة ١٩١١ فى دار العلم ولكن كل هذا لم يجده نفعا لأننا نعلم تقلبه وخيانته .

(٨٣)

١ أغسطس ، أعلنت الحرب بين ألمانيا والروسية . وحصلت وقائع صغيرة بين ألمانيا وفرنسا ، وينتظر حصول حرب أوروبية بسبب اختلال التوازن فى البلقان ، وانتصار العنصر الصقلبى بها على العنصر الجرمانى ، وسويسرا تجمع جيشها على الحدود للمحافظة على حيدتها . ٢ منه ، سافر اسماعيل لبيب بك إلى مصر عن طريق إيطاليا ولم تتم مأموريته وهى مقابلتى مع الخديو ، وقد سافر حانقا عليه عدم وفائه الوعد . وينتظر أنه ينصح أخاه عبد الله بك بالعدول عن مسالمة الخديو والعود إلى سياستنا الأولى التى لم أحد عنها وهى الابتعاد عنه والسير فى طريقنا مستقلين عن كل سلطة . فى مساء أمس، حضر أمين الرافعى من لوسرن بعد أن زار الآستانة وأدرنه . حضر الاحتفال باسترادادها من البلغار ولم يخبرنى بشىء جديد عن أحوال مصر . ٣ منه ، وردت جرائد مصر وبالشعب كتابات قبيحة عن مسألة ضرب الخديو(٣ )، تجعل القارىء يعتقد أن الشعب أصبح خديويا أكثر من المؤيد لما فيه من التملق له ، والطعن على الضارب ، ومما استفز غضبنا جميعا أن لجنة اجتمعت بادارته

عودة اسماعيل لبيب بك الى مصر

---

= للخديو عباس حسب الظروف السياسية ، كما اشتغل بالصحافة واصدر جريدة الأهالى فى أول سبتمبر سنة ١٨٩٤ . ( انظر : د. عبد الخالق لاشين : سعد زغلول ودوره في السياسة المصرية حتى سنة ١٩١٤ ، ص ٨٩ ( حاشية ) .

(١) أضيفت « من جهة أخرى » ليستقيم المعنى .

(٢) ويسمى هذا المؤتمر أيضا بالمؤتمر المصرى ، وقد عقد فى مصر الجديدة فى ابريل/مايو ١٩١١ رداً على المؤتمر القبطى الذى عقد بأسيوط فى مارس ١٩١١ .

(٣) يقصد اطلاق النار على الخديو . انظر ص ٨١ من هذه المذكرات .

لجمع الاكتتاب لإقامة محل خيرى تذكارا لنجاة الخديو وعمل زينات عند عودته وأن نقودا جمعت لهذه الغاية ودفعت لعبد الله باك ، وأنه سافر يوم ٢٧ إلى الآستانة ويظهر أنه سافر مع وفد تهنئة الخديو . عندما (١) قرأت ذلك أخبرنى أمين الرافعى بأن عبد الله أخذ عدة مبالغ من الخديو بلغ مجموعها ثلاثة آلاف جنيه . وأنه (أى أمين ) علم بالأولى من مدة ولكن عبد الله بك لم يقو على حمله على تغيير سياسته الجديدة . ويظهر أنه انتهز فرصة غيابه للسير فى هذا الطريق القبيح ، ولذلك وعدنى بأنه يسعى فى الرجوع بالجريدة إلى الخطة القديمة وإلا فيتركه ويعلن الأسباب إن أمكنه ، وعلى ذلك سافر مساء ٣ أغسطس إلى مصر عن طريق إيطاليا . هذا ما كنت أخشى وقوعه من وقت أن علمت بمخابرة الخديو مع بعض رجال الحزب بواسطة العلايلى وعبد اللطيف بك الصوفانى وكنت أود أنهم لا يأخذون منه شيئا حتى يتفق معنا ويسير فى طريقنا لا أن تغير الجريدة خطتها تبعا له . ولكن قد خاب أملى واشترى الرجل جريدة الحزب ، ولا طاقة لنا ، وأنا بعيد عن مصر ، على تأسيس غيرها خصوصا بعد حادثة الآستانة . فى يوم السبت ٨ أغسطس ، وردت تلغرافات من مصر تفيد بأن الحكومة أعلنت بأنها فى حالة حرب مع ألمانيا ومحالفيها **بما أنها جزؤ من الامبراطورية الانكليزية** ، فعم المصريين الحزن وأظهروا سخطهم على الوزارة وعلى الخديو حتى الذين كانوا يدافعون عنهم دفاعا أعمى ؛ لأن هذا القرار يغير مركز مصر (٢ ) السياسى ويجعلها أقرب إلى أن تكون مستعمرة إنكليزية وهو أشد وأكبر دلالة على ذلك من جعل مصر على الحياد أثناء حروب الدولة العلية مع إيطاليا أولا ومع بلاد البلقان ثانيا ، والتوقيع عليه خيانة كبرى

**تغيير خطة الشعب واخذ عبد الله بك طلعت نقودا من الخديو**

**جعل مصر فى حالة حرب ضد المانيا**

(٨٤)

من الوزارة ومن الخديو ان أقرها ، ولم يعزل الوزارة فورا ولو أدى ذلك لعزله هو وإلا لاستحقوا القتل جميعا .

بعد التفكير طويلا فى الحالة الحاضرة واشتغال أوروبا بالحرب وخوف إنكلترا من قيام مستعمراتها عليها ، رأيت من المستحسن أن أكتب للخديو جوابا خصوصيا أنصحه فيه بانتهاز هذه الفرصة لإعلان الدستور بمصر ، فأرسلت إليه الجواب الآتى فى يوم السبت ٢٢ أغسطس سنة ١٩١٤ ( ٣٠ رمضان أو أول شوال سنة ١٣٣٢ ) وهاك صورته :

---

(١) لم ترد ( ما ) بالأصل ، واضيفت ليستقيم المعنى .

(٢) لم ترد كلمة ( مصر ) بالأصل ولكن سياق الكلام يستلزم اضافتها .

مولای الخدیو المعظم

أتشرف بأن أهنی سموکم بخلاصکم ونجاتکم من التعدی الذی وقع علیکم ، وأهنی سموکم بقدوم هذا العید السعید أعاده الله علیکم وعلى الأمة الإسلامیة کافة والأمة المصریة على الخصوص بالسعادة والرفاهیة آمین . أکتب إلیکم لا لأقوم بواجب النصیحة استغفر الله ، ولکن لأقوم بواجب التذکیر بما ربما یشغلکم عنه مرضکم شفاکم الله منه ، وهو انتهاز هذه الظروف الموجودة فیها الحکومة الإنکلیزیة لتخلیص مصر من الاحتلال الإنکلیزی ، أو على الأقل لمنح الأمة الدستور الکامل لأنکم لو شرعتم فی ذلك الآن لما قویت إنکلترا على ممانعتکم خصوصا إذا أفهمتموها أنه یخشى قیام حرکة فی البلاد یعود ضررها علیها ، وتمنعها من توحید کل قوتها فی وجه محاربیها . فان الروسیا قد وعدت بولونیا بجمع أجزائها المشتتة وإعادة وحدتها إلیها ، وذلك منعا لقیامها علیها فی هذه الظروف الحرجة . لذلك أعتقد تمام الاعتقاد بأن انکلترا لم تأت بأی حرکة ضد شخصکم ولا ضد مصر لو أعلنتم بمنحها الدستور . فلیعجل سموکم بذلك وأن خیر البر عاجله والسیاسة عبارة عن انتهاز الفرص . ویمکن لحزبنا الوطنی تعضید سموکم فی هذا الموضوع بحض الأهالی على التوقیع على عرائض بطلب الدستور منکم کمنحة للأمة . شکرا لله على شفاکم ، وإذا کنا جمعنا فی سنة ۱۹۰۸ : ۷۵ ألف امضا فانه من السهل علینا الآن جمع عشرة أضعاف هذا القدر أو أکثر .

فاذا راقت هذه الفکرة لدیکم یمکنکم تفهیمی ذلك بالطریقة التی تختارونها ، فأکتب حینئذ لإخوانی بمصر للسیر معکم لتنفیذها ، أو استدعی منهم البعض للاتفاق معکم على الخطة المثلى ، وبمساعدة سموکم الأدبیة یمکن جمع القوائم فی أقرب وقت وإقامة المظاهرات فی جمیع أنحاء القطر لتعضید هذه الحرکة المبارکة والنجاح مؤکد لو سرنا معا متفقین .

ومما شجعنی على کتابة هذه السطور لسموکم رأسا هو تحققی من(۱) رغبتکم فی الاتفاق معنا وذلك

(۸٥)

وذلك (۲) من المفاوضات التی دارت بین مندوبیکم وبین بعض رجال الحزب وبینی ، ووعدکم بمقابلتی قبل رمضان ثم تأجیل المقابلة لضیق الوقت ، ومساعدتکم المالیة

(۱) لم ترد ( من ) بالأصل ، واضیفت لیستقیم المعنى .

(۲) هکذا وردت بالأصل ، وواضح أنها مکررة من الصفحة السابقة .

بجريدة الحزب وحسن التفاتكم لبعض أعضائه مثل الصوفانى وتشجيع ولده أثناء زيارتكم له(١) على السير على خطته مما دلنى على رضاكم عن خطتنا الوطنية وتأكدكم صدق خدمتنا . فاستحلفك يا أفندينا بحق مصر أن لا تدع هذه الفرصة تمر بدون أن تستفيد مصر منها فهى فرصة لا تعوض . ويكفينا أننا لم نستعد للمطالبة بالجلاء فلنكفر عن هذا التقصير فى حق أمنا مصر بأن نسعى فى إنالتها الحكم الداخلى على الأقل .

انكم لو فعلتم ذلك لخلدتم اسمكم فى التاريخ ولمالت الأمة إليكم بكليتها ميلا حقيقيا لا ميلا صوريا كالذى تريد البرهنة عليه وفود المنافقين الذين يسوقهم الحكام سوق الأغنام . ثم أستحلفك بأن لا تخبر أحدا بهذا الجواب، بل تتدبر الأمر بنفسك وتشرع فيه فى أقرب وقت بدون ذكر اسمى .

وفى الختام أدعو لكم بالتوفيق وأرجو قبول إخلاصى

فريد

بعد إرساله افتكرت أن الحالة تستدعى سفرى ووجودى بالآستانة للمداولة مع حكومتها فيما يجب عمله ومع الخديو إذا كان لم يزل موجودا ، فسافرت من جنيف يوم الجمعة ٢٨ أغسطس ، الساعة ١ و٤٣ دقيقة بعد الظهر فوصلت كوستنجه(٢) برومانيا يوم الخميس ٣ سبتمبر ، الساعة ١٠ مساء ، أى أنى قضيت فى الطريق ست ليال مع أن المدة المعتادة لهذه المسافة ليلتين ونصف أى نحو ٦٢ ساعة فقط ، والسبب هو عدم انتظام السكك الحديدية واشتغالها بنقل الجنود إلى حدود الروسيا ونقل الجرحى منها إلى داخل البلاد ، فقطعنا المسافة من حدود سويسرا إلى ويانه(٣) فى ٤٨ ساعة وهى فى الأصل ١٨ ، ومن ويانه إلى بودابست قطعتاها بنهر الدانوب ثم انتظرنا ليلتين ببودابست فقام قطار سريع كان قد تقرر قيامه ابتداء من يوم ٢ سبتمبر وبه قمنا فعلا الساعة ٦ ونصف صباحا من اليوم المذكور ، فوصلنا حدود رومانيا الساعة ١٠ من اليوم التالى ، وبعد ١٢ ساعة كنا بكستنجة ، ولكنى وجدت أن الوابور المعتاد قيامه كل مساء خميس قد أوقف مؤقتا فاضطررت لانتظار وابور مساء السبت ٥ الشهر ، وبذلك وصلت الآستانة يوم الأحد ٦ منه ، الساعة ٢ ونصف

سفرى للآستانة والصلح مع الخديو

---

(١) لعل المقصود هو : زيارته لكم .

(٢) كوستنجة Costanja وهى ميناء يقع جنوب شرق رومانيا على البحر الاسود
( انظر : Hamlyn Encyclopedic World Dictionary, p. 261)

(٣) ويانه Wien هو الاسم الألمانى لمدينة فينا عاصمة النمسا ، وجدير بالذكر أن محمد فريد اورد ( ويانه ) منتهية بالهاء على طول هـذه المذكرات فيما عدا صفحات ١٢٠ و ١٣١ و ١٣٥ ، وردت فيها ( ويانا ) منتهية بالألف ، ولقد عدلنا كتابتها فى الصفحات المذكورة منتهية بالهاء لتكون على نسق واحد .

بعد الظهر . بمجرد وصولى الفندق أتى السيد أفندى كامل (الذى سبق ذكر تاريخه وهو من رجال الخديو وجواسيسه(١) ) . وأخبرنى بأن جوابى وصل الخديو وأنه كان نبه على: يوسف صديق باشا بالسفر لمقابلتى بسويسره ، ولكنه علم بسفرى منها فأخره ؛ وطلب منى أن أكلفه بما أريد تبليغه للخديو إذا كنت أثق به ، فقبلت له أخبره بأنى حضرت ، ذهب وعاد ليلا مع يوسف باشا فوجدانى قد نمت فبات السيد كامل بنفس الفندق الذى أنا به وهو بريستول أوتيل

(٨٦)

وبات يوسف باشا فى بيرا بالاس وفى الساعة السابعة فى صباح يوم الإثنين ، طلب السيد كامل مقابلتى فاستدعيته لغرفتى فأخبرنى بأن يوسف باشا بإنتظارى . لبست ونزلت إلى قاعة الإنتظار لأخذ الفطور ، فحضر يوسف باشا واستحسنا التوجه لغرفته فى بيرا بالاس ، وهناك أخذ يشرح لى الحالة وأن الخديو ممنوع من السفر لمصر لأن الإنكليز يخشون من أن يقوم بحركة ضدهم هناك، وأن هناك رأيان يتنازعانه الأول : الاتفاق مع الإنكليز على إعطاء مصر الدستور وانفصالها عن الدولة العلية وقبول الاحتلال بشروط معينة ، والثانى : الاتفاق مع الترك على استرداد استقلال مصر بالقوة بمساعدتهم وعودة الحالة إلى ماكانت عليه قبل الاحتلال ،وأن الخديو ميال إلى الشق الثانى ، واتفق فعلا مع أنور باشا على تنفيذ هذا الرأى فأجبته بأنى موافق على هذا وبأننا مستعدون للسير معا ما دام رجع إلى رأينا الذى كنا ننادى به من مدة . وكانت عدم موافقة الخديو لنا عليه سبب الخلاف بيننا ومحاربتنا لبعض . وعلى ذلك قمنا معا إلى سراى والدة الخديو فى ببك ، حيث كان الخديو بانتظارنا فقابلنى بكل بشاشة ، وتصافحنا على أن ننسى كل مافات ثم أخبرنى بأن سفير إنكلترا حضر إليه منذ يومين وطلب منه أن يسافر من هنا على شرط أن لا يعود لمصر بل يذهب لإيطاليا أو يسوح فى الجزائر إلى أن تنتهى هذه الحرب الأوروبية ، فلم يقبل وحسنا فعل، لأنه ليس من المستبعد أن يحجزوه هناك ثم يعلنون عزله ، لأنهم اعتقدوا بعدم إخلاصه لهم ، وبأنه يسعى للإتفاق معنا ومع الحكومة العثمانية على محاربتهم إن دعت الضرورة.. بعد ذلك طلب منى أن أزور رجال الحكومة وأقنعهم بإخلاصه فى العمل وذلك لتحققه من اعتقادهم فيه عدم الإخلاص بسبب أعماله السابقة وبالأخص أثناء حرب طرابلس حيث اطلع الإنكليز على خطط تهريب الأسلحة والضباط ، فوعدته ونزلت

---

(١) انظر ترجمته على ص ٥٨ من هذه المذكرات .

على الفور إلى الداخلية لمقابلة طلعت فوجدته مشغولا فانتظرت قليلا بقاعة حسن فهمى بك سكرتيره (وهو الذى كان بمصر سكرتير أول القومسارية (١) العثمانية)، وبعد برهة عاد وأخبرنى بأنه يقابلنى بعد ظهر ذلك اليوم الساعة ٤ . عدت إليه فى الموعد المضروب فقابلنى وتكلمنا فى مسألة (٢) فكان ملخص حديثه أنهم مفتكرون فيها ومتفقون على تخليصها وأنهم يستعدون لذلك انتظاراً للفرصة . ولكنه على رأيه الأول بخصوص الخديو ، أى أنه غير مخلص ويجب استعماله كآلة لما له من النفوذ عندالعمد والأعيان ، على شرط عدم إطلاعه على تفصيل الخطط حتى إذا أراد الانقلاب والميل إلى الإنكليز لا يمكنه إفشاء أسرار تضر بالحركة . عدت نحو الساعة السادسة إلى بيرا بالاس حيث كان بإنتظارى يوسف صديق باشا فأخبرته بأنى لم أجد أنور باشا بالحربية فتركت له بطاقتى ، ثم بما دار بينى وبين طلعت بك ، وطبعا بدون إخباره بما قاله ضد الخديو ، قلت له فقط بأنه موافق على رأينا وينتظر الفرصة .
فى صباح يوم الثلاث ، أتانى السيد أفندى كامل وأخبرنى بأن وابور السعيدية وصل وأتى فيه إسماعيل

## (٨٧)

بك لبيب وأن الخديو يريد مقابلتى فى هذا اليوم قبل الظهر ، فقلت له إننى عازم على زيارة أنور باشا فى منزله الساعة ٩ صباحا حسب إتفاقى بالأمس مع يوسف باشا صديق . وبعد الزيارة أقصد ببك لمقابلة الخديو . بعد ذلك بقليل حضر إسماعيل لبيب بك وأخبرنى بالحالة فى مصر وأنا أخبرته بما تم . ثم تواعدنا على الإجتماع بعد عودتى من ببك . قصدت سراى أنور فى باشكطاش فقيل لى بأنه خرج فتركت له بطاقتى ، ثم توجهت وقابلت الخديو على خلوة وتكلمنا فى بعض تفصيلات المشروع وفى أثناء اجتماعنا حضر أنور باشا ، فقام الخديو وقابله ثم عاد إلى وأتممنا الحديث . ويظهر منه أن الرجل متألم جدا لأن الإنكليز لا يسمحون له بالعودة لمصر ، ويخشى أنهم لن يسمحوا له بها حتى ولا بعد الحرب . ولذلك فهو يريد عمل ثورة تحت رئاسته وقيادته ، أو فتح البلاد ثانيا بمساعدة الترك ، على أن الترك يعلقون مساعدتهم العسكرية الجهرية لنا على نتيجة الحرب الأوروبية وهو شيء معقول .
عدت الظهر ، وتغديت مع إسماعيل لبيب ثم نزلنا إلى استانبول وقصدنا الحربية ،

---

(١) المقصود بالقومسارية : المفوضية .

(٢) هكذا وردت بالأصل ، والمقصود قضية مصر .

فوجدنا أنور باشا ، ولكن لكثرة أشغاله لم نتمكن من المحادثة فيما أنا حاضر لأجله ، بل ضرب لى موعدا الساعة ٩ من صباح الأربع فى سرايه .

فى الموعد المذكور قصدت داره فقابلنى ببشاشته المعهودة ، وأخذنا فى بحث المسألة من كل وجوهها فوجدت رأيه فى الخديو كرأى طلعت بك وكرأينا جميعاً ، وقال لى إنه متفق معه على كل شيء ولكن لا يجب إطلاعه على الخطط ، ثم افتكر أنور باشا فى عزيز المصرى وقال إنه يفيد جدا فى هذا الظرف ، لأنه وطنى مخلص وضابط ماهر فوافقته طبعا وقلت له إنى فكرت فيه لكن كنت أخشى أن الحوادث الأخيرة الخاصة بالحكم عليه ثم بالعفو عنه تكون مانعا لاختياره لهذه المهمة ، فقال إن الشخصيات تتلاشى أمام المسائل العامة خصوصا فى مثل هذه الحالة ، ووعد بأن يرسل له من يكلمه فى هذا الموضوع . بعدأن مكث الحديث نحو ساعة من الزمن إنصرفت. وبعد الظهر ، قصدت ببك مع إسماعيل لبيب بك وقابلنا الخديو وقصصت عليه ملخص مادار بينى وبين أنور ، فسر منه وزاد سروره بخصوص تفكير أنور باشا فى عزيز بك المصرى. وقررنا أن الخديو يرسل له هو الآخر رسولا لإقناعه بالسير معنا ومع الأتراك فى الحركة التى نسعى لها . يوم الأربع بعد الظهر ، قابلت الشيخ جاويش أنا وإسماعيل ابيب فى الطريق باستانبول ودخلنا معا محل حلوانى للمعاتبة أولا ، وللإتفاق على السير معا بما أنه هو الآخر قابل الخديو بعد ظهر يوم الإثنين ، فلامه لبيب على طعنه فى فحلف بالطلاق ثلاثا بأنه لم يتهمنى مطلقاً بمسألة مختار ولا بأنى دبرتها للإيقاع به ، بل إنه كان يروى ما أراد رجال الحكومة بمصر تفهيمه له ضدى . وبالإختصار تواعدنا على المقابلة الساعة ٤ بعد ظهر الخميس .

إبطـال الامتيازات فى الدولة

فى مساء اليوم المذكور ، صدرت ارادة سنية بإلغاء الإمتيازات الأجنبية تماماً ، ما اختص منها بالكمارك والمحاكم والضرائب وغيرها ، بحيث تكون جميع أمور الدولة الداخلية حرة من كل قيد خارجى كما هو حاصل فى الممالك والحكومات المستقلة .

(٨٨)

فكان فرح الأمة شاملا وقامت بظهورات (١) كبرى مساء الأربع ويوم الخميس وأنيرت المدينة إلخ إلخ . وفى نظر العموم ، ان هذا العمل أهم بكثير من منح الأمة

(١) المقصود بظهورات : مظاهرات .

الدستور لأنها لا يمكنها الإنتفاع من الدستور ما دامت مكبلة فى اغلال الإمتيازات الأجنبية .

فى يوم الخميس ١٠ منه ، قابلت الشيخ جاويش ومكثنا نحو ساعة اتفقنا فيها على أمور كثيرة خاصة بالترتيبات المراد اتخاذها بشأن المسألة المصرية . يوم الجمعة ١١ ، قابلت الصدر الأعظم سعيد حليم باشا فى سرايه يينى كوى فلقيت منه كل احتفاء وإكرام . فى مساء هذا اليوم (١) المستر هردايال الهندى قادما من جنيف بناء على رغبة الحكومة الألمانية للسعى فى عمل هياج أو ثورة فى الهند أو على حدودها من جهة الأفغان . قابلت أنا كذلك ، مترجم أول السفارة الألمانية المسيو Weber وتكلمنا كثيراً ، وخلاصة الحديث أن دولته مستعدة لمساعدتنا بالسلاح والضباط إذا أمكننا إتيان عمل مفيد فى مصر بقصد تحريرها من الإحتلال . يوم السبت ، اجتمعنا بمنزل الشيخ جاويش ويوم الأحد ، بمنزل أسعد باشا طبيب العيون . وكان معنا إسماعيل لبيب بك ، وبهاء الدين بك مناسترلى ، ومحمد حلمى مسلم الموظف بقلم الصدر الأعظم الخصوصى ، واتفقنا على بعض الأمور وعلى تعيين لجنة مركزية بالقاهرة لتتولى تنفيذ اللائحة التى وضعت لهذا الغرض . ويوم الإثنين ١٥ منه ، قابلت أنور باشا بنظارة الحربية وعلمت منه أن الحكومة آخذة فى الإستعداد ، ومن ذلك أنها أصدرت أمرها بإنشاء فرع سكة حديد من محطة معان على طريق الحجاز إلى العقبة بقرب السويس ، وهو الخط الذى كان قد أراد عبد الحميد إنشاؤه وعارضه الإنكليز فى ذلك ، ونشأت بسببه مسألة العقبة المشهورة سنة ١٩٠٦ (٢) . ولما قلت لأنور وماذا تفعلون لو عارضكم الإنكليز ، قال نحن لا نهتم بأى اعتراض يختص بأمورنا الداخلية ، نحن أحرار فى بلادنا .

قابلت الخديو بعد ذلك وفهمته ملخص ما دار وما حصل ، ثم قررنا أن حضورى واجتماعى يكون علنيا من الآن وصاعد . أخبرنى الخديو بأنه ورد إليه تلغراف من حسين رشدى بأن مصطفى فهمى باشا فى حالة النزع ، ولكنه لم يعلم إن كان مريضا

---

(١) هنا كلمة ناقصة ، ومن المرجح أن نكون ( أتى ) أو ( قابلت ) .

(٢) نشأت مسألة العقبة من النزاع الذى حدث بين تركيا وانجلترا حول قرية « طابة » الواقعة على خليج العقبة ، فقد كانت تركيا ترى أنها داخلة تحت السيادة التركية ، بينما رأت انجلترا أن القرية تقع فى أرض مصرية وأن وجودها ، أى انجلترا ، فى مصر يسمح لها بالدفاع عنها حتى امام السيادة العثمانية الاسمية ، ووصلت الأزمة لدرجة التهديد بالحرب وارسال الفرق العسكرية ، غير أن تركيا تراجعت فى النهاية .

( د. محمد حسين هيكل : مذكراتى فى السياسة المصرية ، ج ١ ، ص ٣٦ ) .

بمرسليا أو بمصر ، ثم قال إن حجز مصطفى فهمى بمرسليا بناء على رغبة الإنكليز يعتبر درساً لمن ينخدع بوعود الإنكليز ويسالمهم ، فإن هذا الباشا كان أطوع إليهم من بنان،ومع ذلك حجزوه وأهانوه ومنعوه من العودة إلى وطنه خشية أن يأتى عملا ضدهم،فقلت فى نفسى انك(١)حالتك أنت عبرة أكبر. أرسل الخديو تلغرافا إلى الإمبراطور غليوم يظهر كدره من جرح أحد أولاده فى الحرب فورد إليه الرد معربا عن أمله فى مستقبل مصر . أخبرنى يوسف صديق باشا بهذا فقلت له : لا تغتروا فأمامنا مسألة السيد كروجر رئيس جمهورية الترنسفال ، فان الامبراطور شجعه بتلغراف كهذا ثم لما هزم وأتى أوروبا منعه من دخول برلين مراعاة لخاطر الإنكليز .

فى يوم الأربعاء ١٦ ، منه وصل إلى هنا (الآستانة) الإخوان عبد الحميد سعيد وعبد الملك حمزة

(٨٩)

ومحمد على محمد ، وأحمد طاهر وإسماعيل كامل ومحمد عوض البحراوى . وكلهم من أعضاء اللجنة الإدارية للحزب الوطنى وأكبر العاملين به . وقالوا إنهم هربوا خوفا من بطش الحكومة بهم لأنها مشددة المراقبة عليهم وتنوى الإيقاع بهم وبغيرهم من الأعضاء العاملين إذا حصل أقل حادث بمصر أو لو هاجم الأتراك مصر مساعدة لهم على إخراج الإنكليز منها ، ومما قالوه إن الأمة كلها متحفزة للوثوب على المحتلين بمجرد تحرك الجيش العثمانى وأن الحماس بلغ غايته ، وأن الإنكليز يخشون النتيجة ويبذلون الجهد فى التقرب من الأهالى فيسافر المفتشون ومستشار الداخلية نفسه إلى عواصم المديريات ويخطبون فى العمد والأعيان الذين يجمعهم المديرون لهذه الغاية . ولكن كل هذه المساعى لم تأت بنتيجة . وبالإختصار ، فالحالة فى مصر تشجعنا فيما نحن ساعون له هنا،وهو إرسال جيش عثمانى عن طريق العريش لمحاربة الإنكليز .

يوم الخميس ١٧ ، قصدت سراى أنور باشا ومعى عبد الحميد سعيد ليشرح له الحالة كى يزداد شجاعة على شجاعته فى مهاجمة الإنكليز بمصر ، فقص عليه الحالة فقال لنا الباشا ان الجيش أخذ فى التجمع على حدود مصر ، وأنهم جمعوا الجمال الكافية للحملة لإختراق جزيرة سيناء وأنهم ينتظرون الوقت المناسب ، وزاد بأنهم ابتدأوا يتحرشون بالإنكليز ، فقرر مجلس الوكلاء بجلسة أمس أن الحكومة تبلغ الحكومة المصرية الإرادة السنيةالقاضية بإلغاء الإمتيازات ، وتطلب

---

(١) يستقيم المعنى لو حذفت كلمة « انك » .

منها تنفيذها بمصر بصفتها ولاية عثمانية . وقرر كذلك إرسال احتجاج لانكلترا على طرد قنصلى ألمانيا والنمسا من مصر بصفة غير قانونية ، ويطلبون منها الإيضاحات اللازمة . بعد الظهر ، حضرنا الإحتفال بتوزيع الجوائز على تلامذة المدرسة البحرية . وشهدنا عرض الأسطول أمام جلالة الخليفة وكان فى مقدمته السفينتين الألمانيتين اللتان إبتاعتهما الدولة من ألمانيا أخيراً ، بعد أن صادرت إنكلترا المدرعتين رشادية والسلطان عثمان اللتين كانتا تصنعان لديهما ، وقد سميتا ياوزسليم ، مدللى ، وتبعهما باربروس وطرغود رئيسى ، وستة عشر نسافة ومدمرة ، وكان المتفرجون عديدون إذ خصص وابور للمدعوين من الرجال ووابوران للمدعوات من السيدات وآخر للمدعوين من طلبة المدارس بخلاف الوابورات المستأجرة من الأهالى والوابورات الخصوصية . وكان المنظر رهيباً عند مرور هذه الأطواد والبحارة مصطفة على ظهورها وهى تطلق المدافع تحية لجلالة السلطان ، والمتفرجون يصفقون سرورا وابتهاجا والشبان يمرون على الحاضرين بصناديق الإعانة للأسطول فيتبرعون بما تجود به نفوسهم .

يوم الثلاثاء ٢٢ منه ، قابلت الخديو فأخبرنى أن أنور باشا أخبره بأن أركان حرب الجيش المزمع إرساله لطرد الإنكليز من مصر قد سافروا يوم الأحد ٢٠ منه . يوم الخميس ٢٤ ، قابلت جويد بك

(٩٠)

بنظارة المالية للمحادثة فى مسألتنا المصرية فأطلعنى على صورة إحتجاج مقدم من السفير الإنكليزى للباب العالى على جمع الجيوش العثمانية بقرب الحدود المصرية ، ويحذر الباب العالى من عواقب هذه السياسة التى ترمى إلى الإغارة على مصر فجأة وقفل قنال السويس أو تدميره خدمة لأعداء إنكلترا . وقال لى ان جواب الصدر الأعظم كان بأن لاغرابة فى جمع الجيوش ، فالجمع حاصل فى جميع أنحاء المملكة ، وأنه لايحق لإنكلترا أن تتذمر من إجراءات الدولة بل ان للدولة الحق فى ذلك لأن مصر أعلنت حالة الحرب مع ألمانيا والنمسا وهما غير محاربتين للدولة العلية صاحبة السيادة على مصر ، وطردت قنصليهما من مصر بغير حق ، وغير ذلك من التعديات .

فى يوم الاثنين ٢٩ منه ، علمت من يوسف صديق باشا أن سفير إنكلترا قصد الخديو فى قصره وطلب منه أن يغادر الآستانة إلى غير مصر ، إلى إيطاليا مثلا أو سويسرا لأنه يشاع عنه بأنه يتفق مع الأتراك على ارسال جيش لطردهم من مصر . فأجابه

الخديو بالرفض رغما من تهديد السفير له بأن هذا المنع يؤثر على مصالحه المادية والأدبية أيضا . فى هذا اليوم ، أعلنت الحكومة العثمانية قفل البوغازات فى وجه جميع السفن التجارية وسبب ذلك أن الأسطول الإنكليزى الفرنساوى واقف أمام بوغاز الدردانيل يفتش كل سفينة خارجة أو داخلة مهما كانت جنسيتها ، وأنه هدد باطلاق قنابله على(١) سفينة تربيدية عثمانية خرجت إلى بحر الأرخبيل . وقال الأميرال انه مأمور بضرب كل سفينة عثمانية تخرج من البوغاز . فلما أقفل حضر سفراء فرنسا وإنكلترا وطلبا فتحه فأجابتهما الحكومة بأنها لا تفتحه حتى تبتعد البواخر الحربية الفرنساوية والإنكليزية وتمتنع عن هذا الحصار الفعلى وتعترف دولهما بصحة مبيع المراكب الألمانية لها ، وهى أجوبة شديدة ما كانت تصدر من الحكومة العثمانية فى غير زمن الاتحاديين ، ولذلك فالدول مندهشة من هذه اللهجة الجديدة التى ما تعودوها منها بل نسوها من نحو جيلين أو ثلاثة . كل هذه المسائل الصغيرة تهيىء الرأى العام لقبول إعلان الحرب على إنكلترا وفرنسا بكل ارتياح . وهذا الأمر ننتظر حصوله بمجرد إنهزام الجيش الفرنساوى وسقوط قلعة Verdun فى قبضة الألمان .

فى يوم الثلاث ٢٩ منه ، قابلت الخديو فأخبرنى بأن سفير إنكلترا أرسل له ترجمانه يوم الأحد ثم حضر هو يوم الإثنين وكلمه فى ضرورة تركه الآستانة والسفر إلى إيطاليا ، وهدده بمساس مصالحه المالية والأدبية إن هو أصر على البقاء على ضفاف البوسفور ، فرفض الخديو بتاتا لاعتقاده بأنهم ينوون القبض عليه ونفيه بمالطة أو غيرها . ولكنه أظهر خوفه فى حالة ما إذا طلبوا منه العودة لمصر نفسها، وطلب منى أن أقابل أنور باشا وطلعت بك لأتفق معهما على الجواب الذى يقدمه للسفير لو طلب منه ذلك . فقابلت أنور

(٩١)

باشا بمنزله فى اليوم التالى وكلمته فى الأمر فقال أن لا طريق للإمتناع عن السفر إلا إدعاء المرض ، ثم قال لى ومع ذلك فإنى سأقابل الخديو وأبحث معه فى هذا الأمر .

وفى يوم السبت ٣ أكتوبر ، قابلت طلعت بك فكان جوابه كجواب أنور باشا أى إدعاء المرض ، ولقد فهمت من كلام طلعت بك أنهم ينوون (حزب الإتحاد) عدم إيقاء الخديو على عرشه لو تم لهم ماينوون من تخليص مصر ، بل إنهم يتركون لأهلها الحرية فى ادارة أمورهم بصفة دستورية ويكون السلطان سلطانا لمصر وتركيا كامبراطور النمسا مع المجر . لم يزل البوغاز مقفولا . أقفلت البوسطات الأجنبية من يوم الخميس

(١) أضيفت كلمة « على » لكى يستقيم المعنى .

أول أكتوبر ، ولم يحصل أى شىء وأصبح الغاء الإمتيازات أمرا واقعا وتم الأمر لكن لم نعلم ماذا فعلت الحكومة المصرية فى هذه المسألة .

فى يوم الجمعة ٩ منه ، حضر إلىأحد مستخدمى السفارة الألمانية ، وأخبرنى أن السفير يريد مقابلتى فقبلت وأتفقنا على اليوم التالى السبت صباحاً . حضر لى هذا فى صباح السبت ١٠ ، وأحضر معه إحدى سيارات السفارة فقصدتها فى طرابيا حيث قابلنى السفير بكل حفاوة ، ودعانى لتناول الغدا مع عائلته وأجلسنى عن يمين زوجته وهو أشرف وأرفع مكان فى عرفهم . مكثت معه إلى الساعة الثالثة بعد الظهر ، وتكلمنا كثيراً فى مسألة الحملة علىمصر فأكد لى اهتمام الإمبراطور بها،وأنها ستسير بعد أسبوعين أو ثلاثة أى فى أواخر هذا الشهر . قابلت الخديو بعد ذلك يوم الاثنين ١٢ منه ، وشرحت له ما دار بينى وبين السفير فسر كثيراً . وفى أثناء وجودى : حضر طلعت بك ناظر الداخلية لزيارته وكنت طلبت منه ذلك عند مقابلتى له المرة الأخيرة ؛ ليطمئن بال الخديو حيث أنه لم يزل يحس بأن حزب الإتحاد لايأمن له بل يخشى منه الغدر والإنقلاب . وبعد إنصراف طلعت بك، إجتمعنا بالخديو مع اسماعيل لبيب بك وشفيق باشا ويوسف صديق باشا وأحد الضباط ، حسين حسنى أفندى شفيق والسيد كامل ، وحامد أفندى اسماعيل من طلبة الطب ببرلين ومن المخلصين الفدائيين ، وقررنا الخطط الواجب السير عليها بمصر لحفظ الأمن ومجازاة من ينضم إلى الإنكليز أو يساعدهم عند تحرك الجيش العثمانى إلى الأمام قاصداً مصر ، وكلف حامد أفندى اسماعيل وشفيق أفندى الضابط بتبليغ هذه التعليمات للجنة العسكرية ، واللجنة الملكية المشكلتين بمصر للقيام بالحركة كما قررنا أن تعزل الوزارة ورئيسها القائمقام خديو (١) وتعيين مصطفى ماهر باشا(٢) قائمقاما مؤقتا، واتفقنا على تحضير الأوامر بذلك وبتحضير اعلان للأمة المصرية باسم الخديو يدعوها لمساعدته على طرد الانكليز وبمنحها الدستور التام ، وبالعفو عن جميع الجرائم السياسة . وفى المساء سافر المندوبان إلى مصر.

(١) المقصود : حسين رشدى باشا .

(٢) ولد مصطفى ماهر باشا ، بالاسكندرية فى سنة ١٨٦٥ وتلقى العلوم واللغات ودرس الحقوق واشتغل بالحربية ، ثم عين وكيلا لمديرية البحيره فوكيلا لمحافظات الاسكندرية والسويس والاسماعيلية واصبح بعد ذلك مديرا لمديريات بنى سويف والمنيا والدقهلية والغربية ثم مديرا للأوقاف العمومية .

( لمزيد من التفاصيل أنظر : الياس زخورا ، ج ٢ ، ص ص ١٥٨ ــ ٩ ، محمد فريد : مخطوطة تاريخ مصر من ابتداء سنة١٨٩١ مسيحية ص ١١١ ) .

فى يوم الأربعاء ١٤ منه، حضر جاويد بك ناظر المالية لتناول الغدا معى بناء على دعوتى فتكلمنا طويلا أثناء الأكل وبعده، وسررت جداً مما قاله لى عن اتفاق النظار بشأن الحملة على مصر ، وأن خلاص مصر مقرر لاشك فيه ، وغاية الأمر أن الجيش ينتظر انهزام أحد الجيشين الفرنساوى أو الإنكليزى للزحف. فى يوم الخميس ١٥، حضر شفيق باشا والسيد كامل واجتمعنا بمنزل اسماعيل بك لبيب الساعة ٢ بعد الظهر ووضعنا مشروع الإعلان الذى سينشر بمصر فى أول الحركة وضمناه كل طلبات الحزب الوطنى ووضعنا كذلك مشروع الإرادة(١) بعزل حسين رشدى باشا ومن معه، وتعيين مصطفى ماهر باشا قائمقاما بدله لحين عودة الخديو لمصر ، يدير أمور البلاد بمساعدة وكلاء النظارات مع منحه السلطة الكافيه بتغيير من يرى لزوم تغييره منهم . فى يوم الخميس١٦، زرت أنور باشا وعلمت منه أن طلائع الجيش العثمانى وصلت نقطة اسمها بير السبع داخل الحدود المصرية وأن(٢) يستعدون الآن لمد سكة حديد ضيقة من نوع ديكوفيل لنقل المهمات والمياه أثناء اجتياز الجيش لصحراء طورسينا .

حضر من جنيف محمد فهمى يوم الثلاث ١٣ الجارى ، وأخبرنى فى مساء الأربعاء بأنه قابل سفير ألمانيا ثم قابل الخديو مع على الشمسى وأخبرنى شفيق باشا يوم ١٥ منه ، أنهما لما قابلا الخديو أمرهما بمقابلتى لأنه لايريد تشعب العمل بل يرغب فى جمع الأعمال فيها فى أيد واحدة .

يوم السبت ١٧ منه، قابلت الخديو فى قصر ببك وتحادثنا فى بعض الشؤون وأخبرته بملخص ما دار بينى وبين جاويد بك يوم الأربعاء وبين أنور باشا فى يوم الجمعة، فسر كثيراً واطمأن خاطره لأنه يحس بأن الأتراك غير واثقين منه بالنسبة لأعماله السابقة . وفى صباح الأحد١٨منه ، أرسل لى يطلب منى التوجه إلى جبوقلى مع اسماعيل لبيب بك لمقابله لأمر هام فتوجهنا بعد الظهر ومكثنا معه مدة بحضور يوسف صديق باشا وأحمد شفيق باشا ، وسبب هذا الإجتماع أن عمه البرنس إبراهيم حلمى حضر إليه يوم السبت بعد انصرافنا وأخبره بأنه قابل الصدر الأعظم سعيد حليم باشا وكلمه بخصوص مسألة مصر، فقال له بكل حماقة بأن مصر لا يمكن أن تكون للمصريين بل هى ملك الترك ، والمصريون بها كالبهائم وأن الخديو مخطىء فى إتفاقه مع الحزب الوطنى

---

(١) المقصود : قرار السلطان العثمانى .

(٢) هكذا وردت بالأصل ، ويستقيم المعنى لو عدلت الى ( وأنهم ) .

وأنه (ان دخل الترك مصر) سينفى كل من يقول بالوطنية المصرية إلى السودان ويحاكم الوزراء المصريين على انصياعهم للإنكليز، إلى غير ذلك من السخاف، فانشغل بال الرجل وتصادف حضور أنور باشا لزيارته فأخبره بما بلغه فقال له أنور باشا بأن كلام الصدر لاقيمة له، وأن العبرة بما قررته لجنة الإتحاد وهو عدم مساس حقوق مصر الحالية بل زيادتها فى صالحها (مصر). أخبرنا الخديو بكل ذلك.

(٩٣)

وبأن الصدر يشتغل مع حلمى مسلم وعماد الدين وكيل دائرته، وأخيه الدكتور بهجت وهبى لتأليف حزب مصرى جديد يدعونه بالحزب الوطنى تحت رئاسة الشيخ عبد العزيز جاويش، يكون مبدأه محاربة الخديو عباس باشا والسعى فى تولية سعيد حليم مكانه، وأنهم يوهمون الصدر بأن بعض أعضاء لجنة الحزب الإدارية معه فى هذا الرأى، فقلنا له بأن كل هذه الأقوال لايقصد بها إلا النصب، وأن حلمى ومن معه لاقيمة لهم وكذلك الشيخ، والأحسن أن لا نعتد بهم ولا نهتم لما يقال له عنهم وليكن على ثقة بأن الحزب الوطنى الذى نمثله كله معه، ولا خطر عليه حتى لو انفصل بعض أعضاء لجنته، مع أن الخبر مكذوب بالمرة، والأعضاء الموجودون هنا كلهم معنا ولا يوجد أدنى خلاف بيننا وبينهم رغما من مساعى الشيخ جاويش. ولكن الخديو رأى أن يطلب الشيخ جاويش ويستميله بالمال لينضم إليه ولا يعاكسه. وفعلا قابله فى اليوم التالى، وتكلم معه كثيرا وعلم منه أنه ممتعض بسبب اشتغال صديق باشا وشفيق باشا معى دونه وأن المسألة مسألة غيرة وحسد ليس إلا. فطيب خاطره وتحفه (١) بشىء من المال. كل ذلك أخبرنا به السيد كامل فى اليوم التالى. ثم قابلت عبد الحميد سعيد ومن معه وأخبرتهم بكل ذلك وبمساعى الصدر وإيهامات حلمى مسلم فسخطوا عليه، ولم أر من كلامهم ما يفيد ميلهم إلى فكرة الصدر بل بالعكس هم مصرون معنا على بقاء الخديو ما دام يسير فى طريقنا. يوم الأربعاء ٢١ منه، أرسل إلينا الخديو يدعونا للأكل معه ظهر الجمعة ٢٣، ودعى كذلك الشيخ جاويش ومحمد فهمى وعلى الشمسى، بقصد التوفيق وإزالة أسباب الشقاق.

يوم الخميس ٢٢ منه، قابلت أنور باشا وشكرته على زيارته الخديو، كما زاره أيضاً طلعت بك وجاويد بك بناء على مساعى لديهم لتطمين خاطره ليأمن إلى، وكلمته فى مساعى الصدر وما فاه به من العبارات الجارحة للأمة المصرية، فأجابنى بما أجاب به الخديو بأن الرجل لاقيمة له مطلقاً ولا لكلامه، فشكرته، وأعطيت إليه خمس طلبات لطلبة مصريين يريدون الدخول إلى المدرسة الحربية.

---

(١) يقصد: نفحه شيئا

أخبرنى السيد كامل مساء أمس أن سفير إنكلترا زار الصدر وهدده بمصادرة أمواله وأملاكه وأوقافه التى له بمصر ان حصلت من الدولة أقل حركة ضد إنكلترا بمصر ، فخاف الرجل على أملاكه ، ولو كان الأمر فى يده لضحى مصر بل لضحى المملكة والدولة محافظة على أملاكه . حاربه الله وخذله .

يوم الجمعة ٢٣ ، دعانا الخديو مع الشيخ جاويش ، ومحمد فهمى ، وعلى الشمسى لتناول الغداء معه بجبوقلى وفى أثناء الغداء وبعده لم نتكلم فى مسألة مصر ولا فى أعمالنا السياسية . وبعد تناول القهوة انصرف الجميع فتأخرت أنا واسماعيل لبيب بالسلاملك وبعد انصراف الآخرين حضر الخديو ومكثنا

(٩٤)

نحو ساعة فى ترتيب الأعمال ، وبالأخص أعمال الحملة التى تسافر مع الخديو إلى الحدود عن طريق الشام عند انتشاب الحرب . يوم الثلاث ٢٧ ، اجتمعنا عند الشيخ جاويش وشفيق باشا والسيد كامل للبحث فى بعض الشؤون ، وكلفنا الشيخ جاويش بتحرير منشور باسم الخديو يدعو فيه الأمة للقيام بمساعدة جيش الخليفة (١) وطرد الإنكليز وبمنحها الدستور وكافة طلبات الحزب الوطنى . يوم الأربعاء ، قصدنا بيلك مع على الشمسى ومحمد فهمى وقابلنا الخديو وتكلمنا فى بعض عموميات ، ويظهر أن القصد كان إيهام الشمسى وزميله بأنهما مشتركان معنا فى فى الأعمال ، بما أن سفير ألمانيا يعتقد أن محمد فهمى المذكور ذو سلطة بين الوطنيين وذلك بناء على تفهيم بعض رجال الصحافة من أصحابه بجنيف . ثم دعانى اسماعيل لبيب فى اليوم التالى الخميس ٢٩ ، بمفردنا وأحضر عبد الله أفندى البشرى الذى حضر من مصر أخيراً لنسمع منه الأخبار الأخيرة . يوم الجمعة ٣٠ ، وافق عيد الأضحى ، فزرنا الخديو فى سراى بيلك وهناك أخبرنا بحصول واقعة بحرية بين الأسطول العثمانى والروسى انتصر فيها العثمانيون ، كما أخبره السلطان بنفسه أثناءما (٢) قابله بصفة خصوصية قبل التشريفات العمومية . كذا أخبرنا الخديو بأن أنور باشا قابله وأخبره بحصول الحرب وبقرب الزحف على مصر .

يوم السبت ، إجتمعنا مع الشيخ جاويش والسيد كامل وشفيق باشا واسماعيل لبيب بمنزلى ، فقال الشيخ بأنه لم يحرر ما كلف به ، فكلفنا بتحضيره لأننا نريد ارسال هذا المنشور فى أقرب وقت ، وطلبنا منه أن يجتمع معنا فى الغد الأحد أول نوفمبر

---

(١) المقصود بالخليفة العثمانى : السلطان العثمانى .

(٢) المقصود بـ ( أثناء ما ) : ( عندما ) .

بقصر ببك ، لأخذ رأى الخديو فى المنشور ، ثم تكلمنا فيمن يكون قائمقام خديو بمصر لحين وصول الخديو ، فالشيخ جاويش ارتأى أن يكون عباس حليم أخ الصدر الأعظم ، فلم نوافقه لأن أخاه سعيد يسعى للخديوية لنفسه فكيف نعين أخاه ؟ ، وتكلمنا فى ضرورة تعيين مصطفى باشا ماهر لأنه المصرى الوحيد الكفؤ لهذه المهمة . يظهر من جملة شواهد ودلائل أن الشيخ يسعى سراً لترشيح سعيد حليم للخديوية المصرية ، ولكن لم يوافقه أحد من رجال الحزب الوطنى حتى ولا الشبان الملتفين حوله والذين يأتمرون برأيه ، وهم عبد الملك حمزة ومن حضروا معه أخيراً . يوم الأحد ، توجهنا إلى ببك ولم يحضر الشيخ ، بل أرسل مسودة المنشور مع زوج أخته طاهر ، ولم يضعها فى ظرف حتى لا يطلع عليها ؛ وهذا لا يستغرب منه لأنه لم يؤتمن على سر مطلقاً . حررنا المنشور وعرضناه على الخديو واتفقنا على الصورة النهائية ،

**(٩٥)**

وقررنا أخذ رأى أنور باشا فيها ، وكلفت أنا باطلاعه عليها فى صباح اليوم التالى الاثنين ٢ نوفمبر . وقد عرضتها عليه فطلب منى ترجمتها له بالتركية ، وسأطلعه فى صبيحة الثلاث على الترجمة . مما تقرر فى اجتماع الأحد سفر اسماعيل لبيب للشام بقرب الحدود ليتمكن من مخابرة الإخوان . وإدخال منشورات بأخبار الحرب الصحيحة ، وأن يسافر معه ثلاثة من طلبة الطب هنا بالآستانة ، وقد طلبت من أنور باشا جواباً لقائد الجيش المحارب فوعدنى بإعطائى إياه وربما سافرت أيضاً معه . أخبرنى أنور باشا هذا الصباح ( الاثنين ) أن الإنكليز أخلوا طورسينا والعريش وأن الجيش العثمانى احتل العريش وتقدم نحو القنال ليحتل جميع النقط التى أخلاها الإنكليز . وهذه الحركة مقدمة للحرب لا محالة .

من المؤكد الآن أن سعيد حليم باشا ضد الحرب ، وأنه امتعض جداً لما وصله خبر ما حصل بالبحر الأسود وأنه يسعى لتسوية المسألة كأنها حادث سياسى بسيط ، كل ذلك مساعدة للإنكليز خوفاً على أملاكه بمصر . ولكن أنور باشا أخبر الخديو أمس وأخبرنى صباح اليوم بأن الحرب حاصلة لا محالة رغم إرادة الصدر

قطعت العلاقات السياسية مع دول الائتلاف الثلاثى ، وسافر سفير الروسيا مساء السبت ٣١ أكتوبر ، وسافر سفير انكلترا وفرنسا مساء الأحد أول نوفمبر ،

وهذا يدل على خيبة مساعى سعيد حليم ولكنه لم ييأس . ولذلك لم يكتب اسفراء الدولة بلوندره وباريس وبطرسبورج بالانسحاب كما كان هو الواجب عايه . على أن هذا التردد وهذه المساعى لن تفيد شيئاً ، وسيضطر للاستقالة أو للانصياع لأن كل النظار موافقون على الحرب انتهازاً للفرص . مساء أمس (الأحد) قصدت سفارة ألمانيا مع اسماعيل لبيب ، فلم نجد السفير ووجدنا الدكتور Weber ترجمانه الأول ، فأفهمناه مساعى الصدر ، وطلبنا منه التشديد على الحكومة العثمانية بالاستمرار فى الحرب لتخليص مصر وضرب الإنكليز الضربة القاضية .

هذه صورة منشور الخديو

**أبناء مصر والسودان الأعزاء**

ها قد أتت الساعة لخلاصكم من احتلال أجنبى وطأ البلاد من ٣٢ سنة مضت بدعوى أنه موقت ، وأنه لتأييد الأريكة الخديوية ، كما تدل عليه تصريحات الحكومة الإنكليزية ووعود رجالها الرسميين العلنية .. ولكنه ما مضت عليه الأعوام حتى نسى الوعود بالجلاء ، وتداخل فى شئون البلاد الإدارية والسياسية ، فتصرف فى مالية الحكومة تصرف المالك المبذر ، واعتدى على حقوقنا فى السودان وأحل أبنائه مكان الوطنيين فى الوظائف العمومية وسلب استقلال القضاء ، وسن القوانين الماسة بالحرية الشخصية ،

(٩٦)

والمضيقة على حرية الفكر والخطابة والكتابة والاجتماع ، وقاوم رغباتنا ورغبات رعايانا فى انتشار التربية والتعلم الصحيح فى أرجاء القطر ، وفى منح البلاد دستورا كاملا يتناسب مع أحوال التقدم العصرى . ولما أن أعلنت الحرب الحاضرة بين الدول العظمى ، جاءت الحكومة الإنكليزية فمنعتنا عن الرجوع إلى مصر مقر العرش الخديوى ، ودعتنا لترك الآستانة والرحيل لإيطاليا . فرفضنا هذا الطلب رفضا باتا ، واعتبرناه أقصى ما تتعدى به هذه الدولة على حقوق الخديوية المصرية ، واعتبرته الدولة العلية صاحبة السيادة على مصر اعتداء على الفرمانات الشاهانية . ولما كانت رغبات جلالة الخليفة المعظم وحكومته السنية هى تأييد هذه الفرمانات لتمام رفاهية البلاد المصرية والسودانية ، فقد اقتضت إرادة أمير المؤمنين تسيير جيش عثمانى عديد مظفر على القطر المصرى لإعادة الحالة إلى ما كانت عليه قبل سنة ١٨٨٢ . وقد رأينا أن نسير مع هذا الجيش حتى يتم له النصر بمعاونتكم بعضكم البعض وقيامكم

بتمهيد كل الوسائل لتسهيل مأموريته ، واستعدادكم لاستقبالنا واستقباله بما هو معهود فيكم من الحمية الوطنية والإخلاص لجلالة الخليفة المعظم ، ولنا ولبلادكم .

وبما أن الأمل وطيد فى نجاحنا بمعونته تعالى ، فإننا نعلن من الآن منحكم الدستور الكامل ، وإلغاء القوانين المنافية للحرية ، وإعادة الضمانات لاستقلال القضاء والعفو عن المجرمين السياسيين ومن صدرت ضدهم أحكام أو رفعت عليهم دعاوى بسبب الحوادث الأخيرة ، والعمل على تعميم التعليم وترقيته ، وكل ما فيه تقدم البلاد المادى والأدبى ، والسهر على راحة سكانها وتوفير أسباب سعادتهم . ها هى الفرصة فانتهزوها ، وليكن شعاركم خلاص مصر مع احترام أرواح وأموال سكانها الأجانب ، فإنه ليس لنا مقاوم فيها غير جيش الاحتلال ومن يحاربنا معهم . حقق الله الآمال » .

بعد ظهر يوم الاثنين ، حضر إلى مترجم أول السفارة الألمانية وأخبرنى أنه تكلم مع السفير وأخبره بكل ما قلته له ، فكلفه بتبليغى بأن الحرب واقعة بل وقعت ولا خوف من تقهقر الأتراك أو رجوعهم ثانيا .

يوم الثلاث ٣ نوفمبر ، توجهت مع اسماعيل لبيب فى الصباح إلى أنور باشا ، وطلبنا منه جواب توصية للقائد العام للجيش الزاحف على مصر ، فأمر رئيس قلمه المخصوص بتحريره . ثم أكد لنا استحالة الرجوع عن الحرب وأن سفراء الدولة لدى (١) المحاربة قد استدعوا بالتلغراف . فى هذا اليوم ، ظهر فى الجرائد خبر استقالة اسكاف أفندى ناظر البوسطة ،

(٩٧)

والبستانى ناظر الزراعة ، ومحمود باشا ناظر النافعة (٢) وجاويد بك ناظر المالية لعدم موافقتهم على الحرب ، أما الصدر فلزم بالبقاء لعدم حصول فشل ويؤكدون بأنه كان قد تعهد للإنكليز بالاستقالة إن وقعت الحرب رغم أنفه .

يوم الأربع ٤ ، منه قابلت الخديو فى الصباح ثم ذهبت إلى سفارة ألمانيا لاطلاع السفير على ترجمة المنشور فوافق السفير عليها . وبعد الظهر ذهبت إلى نظارة الحربية لاطلاع أنور باشا على الترجمة التركية فأخذها منى ياوره كاظم ، ولكثرة وجود الزوار لم أتمكن من مقابلته بل طلب منى أن أعود إليه فى صباح اليوم التالى بمنزله ، ليبدى لى ملحوظاته إن وجد . وفى أثناء وجودى فى قاعة الانتظار حضر الشيخ

---

(١) هكذا ورد بالأصل ، ويستقيم المعنى لو أضيفت كلمة ( الدول ) بعد ( لدى ) .

(٢) النافعة : نظارة الأشغال العموميه ; انظر Concise Oxford Turkish Dic., p. 247)

والناظر المعنى اسمه بالكامل : جورك صولى محمود باشا . ( أنظر : توفيق على برو ، العرب والترك في العهد الدستوري العثمانى ، ص ٦١٧ ) .

جاويش ، وسليمان بك العسكرى المكلف بأشغال الحملة المصرية ، وفؤاد بك سليم ، واسماعيل لبيب بك ، فوضعنا مشروع المنشور الذى يوزعه بمصر القائد العام ، واتفقت مع الشيخ جاويش على أن يبيضها ويقابلنى الساعة واحدة بعدظهر الخميس على السفينة لنتوجه معاً إلى الخديوى ونطلعه عليها .

يوم الخميس ٥ نوفمبر ، فى الصباح ، قابلت أنور باشا فرد إلى المنشور بالموافقة التامة . ثم تكلم معى بخصوص سعى الخديوى فى أن يكون قائدا للحملة أو على الأقل مرافقا للقائد وقال إنه يخشى تداخله فى القيادة لعدم استعداده العسكرى ، ولذلك يرى أنه لا يسافر من هنا إلا بعد أن يتم النصر للجيش على قنال السويس . وفى الساعة ١١ صباحا زرت سفير إيطاليا لأطمئنه على نوايانا نحو طرابلس ، وذلك لأنه أشيع أن إيطاليا تخشى بعد تحرير مصر ودخول الأتراك بها أن تحصل مساعى ضدها فى طرابلس ، فخشينا نحن من أنها تتفق مع إنكلترا علينا . لذلك قابله الخديوى ثم رأينا من الأوفق أن أقابله أنا أيضا بصفتى رئيسا للحزب الوطنى لهذه الغاية، فاطمأن الرجل لتصريحاتى . وقد قلت له أثناء الحديث أنه قد بلغنا أن الإنكليز شرعوا فى تسليح بعض الطليان والأروام لمحاربتنا ، وأن هذا العمل يكون له تأثير سيء على المصريين ، ويعرقل مساعينا فى التوفيق بين مصالحنا ومصالح الطليان فشكرنى على توجيه نظره لهذه النقطة ، ووعدنى بأن يخبر دولته تلغرافيا بأن تخابر وزيرها بمصر بمنع ذلك كلية ثم ودعنى بكل لطف وأدب .

الساعة واحدة بعد الظهر ، جاء الشيخ جاويش إلى الوابور ومعه المنشور ، ولكنه اعتذر عن السفر معى مدعياً أن لديه مواعيد . ولكنى لم أصدقه لأن امتناعه هذا مبنى على حبه فى التقليل من زيارة الخديو ليظهر لمحازبيه(١) أنه مازال على عهده من محاباة الخديو ، وأنى أنا أصبحت كأنى من رجال الحاشية ، أكثر من الذهاب إليه عند أول إشارة . إطلع الخديو على مسودة المنشور بعد أن نقحت بها عبارتين قال فيهما الشيخ أن مصر ملك الدولة ، فغيرت العبارة بعبارة أنها صاحبة السيادة عليها . واتفقنا على الصورة النهائية وتركتها عندهم

(٩٨)

لترجمتها للتركية وعرضها على أنور باشا . عند وجودى بالسراي تكلم السيد كامل وشفيق باشا فى مسألة أن يكون الخديو قائداً عاماً للحملة الذاهبة لمصر ، وبما أنى

(١) المقصود بكلمة محازبيه : شيعته .

فهمت من محادثات أنور باشا أنهم لا يرغبون فى ذلك خوفا من أن يتداخل فى القيادة فعلا ويتداخل فى أعمال أركان حرب وربما ينشأ عن ذلك فساد أو تشويش فى القيادة . لذلك أخذت أظهر لهما مضار هذه الفكرة ، وخصوصا بأنى أخشى أن ينهزم الجيش لا قدر الله ، فينسبون له الهزيمة ، ولكنى لم أزل أخشى أن يدخلوا الفكرة فى دماغ الرجل فيتمسك بها ، وهم يرفضون إجابته فيحصل بين الطرفين شقاق أو فتور من أول الأمر .

يوم السبت ٧ منه ، ذهبت بعد الظهر إلى نيك ولم نتكلم فى شىء جديد . وفى يوم الأحد ذهبنا مبكرين إلى جبوقلى ، وكان الكلام دائرا فى سفر الخديو إلى الحدود وعدم تحديد الحكومة العثمانية له ميعاد السفر وامتعاض الخديوى من هذا التسويف . وأخيرا اتفقنا على أن الخديو يسأل أنور باشا ( وكان بينهما موعد فى الساعة الخامسة من هذا اليوم ) ، فى هذا الموضوع ، وفيما تنوى الحكومة عمله إزاء تعيين الإنكليز لحسين كامل باشا وغير ذلك ، ووضعنا هذه الأسئلة بالكتابة بصفة مذكرة حتى لا ينسى الخديو منها شيئا . وفى هذا اليوم نشرت فى جريدة الجون تورك حديثا بخصوص تعيين حسين كامل باشا أهم ما فيه أن الأمة لا تعرف إلا الخديو عباس وأن حسين كامل غاصب أو موظف إنكليزى .

يوم الاثنين ٩ منه ، قابلنا الخديوى وأخبرنا بزيارته لأنور باشا ، وكان متكدر جدا لأنه لم يجبه جوابا شافيا ، مع أن الحكومة أعلنت فى بلاغها الرسمى عن الحرب أن الحملة الذاهبة لمصر قد تجاوزت الحدود المصرية . وبعد حديث طويل ، قررنا طبع وتوزيع منشور الخديو فى أقرب وقت وإرساله للجرائد هنا وبأوروبا ؛ وأن ينشر الخديو حديثا يعطيه لمكاتب الجرائد الألمانية(١) عن مركزه ، وتعيين حسين كامل وغير ذلك من المسائل الهامة ، وأخيرا بأن يعين هو موعد السفر ويخبر أنور باشا عن اليوم ، وعندها يظهر قصدهم إن كانوا يريدون منعه من السفر حتى يتم النصر أو لا . أما مسئلة تعيينه قائد عام للجيش الزاحف ، فاجتهدت كثيرا أنا واسماعيل لبيب فى محاربتها لدى رجال معيته حتى لا يتشبثوا بها وتكون سبب نفور بين الطرفين لأن شفيق باشا والسيد كامل ويوسف صديق باشا ما زالوا يتكلمون بشأنها كثيرا .

أما أنا ، فلا أدرى ما أفعل ، الخديو يريد أن أسافر معه وأنا أفضل أن أسافر قبله ، حتى إذا تم النصر دخلت العاصمة قبله ، وأجهز مع إخوانى أعضاء لجنة الحزب معدات استقباله حتى تفهم الأمة أننا أصحاب السلطة الفعلية فى البلاد .

---

(١) وهذا المكاتب ( المراسل ) هو Weitz الذى سيرد ذكره فى الصفحة التالية .

الدستور

فى يوم الأربعاء ١١ منه ، تم التوقيع على منشور الخديو وطبعه بالسراى على آلة رونيو . بذلك نال الحزب الوطنى

(٩٩)

أحد مطلبيه وهو الدستور ، وسينال الثانى وهو الجلاء قريبا بإذن الله وبفضل مساعدة الجيش العثمانى . فى هذا اليوم ، حضر المسيو Weitz مكاتب الجرائد الألمانية إلى السراى ، وأخذ الحديث المراد نشره بجرائد أوروبا ، وكان قد جهزه يوسف صديق باشا وقرأه أمامنا فى مجلس الخديو . فى يوم الخميس ١٢ ، قابلت أنور باشا وكان معى اسماعيل لبيب بك وتكلمنا معه طويلا فى مركز الخديو ومركز الحزب الوطنى من جهة وفى سفر الخديو إلى الحدود من جهة أخرى . فأجابنا بأن جمعية الاتحاد سائرة بالاتفاق مع الخديو ومع حزبنا الوطنى ، ولا خوف على مركز الخديو مطلقا ، وأن كل ما يشاع أو يقال غير ذلك محض اختلاق . أما عن سفره فقال إنه يخشى تداخله فى الأعمال العسكرية وبذلك فهو يفضل أن الخديو يسافر من الموقعة الأولى المزمع حصولها على قنال السويس ، وقال بأنى أؤجل سفرى حتى أسافر مع الخديو ، وقد فضلنا هذا الرأى واتفقنا عليه لأكون بجانب الخديو وأزيل أسباب الخلاف أو سوء التفاهم بينه وبين الاتحاديين . ثم أخبرنا بأن خبر تعيين البرنس حسين كامل خديو بمصر أو مستشار لا أصل له البتة . يوم الجمعة ١٣ ، سافرنا إلى جبوقلى ، وأخبرنا(١) بما دار بيننا وبين أنور باشا فسر كثيراً وزال ما كان لديه من المشغولية بسبب ما يذيعه أنصار الصدر الأعظم بشأنه .

يوم السبت ١٤ ، فى الصباح حضر إلىّ بقهوة طوقاتليان ، سيف الله يسرى باشا وقال لى ما ملخصه : أن الصدر ناقم علىّ وعلى الحزب الوطنى بسبب قولنا دائما ( مصر للمصريين ) ، وأنه بلغه عنى بأنى قلت أن الجيش العثمانى لا يمكث بمصر بعد طرد الإنكليز أكثر من ٢٤ ساعة . ولذلك فهو ينصحنى بأن أمتنع وأمنع اخوانى عن الخوض فى مثل هذا الكلام ، وإلا يتخذ إجراءات شديدة ضدنا . فأجبته بأن مصر للمصريين لا محالة وإنى أستغرب صدور هذا الكلام (٢) وهو مصرى ، وأنه ليس لدينا حاجة للتكلم فى هذه المواضيع ، فإننا على اتفاق تام مع حزب الاتحاد وأن أنور باشا قد قال أخيرا (فى مقابلة يوم الخميس ١١ (٣) ) أن حزب الاتحاد والحزب الوطنى والخديو سائرون معاً وباتفاق فى جميع الأمور ، وإنى لم أشتغل فى المسألة المصرية

---

(١) هكذا ورد بالأصل ، ويستقيم المعنى لو أضيفت عبارة ( الخديو ) بعد ( وأخبرنا ) .

(٢) هكذا ورد بالأصل ، ويستقيم المعنى لو أضيفت ( منه ) بعد ( الكلام ) .

(٣) هكذا ورد بالأصل ، وصحة التاريخ هو ( يوم الخميس ١٢ ) .

معهم من هذه الأيام بل من خمسة سنوات مضت ، فليقل ذلك للصدر ويخبره بأنى مستعد لتكرير ذلك أمامه إذا أراد تحديد وقت لمقابلتى سواء فى الباب العالى أو فى سرايه :

بعد الظهر ، ذهبت لجبوقلى لأخبر الخديو بذلك ، ليكون على حذر من دسائس هذا الرجل ، فأخبرنى بأن سيف الله باشا يسرى ، وعمه البرنس إبراهيم حلمى باشا حضرا إليه (طبعا بعد مقابلة سيف الله معى ) وأخبراه بكل ذلك ، وبأن الصدر يقول ( إذا تحرك الحزب الوطنى فى مصر أو رفع رأسه بعد دخول الجيش فهو يأمر بنفى ومعاقبة أعضائه وطبعا رئيسه فى مقدمتهم وإنه سيكون فى مصر (سينوب ) (١ ) كما توجد سينوب هنا لنفى المعارضين للحكومة ، وإنه نبه على : طلعت بك بعدم مقابلتى

(١٠٠)

وينبه على: أنور باشا بذلك ، وأن الخديو مخطىء فى التصاقه بنا لأننا لا شىء ، وإنه بلغه كذلك بأنه وعدنى بوظيفة رئيس مجلس النظار ولذلك قبلت الصلح معه . فأجابهما الخديو « بأن الصدر يظهر أنه لا يعرفنى لأنى أثناء التكلم معه (مع الخديو ) — فيمن يصلح للوظائف الكبرى بمصر — لم أذكر اسمى ولا اسم أحدأصحابى أعضاء اللجنةمطلقا وأنى إذا كنت لاشىء ، كما يظن ، ما كان أنور باشا،يطلب منه بعد مصافحتنا أن يتم الصلح معنا حتى نكون جميعاً فى إتفاق لا تشوبه شائبة ؛ وأما تهديده فى إنشاء منفى فى مصر، فهذا ليس من اختصاصه بل إذا أنشئت لايكون الإرسال إليها إلا بحكم المحاكم المصرية » .

يظهر من كل ذلك ، أن الصدر متغيظ من اتفاقنا لأنه أزال أو أضعف أمله فى نوال الخديوية المصرية التى يطمح فيها كما طمح إليها أبوه من قبل ، وهو يريد الآن أن يلقى بين الإتحاديين وبين الخديو من جهة وبين الإتحاديين وبينى من جهة أخرى ، ومما لا شبهة فيه أن الشيخ جاويش معضد له فى هذه المساعى بالاشتراك مع حلمى مسلم ، وعماد الدين بك وكيله ، وبعض الأذناب الأخرى :

فى صباح الأحد ١٥ منه، سافر إسماعيل بك لبيب إلى الشام للإلتحاق بالأوردى (٢ ) المسافر لمصر ويكون مع قائده كمندوب للحزب الوطنى . وسافر فى هذا اليوم نحو

---

(١) سينوب Sinop : بلد فى تركيا يقع فى أقصى الشمال يطل على البحر الاسود ، كان منفى للمعارضين للحكومة التركية .

(٢) مشتقة من الكلمة التركية ( أوردو ) ومعنـــاها الجيش أو الفيلق ، كما تؤدى أيضا معنى المعســـكر .

سبعين نفسا من رجال الخديو لإنتظاره بقرب الحدود مع من سافروا من قبل ومن قاموا من أرضه بالضلمان(١)

الساعة ١١ صباحا ، قابلت طلعت بك بنظارة الداخلية وأخبرته بتهديدات الصدر لى وللخديو وبما يدعيه بأنه نبه عليه بعدم مقابلتى ، فقال إن هذه الأمور صبيانية وإن هذا الخبر كاذب بدليل وجودى معه فى هذه اللحظة . ولكنه أخبرنى من جهة أخرى بأن هناك لغط كثير بين المصريين ، فمنهم من يقول بعودة الخديو لمركزه ، ومنهم من يقول بتعيين ولى عهد الدولة العثمانية بصفة والى على مصر حتى يرقى للخلافة ، وأن كل ولى عهد يكون واليا على مصر بهذه الكيفية ، والأحسن النصح لهم بعدم التكلم فى هذه المسائل، وأن تكون كل أفكارنا ومجهوداتنا موجهة إلى إنجاح الحملة ودخولنا مصر ، فأجبته بأنى أنا ومن معى من رجال الحزب المعتبرين الذين نواخذ بما يقولون لا نتكلم مطلقا فى هذا الموضوع لأننا على اتفاق تام بخصوصه معكم ، وإنه إن صدر منه هذا الكلام فهو من غير المسؤولين . ثم انصرفت وقابلت عبد الحميد بك سعيد وإخواننا الساكنين معه ولخصت لهم ما قاله طلعت بك ونصحت إليهم بالسكوت ، فأجابونى جميعا بأنهم لم يتكلموا فيه أبدا ، وأن هذه الإشاعات لا بد أن تكون مبنية على ما يهرف به الدكتور أحمد فؤاد (وهذا القول يستدعى

(١٠١)

اشتراك الشيخ جاويش(٢) ) خصوصا وانى سمعت منه مثل هذا الكلام عقب مجيئى الآستانة ، فالرجل رغما من صلحه مع الخديو مازال يشتغل ضده لصالح سعيد حليم. وفى المساء ، قابلت الخديو وأبلغته ما قاله طلعت بك .

يوم الإثنين ١٦ منه قابلت أنور باشا وأخبرته كذلك بما أرسله لنا الصدر من التهديدات . فقال هذا جنون وسأكلمه فى هذا الموضوع . فأخبرت الخديو بذلك بعد الظهر . فى هذا اليوم ظهر خبر مقابلتى لطلعت بك فى جريدةأوسمانيشر لويد(٣) وقد نشرته فيها عمدا ليكون كجواب على ما ادعاه الصدرمن أنه نبه على :

---

(١) الضلمان : مكان بين مدينة ( أزمير ) ومدينة ( آيدين ) .( انظر أحمد شفيق باشا : مذكراتى فى نصف قرن ، ج٢/ف٢/ص‌ص ٣٨٤ و ٤٠٨ ) .

(٢) أنظر ترجمة محمد فريد له على صفحتى ١٧ و ١٨ من هذه المذكرات .

(٣) جريدة يومية صباحية كانت تصدر باللغتين الألمانية والفرنسية . أنشئت سنة ١٩٠٧ ، وكانت تنفق عليها جماعة من الماليين الالمان ، وكان هدف هذه الجريدة توزيع مصنوعات المعامل الالمانية فى تركيا ، فضلا عن تعضيدها لسياسة ألمانيا فى السلطنة العثمانية ، وكان جميع قناصل ألمانيا فى السلطنة العثمانية الى جانب مديرى المصارف الألمانية وكبار التجار الألمان يشتركون فى مراسلة هذه الجريدة التى كانت تعضد بكل قواها جمعية « الاتحاد والترقى » وأنصارها وتحارب حزب « الحرية والائتلاف » . المحروسة : عدد ١٢ أبريل سنة ١٩١٣ ، مقال بعنوان « الصحافة الأجنبية فى الآستانة » .

طلعت بك بعدم مقابلتي . ولا بد أن يكون لنشر هذه المقابلة تأثير شديد عليه .
أرسل الخديو علي بك الشمسي (١) ومحمد فهمي إلى سفير ألمانيا وأبلغاه تهديدات الصدر فكرر لهما ما قاله لي مراراً من أن ألمانيا اشترطت على الدولة أنها لا تتعدى على إمتيازات مصر بل إنها تطرد الإنكليز بمساعدتها، ثم تعيد إليها حالتها التي كانت عليها قبل سنة ١٨٨٢ . وأخبرني كذلك السفير أن الإمبراطور ولهلم كتب بنفسه للحكومة العثمانية بأنه لا يقبل بحال من الأحوال أن تصير مصر ولاية عثمانية ، وعلى ذلك فلا خوف مطلقا من تهديدات الصدر ولا من مساعيه في أخذ الخديوية المصرية لنفسه .

في يوم الثلاث ١٧ ، قابلت جويد بك ناظر المالية السابق وتكلمنا طويلا. فسألته عن سبب إستقالته أخيراً ، فأجاب بأنه حصول الحرب مع الروسيا في البحر الأسود بدون علمه . نعم أنه موافق على الحرب ، ولكنه كان لا يريد أن ألمانيا تضطرهم إليه إضطراراً بعمل أميرالها الموظف في الأسطول العثماني ، ثم جاء ذكر الشيخ جاويش عرضا فقال إنه رجل نصاب لا قيمة له ، وأخيراً قال لي إنه ربما يعود للوزارة قريباً ، وإنه مازال يشتغل بأمورها مع بعده عنها .

في يوم الجمعة ٢٠ منه ، أشيع خبر تعيين جمال باشا ناظر البحرية قائداً عاما للجيش الزاحف على مصر ، وأنه سيسافر يوم السبت تاليه ، الساعة ٣ بعد الظهر ، وأن الشيخ جاويش والدكتور أحمد فؤاد ، الموظف الآن رئيس شعبة في الأمنية العمومية (٢) ( إدارة الضبط والربط ) وفؤاد سليم بك قنصل جنرال الدولة في سلانيك سيسافرون معه ، وفي مساء ذلك اليوم ، قصدت منزله لمقابلته الساعة ٩ فقابلني وتحادثنا في شؤون ، وأردت التحقق منه عن الذين سيسافرون معه من المصريين ، فأخبرني عن فؤاد سليم فقط لأنه لم يهتم إلا بالعسكريين أركان حربه ، أما الملكيين من المصريين فيمكنهم السفر معه ما داموا تحت الأوامر العسكرية ويقيمون في المحال التي تعين لهم . ثم طلب مني أن أعتذر للخديو عن عدم إمكانه زيارته قبل سفره لأنه لم يتقرر إلا في مساء الأربع ، فلضيق الوقت لم يمكنه أن يزر أحد حتى ولا ولي العهد . وسألني عما إذا كان يوجد لدى الخديو خرط جغرافية تفصيليه

---

(١) تولى علي الشمسي منصب وزير المالية من ١٩ نوفمبر ١٩٢٤ الى ٢٤ نوفمبر ١٩٢٤ ثم منصب وزير المعارف العمومية من ٧ يونيه ١٩٣٦ الى ٢٥ يونيه سنة ١٩٢٨ ( النظارات والوزارات المصرية ، ج ١ ، ص ٥٨٧ ) .

(٢) المقصود بالأمنية العمومية : الأمن العام .

للقطر المصرى ، فوعدته بالسؤال وإفادته فى اليوم التالى عند وداعه بالمحطة : فى صباح السبت ٢١ ، قصدت سراى جبوقلى لمقابلة الخديو فوجدته فى حالة

(١٠٢)

تهيج واضطراب عصبى زائد ، ورجال معيته فى حالة كدر ، أولا لأنهم كانوا مازالوا يؤملون تعيين الخديو قائد عام فذهبت آمالهم بتعيين جمال باشا ، والثانى سبب سفر من ذكرتهم من المصريين لأنهم من المجاهرين بمعاداة الخديو ، الدكتور فؤاد والشيخ جاويش اللذين يتهمهما الخديو بتدبير مسألة مظهر التى كادت تقضى على حياته ، فأخذت فى تسكينه بقولى أن الشيخ لا بد وأن يكون سفره بصفة واعظ دينى وأحمد فؤاد بصفة موظف فى قسم الضبط الخ الخ . ثم أخبرته بما كلفنى به جمال باشا وطلبت منه الخرط فأبى . وقال يسافر قائد عام الحملة ولاتكون معه خرط الجهات التى سيحارب فيها . أخيراً قال بضرورة إرسال أحد رجاله الرسميين لتوديع جمال باشا معى فقبل بعد الالحاح وأمر عارف باشا بمرافقتى . قصدنا محطة حيدر باشا فوجدناها غاصة بالمودعين ، فقابلنا جمال باشا بقرب السكة الحديد وأخبرته بعدم وجود خرط مع الخديوى ، فقال هذه خسارة ، وهو غير صادق ، وظهر عليه الامتعاض . أخبرنا الشيخ جاويش على الرصيف بعدم سفره لأنه أمر بتأخير سفره بعد أن استعد له (وقد علمت بعد ذلك نقلا عن الشيخ صالح الشريف التونسى (١) بأن تأخيره كان سببه أن فؤاد بك سليم أبى السفر معه بالكلية وقال لو سافر هو لاأسافر أنا) وكان الكدر ظاهرا عليه . يوم الأحد ٢٢ منه ، قابلت الشيخ عبد العزيز بلوكاندة جاهين باشا مع الطلبة المصريين الذين حضروا من لوندره أخيرا وقبلوا فى الجيش المحارب بمصر بصفة مساعدين أطباء ، وتحادثنا فى بعض الشؤون فاتهم عبد الله بك ، طلعت بالخيانة ، وبأنه كان يقابل كتشنر فى كل آن ، وأنه دعى فؤاد بك سليم لزيارة المستر استروس (٢) سكرتير اللورد فأبى ، وأراد أخذ أمين الرافعى للوكالة غشا ، وأنه لما علم بالقصد نزل بالطريق . فأظهرت له استغرابى من هذه الأخبار لان أمين الرافعى كان معى بجنيف إلى يوم ٤ أغسطس يوم الحرب ولم يخبرنى بشىء من ذلك . فقال أنه ربما يكون أخفى الأمر على (وهو مالا أصدقه). فى هذا اليوم (الأحد) ، بعد الظهر قصدت قصر بيك مع الشبان الأطباء ، وهم

---

(١) انظر ما كتبه عنه محمد فريد على ص ١٧٩ من هذه المذكرات .

(٢) صحة الاسم هو : رونالد ستورس Ronald Storrs وكان سكرتيرا شرقيا بدار المعتمد البريطانى

السيد دسوقى ، وعباس طلعت صبور وأخوه توفيق ، ومهدى حشيش ، وشحتوت ، ومحمد حمزة اخ عبد الملك حمزة ، أى اللذين رافقونى كانوا أربعة وتخلف توفيق صبور لحيائه ( كما قال ) ، ومحمد حمزه تبعا لنصيحة أخيه له قبل سفره إلى الحدود مع رفاقه . قابلوا الخديو فأحسن مقابلتهم وكلمهم كثيراً قائلا لهم إنه خادم الأمة ولا يريد إلا خيرها ، ولما شكروه على منح الدستور والعفو قال إنه كان يريد ذلك من مدة لولا مقاومة اللورد له ، فخرجوا مسرورين .

وفى اليوم التالى ، أخبرونى بأنهم قابلوا الشيخ ليلا وأخبروه بمقابلتهم للخديو ، فقال أنه لا يلوم من يقابله كما لا يلوم من لا يقابله لأن كل إنسان حر فى رأيه . ثم سافروا فى صباح الثلاث إلى الحدود .

يوم الثلاث ٢٤ منه ، قابلت شيخ الإسلام أحمد خيرى أفندى ولى معه معرفة من سنتين أو ثلاثة فأحسن مقابلتى . ولما استعلمت منه عن مشروع جامعة المدينة رغبة فى جلبه للتكلم بخصوص جاويش ، فر من الموضوع مكتفيا بقوله قد أرسلنا نهاد بك المهندس لعمل الرسم ولم يعد بعد .

( انتهت الكراسة الثالثة )

# الكراسة الرابعة

( من صفحة ١٠٣ الى صفحة ١٣٨ )

(١٠٣)

لما ازداد حقد الخديو من مساعى الشيخ جاويش ضده ( حسب اعتقاده ) :
رغما من تأكيدات أنور باشا وسفير ألمانيا له ، رأيت من المستحسن أن أحسن سياستى مع الشيخ نوعا ، وأقنعه بضرورة زيارة الخديو من وقت لآخر . فزرته فى منزلة يوم الجمعة ٢٧ منه ، ووجدت عنده الشيخ اسماعيل الصباحى التونسى ، وشخص آخر عربى قدمه إلى واسمه سعدون باشا من اشراف مكة . وبعد أن تكلمنا فى أمور كثيرة ، اتفقت معه على أن نزور الخديو معا يوم السبت ٢٨ ، وعلى أن نتقابل معاً فى مركز الجمعية الخيرية الاسلامية ، ولكنه اعتذر ذلك اليوم . وأخيراً ذهبنا معاً إلى قصر بيلك يوم الأربعاء ٢ ديسمبر فقابله الخديو بكل بشاشة ومكثنا معا مدة تقرب من ساعة ولكن ساءنى جداً أن الخديو كلمه فى أمر الدكتور أحمد فؤاد وأظهر له امتعاضه من أنه سافر مع جمال باشا إلى الشام ، إذ يؤلمنى كثيراً أن الخديو يظهر خوفه لهذه الدرجة من بعض صغار العمال حيث أن هذا الأمر يحط من قدره فى أعين الاتحاديين .

يوم الجمعة ٤ ديسمبر ، قابلت أنور باشا فى منزله ومكثنا معا نحو نصف ساعة سألته فى خلالها عن الحالة العمومية للحرب ، ثم عرجت على الخديو ومخاوفه من عدم زيارته هو ولاخوانه له ، فقال لى انه سيقابله فى الغد ان أمكن . وكل قصدى من ذلك أن الرجل لا يرتمى فى أحضان ألمانيا فهو فى أغلب الأيام يرسل له (١) يوسف صديق باشا للسفير أو يقابله هو ويشتكى من تصرفات الاتحاديين نحوه ، وكل غايته أن يكون هو مركز الحركة فى كل ما يختص بأمور الحملة المصرية ، وهم لا يثقون به تمام الثقة لسابق مساعيه

(١) وردت ( له ) بالأصل ، وسياق الكلام يستلزم حذفها ليستقيم المعنى .

ضدهم حتى لقد فرطت هذه العبارة من خليل بك رئيس مجلس النواب لسفير ألمانيا فى أحد أحاديثهم .

فى يوم الاثنين ٧ منه، زرت جويد بك وتكلمنا طبعا فى هذه المواضيع ، فقال لى انه اتفق مع طلعت بك على أن يزور الخديو لأن (١) فى هذا تطمينا له، ووعدنى هو أيضا بزيارته . على أنه أظهر دهشته من اضطراب الخديو لهذه الدرجة حتى أنه أرسل له يوسف صديق ، وعارف باشا أكثر من مرة يشتكون من سفر أحمد فؤاد الدكتور مع جمال باشا مع أن فؤاد موظف صغير فى الداخلية و لا قدرة له على التأثير على قرارات الحكومة .

يوم (٢) ديسمبر نشرت جريدة تصفير أفكار (٣) حديثا معى ونشرت صورتى ومقدمة للحديث فى غاية الابداع .

(١٠٤)

وفى مساء الخميس ٣ ، ألقيت خطبة فى مرسح الشتاء بجنينة الملة فى اتحاد الاسلام، وكان لها تأثير حسن . ألقيتها بالعربية ولخصها بالتركية عمر أفندى رضا أحد محررى جرائد الحزب الوطنى ، ويوم الاثنين ٧ منه، نشر يونس نادى بك فى تصفير أفكار مقاله افتتاحيه عن هذه الخطابة ، ضمنها قطع كثيرة منها . وكل قصدى من هذه الكتابات والخطب تفهيم سعيد حليم باشا الصدر الأعظم بأنى لا أخشى تهديداته بالنفى إلى سينوب اذا تكلمت أو أتيت أى عمل ، ولأبرهن له بأنه لاسلطة له فى الحكومة وان كان صدرا أعظم ، لأنه مازال يفوه بمثل هذه العبارات السخيفة أمام البرنس ابراهيم حلمى عم الخديو ليبلغها لى . كل ذلك لأنه يطمح إلى الخديوية المصرية وهو يعرف أنه لن ينالها مادام الحزب الوطنى معضدا للخديو عباس ، لذلك هو يكرهنى جدا خصوصا بعد توثيق روابط الاتفاق بينى وبين الخديو .

يوم الثلاث ٨ منه ، قابلت الشيخ جاويش فأخبرنى بأنه سيسافر فى اليوم التالى مع بعض مشايخ السنوسيين إلى بعض الجهات العربية للحض على الوفاق ، وأنه زار الخديو وتغدى معه، فودعته .

قابلت الخديو فى عصر هذا اليوم فأخبرنى بأن طلعت بك ، وخليل بك

---

(١) أضيفت ( لأن ) ليستقيم المعنى .

(٢) لم يرد بالأصل تاريخ ذلك اليوم .

(٣) جريدة « تصفير أفكار » أو « تصوير افكار » : جريدة تركية أنشئت فى سنة ١٨٨٢ وكانت مقالات حرة وتدعو الى حكومه دستورية ، وأصبحت فيما بعد لسان حال جمعية الاتحاد والترقى . ( جريدة المحروسة ، عدد ١١ أبريل سنة ١٩١٣ ) .

رئيس مجلس المبعوثين ، زاراه فى اليوم السابق وأبلغاه بأن الحكومة معه على عهدها ، وأن لا خوف عليه من دسائس الصدر إلى غير ذلك من العبارات المطمئنة ، ثم طلبا بأن يزور الصدر لازالة مافى الصدور ، فوعدهما بذلك ثم كلمها فى رغبته تعيين عمه البرنس ابراهيم حلمى قائمقاما له يرافق جمال باشا قائد عام الحملة ، ويدخل معه مصر نائبا عنه حتى يصل هو . وأنه يريد السفر إلى النمسا بعد ذلك لتغيير الهواء ، فوافقا على فكرة تعيين ابراهيم باشا ورجواه فى عدم السفر لأوروبا فأصر على السفر . وأظن أنه يريد بذلك أن لا يمكن حكومة الاتحاديين من منعه عن السفر إلى مصر إذا كانت تضمر له سوءاً ، وأنه قابل الصدر اليوم ( ٨ الشهر ) وكلمه فى تعيين عمه قائمقاما ، فأجابه بأنه سيشاور أنور باشا فى ذلك فتضايق الخديو ، لأنه كان يظن بأنه يوافق مادام طلعت وخليل وافقا . فذهب إلى سفير ألمانيا وأخبره بكل ما حصل ، فوعده بمقابلة الصدر والالحاح عليه فى قبول هذه الفكرة .

(١٠٥)

يوم الخميس ١٠ منه ، قابلت الخديو فأخبرنى بأنه صمم على السفر إلى ويانه على أى حال بمجرد اتمام الاتفاق على تعيين عمه قائمقاما ، فيعطيه الارادة السنية بتعيينه ويسافر . أما أنا فأبقى هنا لأسافر مع عمه إلى مصر .

فى يوم الأحد ١٣ منه ، قابلته فوجدته متهيجاً جدا من تصرفات الحكومة نحوه ، وأطلعنى على ثلاثة تلغرافات واردة إليه من توفيق بك فهمى قومندان الحملة التى أرسلها إلى الحدود لاقامته مدة الحرب حسب ما كان قرره أولا قبل أن تخبره الحكومة بأنه لا يسافر إلا بعد أن يجتاز الجيش العثمانى قنال السويس . ملخص هذه التلغراف(١) أن جمال باشا القائد العام للحملة الزاحفة على مصر ، أمر رجال الخديو بالعودة إلى الآستانة مع مامعهم من خيام وخيول وخلافه .

هذا الأمر يفيد أنهم عازمون على حجزه هنا حتى يتم الاتفاق على كيفية إدارة القطر المصرى بعد الفتح ، ثم قال أنه أمرهم بالعودة وأنه قرر السفر إلى ويانه يوم الثلاث ١٥ الجارى ، وأنا أبقى هنا لمراقبة الأحوال ، وان طالت الحالة أنظر اذ ذاك فيما اذا كنت أبقى هنا أو أسافر إلى إحدى الجهات الأوروبية . ثم أخبرنى بأن طلعت بك أخبر رجلا إلمانيا اسمه المسيو بودل(٢) بان مجلس النظار سيجتمع قبيل

(١) هكذا وردت بالأصل : ( التلغراف ) وصحتها : ( التلغرافات ) ، حتى يستقيم المعنى .

(٢) هكذا ورد الاسم بالأصل ومن المرجح أن يكون هو « باول » الذى قال عنه أحمد شفيق باشا أنه : « كان ترجمانا أول بالسفارة الألمانية فى إستانبول فى عهد السلطان عبد الحميد ، وعين بعد ذلك قنصلا لدولته فى بيروت ثم عين مديراً للبنك العقارى بمصر » . ( أحمد شفيق باشا : « مذكراتى فى نصف قرن » ج ٢ ق ٢ ، ص ٣٧٣ ) .

دخول الجيوش إلى مصر ليقرر ما يتبع فى إدارتها وأنهم يستدعون الخديو اذ ذاك إلى المجلس ليبدى ملاحظاته . .

كل هذا يدل على أنهم عازمون على تعديل شكل الإدارة بمصر مع أنهم لم يخبرونى بشيء من هذا القبيل، بل كان كلامهم لى دائما أن ادارة مصر لا تمس بل تبقى كما هى . لذلك أرى نفسى مضطرباً لعدم وقوفى على حقيقة نوايا القوم هنا . هذه المسألة أذكرتنى عبارة جاءت عرضا فى حديث طلعت معى يوم قابلته بنظارة المالية فى الشهر الماضى ، وهى (لما يتم الفتح نبحث فى كيفية ادارة مصر )لم التفت إلى هذه الجملة فى وقتها ولم أناقشه فيها لوجود أناس حاضرين ، ولم أقابله بعدها لأستفسر منه عن قصده بها . يوم الاثنين ١٤ منه، قابلت الخديو ورافقته عندحضوره الاحتفال بافتتاح مجلس النواب حيث أحسن السلطان مقابلته ، وأبقاه معه فى الغرفة المخصصة لجلالته وللأمراء ،

(١٠٦)

ثم عدنا معا بطريق البحر إلى سراى بيلك وتناولنا الغذاء معا . وفى الساعة ٤ بعد الظهر ، ذهب إلى سراى السلطان لوداعه . أخبرنى سموه فى هذا اليوم بأن الصدر الأعظم زاره بالأمس للوداع ، وفى أثناء الحديث أخذ يطعن فىّ ويقول بأن الحكومة أعطتنى أهمية كبرى بغير استحقاق ، وكيف أنى أطلب للأمة المصرية دستورا مع أن النظام الدستورى لم ينتج فى الدولة الثمرة المطلوبة . فأجابه الخديو بأنه إذا كان لا يوافق على إعطاء الدستور لمصر فلا يعطيه ، فقاطعه الصدر قائلا لا الا ! سينظر فى ذلك فيما بعد . هذا دليل جديد (يضاف إلى غيره مما سبق ذكره) على أن القوم هنا يداعبون حزبنا ليساعدهم على فتح مصر وبعدها ينفذون إدارتهم الاستبدادية فى بلادنا . وهناك دليل آخر لم يذكر فى موضعه لعدم الالتفات اليه اذ ذاك ، وهو أن جمال باشا استصحب معه فؤاد سليم بك وأحمد فؤاد، ومحمد حلمى مسلم الكاتب بالخارجية ، ثم تبعهم الشيخ جاويش وكلهم مما قادهم شدة حبهم للدولة والاسلام إلى نسيان مصر ومصالحها ، فأصبحوا يقولون ان مصر للمسلمين لا للمصريين ، أخذهم معه لترويج هذه الفكرة فى مصر أثناء الحرب وبعد الفتح قبل رجوعى أنا والخديو . وصلت الحالة بالشيخ جاويش إلى أن ينصحنى بعدم حمل الدبوس الذى عملناه فى جنيف والمكتوب عليه مصر للمصريين والذى قررنا أن يكون شعار المصريين المخلصين . وقال لى إن منظره فى صدرى وصدر إخوانى يغيظ الأتراك ، كما تغيظهم محافظتى على قومية مصر فى كل كلامى وكتاباتى وقال لى ان سليمان العسكرى بك وبهاء الدين مناسترلى اللذين كانا معنا فى اجتماعات القومسيون الأولى التى حررنا ووضعنا فيها بعض المنشورات ، تألما جدا من قولى

اذ ذاك ( يجب علينا الاحتراس فى كتاباتنا حتى لايقول أعدائنا أننا ، أى رجال الحزب الوطنى ، نريد تسليم مصر للأتراك ).

يوم ١٥ منه، سافر الخديو ولم يودعه أحد رجال الحكومة بل ولم يرسلوا من ينوب عنهم لوداعه ، فقط

(١٠٧)

أخبرنى(١) من رجال المعية بأن الصدر أرسل ياوره لوداعه مبكرا جدا فى الساعة ٦ ونصف صباحا ، كأنه يريد أن لايراه أحد . بعد سفر الخديو أخذت أفكر فى جميع هذه الأمور فكاد يتأكد عندى عدم إخلاص القوم معنا ومن جهة خشيت أن الخديو من تغيظه من هذه المعاملة يقول لجرائد ويانه أو غيرها عبارات توجب توتر العلاقات زيادة عن توترها، خصوصا وأن يوسف صديق باشا الملازم له فى هذه الرحلة لا يميل إلى تحسين تلك العلاقات لتغيظه من أقوال وأعمال الصدر . لكل ذلك صممت على اللحاق به وقابلت سفير ألمانيا يوم الخميس ١٧ ، وشرحت له كل ما يخالج صدرى من هذه الأفكار فوافقنى على السفر ووعدنى بجواب توصية لسفير ألمانيا فى ويانه . بعد الظهر ، ذهبت للداخلية لمقابلة طلعت بك ، وانتظرته كثيرا فلم يحضر . عند ذاك قابلت اسماعيل جانبولات بك مدير الأمنية العمومية وشرحت له فكرى فيما يختص بضرورة وجودى مع الخديو لتهدئة أفكاره ومنعه من اتيان ما يزيد العلائق بينه وبين الاتحاديين توترا، وطلبت منه أن يخبر طلعت بذلك وبأنى عزمت على اللحاق به ، ثم تكلمنا كثيرا فى الضرر الذى ربما ينتج من سفر الخديو من الآستانة ؛ وفى أن الإنكليز سيتخذون سفره غاضبا دليلا يقدمونه للمصريين على عدم حسن نية الحكومة العثمانية نحو مصر .

يوم السبت ١٩ منه. ذهبت إلى مديرية البوليس وأخذت جواز السفر وترخيص البوليس . وعزمت على السفر يوم الثلاث ٢٢ منه فى قطار الصباح إلى أدرنه وأقيم بها يوما لزيارتها وزيارة الحاج عادل بك واليها . وهو ممن لى بهم علاقة متينة .

يوم الاثنين ٢١، قصدت دار مجلس النواب لأقابل رئيسه خليل بك ومن أجده من النظار لاخبارهم بسفرى وأحادثهم فى هذا الموضوع . فقابلت خليل بك وتكلمنا كثيرا وأفهمته خطأهم فى إغضاب الخديو فى هذه الظروف ، وأنه كان من الضرورى مراعاته ومنع الصدر الأعظم من أن يتفوه بعبارات جارحة فى حقه الخ الخ . فأظهر عدم رضاه من أعمال الصدر وأقواله وقال : انى قابلت الخديو مع طلعت بك وضمناه على مركزه ولكن مادام سافر إلى أوروبا فلا

---

(١) هكذا وردت بالأصل ، ويستقيم المعنى لو أضيفت كلمة ( فرد ) بعد كلمة ( اخبرنى ) .

حيلة ، ومادام أنه يقيم فى احدى الدولتين المخالفتين لنا فلا كلام لناعليه . وأوصانى بأن أنصح الخديو بعدم مفارقة هاتين الدولتين . ثم تكلم فى رغبة الخديو ارسال عمه ابراهيم حلمى باشا مع وفد من كبار المصريين لمرافقة الحملة وأظهر عدم ضرورة هذا الوفد ، ولما يصل الجيش مصر فما عليه اذ ذاك إلا أن يرسل تلغرافا بتعيين من يريد قائمقاماً له خصوصا وأن عمه كبير السن ومثل هذه السياحة تتعبه كثيرا . وبعد ذلك قابلت جويد بك فاستحسن سفرى ومرافقتى للخديو فى هذه الظروف .

فى المساء ، طالعنا فى الجرائد خبر عزل الخديو بمعرفة ملك الانكليز لانضمامه لأعدائه ، وتعيين عمه حسين كامل سلطانا لمصر تحت حماية انكلترا (١) ، وبقاء الوزارة المصرية مع السلطان الجديد ، وانعام ملك الانكليز على حسين كامل بنيشان الحمام وعلى وزيره حسين رشدى بنيشان القديسين ميشيل وجورج ، وفى ثانى (٢) وردت الأخبار بأن قاضى مصر وهو تركى (٣) لم يعترف بهذا التغيير لمخالفته للفرمانات وأنه رفض لذلك . ومن المحزن أنه لم يستقل مصرى من منصبه احتجاجا على هذا العمل بل قبله الجميع صاغرين .

توجهت للمحطة يوم الثلاث ، فأخبرت بأن القطارات ممنوعة إلا إلى قصر ولى برغاس لأسباب عسكرية فانتظرت حتى عادت إلى سيرها يوم الجمعة ٢٥ منه وسافرت الساعة ٧,٤٠ صباحا إلى أدرنة حيث وصلتها الساعة ٦ مساء وكنت أرسلت للحاج عادل بك تلغرافا بحضورى ، فوجدت بالمحطة مدير الأمنية العمومية ومفتش جمعية الاتحاد والترقى وبعض أعضاء ناديها وقابلونى بكل إكرام وقالوا ان الوالى متجول فى الاقليم وأنهم يقومون بواجب الضيافة لى بدله الخ الخ ، وأنزلونى فى لوكاندة استانبول . وفى صباح السبت حضر مفتش الجمعية نجاتى بك ورافقنى فى زيارة المدينة فوجدتها لاتزيد نظافة أو نظاما أو جمالا عن مثل الزقازيق بل أقل ، وزرت جمع (٤) سليمية المشهور ،

---

(١) أعلنت الحكومة البريطانية خلع الخديو عباس الثانى بقرار من وزير خارجيتها على أساس انضمام الخديو لدول الوسط أعداء انجلترا فى الحرب العالمية الاولى وقد صدر قرار الخلع فى ١٩ ديسمبر ١٩١٤ متضمنا فى الوقت نفسه تعيين الأمير حسين كامل سلطانا على مصر باعتباره أكبر الأمراء الموجودين من أسرة محمد على .

(٢) هكذا وردت بالأصل . ويستقيم المعنى باضافة كلمة ( يوم ) .

(٣) وكان اسمه : محمد نورى أفندى ، وهو آخر من تولى وظيفة قاضى مصر ، اذ ألغيت هذه الوظيفة عند نشوب الحرب العالمية الاولى . ( انظر احمد شفيق باشا : مذكراتى فى نصف قرن ج٢/ق٢ ص ٧٥

(٤) هكذا وردت بالأصل . ويغلب على الظن أنه كان يقصد كتابة كلمة ( جامع ) .

(١٠٩)

ورأيت، بجدرانه آثار مدافع البلغار ظاهرة لتذكير الأهالى بالثأر. ولم تصلح لهذا الغرض وإن كان أصلح بعضها. وزرت كذلك الجزيرة التى وضع فيها الأسراء (١) الأتراك حين دخول البلغار ومات منهم فيها الألوف جوعا.

سافرت الساعة ٦ ونصف مساء يوم السبت، إلى ويانه فوصلتها يوم الثلاث ٢٩ ديسمبر، وقت الظهر وقصدت إمبريال أوتيل لمقابلة الخديو فوجدته هناك مع شفيق باشا، ووجدت أنه حجز لى مكانا بهذه اللوكاندة العظيمة حين ما وصله تلغراف منى أرسلته باسم يوسف صديق من مدينة جورجو برومانيا يوم الأحد وكان مستعدا للخروج لتناول الغداء مع حسين حلمى باشا سفير الدولة العلية فخرج معه شفيق باشا.

زكى باشا قائد الحملة المصرية

أثناء سفرى من الآستانة إلى أدرنه علمت بأنه يوجد بالقطار أحمد زكى باشا الذى كان قائدا عاما للحملة المصرية بدمشق، وعين أخيرا ياورا لدى إمبراطور الألمان من قبل السلطان، كما عين الامبراطور المارشال فون درغولتس (٢) ياورا لدى جلالة السلطان فقابلته وأخذت أسأله عن الحملة واستعدادها فقال إن الدولة لم توفق فى حياتها إلى تجهيز حملة مثل هذه من حيث الاستعداد لكل الطوارىء. وأن سبب تأخير سيرها هو عمل سكة حديد ضيقة من القدس الشريف إلى القنال لتسهيل النقل.

بعد الظهر، اجتمعت مع شفيق باشا فأخذ يقص على ما علمه أثناء وجوده بإيطاليا من الأخبار، قال ما ملخصه: البرنس محمد على باشا على الحياد لا يزور سفير الدولة العلية ولا سفير انكلترا. يريد بذلك أن لا يغضب الإنكليز حتى إذا لم تنجح الدولة العلية فى الحرب يمكنه العودة لمصر لإدارة أشغال أخيه المالية (ومن المعلوم أن محمد على هذا يكره الدولة ولا يخفى إحساسه ضدها). البرنس عزيز حسن خيره الإنكليز بين الاستقالة من الجيش العثمانى أو الخروج من مصر والإقامة بإيطاليا لانتهاء الحرب ففضل الخروج. البرنس كمال الدين باشا ابن حسين كامل وزوج أخت الخديو عباس ترك مصر خوفاً من (٣) الإنكليز يسيئون معاملة زوجته بالنسبة

(١١٠)

لقرابتها للخديو (ولكن علمت من الخديو أن والده بعد أن عين سلطانا كتب له بالعودة لمصر، وسافر فعلا يوم ٢٦ الجارى من نابولى). محب باشا يدعى أنه أخرج بسبب بقائه بالآستانة مع الخديو ولكن الواقع تثبت أنه متفق مع الإنكليز، مرسل من قبل الإنكليز والحكومة المصرية لمراقبة الأمراء واستطلاع أخبار الخديوى والوقوف على مساعيه، وهاك الأدلة:

---

(١) المقصود بالأسراء : الأسرى .

(٢) فون در فولتس Von Der Goltz

(٣) هكذا وردت بالأصل . ويستقيم المعنى لو اضيفت كلمة ( ان ) بعد ( من ) .

أولا — صرفت له بدل السفرية عن طول مدة إقامته بالآستانة مع أنه بإجازة خصوصية .

ثانيا — صرف له ثلاثمائة وخمسين قبل سفره . بدعوى أنها سلفة لا تخصم الآن من مرتبه . ودعه النظار عند سفره من مصر بصفة أجازة جديدة مع أنه لا حق له فيها . تعهد الحكومة بأن ترسل له ماهيته شهريا . ولكنه لم يدخل ضمن الوزارة الجديدة ويظهر أن الانكليز خانوه بعد أن وقفوا منه على تفصيلات أعمال الخديو بالآستانة ، فإنى كثيرا ما كنت أحذر الخديو منه وسعيت كثيرا فى إرجاعه لمصر .

الخديو قابل وزير الخارجية هنا (ويانه) وسيقابل الإمبراطور يوم ٢ يناير . ودعى للأكل عند برشتولد كبير الوزراء فى ٤ منه ، ولكنه لم يزل مترددا فى زيارة إمبراطور ألمانيا وسأبذل جهدى لإقناعه بضرورة زيارته ، وشفيق باشا مساعد لى على هذا الرأى . نشرت جريدة فرنكفورتر زيتونج ملخص المنشور الذى كان جهز وطبع لينشر باسم الخديو وبه منح الدستور الخ ، ولكن الخديو كذب نشره فى الجرائد وقال إن ذلك الأمر كان فى النية ولكنه لم ينفذ للآن . وهذا التكذيب ناشىء عن خوفه من أن الانكليز يصادرون أملاكه فى مصر (فهو مازال يراعى مصالحه الخصوصية رغما عن وصول الحالة إلى هذه الدرجة) . الرجل يظهر ضعف شديد أمام الحوادث ولم أر فيه قوة على تحمل المصائب ولذلك فإنى أشجعه وأقويه دائما خوفا من أن يميل إلى الصلح مع الإنكليز فى وقت من الأوقات (وإن كنت أستبعد ذلك للآن) .

يوم الأربع ٣٠ ديسمبر ، وصل يوسف صديق باشا فى الفجر من جنيف ، وعلمت من مكالمته مع الخديو

(١١١)

بأنهم يسعون لاستطلاع نوايا فرنسا بواسطة شخص مالى اسمه المسيو Bolau وأن يوسف باشا تقابل مع هذا الشخص فى جنيف بعد أن استقدمه من (بوردو) عاصمة فرنسا الآن . ويظهر لى أيضا أن الرجل يشتغل مع إيطاليا فان شفيق باشا أخبرنى بأن قابل ملك إيطاليا أخيرا وإن لم يذكر لى أنه حادثه فى سياسة مصر(٢) :

المسيو Boleau ؟ (١)

---

(١) يبدو أن الزعيم محمد فريد لم يكن متأكدا من الهجاء الصحيح لهذا الاسم بدليل كتابته له فى المتن بصورة تختلف عن صورة كتابته له فى العنوان الجانبى حتى أنه وضع علامة استفهام بجواره .

(٢) يذكر أحمد شفيق باشا فى كتابه « مذكراتى فى نصف قرن » ج٢/ق٢ صص ٤٢٣ و ٤٢٩ ، بخصوص هذا الموضوع ما يلى :

الرجل يشتغل من جملة جهات مختلفة ولم يدر ماذا يفعل . كذلك علمت من شفيق باشا أنه طلب مقابلة امبراطور ألمانيا بواسطة وزير ألمانيا فى (برن) عاصمة السويس (١) عن يد محمد فهمى ، وأن الرد ورد مفيدا أن الامبراطور يوجد دائما فى دار الحرب وتصعب مقابلته وأن الوزير الأكبر مستعد لمقابلته وأن فهمى يريد مرافقته فى هذه المأمورية ؛ وأحضر يوسف باشا جوابا بهذا المعنى من على الشمسى إلى شفيق باشا ، ومع مناقشة فى هذا الموضوع تقرر أن أسافر أنا من هنا مساء الجمعة أول يناير إلى برلين ، ويكتب تلغراف لمحمد فهمى بأن يقابلنى هناك لنقابل الصدر الأعظم الألمانى معا . وكتب له التلغراف فعلا .

مقابلة سفير الدولة

قابلت حسين حلمى باشا سفير الدولة هنا ومكثت معه نحو ساعة شرحت له فيها تصرفات الصدر الأعظم المضره بالدولة وأقواله التى تنفر المصريين منها وتساعد على رواج دسائس انكلترا ، وطلبت منه أن يساعدنا فى حمل الدولة على إصدار إرادة سنية من السلطان تطمئن المصريين على مستقبل بلادهم وامتيازات مصر إذا انتصرت الدولة . وأبنت له ضرورة وجود الخديو مع الجيش المسافر لمصر أو على الأقل وجوده بالقرب من مصر حتى يدخل إليها مع الجيش فى آن واحد ، فقال إنه موافق على ذلك وأنه كتب للباب العالى تلغرافا رمزيا من ثلاثة أيام بهذا المعنى وتلاه علىّ ، وأنه أرسل جوابا مطولا أمس يشرح فيه للدولة هذه المسألة شرحا وافيا ويؤمل نجاح المخابرات .

مقابلة سفير ألمانيا

وبعد الظهر قابلت سفير ألمانيا هنا وحادثته فى هذه المواضيع وفى أن العقبة الكؤود أمامنا الآن هو الصدر الأعظم ، لعداوته الشخصية مع الخديو . فوعدنى بالمساعدة وبإعطائى جوابا لخارجية ألمانيا وطلب منى أن أقابله ثانيا قبل سفرى لبرلين لأخذ الجواب والتكلم فيما يكون حدث من المسائل .

(١١٢)

كنت تركت مقابلة (٢) لدى إدارة جريدة (توران) بالآستانة ضد حسين كامل وحسين رشدى أطلب فى ختامها إصدار فتوى بأنه خارج على الخليفة وأن دمه أصبح هدرا ، وقد نشرت حسب وعدهم لى فى مساء يوم الجمعة الماضى (٢٥) يوم سفرى ، وعلمت

* « فى ٢٥ نوفمبر تقرر سفرى الى ايطاليا لمهمة سياسية لدى ملكها ، ومن الأوامر التى تلقيتها : (١) ابلاغ الملك تحيات عباس واحتراماته له ، وانه لا ينسى الصداقة الموجودة بينه وبين العائلة الخديوية من قديم ، (٢) التماس نقله من الضلمان الى ايطاليا على مركب حربى ، اذا أضمر الاتراك سوءا ، (٣) مساعدة جلالته لو انتصرت انجلترا لتسوية حالته المادية ، (٤) أخذ رأيه فى امكان نجاح الحملة التركية من عدمه ، والسعى فى أن تطلب ايطاليا الا تمس الفرمانات الخديوية ، (٥) التأكيدات له بان مصر تحافظ على صلاتها الودية مع ايطاليا اذا نجحت الحملة » .

(١) السويس Suisse هو الاسم الفرنسى لسويسرا .

(٢) هكذا وردت بالأصل ، ومن المؤكد أنه يقصد ( مقاله ) .

ذلك هنا من نشر ملخصها تلغرافيا فى الجرائد . ويوم الأربع (٣٠) ، نشر تلغراف هنا بصدور هذه الفتوى ثم نشر نصها جرفيا وهى كما طلبت أو أزيد، فهذا يفيد أن الأتراك أدركوا خطأهم بتركهم المجال واسعا أمام الإنكليز يدسون كما يشاءون وابتدءوا يصلحون ما أفسدوا بتأخيرهم ، وأملى وطيد فى أن منشور السلطان يصدر قريبا بناء على ضغط النمسا وألمانيا .

سفرى الى برلين ومقابلة وكيل الخارجية

يوم الجمعة أول يناير سنة ١٩١٥، تكلمت بالتلفون مع سفير ألمانيا طالبا مقابلته لأخذ جواب التوصية لبرلين بما أنى عزمت على السفر إليها مساء هذا اليوم ، فأجابنى بأنه مشغول جداً بسبب المقابلات الرسمية بمناسبة العيد وأنه سيرسل لى الجواب إلى الأوتيل مودعته ، وفى الظهر وصلنى الجواب المطلوب عن يد مخصوص .
فى الساعة ٩ و ٤٠ دقيقة ، سافرت إلى برلين فوصلتها الساعة ١٠ وربع صباحا وتوجهت إلى أوتيل Belle Vue فوجدت محمد فهمى وصل قبلى بنحو ساعة .
فى الحال أرسلت بالتلفون إلى البارون أوبنهايم الموظف بالخارجية ومن معارفى من سنين : فانه كان بالوكالة الألمانية بمصر ويعرف العربية وساح كثيرا ببلاد العرب وبالأخص بين النهرين وله مؤلف نفيس على(١) بلاد العراق . تواعدنا على المقابلة بمنزله مساء اليوم المذكور (السبت ٢ يناير )اجتمعنا أنا وفهمى به وتكلمنا طويلا فى المسائل التى حضرنا لأجلها ، وهى تفهيم خارجية ألمانيا بضرورة إصدار إرادة سنية من السلطان بتفهيم المصريين نوايا الدولة نحو مصر ، وضرورة سفر الخديو مع الحملة ليدخل مصر فى آن واحد مع قائدها عقب الانتصار . وشرحنا له دسائس الصدر الأعظم وما فعله مع الخديو ومعى الخ الخ . قابلناه ثانيا يوم الأحد على الغداء معه فى لوكاندة Eden

(١١٣)

فأخبرنى بأنه بلغ وكيل الخارجية المسيو Zimmermann كل ما قلناه . وأنه حدد لمقابلتنا يوم الاثنين الساعة ٥ مساء إلى الساعة ٦ . يوم الاثنين ٤ منه، اجتمعنا ثالثا بمنزل أوبنهايم ووضعنا مذكرة بكل ما طلبناه ، وأظهرت ضرورة تغيير الصدر الأعظم لأنه رجل الانكليز ، ولم يوافق على الحرب فى أول الأمر بل أراد الاستقالة عقب أول واقعة فى البحر الأسود، ولم يحضر المقابلات السلطانية يوم عيد الأضحى (أول نوفمبر سنة ١٩١٤) احتجاجا على هذا العمل الخ الخ . وأضفنا فى هذه المذكرة أنه ضرورى جدا الإسراع فى إصدار الإرادة السنية المطلوبة حيث أننا نخشى من أن

(١) هكذا وردت بالأصل ، وصحتها ( عن ) .

الخديو عيل ثانيا للإنكليز لاسترجاع مركزه أو لحفظ ثروته التى وضع الانكليز الحجز عليها . فى الساعة ٥ مساء ، توجهت مع فهمى إلى دار وكيل الخارجية فأحسن مقابلتنا ، وكان يحسن التكلم بالفرنساوية وقضينا معه أكثر من نصف ساعة فى المواضيع بعينها ، فوعدنا بتنفيذ كل رغباتنا وبأن الإرادة السنية المطلوبة لابد من صدورها فى الوقت المناسب . وأنه سيكتب إلى سفيره بالآستانة بكل ذلك .

يوم الثلاث ٥ منه ، غادرنا برلين الساعة ٨ و ٢٣ دقيقة إلى جنيف فوصلناها يوم الأربعاء الساعة(١) . قبل سفرنا قابلنا أوبنهايم وحررنا مذكرة أخرى بتفصيل دسائس الصدر الأعظم ضد مصر والخديو ، وشرحنا فيها أسباب مصاحبته الشيخ جاويش وفؤاد سليم بك وأحمد فؤاد القائلين بأن مصر يجب أن تكون للمسلمين ( أعنى للأتراك ) لا للمصريين . قابلت منصور رفعت فى برلين وقد نفى من الجمهورية السويسرية بسبب مطاعنه الشديدة على انكلترا رغما من إنذار البوليس له مراراً بالكف عن ذلك أثناء الحرب الأوروبية حتى لا تتهم سويسرا بالتحيز لأحد الفريقين المتحاربين؛ فوجدته كما كان متهوراً يقذف بكل ما يخطر بباله بغير حساب ، وهو معذور فى ذلك لما فى دماغه من الدخل فإنه جن مرتين وحجز فى مستشفى المجاذيب : (٢) بباريس فى أواخر سنة ١٩١٢ ، والأخرى بالآستانة فى أول سنة ١٩١٣ . وقد شرحت حالته لأوبنهايم وأفهمته أن الأولى غير (٣) اشتغاله فى السياسة وإرساله إلى الآستانة ليشتغل طبيباً فى الجيش الذاهب لمصر .

٨ يناير سنة ١٩١٥ ، عيد تولية الخديو عباس ، فاجتمعت مع الطلبة المصريين ومحمد فهمى وعلى الشمسى

(١١٤)

وقررنا إرسال تلغراف للخديو بتهنئته بعيده ، وآخر لجلالة الخليفة بشكره هو وشيخ الإسلام على الفتوى التى أصدرها ضد حسين كامل ، وعلى إرساله جيشاً لمصر لتخليصها ولردها الى المصريين ، وأرسلت التلغرافات فعلا . وفى الغد ، ورد تلغراف شكر من يوسف صديق باشا بالنيابة عن الخديو باسم الدرديرى أفندى رئيس جمعية الطلبة ( أبو الهول ) .

يوم ١١ منه ، جاءنى محمود أفندى القاضى ، وهو من الشبان الذين أتموا دراسة العلوم التجارية بمدينة نوشاتل ، وكان (٤) عاد لمصر فى العام الماضى واشتغل مع أخيه

---

(١) لم يرد بالمخطوطة تحديد للساعة .

(٢) يستقيم المعنى لو اضيفت هنا كلمة : ( مرة ) .

(٢) هكذا وردت بالاصل ولعل المقصود ( علتم ) .

(٤) يستقيم المعنى لو اضيفت كلمة ( قد ) بعد ( كان ) .

فى شركة الدخان المسماة شركة قولة ، ثم حضر للاشتغال بجامعة جنيف وهرباً من المضايقة السياسية بمصر ، وقص علينا تفصيلات الاحتفال بجلوس حسين كامل مما هو مشروح فى الجرائد . ومما أخبرنا به وشرح صدورنا ، أن الحالة الروحية للشبيبة ضد هذا التغيير ، وأن طلبة المدارس الثانوية لبسوا أربطة رقبة سوداء يوم الاحتفال بالجلوس ، وأن الأهالى لم يرفعوا العلم المصرى الجديد ، وأن العلماء امتنعوا عن إعطاء فتوى بعزل الخديو عباس ، وأن جميع الأهالى ينتظرون قدوم الجيش العثمانى للقيام كرجل واحد .

قابلت هنا فائد بك ثابت ابن المرحوم ثابت باشا ، والموظف بسفارة الدولة العلية فى مدينة رومة ، فأخبرنى بأن البرنس محمد على أخ الخديو يقول لمن يسأله عن سبب عدم إقامته بويانه مع أخيه (بأن أخاه أضر نفسه ولم يضر نفسه هو أيضاً ) وهاك نص عبارته بالفرنسية: Mon frère s'est brûlé, pourquoi me brûler moi aussi ? ، والحقيقة أنه يخشى مصادرة أمواله كما صادر الانكليز أموال أخيه بتعيين انكليزى لإدارتها ودفع الديون المستحقة عليها بحيث لا يرسل إليه شيئاً من إيرادها ، فانظر إلى أى درجة يؤثر حب المال على الإنسان حتى ينكر أقرب الناس إليه فى أشد المواقف حرجاً .

(١١٥)

سفرى الى زوريخ وويانة ثانيا

يوم الأحد ١٧ منه ، فى الصباح ورد لى تلغراف من يوسف صديق بأن أوجد مع محمد فهمى فى مدينة زوريخ لمقابلة محب باشا . سافرت مع فهمى فى قطار الساعة ٥ و ١٠ دقائق بعد الظهر ، فوصلنا زوريخ الساعة ١٠ ونصف ، ووجدنا محب بانتظارنا فى أوتيل سافوى ، وبعد السلام أخبرنا بأن ورد له تلغراف بأن نسافر إلى ويانه . قضينا السهرة معاً وكانت محادثة محب قاصرة على الدفاع عن نفسه وأنه الوحيد الذى ضحى مركزه ، وعلى أنه لم يخدم الانكليز فى أى وقت من الأوقات ، وأن الحزب الوطنى اتهمه خطأً لعدم فهمه غايته من ملائمة(١) الانكليز فى الظاهر . الخ الخ . لم أرد تلك الليلة أن أناقشه بل تركته يقول ما يريد ويفرغ ما فى جعبته مرجئاً مناقضته إلى فرصة أخرى .

سافرت يوم الاثنين ١٨ منه ، الساعة ١١ ، خمسين دقيقة إلى ويانه ، أما محمد فهمى فعاد إلى جنيف لاستحضار جواز سفره الذى لا يمكن لأحد الدخول إلى بلاد النمسا بغيره . وصلت ويانه يوم الثلاثاء ١٩ ، الساعة ٧ ، ٢٠ دقيقة صباحاً . قابلت الخديو الساعة ١٠ تقريباً ، فأخذ يتكلم كثيراً كما هى عادته ، وأطلعنى على تقرير وارد له من شفيق باشا لم أجد(٢) شيئاً مهماً وأخبرته بملخص ما أخبرنا به منصور أفندى القاضى ، وهو أخبرنى

(١) هكذا وردت بالأصل ، والمقصود : ممالأة الانكليز .

(٢) يستقيم المعنى لو أضيفت كلمة (به) بعد ( أجد ) .

أن البارون أوبنهايم أتى من برلين لزيارته وأنهما تباحثا فى سوء معاملة الأتراك للخديو ، فافهمه البارون بأن ألمانيا لا تريد الضغط على تركيا بشدة وعليه يلزم التذرع بالصبر الخ الخ.

فى صباح الأربعاء ، وصل محمد فهمى ومحب باشا . الساعة ١١ صباحاً زرت حسين حلمى باشا سفير الدولة العلية ، وسألته عما إذا كان الباب العالى أجابه على تقريره وتلغرافه الخاصين بالاسراع فى نشر الإرادة السنية التى نطلبها ، فأجاب بالسلب قائلا : إن العادة لم تجر بالرد على مثل هذه التقارير ولكن الإرادة المطلوبة ستصدر قريباً . كتبت فى اليوم نفسه إلى سفير ألمانيا فحدد لى الساعة السادسة مساء ، ولما قابلته أخبرته بملخص مقابلتى لوكيل الخارجية ببرلين ، ثم سألته عما وصل إلى علمه بخصوص إصدار الإرادة فقال لى ما ترجمته حرفياً : (اصغ إلى ما أقول واحفظه جيداً ، إن القصد الوحيد للحملة الزاحفة على مصر هو إزالة السلطة الانكليزية وإعادة مصر إليكم

مقابلة سفير الدولة

مقابلة سفير ألمانيا

(١١٦)

لتديروا أمورها كيفما تريدون وتحت إمرة الخديو الذى تنتخبون ) أما الإرادة السنية فلابد من صدورها ما دام المسيو زمرمان وكيل الخارجية وعدك بها .

فى اليوم التالى، ورد تلغراف من على بك الشمسى من جنيف ، بأن الإرادة ستصدر قريباً ، فاستنتجنا أن هذا التلغراف أرسل بناء على بلاغ قنصل ألمانيا إليه بجنيف (كما تأكدنا من ذلك عقب عودتنا ) فى أثناء وجودها(١) ، وصل من الشام فالآستانة الشيخ محمد عثمان ومحمود رسمى من معية الخديو ، وهما اللذان كانا فى مقدمة حملة الخديو ووصلنا(٢) إلى العريش وأخبرا بأن الحملة فى غاية الاستعداد . أحضر الشيخ عثمان معه تقريراً من شفيق باشا قرأ الخديو لنا منه ما يخص تلك الارادة قال : إنه قابل سفير ألمانيا وكلمه فى الموضوع فأخبره بأنها ستصدر قريباً خصوصاً وأن الحزب الوطنى يلح فى طلبها ثم قابل الصدر الأعظم وكلمه فى هذا الصدد فقال له (لم هذا الاستعجال والله ستصدر فى الوقت اللازم ) وهذه الأجوبة تفيد أن مساعينا ستنجح انشا الله .

نبهت الخديو إلى عدم الثقة بمحب باشا فإنه رجل الانكليز ، ولا يبعد بأن يكون مكلفاً بالتجسس على أعمالنا هنا واخبار انكلترا عنها بواسطة سفيرها المستر رنل رود Rennel Rodd فى رومه ، خصوصاً وأنه اعترف لى أثناء الحديث بأنه زاره مرتين أثناء الأسبوع الذى قضاه برومه . وأفهمت يوسف باشا صديق ذلك أيضاً ، كما حذرت الشيخ عثمان وزميله من أن يعطياه تفصيلات عن الحملة . لكنى أرى أن الخديو يضع

محب باشا وتحذيرى للخديو منه

(١) هكذا وردت بالأصل ، وسياق الكلام يستوجب أن تكون : ( وجودنا ) . .
(٢) هكذا وردت بالأصل ، ومن المؤكد أنه يقصد ( وصلا ) .

دائماً ثقته فيمن هم غير أهل لها وأن الحوادث لم تعلمه . أخبرنى الخديو أنه أراد جس نبض محب باشا ففاتحه فى أن يسافر (محب) إلى انكلترا للتأمل فى الحالة والبحث عن طريق للتقرب فأجابه محب بأن وقت المساعى هناك قد زال فقلت لسموه إن الرجل نبيه ولابد أنه يكون أدرك القصد من السؤال فأجاب بهذه الصورة .

(١١٧)

ملاحظاتى : يظهر أن الخديو يسعى سرا مع الانكليز بواسطة محب ومحمد باشا يكن المقيم الآن فى رومه والذى زار الخديو فى ويانه عقب مجيئه إليها وطلبه الخديو مرة أخرى أثناء وجودى وسيصل ويانه فى ٢٥ الجارى ولا يبعد أن يكون السعى لحفظ أملاكه له(١) بما أن الانكليز عينوا عليها حارسا ويظن أنهم سيصادرونه فيها وحفظ الوراثة فى خديوية مصر لابنه (٢) بعد حسين كامل بما أن الانكليز لم يعينوا ولى العهد للآن ولم يضعوا قانونا للوراثة ، هذا من جهة ، ومن جهة فان كراهته للترك لايعادلها إلا سعيه فى التقرب من العرب ، فان فكرة إنشاء سلطنه عربية تضم مصر والشام وبلاد العرب لم تزل تشغله رغما عن كل هذه الحوادث . ولقد أصبح للرجل نفوذ كبير (٣) العرب عموما حتى (٤) كانوا يستعدون لمقابلته بالشام استعداداً عظيما وربما يكون هذا الأمر من أكبر البواعث للترك على منعه من السفر إلى الشام . الرجل يكره الأتراك ويعتقد انه أحق بالملك والخلافة منهم (٥) ويعتقد أنهم يريدون قتله ، وأنهم هم الذين دبروا له مسألة محمود مظهر فى شهر يوليو الماضى ، ولذلك لا يريد الآن أن يذهب لمصر (لو انتصر الجيش العثمانى) عن طريق الآستانة وبلاد الدولة ، بل يريد أن ينتظر انتهاء الحرب الأوروبية وتقرير حالة مصر والسفر إليها بحرا ، وقد كلمته فى هذا الموضوع لأنه بلغنى من أحد المقربين اليه فاعترف لى بأن هذه فكرته ، فأخذت أظهر له خطأها وانه ان لم يذهب لمصر عقب الانتصار ، يتمكن جمال باشا ومن معه من المكرهين للخديو ويريدون عدم عودته لمصر ، من عمل المساعى اللازمة ضده ، وانه لايمكنه أن يعادى الأتراك وهو محتاج للإتفاق معهم لرجوعه لمنصبه خصوصاً بعدما سمعه من رجال ألمانيا من أنهم لايريدون إغضاب الأتراك ، فلو غاضبهم بهذه الكيفية وطلبوا من ألمانيا عزله لما تأخروا عن الموافقة ، فلم أوفق لإقناعه بل أصر على عدم العودة للآستانة وتعيين

ملاحظات على حالة الخديو وأفكاره نحو الأتراك

---

(١) المقصود بهذه الجملة أن زيارة محب باشا للخديو لا يستبعد ان تكون بهدف حفظ محب باشا لأملاك الخديو .

(٢) المقصود : الأمير عبد المنعم ، انظر ص ١٢٠ من هذه المذكرات .

(٣) يستقيم المعنى لو أضيفت كلمة ( على ) قبل كلمة ( العرب ) .

(٤) يستقيم المعنى لو أضيفت كلمة ( أنهم ) بعد كلمة ( حتى ) .

(٥) لمزيد من التفاصيل حول هذه النقطة أنظر صفحة ١٢٧ من هذه المذكرات .

عمه ابراهيم حلمي قائمقاما له يرافق الحملة ويدخل مصر مع القائد العام فقلت له ان عمه رجل كهل وضعيف الإرادة لا يمكنه أن يقف فى وجه قواد الأتراك . ثم قلت له إنى أريد أن أذهب للآستانة بعد التأكد من عودة أنور باشا .

(١١٨)

اليها للسعى فى التقريب بينهما ثانيا، فلم يظهر استحسانا لهذا الرأى ولكنى ، سأعمل رأيى وأقصد الآستانة عندما تقرب الحملة من القنال لأنى أنا أخدم مصر ولا أخدم الخديو لشخصه فان سار هو على هذه السياسة الخرقاء ، سياسة مغاضبة الأتراك فلا أجاريه فيها بالطبع .

أثناء وجودى مع فهمى اتفقنا مع الخديو على إصدار جريدة أسبوعية بالفرنسية (١) فى جنيف للدفاع عن مركز مصر ، واظهار حقيقة الأفكار بمصر عقب الانقلاب الأخير ، ودفع لنا ماية وخمسين جنيه إنكليزى على ذمة هذا المشروع وسننفذه قريبا .

قمنا من ويانه يوم السبت ٢٣ يناير الساعة ٧ ، ٥٠ دقيقة فوصلنا جنيف يوم الأحد الساعة ٩ وربع مساء .

السفر الى ايطاليا

فى يوم الثلاثاء ٢ فبراير سافرت إلى ميلان ومنها إلى تورينو لزيارة بعض المعارف بقصد قضاء أسبوع أو أسبوعين . ولكنى لا حظت أن البوليس الايطالى يراقبنى بشدة لاعتقاده بأنى جاسوس تركى وبلغت شدة المراقبة إلى أنى لما وصلت تورينو وذهبت من المحطة توا لزيارة معارفى ثم تركتهم إلى اللوكاندة ، جاء جاسوس بمجرد خروجى وسأل عنى معطيا أوصافى بالدقة . فأخبرنى معارفى بهذه الزيارة ولذلك فضلت أن أعود لجنيف فعدت يوم الأحد ٧ منه ووصلتها الساعة ٤ ونصف بعد الظهر .

اعلان السلطان محمد الخامس

وانا بميلانو قرأت أخبار أول واقعة حربية حصلت على حدود مصر بين الإنكليز والترك (٢) فانشرح صدرى وزاد أملى فى النجاح . وفى يوم ١٢ منه ، وردت لنا التلغرافات منبئة بأن السلطان محمد الخامس (٣) أعلن منشوره للمصريين حسب رغبتنا

---

(١) الجريدة المقصودة هى : « صدى مصر L'écho de l'Egypte » ( انظر التفاصيل على صفحات ١١٩و ١٢٣ و ١٢٤ من هذه المذكرات ) .

(٢) زحفت حملة تركية من ناحية العريش واجتازت شبه جزيرة سيناء ولم يكن الاتراك يقصدون غزو مصر ، بل كان هدفهم مناوشة الانجليز ، ولقد حاولوا ليلة ٣/٢ فبراير ١٩١٥ اجتياز القناة من محطة طوسون ، فصدهم الجيش البريطانى بمعاونة كتيبة من الجيش المصرى برياسة الملازم اول احمد افندى حلمى الذى كان يقود على الضفة الغربية للقناة البطارية الطوبجية المصرية الخامسة ، وقد مد الترك جسرا خفيفا منصوبا على زوارق من الالمونيوم لعبور القناة عليه ، ولما أتموا تركيبه وبدأوا فعلا بالسير عليه ليعبروا القناة فاجأهم الملازم المذكور بنيران المدفعية فأحبط محاولتهم وقتل هو فى المعركة وعرفت هذه الواقعة بواقعة طوسون . ( الرافعى ، ثورة ١٩١٩ ، جـ ١ ، ص ٣٩ ) .

(٣) هو السلطان محمد رشاد الخامس الذى تولى السلطنة فى الدولة العثمانية من سنة ١٩٠٩ الى سنة ١٩١٨ .

التي كنا نسعى لتحقيقها ، وفى الحال أرسلت إلى جلالته باسم الحزب الوطنى أشكره على هذا الصنيع .

حضور يوسف صديق الى جنيف وسفره الى برلين

يوم الاثنين ١٥ منه وصلنى تلغراف من يوسف صديق باشا بأنى(١) قادم لهنا (جنيف) صباح الثلاثاء وقد قابلته وأخبرنى بأنى (٢) يقصد التوجه لبرلين لمقابلة وزير خارجيتها ومعه جواب

(١١٩)

من سفير ألمانيا السابق بايطاليا وأن القصد من هذه الزيارة الشكوى من عدم ذكر الخديو فى منشور السلطان إلى الأمة المصرية . فأفهمته بأنه من العبث إساءة الظن دائما بالأتراك وزيادة الشك لدى الخديو فى حسن نيتهم لأن هذا يوجب زيادة الخلف بين الطرفين ، ونحن نريد الاصلاح . ثم قال لى بأن الخديو يريد أن أذهب إلى ويانه وإن كنت أريد الذهاب معه إلى برلين فهو يترك لى الحرية المطلقة فى ذلك ، فأجبته بأنى أفضل الذهاب توا إلى ويانه حيث لا حاجة لذهابى برلين بما أن زيارتى الأولى مع محمد فهمى كانت لاستعجال صدور منشور السلطان وقد صدر . ولكنى سأسافر بعد أن نأخذ جواب الحكومة السويسرية بخصوص إصدار الجريدة الاسبوعية

جريدة صدى مصر

التي قررنا إصدارها هنا باسم صدى مصر (L'écho de l'Egypte) . اننا جهزنا العدد الأول وعرضناه على المراقبة العسكرية ، ولغاية مساء اليوم (١٧ فبراير) لم يصلنا جواب عن ذلك ويظهر أن الحكومة لا تسمح بظهوره مراعاة لخاطر انكلترا التي تهدد سويسرا بمنع وصول تجارتها اليها .

محمد باشا يكن بجنيف وامتناعه عن التوقيع على احتجاج مع الشمسى

وصل هنا محمد يكن باشا المندوب عن إسكندرية فى الجمعية التشريعية ، وقد عرضنا عليه فكرة الاحتجاج على نظام مصر الجديد ، وإظهار التمسك بخديوية عباس باشا وطلب منه على بك الشمسى التوقيع معه على التلغراف الذى اتفقنا على إرساله إلى رئيس الجمعية بمجرد ما يصلنا خبر إجتماعها فامتنع ، قائلا إنه يريد أخذ رأى الخديو فى ذلك مع أن شمسى أفهمه بأن الخديو موافق على عمله . علمنا من

نفى ابراهيم راتب وحسين شيرين من مصر الى ايطاليا

يكن المذكور أن إبراهيم بك راتب وحسين بك شيرين اللذين نفيا من مصر حديثا وصلا إلى رومه ، وأن إبراهيم راتب كان سجن بطرة أربعة أيام لإتهامه بتدبير مؤامرة ضد حسين كامل ثم أخرج على شرط السفر للخارج وبما أنه كان باقيا يومان على ميعاد سفر الوابور فحجز فى منزله والحرس على بابه إلى أن سافر

---

(١ ، ٢) هكذا وردتا بالأصل وصحتهما فى الحالتين : (بأنه) .

مع حسين شيرين ، وأن إبراهيم راتب المذكور سافر إلى ويانه لمقابلة الخديو ومنها يسافر مع زوجته للآستانة ، أما شيرين فهو لم يزل بروما لأنه ترك زوجته بمصر فى حالة حمل متقدم وينتظر خبر وضعها لأنه إن سافر إلى الآستانة تنقطع المخابرات بينه وبينها .

(١٢٠)

حديث يوسف صديق مع روشبرون

حضر يوسف صديق باشا إلى جنيف آتياً من ويانه قاصداً برلين ، كما ذكرت . ولمناسبة وجود مدام دى روشبرون هنا ، فقابلته وتكلمت معه فى المسائل السياسية وفى المرتب الذى يعطيها إياه الخديو لمراقبتى والتوفيق بينى وبينه ، فقال لها ان المرتب أصبح غير ممكن دفعه بالنسبة لحالة الخديو المالية ولأنه أصبح بلا فائدة ( أعنى بإتمام الصلح بينى وبين الخديو ) ولقد أخبرها يوسف بجميع ما حصل بالآستانة تقريباً ، وبأن الخديو لا يهمه الرجوع لمصر ولكنه يسعى الآن لحفظ أمواله بمصر من المصادرة وبحفظ ولاية العهد لابنه عبد المنعم . وهذا يؤيد فكرى فى أن الرجل أنانى قبل كل شيء . ولقد خطر ببالى الآن أنه ربما يستعمل محب باشا لهذا الغرض أيضاً لدى الإنكليز فى إيطاليا بواسطة سفير إنكلترا فى رومة المستر رنل رود Rennel Rodd

سعى الخديو لحفظ املاكه وضمانة ولاية العهد لابنه عبد المنعم

فى يوم الجمعة ١٩ منه ، حضر إلى جنيف المسيو بوسنو أحد أعضاء مجلس النواب الفرنساوى ووكيل لجنة الأمور الخارجية والإستعمارية به ، بدعوى زيارة روشبرون ولكنه طلب مقابلتى فقبلت ، بالنسبة لمعرفتى به معرفة اسمية لأننا كنا نكتب معا فى جريدة السيكل Siècle الباريسية . أخذ يحادثنى فى المسائل الحاضرة ويلومنى بلطف على إتفاقنا مع الألمان ضد إنكلترا وفرنسا وأننا لو كنا بقينا على الحياد كنا نلنا كل ما نطلب من إنكلترا ، وأسهب فى هذا الموضوع فأفهمته بأننا سرنا مع الأتراك ليساعدونا على الخلاص من الإحتلال الإنكليزى وسرنا مع ألمانيا لأننا (١) حليفة الدولة وكل ذلك لأننا نرى الخلاص فى نجاح الفريق الألمانى والاستعباد فى نجاح الفريق الآخر ، وأننا لانخسر شيئاً زيادة عما خسرناه للآن ، وهو الاستقلال ، فيما لو هزمت الدولة العلية وحلفائها ، بما أن إنكلترا رفعت(٢) حمايتها على بلادنا بموافقة محاليفها . فقال بأن فرنسا لم توافق على هذا التغيير رسمياً للآن فأجبته بأنها اعترفت به ضمنا من سنة ١٩٠٤ (٣)

Boussenot

---

(١) هكذا وردت بالأصل . وصحتها ( لأنها ) .
(٢) يقصد بكلمة ( رفعت ) حمايتها : ( فرضت ) حمايتها .
(٣) وهي السنة التي عقد فيها الاتفاق الودي بين الدولتين ( في ٨ ابريل ) .

وأيدته الآن بزيارة وزيرها فى مصر للسلطان الجديد ، وحضوره حفلة تعيينه وتقديم البعثة الفرنساوية له إلخ إلخ ..

فقال إننا لا يمكننا أن نفعل غير ذلك فى هذه الظروف ، ثم قال وهل تتفقون مع إنكلترا

(١٢١)

إن وعدتكم بالاستقلال التام مثل كندا مثلا ، أجبته أننا لا نثق بوعود إنكلترا ولا بضماناتكم لأنكم تركتمونا فريسة لها من سنة ١٩٠٤ . س : وكيف ولم تثقون بوعود ألمانيا ؟ ج . إن ثقتنا فى السلطان محمد الخامس لا فى ألمانيا وقد أيد السلطان وعده جهراً باعلانه الصادر فى ١٢ الجارى من أنه أرسل جيوشه لمصر ليرد إليها استقلالها وحريتها . ولأن صالح ألمانيا يقضى عليها بأن نكون أحراراً . أخيراً أظهر أسفه لهذه الحالة ولأننا أصبحنا خصمين سياسيين وإن كنا مازلنا أصدقاء ، وقال : إن ألمانيا هى الحاكمة فى الآستانة والمتصرفة فى جيوشها ، ج : إنكم معشر الأوروبيين غلطانون جداً فى هذا الإعتقاد فان الأتراك أصحاب شمم وأنفه ولا يتحملون أى تداخل أجنبى حتى لقد قال ذات يوم أحد رجالهم ( أقصد خليل بك رئيس مجلس النواب ) لسفير ألمانيا أثناء محادثة إرتفعت فيها الأصوات نوعا : « إنكم لستم هنا بالآمرين ، نحن حلفاء متماثلون » ومن جهة أخرى فإن ألمانيا(١) لايقودون فرق الجيش بل هم فى أركان الحرب وفى المصالح الأخرى الحربية التى تستدعى نظاماً وترتيبا ، وقد اشتهر الألمان بالتفوق والنبوغ فى هذا الباب باعترافكم . ج : نعم : هذا حقيقى ومعترف به من الجميع . انتهى .

سافر الرجل إلى باريس فى مساء ذات اليوم الذى حضر فيه ، فأدهشنى هذا الأمر . أمر حضوره من باريس والعودة إليها بعد إقامة نهار واحد هنا ، ثم أخبرتنى روشبرون بأنه تكلم معها فى نشر حديثى معه فى جريدة الماتان ، فوافقت عليه بشرط أن لا يذكر اسمى خوفا من اغضاب الألمان . ثم أفهمتنى تدريجياً بأن الرجل أتى خصيصاً لاستكشاف أخبارى وآرائى فى الحالة وجس نبضى فيما إذا كان من الممكن الإتفاق على شىء ، لأن رجال السياسة فى فرنسا وإنكلترا يعتبروننى القوة العاملة بين الأتراك والخديو والألمان La cheville ouvrière ، وأنه سألها رأيها فيما إذا كانت ترى من الممكن ومن المفيد مخابرتى فى هذه الأمور فقالت له بأنى صلب فى رأيى وأنه من المستحيل أن أحيد عن تمسكى بإخراج الإنكليز من مصر مهما

---

(١) هكذا وردت بالأصل ، والمقصود : الألمان .

وعدونا ، لأننا نسعى فى خلاص بلادنا من كل تداخل أجنبي ، ونصحته بأن لا يفاتحني فى هذا . ففكرت كثيراً ورأيت من الأصوب أنى أعرف ما يريدونه مني ومن الأتراك وما يعرضونه علينا من الطلبات لنستخرج نواياهم ضدنا ، والاحتياط لها أو الإنتفاع منها لصالح بلادنا . لذلك طلبت منها أن تسافر لباريس وتقابله وتفهمه بأنها أخطأت الظن فى ، وبأنى مستعد لسماع ما يقوله، وأنى(١) ، أسفت كثيراً لعدم مفاتحتى فيما يريد وتطلب منه أن يعود لمقابلتى هنا ، فقبلت وأرسلت إليه تلغرافا مساء الجمعة بأنها ستكون بباريس صباح الأحد للاستمرار فى المكالمة ، وبأن لا يكتب شيئاً فى المانان حتى تقابله . وسافرت فعلا مساء السبت قاصدة باريس .

(١٢٢)

عادت روشبرون ظهر الأربعاء وأخبرتنى بأنها قابلت الرجل ، وتكلمت معه بالمقصود وطلبت أن يخبر إخوانه أعضاء لجنة الأمور الخارجية باستعدادى للمخابرة معهم والتوسط لدى جمعية الاتحاد لإقناعها بولوج هذا الباب وإرسال مندوب من طرفها للتكلم معه بصفة ودية غير رسمية . حتى إذا وجدنا طريقا للتوفيق بين جميع هذه المصالح المختلفة ، فتحنا معهم باب المخابرات الرسمية ، وبعد يومين أخبرها بأنه تكلم مع إخوانه والكل استحسنوا الفكرة وشكروه عليها ، ثم أخبروا المسيو دلكاسه (٢) ناظر الخارجية فوافق على السير بكل إحتياط مع عدم ذكر اسمه مطلقاً .

ومما أخبرتنى به أن هناك خلاف بين فرنسا وإنكلترا بخصوص (٣) ، فان إنكلترا تريد ضمها لمصر ، وفرنسا تريدها لنفسها ، ولذلك صرفوا النظر عن إرسال حملة إليها واتفقوا على إرسالها إلى الدردنيل . وأن الفرنساويين ناقمون على إنكلترا سراً أنها أوقعتهم فى هذه المصيبة لأن الغرم سيكون على الفرنساويين والغنم للإنكليز الذين لم يحتل الألمان شيئاً من بلادهم مع أنهم محتلون ثمان مديريات من فرنسا وقد أخربوها . إلخ إلخ .

وعلى ذلك فكرت بأنه من الممكن استخدام هذا النفور لصالحنا وصالح الدولة لكنى لم أوفق لوجود الحل . لذلك عولت (٤) أنى أسافر إلى ويانه ومنها للاستانة

---

(١) هكذا وردت بالأصل ، والمقصود : وأنها .

(٢) كان « دلكاسه Delcassé » وزيرا لخارجية فرنسا فى الفترة من ١٨٩٨ الى ١٩٠٥ ( انظر Petit Larousse, p. 1289)

(٣) فات محمد فريد أن يذكر اسم المنطقة محل النزاع بين انجلترا وفرنسا ، والمقصود بها بلاد الشام التى خضعت للتقسيم بين انجلترا وفرنسا بمقتضى معاهدة سايكس بيكو سنة ١٩١٦ ( انظر ص ص ٢٧ ، ١٢٨ من هذه المذكرات حيث ذكر محمد فريد بلاد الشام صراحة ) .

(٤) هكذا وردت بالأصل ، ويستقيم المعنى لو أضيفت كلمة ( على ) بعد كلمة ( عولت ) .

لمفاتحة جويد بك لأنه فى نظرى أعقل وأحكم رجل من رجال تركيا الفتاة . وبما أنه معتزل الأعمال الآن، فيمكنه ( لو وافق إخوانه على رأينا ) أن يأتى إلى سويسرا أو إيطاليا وتقابل بوسنو، وعند البحث ربما نجد طريق تفيدنا و تفيدهم فيما إذا غلب فريق فرنسا ومحالفيها . فى أثناء ذلك قرأت فى الصحف بأن جويد مر من ويانه قاصداً برلين لبعض أمور مالية ، ومعه حسين جاهد بك ، وأن هذا الأخير باق فى ويانه، فقررت السفر سريعاً لمقابلة حسين جاهد أو السفر منها إلى برلين لمقابلة جويد أو إخبار حسين حلمى باشا سفير الدولة فى ويانه بجلية الأمر . وبما أن حملة فرنسا وإنكلترا على الدردنيل قد اشتدت بحراً ، وجاء فى أخبار اليوم ( أول مارث سنة ١٩١٥ ) أن المتحالفين أنزلوا جيشا فى شبة جزيرة جاليبولى بقصد الزحف على الآستانة براً

(١٢٣)

بحراً ، وأن الحالة أصبحت خطرة على الدولة فعزمت على السفر مساء يوم الثلاثاء لأكون فى ويانه صباح الخميس وأسعى فى هذه المخابرات لعلى أوفق لخدمة دولة الإسلام فى هذه الآونة المحفوفة بالمخاطر .

سفر روشبرون لمصر

لما أعيتنا الحيل فى جلب أخبار مصر بالنسبة لتضييق الحكومة على من يريد الرجوع إلى أوروبا من الشبان الذين كلفناهم بالسفر لمصر والعودة بأخبارها ، فكرت فى إرسال روشبرون ، لأنها بصفتها فرنسية يسهل عليها السفر لمصر والعودة منها بأخبار حقيقية ، لأنها تعرفت بكل رجالنا من مدة وبالأخص أثناء إقامتها بمصر فى الشتاء الماضى من أواخر ديسمبر سنة ١٩١٣ لأواسط مايو نحو ستة شهور ، وعرضت هذه الفكرة على الإخوان فوافقوا عليها، وقد سافرت فعلا من هنا يوم ٢٨ فبراير قاصدة السفر من مدينة جنوا بايطاليا يوم الخميس ٤ الجارى .

جريدة صدى مصر

لم تجب الحكومة السويسرية لا نفياً ولا إيجاباً بخصوص الجريدة ، ولذلك قررنا طبعها وتوزيعها خارج سويسرا فقط حتى إذا لم تمانع الحكومة وزعناها فى سويسره أيضا بعد عددين أو ثلاثة .

سفرى الى ويانه

سافرت إلى ويانه يوم الثلاث بعد نصف الليل ، أعنى فى الساعة الواحدة من صباح الأربعاء ٣ مارث فوصلت ويانه الساعة ٢٠،٧ دقيقة من صباح الخميس ٤ منه . فوجدت لدى الخديو الدكتور نصر فريد ، حكيم العيون بالمنصورة الذى طرده الإنكليز من مصر بعد أن حبسوه ثلاثة شهور تقريباً، فقص علينا أخبار حبسه وأخبر أن النفوس فى مصر ساخطة على حسين كامل والحالة الحاضرة ، وأن الجميع أصبحوا يميلون للخديو عباس الخ . وجدت كذلك لديه الدكتور حسين همت وهو من شبان الأطباء

الذين اشتغلوا فى الهلال الأحمر المصرى أيام حرب البلقان ، وكان أخيراً طبيباً بالأوقاف الخصوصية وترك مصر لعدم إمكانه تحمل الحالة ولحق بالخديو .

ومقابلة جويد بك

من محاسن الصدف أنى وجدت جويد بك بويانه وبنفس الأوتيل الذى كنت فيه ، فقابلته وأخبرته بما دار من الحديث بينى وبين المسيو Boussenot ، فقبل الفكرة مبدئيا ، وقال انه سيخابر طلعت بك ، وإذا وافقت لجنة الإتحاد والترقى على الشروع فى المخابرة ، يكتب لى لأكتب للمسيو بوسنو بالحضور إلى إحدى قرى سويسره للاجتماع به والبدء فى المخابرات بصفة غير رسمية أولا .

(١٢٤)

وقد أخبرنى بأنه (١) من طلعت بك بأن فرنساويين آخرين كانا فى صوفيا لهذه الغاية أيضا ، ولكن وجد الأتراك أن لا صفة لهما فلم يقبلوا مفاتحتهما ثم سافرا إلى برلين .

قابلت سفير الدولة العلية حسين حلمى باشا وسفير ألمانيا لأشكرهما على مساعيهما فى ستصدار الإرادة الشاهانية للأمة المصرية حسب طلبنا . وقد سألتهما رأيهما فى مسألة ضرب أساطيل دول التحالف للدردنيل ، فأجمعا على أن اقتحام هذا البوغاز من رابع المستحيلات ، وبفرض المستحيل لو تم ذلك لاستمرت الدولة فى الحرب إلى النهاية . وقد علمت من جويد بك أن فى النية نقل العاصمة إلى قونيه لو دخل المتحالفون الآستانة .

سفير العجم فى ويانة

قابلت كذلك سفير العجم (٢) واسمه مصطفى خان صفاء الممالك ، فوجدته رجلا مسلما محباً للجامعة الإسلامية عاملا على تحقيقها وهو متعلم نبيه فى غاية الذكاء .

ثم عدت من ويانه إلى جنيف مساء الجمعة ١٢ ، فوصلتها مساء السبت ١٣ منه .

عشيقة الخديو

وسافر معى الخديو ويوسف صديق باشا قاصداً بلدة Bergenz على بحيرة Constance على حدود سويسرا والنمسا . وأظن أنه يقصد بذلك أن يكون قريبا لمن يقصد مقابلتهم من فرنساويين وغيرهم ، فى إحدى قرى سويسره التى على الحدود . وظهر لى أنه يتخابر مع بعض الماليين لبيع أرض له فى جهة شربين تخلصا من حجز الإنكليز لأملاكه ، ولكنه يتكتم الأمر كثيراً ويحيطه بكثير من التحفظ . وقد سافرت معه خليلته التى اتخذها بعد ترك الحرية له من نحو ثلاث سنوات . وهذه الخليلة الجديدة فرنساوية يظهر من محادثتها أنها من أسافل القوم وأقلهم تربية وأدبا ،

(١) هكذا ورد بالأصل ، ويستقيم المعنى لو اضيفت كلمة ( علم ) بعد ( بأنه )

(٢) بلاد فارس .

وليست بذات جمال باهر أو قوام فتان بل هي دون المتوسط في ذلك كله ، والناس فيما يعشقون مذاهب .

صدى مصر

لما وصلت جنيف أخبرني محمد فهمي أفندي بأن الحكومة منعت استمرار طبع « صدى مصر » وأخذت عليه تعهداً بذلك ، وعلى ذلك لم يظهر منه إلا العددان الأول والثاني فقط وأننا نفكر الآن في اصداره

(١٢٥)

وصول روشبرون الى مصر

أو اصدار جريدة أخرى في برلين مثلا . وصلتني تذكرة من أخت روشبرون بباريس تفيد وصول أختها إلى القاهرة في ١١ الجاري ، كما علمت من تلغراف وصلها منها . وعلى ذلك يكون الإنكليز لم يمانعوا في دخولها مصر كما كنت أخشى .

عبد العزيز عمران

كنا أرسلنا عبدالعزيز أفندي عمران إلى مصر لبراسلنا بطريقة مخصوصة عن الأخبار الحقيقية ، أو لإرسال أحد الإخوان المخلصين بالأخبار شفهيا . وسافر من هنا في ١٩ فبراير ولم يعارض في الدخول لمصر ، ولكن قرأنا في جرائد مصر بأن قائد الجيش الإنكليزي أمر باستجوابه وبتفتيش منزله . ثم في يوم ٢٣ مارث وصلتنا منه تذكرة من برلديزي تفيد وصوله إلى إيطاليا مطروداً من مصر . وها نحن بانتظار ما يقصه علينا من الأخبار .

حادثة مدرسة الحقوق بمصر

السلطان حسين كامل يزور المدارس العليا لاستمالة الطلبة إليه ولكن ٨٥ من مدرسة الحقوق غابوا عن المدرسة المحددة لزيارته فحوكموا على ذلك بمعرفة مجلس إدارة المدرسة ، فقرر طرد ٥٤ منهم نهائياً ، وحرمان ١٨ من امتحان آخر السنة . ثم سعى أولياء أمورهم لدى الحكومة فعفى حسين كامل عنهم إلا سبعة عشر طالباً اعتبروا محرضين لهذه المظاهرة (١) . كل هذه الأمور تفيد أن الحكومة متوجسة خيفة من الأمة مع أنها للآن لم تبد أقل حركة عدائية ضدها ، وعلى أن حسين كامل غير أمين (٢) على مركزه .

كتبت الجرائد اليوم ( ٢٤ مارث سنة ١٩١٥ ) أنه حدثت واقعة خفيفة على ضفة قنال السويس الشرقية ، بين جنود الخليفة والإنكليز . وهذا يفيد أن الجيش العثماني لم يزل يستعد للهجوم على مصر مرة ثانية بعد الاستكشاف الذي قام به في ٣ فبراير الماضي ، وأعتبره الإنكليز وأنصارهم انهزاما .

---

(١) وقعت هذه الحادثة يوم ١٨ فبراير ١٩١٥ وقد تم العفو عن السبعة عشر طالبا هؤلاء في السنة الدراسية التالية وعادوا الى الدراسة .

(٢) هكذا وردت بالأصل وصحتها : آمن .

فى ١٨ الجارى هجمت أساطيل الأعداء على الدردنيل بقصد اقتحامه فخذلوا وغرق منهم ثلاث مدرعات واحدة فرنسية اسمها Bouvet واثنتان إنكليزيتان وهما Ocean و Irresistable وضرب عدد ليس بقليل أهمهم Le Gaulois فرنساوية و Inflexible انكليزية وهذه أول موقعة مهمه حصلت بالبوغاز من عهد ١٩ فبراير حيث حصل أول ضرب فى القلاع الخارجية . وكان لهذا النصر الإسلامى تأثير حسن جدا لدى العثمانيين خاصة ، والمسلمين كافة وأزال الخوف ممن كانوا يخشون سقوط الآستانة فى أيدى الأعداء ، حفظها الله وحرسها

(١٢٦)

وصل عبد العزيز عمران ، وملخص أخباره أن الحالة الروحية فى مصر جيدة جداً وأن أخواننا مشتغلون بتنظيم أعمالهم استعدادا للثورة عند سنوح الفرصة ، ولكنهم ينتظرون منا أن نرسل إليهم السلاح والذخائر ، وهم مجهزون اللازم لإدخالها سراً وحفظها فى أماكن أمينة لحين توزيعها . وقد أتفق هو مع الاخوان هناك على كيفية التخاطب بجوابات مفتوحة ولكن بعبارات متفق عليها ، وسنسافر معه قريباً إلى برلين للسعى فى ارسال الأسلحة والذخائر . ومما ذكره لنا مما لم تذكره الجرائد خبر استقبال الأزهريين لحسين كامل عند زيارته للجامع الأزهر ، بأشد ما قوبل به فى مدرسة الحقوق . وقال بأنهم صرخوا فى وجهه قائلين ( أخرج ياخائن ) فقبض على بعضهم ثم أفرج عنهم . ولكن جميع الأزهريين وضعوا تحت المراقبة الشديدة ، وقرر قائد الجنود الإنكليزية أن تكون محاكمتهم على أقل أمر يقع منهم ، ولو كان من قبيل المخالفات أمام السلطة العسكرية الإنكليزية .

عبد العزيز عمران افندى

أما هو فبعد أن صرح له بالدخول لمصر بعد تفتيشه وتفتيش عفشه ، عاد إليه البوليس بعد أربعة أيام وفتشوا مسكنه ومسكن أخيه المقيم معه ، وقبضوا عليه وسجنوه مدة اثنى عشر يوماً ثم أوصلوه إلى اسكندرية ، وأمروه بالسفر حالا من القطر المصرى فسافر مهنئا نفسه بالسلام ، وعاد إلينا متحمساً متقدا وطنية .

المسيو بوسنو ومحادثتى له فى ٢٧ مارث

كتبت لجويد بك تلغرافا ببرلين ، أذكره بمسألة بوسنو ، وبعد مخابرات حضر بوسنو إلى جنيف يوم السبت ٢٧ مارث ، ولكن لم يحضر جويد بك بل ورد منه تلغراف فى المساء يفيد حضوره مساء الاثنين ٢٩ منه ، فعاد بوسنو لباريس واعدا بالعودة ، وقد تحادثت معه كثيراً فكان يبالغ دائما فى الخطر المحدق بالدولة العلية وبالقوة التى سينزلها المتحالفون إلى البر جهة الدردنيل لضبط القلاع والزحف على الآستانة

قائلا انهم يضحون كل ما يلزم من سفن حربية ويرسلون ثلاثماية ألف عسكرى إلى غير ذلك من التشهيلات، يريد بذلك أنى أتأثر بهذه العبارات فأنقلها إلى

(١٢٧)

الأتراك فيخافون ويميلون إلى الصلح . ولكنى قابلت المثل بالمثل فأخذت أبالغ له فى قوة الترك وبرهنت على ذلك بواقعة ٢٨ الجارى وأن مدافع الأتراك أغرقت أربعة من سفنهم المهاجمة وكانت ثمانية أو عشرة وأصابت باقيها باصابات مختلفة ، وقلت له لوسقطت الآستانة بين أيديهم (وهو مستحيل أو متعذر جداً) فيبقى عليهم فتح بوغاز البوسفور وهو ليس بأقل مناعة من الدردنيل،وأن الأتراك مصممون على الحرب للنهاية فضلا عن أن احتلال الآستانة يهيج العواطف الإسلامية ويزيد التحمس فى العالم الإسلامى أجمع ،فضلاعن أنها ستكون حينئذ سبب شقاق بين الدول المتحدة، فإن الروس يطمعون فيها ،ويظهر أن الإنكليز وافقوا على ذلك مقابل احتلالهم جزائر اليونان الواقعة أمام الدردنيل فتمنع بأساطيلها خروج الأسطول الروسى إلى البحر الأبيض عند اللزوم . أما فرنسا فسيكون نصيبها الفشل أى أنها لاتعطى شيئا مطلقاً ، ولايمكنها أخذ بلاد الشام لأن إنكلترا تطمع فى ضمها إلى سلطنة مصر مع بلاد العرب والجزيرة لتكوين المملكة العربية التى تسعى إليها من مدة ، وكانت تمنى الخديو عباس بجعله ملكاً عليها وخليفة لكافة المسلمين .

ومما فهمته من كلامه أنه واخوانه يعتقدون أن مخابرتهم هذه توجب انقسام فى جمعية الاتحاد والترقى فأفهمته غلطه وأن الجمعية قوية ،وإذا أتى جويد بك لهنا فلايكون إلا بموافقة إخوانه وأن الجيش فى قبضة أنور باشا وأن لاخوف على تركيا من هذه الجهة .

حضور جويد بك وحديثى معه

جاء جويد بك مساء يوم ٢٩ آتيا من برلين فقابلته نحو الساعة ٩ مساء فأخذ يقص على ما رآه فى ألمانيا من مدهش النظام وغريب الاستعداد والترتيب فى كل الأمور ، وأنه اقترض من الحكومة الألمانية سبعة مليون جنيه عثمانى بفائدة ستة فى المايه ، وأنه ألح لدى الحكومة الألمانية فى مهاجمة الصرب لفتح الطريق بين الآستانة وبرلين عن طريق بلغراد ونيش (١) وأنه يؤمل توجيه العناية لهذه المسألة والهجوم على صربيا من جديد فى أقرب وقت . أما حملةمصر فرأيه أنها لا تتم إلا فى الخريف بسبب السكة الحديدية الجارى العمل فيها ، فأفهمته أنه من الضرورى حصول مناوشات

---

(١) نيش ذلك مدينة فى يوغوسلافيا حاليا وكانت وقت كتابة هذه المذكرات عاصمة للصرب Serbia (Hamlyn Encyclopedic World Dictionary, p. 1017)

بين الجيش العثمانى والإنكليز من وقت لآخر كالتى حصلت فى ٢٣ الجارى حتى لا يعتقد المصريون بأن الحملة تركت . وبالطبع أعدت عليه ما دار بينى وبين بوسنو

(١٢٨)

من الأحاديث فأخبرنى بأنه وصله عن يد أحد شبان الأتراك المسمى اسماعيل درويش بأن السكرتير الخصوصى للمسيو بريان(١) وسكرتير ناظر الخارجية الفرنسوية مسيو دلكاسه يريدان مقابلته للتكلم فى الصلح فقبل مبدئياً ولكن طلب أن يكون الرسول المسيو Ponsot أحد موظفى الخارجية لثقته به وأن المقابلة ستكون فى Neuchâtel ، كل هذا يفيد أن الفرنسويين وقعوا فى حبال إنكلترا ولا يدرون كيف يخرجون من هذا المأزق .

مقابلة جـويد بك مع بسنو

حضر المسيو بوسنو ظهر الثلاثاء ورافقته لدى جويد بك فى الساعة ٢ ونصف ومكثنا معا نحن الثلاثة إلى ما بعد الساعة الرابعة ، وهاك خلاصة الحديث : يقول المسيو بوسنو بأن فرنسا لا يمكنها الاتفاق مع تركيا بدون رضا حليفاتها الروسيا وإنكلترا ولكنه يطلب من تركيا أن تنفصل عن النمسا وألمانيا وتتفق مع دول التحالف حفظاً لكيانها ، وأخذ يشرح مقاصد المتحدين نحو تركيا وتقسيمها فيما لو نجحوا ودخلوا الآستانة وانتصروا على ألمانيا وحليفاتها ، وأخذ كل من الفريقين يعزز نظريته ، ولكن بهت الفرنسوى لما قال له جويد بك أن الروسيا قابلة أن تتفق مع ألمانيا وتترك حليفاتها فيما لو تركتها ألمانيا تفعل ما تريد فى تركيا . ولكن ألمانيا لم تقبل ذلك محافظة على ولائها نحو تركيا ، ثم قال له جويد بك : إنا متأكدون من عدم إمكانكم الوصول إلى الآستانة ولو وصلتم إليها لبقى أمامكم البوسفور ، وأن الروسيا ستأخذ الآستانة لو تم لكم النصر ولكن إنكلترا لاتسمح لكم بأخذ الشام بل انها ستضمها لمصر لتنفيذ مشروعها القديم وهو إنشاء مملكة عربية تشمل مصر والشام والعراق وبلاد العرب ، ويكون سلطانها خليفة للمسلمين فيما إذا زالت العائلة العثمانية مع الدولة العلية ، فإذا خطكم أيها الفرنسويون؟ انكم تخدمون الروسيا وإنكلترا بلا فائدة . بالعكس تخسرون نفوذكم الأدبى والإقتصادى الذى لكم فى بلادنا وقد شاهدتم ذلك فى الولايات الأوروبية التى فقدناها وضمت للمالك البلقان ، ومع كل ذلك فإن دخولكم الآستانة وفتح بوغازيها لاينهى الحرب

---

(١) بريان اريستيد Briand Aristide ، سياسى فرنسى ولد فى نانت Nantes ( ١٨٢٦ - ١٩٣٢ ) تولى منصب رئاسة الوزارة ١١ مرة ومنصب وزير الخارجية ١٥ مرة • كان مناصرا لسياسة الوفاق مع ألمانيا • وقع معاهدة لوكارنو سنة ١٩٢٥ ، ومنح جائزة نوبل للسلام عام ١٩٢٦ •
( انظر : (Petit Larousse, p. 1201)

بل يستمر ، وإذا انتهى بفوز ألمانيا فإننا نأخذ الآستانة ثانياً مقابل رد ألمانيا البلجيكا لنفسها وإنكلترا تضحي كل شيء حفظا لاستقلال بلجيكا .

(١٢٩)

فأظهر المسيو بوسنو خوفه من بقاء إنكلترا فى كاليه ودنكرك فيما إذا بقيت ألمانيا فى بلجيكا . وضعفت حجته حقيقة ولكنه قال ان فرنسا تعهد بأنها لاتبرم الصلح إلا بالاتفاق مع حليفاتها وهي متمسكة باتفاقها ولاتخون حليفاتها ولو كانتا مستعدتين لخيانتها . بعد كلام طويل واعادة ، انتهينا على تمسك كل برأيه ولو أنى آنست من المسيو بوسنو ميلا للصلح مع ألمانيا والدولة إذا وجدا الحل الذى يحفظ شرفها . وأخيراً افترقا، على أنه كل فريق يفكر فى الأمر ويشاور إخوانه ومن أراد منهما مقابلة الآخر يخاطبنى ؛ وأن الإجتماع المقبل لو حصل يكون فى غير هذه المدينة . رافقت بعد ذلك المسيو بوسنو للمحطة حيث سافر الساعة ٢٠,٥ دقيقة وأخذت فى الطريق أظهر له سوء نية إنكلترا نحو فرنسا ، وأن السياسة يجب أن تكون سياسة منافع لاسياسة عواطف، وأن هذه السياسة هي التى أضاعت فرنسا وستضيعها ان لم تخرج من هذه الحرب فى أقرب وقت وتترك ألمانيا وشأنها مع انكلترا وروسيا ، فوعدنى بأن يكتب لى قريبا عما يرى .

فى صباح الأربعاء، زرت جويد بك وتناقشنا ثانيا فى الموضوع . وكانت النتيجة أن ألمانيا والدولة يقبلان الصلح على الشروط الآتية : لا تأخذ ألمانيا من أرض فرنسا شيئاً وتأخذ منها تعويضا ماليا قليلا ولا تأخذ شيئا من مستعمراتها ، أما الدولة فتطلب من فرنسا الاعتراف بلغو (١) كل الامتيازات التى كانت لها وأنها لا تحمى المسيحيين بل تكون معاملاتها مع الدولة على مقتضى القانون الدولى العام . وسأنتظر نحو أسبوع حتى إذا لم يأتنى شيء من بوسنو أرسل إليه روشبرون بهذه الطلبات ليعرضها على أخوانه ( هي ستعود هنا من مصر فى نحو ٨ ابريل ) وحبذا لو حصل هجوم جديد على الدردنيل فى هذه الفرصة ، ورد المتحالفون وغرقت بعض مراكبهم فمثل هذا الحادث يسهل المخابرات كثيراً ويحمل فرنسا على قبول الصلح بهذه الكيفية . لو تم ذلك أمكن ألمانيا أن تتفرغ مع حليفاتها النمسا والدولة العلية لمحاربة انكلترا والروسيا ويكون النصر مؤكدا لفريقنا فتفوز الدولة العلية بمرغوبها وتنال مصر استقلالها ، آمين.

عودة روشبرون

عادت روشبرون من مصر يوم الأحد٤ ابريل ، ولم تزد مدة إقامتها بها عن ١٥

---

(١) بلغو : بالغاء .

يوماً لأن الحكومة كلفت قنصل جنرال فرنسا بالزامها بالعودة ، ولكنها تمكنت خلال هذه المدة من مقابلة الإخوان والوقوف على حقيقة الأمر وقدمت لى تقريراً بذلك محفوظ ضمن الأوراق .

(١٣٠)

سفرها الى باريس لمقابلة بوسنو

وقد قصصت عليها باختصار ما دار بين جويد وبوسنو بحضورى من الحديث، وطلبت منها أن تسافر إلى باريس لمقابلة بوسنو والإتفاق معه على مقابلة أخرى تكون فى مدينة غير جنيف ، وكتبت لجويد بك بذلك ، وقد سافرت فعلا إلى باريس مساء الخميس ٨ أبريل. ولقد ذكرت الجرائد أن مدحت بك شكرى سكرتير جمعية الإتحاد والترقى والمسيو كراسو Carasso أحد أعضاء اللجنة حضرا إلى رومه للمخابرة أيضاً، ولو أن هذا الخبر غير موثوق به ، ولكن كل هذه الإشاعات تفيد حصول مخابرات سرية فى جهات سرية ترمى إلى تقصير أجل الحرب .

التعدى على حسين كامل وعدم اصابته

يوم الجمعة ٩ إبريل ، نشرت الجرائد تلغرافا من مصر بأن شابا مصريا أطلق الرصاص على البرنس حسين الخائن ولم يصبه ، ثم قالت انه تلميذ من مدرسة الحقوق إسمه محمد عباس ، وقال بعضها انه تاجر من المنصورة اسمه محمد قابيل .ولقد سررت جداً من هذا الحادث الذى أثبت للعالم أن الأمة غير راضية عن الحماية الإنكليزية ، ومستعده لمجازاة كل من يقبلها، ولكن ساءتنى عدم إصابة المرمى لأن هذا الشاب سيعدم طبعا بدون أن يكون أتم مأموريته . وعلى أى حال، فإن هذا درس للخونه من المصريين . ثبت أن الضارب اسمه محمد خليل تاجر من المنصورة ، وقد حوكم أمام محكمة عسكرية إنكليزية وشنق رحمه الله (١) . ولم يثبت أنه من جمعية سرية أو أن له شركاء.

عودة روشبرون من باريس

عادت روشبرون ظهر الثلاث ١٣ إبريل ، وقالت ان بوسنو لم يزل مستعدا لمقابلة جويد وأنه سيكون يوم ٢١ فى مرسليا فإن أمكن الاتفاق مع جويد على المقابلة فلتكتب تلغرافا ليحضر، فكتبت لجويد بك بذلك إلى ويانه وطلبت أن يحضر لنتكلم معا فى هذه المسائل ثم نطلب(٢) بالتلغراف .

سفرها معى لمقابلة الخديو فى زوريخ

فى هذا اليوم (١٣ إبريل) ، ورد تلغراف من يوسف باشا صديق من مدينة

---

(١) كان محمد خليل تاجر خردوات من المنصورة وقد أطلق الرصاص على موكب السلطان حسين كامل أثناء مروره بشارع عابدين وأصاب العربة فقط وقد أعدم شنقا فى ٢٤ أبريل ١٩١٥ .

(٢) فات محمد فريد أن يذكر الشخص الذى سيطلب بالتلغراف ولكن يتضح من سياق الكلام أنه ( بوسنو ) .

بوكس (١) بحدود سويسره يطلب منى أن أسافر حالا إلى زوريخ مع روشبرون . ومن محادث (٢) الصدف أنها كانت عادت من باريس من نفس ذلك اليوم . فسافرنا الساعة ١٠,٥ مساء إلى زوريخ حيث وصلناها حوالى الساعة الحادية عشرة فوجدنا يوسف باشا بإنتظارنا بالمحطة و الخديو أمام اللوكاندة (فيكتوريا)

(١٠٣١)

ومكثنا معا إلى نحو الساعة ٢ بعد نصف الليل ، قصت عليه فى خلالها روشبرون كل ما رأته فى مصر . وقضينا الليلة أو باقيها فى أوتيل ترمينوس المجاور لأوتيل فيكتوريا . فى يوم الأربع ١٤ منه ، قابلنا الخديو ، وتكلمنا فى مأمورية الدكتور عبد العزيز عمران ، فطلب الخديو أنى أكتب له تلغرافا ليحضر فكتبته فعلا ، وحضر عمران أفندى فى صباح الخميس ١٥ منه ، وقابل الخديو وقص عليه ما رآه وما اتفق عليه مع الاخوان ، وكان اجتماعنا فى قاعة إنتظار المحطة ولم يكن بها أحد ، كل ذلك خوفا من جواسيس الإنكليز . تعشينا أنا وروشبرون مع الخديو مساء الأربعاء فى أحد المطاعم الصغيرة ، واتفقنا على أن روشبرون تسافر إلى ويانه معى فى أواخر الشهر بجواز سفر أرجنتينى Argentin وهى الدولة التى ولدت فيها ويسمح لها قانونها بحفظ جنسيتها أينما كانت ، وهو ، أى الخديو ، يريد تكليفها ببعض مأموريات لم يفصح عنها فى هذه الأحاديث ، ولكن يظهر من خلالها أنها ترمى إلى توسطه بين فرنسا وألمانيا فى الصلح ، على أننا لم نخبره بشىء ما فيما يختص بمخابرات بوسنو وجويد . سافرنا مع عمران أفندى من زوريخ الساعة ٤٥,١ دقيقة إلى جنيف ، أما الخديو ويوسف صديق فسافرا قاصدين ويانه بقطار الساعة ١١ و ٥٥ دقيقة .

فى ٢١ منه ، ورد تلغراف من جويد بك يفيد عدم إمكانه الحضور ، وبأنه سيرسل لى جوابا يوم الجمعة ٢٣ منه . فى يوم الأحد ٢٥ سافرت مع فهمى والشمسى إلى لاهى (٣) عاصمة هولانده لحضور مؤتمر سلام للسيدات ، وقضينا مساء الأحد المذكور فى مدينة فرنكفورت . وفى مساء الإثنين وصلنا لاهى المذكورة فى نحو الساعة ١٠ مساء ونزلنا فى فندق سنترال ، وبعد انفضاض المؤتمر سافرنا منها إلى برلين يوم الأحد ٢ مايو ، الساعة ٦ ونصف صباحا ووصلنا برلين الساعة ٧ ونصف بعد

سفرى الى لاهى عاصمة هولانده لحضور مؤتمر السيدات

---

(١) بوكس Buchs مدينة على نهر الراين وتقع على الحدود ما بين سويسرا والنمسا .
( أنظر خريطة سويسرا ، الواردة بقاموس Petit Larousse, p. 1717)

(٢) هكذا وردت بالأصل ، وواضح أن المقصودة هى ( محاسن ) .

(٣) المقصود بها لاهاى La Haye

الظهر . وعلمنا فى الحدود أنه وردت إلى المستخدمين بها أوامر من خارجية ألمانيا بتسهيل الإجراءات القانونية لنا ، فعوملنا بأحسن ما يمكن من عمال الحوازات ومن عمال الجمرك . أما المؤتمر فكانت أعماله كلها مناقشات نظرية لا تفيد شيئاً فى إيقاف الحرب أو منعه فى المستقبل ، على أن النساء برهن فيه على كمال استعداد فى الخطابة والمناقشة

(١٣٢)

وحفظ النظام .

مكاتبـــات بينى وبين جويد بك

كتبت لجويد بك من جنيف قبل سفرى بأن يكاتبنى فى لاهى بما يريد ، ورسمت له خطة سفرى لنكون دائماً فى إتصال ، فورد لى منه تلغراف يوم الجمعة ٣٠ إبريل ، يخبرنى فيه بسفره إلى ويانه فكتبت إليه جواباً مطولاً أطلب فيه منه إخبارى تلغرافياً فى برلين عما إذا كان سيطيل إقامته فى ويانه إلى نحو ١٠ أو ١٢ مايو لأقابله بها بعد عودتى إلى جنيف وسفرى منها إليها مع روشبرون ، وإلا فليخبرنى لأقصد ويانه قبل سفرى إلى جنيف ، على أنه يظهر لى أن هذه المخابرات عقيمة لعدم قبول كل فريق الصلح على إنفراد من محالفيه ، وأن الأحسن انتظار نتيجة الحركة الهجومية بالقاء ألمانيا على جميع وجهات الحرب(١) ، فان كانت فى جانبنا سهلت الصلح مع الجميع وإلا فالدولة التى تحس بالضعف تسعى فعلا فى الانسلاخ عن حليفاتها ، وفى إبرام الصلح .

مقابلتى لمحمـــود مختار باشا ببرلين

يوم الإثنين ٣ مايو بعد الظهر ، كانت أول زياراتنا لمحمود مختار باشا سفير الدولة العلية ببرلين ، فأحسن استقبالنا وأخذ يتكلم فى مسألة مصر وقبول البرنس حسين للسلطنة تحت حماية إنكلترا ، وعن عدم احترام الإنكليز له ، وأتى بدليل أن المعتمد البريطانى (٢) لم يذهب بنفسه لتهنئة السلطان بنجاته من رصاصة محمد خليل . بل أرسل إليه سكرتيره ، وأخذ يعرض بالخديو عباس (بدون أن يذكر اسمه ) وبسياسته مع الإنكليز قائلا ان الإنكليز كانوا يحترمون توفيق باشا(٣) كثيراً ولم

---

(١) المقصود بهذه العبارة : فتح جبهات عديدة على ألمانيا .

(٢) المعتمد البريطـــاني هو : ســـير هنرى مكماهون Sir Henry McMahon ، ويذكر الرافعى ان هذا المندوب لم يكن على علم تام بدقائق الأحوال في مصر ، اذ لم يسبق له العمل فيها قبل أن يشغل منصبه ، فلم يكن من هذه الناحية على غرار اللورد كرومر والسير الدون غورست أو اللورد كتشنر الذين لم يعينوا فى منصب المعتمد البريطاني الا بعد أن سبق لهم العمل فى مصر من قبل . ولما وقع الجفاء بينه وبين السلطان حسين كامل ، فكرت الحكومة البريطانية فى أن تستبدل به مندوبا ساميا سبق له العمل فى مصر ، فعينت السير ريجنلد وينجت ، سردار الجيش المصرى وحاكم الســـودان العام فى نوفمبر سنة ١٩١٦ . ( الرافعى ، ثورة ١٩١٩ ، ج١ ، ص.ص ٤٢ ، ٤٣ ) .

(٣) هو الخديوى محمد توفيق ، ولد فى سنة ١٨٥٢ ، وعندما بلغ العشرين من عمره تولى رئاسة المجلس الخصوصى ثم أنعم عليه برتبه « المشيرية » ثم عين رئيسا لمجلس النظار مرتين ، المرة الأولى =

يأخذ وا منه السلطة كلها ، فأجبته بأن السلطة كانت معه اسما ، وأنه كان شديد الإستسلام ، وإذا كان الإنكليز يحترمونه نوعاً فى الظاهر فلأنهم كانوا مدينين له بدخولهم مصر . ومختار باشا هو ابن أحمد مختار باشا (١) الذى كان مندوباً ساميا بمصر وهو متزوج بالأميرة نعمت الله هانم بنت إسماعيل أى عمة الخديو عباس وأخت البرنس حسين .

بعد ذلك توجهنا لنظارة الخارجية، وقابلنا المسيو فون زمينس السكرتير العام ، وهو قدمنا للمسيو ويزن دونك رئيس القلم المشتغل بالمسائل الخارجية ، فذهبنا معه إلى غرفته وتكلمنا كثيراً بخصوص إرسال أسلحة لمصر، فوعد ببحث المسألة والاستعلام منا عن اللازم عند تقريرهم شيئاً بهذا الخصوص ، ثم ذكر لنا أنهم

(١٣٣)

يشتغلون الآن بإصدار جريدة أسبوعية اسمها ( الجهاد ) بعدة لغات إسلامية منها العربية والتركية والفارسية والأوردى والهندية والروسية ولغات الجركس والجورج وغيرهم ، ويوزعونها على الأسرى من هذه الأجناس ، وان المشتغل بهذا الأمر المسيو شابنجر Schabinger وطلب أن أكتب فيها شيئاً فوعدته بذلك ولكن بعد أن أطلع على الأعداد التى صدرت منها ، ثم طلبت منه أن نزور معسكر الأسرى المسلمين فوعد بتجهيز التصريح اللازم . بعد ذلك قصدنا المسيو شابنجر وبحثنا معه فى هذه الجريدة وكيفية تحريرها ، فظهر لى أنه رجل كثير الكلام يريد الظهور بعمل يوهم الحكومة بأنه نافع ويجمع حواه عدداً من العطلة الأجانب ، وذلك لأن الذين يعرفون القراءة والكتابة من هؤلاء الأسرى قليلو العدد لايتجاوزون الستة فى المائة ، وكان الأولى أن تعمل لهم محاضرات شفوية ولو كل أسبوع مرة بواسطة خطباء من جنسهم . ويشتغل معه من المصريين الدكتور منصور رفعت والشيخ والى .

جريدة الجهـــاد واعمال الألمان للجامعة الاسلامية

فى ظهر هذا اليوم، تغدينا مع المسيو Weigelt صديقى قديماً ، وهو الآن مستشار قضائى فى البنك الألمانى ، ورئيس لجنة التموين العليا للحكومة الألمانية، وكنت دعوته لتناول الغداء معنا فى الأوتيل ، فطلبت منه أن يساعدنى على الحصول على اذن لزيارة بلجيكا ، لأتحقق بنفسى ما ينسبه الأعداء لألمانيا من التخريب والإتلاف ،

= من ١١ مارس سنة ١٨٧٩ الى ٧ أبريل سنة ١٨٧٩ ، والمرة الثانية من ١٨ اغسطس سنة ١٨٧٩ الى ٢١ سبتمبر سنة ١٨٧٩ ، واحتفظ بمنصب ناظر الداخلية بجانب ذلك . وقد تولى عرش مصر «الخديوية» فى ٢٦ يونية سنة ١٨٧٩ عقب عزل والده الخديو اسماعيل . وتوفى فى ٧ يناير سنة ١٨٩٢ .

( لمزيد من التفاصيل أنظر : محمد فريد : مخطوطة مصر من ابتداء سنة ١٨٩١ مسيحية ص ص ٤ و ٥ و ٦ ، وانظر أيضا النظارات والوزارات المصرية ، ج ١ ، ص ص ٧٩ ، ٩١ ، ٩٤ ، ٥٤١ ) .

(١) هو المعروف بالغازى مختار باشا ( ١٨٣٢ ـ ١٨٩٩ ) .

ولزيارة الجيوش المحاربة على الحدود لأكتب عن كل ذلك فى جرائد تركيا، فوعدنى بذلك ، وأظن أنه موف وعده . فى يوم الثلاث ، زرنا المسيو Wesendonck ثانيا ثم تركنا بطاقاتنا للمسيو Zimmermann وكيل الخارجية ، وأخذنا التصريح لزيارة الأسرى المسلمين ، وفى المساء اجتمعنا مع الشيخ عبد الرشيد إبراهيم التترى الذى استحضرته ألمانيا من الآستانة لوعظ الأسرى ؛ ومع أحمد آغايف بك (١) وثابت بك من الكتاب المدرسين بالآستانة المكلفين من لجنة الاتحاد والترقى بفحص مشروع النظام التى تريد ألمانيا وضعه للتأثير على العالم الإسلامى ، وتحقيق فكرة الجامعة الإسلامية . وتكلمنا مليا فى أهمية المشروع الذى كنت قد تكلمت بخصوصه مع طلعت بك من سنة ١٩١٠، وفى أن مركز مثل هذا العمل لابد وأن يكون فى الآستانة ولا يترك فى أيدى الألمان ، إذ نخشى أنهم يتخذونه سلاحاً ضد الدولة إلخ إلخ . .

(١٣٤)

واتفقنا على أن يقدموا تقريرهم بهذا المعنى .

يوم الأربعاء ٥ منه ، سافرنا إلى معسكر الأسرى المسلمين بقرية اسمها Wursdorf على بعد ٤٠ كيلو متر جنوبى برلين ، وكان برفقتنا أحد موظفى قلم المطبوعات بالخارجية اسمه دكتور Muller . سافرنا الساعة ١٠ وربع ، فوصلنا نحو الساعة ١١ ونصف إلى المعسكر بعد أن مشينا على الأقدام نحو ٢٠ دقيقة . قابلنا هناك ضابط ملازم ودخلنا (٢) معنا فأوصلنا إلى أودة (٣) المدير . وهو يحسن العربية بسبب إقامته أكثر من عشر سنوات فى مراكش ، وكان معيناً ملازما لمحمد على باشا الجزائرى أثناء وجوده ببرلين وسبق (٤) قابلنا معه فى أوائل يناير . المعسكر منشأ ليسع خمسة آلاف أسير على خمسة أقسام ، وبه يوم زيارتنا ( ٣٠٤٦ ) فقط كلهم من عرب تونس والجزائر وقليل من المغاربة بينهم نحو ماية من القبابليين (٥) الذين كانوا يشتغلون فى معادن الفحم بشمال فرنسا والبلجيكا وهم جميعا تحت امرة صف ضباط من إخوانهم . والحرس من الألمانيين قليلين من الخارج فقط . ويحيط بالمعسكر حائط

زيارتنا لمعسكر المسلمين من الأسرى

---

(١) من أتراك روسيا « تركستان » جاء الى الآستانة بعد اعلان الدستور ، وتخلى عن جنسيته الأصلية وتجنس بالجنسية العثمانية ، وبدل اسمه من آغايف يعنى « ابن » بالروسية فجعله « أحمد آغا أوغلى » أى « ابن » بالتركية ، وأصبح مدرسا للتاريخ التركى فى المدرسة الحربية ، وكان من غلاة الدعاة للجامعة الطورانية ومن أكبر مسببى الخلاف بين الترك والعرب .

( توفيق على برو : العرب والترك فى العهد الدستورى العثمانى ، ص ٣٢٣ )

(٢) هكذا وردت بالأصل وصحتها ( ودخل ) .

(٣) أودة : كلمة تركية معناها : غرفة ، وهى من الكلمات التركية الشائعة الاستعمال فى مصر .

(٤) يستقيم المعنى لو اضيفت كلمة ( أن ) بعد كلمة ( سبق ) .

(٥) هكذا وردت بالأصل ، ويعنى بها : رجال القبائل .

بارتفاع مترين وهو متسع جدا ومركب من عنابر ، كل عنبر يسع (٥٠) أسيراً وكلها من الخشب وأرضها كذلك ، ومدفئة جيداً وبالوسط الفضاء حمام به(١) عدة (دوشات) بها الماء الساخن طوال النهار وبه حنفيات للوضوء ومحل لغسل الهدوم ، ومطابخه نظيفة والطباخون منهم حتى لا يدخل فيما يأكلون لحم الخنزير ودهنه ، والمحلات والفضاء المحيط بها مضائة بالكهرباء . وهم لا يشتغلون فى الخارج كباقى الأسرى بل يتمرنون على الحركات العسكرية ساعتين قبل الظهر وساعتين بعده بأمرة إخوانهم والنداءات العسكرية الفرنساوية . والبورى كذلك ينادى بينهم بالنغمات الفرنساوية .

جمعوا الأسرى ، كل طابور على حدة على شكل مربع ودخلنا فى وسطهم تباعا ، ودعونى للخطابة فيهم فتنحيت للشيخ عبد الرشيد لأنه أكبر سناً ولابسا عمامة فيكون لكلامه تأثير أشد من كلامى على هؤلاء القوم . خطب فيهم بضرورة التعلق بالخلافة والخليفة والإخلاص لحلفائه وعدم محاربتهم ، فدعوا للسلطان بالنصر وقرأوا الفاتحة ، وطلبوا منا أن نتوسط لهم لدى السلطان فى أن يقبلهم محاربين مع جيوشه الإسلامية فى أى جهة يريد .

تكلمنا مع كثيرين منهم على حدة وبالأخص مع فريق المتعلمين منهم المعينين كتبة بالأورط فكانت خلاصة الحديث

(١٣٥)

أن المتعلمين منهم أولاد العائلات تطوعوا فى الخدمة العسكرية جبراً ، وذلك أن الحاكم العام استدعى آباءهم وقال لهم (إنكم تدعون الإخلاص لفرنسا وتطلبون منها دائما المساواة مع الفرنسويين فى الحقوق والمرافق — فها الفرصة قد سنحت لإظهار هذا الإخلاص ولا يكون ذلك إلا بإرسال أولادكم طوعاً إلى الجيش) وبذلك اضطر الأعيان والموظفون إلى ذلك . وقال آخر إنهم تطوعوا فى أمل أن فرنسا تبر بوعودها العديدة وتعطيهم بعض الحقوق . أما باقى الأسرى فمنهم فريق كبير اتخذ الخدمة العسكرية مهنة له من مدة ، وبعضهم(٢) قهراً على أنهم متفقون على شىء واحد وهو أنهم لا يحبون فرنسا قلباً بل قلبهم دائماً مع الخليفة ويودون الخدمة فى جيوشه

وقد لاحظت عدم وجود أئمة معهم لصلاة الجماعة والجمعة ، فتكلمت مع بعض أصدقائى بهذا الخصوص فطلبوا منى بيان ذلك بالكتابة فأرسلت بعد عودتى جواباً إلى المسيو Weigelt بتفصيل ملاحظاتى وكلها دينية .

---

(١) هكذا وردت بالأصل وتصويبها كما يوحى سياق الكلام ، وبوسط الفضاء حمام

(٢) هكذا ورد بالأصل ، ويستقيم المعنى لو أضيفت كلمة ( أخذ ) بعد كلمة ( بعضهم ) .

سافرنا من برلين عائدين إلى جنيف مساء الأربعاء المذكور، الساعة ٨ و ٢٣ دقيقة فوصلنا جنيف فى اليوم التالى الساعة ٩ وربع مساء .

روشبرون والخديو وبوستو

عند عودتى قابلت روشبرون ، فقالت لى إن يوسف صديق وصل جنيف عقب سفرى ، وانتظرنى أسبوعاً كاملا ثم سافر إلى ويانه ، وأخبرتنى أنه أخذ يستفسر منها عن سبب مجىء جويد بك إلى جنيف وأنها فى آخر الأمر أخبرته بالسبب الحقيقى ، فقال لها ان الخديو يريد الاشتغال بهذا الأمر ومقابلة مسيو بوستو للتكلم معه فى هذا الخصوص ، فكتبت إلى بوستو بذلك وهو بالطبع أجابها باستعداده لمقابلة الخديو بسويسرا فى الجهة التى يعينها . فغضبت عليها وكدرتها على إذاعة هذه المخابرات التى كان يجب أن تبقى بيننا لأنه لو وصل خبر هذا الإفشاء إلى جويد بك فلا يثق بى فى المستقبل ، فضلا عن الضرر الأدبى الذى يلحقنى ويسىء سمعتى لدى الألمان إذ يرموننى بالاشتغال فى جهتين فى آن واحد، أى معهم ومع فرنسا عدوتهم ، نعم ان هذا يحصل كثيراً فى السياسة ، ولكن كان يجب عليها أن لاتخبر يوسف صديق بشىء إلا بعد الاتفاق معى .

فى صباح الجمعة ٧ منه ، وصل تلغراف من يوسف صديق يطلب به منى أن أسافر إلى لوسرن

(١٣٦)

مع روشبرون بحيث نكون هناك بلوكاندة سويسره بعد ظهر السبت لمقابلة الخديو،

السفر الى لوسرن

سافرنا صباح السبت ، الساعة ١٠ و ١٠ دقائق فوصلنا الساعة ٤ و ٤٠ دقيقة والخديو وصل الساعة ٤، ٥٠ دقيقة . قابلنى وطلب منى أن أكتب تلغرافاً لفهمى بجنيف بالحضور مع الدكتور عمران والشاب عباس أفندى الفار الذى حضر من يوم من مصر فحضرا فى اليوم التالى، الأحد، أما على بك الشمسى فكان تركنا فى برلين وسافر منها إلى ويانه وحضر مع الخديو . والقصد من هذا الإجتماع الإطلاع على تقرير قدمه شفيق باشا بما عمله ورتبه فى الآستانة مع إسماعيل لبيب بك الذى عاد من دمشق ، والبارون أوبنهايم، أما عباس الفار فكان القصد الاستعلام منه عما رآه بمصر أو سمعه من إخواننا الوطنيين. يوم الأحد تفسحنا فى البحيرة (١ ) وفى جبل ريجى كولم (٢ )، وفى المساء ، اجتمعنا مع الخديو فاستجوب الفار وأخذ منه ما يريد من الاستعلامات ثم سافر الفار عائداً إلى جنيف صباح الإثنين . وفى مساء الإثنين، حضر شفيق باشا

(١) المقصود بها بحيرة لوسرن Lucerne التى تتوسط سويسرا

(٢) يقع جبل ريجى Rigi فى سويسرا بالقرب من بحيرة لوسرن ، ويبلغ ارتفاعه ٥٩٠٦ قدما . انظر بالنسبة للتسميتين :
( Hamlyn Encyclopedic World Dictionary, pp. 942, 1352 successively) .

واجتمعنا فى المساء إلى ما بعد نصف الليل ، أما فهمى فلم يحضر لأنه سافر صباح الاثنين غاضباً وبدون أن يستأذن من الخديو أو يخبر أحداً منا ، وذلك لوقوع نفور بينه وبين على الشمسى فى برلين بسبب أمور صبيانية أظهر فيها فهمى حماقة زائدة .

خلاصة هذه الاجتماعات

تقرير شفيق باشا

قال شفيق باشا ان حالة الأتراك متحسنة جدا ومركزهم أصبح قوياً أمام ألمانيا عقب انتصاراتهم ومقاومتهم الشديدة للروس فى القوقاز ، وللإنكليز فى ضواحى البصرة ، وبالأخص للإنكليز والفرنساويين فى بوغاز الدردنيل حتى انهم يقولون لى بأن مركزهم فى التحالف الثلاثى أهم من مركز النمسا . وبذلك تقوى مركز الصدر الأعظم ، فيجب علينا تحسين العلاقات معه حتى لا يكون ضدنا وضد الخديو شخصياً عند إجتماع مؤتمر الصلح وتحديد مركز مصر . وارتأى أن يكتب الخديو جوابا للصدر يشكره على مافعله للمصريين وقرره الباب العالى وهو دفع مرتبات الموظفين الذين مع الخديو أو طردوا من مصر ويقيمون فى الآستانة أو فى الخارج . وبما أن الدولة تدفع الآن نصف المرتبات فقط بسبب الحرب فقد دفعت لهم جميعاً مرتب الشهر الماضى وكذلك قرروا

(١٣٧)

لغير الموظفين أمثال إسماعيل لبيب بك وغيره . وبما أنى عازم على السفر للآستانة قريباً فآخذ هذا الجوب معى ليكون من جهة أخرى طريق صلح بينى وبين الصدر ، فلم يوافق الخديو على هذه الفكرة واعتبر تحرير مثل هذا الجواب ضعفاً . ولكننا سنعود لهذا الموضوع فى أول إجتماع ، ثم قلت أنا إن أعمالنا سائرة بغير إنتظام وأنه من الضرورى أن تشكل لجنة رئيسية تكون تحت رئاسة الخديو لتراقب كل المخابرات بيننا وبين مصر ، وتضع لها نظاماً بحيث لا يعمل شىء من برلين أو الآستانة بغير إطلاع هذه اللجنه ، ووافق الخديو والحاضرون على هذا الرأى وقالوا سنعيد البحث فيه عند إجتماعنا بويانه بعد أسبوع ، للإطلاع على التقرير الذى وضعه شفيق باشا بالإتفاق مع اسماعيل لبيب والبارون أوبنهايم الخاص بتأسيس جريدة عربية بدمشق لنشر فكرة الإتحاد الإسلامى . ثم قال الخديو إنه يرى البحث فى طريقه لاخراج أمين الرافعى من مصر ، وإصدار الشعب من جديد فى الآستانه أو دمشق ليبقى صوت الحزب الوطنى كما كان .

هذا مجمل ما حصل ، ولكن يظهر لى أن الخديو لم يزل ناقم على الترك ولا يميل للإتفاق معهم وربما كانت له آراء يخفيها علينا بخصوص اتفاقه سرا مع الإنكليز

والفرنساويين لحفظ مركزه فيما إذا انتصروا على الفريق الآخر وأصبحت مصر مستعمرة إنكليزية

حديث الخديو مع روشبرون

أما روشبرون فقد قابلت الخديو مرتين : مرة بحضورى والثانية على إنفراد ونبه عليها بعدم إخبارى بما دار بينهما وقد قال لها فى هذا الإجتماع ( حسب روايتها ) : « إنه لا يحب الترك وهم لايحبونه ومن المستحيل إتفاقه معهم وأن الألمان قالوا له بصريح العبارة بأنهم لا يريدون اغضاب الترك من أجله لإحتياجهم إليهم فى هذه الحرب ( ولذلك فهو يريد أن يسعى سراً للإتفاق مع الإنكليز والفرنسوين ليساعدوه فى مؤتمر الصلح حتى لو كانوا مقهورين . ولهذه الغاية يريد مقابلة بوسنو للبحث معه فى هذا الموضوع ، وفى موضوع الصلح بين ألمانيا وفرنسا » ا. هـ. ملخصا .

واتفق معها على أن نكون المقابلة فى مدينة ( فريبورج ) بسويسرا يوم الجمعة ١٤ مايو بعد الظهر فى لوكاندة ( ترمينوس ) .

(١٣٨)

ثم افترقنا وسافرت عائدا إلى جنيف يوم الثلاثاء، الساعة ٢ ، نصف عن طريق البحيرة إلى محطة Alpnach ومنها بالسكة الحديد إلى Brienz ثم بالبحيرة إلى انترلاكن وقضيت الليلة .

وفى صباح الأربع ، الساعة ٨،١٣ دقيقة(١) سافرت بالسكة الحديد إلى جنيف عن الطريق الكهربائى الذى يسير بالجبال من Zweizimmen إلى Montreux فيصعد تدريجياً إلى إرتفاع ألف متر فى محطة Les Avants ثم ينزل وسط الجبال الى Montreux على البحيرة وعلى إرتفاع ٣٨٥ متر تقريباً . وصلت جنيف الساعة ٧ ، ٢٠ مساء عازماً على السفر إلى ويانه يوم السبت لأصلها صباح الإثنين ١٧ منه .

عند عودتى ، وجدت جواباً من إسماعيل لبيب بك يخبرنى به بأنه قابل أنور باشا فسأله عنى وطلب منه أن يكتب لى بالعودة إلى الآستانة ولذلك عزمت على أن أقصدهامن ويانه بعد الاجتماع المتفق عليه وأرسلت تلغرافا إلى اسماعيل لبيب أخبره بأن سأكون بينهم فى أواخر هذا الشهر .

اليوم السبت ١٥ مايو سنة ١٩١٥ ، أسافر إلى زوريخ الساعة ١٠،١٠ صباحا أما روشبرون فسافرت أمس إلى فريبورج لمقابلة الخديو مع بوسنو Boussenot (٢)

( انتهت الكراسة الرابعة )

---

(١) اضيفت كلمة ( دقيقة ) ، ولم ترد بالأصل ، ليستقيم المعنى .

(٢) السطران الأخيران يختلفان فى طريقة الكتابة عن باقى خطـوط المذكرات ويرجح انهما بخط عبد الرحمن الرافعى ، ونظرا لأن ما ورد بهما لا يمثل وجهة نظر معينة وانما هو من قبيل المعلومات ، فمن المرجح أن الرافعى اعاد الكتابة على الأصل بخط يده للتوضيح .

# الكراسة الخامسة

من صفحة ١٣٩ الى صفحة ١٥٨

سافرت من جنيف يوم السبت ١٥ مايو سنة ١٩١٥ الساعة ١٠ : ١٠ لأقابل روشبرون فى فريبورج حيث سافرت بالأمس لمقابلة الخديو سرا بها كما ذكرت ذلك فى الكراس السابق (١). ولكن لما وصل القطار إلى فريبورج ، كنت نائماً فنزلت فى برن ، وكلمت روشبرون ، بالتلفون فحضرت الساعة ٣ بعد الظهر ومكثنا معاً ببرن إلى أن وصل قطار المساء الذى يقوم من جنيف الساعة ٥ ، ١٠ بعد الظهر ؛ وكان به على الشمسى ومحمد فهمى . أثناء وجودنا فى برن زرنا بعض جهات المدينة وبالأخص سراى الجمهورية وأثر إتحاد البوسطة العام ، والدباب ( جمع دب ) التى تقتنيها مدينة برن المشتق اسمها من اسم الدب باللغة الألمانية .

الخديو وروشبرون فى فريبورج

أخبرتنى روشبرون بأن الخديو حضر ، أما بوسنو القرنساوى لم يحضر ؛ وأن الخديو تكلم معها بما ملخصه بأنه يريد المخابرة مع فرنسا وإنكلترا سرا لحفظ مركزه فيما إذا هزمت ألمانيا وتركيا . وإن لم يمكنه حفظه لنفسه فيحفظه لولده عبد المنعم ، وأنه يعتمد عليها فى ذلك شرطاً أن لا تخبرنى بشىء ، لأنه يخشى ان وقفت على مساعيه السرية أن أخبر الأتراك فيضيع من الجهتين . ولأنى رجل مبادىء لا أتغير مهما قاسيت فى سبيل المحافظة على مبادئى ، هذه شهادته حرفياً .

مخاصمات الشمسى وفهمى

حضر الشمسى وفهمى وما زالا متخاصمين كالأطفال . ولكن توصلت للمصالحة بينهم أثناء الطريق ، على أننا ما لبثنا بويانه يوما واحداً حتى تخاصما بسبب وقاحة وحماقة وقباحة فهمى .

(١) انظر صفحة ١٣٨ من هذه المذكرات .

وصلنا لزوريخ الساعة ١١ مساء ، فقضينا الليلة كلنا فى أوتيل ناسيونال . ثم سافرنا ظهر اليوم التالى الأحد ١٦ منه ، مع شفيق باشا الذى وجدناه فى زوريخ قاصدين ويانه ، فوصلنا صباح الإثنين ١٧ منه ، الساعة ٧،٢٠ صباحا ، فوجدنا الدكتور حسين همت فى انتظارنا من قبل الخديو ، وأخبرنا بأننا نتزل فى جراند أوتيل الواقع أمام أوتيل امبريال . قابلنا الخديو قبيل الظهر جميعاً ثم قررنا بالاجتماع (١) ثانياً بعد الظهر ، وقبل مقابلته اجتمعنا بيوسف صديق باشا ودار الحديث بيننا جميعاً على السياسة المثلى الواجب انتهاجها قبل الأتراك لأنه يرى أنهم ينوون الغدر بأفندينا وعدم إرجاعه إلى مركزه ، كما أنه يخشى من جهة أخرى أن تدخل ايطاليا فيترجح إنهزام ألمانيا وتركيا وفوز الفريق الآخر فتضيع مصر ويذهب كل أمل فى رجوع أفندينا إليها ، وأنه يجب علينا التفكير فى أخذ الضمانات ضد الأتراك من جهة والإحتياط للفرض الآخر وهو انتصار إنكلترا وفريقها ، فرددت

مجادلة شديدة بينى وبين يوسف صديق بحضور شفيق باشا والاخوان شمسى وفهمى ودوشبرون

(١٤٠)

بأن لا سياسة لنا ولا للخديوى إلا محاسنة الأتراك وكسب عطفهم ، لأن ألمانيا لاتساعدنا ضدهم مطلقا ، كما قال مندوبوها للخديو نفسه ، بأن ألمانيا لا تغضب الأتراك بالنسبة لإحتياجها إليهم خصوصاً الآن وقد ثبتوا ضد الروسيا فى القوقاز وضد فرنسا وإنكلترا فى البوغاز ، على أن الأتراك لا يقبلون مطلقاً تداخل الألمان فى شؤون الدولة الداخلية ، لذلك كله وجبت محاسنتهم وتحتم الإتفاق معهم . ثم قلت له انه يضر كثيراً بالخديو بكلامه وشوشرته ضد الأتراك فى المجالس ، إذ كل ما يقوله ينسب إلى مولاه ويزيد حنقهم عليه . ثم قلت له : وما هى الضمانات التى تريد أخذها ضد الأتراك ، وما تلك التى تريد أن تحفظ بها مستقبل الخديو ومصر فيما إذا انتصر فريق إنكلترا على فريق ألمانيا ، فعجز ، فصادمته بقولى : أتريد الإتفاق مع الإنكليز فقال : كلا . وبالإختصار فانى أفحمته ولم يجد له معضدا من بين الحاضرين وأنا لم أفتح هذا الباب إلا لأقول ليوسف هذه الحقائق لينقلها حرفياً لسيده ، وليفهموا جميعاً بأنى لا أسير معهم إذا أرادوا المخابرة مع الإنكليز ، بل إنى باق على سياستى ومتمسك بها . بعد ذلك اجتمعنا مع الخديو وتكلمنا كثيراً ، وأهم ما جاء فى حديثه أنه بلغه من ( توينى بك ) وهو سورى مسيحى بسفارة الدولة العلية بانكلترا بأن الدولة تتخابر مع خارجية ألمانيا فى تعديل الاتفاق المعقود أخيراً بين الدولتين والنمسا ، وان خليل بك رئيس مجلس النواب هو المكلف بهذه المخابرات

خبر عمل معاهدة جديدة بين الدولة والمانيا

---

(١) هكذا وردت بالأصل ، ويستقيم المعنى لو حذفت الباء أي ( الاجتماع ) .

وأنه (الخديو) يخشى بأن يقضى على مصر فى هذه المعاهدة . (فاتنى أن أذكر أن يوسف صديق تكلم معنا أثناء المحادثة الأولى فى هذا الموضوع ، وقال إنه يجب أن يوضع بهذه المعاهدة شىء عن مصر وعن الخديو شخصياً يضمن رجوعه إلى مصر ) وانه يود أن يقف على حقيقة هذا الأمر . وبعد جدال طويل دائر على أن مسألة مصر مقررة باعلان السلطان للأمة المصرية بأنه ما أرسل جيوشه لمصر إلا لطرد الإنكليز ، وردها إلى أهلها ، فرد الخديو ( كما كان رد يوسف صديق ) بأن هذا الإعلان غير كافى لأن الخديو لم يذكر فيه . تقرر أن أسافر أنا ، ومحمد فهمى ، وعلى الشمسى ، إلى برلين ، لمقابلة رجال نظارة الخارجية وخليل بك للوقوف منهم على الحقيقة إن أمكن ، ولكن يوسف صديق لم يقتنع بذلك ، بل رأيه السعى فى الحصول على صورة المعاهدة بواسطه صغار مستخدمى الباب العالى السهل مشتراهم بالمال . قلت له عند ذلك إنى لا أدخل فى مثل هذه المسائل .

(١٤١)

سفرنا الى برلين للبحث عن صحة مسألة المعاهدة

سافرنا إلى برلين مساء الثلاثاء ١٨ منه ، الساعة ٩،٤٠ فوصلنا برلين الساعة ٩ ونصف من صباح الأربعاء ١٩ منه . وفى الحال خاطبت بالتلفون المسيو Weigelt صديقى بالبنك ليحدد وقتاً للمقابلة ، واتفقنا فعلا على أن نتقابل الساعة ٤ بعد الظهر فى مكتبه . تقابلنا فى الميعاد ، وأخذ(١) استعلم منه على مسألة المعاهده ومابلغنا بخصوصنا(٢) فقال بأن هذا كله غير صحيح . ثم كتبت جوابا إلى المسيو زيمرمن Zimmermann وكيل الخارجية ، أطلب منه فيه أن يحدد لنا موعداً للمقابلة وأرسلته مع أحد مستخدمى البنك فورد إلى الرد من المسيو Wesendonck معتذراً عن الوكيل بكثرة أشغاله ، ويدعونا لمقابلته بالنظارة مساء يوم الخميس ٢٠ منه . قابلناه فى ذلك الميعاد ، وكان جوابه بالنفى المطلق .

رد خارجية المانيا

مقابلتى مع خليــل بك رئيس مجلس النــواب بهذا الشأن

بعد ذلك قابلت خليل بك بعد ظهر الجمعة ٢١ منه ، وتكلمت معه كثيرا فى شؤون الدولة ومركزها . ثم عطفت على مسألة المعاهدة وقلت له ان بعض جرائد الأعداء تقول بأنه يشتغل فى تعديل المعاهدة بين الدولتين الألمانية والتركية بسبب التغيير الحاصل فى جو السياسة المبنى على خوف دخول إيطاليا فى الحرب وتعهدها للاعداء بارسال قوة من مابة وخمسين ألف محارب إلى البوغاز لمساعدة الفرنساوين والإنكليز هناك ، فقال ان هذا غير صحيح وأن المعاهدة أبرمت وأمضيت من عدة شهور بين الدول الثلاث : تركيا وألمانيا والنمسا على قاعدة التساوى المطلق ، حتى أن

---

(١) هكذا ورد بالأصل ، ويستقيم المعنى لو اضيفت التاء الى ( وأخذ ) .

(٢) هكذا ورد بالأصل ، ويستقيم المعنى لو عدلت الى ( بخصوصها ) .

دولتنا لم تقبل أن يوضع فيها شرط بأن ألمانيا والنمسا يضمنان سلامة الدولة العثمانية لاعتبار مثل هذه الجملة مهينة وجارحة للدولة ، وأن الدولة انتهزت فرصة احتياج ألمانيا لها للحصول على شروط ما كانت لتحلم بها مطلقاً ، أما مصر فلم تذكر بالاسم فى المعاهدة لأنها جزء من الممالك العثمانية بلا نزاع ، ولأن حالتها قد سويت بإعلان جلالة السلطان الصادر فى فبراير الماضى . ا هـ . وعلى ذلك فقد امتنع خوف الخديو ، وسقطت الرواية التى بنى عليها خوفه .

أثناء وجودى ببرلين قابلت الشيخ عبد العزيز جاويش فقابلنى بنفاقه المعهود ، ثم توافقنا على الإجتماع مساء الجمعة . ولكنه لم يحضر حسب الموعد لأنه يتجنب الوجود معى خوفاً من أنى أسأله أو ألومه على مساعيه فى الشام مع الفريق المنضم إليه ، ولكن لجبنه وعد بالإجتماع مع تصميمه على عدم المجىء .

جريدة جهاد

زرت كذلك قلم المطبوعات وأخذت بعض نسخ من رسالة كتبها منصور رفعت عن دنشواى والعددين الثالث والرابع من جريدة الجهاد (١) فوجدتها أقل من الأعداد الأول و الثانى من حيث العربية

(١٤٢)

وأبديت ملحوظاتى بكل حرية إلى الدكتور موللر Muller من المشتغلين بهذا القلم .

جويد بك بويانه

ثم سافرنا عائدين إلى ويانه صباح يوم السبت ٢٢ منه ، الساعة ٨ صباحا فوصلناها الساعة ٩ ، ٣٠ . وعند دخول القطار المحطة كان بعض الإخوان بالانتظار ، فأخبرونى بأن جويدبك موجود بالقطار المسافر إلى برلين بعد عشر دقائق ويريد مقابلتى ، فأسرعت ولكنى لم أصل إلا وقت تحرك القطار ، فسلمت عليه ، ولكن لم نتمكن من الكلام لضيق الوقت ولكن وعدنى بالمقابلة فى سويسرا بعد شهر على الأكثر .

يوم الأحد ٢٣ منه ، قابلنا الخديو وأخبرناه بنتيجة المأمورية ، فأظهر اعتقاده بعدم تصديقه ما قيل لنا وأصر على سوء ظنه بالدولة . ثم أخبرنا بأن جويد بك

رفض الخديو العودة للاستانة

قابله وأخبره بأن السلطان والصدر الأعظم يريدان أن يعود إلى الآستانة فعضدنا جميعا هذه الفكرة ، واقترحنا أنه ينتهز فرصة اقتراب شهر رمضان فيجعل سبب العودة رغبته فى قضاء شهر الصيام هناك مع عائلته فرفض ، وقال بأنى إذا عدت لا يسمحون لى بالخروج ثانية ، فحاربنا هذه الفكرة ولكن لم نفلح . ولم يعضده فى رأيه إلا يوسف صديق باشا . ثم أطلعنا على تقرير وارد من السيد أفندى كامل بتفصيل أعمال البارون

---

(١) انظر ص ١٣٣ من هذه المذكرات .

تقرير من السيد كامل أعمال البارون اوبنهايم فى الاستانة

أو بنهايم الذى سافر إلى الآستانة ليسافر منها إلى الشام، ويؤسس بها جريدة عربية كبرى وأخرى ببغداد . وتفصيل الخبر أن الأتراك رفضوا أن يكون الصرف على الجريدة من مال ألمانيا ثم رفضوا التأسيس بالمرة لعدم مناسبة الظروف ،وهذا كله دليل على أن الأتراك لايريدون أن تتداخل ألمانيا بأية واسطة فى أمورهم الداخلية . وهذا ينافى ما يشيعه الأعداء من أن ألمانيا أصبحت الحاكمة فى البلاد . أظهر الخديو استياءه من هذه السياسة التى تبرهن على قوة مركز جمعية الإتحاد ، وبالتالى مركز الحكومة العثمانية ، وتبعدآماله فى أن ألمانيا تستعمل نفوذها فى مساعدته لديهم . ثم قررنا السفر إلى الآستانة أنا وشفيق باشا إلى الآستانة فسافرنا مساء الأثنين ٢٤ منه الساعة ٤،٥٠ ووصلناها صباح يوم السبت٢٩منه،لأنى تأخرت يوما فى بوكارست(١). أثناء وجودى بويانه ،رأيت بها شخصا من الشوام اسمه رشيدبك عذره من طرابلس يقول هو وحاشية الخديو أنه حضر خصيصا لزيارة الخديو ، ولكن يظهر لى أنه من المشتغلين بالمسألة العربية معه . وهذا دليل على أن الرجل لم يقلع عن سياسته القديمة مع العرب ضد الدولة التى ناب عنها وقت مصالحته مع أنور باشا والاتحاديين .

رشيد بك عذره بويانه

(١٤٣)

جواب الخديو الى الصدر الأعظم

أثناء وجودى بويانه،سعيت مع شفيق باشالأن نقنع الخديو بأن يكتب جوابا للصدر الأعظم يشكره فيه على ما قررته الحكومة العثمانية من دفع ماهيات الموظفين المصريين الموجودين مع الخديو أو الذين طردوا من مصر ، ودفع مرتبات مناسبة لأمراء وأميرات البيت الخديوالموجودين بالآستانة ، وكذلك للمصريين طلبة وغير طلبة ، كل بحسب مركزة فى الهيئة الإجتماعية . وكان الرجل ممتنعا امتناعا شديداً معتبراً كتابة مثل هذا الجواب ضعفا أمام الصدر والأتراك ، وكنا جميعا مجمعين على ضرورة هذا الكتاب تحسينا للعلائق، إلايوسف صديق ، فقبل الخديو مع كل مشقة وحرر الجواب وأخذه شفيق باشا لتقديمه .

الوصول للآستانة

وصلت الآستانة يوم السبت ٢٩ منه، فى نحو الساعة العاشرة صباحا، بعد أن تأخرت يومين فى بوكارست، الأول، انتظارا للقطار، والثانى، للتعليم على الجواب. قابلت اسماعيل بك لبيب فقص على ما لقيه بالشام من جمال باشا، ومنعه من مرافقة الحملة دون جميع المصريين بسبب دسائس الشيخ جاويش وأتباعه الذين أفهموه

(١) المقصود بها : بوخارست Bucharest عاصمة رومانيا .

أخبار اسماعيل لبيب بك

أن اسماعيل ممن يقولون باستقلال مصر وانفصالها عن تركيا تماما ، حالة ان الشيخ ومن معه يقولون بجعل مصر ولاية عثمانية لتنتفع الدولة بمالها ورجالها فتزيد قوتها بل تتضاعف بدون إعطاء المصريين أى مقابل من الاستقلال الداخلى القديم . وقص على شيئا كثيراً يفيد نذالة الجاويش وسعيه وراء أطماعه الشخصية ليس إلا ، لأنه لم يزل يحارب فكرة الوطنية فى الإسلام ، وقد قال أخيراً ببرلين إلى أحمد بك أغاييف أن يقلع عن فكرة الجنسية التركية ، وأن يطلب منى كذلك أن أقلع عن فكرة الوطنية أو الجنسية المصرية وأن أسير فى تياره وأقول معه بأن لا وطنية فى الإسلام . قال لى اسماعيل لبيب بأن كثيراً من الأتراك بدأوا يعتقدون بأنى أصبحت مع الخديو كالشيخ على يوسف ، أى أنى سرت معه فى سياسته ضد الدولة ، ولذلك استعجل عودتى لأقضى على هذه الدسائس قبل أن يستفحل الأمر ، ويظهر لى أن الخديو كان عالما بذلك وكان يريد الإفساد بينى وبين الأتراك بمنعى عن العودة للآستانة وارسالى لأقيم ببرلين ، حتى يعتقد الأتراك بأنى مقيم بها لمساعدة الخديو لدى ألمانيا ضد الأتراك .

فى المساء ، اجتمعنا مع أوبنهايم ولبيب وشفيق باشا والسيد كامل (سكرتير) (١) وبحثنا طويلا فى وضع نظام للمخابرة مع مصر وإرسال أسلحة إليها ، وغير ذلك ووضعنا تقريراً مطولا بهذا الخصوص .

يوم الأحد ٣٠ منه ، قابلت أنور باشا فى النظارة ، ثم قابلته فى منزله فى اليوم التالى وشرحت له كل مالدى ،

(١٤٤)

مقابلتى مع انور باشا

ثم كلفنى بمقابلة على باش حمبه التونسى والعضو فى مجلس الدولة ، للبحث معه فى مسألة الصحافة فى جنيف والبلاد المعادية ، وتكذيب كل ما ينشر بها من الأكاذيب على الدولة ، خصوصا فيما يختص بالخلافة الخ . قابلت على بك المذكور فعلمت منه بأنه كلف بكل ما يخص الصحافة والمسائل الإسلامية ، وأنهما اتفقا على أن أكون كوكيل أو ممثل لهذه الحركة فى جنيف ، وأنهما كانا أرسلا تلغرافا إلى سفارة برلين ليستعلم منى عما إذا كنت أقبل هذه المأمورية فقبلتها بالطبع (وبدون مقابل) . واتفقنا على إعادة إصدار مجلة ترقى الإسلام التى كنت أصدرها بجنيف وأوقفت

---

(١) فات الزعيم محمد فريد أن يذكر أية هيئة كان يتولى سكرتيريتها السيد كامل ، فلقد كان سكرتيرا للجمعية العربية بباريس ، واشترك فى المؤتمر العربى الذى عقد فى باريس فى يوليو ١٩١٣ .

بسبب كثرة أسفارى من أول الحرب ، وعلى أن يوضع تحت تصرفى عشرة آلاف فرنك للصرف منها على أجرة ما ننشره فى الجرائد أو لاستمالتها لحركتنا ، وقد سلم لى قبل عودتى أربعماية وخمسين جنيه عثمانى. وأرسل أخاه محمد باش حميه إلى سويسرا ليكون مساعداً فى هذا العمل، وأظن أنه مكلف بأشغال أخر بتونس عن طريق ايطاليا .
اتفقت مع أنور على أن نسعى فى عودة الخديو هنا تحسينا للعلائق بينه وبينهم ، ومنعا لدسائسه التى يبثها فى كل جهة مع العرب من الجهة، ومع الإنكليز والفرنساوين من جهة أخرى، بواسطة صديقه المسيو (كايو ). ثم طلبت من أنور باشا أن يكلم الصدر الأعظم فى ضرورة الرد على جواب الخديو ليكون مساعدا لى فى مساعىّ لاقناعه بالعودة ، وفى أنى سأقابله يوم الجمعة التالى فليحسن مقابلتى لأنى لا أتحمل أقل إهانة ، وعلى شرط أنى أكون حاملا لشارة الحزب الوطنى المكتوب عليها مصر للمصريين ، والتى كان غضب الصدر بسببها ، فوعدنى بكل ذلك .

مقابلتى لسفير ألمانيا

قابلت البارون وانجنهايم سفير ألمانيا يوم الاثنين ٣١ منه، وكلمته كذلك بخصوص تحسين علائق الخديو مع الترك ، وفى ضرورة عودة الخديو للآستانة، وفى الجواب الذى أرسله للصدر. الخ ، غير ذلك، فاستحسن كل هذا ووعدنى صريحاً بالتكلم مع الصدر. وبعد يومين زرته، فقابلت المترجم الأول Weber بسبب انحراف صحة السفير ، وقال ان الصدر كتب الجواب المطلوب للخديو ، وأنهم جميعا يرون ضرورة عودة الخديو ولو شهر رمضان . السيد كامل منع من السفر مع البارون أوبنهايم إلى الشام بسبب أعماله بباريس يوم كان سكرتيراً للجمعية العربية ، واشتراكه فى مؤتمر العرب الذى اجتمع بباريس فى يونيه سنة ١٩١٣ . وأخبرنى على باش حميه بأنه هو الذى أبلغ البارون طلب الحكومة هذا ، شارحا له هذه الأسباب ، ولكن البارون ولا السيد كامل لم يخبرانى بهذا السبب . على أن أحد سكرتارية البارون الألمانيين أخبرنى به .

## (١٤٥)

قابلت طلعت بك مع اسماعيل بك لبيب ؛ وتكلمنا معه بخصوص عودة الخديو ولم يخرج جوابه عما قاله الآخرون .

مقابلة طلعت بك والصدر

يوم الجمعة ٤ يونيه، قابلت الصدر فى ينى كوى ، فأحسن مقابلتى جداً وتكلمنا نحو نصف ساعة فى الحرب وشهامة جيوش الدولة الخ . وأخيراً سألنى عن الخديو وعما إذا كان ينوى العودة إلى الآسانة فى هذا الفصل الجميل . فقلت له (كما قلت للآخرين ) سيحضر فى الغالب فى شهر رمضان .

العودة الى ويانه

سافرت من الأستانة فى صباح الثلاثاء ٨ يونيه : عائداً إلى ويانه مع اسماعيل لبيب بك، فوصلناها مساء الجمعة ١١ منه، ونزلنا فى جران أوتيل . وفى صباح يوم السبت ١٢ منه، قابلنا الخديو وتكلمنا فى بعض الشؤون المصرية . وعند خروجنا من عنده قابلنا يوسف صديق باشا وطلب منا الاجتماع بغرفته للمناقشة فى تقرير كتبه هو والسيد كامل ( الذى حضر إلى ويانه مع شفيق باشا بعد منعه من السفر إلى الشام ) ، يشمل ثمان مواد خاصة بعلاقاتنا مع الترك ومع الألمان وما يجب التفكير فى عمله فيما لو هزم الألمان والترك أو فيما لو تخلوا عنا وتركوا الترك يعاملوننا كما يريدون. وقد قرأ علينا هذه الأسئلة، وأخذت صورة منها بالفرنساوية بخط السيد كامل نفسه ، وكلها ترمى إلى الحصول على اعتراف منا بضرورة أخذ ضمانات ضد الترك ، والسعى فيما يضمن حالة مصر فى المستقبل ، ولكنهم لم يتبينوا بالصراحة ما يريدون . وهو ظاهر يتلخص فى أنهما ( يوسف صديق وسيد كامل ) يريدان المخابرة مع الإنكليز سراً . وسأجتهد لدى المناقشة فى أن أصل إلى معرفة ما يكنونه بالطبع بالاتفاق مع سيدهم الخديو . وقد علمت من شفيق باشا بأن هذا التقرير حضر فى Montreux بواسطة محمد على باشا أخ الخديو، ومحمد يكن باشا ، ويوسف صديق (وأظن أن محمد فهمى كان معهم ) .

بعد ظهر يوم السبت : إجتمعنا وتناقشنا فى البند الأول (سأسجل هذه الأسئلة وأجوبتنا عليها عند نهو المناقشة فيها )وقد تمكنت من الحصول من السيد كامل صراحة ومن يوسف صديق تلميحا ، بأنهم لو كانوا غير متأكدين من انتصار الألمان لكانوا سعوا فى الاتفاق مع الإنكليز . فأجبتهما ، وساعدنى فى ذلك على بك الشمسى وشفيق باشا ، بأن أى تفاق مع الإنكليز لا يمكن إلا أن يكون مبنيا على الاعتراف بالحماية أو الاحتلال ، وهذا مالم يمكن التفكر فيه مطلقا . فسئلانى وماذا يكون العمل فيما لو هزم الأتراك وانتصر الإنكليز . فقلت نجهد حينئذ فى تجهيز الثورة فى مصر ، أما الاعتراف بالحماية مهما كان شكلها ومهما أعطانا الإنكليز من الامتيازات فلن يمكن مطلقا .

(١٤٦)

استمرت المناقشة إلى ما بعد ظهر يوم الخميس ١٧ منه ، وكنا نجتمع كل يوم دفعتين . الصبح من ٩ ونصف إلى ١٢ ونصف ، ثم من ثلاثة ونصف إلى ستة أو بعدها مساء . وكان الاجتماع من يوسف صديق ، وشفيق ، ومحمد يكن باشا ، والسيد

كامل ، وعلى الشمسى ، واسماعيل لبيب ، وأنا ، وكانت النتيجة أن لا سياسة لنا إلا الاتفاق مع الأتراك وسنجتمع اليوم (١٨) أو غداً مع الخديو لمناقشة ما قررناه معه . ومما يذكر هنا أن يوسف صديق والسيد(١) اعترفا بأمور كنا نشك فيها للآن ، ولا دليل لدينا عليها ، تؤيد كنها اشتغال الخديو مع العرب ضد الأتراك . من ذلك أن يوسف صديق قال مرة أن الخديو لما اجتمع فى بادىء الأمر للمصالحة عن يد سفير ألمانيا فى الآستانة ، اعترف بأنه اشتغل مع الطليان ضد الترك فى طرابلس الغرب ، كما اشتغل مع الادريسى بالعسير أيضاً لصالح الطليان ، ومنها أنه هو والسيد كامل ، اعترفا بأن الخديو كان جاعلا سرايه فى مركز مضيفة لوفود العرب الذين يأتون مصر ، كما اعترف محمد يكن باشا بأنهم كانوا بسرايه هو باسكندرية ، وأنه كان يشتغل هو أيضاً مع الخديو فى هذه الدسائس .

حادثة جميل طوسون باشا

قال يوسف صديق ان البرنس جميل طوسون فاتحه ، أثناء وجوده بجنيف أخيراً . بأن الإنكليز يرغبون الصلح مع الخديو والاتفاق معه على مبلغ سنوى يدفعونه له إذا تنازل عن حقوقه فى الخديوية ؛ وأنه مستعد للتكلم مع رنل رود سفير إنكلترا فى رومه ، للسعى فى ذلك على شرط أن يأخذ (هو جميل) أربعين ألف جنيه سمسرة أو رشوة وأنه (يوسف) تكلم مع الخديو فى ذلك فرفض بالطبع ؛ كما أنه هو (يوسف) لا يوافق مطلقاً على الاتفاق مع الإنكليز ولا على عودة الخديو لمصر ، حتى ولو هزمت ألمانيا وحليفاتها ، ووافقه على ذلك السيد كامل بكل شدة . لكن يظهر أن هذه المناقشات رواية مدبرة يستطلع الخديو بها أفكارنا فى هذا الموضوع وأنه ينوى الانقلاب والانحياز للإنكليز . يؤيد هذا الرأى ما قاله الخديو لروشبرون فى فريبورج وكرره لها فى يوم ١٥ الجارى فى مقابلة سرية لم يخبرنا بها ، من أنه مصمم على ترك السياسة بل والاستقالة ، إذا صممنا على اتباع سياسة محاسنة الأتراك . وستظهر جلية الأمر فى الاجتماع الذى سيحصل للمناقشة فى التقرير اليوم أو الغد .

وبما أن هذا الرجل أنانى ومحب للمال فلا يعقل أنه يستقيل ويفقد أمواله فى مصر والدولة بدون مقابل يضمنه له الإنكليز مقابل تنازله .

وقد عرض يوسف صديق أثناء المناقشة رأياً بأن الخديو ليحصل على ضمانات

---

(١) المقصود : السيد كامل .

أكثر تضمن رجوعه إلى مركزه ، يمكنه أن يطلب عهداً بالكتابة من ألمانيا ويهددها بالاستقالة إن لم تفعل ، فأجبناه بأن استقالته لا تضر المسألة المصرية ولا تضرن إلا شخصه ،

(١٤٧)

فان سلطان تركيا يعين إذ ذاك ولده خلفاً له حسب الفرمانات ، بل ربما اتفق مع مخالفيه على إسقاط العائلة الخديوية كلها . وعلى أى حال فهذا الرأى مجازفة لا يحسن إتيانها . عند ذلك قال شفيق باشا أنه يعرض شيئاً آخر ، وهو أن التهديد لا يكون بالاستقالة بل يكون بالانضمام للإنكليز ، فقال محمد يكن باشا لو فعل ذلك لقبض عليه بصفة خائن وزج فى السجن ، فقال شفيق انه يرسل هذا التهديد من سويسرا ، فأجبناه بأن هذا الرأى لا يجوز أن يخطر على بالنا لأن الخديو لا يجد من يتبعه فى هذا الطريق ، طريق الخيانة والغدر ، فقال إنى لا أقول بهذا الرأى بل أطرحه للبحث ليرفض حتى نكون قد وفينا البحث حقه .

كل ذلك يؤيد أن الرجل يريد جس نبضنا ، وأن هذه الرواية مدبرة بينهم ، أى أن الواحد يعرض هذه الأفكار بصفة فروض والآخر يرفضها ، ولكنى على ثقة بأنهم لو رأوا منا ميلا إليها لساروا فيها لا محالة .

١٩ مايو ، علمت اليوم من يوسف صديق ، بأن البرنس جميل طوسون كلف حسين شرين بك الذى كان موجوداً معه فى جنيف بأن يحضر لهنا ، ويكلم الخديو فى الاتفاق مع الإنكليز ، وقد حضر شرين فعلا من يوم السبت الماضى مع زوجته ، وقابل الخديو مراراً ولم يقل لنا الخديو شيئاً عن سبب مجيئه ولا عن مقابلاته معه .

علمت كذلك أنه أرسل جواباً إلى الشريف فيصل بن شريف مكة مع مخصوص ، بعد أن أرسل إليه تلغرافاً بالانتظار فى القدس ، وأن الرسول المخصوص فتش فى الحدود التركية ووجد الجواب معه وأخذ منه ، وأن الخديو أخبر على الشمسى بذلك ، وكان فى غاية الضيق ولو أنه كان يظهر عدم الاهتمام ، لأن الجواب لا يحتوى شيئا مهما . قرأ علينا السيد كامل تقريره ثم طلبنا من الخديو مقابلته كلنا معاً ، فأجاب باجتماعنا لديه الساعة ٣ ونصف بعد ظهر اليوم .

اجتمعت على حده بحسين شرين وزوجته أثناء تناول الغداء معاً فى حديقة الأمة Volks Garten ، فقال لى ان جميل طوسون لما علم بأنه عازم على السفر إلى ويانه

لمقابلة الخديو ، تكلم معه بمثل ما تكلم مع يوسف صديق ، وطلب منه أن ينصح الخديو باتباع هذا الرأى فلم يقبل ، وأنه لما حضر إلى ويانه قص الحكاية على الخديو ونصحه بعدم السير فى هذا الطريق ، هذا ما قاله ويظهر لى أنه صادق .

أما الحقيقة، فقالها الخديو لروشبرون فى إحدى اجتماعاته بها ، وهى أن الرأى، رأى يوسف صديق ، وأنه هو الذى فاتح جميل طوسون وطلب منه التوسط لدى الإنكليز ، وأنه هو أى الخديو زعل جداً خوفاً من أن يصل خبر هذه المساعى إلى الألمان والأتراك فيعتقدوا خيانته — النتيجة — يظهر لى من كل ذلك ومن طعن الرجل الآن فى الألمان وقوله عنهم أنهم تركوه وخانوه بسبب عدم مساعدتهم له ضد الأتراك ،

(١٤٨)

أنه يفكر فى ذلك كما صرح بذلك مراراً لروشبرون .

قرأ الخديو التقرير وملخصه : أنه من الضرورى تحسين العلاقة مع الأتراك ، وأنه لابد أن يسافر للآستانة ويقضى بها شهر رمضان وأسبوع العيد ، ويدعو أثناء الشهر رجال الدولة والأمراء إلى ولائم إفطار ، وأن يزور المستشفيات ويتبرع لها بنقود ، كما يوزع على الجرحى حلويات وخلافه الخ الخ ، ثم اجتمعنا وأسفر اجتماعنا على لا شىء ، لأنه أبى السفر وأخذ يكرر شكاواه ضد الأتراك وأنهم هم الذين شرعوا فى قتله فى العام الماضى وأنه يخشى من أن يقتلوه ، ولكنه أراد أن يخدعنا فقال (أنا لم أرفض السفر ولكنى أريد الآن أن أسوح قليلا فى الجبال للاستراحة ، ثم أذهب بعد ذلك إلى المياه المعدنية ، وبعد ذلك أسافر للآستانة ) ، وعلى هذا انفض اجتماعنا وعاد كل إلى مقره ، فعاد اسماعيل لبيب إلى الآستانة ، ومحمد يكن باشا إلى لوسرن ، وأرسل شفيق باشا إلى جنيف ، ثم تبعه يوسف صديق ، والشمسى وأنا عدنا إلى جنيف وبقيت سياسته مع الأتراك كما هى .

مقابلة سفير الدولة بويانه

فى أواخر أيام إقامتى بويانه، زرت سفراء الدولة العلية والعجم وألمانيا ، فزرت حسين حلمى باشا فى يوم الأحد ٢٠ فى الشهر ، ووجدت عنده بالصدفة خليل بك رئيس مجلس (١) ، وعثمان نظامى باشا أحد السفراء السابقين ، فأخذنا نتكلم فى سفر الخديو إلى الآستانة وخوفه من أن يمنع من العودة إلى أوروبا لو أراد ، فقال

(١) المقصود بالمجلس : مجلس النواب .

حسين حلمى باشا أنى أتعهد له بشرفى بأن يكون حراً فى العودة ، وان لم تحترم الدولة تعهدى فأنا أستقيل . وقال خليل أن الخديو مخطىء فى خوفه الخ الخ . وقد أخبرت الخديو بذلك فكان جوابه (وإن استقال حلمى باشا فما فائدتى إذا حجزت فى الآستانة ) يعنى أن الرجل لا يثق بأحد ، ولم يزل مصمما على ما قرره من عدم تحسين العلائق مع الأتراك بل ومعاداتهم أيضاً .

مقابلتى لسفير ألمانيا

وفى ٢٢ منه، قابلت سفير الألمان وكلمته فى نفس الموضوع . أريد بكل ذلك التأثير على الرجل حتى لا يتسع الخرق بينه وبين الأتراك ، فينضم إلى الإنكليز ويسقط تماما . ورجوت من سفير ألمانيا المذكور أن يعضدنا عند الخديو وأن يشجعه على السفر ويؤكد له عدم التعرض لحريته بأى شكل كان . ولم أرد أن أخبر الخديو بتفصيل هذا الحديث ،

(١٤٩)

حتى لا يظن أنى أستعين عليه بسفراء ألمانيا وحكومتها . ولكنه قابل السفير فى اليوم التالى فأخبره بحديثى معه (مع أنى كنت رجوته أن لا يخبره به ) فعاد غاضباً وقال لى (إنك بمساعيك هذه تجعل الأتراك والألمان يعتقدون بأنى ممتنع (حرنان ) عن السفر للآستانة ، مع أنكم كلكم متفقون على سفرى فأنت بذلك تحرج مركزى مع أنى غير ممتنع عن السفر ، ولكن أريد تأخيره بضع أسابيع ) فقلت له أنى إن أكثرت من المساعى فى هذا الباب فما ذلك إلا حفظاً لمركزه لأن تصرفاته هذه لا تضر مصر مطلقاً بل تضره هو فقط الخ الخ .

أما محادثتى مع سفير العجم مصطفى خان صفاء الممالك فكانت عمومية تجمع الشئون الإسلامية ولم نتعرض فيها لهذا الموضوع .

اتفاق الخديو وروشبرون على أن تسافر الى باريس

قابل الخديو روشبرون قبل السفر من ويانه واتفق معها على أن تسافر إلى باريس لتدرس الحالة هناك وتقابل معارفها وبالأخص المسيو بوسنو Boussenot وتكتب له بما تراه ، وأنه سيرسل لها عبد الله أفندى البشرى مرة ، والسيد كامل مرة أخرى ، لأخذ جواباتها وتوصيل جواباته إليها ، وقال لها أنه لا يريد التوجه بنفسه الآن إلى سويسره ، حتى لا ينبه الأتراك إلى حركاته . وأنه لا يريد السير الآن فى مشروع يوسف صديق وجميل طوسون الخاص بالمخابرة مع الإنكليز ، بل أنه

سينتظر الحالة بضع أسابيع لأنه يرى ألمانيا منتصرة على الروس فى غاليسيا (١) وقد احتلوا لمبرج فى ٢٢ الشهر وأنه مازال خائفا من العودة للآستانة .

فى أثناء عودتى إلى جنيف قضيت نصف يوم الخميس ٢٤ يونيه فى انسبروك Innsbruck (٢) لزيارتها ، وسافرت منها بعد الظهر إلى مونيخ عاصمة Bavière (٣) وقضيت بها يوم الجمعة ٢٥ منه مع عزيزعزت باشا أخينا المصرى ، ثم سافرت منها صباح السبت ٢٦ منه فوصلت جنيف فى المساء .

**أول يوليه** . مازال النصرحليف الألمان والنمساويين فى جهات غليسيا وقدكادوا يطهرونها تماما من الروس . وكذلك مازال النصر فى جانب الأتراك فى الدفاع عن بوغاز الدردنيل ضد الفرنسويين والإنكليز . **نصر الله الإسلام .**

**(١٥٠)**

سافرت يوم الخميس ٨ يوليه ،إلى لوزان للاستراحة وتغيير الهواء . فقضيت بها ثلاثة أيام قابلت فى خلالها مدير مجلة السياسة الدولية المسيو Valyi المجرى ، ودعوته إلى الأكل مع زوجته ثم عرضت عليه مقالة بشأن (مصر والحرب العمومية ) فقبلها بكل ممنونية ، وستنشر فى العدد الجارى طبعه الآن،وصححت أصولها قبل عودتى ، ثم قضيت يومين بجهة Chambi بأعالى Montreux وعدت إلى جنيف يوم الثلاث ١٣ منه ، فوجدت جوابات من روشبرون ( التى سافرت إلى باريس يوم السبت ٣ يوليه ) تفيد أنها تقابلت مع بوسنو ومع بعض موظفى السفارة الإنكليزية . وعلمت منهم جميعاً أن لا سبيل إلى رضاء الإنكليز عن الخديو وأنه خير له أن يستمر فى سياسته مع الأتراك حتى لا يخسر الصفقتين.

كذلك وجدت على بك الشمسى قد عاد من لوسرن ؛ وكان قد ذهب إليها لمقابلة البرنس محمد على باشا بناء على طلبه ؛ وعلمت منه أنه وجد الخديو هناك مع صديق باشا وباقى رجاله وولديه وابنته ورفيقته الفرنسوية ، وأنه اجتمع به عدة مرات وعلم منه ما ملخصه أنه ترك ويانه بحالة تشبه الهرب،لأنه خشى أن الأتراك والألمان يكرهونه على السفر إلى الآستانة بعد علمهم بامتناعه ، بعد إجماع اللجنة التى جمعها منا فى ويانه فى الشهر الماضى ، والتى قررت بالإجماع ضرورة تحسين

هرب الخديو من ويانة الى سويسره

---

(١) غاليسيا Galicia : كانت اقليما تابعا للنمسا وضمت الى جنوب بولنده بعد الحرب العالمية الاولى . وهى الآن جزء من الاتحاد السوفيتى يسمى هاليكا Halica

(٢) انسبروك مدينة فى غرب النمسا وتقع على نهر ان Inn
( انظر Hamlyn Encyclopedia World Dictionary, p. 261 ،

(٣) هو اقليم بافاريا Bavaria

سياسته مع الأتراك وضرورة سفره إلى الآستانة لقضاء شهر رمضان بها وذلك أن سفير ألمانيا لما أخبره بحديثي معه ، قال له إني كتبت لخارجية ألمانيا وأنا بانتظار أوامرها . فاعتبر الخديو هذه العبارة تهديداً وغادر ويانه خفية مع يوسف صديق مشير السوء . ثم أخبره بأنه عزم على عدم العودة إلى ويانه أو الآستانة إلا بشرط أن لايعامله الأتراك كما كانوا يعاملونه . أى أنه نفذ ما قاله يوسف صديق باشا فى أحد اجتماعاتنا بويانه ، من أنه يلجأ إلى سويسره ويرسل منها طلباته إلى تركيا و حلفائها وهو بمأمن من أن يضغط أو يقبض عليه إذا علموا أنه يخابر الإنكليز بو اسطة الفرنسويين .

هذا وقد كتبت لى روشبرون من باريس بأنها تأكدت من أن الخديو قابل المسيو كايوCaillaut فى سويسره ، وبالطبع ستشرح لى عند عودتها ما سمعته فى باريس بخصوص مساعى الخديو .

مدام ذى النور وجاويد بك وسعى فرنسا للصلح

فى يوم السبت ١٠ الجارى ، سافرت مدام دى Chatiaumeuf وهى السيدة ذى النور نورى بك التركية المشهورة ، إلى برلين لمقابلة جاويد بك وهى آتية من فرنسا حيث كانت تشتغل فى مستشفيات

(١٥١)

الصليب الأحمر . ولما علموا بعزمها على العودة إلى الآستانة أرادوا تكليفها بمفاتحة الأتراك فى الصلح ، فجاءها ابن عم لها فرنساوى مستخدم سكرتير فى سفارة فرنسا فى برن ، وطلب منها أن تقابل سفير فرنسا فى برن وتتغدى معه يوم سفرها إلى برلين ، فسافرت واعدة لى بأن تخبرنى بما يتم .

يوم الخميس ١٥ يوليه ، كنا بمنزل شفيق باشا بعد الظهر مع على الشمسى ، فأتى يوسف صديق باشا بغتة ، وأخبرنا أنها(١) ترك الخديو فى لوسرن عازماً على عدم العودة إليه وعدم الاشتغال معه فى السياسة ، لأنه اتخذ له خطة جديدة لم يطلعه عليها ، بل ان كاتم أسراره الآن هو محمد يكن باشا . ثم قص خبر سفره خفية من ويانه وهى كما نقلها إلينا على الشمسى ، إلا أنه زاد عليها بأن الخديو ترك ويانه بدون أن يقابل أحد السفراء ، مع أنه ودعهم كما ودع ناظر خارجية النمسا على أنه مسافر إلى

---

(١) هكذا وردت بالأصل ، وصحتها : ( أنه ) .

كارلباد (١) ولكنه لم يقم بها إلا ثلاثة أيام ، ثم عاد خفية إلى ويانه وأقام بها طوال النهار ثم سافر إلى سويسرا وأخذ معه كل عفشه عبارة عن٢٣طرد ، ويقول يوسف باشا ان المؤثر على الخديو فى هذه السياسة هو رفيقته مدام Lusange ، وأنه يسافر بجواز ألبانى باسم عباس فقط . وابتدأ يوسف يطعن عليه وعلى حمقه فى السياسة إلى غير ذلك .

يوسف باشا صديق وهروب الخديو عن ويانة

وقال يوسف ان الخديو هرب من ويانه خوفاً من أن ألمانيا تلزمه السفر إلى الآستانة ، وذلك لأن سفيرها فى ويانه طلب منه السفر إليها ، فأجابه الخديو بأنه لا يسافر إلا إذا عومل معاملة غير التى كان يعامل بها ، فقال له السفير سأكتب إلى المسيو ياجو وزير الخارجية(٢) ، وانتظر أوامره فخشى أن يكون الجواب بالإلحاح عليه بالسفر ، فهرب بهذه الكيفية . وقال ان امتناع الخديو عن السفر هو لاعتقاده بأن تعدى محمود مظهر عليه بضرب الرصاص فى العام الماضى كان بايعاز واتفاق طلعت بك ناظر الداخلية واسماعيل جانبولات بك مدير الأمنية االعمومية .

القاء قنبلة على حسين كامل باسكندرية

يوم ١١ منه ، نشرت الجرائد تلغرافاً من مصر بأن قنبلة ألقيت على البرنس حسين يوم الجمعة ٩ منه ، أثناء ذهابه إلى الصلاة ولكنها لم تنفجر ، وأن ملقيها لم يضبط ، بل فر من الأسطح بعد أن ألقاها من شباك أودة كان استأجرها لهذا الغرض من شهرين (٣) . هذا العمل يدل على وجود جمعية منتظمة للانتقام من الخونة الذين باعوا الوطن للإنكليز .

فى مساء ١٦ منه ، وصلنى جواب من روشبرون من باريس وداخله جواب باسم الخديو لارسله إليه من هنا وهاك نصه :

---

(١) ( المقصود كارلسبارد Carlsbad وهى مدينة تقع فى غرب تشيكوسلوفاكيا بها ينابيع معدنية يؤمها الناس للاستشفاء . ( أنظر . Hamlyn Encyclopedic World Dictionary, p. 261)

(٢) شغل المسيو جوتليب فون ياجو Gottlieb von Jagow ( ١٨٦٣ ــ ١٩٣٥ ) منصب وزير خارجية المانيا منذ سنة ١٩١٣ ، ولعب دورا بارزا فى المفاوضات السابقة لنشوب الحرب العالمية الأولى ، وكان من مؤيدى توثيق العلاقات مع النمسا ، وكان أول من اطلع على بنود الانذار النمسوى للصرب ، ألف كتابا دافع فيه عن سياسة ألمانيا عنوانه : « دوافع واسباب نشوب الحرب العالمية العظمى « Ursachen und Ausbruch des Weltkrieges, 1919 ( أنظر : Encyclopedia Britannica, 1962, vol. XII, p. 866)

(٣) وقع الحادث فى ٩ أبريل ١٩١٥ أثناء مرور موكب السلطان حسين كامل من قصر رأس التين بالاسكندرية الى مسجد سيدى عبد الرحمن لأداء فريضة الجمعة وقد أدين فى هذه القضية محمد نجيب الهلباوي ومحمد شمس الدين ، وحكم عليهما بالأشغال الشاقة المؤبدة .

10

Effendim, Me voici depuis huit jours aux environs; heureux de revoir mon [illegible] très intéressé par nos longues conversations intimes où il fut maintes fois question de vous. Georges regrette infiniment de n'avoir [illegible] Fribourg. Je suis bien [illegible] voir. J'ai été très étonné de constater combien certaines idées ont fait de progrès [illegible]. Ce que me disait Y. P. (lisez Yousouf Pacha Seddik) à Beau-Rivage peut se réaliser si vous voulez vous en charger. J'aurais bien de vous parler franchement jusqu'où cela pourrait se réaliser [illegible]

Rana    11 juillet 1915.

الجواب مكتوب فى صيغة التذكير حتى لا يفهم أن الكاتب له امرأة ، وهى تشير فيه إلى حديث لها مع يوسف صديق مختص برغبة الخديو بالسعى فى الصلح بين ألمانيا وفرنسا ، حيث يدعى الخديو بأن ألمانيا كلفته بذلك وأن رحلاته السابقة إلى سويسرا كانت للمخابرة فى هذا الشأن وسأرسله اليوم إليه فى Lucerne

يوم الجمعة ٣٠ يوليه ، سألنى قنصل الدولة العلية بجنيف بالتلفون عن محل وجود الخديو فأخبرته بأنه فى لوسرن فى أوتيل كارلتون ، ولما سألته عن سبب سؤاله قال لى بأن لديه مأمورية رسمية يريد تبليغها إليه . وبما أن المخابرة كانت بالتلفون وبالفرنساوى لم أستحسن زيادة الاستيضاح . ثم أخبرت على بك الشمسى بأن يسعى لمعرفة الحقيقة من البرنس محمد على المقيم مع أخيه بلوسرن .

سافرت إلى Yverdon (١) يوم الاثنين ٢ أغسطس لقضاء ثلاثة أسابيع للاستحمام بمياهها وطلبا للراحة .

---

(١) تقع على بحيرة نيوشاتل بسويسرا ، وهى مدينة للاستشفاء ( أنظر : Petit Larousse, p. 1790)

(١٥٣)

عدت إلى جنيف يوم الجمعة ١٣ منه ، الموافق أول شوال سنة ١٣٣٣ لحضور وليمة كنت أشرت بإقامتها ذلك اليوم ، وتدعو إليها جمعية ترقى الإسلام : المسلمين المقيمين هنا ، وبلاد سويسرا الأخرى بالنسبة لعيد الفطر ، وقد نجحت الدعوة وكنا أكثر من خمسين شخصا وترأسها قنصل الدولة ضيا بك ، وألقيت فيها بعض خطب مناسبة للمقام كلها حاضة على الجامعة الإسلامية . وأرسلنا تلغرافا إلى السلطان بالآستانة ، وآخر لأنور باشا باسم جميع المحتفلين ، وتلغرافاً للخديو باسم المصريين . وقد ورد الرد من الخديو ومن أنور بالشكر . سألت القنصل عن سفره إلى لوسرن ومقابلته الخديو ، فقال ان مأموريته كانت سؤاله عن التاريخ الذى ينوى فيه العودة للآستانة ، فأجابه بأنه أرسل زوج بنته، جلال الدين باشا إلى الآستانة للتكلم مع رجال الحكومة هناك فى هذا الموضوع ، وأنه سيخبره بما يقرره بعد عودته . بعد ذلك بأسبوعين عاد إليه فأجيب بأن الخديو سافر للفسحة فى إحدى جهات سويسرا وعلى ذلك لم يتمكن من مقابلته . ويظهر أن الرجل هرب حتى لا يجيب ، متبعا سياسة التسويف . وقد سافر على الشمسى إلى انترلاكن(١) لمقابلة البرنس محمد على ومعرفة الحقيقة منه ، وكان قد أخبره بالتلفون بمأمورية القنصل ، وقال له ان الخديو وعده بالإجابة بعد اثنى عشر يوماً وأظهر لعلى فى محادثته التلفونية بأنه غير مستحسن سياسة أخيه ولذلك سيتركه قريباً ليقيم بضع أسابيع فى انترلاكن .

علمنا من أخبار مصر التى رواها أجزه جى الخديو الذى حضر أخيراً من مصر ، بأن شوقى بك الشاعر وعثمان باشا مرتضى نفيا إلى أسبانيا ، ولا ندرى ما سبب ذلك مع أنهما ممن انضموا للسلطان حسين وطعنوا على عباس .

يوم السبت ١٤ منه ، قابلت بالصدفة فايد بك ثابت فأخبرنى بأنه بلغه من ثقة ، بأن محب باشا قبض عليه فى النمسا ويظهر أن ذلك لأنه كان بويانه ثم سافر إلى إيطاليا وأقام بها بضع أيام ، مع أنها فى حرب مع النمسا ، ثم عاد إلى ويانه ثانياً فاشتبهوا فيه وخشوا بأن يكون جاسوسا للإنكليز ، خصوصاً وأنه مشكوك فيه من أول الأمر من جهة الألمان بل والأتراك والنمسويين ومنا كذلك كما سبق ذكر ذلك فى عدة مواضع من هذه المذكرات .

---

(١) انترلاكن Interlaken : مدينة فى وسط سويسرا بين بحيرتى برنز Brienz و « ثن » Thun ، فضلا عن أنها تعد مركزا سياحيا .
(انظر : Hamlyn Encyclopedic World Dictionary, p. 829 ) .

يوم الأربع ١٨ منه ، وصلني جواب مرسل باسم مجلة ترقى الإسلام من المراقبة العسكرية يطلبون أسماء المحررين لها مع بيان جنسيتهم . وبما أني متفق مع نصوحى زاده جودت التركي على أن يأخذ مسؤليتها أثناء غياب كرمانلى عاصم المسجلة باسمه في البوليس فعدت إلى جنيف فوراً لأحرر له الجواب الذى يجب إرساله إلى القوة العسكرية ولنتفق على الإجابات التي يبديها لو سئل فى هذا الموضوع .

(١٥٤)

يوم الخميس ١٩ أغسطس ، قابلت قنصل الدولة العلية ، وعلمت منه أنه سافر يوم الأحد الماضى ١٥ الجارى ، إلى لوسرن بناء على طلب الخديو له تلغرافيا ، وذلك بعد أن أنكر نفسه منه يوم الأحد السابق واعتذر له بعدم وجوده ذلك اليوم بالمدينة . ثم تكلم معه طويلا مشتكياً من الصدر الأعظم مما لا يخرج عما سبق شرحه قبلا . وأخيراً لم يجبه بخصوص مسألة العودة إلى الآستانة بل وعد بالإجابة بعد بضع أيام . النتيجة أن الخديو مصر على المراوغة حتى تظهر نتيجة مخابرة دول الاتحاد الرباعى مع دول البلقان حتى إذا انضمت مع ذلك الاتحاد ، وقطعت طرق المواصلة مع الآستانة ، اعتذر بهذا السبب. وإذا انكسرت ألمانيا وحليفاتها انضم إلى إنكلترا . وإذا خابت مساعى الاتحاد الرباعى وتأكد النصر من جانب ألمانيا وتركيا عاد إليها .

دعـوة الدولة للخديو بالعودة الى الآستانة عن يد قنصـل جنيـف وامتناعه

ولكن ظهر لى اليوم من كلام القنصل أن الدولة مصرة على إتخاذ طرق أخرى ضده إذا أصر على هذه السياسة ولم يسافر فى أقرب وقت إلى الآستانة ، وأن الباب العالى ربما قرر عزله وتعيين ولده أو اكتفى بإعلان عزله الآن وأخر تعيين خلفه إلى ما بعد الحرب حتى إذا انتصرت الدولة نظرت فى شكل الحكومة المصرية. لذلك أفكر الآن فى ضرورة وجودى فى الآستانة حتى لاتتخذ الدولة أمراً يضر بمستقبل مصر ، وحتى أشترك معهم هناك فى النظام الذى يوضع لمصر فيما إذا عزلوا الخديو .

عادت روشبرون من فرنسا وكتبت للخديو بعودتها ولكنه لم يطلبها للآن . على أنها تقول كما كتبت لى قبل الآن بأنها علمت من رجال فرنسا بأن إنكلترا لاتقبل إرجاعه لمصر فيما لو انتصرت ، ولا تريد المخابرة معه رغماً من مساعيه بواسطة كايو وأعوانه.

عودة روشـبرون الى جنيف وطلبهـا مقابلة الخديو

سافر يوسف صديق باشا إلى ويانه من نحو أسبوع وحجته الظاهرة إحضار خليلته النمساوية . ولكن يظهر أنه سافر لمقابلة سفير الدولة العلية أو للتكلم معه

بخصوص عودة الخديو ، لأنه رغما من دعوته قطع العلاقات مع الخديو فإنى علمت من قنصل الدولة بأنه سافر إلى لوسرن وقابل الخديو قبل سفره إلى ويانه .

يوم الثلاث مساء ، حضر من الآستانة إسماعيل بك لبيب وقص علينا خبراً غريباً سمعته تفصيلا من يوسف صديق باشا فى ويانه بخصوص أسباب غضبه مع الخديو وهاك تفصيله بإختصار :

(١٥٥)

مخابرة الخديو للأعداء وأخذه اربعة ملايين فرنك من المانيا

اتفق الخديو مع الألمان على أن يسعى بواسطة معارفه بباريس لمشترى أكبر الصحف الفرنسية مثل الفيجاور وغيرها ، وأعطاه الألمان بواسطة سفيرهم فى ويانه أربعة مليون مارك (مايتين ألف جنيه) ليصرف منها بسخاء . سعى الخديو سعيه بواسطة المسيو بولو الفرنساوى وبواسطة طليانى اسمه Cavallieri بتوسط محمد يكن باشا ، وصرفوا على مايقولون نحو مليونى مارك أى مابة ألف جنيه . ومن ضمن هذه المبالغ أودع الخديو فى أحد البنوك عشرة الآف جنيه (٢٥٠ ألف فرنك) باسم يوسف صديق باشا وبدون علمه على قوله . ولما هرب الخديو من ويانه طلب من يوسف صديق أن يحرر تحويلا بسبعة آلاف جنيه من هذا المبلغ باسم المسيو كافاليرى على باريس فصدع بالأمر . ولما ترك الخديو وأتى لجنيف طلب منه الخديو أن يحرر تحويلا بالباقى وقدره ثلاثة آلاف جنيه باسم كافاليرى فامتنع ، وقال ان الإتفاق مع كافاليرى كان على سبعة آلاف جنيه وقد قبضها وأنه لا يصرف الباقى إلا إذا علم لأى سبب ومقابل أى شىء يصرف هذا المبلغ إلى كافاليرى . فاغتاظ الخديو وخاطب يكن باشا : يوسف بالتلفون وقال له إن الخديو زعل كثيراً من امتناعه ، ولكنه أصر على الامتناع . أخيراً أرسل الخديو عبد الله أفندى البشرى إليه بجنيف يلح فى الطلب ، فكتب له جوابا باسم الخديو وكلفه بتوصيله ، وملخص هذا الجواب (أنه إذا دفع الخديو باقى الأربعة ملايين مارك إلى ألمانيا ، فهو أيضاً يرد الثلاثة آلاف جنيه الباقية باسمه) . لما سلم البشرى هذا الجواب للخديو زاد غيظه وكاد يصعق . ثم سافر يوسف إلى ويانه وأخبر سفير الدولة بكل ذلك فقال له السفير إننا نعلم بمسألة استخدام ألمانيا للخديو وإعطائه المبلغ . ولكن ماكنا نظن أنه يختلس الباقى بهذه الكيفية .

ومقابلتنا الخديو لتحقيق ذلك

قال يوسف كذلك أن الخديو قال له أنه سيرد (أربعمايه ألف مارك) مدعياً أنها الباقى ، وأن الباقى صرفه رجاله وهو واثق منهم ، أى أنه يختلس نحو مليون وربع

فقط. ومما قاله أن رفيقة الخديو، مدام لوزانج، هي المانعة فى رد المبلغ الألمان.
وعلى ذلك أغضب الخديو الألمان وسقط بالمرة فى عيون الجميع وأصبح من المستحيل
تقريباً أن يعود لمصر .

لما كان على بك الشمسى بلوسرن فى الشهر الماضى وقابل الخديو، علم بوجود
كافاليرى بالأوتيل الذى

(١٥٦)

كان هو به، وشاهد على يكن علامات الإضطراب لما أخبره بوجوده، ولكنه
ماكان يعلم إذ ذاك بهذه المسائل فلم يعلق عليها أهمية، إلا أنها ظهرت له الحقيقة
لما سمعنا تفصيلات إسماعيل بك لبيب .

سافر الشمسى فى الأسبوع الماضى إلى انترلاكن، وقابل محمد على أخ الخديو
فقص عليه ما كان من أمر الخديو وقنصل الدولة، ومحمد على ساخط على أخيه غير
موافق على تصرفاته . قابل الشمسى الخديو فى القطار صدفة فى محطة Spiez
فوقف معه دقيقتين ولم يعلم منه شيئاً جديداً . كان مع إسماعيل لبيب أثناء عودته
من الآستانة : الشيخ محمد عثمان، والمسيو ارواى فأخبرا الخديو بعودته فطلبه
تلفونيا بواسطة محمد فهمى الذى بلغه الإشارة وطلب منه أن لا يخبرنى أنا ولا الشمسى
بهذا الطلب فأخبرنا (طبعاً) وسافر ظهر الخميس .

كذلك جاءت إشارة تلفونية من البشرى إلى روشبرون مساء الخميس المذكور
بأن تسافر إلى لوسرن لمقابلة الخديو يوم الجمعة فسافرت بقطار الساعة ١٠، الدقيقة
١٠ .

شفيق باشا سافر هو أيضاً إلى لوسرن يوم الإثنين ٢٣ الجارى ولم يعد لليوم
(٢٨) منه .

قرأت فى الأهرام جواباً مفتوحاً مرسلا من محمود بك فهمى سكرتير الحزب
الوطنى بالتبرؤ من الحزب وهاك نص جوابه (١) .

يوم السبت ٢٨ منه، طلبنى الخديو أنا والشمسى للسفر إلى لوسرن، فوعدنا بالسفر
يوم الأحد . وفى مساء السبت، عاد إسماعيل لبيب وشفيق باشا وأخبرانا بأنهما كلما
الخديو بكل شدة، وأنه اعترف بقبض المبلغ وبأنه أرسل منه مليونين إلى المسيو كايو

(١) لم يرد نص الجواب فى أصل المذكرات .

عن يد المسيو بولو، ولكن بولولم يسلمه إلا مليوناً وأكل الثانى بدليل أنه اشترى أرضاً بفرنسا بنصف مليون، وأن العشرة آلاف جنيه كانت حولت لباريس لمشترى أسهم من جريدة الفيجاور، وبعد إن وجدوا سمسارا لمشترى الأسهم عدل السمسار، وخاف أن يكون فى الأمر سراً سياسياً، فأعيد المبلغ إلى لوسرن وأودع باسم يوسف باشا. وعدهم الخديو برد المبلغ الباقى بعد عمل الحساب لكنه رفض العودة إلى الآستانة أو إلى ويانه. مما قاله يوسف صديق لإسماعيل لبيب أن الخديو سعى لدى فرنسا وإنكلترا بأن يحفظا له أملاكه بواسطة باغوص باشا نوبار الأرمنى واجاتون بك، ولكن أنكر الخديو ذلك وقال بأنه حقيقة قابل اجاتون ولكن ليكلفه بأن يذهب لمصر ويزور تفاتيشه ويقدم له تقريراً عنها.

سافرت أنا والشمسى يوم الأحد، الساعة ١٠ والدقيقة ١٠ فوصلنا اوسرن الساعة أربعة ونصف بعد الظهر وكان عبد الله البشرى

(١٥٧)

بإنتظارنا، فأخبرنا بأن الخديو سافر وسيقابلنا صباح الإثنين. لم يعد الخديو إلا مساء الإثنين وقابلنا صباح الثلاثاء ٣١ أغسطس، فكلمناه بحضور البشرى بخصوص السفر إلى الآستانة ورد مبلغ ألمانيا، ولمناه من طرف خفى على إشتغاله بمثل هذه المسائل الحاطة من كرامته، فلم يعد برد المبلغ، بل قال إن هناك حسابات كثيرة سيتدفع منه. أما عن السفر إلى الآستانة فامتنع بالمرة وقال لنا إنه أرسل للسلطان جواباً وقرأ علينا مسودته بالفرنسية، وهو يلخص فيه شكاويه الوهمية من الحكومة العثمانية والألمانية، ويقول فى أخره بأنه لا يعود للآستانة حتى تنتهى الحالة الحاضرة التى يتمنى أن تكون خاتمتها فى صالح دولة جلالته، فقلنا ان هذا رفض بات ربما يتمسك به الأتراك ضده عند اللزوم: فقال إنى أقصد بالحالة الحاضرة، حالتى الخصوصية ومعاملة الأتراك لى لا الحرب، فاجبناه بأن باقى العبارة يفسر القصد منها وهو الحرب، فضحك وقال تفسر على الوجهين، فأظهرنا أسفنا لإرساله هذا الجواب بدون أخذ رأينا، وأننا لو استشرنا فيه لما وافقنا على إرساله.

ارسال جواب من الخديو للسلطان برفض العودة للآستانة

ومن الغريب أنه سافر بعد ظهر الأحد إلى مونترو Montreux مع يكن باشا، والسيد كامل، وعبد الحميد شديد، وبعض أصفيائه الأرنؤود لتحريره وترجمته إلى التركية، وتركنا ننتظره طول يوم الإثنين، ثم عاد ليلا وعاد معه السيد كامل، وقضى الليلة بالأوتيل الذى نحن به، وسافر فى الصباح إلى الآستانة، ولم يقابلنا بل لمحناه صدفة

وهو خارج راكباً سيارة من اللوكاندة التي بها الخديو قاصداً المحطة ولما سألت الخديو هل أرسل هذا الجواب فقال إنه بالطريق ولم يقل لنا إنه أرسله مع السيد كامل . ثم عدنا بلا فائدة يوم الأربعاء إلى جنيف .

يوم الخميس ٢ سبتمبر ، وصلتني كارت بوسطة من زوريخ من يوسف صديق باشا ملخصها أنه حضر إلى جنيف بمأمورية صغيرة قد أنهاها على خير وأقام يومين ولم يوفق لمقابلتنا ، وأنه يخبرني بأن الخديو لم يزل يخابر الأعداء مع يكن باشا ، وإنهما قابلا مندوبيهم بحدود إيطاليا في الأسبوع الماضي . **فحفظتها مع الأوراق المهمة .**

**باهر صــــدقي ومشروع مؤتمر مصر ببرلين**

وصل مساء الثلاث إلى جنيف ، باهر بك صدقي بن محمد صدقي باشا ياور خديو سابقاً ، آتياً من برلين من قبل الشيخ جاويش ومنصور رفعت ، طالباً منا السفر إلى برلين للإتفاق معهم على مشروع تأسيس لجنة مصرية هناك تمثل مصر في المخابرات السياسية الخاصة بمصر خصوصاً عند الكلام في الصلح ، وأن أنور باشا موافق على المشروع ومستعد لدفع كل ما يلزمه من النقود ، وأنه كتب لحقي باشا سفير الدولة هناك بمساعدتنا وأن المانيا موافقة أيضا ، وأنهم يريدون عقد مؤتمر مصري ببرلين يجمع المصريين الموجودين بأوروبا إلى غير ذلك من الأمور التي تهم مصر . فوافقنا على الرأي مبدئياً ووعدنا بالسفر في أقرب وقت .

**(١٥٨)**

بعد عودتنا جميعاً من لوسرن ، اجتمعنا في صباح الخميس ، وتباحثنا فيما يجب علينا عمله إزاء تصرفات الخديو هذه ، فاتفقنا على الإجتماع ثانياً بعد الظهر في منزل شفيق باشا وندعو محمد فهمي ليكون معنا أيضاً للبحث في ذلك ، فاجتمعنا و بعد سرد هذه الحوادث واستخراج نتائجها ، اتفقنا نحن الخمسة شفيق باشا، إسماعيل لبيب ، علي الشمسي ، محمد فهمي ، أنا ، على أن نحرر للخديو تقريراً فيه شرح هذه الوقائع ونطلب منه أن يعود للآستانة ، أو على الأقل إلى أي بلد يريد من النمسا أو المانيا ، وأن يقطع كل علاقة مع الأشخاص التابعين للدول المحاربة : وأن يرد لألمانيا باقي النقود فوراً ، وأن ينفذ ما اتفقنا عليه في لوسرن في شهر إبريل ثم أيدناه في ويانه في يونية : من إنشاء لجنة تكون بجانبه تشتغل معه في الأمور السياسية السياسية ، بحيث لا يأتي عملا إلا بموافقتها . وفي المساء ، اجتمعت أنا والشمسي ولبيب ووضعنا صورة الجواب .

**( انتهت الكراسة الخامسة )**

# الكراسة السادسة

من صفحة ١٥٩ الى صفحة ١٧٨

(١٥٩)

اجتمعنا صباح يوم السبت ٤ سبتمبر بمسكن شفيق باشا ونقحنا صورة التقرير المواد تقديمه للخديو ، ثم كتبنا منه ست صور كل منا الخمسة صورة ، والسادسة لتقدم للخديو ووقعنا نحن جميعا على كل الصور وأخذ كل منا واحدة لحفظها حجة على باقى اخوانه ان عدل أو خان ، أما الموقعون فهم شفيق باشا، وعلى الشمسى ،واسماعيل لبيب ، ومحمد فهمى ، وأنا . وقررنا ان أسافر مع لبيب بك إلى برلين للتكلم مع حقى باشا سفير الدولة العليه بها ليخابر الباب العالى فى أننا نريد تقديم هذا التقرير للخديو ، فإن قبل طلباتنا فيها ، والا فننفصل عنه ، ولكن بما أن صلحنا معه كان على يد أنور باشا وطلعت بك فلا نريد أن يكون اقتراحنا الا بعلمهم وعن يدهم كذلك ، ولنعلم ما تنوى الحكومة العثمانية عمله نحوه . أما طلبنا فهو تطبيق الفرمانات أى أن يعين ولى عهده الأمير عبد المنعم مكانه فإن رفض أو منعه والده فأخوه عبد القادر ، ثم الأمير محمد على ، وهكذا حسب ترتيب الوراثة المقرر . فإن وافقتنا الدولة كتبنا تلغرافيا لا خواننا بجنيف ليقدموا التقرير بنفسهم للخديو حتى يناقشوه عما فيه ويجتهدون فى اقناعه ، والا فليسعوا فى استصحاب الأمير عبد المنعم معهم ويحضروا لبرلين ليرافقه وفد منا للآستانة ، واستصدار أمر تعيينه . بناء على هذا الاتفاق سافرت مع اسماعيل لبيب صباح الأحد ٥ منه قاصدين زوريخ وقضينا الليلة بها ، ثم سافرنا بعد الظهر يوم الاثنين الساعة ١ ونصف إلى برلين فوصلناها الثلاث الساعة ٩ . وبعد الاستراحة خابرت السفارة تلفونيا بحضورنا وبرغبتنا مقابلة السفير ، فحددوا لنا الساعة الرابعة بعد الظهر . توجهنا معا فى الميعاد وقابلنا السفير فورا وقصصنا عليه ما دار فوعد بارسال تلغ اف للدولة حالا ونصحنا بعدم اتيان أى عمل نحو الخديو حتى يصله الرد .

الحضــــور الى برلين مع اسماعيل لبيب

مقابلتنا للسفير العثمانى

مما علمناه نقلا عن يوسف باشا إلى اسماعيل لبيب خبر يؤيد خيانة عباس ، وهو أنه كتب تفويضا لبولو باشا الفرنساوى فى كل أشغاله الخصوصية وفيما يتعلق بالمسألة المصرية ، وأن شخصا فرنسيا أخبر يوسف باشا بأنه رأى صورة الجواب الفتوغرافية بنظارة خارجية فرنسا . فسأل يوسف باشا الخديو عن هذا الجواب فأنكر بتاتا ، ولما رد عليه بأن فلانا رأى صورته أصر على الانكار وطلب منه مواجهته فأحضره يوسف باشا اليه ، ولما سمع العبارة من الرجل خجل واعترف وطلب منه أن لا يخبر شفيق باشا :

قال شفيق باشا إن عبارة الجواب حقيقية ، وأن بولو طلبه من الخديو أثناء احدى مقابلاته مع الخديو

(١٦٠)

فعارض شفيق باشا ، ولكن لما ألح عليه الخديو كتبه ولكن جعله خاصا بشؤون الخديو الخصوصية فقط . ويظهر أن عباس لم يوقع على هذا الجواب بل حرر غيره ( ويقال انه بخط خليلته مدام لوزانج ) بالكيفية التى طلبها بولو . ثبت من ذلك انه يخابر الأعداء فى المسألة المصرية .

ومما قاله يوسف باشا أن الخديو لديه خرط مفصلة عن جهات الأناطول ، وأنه قال له «لو دخلت ايطاليا مع الدولة فى حرب يمكنا اعطاء هذه الرسوم لايطاليا » . ويظهر أنه نفذ هذه الخيانة ، لأن يوسف صديق كتب لى تذكرة بوسطة مفتوحة من زوريخ فى ٤ سبتمبر يقول لى فيها بأنه كان بجنيف أثناء وجودى بلوسرن ، وأنه يأسف لعدم مقابلتى ، ولكنه يخبرنى بأن الخديو مازال مستمرا على مخابرة الأعداء وأنه قابل مندوبيهم هو ومحمد يكن باشا على حدود ايطاليا فى الاسبوع الماضى ، فحفظتها ضمن أوراقى . هاك نتيجة التقرير الذى كتبناه بصفة بلاغ للخديو ، النتيجة : يرى الموقعون على هذا أنه من الواجب عليهم نحو سموكم ونحو مصر العزيزة أن يلتمسوا من جنابكم العالى **أولا** : رد ما يكون باقيا لديكم من نقود ألمانيا اليها فورا **ثانيا** : قطع كل علاقة مع هؤلاء الأشخاص ( بولو اخوان ومن على شاكلتهم ) . **ثالثا** : العودة إلى الآستانة أو إلى احدى بلاد ألمانيا أو النمسا . **رابعا** : تنفيذ ماتقرر فى اجتماع لوسرن فى شهر أبريل الماضى ، وتأيد فى اجتماع فيينا فى شهر يونيو من

وجود لجنة مركزية تمثل الوطنيين بجانب سموكم لتشترك معكم فى كل الأعمال السياسية الخاصة بمصر . هذه هى طلباتنا يا مولانا نقدمها بكل احترام إلى سموكم ، راجين قبولها لأن فيها دون غيرها تحقيق آمالنا وحفظ شرف خديوينا وكرامة أمتنا ، واننا نعد سموكم بأننا نعمل معكم اذ ذاك بكل أخلاص وصدق كما كنا للآن ، وإلا فواجبنا الوطنى يحتم علينا أن نسلك طريقا آخر فيه تحقيق آمالنا وسلامة وطننا العزيز .

فى اليوم التالى لوصولنا اجتمعنا مع الشيخ جاويش، والدكتور منصور رفعت، وتكلمنا طويلا فى ضرورة جمع كلمتنا ، وتوحيد مساعينا ، لنكون قوة أمام الأعداء والأحباب فنحترم وتكون لنا مكانة عظيمة . وبعد اجتماعين اتفقنا على تقديم تقرير لأنور باشا

(١٦١)

نشرح فيه خطتنا ونشفعه بميزانية عن المال اللازم لأعمالنا ، ونوقع عليه نحن جميعا ثم نرسله اليه عن يد السفير هنا .

مقابلتى الثانية لحلمى باشا السفير وجواب الدولة

قابلت السفير ثانيا يوم الجمعة ١٧ منه مع الشيخ جاويش، فقال ان الباب العالى رد عليه بأنه لا يرى مانعا من ارسال ما نرى إرساله للخديو ، فقلت له اننا نريد فى حالة عدم انصياع الخديو لطلباتنا أن نطلب من الدولة عزله وتعيين ولده ، ونريد الوقوف على رأيها فى هذا الأمر قبل الإقدام عليه . فأجاب بأن المخابرة مع الباب العالى بالكتابة فى مثل هذا الموضوع فيها خطر ولو كانت بالأرقام ، لابد مثل هذه المكاتبات تمر على أيد كثيرة هنا والباب العالى لوضعها بالكتابة الرمزية وحلها هناك ، ويخشى لذلك من إذاعة الخبر وأن الأولى أن يسافر أحدنا للآستانة للتكلم فى هذا الموضوع شفويا ( من الفم إلى الاذن ) كما عبر هو بالفرنساوية . على أنه ينصحنا بأن لا نقطع كل علاقة مع الخديو بل نهدده فقط مع بقاء الباب مفتوحا للمخابرة معه ، وأننا فى آن نشر تصريحا فى أحد الجرائد الكبرى تنفى عن الخديو كل اشاعة بمخابرته مع الأعداء ، ونقول فيه بأننا لا نصدق أن الخديو يأتى مثل هذا العمل السافل الذى يعود عليه بالضرر الخ الخ .

ومما قاله لنا السفير أن الدولة لا تود عزل الخديو الآن ، وفتح مسألة خلفه ، لأنها لا تشتغل بمصر فى هذه الظروف اشتغالا جديا ، بسبب اهتمامها بالدفاع عن البوغاز وتوجيه كل قواتها إليه ، فلما تفتح طريق الصرب ويأتيها ما يلزمها من المدافع والأسلحة والذخائر من ألمانيا وتسير الحملة القوية على مصر ، يمكنها اذ ذاك الاشتغال فى مسألة عزل الخديو ان استمر على خطته العوجاء . ويظهر لى من كلامه بأنه مأمور بأن يبلغنا

ذلك ، ولو أن كل كلامه لنا كان بصفة خصوصية شخصية . لذلك رأينا أن نرسل اسماعيل لبيب بك إلى جنيف ليبلغ الاخوان هناك ذلك ، ويتفق معهم على ترك مسألة ولى العهد الآن .

١٧ منه ، وصلتني تذكره من على بك الشمسي يخبرني فيها بأنه قابل الخديو بجهة Territet (١) ، ولكنه لم يذكر لى شيئا عما دار بينهما لا اجمالا ولا تفصيلا ، فكتبت اليه أطلب بعض الايضاح .

كتبت ليوسف صديق باشا بويانه أحسن له الحضور لهنا علنا نقف منه على شيء جديد بخصوص عباس .

(١٦٢)

وصول عبد الملك حمزة ومحمد على محمد من الاستانة

فى ٢٤ منه وصل من الآستانة عبد الملك حمزة ، ومحمد على محمد المهندس ، بعد أن رافقا الحملة المصرية إلى الحدود . واجتمعنا مرتين بدار الشيخ جاويش فوجدنا منهما اصرار على معاكسة كل ما يخص الخديو ترويجا لترشيح سعيد حليم خديويا على مصر . . وفى الاجتماع الثانى زاد عبد الملك فى الوقاحة ضد اسماعيل لبيب حتى هم بالخروج من الاجتماع ، وخرجت خلفه لاسترضيه واسترجعه . ويظهر أنه فى أثناء غيابى القليل تشاتم عبد الملك مع الدكتور (٢) مما إستفز هذا الاخير لضرب عبد الملك لولا وجود الشيخ وتوسطه بينهما . وعلى ذلك انفض الاجتماع بلا نتيجة . كان ذلك بعد ظهر يوم الجمعة ، وكان من المقرر سفر منصور للآستانة للمخابرة مع رجالها فى المواضيع التى نشتغل بها الآن بما أن الشيخ رفض السفر لتمسك زوجته بمرافقته مع الأولاد .

مأموريتهما

وعلمت ثانى يوم ٢٥ ، منه أن الدكتور عدل عن السفر ونفر من السياسية وسافر فعلا إلى هولانده بعيداً عن المصريين والأتراك . وأخبرنى اسماعيل لبيب بك بأن أخاه أخبره بأن عبد الملك وزميله حضرا للاشتغال فى استمالة الشيخ جاويش إلى مساعدة حليم باشا وفصله عنى أنا ولبيب لأننا متمسكون بالفرمانات ونطلب تطبيقها بتعيين ولى عهده مكانه إذا امتنع عن إجابة طلباتنا . . ومما قاله الدكتور لأخيه عن عبد الملك وزميله بأنهما يتهمانني بالميل للخديو كل الميل وبأن الأتراك أصبحوا لا يثقوا بى ،

---

(١) تيريتيه Territet : بلدة فى سويسرا كان يستشفى بها محمد فريد من مرضه ، ومنها بعث بآخر رسالة له قبل وفاته الى جريدة الأفكار ، وكانت الرسالة بمناسبة ذكرى احتلال الانجليز للعاصمة . ( الرافعى : محمد فريد ، ص ص ٣٦٥ - ٦٧ ) .

(٢) يقصد : الدكتور منصور رفعت .

كما أنهما قالا مثل ذلك للشيخ (كل هذا وهما يتظاهران لى بالاخلاص الكلى)، وأن الأمر أصبح فى الآستانة فيما يختص بمصر فى يد فؤاد سليم بك وذيله الدكتور فؤاد.

وعلى ذلك اتفقت مع اسماعيل بك على ترك هذين الشابين وعدم التكلم معهما فى شىء، وكذلك على ترك المخابرة مع الآستانة بخصوص الخديو الآن، وعلى عدم مقاطعته كلية كما كان عزمنا، حتى لا تعطى سلاحاً للأتراك ضده فيبنون عزله على عدم رضانا عنه، ولا يعينون من نطلب مكانه بل يتخذونها فرصة لتعيين سعيد حليم أو أخيه عباس وهو مالا نقبله. وقررنا أن يسرع لبيب بالسفر إلى جنيف لتفهيم الاخوان هناك بذلك وبجمع العريضة التى كنا حررناها ووقعنا عليها هناك لتقديمها له إذا وافقنا الأتراك على تعيين ولى عهده حسب الفرمانات.

تعديل خطتنا قبل الخديو

(١٦٣)

سافر اسماعيل لبيب إلى جنيف مساء يوم الخميس ٣٠ سبتمبر لإتمام ما اتفقنا عليه، أما منصور رفعت فموجود فى كوبنهاج (١) عاصمة الدانمارك.

فى مساء يوم السبت ٤ سبتمبر ضرب شخص اسمه صالح أفندى عبد اللطيف: إبراهيم باشا فتحى (٢) بسكين فى رقبته قاصداً قتله، وذلك على رصيف محطة مصر وقتما كان الوزير ينتظر قطار الصعيد للسفر، وبينما كان واقفاً بين كثيرين من الضباط المسافرين إلى السودان، لكنه لم يمت. ويظهر من الجرائد المصرية أن المتعدى قال انه كان يريد قتله وأن هناك اتفاق على قتل كل الوزراء. المتعدى عمره (٣٥ سنة) وهو صراف أو عداد فى المالية (٣). الجناية سياسية محضة وتدل على أن

الاعتداء على حياة ابراهيم فتحى باشا وزير الأوقاف بمصر

---

(١) كوبنهاج Copenhague: هو النطق الفرنسى لمدينة Copenhagen.

(٢) ضابط مصرى شهير، اشترك فى حروب السودان وتقلب فى المناصب الادارية العالية، فرأس البعثة التى ارسلت من مصر لتعيين حدودها الشرقية، ثم عين مديرا لأسيوط والغربية، كما عين وزيرا للأوقاف من ٢٠ مايو ١٩١٥ الى ١٩ ديسمبر فى وزارة حسين رشدى باشا، ثم وزيرا للحربية والبحرية مرتين: الأولى من ٢٢ مايو ١٩٢١ الى ٢١ ديسمبر ١٩٢١ فى وزارة عدلى يكن باشا والثانية من أول مارس ١٩٢٢ الى ٢٩ نوفمبر ١٩٢٢ فى وزارة عبد الخالق ثروت باشا.

(لمزيد من التفاصيل انظر: الياس زخورا، ص.٧٩، والنظارات والوزارات المصرية، ج١ ص ص ١٨٩، ١٩٥، ٢٢٢؛ ٢٣٠، ٢٣٣).

(٣) حوكم المتهم أمام مجلس عسكرى بريطانى وحكم عليه بالإعدام شنقا ونفذ الحكم يوم ٣ أكتوبر سنة ١٩١٥.

الأفكار الإرهابية تسربت من الشبان المهمتين بالتهوز إلى من هم أكبر منهم سنا ، وتدل على (١) التذمر والفكرة الثورية عمت أو ستعم قريباً جميع طبقات الأمة رغماً من الشدة التي تستعملها الحكومة في حبس كل من يشتم منه رائحة الميل إلى هذه الأعمال ، فقد قبضوا على اسماعيل أفندى حافظ نسيبي وعلى كثيرين من رجال الحزب لم تصلنا اسماءهم واعتقلوهم فى طره أو أرسلوهم إلى مالطة(٢) .

يوم السبت ٢ أكتوبر ، قابلت المسيو زمرمان وكيل الخارجية وكلمته بشؤن الحركة الإسلامية ، وضرورة إيجاد اتحاد إسلامى ، كالاتحاد الجرمانى ، بين الدولة العلية ومصر والعجم والأفغان . إذ لو وجد هذا الاتحاد ووجد تحالف بين الاتحادين لأصبحنا قوة لا تعارض ، فقال أنهم يشتغلون فى ذلك وأنهم جهزوا الأفكار لتنفيذ هذا المشروع العظيم بمجرد أن تضع الحرب أوزارها . ثم قال عن الحملة المصرية أنها ستكون فى فبراير المقبل وأن لابد لتنفيذها من فتح طريق بين النمسا والدولة العلية عن طريق الصرب . ولذلك فإن الحملة ضد الصرب ستسير قريبا أى بعد نحو عشرة أيام ، لتتمكن ألمانيا بعد ذلك من إرسال المدافع الضخمة إلى جهة قنال السويس حيث بدونها لا يمكن أو يصعب عبور القنال المذكور . وقد قلت له أثناء الحديث أننا مستاءون من تصرف الخديو وأخذه الملايين ، ثم رفضه ردها أو رد ما بقى منها ، وأننا كنا نجهل هذه التصرفات الدنيئة حتى تركه يوسف صديق وأباح بها لكل إنسان ، وأننا لو وقفنا على هذه الأمور فى مبدأ الأمر لمنعناه منها قطعيا . أريد بكل ذلك أن لا يعتقدوا أننا مشتركون معه فى هذه السفالات . وكانت المحادثة بكل صفاء وعدم تكليف وسررت منها كثيراً

مقابلتى لوكيل الخارجية الالمانية

وصل يوسف صديق باشا إلى هنا وقابلته يوم الثلاث ٥ أكتوبر فقص على تفصيلات مسألة أخذ النقود من ألمانيا لمشترى رجال السياسة بفرنسا بعض أسهم جريدتى الفيجارو والطان الباريزيتين .

يوسف صديق باشا فى برلين

(١٦٤)

وما قاله لى لا يخرج عما قصه على اسماعيل لبيب فى ويانه وشرحته فى الكراس السابق ولكن زاد عليه بعض أشياء أهمها أن المبلغ الذى كان متفقا عليه بين الخديو والألمان

---

(١) يستقيم المعنى بإضافة كلمة (أن) بعد كلمة (على)

(٢) قامت السلطات العرفية التى تولت حكم البلاد خلال الحرب العالمية الأولى باضطهاد الحزب الوطنى ، فاعتقلت بعض رجاله فى المعتقلات الداخلية وأرسلت البعض الآخر إلى مالطة وأوروبا . ( الرافعى : ثورة ١٩١٩ ج ١ ، ص ص ٣٠ ، ٣١ ) .

هو عشرة ملايين مارك تدفع أقساط شهرية كل قسط اثنين مليون مارك ، وأن القسط الأول دفع بثلاث شيكات من دروسدن بنك(١) فى برلين باسم الخديو تدفع احداها فى زوريخ ، والثانية فى سان جال (٢) والثالثة فى فريبورج وأن الخديو استلم تحويله زوريخ وسلم مبلغه إلى المسيو Cavallinni ( لا كفاليرى(٣) ) مندوب بولو بلا وصل ، وحول المبلغين الباقيين على البنك التجارى الإيطالى ليقبضها بايطاليا فى ميلانو ، وأن كفاليني المذكور أعطى صديق باشا خمسين ألف فرنك بدل المائة الألف التى كان متفقا عليها مع بولو ليوسف وعلى مثلها لمحمد باشا يكن ، وأن الخديو كلفه بأن يحول ثلاثة آلاف فرنك من هذا المبلغ إلى أخت رفيقته مدام لوزانج بباريس وأخذ منه أربعين ألف كان ضمنه فى مثلها لبنك رومه فى العام الماضى مقابل كتابة جواب للبنك المذكور من الخديو يخبره فيه بانه قبض المبلغ من يوسف صديق و يحوله به على الدائرة الخاصة بمصر بحيث لم يبق ليوسف باشا إلا سبعة آلاف فقط القسط الثانى دفعته ألمانيا ثم ظهرت عبارة تلاعب الخديو فلم تدفع الباقى. كايو لم يستلم شيئا ، بل المبلغ كله وقدره اثنين مليون فرنك ومايتين ألف وثمانية آلاف فرنك قيمة القسط الأول استلمه المسيو كفاليني بالكامل ، وأخذه بولو لنفسه واشترى بجزء منه أراض فى بلدة Biarritz (٤) كما علم ذلك بالكيفية الآتية :

المسيو بولو له صاحبة فى بلدة اسمها Edith علمت بالأمر فأخبرت صديقة لها اسمها Mari La Fargue وهى أخبرت روزنبرج المالى الشهير بباريس وهو أخبر صديقه وشريكه المسيو بتلهم Betlehem المقيم فى ويانه ، وهو أخبر يوسف صديق الذى أخبر الخديو ثم قص بتلهم المسألة بنفسه على الخديو .

---

(١) بعد أن تخلت كل من فرنسا وانجلترا عن سياسة حماية الدولة العثمانية والمحافظة على تكاملها السياسى منذ مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ ، حدث تقارب بين تركيا وألمانيا صحبه امتداد النفوذ الألمانى الاقتصادى الى الدولة العثمانية تجلى فى السياسة الخارجية لألمانيا المعروفة بسياسة الاتجاه نحو الشرق Drang nach östen وقد امتد هذا النفوذ بالتبعية الى الولايات العربية التابعة للدولة العثمانية ، فقد أنشئت مصارف ألمانية عديدة ببلاد الشرق العربى أهم ما يعنينا منها ما قام به فى سنة ١٩٠٥ بنك درسدن Dresden Bank الوارد ذكره بهذه المذكرات من انشاء بنك سمى باسم « بنك الشرق الأدنى » كانت له فروع فى القاهرة والاسكندرية وازمير ( أنظر : د. محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربى ( ١٥١٤ — ١٩١٤ ) ص ص ٢٠٨ — ٢١٠ ، جورج انطونيوس : يقظة العرب ، ص ٧٤ ) .

(٢) سان جال Saint Gall مدينة فى سويسرا ( أنظر Petit Larousse, p. 1665)

(٣) يقصد بذلك أنه شخصية غير الشخصية التى سبق ورودها تحت اسم كفاليرى . ( أنظر ص ١٥٥ من هذه المذكرات ) .

(٤) بياريتز Biarritz ، مدينة في جنوب فرنسا تقع على خليج بسكاى .

المليون وخمسين ألف فرنك المتهم يوسف باشا بأخذ ٧٥ ألف منها كانت أودعت بإسمه فى La Banque Scouronali Vandoise وأصلها أرسلت إلى مسيو Proust السمسار بباريس ليشترى بها أسهما فى شركة الفيجاور فخشى العاقبة ورفضها .

(١٦٥)

ثم حول منها ١٧٥ ألف باسم كفالينى فى باريس لتعهده بالكتابة فى الجرائد فى صالح ألمانيا . والباقى أعيد من باريس إلى فريبورج باسم يوسف باشا ومازال بها وهذا المبلغ من القسط الثالث .

الخديو يخابر الإنكليز بواسطة سفيرها فى رومه عن يد مبعوث إيطالى اسمه Bruno Cardi وهو المقصود فى الكارت التى أرسلها لى يوسف فى أوائل سبتمبر من زوريخ ويقول لى فيها بأن الخديو خابر الأعداء من الحدود الايطالية حيث كانت هذه المقابلة فى مدينة Lucarno السويسرية . لما كلم الخديو فى رد المبلغ الباقى كان بحضور رفيقته فعارضت فى رده للألمان أعداء فرنسا فقال الخديو : لا إنى سأرد أربعماية ألف فرنك وأقول أن الباقى صرفه رجالى وأنا واثق منهم .

**الأوقاف مشترى لأطيان أخ شفيق باشا**

من سفالات الخديو التى قصها على يوسف باشا ، تفصيلات هذه المسألة التى قرأت شيئا عنها فى جرائد مصر وهاك ملخصها : لتوفيق باشا أخ شفيق باشا ثلاثة آلاف فدان كان قد اشتراها من الدائرة السنية فى جهة أرمنت ، وتأخر فى دفع أقساطها للبنك العقارى الذى حل محل الدائرة ، فشرع البنك فى نزع ملكيتها وعرضت فعلا بالمزاد فلم تجد مشتريا بخمسة وأربعين جنيه الفدان أو بأقل مما عليها للبنك ، فأوقف البنك بيعها ، ثم سعى الخديو فى بيعها للخديو(١) وتم الأمر بثلاثة وتسعين (٩٣) جنيه الفدان أى بضعف الثمن الأساسى الذى كان مقدرا لبيعها ، ويقول يوسف بأن الخديو أخذ من هذه الصفقة ستة وخمسين ألف جنيه لنفسه ، وان لشفيق باشا حصة فى هذه الأطيان مع أخيه .

يقول يوسف باشا أن الخديو اصطلح مع بولو وأنه الآن معه فى سويسرا وانه رد اليه الجواب الذى كان وكله فيه فى جميع شؤونه وشؤون مصر . ولكن لابد أن تكون أخذت صورته الفوتوجرافية وانهما يدبران أمرا لاتهامه ( يوسف ) بأنه سرق المليونين مع كفالينى . وأخيرا بأن الخديو ربما يعود إلى ويانه ، وهذا الأمر لا تعرف حقيقته إلا بعد عودة اسماعيل لبيب بك من جنيف .

---

(١) لابد وأن محمد فريد يقصد الهيئة .

تمديد اجل شركة قنال السويس

لما شرع الإنكليز فى تمديد أجل شركة قنال السويس فى سنة ١٩١٠ ، وجمعت الجمعية العمومية المصرية للموافقة على المشروع ، قيل رأشيع وقتها أن للخديو وبطرس باشا سمسرة جسيمة فيما لو نجح المشروع بمساعيهم ولكن لم يكن لدينا إذ ذاك أى دليل على ذلك ، الآن أخبرنا يوسف صديق بحادثة جديدة تؤيد تلك الإشاعات القديمة قال :

إن أصل معرفة بولو بالخديو مشروع مالى وهم(١) ضم شركتى الأزبكية وشركة Les biens fonds التى للخديو كل أسهمها ،

(١٦٦)

وجعلهما شركة واحدة أوروبية تصدر أسهمها فى باريس ويمكن للخديو إذ ذاك أن يبيع منها ما يريد لتحسين مركزه المالى ، وأثناء المخابرات فى هذا الشأن دعى بولو الخديو جملة مرات وجمعه ببعض أصحاب النفوذ بفرنسا ( وبالأخص المسيو كايو المشهور والمسيو Mounier رئيس مجلة السين ) . ومن ضمن الأمور التى شرعوا فيها إبرام معاهدة بين الدائرة الخاصة أى الخديو والمسيوبولو ، مضمونها أن يسعى الخديو فى إنجاح مشروع تمديد أجل شركة القنال ويكون للخاصة مقابل ذلك ٢٥ فى المائة فى القومسيون الذى تدفعه شركة القنال ، وللمسيو بولو ٢٥ فى المائة ، وخمسين فى المائة الباقية ليوسف صديق أى للخديو . وقد حررت هذه المعاهدة فعلا وأخذها معه يوسف باشا إلى باريس فى أوائل أغسطس سنة ١٩١٤ . وبالطبع سقط المشروع بسقوط حكومة الخديو وتعيين حسين كامل سلطاناً .

ومن مشروعاتهم المالية أن يؤسس بولو فى سويسره بنك يسمى البنك الكاثوليكى برأس مال خمسون مليون مارك تدفعها ألمانيا ، ويعين مديراً لهذا البنك أخ البابا الحالى واسمه المركيز Della Chiesa وتحت ستار هذا البنك تشترى ألمانيا ما تريد من جرائد فرنسا .وقدمو بذلك مشروعاً لألمانيا .وبالطبع كان للخديوجزء كبير من هذا المبلغ ولكن لم تقبل ألمانيا هذا المشروع فاستعاضوه بمشروع العشرة ملايين مارك التى دفع منها الأربعة ملايين المتوقف الخديو الآن عن رد باقيها .

قابل يوسف باشا أمس معى ( ٧ أكتوبر ) حتى باشا سفير الدولة ، وقص عليه ملخص مسألة النقود فقال إنى أعلم شيئاً عنها ولكن لم أسأل عن تفصيلاتها لوساختها .

---

(١) هكذا وردت بالأصل وصحتها : وهو .

وكتب يوسف إلى زمرمان وكيل الخارجية يطلب مقابلته بناء على سؤاله عنه منى أثناء مقابلتى له فى يوم ٢ الجارى ، فأرسلت له أحد رجاله المسيو Padel ليسأله عما يريد ، فأخبره بملخص الحادثة متبرئا مما ينسبه إليه الخديو وأخبرنى يوسف بأن هذا المسيو أخبره بأن الخديو أرسل الدكتور Amster الألمانى ( الذى كان مستخدماً بمصر وطرد بعد الحرب ) إلى وزاره الخارجية بالنمسا ، وهنا لتحسين العلائق حتى يعود إلى ويانه كما كان ويقدم حساب المبالغ ويدفع الباقى . على أنى لا أظن الرجل يعود لويانه لأنه لا يسمح له بعد ذلك بالخروج منها إلى سويسرا ، كما أنى لا أظن أنه يرد الباقى لما علم عنه من الجشع الكبير ، وهناك سبب ثالث وهو أن رفيقته لا تود الرجوع معه إلى ويانه وهو لا يقدر على بعدها عنه وستظهر حقيقة ذلك قريباً .

**(١٦٧)**

عودة لبيب من جنيف

١٣ منه ، عاد إسماعيل لبيب بك من جنيف بدون أن يقابل الخديو . وأتم مأموريته وهى رفع إمضاتنا(١) عن التقرير الذى كنا حررناه لتقديمه للخديو ثم أخبرنا بأن السيد كامل أخبره بأن الخديو أرسل تقريرين أحدهما إلى النمسا والآخر لألمانيا لتبرير عمله بإزاء الأتراك شارحاً سوء معاملتهم له . ومقدماً لألمانيا حساب المبلغ المعلوم ، واعداً بدفع الباقى وانه أرسلهما مع الدكتور أمستر ، وهذا يؤيد ما قاله المسيو بادل ليوسف صديق أثناء وجوده هنا وأخبرنى به . ثم يقول السيد كامل إن الخديو فى تقريره لألمانيا طعن فى الشيخ جاويش قائلا بأنه ليس من الحزب الوطنى بل أنه مسند انضم إليه بعض الفوضويين ممن كانوا التصقوا بالحزب المذكور أما ( أنا ) محمد فريد فهو الرئيس المحترم المعترف به من جميع المصريين ، لا أدرى ان كان هذا حقيقى أو يراد به التأثير على واستمالتى إلى جانبهم ، لا أدرى .

الحالة السياسية ١٨ اكتوبر

الحالة السياسية والعسكرية توجب الأمل فى النجاح فقد انضمت بلغاريا إلى جانبنا ، وأعلنت رومانيا واليونان الحياد ، وهجم الألمان والنمساويون من شمال صربيا والبلغار من شرقها بقصد الإجتماع معا فى نيش وفتح الطريق بين ألمانيا والدولة العلية . ولقد ترك المتحالفون الحرب تقريباً فى الدردنيل ووجهوا جنودهم لمساعدة الصرب . واعترف الإنكليز فى مجلس نوابهم بأنهم فقدوا لغاية ٩ الجارى فى الدردنيل مائة ألف قتيل وجريح وأسير . ولم تنجح فرنسا فى هجومها على الجبهة الغربية الألمانية

---

(١) هكذا وردت بالأصل وصحتها : امضاءاتنا .

بل دب الفشل في داخليتها، واستعفى دلكاسه وزير الخارجية، وأصبحت في إرتباك زائد :

٢٠ منه ، وافق عيد الأضحى وقد دعينا مع السفير ورجال السفارة لحضور صلاة العيد بمعسكر المسلمين الروس ، وكانت الحفلة مهيبة جداً يعلوها الوقار حيث اجتمع نحو عشرة آلاف من مسلمي الروسيا المختلفي الأجناس ، وكنا بجانب السفير بأول صف ، وتمت الصلاة والخطبة على أحسن شكل وكان تكبير الحاضرين يدوى فى الفضاء بكيفية تأخذ بالنفوس ، ثم مر السفير أمام صفوف الأسرى فكان يقابل بالدعاء للخليفة ( بادشاهم جوق يشا(١) ) . وبعد الظهر حصلت التشريفات بدار السفارة . وفى اليوم التالى ، الخميس ٢١ منه ، أقمنا حفلة شاى بأوتيل أسبلاناده حضرها السفير وبعض وزراء الدولة الألمانية ومعهم المسيو ياجو رئيس الوزراء وأرسلت الحكومة موسيقى عسكرية ، وخطبت أنا فى الحج من الوجهة الإقتصادية والسياسية والإجتماعية ، وخطب الشيخ جاويش فى الحج من الوجهة الدينية والتاريخية ، وخطب تركى فى الاسلام فى القرن العشرين وقد تكلمت فى آخر

(١٦٨)

خطبتى على ضرورة استعمال الحج السنوى كمؤتمر إسلامى لتوثيق روابط الاتحاد بين المسلمين لنصل لتحقيق ما نرغب فيه من إيجاد اتحاد سياسى بين الدولة العثمانية والأمم الإسلامية الأخرى على نظام الاتحاد الجرمانى ، حتى تتكون من الاتفاق بين هذين الاتحادين قوة يخضع أمامها أعداؤنا . وقد نجحت الحفلة نجاحاً عظيما .

تقابلت فى تلك الليلة مع المسيو Padel أحد قناصل ألمانيا ، كان بمصر ودمشق وساعد الخديو كثيراً ، وتكلمنا بالطبع فيما فعله الخديو مع ألمانيا بخصوص المبلغ المعلوم فأظهرت له سخطى من هذا العمل وأننا لو علمنا به لمنعناه ، وأن الحزب ورجاله أبرياء من هذه الفعلة الشنعاء ، وكان معه ضابط ألمانى آت من عهد قريب من جزيرة سينا ، فأخبرنى بأن السكة الحديد وصلت بير السبع من مدة ، وأنهم أنشأوا سكة منتظمة إلى قرب القنال تتحمل المدافع وعربات النقل الضخمة . ولذلك فهو يؤكد نجاح الحملة على مصر فى هذه السنة . ثم علمت من يادل بأن الدكتور أمستر عاد من طرف الخديو إلى هنا لمخابرة الخارجية بشأن الحساب والباقى طبعاً ، وإنه يكتب الآن على بطاقته سكرتير أوروبى الحضرة الخديوية ، وانه لم ينزل فى إحدى الأوتيلات بل عند صديق له كى لا نراه فنقف على أخباره .

٢٣ منه ، نشرت جريدة برلنرتاجبلات فى هذا المساء حديثاً لخليل بك رئيس

---

(١) دعاء بالتركية معناه «عاش عظمة السلطان» .

مجلس المبعوثان ، قال فيه ان الدولة غير محتاجه لمعاونة ألمانيا عسكرياً ، لا فى الدردنيل ولا لأجل الحملة المصرية لأن لديها من الجنود ما يكفى . وهذا ما قاله أنور باشا فى حديث له وكذلك طلعت بك وهذا يدل على تخوف الدولة من دخول عساكر الألمان بلادها أو مصر فيدب الطمع فى قلبها فترفض الخروج ، ولذلك يرى رجال الدولة عدم الإستعانة بعساكرها والإقتصار على مساعدتها لها بالضباط والمدافع والذخيرة والطيارات وما شاكل . على أنى بالنسبة لمصر فى حيرة لأنى أخشى لو دخل الألمان بها أن لا يغادروها ، ولكنى من جهة أخرى أرى أنهم لو دخلوا مع الترك يكونون حاجزاً ضد استبدادهم بنا أو تعديهم على امتيازاتنا .

٢٥ منه ، قابلت المسيو بادل أحد قناصل ألمانيا ، وكان بمصر مدير البنك العقارى الألمانى ثم أخيراً كان قنصل لألمانيا فى دمشق ، وممن لهم علاقة بالخديو ، وحادثته بالأخص فى مسألة الخديو وإمتناعه عن العودة إلى ويانه أو الحضور لبرلين ، وأنه ليس من الصالح أن يبقى على هذا الإصرار فيفتح الترك مسألة الخديوية ويتخذونها سبيلا

(١٦٩)

إلى سلبنا إمتيازاتنا ، وتعيين والى بسيط على مصر ، أو تعيين سعيد حليم خديوا لها ، وأنى أرى أن يسافر المسيو بادل إلى سويسرا لمقابلة عباس والإجتهاد فى إقناعه بترك سويسره ، خصوصاً وأنه مزمع إرسال حملة تركية إلى مصر بمجرد فتح الطريق بين ألمانيا والآستانة عن طريق الصرب وهذا الأمر منتظر حصوله قريباً لأن البلغار قد انضموا إلى ألمانيا وأغاروا على الصرب من الغرب بينما النمسويون والألمانيون يغيرون عليها من الشمال ، فقال لى بأنه فكر فى ذلك من نحو أسبوعين وأنه سيخابر رؤسائه ويستشيرهم فى ذلك ثم يخبرنى بما يتفقون عليه .

٢٩ منه ، من أخبارنا الخصوصية أن الاتراك رفضوا رسمياً إشتراك ألمانيا الحربى سواء فى الحملة على مصر أو فى الدفاع عن الدردنيل ، وأن الالمان ممتعضون من ذلك لأنهم أحسوا بأن الأتراك لا يثقون بهم بل يخشون أطماعهم فى بلادهم ولا يريدون الاستعانة بهم إلا بما لا يمس استقلالهم فى الحال أو الإستقبال ، وإنى أرى أن الأتراك منصفون فى ذلك كل الانصاف لأن جرائد ألمانيا وبالأخص الصغيرة منها والمصورة ابتدأت تكتب عن احتلال الألمان لمصر بدل الإنكليز ، وعن وضع يدهم على قنال السويس إلى غير ذلك مما يشف عما تخفيه صدورهم ، ولذلك فانى أرى من صالح مصر أن لا يشترك الألمان مع الترك فى الحملة المصرية ، لأننا لو استبد الترك يمكننا الإستعانة عليهم وتهديدهم بالمانيا ، ولكن لو احتل

الألمان بلادنا فبمن نستعين ؟ وهى قد تكون خارجة من هذه الحرب منصورة وفائزة ولا يقوى أحد على معارضتها .

المتهمـون فى قضـية القنبلة (*)

١ — محمد نجيب الهلباوى .    ٢ — محمد شمس الدين .
٣ — محمد فريد .    ٤ — محمود عنايت .
٥ — شفيق منصور .    ٦ — أحمد ثابت .
٧ — عبد الفتاح يوسف .    ٨ — على صادق .    ٩ — عبد الله حسن .

١ نوفمبر : قابلت اليوم المسيو بادل واتفقنا على أنى لما أعود إلى سويسرا مع إسماعيل لبيب بك نلح على الخديو فى أن يطلبه بتلغراف يرسله إليه بعنوانه وهو يحضر ويجتهد فى إقناعه بالعودة إلى ويانه حتى تتحسن علاقاته مع الترك وحلفائهم ويعود إلى مصر بمجرد دخول(١) العثمانى إليها ، فلا يدع لأرباب الدسائس مجالا لفتح مسألة الخديوية ليدخلوا منه الى التعدى على إمتيازات مصر كما نخشاه الآن . وعلى ذلك قررنا أننا نسافر من هنا حوالى منتصف هذا الشهر . وقد علمت منه أنه كان يعتقد بأن إسماعيل لبيب كان موجوداً بالشام بصفته مندوبا عن الخديو لا عنى بصفتى رئيس الحزب الوطنى وهى دسيسة من الشيخ جاويش ومن انضم إليه كانت نتيجتها عرقلة جمال باشا لكل مساعى إسماعيل لبيب .

(١٧٠)

٣ نوفمبر : مساء اليوم وصلنى تلغراف من أحمد فريد ابن أختى يخبرنى بوصوله إلى جنيف ولابد أن يكون مطروداً من مصر لأنه من المشتبه فيهم وفتشوا منزله مراراً .

علمنا من المسيو كندله Kindle الذى كان سكرتيرا للبارون أوبنهايم فى الآستانة ، بأن البارون عاد من الشام إلى الآستانة وانه سيحضر قريباً إلى برلين . وبعد محادثة طويلة اتفقنا أن يرسل تلغرافاً إلى البارون بأننا هنا ببرلين ونود مقابلته قبل سفرنا ليساعدنا على تحسين علائق الخديو لما له من النفوذ عليه ، ثم شفع

---

(*) يلاحظ القارىء وجود نقلة فجائية من الموضوع السابق الى موضوع « المتهمون فى قضـية القنبلة » ، وقد يكون السبب فى ذلك أن محمد فريد كان يتبع طريقة الحوليات وتتابع الأحـداث فى كتابته بصرف النظر عن التسلسل الموضوعى . وقد اتهم هؤلاء التسعة فى محاولة اغتيال السلطان حسين كامل عام ١٩١٥ وتتلخص هذه الحادثة فى أنه بينما كان السلطان متوجها لأداء فريضة الجمعة يوم ٩ يوليه من السنة المذكورة بمسجد سيدى عبد الرحمن بن هرمز بالاسكندرية ألقيت عليه قنبلة من نافذة أحد المنازل المطلة على شارع رأس التين فسقطت القنبلة على ظهر أحد جياد المركبة السـلطانية وتدحرجت على الأرض ولم تنفجر . وقد أدانت النيابة محمد نجيب الهلباوى ومحمد شمس الدين . ( أنظر الرافعى : ثورة ١٩١٩ ، ج ١ ، ص ٣٤ ) .

وقد أورد محمد فريد نتيجة التحقيق فى هذه الحادثة على ص ٢٠٦ من هذه المذكرات .

(١) هكذا ورد بالأصل ، ويستقيم المعنى لو أضيفت كلمة ( الجيش ) بعد كلمة ( دخول ) .

تُكندله هذا التلغراف بتقرير عن كل ما حصل بين الخديو والترك والألمان أثناء غيابه ليكون على بينة من الأمر ويتكلم مع الأتراك بهذا الشأن أثناء وجوده بالآستانة ، فأتى الرد تلغرافياً بأنه لا يغادر الآستانة إلا بعد(١) السفير الجديد الذى عين بعد وفاة المسيو فانجنهايم المتوفى وبعد أن يقيم معه بضع أيام . فعدلنا الاتفاق بهذه الصورة وهى أن أسافر أنا إلى جنيف ، وأن يبقى إسماعيل بك فى برلين فى إنتظار أوبنهايم ولما يحضر يسعى فى إحضاره إلى سويسرا ويحضر معه لمقابلة الخديو . وعلى ذلك قررت السفر فى يوم الإثنين ١٥ نوفمبر بقطار المساء وفى ظهر ذلك اليوم توجهت لنظارة الخارجية لتوديع وكيلها المسيو زمرمان . قابلت المسيو ويزندونك فأخبرنى بأنه أرسل لى جواباً يخبرنى فيه بأن الوكيل يريد مقابلتى بظهر الثلاث ، فوعدته بالحضور وأخرت سفرى بالطبع إلى مساء الثلاث ١٦ منه .

١٦ منه ، قابلت زمرمان ظهر هذا اليوم فكانت المقابلة أحسن من الأولى ثم سألته عما تم فى مسألة النقود الباقية طرف الخديو فقال إنها لم تدفع للآن ثم قلت له ماملخصه : بما أن حملة الصرب قد نجحت وفتح الطريق إلى الآستانة عن طريق الدانوب وقريباً تفتح عن طريق سكة حديد الصرب ، فالحملة المصرية سائرة لا محالة وإنه يهمنا جداً أن يكون الخديو ممثلا بجانب القائد التركى حتى لا تضع السلطة العسكرية يدها على الإدارة الملكية فى بلادنا وتتداخل فى أمورنا ،ولا يمكن إتقاء ذلك إلا إذا دخل الخديو مع الجيش . ولكن بما أنى أظن أن الخديو لا يقبل ذلك بعد ماحصل فى العام الماضى من الصدر الأعظم وجمال باشا فالأحسن أن ينتدب نائباً عنه يدخل مصر مع الجيش بمجرد أن يعبر القنال . فوافقنى على ذلك وقال : ولكن على الخديو أن يرد ما فى ذمته وأن يصلح سياسته مع الأتراك لأننا لا نغضب الأتراك مرضاة له ، ثم تكلمت معه بخصوص مقابلة إمبراطور ألمانيا للخديو فأعاد ما قاله لى مراراً من أن ذلك لا يكون ما دامت علاقات الخديو والأتراك

(١٧١)

على ماهى . فقلت له هلا يمكن أن يأتى الخديو إلى برلين قبل سفره إلى الآستانة فيقابل الإمبراطور ثم يسافر إلى الآستانة فقال هذه فكرة حسنة ولكن من يضمن لنا أن الخديو يصدق فى وعده ويسافر إلى الآستانة بعد مقابلة الإمبراطور ، فقلت له صالحه أولا . ومع(٢) يمكن أن نستكتب الخديو جواباً للباب العالى يخبره بعز ه

(١) هكذا ورد بالأصل ، ويستقيم المعنى لو اضيفت كلمة ( قدوم ) بعد كلمة ( بعد ) .
(٢) هكذا وردت بالأصل ويستقيم المعنى لو اضيفت كلمة ( ذلك ) بعد كلمة ( مع ) .

على مجيئه للأستانة بعد زيارة برلين فيكون لدينا شبه تعهد كتابى ، ففكر قليلا ثم قال لا يمكنى أن اعطيك جوابا قطعيا الآن ، بل لابد من التفكير فقلت له نعم وسأعود لمقابلتكم بعد عودتى من سويسره فودعته وانصرفت. ولم أخبره بشيء بخصوص أوبنهايم ، كما لم يكلمنى هو بخصوصه . فاتنى أن أذكر أنى قابلت بقاعة الإستقبال الدكتور امستر النمساوى الذى يجعله الخديو الآن سفيره بينه وبين حكومتى النمسا وألمانيا بعد إنفصال يوسف صديق عنه ، ولما كنت مع زمرمان أخبرته بمقابلتى له وبأنه حاضر لتسوية مسألة النقود فقال إنى لم أعرف مأموريته وأن أشغاله مع المسيو ياجو الوزير ، مع أن هذا الكلام غير مقبول عقلا ولكنها السياسة .....

وصلت جنيف مساء الأربعاء ١٧ منه . وفى اليوم التالى حضر السيد كامل وأخبرنى بأن الخديو يريد مقابلتى فى يوم ١٩ منه ؛ فقابلته وقصصت عليه مادار بينى وبين زمرمان ( لكنى كتمت عنه ما يختص بزيارة الإمبراطور حتى لا يهيج ) وألحت فى مسألة الفلوس فقال أتظنون أننى حرامى . ان المسألة سويت بواسطة الدكتور امستر ، فقلت ان هذا يناقض ما قاله لى زمرمان الذى أكد لى عدم دفع المبلغ ، وأنى أرى المبلغ صرف ولا يمكن دفعه الآن فيمكن تسويته بتحرير سند بدفعه بعد دخولنا مصر ، فكرر قوله بأنها قد سويت بمقتضى إتفاق بين الدكتور امستر وناظر الخارجية وأنه أى الخديو قبل التسوية وكتب بقبوله جواباً أرسله مع امستر وسنعلم النتيجة بعد عودته ، ثم طلبت منه أن يطالب المسيو بادل حسب إتفاقى معه . فقال انه سيحضر قريبا ثم أحضر له الخادم ورقة بها اسم أحد الزائرين فصرفنا ( لأنى كنت مع شفيق باشا ) واعدا بالإجتماع مرة أخرى كعادته . وبذلك انتهت هذه الجلسة بلا فائدة كسابقاتها . عند خروجى رأيت صاحب البطاقة وهو سورى مسيحى اسمه تويني بك من كتبة السفارات العثمانية والمشهور بأنه جاسوس للروسيا وحليفاتها من مدة .

يوم ٢٥ منه ، طلبنى الخديو فقابلته بعد ظهر يوم الإثنين وعلمت منه أن المسيو بادل حضر وأنه قابله فى الصباح مدة ساعتين

(١٧٢)

وأنه كرر له ما بلغه اياه الألمان مرارا وهو أنه من الضرورى أن يحسن علاقته مع الأتراك . بعد ذلك قابلت بادل ولضيق الوقت لم أعلم شيئاً منه مما دار بينه وبين الخديو من الحديث . ثم قابلته ثانياً بعد الظهر يوم الثلاث

٢٣ منه ، فعلمت أن الخديو اعترف بأن الباقى لديه من المبالغ المعروفة سبعماية ألف مارك فقط، وأنه وعد بتسليمه فى اليوم التالى فى برن حيث يسافر إليها بادل مع محمد باشا يكن ليسلمه المبلغ من البنك الموجود به، مع أن الباقى باعتراف يوسف صديق باشا بل باعتراف الخديو لى ولاخوانى فى لوسرن فى آخر أغسطس كان مليون وستماية ألف مارك وزيادة، وهو ما كان يطالب به بادل، فقلت له الأحسن أن تأخذوا هذا المبلغ القليل وتتركون التكلم فى الباقى حتى يفض هذا المشكل ، لأن الرجل كان مصمماً على عدم دفع شيء بالكلية تبعاً لمطامعه من جهة ولنصائح خليلته من أخرى . وهو بذلك قد حقق ما قاله يوسف صديق لنا من أنه : قال لى ذات يوم أن أحسن حل أن يرد لهم جزءا قليلا ويقول الألمان بأن الباقى قد صرفه رجاله الذين يثق بهم . أما من خصوص السفر للآستانة فقد وعده به بعد شفائه من العملية المزمع إجرائها له يوم الأحد ٢٨ الجارى فى لسانه لإخراج قطعة الرصاص الصغيرة الباقية به من أثر حادثة إطلاق الرصاص عليه فى الآستانة فى ٢٥ يوليه من العام الماضى من يد المرحوم محمود مظهر الشهيد .

يوم الإثنين ٢٥، قابلت ضيا بك قنصل الدولة العلية فعلمت منه أن الصدر الأعظم أرسل للخديو جواباً عن يد أحد أنجال المشير فؤاد باشا يخبره فيه بأن السلطان تلقى جوابه الذى أرسله إليه فى آخر أغسطس عن يد مخصوص بالقبول ، ولكنه لم يزل من الأوفق أن يترك البلاد المحايدة ، وأن الخديو أرسل رد هذا الجواب عن يد القنصل وهو يشمل الوعد بالعودة بعد شفائه من العملية وأخبرنى القنصل بأنه قرأ هذا الرد لأن الجواب ما كان ملصوقاً لصقاً جيداً . بعد ذلك قابلت الخديو وسألته عما إذا كان السلطان أرسل إليه رد الجواب فأنكر إنكاراً تاماً ( وبالطبع لم أخبره بأنى علمت الحقيقة من القنصل ) ثم أعدت عليه السؤال بشكل آخر قائلا ولم تحصل مخابرات بينك وبين الباب العالى من عهد الجواب المذكور. فأدرك أنى عالم بالحقيقة وقال نعم أرسل لى الصدر جواباً بكيت وكيت وأرسلت الرد إلخ .

٢٤ منه ، فى هذا (١) جمعنا الخديو، على الشمسى، ومحمد فهمى، وأنا، وكان معنا شفيق باشا والسيد كامل وأخذ يشرح لنا محادثته مع بادل ولم يذكر شيئاً عن دفع السبعماية ألف مارك ( كان أخبرنا شفيق باشا بدفع المبلغ بدون تعين

---

(١) هكذا ورد بالأصل ، ويستقيم المعنى لو أضيفت كلمة ( اليوم ) بعد كلمة ( هذا ) .

مقداره وسألني عما إذا كان بادل أخبرني فأجبته سلبا ) ثم أخذ يكرر ما كرره ألف مرة في هذه السنة من الشكاوى التي ما أنزل الله بها من سلطان ، ولكني شددت في الكلام وطلبت منه أن يحدد شكاويه ومطالبة حتى يمكننا السعي في تحقيقها ، فقد كفانا كلام في الهواء مدة سنة ، وأن صالحه وصالح مصر يقضيان عليه بالسفر للآستانة حتى يمكنه السفر لمصر بمجرد وصول الحملة ، أو يعين نائبا عنه فقال (أنت تريد أن أذهب إلى الآستانة والسلام ) فقلت له أني أريد أن تذهب إلى مصر أعني أن لا طريق للوصول إلى مصر إلا عن طريق الآستانة أو بمعنى آخر ، ان لم تذهب إلى الآستانة لا ترجع لمصر . فأدرك القصد ، وظهر عليه الامتعاض وقال سأفكر في وضع النقط المطلوب ايضاحها ، ثم انصرفنا على ذلك . ومما قاله في هذه الجلسة أن أنور باشا قابل توفيق بك فهمي الضابط المصري الموجود بقصر جبوقلي وقال له (أني لم أزل على عهدي مع الخديو ومستعد لمساعدته رغما عن الإشاعات القائلة بأنه أتفق مع الإنكليز على أن يسكت مقابل أخذه أربعين ألف جنيه سنوياً ). وبلغ توفيق بك هذا البلاغ إلى نور الدين بك أحد رجاله الذي كان بالآستانة وحضر أخيراً ، وهو أوصلها للخديو فقال لنا أني أجد في هذه الرسالة بابا للمخابرة مع أنور باشا .

أثناء الحديث اعترف الخديو بأنه سافر فعلا إلى حدود ايطاليا وقابل أحد رجالها . وكانت مخابرته قاصرة على السعي لدى ايطاليا حتى لا تسلم سفنه الموجودة في رودس إلى الإنكليز لأن بها احدى عشر صندوقا بها أوراقا مهمة لو ضبطها الإنكليز لحاكموا بسببها كثيراً من المصريين لاحتوائها على ما يثبت عليهم اشتغالهم بالسياسية ضدهم . فقلت له ألم يحضرها الشيخ عثمان لما أرسل من ويانه إلى رودس فقال لا انه أحضر فقط الصناديق التي كانت بها الأوراق المالية .

٢٥ منه ، أخبرني السيد كامل بأن شفيق باشا يريد مقابلتي مع الشمسي لأن لديه مأمورية من الخديو ، فحددنا الساعة ٣ ونصف بعد الظهر بمسكن الشمسي ــ حضر شفيق ، والسيد كامل فابتدأ شفيق بقوله لي ــ أن الخديو متأثر مني لأنه سمع مني عبارة ما كان ينتظرها ، وهي قولي له بأن عدم سفره إلى الآستانة يضر المسألة المصرية مع أنه خدم مصر هذه السنين الطوال ، وان كان الأتراك غير راضين عنه فذلك لأنه يدافع عن امتيازات مصر وأنه لم يطلب شيئا مطلقاً لنفسه الخ الخ . فقلت له ان

قصدنا جميعا خدمة البلد وان كنا نسعى فى التوفيق فما هو إلا لهذا الغرض . ثم دارت المناقشة حول المخابرة مع أنور باشا فقلت ان المخابرات بهذه الكيفية



إضاعة للوقت ، والحملة قربت والأولى أن الخديو يحدد مطالبه ويعرضها علينا لنبحثها وبعد الموافقة عليها يرسلها مع رسول ممن لهم مكانة لدى أنور باشا . أما جلال الدين باشا الذى يريد ارساله فلا أحترام له لديهم أولا لصغر سنة وثانيا لأنه لا يجسر على فتح شفتيه أمام مثل أنور باشا أو طلعت بك . وكانت المناقشة طويلة وكان فيها السيد كامل فى مركز الطاعن على الأتراك المسيء الظن بهم . وظهر من كلامه أن الخديو لا يريد السفر إلى الآستانة إلا بعد أن يعبر الجيش القنال حتى لا يقيم فيها إلا يومين أو ثلاثة . فقلت له كيف تنتظر أن يقبل الأتراك الخديو بعد أن يظهر عدم الثقة بهم بهذه الكيفية ويقيم هذا الوقت كله فى بلد محايد ، خوفا يعودون فيسلمونه مصر بعد فتحها(١) ، أنهم لوكانوا ملائكة لما فعلوا ذلك . إن حالتكم الآن كحالة الفرنسويين والإنكليز ازاء الصرب . إذ بينما هم يتداولون فى إرسال النجدة قضى الألمان والبلغار على الصرب حتى إذا أتوا وجدوها أثرا بعد عين . أخيرا أنهينا على أنهم يبلغوه اقتراحنا وهو :

أولا — أن يعين مطالبه من الأتراك التى يتوقف على اجاباتها سفره إلى الآستانة

ثانيا — أن يكون الرسول ممن يمكنهم المناقشة مع رجال الدولة وله عندهم . منزلة وكرامة — وأن يسافر إلى ويانه بمجرد شفائه من العملية المزمع عملها فى لسانه ثم قررنا تأخير هذا الطلب إلى ما بعد العملية .

عند ذلك قال لى أحدهم ولم لا تسافر أنت إلى الآستانة بهذه المأمورية . قلت أسافر لأساعد رسول الخديو بصفتى رئيس الحزب لا بصفتى مندوبا عنه ولا أسافر مع الرسول حتى لايقال بأننا على اتفاق ، بل الرسول يسافر من هنا وحبذا لو كان شفيق باشا ، وأنا أسافر عن طريق برلين ، وعلى ذلك انفض الإجتماع ، والذى أراه أن الخديو مصمم على عدم السفر ، حتى ولا إلى ويانه بل يريد البقاء هنا حتى يتم الفتح .

عملت العملية للخديو يوم الأحد ٢٨ نوفمبر ، وقابلناه يوم الأثنين فوجدنا حالته متحسنة نوعا ولم نكلمه فى المسائل مراعاة لصحته . ثم قابلناه يوم الأثنين ٦ ديسمبر

---

(١) المقصود بهذه العبارة : أنه من المستحيل أن يسلم الأتراك مصر للخديو فى أعقاب فتحها بعد ان اظهر عدم الثقة بهم والتجا الى بلد محايد خوفا منهم .

فأخبرنا بأن الدكتور أمستر أرسل إليه تقريرا يقول فيه بأنه لم يقابل وزير الخارجية المسيو ياجو فى برلين ، بل عاد منها إلى ويانه بلا فائدة ، وأن امبراطور النمسا تقبل تقريره ، وقال بأنه مستعد لمساعدة الخديو عند حلول الوقت المناسب ، وأن هذا الوقت لم يأت للآن . ثم أخذ يتكلم كعادته فى أمور شتى هربا من الموضوع ، وعند الكلام على كتشنر باشا قال انه سرق كثيراً وكان يسرق مع صغار المستخدمين ولكن ناس يسرقوا ولا يبانوش ،

(١٧٥)

وناس يحرسوا وينفضحوا ) قال هذه العبارة بصوت حزين مشيراً إلى نفسه وإلى سرقة نقود الألمان .

ثم أخبرنا بأن المسيو بادل وصل إلى برلين وكتب بذلك إلى شفيق باشا — يريد بهذه العبارة أن يفهمنا بأن مسألة النقود الألمانية قد إنتهت — ثم انصرفنا على أن نجتمع مرة أخرى بعد تمام شفاه .

علمنا من أمينة هانم زوجة حسين شيرين بك أنها سمعت من جواهرجى بأن الخديو إشترى لرفيقته خاتم به لؤلؤتين بمبلغ ستة آلاف جنيه .

فى ٧ منه ، وصلنى جواب من اسماعيل لبيب بك يقول فيه بأن البارون أوبنهايم أرسل تلغرافاً بأنه سيكون فى برلين فى ١٠ الجارى .

فى ٨ منه ، سافرت مع الشمسى إلى برن لأقابل وزير ألمانيا بها ، فقابلته يوم ٩ وتحادثنا مليا فى مسألة سفر الخديو وعناده — واسم هذا السفير Von Romberg ثم وعدته بمقابلته ثانيا عند سفرى إلى برلين .

قابلت هناك عند عبد الحميد بك شديد ، حسين بك زكى الذى اشتغل مدة مع الخديو فى بيع الرتب والنياشين وكسب من ذلك نحو عشرين ألف جنيه . ثم اختلف معه على مبلغ أربعة آلاف جنيه ، وهو الآن يريد مقاضاته فى سويسره بشأن مبلغ عشرة جنيه شهرياً ، كان تعهد له الخديو يدفعها إليه طوال حياته مقابل تنازله عن دعوى الأربعة آلاف جنيه بعد أن دفع له منها ألف وخمسماية فقط ، والأربعة آلاف المذكورة كان دفعها حسين زكى إلى الجواهرجى الباريزى مسيو Blache (؟)(١) ثمن حزام مرصع لزوجة الخديو المحرية . وقد قص علينا من سرقات الخديو ودسائسه

(١) يلاحظ أن الاسم أعقبته علامة استفهام ( ؟ ) وضعها الزعيم محمد فريد ، اذ يبدو أنه لم يكن متأكدا من صحته .

فى الآستانه مع عبد الحميد شيئا كثيراً ، وأعطانا بعض تفصيلات عن حادثة شكيب (غلام(١) ) أبى الهدى ( وحادثة ليون فهمى (٢) وغيرها ) وأخبرنى بأن لديه كشفا بما تحصل من الرتب والنياشين فى أحدى الدفع وعليه تأشيرات بخط الخديو بتوزيع هذه المبالغ وسأبذل جهدى للحصول عليه أو على صورته .

وصل عقيل بك يسرى من الآستانة وقابل الخديو مراراً ويقال بأنه مكلف بمأمورية خصوصية ، وقد قابلته مساء يوم ١٠ منه فأخبرنى بأنه مرسل من قبل البرنس إبراهيم حلمى عم الخديو وأن هذا العم سيحضر هنا قريبا ، والمظنون أن لهذه السفرية علاقة بتحسين العلاقات بين الصدر الأعظم والخديو .

١٠ منه ، سافر الخديو اليوم من جنيف إلى لوزان بدون أن يقابلنا ، وذلك هربا مما وعد به بناء على الحاحنا من تحديد ما يشكو منه من الأتراك مع بيان طلباته ، ولقد أصبح من المؤكد أن الرجل لا ينوى العودة إلى الآستانة ، ومن المرجح أنه اتفق مع الإنكليز على ما يضمن له معاشه . ويروى نقلا عن جميل طوسون بأنه اتفق معهم

(١٧٦)

على أن يعطوه أربعين ألف جنيه سنوياً من لديهم ) وأن يضمنوا له ستين ألف أخرى من أملاكه بمصر بعد سداد الأقساط المطلوبة منه لدائنيه ، وأن يكون ولده عبد المنعم ولى عهد البرنس حسين كامل على سلطنة مصر وليس هذا ببعيد .

١١ منه ، اجتمع الطلبة المصريون اليوم فى أوتيل Belle Vue ودعوا المصريين الأحرار الموجودين بجنيف ، فحضر أغلبهم كما حضر بعض الطلبة من لوزان ومن برن ، وبعد مناقشة طويلة شرحت لهم فيها احساس الأتراك نحو مصر ، وما حصلنا عليه من الوعود الضامنة استقلالنا الداخلى منهم ومن الألمان ، قرروا ما يأتى :

---

(١) غلامه : معشوقه ( لمعرفة تفاصيل الحادثة انظر : أحمد شفيق باشا : مذكراتى فى نصف قرن ج٢/ق١ ص ص ٣٤٨ - ٣٥٤ ) .

(٢) كان ليون فهمى Leon Fehmi ارمينيا يعمل فى خدمة السلطان عبد الحميد ، اتهم بالتجسس كما ضبطت لديه أختام مزورة باسم رئيس كتاب يلدز وغيره من رجال السراى - هرب الى مصر ، فلما علم الخديو عباس الثانى بذلك دبر حيلة للقبض عليه وسجنه فى قصر رأس التين ، فلما وصل ذلك الى علم كرومر ، كلف شايمان بك بتحرى الأمر . ولما أدرك الخديو ما يمكن أن يجره عليه أمر اكتشاف ليون فى القصر ، من اهانة كرومر له ، نقل ليون الى يخت المحروسة ثم استقر رأيه ، بعد أخذ راى الشيخ محمد عبده ، على ترحيل ليون الى بور سعيد ليسافر على باخرة فرنسية الى مرسيليا . فلما توجه شايمان بك لتفتيش السراى لم يجد ليون ، وعقب ذلك سافر الخديو الى الآستانة فى يولية ١٩٠١ رغبة منه فى استمالة الخليفة العثمانى ضد الانجليز الذين أرادوا زعزعة مركزه بسبب هذه الحادثة ( لمزيد من التفاصيل انظر : أحمد شفيق باشا : مذكراتى فى نصف قرن ، ج٢/ق١ ص٣٦٨ و The Earl of Cromer : Abbas II, pp. 77, 78,)

(*)

1° L'opinion fondamentale des Égyptiens est l'autonomie de l'Égypte, garantie par les firmans impériaux et déléguée par l'empire ottoman, établie par le traité de Londres de 1840 et confirmée par le [illegible] du 18 février 1915 —
2° Le parti nationaliste égyptien [illegible] proclame ces principes. Son chef Mohamed bey Farid est le seul représentant de ce parti et tous ceux qui professent d'autres principes n'expriment que leurs opinions personnelles. 3° Ceux qui forment actuellement le [illegible] du gouvernement égyptien ne représentent point la nation égyptienne et leur prétention que nous voulons mettre une [illegible] étrangère à la place d'une autre est contraire à nos principes.

(١٧٧)

وتقرر أيضاً إنشاء جريدة أسبوعية أو مجلة شهرية لتهيئة الرأى العام الأوروبى واستمالته نحو مصر ، وأن يطلب من الخديو بذل المال اللازم لهذا الغرض ( وهو لا يزيد عن خمسين جنيه شهرياً ) وعينوا وفدا لمقابلته وعرض هذا الطلب عليه ، مؤلف من : على بك الشمسى ، ويحيى أفندى الدرديرى(١) ، وأنا .

فى اليوم التالى ، خاطب الشمسى محمد يكن باشا بالتلفون فى لوزان وطلب منه أن يطلب من الخديو تحديد موعد لمقابلتنا ، وأفهمه أنى عازم على السفر إلى برلين .

(*) وفحوى القرارات هى : (١) ضرورة الحفاظ على استقلال مصر الممنوح لها بمقتضى الفرمانات السلطانية تأسيسا على معاهدة لندن ١٨٤٠ ، (٢) اعتبار محمد بك فريد الممثل الوحيد للحزب الوطنى والتمسك بزعامته ، (٣) ان حكومة مصر وقتذاك ( ١٩١٥ ) لا تمثل الأمة ، وان ما تدعيه من أن الطلبة يريدون استبدال سيطرة أجنبية بأخرى ، يخالف مبادئهم .

(١) وكيل جمعية أبى الهول ( أنظر ص ٣٠٠ من هذه المذكرات ) .

فى يوم السبت ١٨ منه حتى يحدد لنا موعداً قبل هذا اليوم ، فأجابه بأن الخديو سافر بالأتوموبيل قبل ساعتين ( وكان ذلك الساعة ١ ونصف بعد الظهر ) وأنه لايدرى لأى جهة ذهب ولا متى يعود فطلب منه أن يبلغه طلبنا بمجرد ما يعلم محل وجوده ، وقد استنتجنا من ذلك أنه لا يريد مقابلتنا لأنه لو قابلنا لا يجرأ على الرفض وهو لا يريد ذلك مراعاة لصالحه الخاص .

١٤ منه ، مساء هذا اليوم تكلم يكن باشا مع الشمسى تلفونياً ، وأخبره بأن الخديو أجابه بعدم مقدرته على العودة إلى لوزان الآن ( مع أننا لم نطلب منه أن يعود بل كان فى إمكانه أن يقابلنا فى أى جهة من سويسرا ) ، وأنه يأسف جداً لعدم إمكانه مقابلتنا قبل سفرى ويطلب منا أن نخبر شفيق باشا بما لدينا ليبلغه إليه عند عودته :

١٦ منه ، بعد المخابرة بالتلفون مع شفيق باشا ، حضر يوم تاريخه لمنزل على الشمسى وكان معنا الدرديرى فبلغناه ما تقرر وتحادثنا ملياً فى الموضوع ، وفى ضرورة مساعدة بعض الطلبة المحتاجين الآن ، وقلنا أنه يلزم لكل ذلك ألف وخمسماية جنيه فى السنة تدفع مقدماً ، ليكون الاستمرار فى العمل مضمونا ، ثم اتفقنا على الاجتماع فى الغد ثانياً لوضع شبه ميزانية تعرض على الخديو ، وقد اجتمعنا فعلا وأملينا على شفيق باشا ملخصاً بطلبات الجمعية ، ثم اختليت بشفيق باشا وأخذت أنتقد الخديو بشدة على إهماله مساعدة الحركة الوطنية ، وأن الطلبة فى هياج شديد ضده ، خصوصاً وأنه بلغهم ما هو شائع بين المصريين هنا من أنه اشترى لرفيقته مدام Lusange خاتم بلؤلؤتين بمبلغ ستة آلاف جنيه وأنه يصرف أمواله فيما لا خير فيه . فقال لى هل أبلغه ذلك كأنه إشاعة أو عن لسانك . فقلت له بل عن لسانى وقل له أن طلبة جمعية أبى الهول بلوندره الموجودين هنا الآن يذكرونه بما قاله لهم أثناء

(١٧٨)

مقابلته لهم بالآستانة فى العام الماضى ( أنه خادم الأمة وأن لحم أكتافه من خير الأمة ) .

وعلى ذلك أسافر باكر ١٨ ديسمبر إلى برلين مع على بك الشمسى وسنقف

فى برن لمقابلة سفير ألمانيا لدى الحكومة السويسرية ، وكان تحديد سفرى بعد وصول تلغراف من اسماعيل لبيب يخبرنى بأن البارون(١) تأخر فى الآستانة لأسباب مهمة : وأنه على أى حال لا يحضر لسويسرا إلا بعد عيد الميلاد أى فى أوائل يناير ففضلت أن أسافر إلى برلين وأقابله هناك لأخبره بأن مقابلاتى مع الخديو لم تفد ، ومع ذلك لو كان هناك ضرورة للعودة معه إلى هنا فلا مانع ، ولقد أخبرت اسماعيل لبيب بعزمى ، تلغرافيا ، يوم ١٥ الجارى .

( انتهت الكراسة السادسة )

(١) المقصود : البارون أوبنهايم .

# الكراسة السابعة

من صفحة ١٧٩ الى صفحة ٢١٧

(١٧٩)

وصلت برلين فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٩١٥ بعد أن أخذوا منى ومن على الشمسى فى الحدود ما كان معنا من الكتب وأعداد من رسالتى عن الدولة العلية ، وبناء على طلبى وعدونى بارسالها لى ببرلين ، فطلبت أن يكون إرسالها عن يد المسيو وزندونك Wesendonck بالخارجية حتى يزيد اطمئنانهم منا . كان بانتظارنا ببرلين اسماعيل لبيب بك والسيد محمد باشحميه الذى سافر من جنيف بقصد عمل احتفال باسم لجنة التونسيين والجزائريين المشكلة لطلب استقلال هذه البلاد ، وهى مركبة(١) من : الشيخ اسماعيل الصفايحى قاضى تونس سابقاً ، ونزل الآستانة من مدة ، والشيخ صالح الشريف من علماء تونس ، وهذا الأخير تستعمله الدولة والألمان فى سياسة استمالة المسلمين ، كما تستعملان الشيخ جاويش . قابلت الشيخ صالح المذكور والشيخ اسماعيل مع اسماعيل لبيب وتكلمنا فى مسائل شتى وقلت له أثناء الحديث للشيخ اسماعيل فى غيبة الشيخ صالح ، أن الانكليز لو كانوا منحونا المجلس النيابى والاستقلال الداخلى التام الذى ننشده لواليناهم ومشينا معهم ، فلامنى اسماعيل لبيب على هذه العبارة لأنها ربما تنقل للأتراك وقال لى الشيخ صالح ان بعضهم يؤول كثرة انتقالنا بين برلين وسويسره بأننا نتجسس للأعداء على ألمانيا ، وأن من رأيه عدم عودتنا لجنيف وقصر إقامتنا على برلين والآستانة .

ممن كان موجوداً ببرلين فى ذلك الوقت وفد ينوب عن تتار الروسية أتى من

---

(١) المقصود : مؤلفة .

الأستانة تحت رئاسة يوسف آقجوره أفندى(١) مدير مجلة ترك يوردى (٢) وبالتالى زعيم الحركة التركية التى يراد بها تغلوبة(٣) العنصر التركى، وإيجاد جامعة تركية من ترك الدولة العلية الأتراك الموجودين خارجاً عنها، أساسها : الجنسية لا الدين. هذا الوفد قصد أولا بودابست ثم ويانه ، وأخيراً برلين ، ناشراً الرسائل، عاقداً الاجتماعات احتجاجاً على معاملة الروسية للتتار ، وطالباً مساعدة الدول المتحالفة لإنقاذهم وتحريرهم . قابلت هذا الرجل مع إخوانه أكثر من مرة ، وفى(٤) الأخيرة منها قال لى إنه كان فى وزارة المستعمرات ، وتكلم مع أحد كبار موظفيها بخصوص مسألة مصر، فقال له ذلك الموظف إن غاية ألمانيا تحرير مصر على شرط أن لا تعاد ولاية عثمانية وأن لا تحرم من شيء من امتيازاتها ، ثم قال إنه يعتقد بأن الموظف المذكور قال له هذه العبارة لينقلها لإخوانه بالآستانة حيث ابتدأ بعضهم يجهر بما ينويه الأتراك نحو مصر لو دخلوها ، من سلبها حقوقها واعتبارها ولاية أو مستعمرة ، كما جاهر بذلك الصدر الأعظم سعيد حليم باشا أكثر من مرة وذكر فى موضعه . قابلت محمد على محمد ذات يوم فى قهوة(تاوتسين)، فأخذ ينتقد على اجتماعنا الذى عقدناه بجنيف ويقول إننا أردنا بذلك الاحتجاج على الدولة مع أنا لم نأت شيئاً الخ الخ . وقال فى الختام ( هل تظنون أن الدولة تضحى عشرات الآلاف من رجالها لفتح مصر ثم تسلمها إليكم غنيمة باردة الخ ) . وكانت عباراته كلها كأنها صادرة عن تركى لا عن مصرى من الحزب الوطنى الذى يدافع ويطالب باستقلال مصر . فأظهرت له كدرى من هذه العبارة وقلت له

(١٨٠)

إنى لا أريد التكلم فى هذا الموضوع ، فقال لى بكل وقاحة : إنى حر فى أن أتكلم فى أى موضوع أريد ، فأجبته قائلا : وأنا كذلك حر فى أنى لا أسمع مثل هذه العبارات ، ثم انصرفت ومن عهدها لم أره ثانياً .

---

(١) من نواحى قازان على نهر الفولجا فى روسيا ومن أتراك روسيا . درس أولا فى جامعة أورنبورج فى روسيا ثم واصل الدراسة بمدرسة العلوم السياسية فى باريس ، ثم جاء بعد الانقلاب الدستورى الى الآستانة وانغمس فى العمل السياسى مع أتراك تركيا الفتاة . كان من آرائه أن تتخلى الدولة عن البلاد العربية لتشكيل قومية تركية فى الأناضول .

(٢) كانت هذه الجريدة لسان حال ترك يورتى جمعيتى ( جمعية المملكة التركية ) التى أسسها الأتراك فى ٣١ أغسطس سنة ١٩١١ وكانت غايتها أدبية اجتماعية قومية .

(عن المعلومتين : انظر : توفيق على برو : العرب والترك فى العهد الدستورى العثمانى ، ص ص ٣٢٣ و ٣٢٦ على التوالى ) .

(٣) المقصود بكلمة تغلوبة : غلبة وتقوية .

(٤) هكذا ورد بالأصل ويستقيم المعنى لو أضيفت كلمة ( المرة ) بعد كلمة ( فى ) .

ذكرت هذا الحديث لأنه دليل على أفكار الشيخ جاويش ومن انضم إليه من طلاب الوظائف الذين يريدون تسليم مصر للأتراك لنوال أغراضهم ، والذين زاد طمعهم في نوالها بعد تعيين فؤادسليم سفيراً للدولة في برن بسويسرا ليكون مراقباً ومعاكسا لنا ولأعمالنا في هذه البلاد الحرة .

اتفاق علي الشمسي مع يعقوب الألماني Jacobi

مما أسفت له كثيراً من جهة أخرى أن علي الشمسي ما أتى لبرلين إلا بعد أن اتفق مع المسيو يعقوب أحدمندوبي الخارجية الألمانية الغير رسميين على الاجتماع في برلين ، وجمعنا مع الشيخ جاويش في الخارجية للتوفيق بيننا وعدم إخباري بذلك الاتفاق مطلقا بل أخبر به اسماعيل لبيب في آخر الأمر قبيل سفره ، لما لم يحضر يعقوب المذكور لبرلين حسب الاتفاق وامتعاضه من هذا الخلف . وهذا التصرف يفيد أنه هو الآخر يسعى في أن يوجد لهمركزاً مخصوصاً لدى الألمان لنوال مركز في مصر في المستقبل ، أو لجر منفعة مادية أثناء وجوده في أوروبا .

حديث لي مع زمرمان بشأن سفري مع الحملة الى مصر

لما سمعت بكل ما يشيعه أعدائي علينا من الانتصار للخديو بغير حق تارة ومن التجسس على الألمان تارة أخرى ، وتأويلهم اجتماعنا بجميعنا بصفة احتجاج على الدولة الخ الخ ، فكرت في السفر إلى الآستانة لوضع حد لهذه الدسائس والمفتريات بقدر الإمكان ، ثم خطر ببالي أن أسافر إلى الشام مع الحملة المصرية التي كنت سمعت بقرب سفرها إلى الحدود المصرية ، لذلك طلبت مقابلة المسيو زمرمان وكيل الخارجية فحدد لي يوم ١٥ يناير فقابلته في الميعاد المضروب . وتكلمنا كثيراً في موضوع الحملة وفي فكرة سفري إلى الشام لإرسال منشورات أو رسائل إلى مصر بواسطة طيارات الألمان ، فوافق ثم قال لي عد يوم ٢٢ الجاري لأعطيك رأيي النهائي . وقد قال في أثناء الحديث إن جمال باشا لا يريد أن يكون بجانبه ضابط ألماني أكبر منه مثل لمان سندرس (١) مثلا ليكون فخر فتح مصر له بمفرده ولكنا عينا بجانبه جنرالات أركان حرب من رتبته . وجاءت ذكر أطماع الترك في مصر ، فقلت إن الأتراك لا يودون وجود أحد منا بجانبهم حتى يفعلون ما يريدون عند دخولهم ، وأنه من الضروري أن تكون بجانب القائد الحربي هيئة مدنية مصرية لتتولى الأمور الإدارية عندالدخول ، وحتى لا تتداخل السلطة العسكرية في الإدارة المدنية مطلقاً . فقال هذا أمر طبيعي ، فقلت له إن الإدارة في مصر منتظمة ولا تتطلب إلا تغيير بعض كبار الحكام فقط من الموالين

---

(١) انظر ما كتبه عنه محمد فريد على ص ٢٨١ من هذه المذكرات

للإنكليز وهذا لا يمكن أن يكون بمعرفة الأتراك لجهلهم البلاد وأهلها بل ولجهلهم بالإدارة أيضاً كما هو مشاهد فى بلاد الشام وغيرها ، ونحن لا نقبل أن نكون تحت إدارتهم بحال من الأحوال لأننا أرقى منهم كثيراً وبلادنا أكثر انتظاماً من قبل دخول الإنكليز وبالاختصار إن الأتراك يريدون أن يأكلوا مصر ولكننا لا نقبل أن نؤكل بسهولة Nous n'acceptons pas d'être mangés facilement فنحن تاومنا الإنكليز ونقاوم من يريد أكلنا أيا كان ، لأننا نسعى وراء الاستقلال ، وغاية ما نقبله أن نكون مع الأتراك مثل المجر مع النمسا (كما شرحته له فى العام الماضى) على شرط المساواة فى الحقوق والاستقلال الداخلى التام .. عدت إليه فى ٢٢ منه ، وأنا بقاعة الانتظار حضر سفير الدولة حقى باشا وانتظر قليلا معى فتكلمت معه بخصوص سفرى ، ولكن بدون أن أخبره بقصدى الحقيقى ، ثم أخبرته بالأمر الذى بلغ لاسماعيل لبيب من أن الدولة أصدرت أمرها بقطع المرتبات المخصصة للمصريين ، إما بصفة مساعدة أو بصفة سلفة إلا إذا عادوا إلى الآستانة أما من أراد منهم الإقامة فى أوروبا فلايعطى شيئاً ، فقال إنه لا يعلم أسباب ذلك ، فقلت له إن هذه السياسة غير حكيمة لأنها تنفر المصريين فضلا عن أنه لا يوجد من بينهم من يقبل هذا الشرط الذى نعتبره كلنا إهانة وتحقير وتحكم بلامسوغ . ثم قابلت زمرمان فأخبرنى بأنه موافق على سفرى إلى الشام وبأنه كتب لسفيرهم بالآستانه بذلك . ثم ودعنى وانصرفت بعد أن أمر المسيو ويزندونك بأن يكتب للحربية بأن يشهل لى السفر بقطار البلقان الحديد الذى بدأ السفر بين برلين والآستانة من ١٥ يناير .

لما بلغ إلى اسماعيل لبيب أمر الحكومة العثمانية بقطع ما كان يأخذه سلفة هو وأخيه مالم يعودا إلى الآستانة ، تكدر كثيراً وعزم على السفر إلى سويسره خوفاً من من أن يحجزه الألمان كما فعلوا مع أخيه منصور فى يونيه من العام الماضى لما أراد ترك برلين والحضور إلى ويانه ، فسافر فعلا فى يوم الأحد ٢٣ يناير سنة ١٩١٦ ، ولم اطمئن عليه إلا بعد أن وصلنى تلغراف منه بوصوله إلى جنيف. قابلت عبد الملك حمزه (من رجال الصدر الآن) صدفة فأخبرته بسفرى وكلمته بشأن قطع المرتبات فقال إن الشيخ جاويش كتب للدولة بشأنهم لأنهم ليسوا من المعنيين بهذا القرار الخاص برجال الخديو . وجدت أثناء إقامتى ببرلين اغضاء من ويزندونك ومن شابنجر Schabinger بسبب تأخير الشيخ جاويش عليهم ولذلك لم يقبل شابنجر ترجمة سالتى عن الدولة ونشرها بالألمانى إلا بعد حذف جمل منها فلم أقبل طبعا تغيير

حرف واحد منها ، ثم سافرت يوم السبت ٢٩ يناير الساعة ٧ وثلث صباحا إلى الآستانة ووصلتها يوم الاثنين ٣١ منه الساعة ٧ مساء .

(١٨٢)

فى أثناء إقامتى ببرلين وصلنى كتاب من على علوى أفندى نزيل زوريخ إذ ذاك وآخر من عبد الحى أفندى إبراهيم نزيل جنيف يفيدان أن بعض رجال حزب الصدر ممن استهواهم من لجنتنا الإدارية بواسطة الشيخ جاويش وعماد الدين بك وكيله وهم سماعيل كامل المحامى وأحمد طاهر وعوض البحراوى المحامى (١) حضروا إلى سويسره عقب وصول فؤاد سليم الحجازى الذى عين سفيراً للدولة العلية فى برن (وهو كذلك كان من إخواننا وانضم إلى حزب الصدر وعين فى سويسره بهذه الوظيفة لمضايقة الخديو عباس وللتجسس عليه وعلينا باعتبار أننا أصبحنا من أعوانه ) وأنهم حضروا إلى جنيف وأخذوا يسعون فى ضم الطلبة إليهم وبالأخص أعضاء جمعية أبى الهول ، وأشاعوا بأنى عقدت اتفاقاً أنا والخديو مع ألمانيا فى أننا نترك لهم إدارة البلاد المصرية مدة خمسة عشر سنة مقابل أن يضمنوا لنا استقلالنا الداخلى وامتيازاتنا القديمة وأكدوا هذا الخبر حتى أدخلوا الشك فى قلوب بعضهم وكتبوا لى مستفسرين عن الحقيقة فأرسلت إليهم تلغرافا من برلين هذا نصه : Ganz falsch أى كله كذب . كذلك وصلنى جوابات من الآستانة من عبد الحميد أفندى رفعت وعمر رضا أفندى يخبرانى بها بأن الاشاعات السيئة كثيرة حولى هناك وملخصها أننى سرت مع الخديو والألمان ضد الدولة العلية ، وأن التقارير تأتى ضدى تترى من السويسره وألمانيا من الشيخ جاويش وأعوانه فى الجهتين ، وينصحانى بالعودة إلى الآستانة لمحاربة هذه الدسائس وقطع ألسنة الدساسين . وظهر لى فيما بعد أن الجواب المرسل من عبد الحميد رفعت أرسل بواسطة حسنى أفندى أحد رؤساء الشعب بالأمنية العمومية فلم تحجزه المراقبة العسكرية . لما أتت إلى هذه الأخبار وهممت بالسفر إلى الآستانة لم يوافقنى اسماعيل لبيب لإعتقاده أن القصد تحريضى على الذهاب إليها حتى أمنع من الخروج منها ثانيا إلى أوروبا أو حتى ينتقم منى بأى شكل آخر ، كأن أرسل إلى الشام مثلا ، وهناك يدسون لى من يقتلنى كما فعلوا فى العام الماضى مع عزت أفندى الجندى الذى كان يشتغل مع الادريسى ، ولكنى خاطرت بنفسى وصممت على السفر لأتأكد الحقيقة بنفسى حتى إذا أيقنت أن حزب الاتحاد انقلب على بسبب تمسكى بحقوق

اشاعات جاويش واعوانه ضدى فى جنيف

وارسالهم تقارير ضدى كذلك الى الآستانة

(١) انظر ما كتبه عنه محمد فريد على ص ٢٠٩ من هذه المذكرات .

مصر والدفاع (١) أكون فى حل من الانفصال عنهم بل ومن محاربتهم جهراً مرتاح الضمير وعلى ذلك سافرت . لكنى لم أخبر المسيو زمرمان بشىء من ذلك بل بنيت سفرى على رغبتى مرافقة الحملة الذاهبة لمصر .

بمجرد وصولى الآستانة قابلت أحمد فريد ابن أختى زهرة هانم وكان بنفس الأوتيل الذى نزلت فيه ، فأكد لى كل هذه الإشاعات وشرح لى مساعى حزب الصدر وقال لى إن الصدر نفسه كلمه ضدى بخصوص

(١٨٣)

شهادة احمد فريد ضد الصدر سعيد حليم

وبمناسبة اجتماع جنيف مظهرا لى التقرير المرسل إليه من قنصل جنيف يوسف ضيا بك وملخصه ، أننا تكلمنا فى ضرورة انفصال مصر عن الدولة العلية تماما فكذب أحمد هذه التقارير لأنه كان حاضرا هذا الاجتماع وأكد للصدر بأنه لم يحصل شىء من ذلك مطلقا . أخبرنى أحمد بأن على بك باشحميه أخبره أيضا بأن المساعى ضدى قوية وطلب منه أن يكتب لى بالحضور ولما كان يعلم من وقت وجودى معه بجنيف فى ديسمبر سنة ١٩١٥ بأنى عازم على الحضور للآستانة بعد الاقامة ببرلين بضع أسابيع حتى يسير قطار البلقان السريع ، وعده بأن يكتب لى تلغرافا بالحضور إذا تأخرت على الموعد الذى ضربته له تقريبا .

( يناير سنة ١٩١٦ ) امتناع طلعت باشا عن مقابلتى

فى صباح يوم الثلاث أول فبراير قصدت قلم التشكيلات ، وقابلت هناك على بك باشحميه وشرحت له حقيقة ما حصل وان كل ما قيل غير ذلك كذب وافتراء ، فقال إنى أنا مقتنع بذلك من قبل أن أسمع هذا الشرح منك . ولكن هذه الوشايات أثرت على بعض رجال الحكومة وبالأخص على طلعت بك ونصحنى بمقابلته وايقافه على الحقيقة فقصدت ديوان الداخلية الساعة ٢ بعد الظهر وأرسلت تذكرتى فأرسل لى مع الحاجب بأنه مشغول وبأن أعود فى وقت آخر بدون تحديد . أى أنه رفض مقابلتى بسبب تصديقه ما وشى له به ضدى ، فتكدرت كثيرا لسوء نية هؤلاء الأشخاص نحو مصر ونحوى ولكن كظمت غيظى ولم أطلع أحدا على جلية الأمر مطلقا خلاف أحمد فريد.

مقابلاتى مع انور

وفى يوم الأربع التالى ، قصدت منزل أنور باشا فقال لى أحد الأغوات بأن الباشا بالحبل ودعانى للطلوع فلم أستحسن لأنه كان وقت راحته واكتفيت بترك البطاقة ثم عدت يوم السبت ٥ منه . عدت إلى منزل أنور باشا وأرسلت البطاقة لكاظم بك ياوره

---

(١) هكذا ورد بالأصل ويستقيم المعنى لو اضيفت كلمة ( عنها ) بعد كلمة ( الدفاع ) .

الأول فلم يقابلني بل أرسل لى مع العسكرى يقول بأنه سيعرض البطاقة على الباشا ويخبرنى تلفونيا بالوقت الذى يحدده لمقابلتى . هذه المقابلة الغير مألوفة بالنسبة لى ، لأن أنور كان يقابلنى فى أى وقت ذهبت اليه فيه بمنزله ) زادت كدرى ومشغوليتى لأنى كنت لتلك الساعة أعتقد فى هذا الرجل الميل لى ولمصر وللجامعة الاسلامية على العموم ، ولكن زال هذا الكدر لما وصل خبر تلفونى بأن أتوجه يوم الاثنين ٧ منه إلى الحربية لمقابلة الباشا . قصدت النظارة ذلك اليوم بعد الظهر حسب الميعاد وانتظرت أكثر من ساعتين فلم يحضر الباشا وقيل لى إنه سافر إلى بعض الجهات للتغيير . وقبل انصرافى تركت له جوابا قلت له فيه بأنى حضرت حسب الموعد وأرجو منه تحديد موعد آخر .
بعد يومين وصلتنى اشارة تلفونية من كاظم بك بأنى أحضر للحربية يوم الجمعة ١١ فبراير الساعة ١٠ صباحا فذهبت ولكن الحراس أخبرونى بالباب بأنه لم يحضر فانتظرت نحو ساعة ثم انصرفت واعتقدت أن الموعد لابد وأن يكون بالمنزل لأن اليوم يوم الجمعة ولكنى قابلت كاظم بك بعد الظهر صدفة

(١٨٤)

وقصصت عليه ما حصل فتأسف لأن الباشا كان بانتظارى فعلا ثم أخبرنى بأن الباشا سيسافر غداً ( السبت ١٢ منه ) إلى الشام ، فطلبت منه أن يحدد لى موعداً للمقابلة فى صباح ذلك اليوم قبل السفر ، لأن لدى أمور مهمة أحب أعرضها عليه قبل سفرى ، واتفقنا على أن أحضر صباح السبت إلى النظارة . ذهبت صباحاً . وبعد قليل أتى الباشا وطلبنى فوراً قبل كل زائر ، فأعدت عليه باختصار ما كنت شرحته بالتطويل لباشحميه وبلغه إليه ، فطيب خاطرى وقال لى بأنى لا أهتم بهذه الوشايات التى مصدرها رجال الصدر وأنها لا تؤثر عليه مطلقاً لأنه يعلم إحساسى الخ .. فشكرته ثم قصصت عليه مسألة قطع المرتبات فتألم وقال أن الحربية أرسلتها للخارجية فى ميعادها وأن هذا من تصرفات الصدر لأن قرار مجلس الوكلاء يقضى فقط بقطع مرتبات الموظفين المصريين الذين بأوروبا مالم يعودوا إلى الآستانة ، وأن تعميم هذا الأمر على جميع من يأخذون مرتبات شهرية بصفة مساعدة أو سلفة من تصرفات الصدر السيئة ، ثم أمر باستدعاء كاتب حسابات النظارة وكلفه باصلاح هذا الخطأ على الفور وإرسال المرتبات من الآن فصاعداً إلى المندوب العسكرى فى السفارات المقيم فى دائرتها أصحاب المرتبات بدون توسيط الخارجية ، فطلبت منه أنى أرسل تلغرافاً بهذا الأمر لاسماعيل لبيب وللطلبة المصريين فى جنيف فوافق ، وأرسلت التلغرافين بامضائى من مكتب

نظارة الحربية ثم شكرته ثانياً وودعته وانصرفت . فى قاعة الانتظار وجدت السيد باشمحيه فقصصت عليه ما جرى ثم سألنى عما أحتاجه من النقود فقلت له إن لدى ما يكفى شهرين على الأقل وأنى لا أتأخر عن طلب ما يلزمنى عند نفاد ما عندى ، ثم شكرته وانصرفت بعد أن نصحنى بزيارة طلعت بك ثانياً .

فى أول يوم جمعة بعد وصولى الآستانة ، قصدت دار الصدر الأعظم لتأدية الواجب السياسى . وبعد أن انتظرت وقدمت لى القهوة حضر أحد الخدام وبلغنى سلامه وقال لى إنه يشكرنى على زيارتى ويأسف لعدم إمكانه مقابلتى لأنه أخذ مسهلا ولا ينزل من الحريم الليلة ، وأنه يرجونى بأن أحضر فى أى وقت أريد . ولعلمى أن هذا العذر منتحل انصرفت على نية عدم العودة وفعلا لم أعد إليه بعد ذلك .

بعد الظهر حضر إلى الأوتيل الدكتور أحمد فؤاد شريك الشيخ جاويش فى دسائسه ضدى وأظهر لى كل اخلاص ( نفاق ) فأخذت أسأله عن التقارير المقدمة بما أنه رئيس قلم دارة

(١٨٥)

الأمنية العمومية وهو المكلف بمراقبة المصريين والإطلاع على جواباتهم الصادرة والواردة فأخبرنى بكل ما كتب وما قيل بخصوص اجتماع الطلبة بجنيف وبخصوص إتفاقى مع الخديو وأنى كنت ملازماً له دائماً فى لوسرن وأخرج معه للفسحة كل يوم بسيارته وأنى أصبحت كأنى من رجاله مع علمى بأنه يخابر الدول المعادية وأنه يأسف لهذه الحالة إلخ .

أما بخصوص الجواب الذى قيل بضبطه مع اسماعيل لبيب فى أغسطس سنة ١٥ ثناء سفره من الآستانة لأوربا فأكد لى ضبطه معه وأنه يشتم منه رائحة عدم الثقة من الدولة وبالأخص من جمال باشا قائد الحملة المصرية التى كانت مجهزة لفتح مصر . وأن هناك تقارير بخصوص اتفاقى أنا والخديو مع الألمان على تعيين مستشارين ألمان لمدة ١٥ سنة مقابل لضمان(١) الألمان لامتيازاتنا . وآخر يقول فيه مقدمه بأنى لما حضرت إلى جنيف فى ديسمبر سنة ١٥ طلبت(٢) منى أن نرسل بلاغاً للدولة العلية وحليفتها نطلب منهم به أن يعلنوا عن نواياهم نحو مصر وأن الخديو رفض ذلك وأن اسماعيل بك شرين الكاتب بمجلس النظار بمصر حضر إلى جنيف ليتخابر معى بشأن عودتى إلى مصر والاعتراف بالحماية الانكليزية والسلطان حسين مقابل مبلغ وافر يعطى إلينا ،

---

(١) هكذا ورد بالأصل ، وصحته : ضمان .

(٢) هكذا وردت بالأصل . ويستقيم المعنى اذا أضفنا « الحكومة المصرية » بعد كلمة ( طلبت » لأنه يبدو من السياق اللاحق أن الحكومة لمصرية هى التى طلبت منه ارسال بلاغ بهذا المعنى .

فقلت له إن كاتب التقرير تسرع فى الأمر لأن الذى حضر هو حسين شرين أخوه ، زوج إحدى الأميرات المصريات ولا علاقة له بالحكومة المصرية وأنه كان بالآستانة ضيفاً مع زوجته عند عماد الدين رجل الصدر وحضر الاجتماع بجنيف وسيحضر قريباً للآستانة وحينذاك يمكن الاستعلام منه عما دار بذلك الاجتماع ثم قلت له ( بقصد أن ينقله إلى طلعت بك لأنه من المخلصين له ) أنى لا أقبل أن أعامل بهذه الكيفية ولا أن أعيش فى هذا الوسط الفاسد محاطاً بالجواسيس والشكوك تحوم حولى ، وأنى أطلب تحقيقاً بخصوص هذه التقارير لأثبت كذب مقدميها والا إن كنت مجرماً فأطلب محاكمتى أو نفيي إلى داخل البلاد أو خارجها . وأنى حضرت خصيصاً من برلين لهذه الغاية مع أنى أتعجب أن الاتحاديين يصغون لمثل هذه الدسائس بعد ما أديناه لهم من الخدم(١) فى مصر من سنين مضت . ثم انصرفنا على أن نجتمع فى الغد (السبت) ليطلعنى على الجواب الذى ضبط مع لبيب لأتأكد إن كان بخطى أم لا . اجتمعنا ودعانى للغداء ثم قلت له أنى أريد مقابلة اسماعيل بك جانبلاط رئيس الأمنية العمومية ووالى الآستانة وذهبنا معاً إلى مكتبه فى دار الولاية وكررت عليه كل ما اشتكى منه وطلبت منه أن يتكلم مع طلعت ويخبره بأنى ألح فى طلب التحقيق فوعدنى بذلك وانصرفت ولكنه لم يرسل لى خبراً مطلقاً بما فعله .

## (١٨٦)

بعد مقابلة أنور باشا نصحنى باشحميه بمقابلة طلعت ثانياً فذهبت إليه فى اليوم التالى ١٣ منه ، فأرسل إلى فؤاد بك سكرتيره الخاص يخبرنى بأنه مشغول وبأن أحضر يوم ١٧ منه . عند خروجى من عنده ، قصدت نظارة الخارجية وطلبت مقابلة خليل بك فطلبنى فى الحال وجرى ذكر اجتماع جنيف فأخبرته بأن ما ورد لهم من التقارير مشوه بالمرة بل وبه أكاذيب كثيرة دست بسوء قصد ، فقال أنى لم أهتم بهذا الموضوع ، ولما أخذ رأيى فى نشر التلغراف الوارد للصحافة بنص قرارات هذا الاجتماع وافقت على نشرها لأنى لم أجد بها شيئاً ، ويظهر لى أنكم ما عقدتم هذا الاجتماع إلا لأن الشيخ جاويش يتكلم ببعض أمور ويبدى بشأن مصر آراء لم تتفق مع مبادئكم وهو بها يعبر عن رأيه الخاص ولكن يفهم بعضهم بأنه يعبر عن أفكاركم وهو غلط فأردتم إسقاطه بهذا القرار القاضى بأنك الممثل الوحيد للقطر المصرى ، فقلت له إننا لم نهتم بما يقوله الجاويش لعدم وجود أى صفة له فى حزبنا لأنه لم يكن

---

(١) كلمة الخدم هنا تعنى : الخدمات .

عضو فى لجنته الادارية ولا عضو بسيط بل ما كان هو إلا كاتب فى جرائدنا بالأجرة يكتب لصالحنا كما يكتب الآن لصالح ألمانيا ببرلين ، أما قصدنا فكان إفهام الخديو بأنه مخطىء فى عدم اكتفائه بالإرادة السنية التى أصدرها السلطان للمصريين فى ١٥ فبراير سنة ١٩١٥ وبأننا نحن مكتفون بها وبما وعدنا به من رجال الدولة ورجال ألمانيا .

يوم ١٧ منه ، قصدت طلعت بك حسب طلبه ولما أدخلت عنده فاجأنى بقوله Nous ne sommes pas bien ensemble فأجبته : وإنى حضرت هنا بسبب هذا الزعل الذى لا أساس له ، وأخذت أشرح المؤتمر وما دار فيه فقال ان التقارير الرسمية والغير رسمية ( وكانت موضوعة أمامه ويراجعها أثناء كلامه ) متفقة على عكس ذلك . فأفهمته أن القنصل بنى تقريره على ما جاء فى الدعوة ولم يذكر شيئاً عن القرارات التى قررت فى آخر الاجتماع ، فقال إن صورة هذه القرارات ليست عنده فقلت إنها نشرت فى الجرائد التركية والألمانية ويمكنى أن أحضر له قطعة من جريدة برلينر تاجبلات بها صورة القرارات المذكورة فقال القرارات شيء وما يقال فى الاجتماع شيء آخر ، فأجبته بأن القنصل لا يمكنه أن يعرف ما دار بيننا بالطبع ولكنى أؤكد لكم بأنه لم تذكر فى الاجتماع كلمة ضد الدولة مطلقاً ، فسألنى عن على بك الشمسى وقال إنه هو المتهم بالقول بأنه يفضل الاحتلال الإنكليزى على الاحتلال التركى ويفضل بقاء الإنكليز عن أن يحتلها جيش عثمانى فدافعت عنه .

## (١٨٧)

ولكنى وجدت الرجل متشبع بهذه الفكرة ثم قال إن أعضاء جمعية طلبة جنيف الذين دعوا إلى هذا الاجتماع هم مجرمين فى نظرنا ، فدافعت عنهم بكل شدة . وأخيراً كررت له طلب تحقيق جديد لأنى لا أقبل أن أكون محاطاً بهذه الشكوك الخ وطلبت سماع شهادة حسين شرين بك الذى حضر يوم ١٢ منه لأنه حضر الاجتماع . فقال لست محتاج لشهود ، إنى أصدق كل ما تقول لى ، ثم قال لى : غد يوم الثلاث الآتى ٢٢ الجارى ومعك ورقة الدعوة وصورة القرارات ، وأنه هو سيحضر التقارير الواردة من جنيف ليسألنى عما فيها ببعض التفصيل .

فى ١٢ منه ، قابلت البرنس حلمى عم الخديو عباس فأخذ يشتكى من معاملة الصدر له ولبعض أعضاء العائلة ومن طعنه دائما على مصر والمصريين فى كل مجلس وإظهار احتقاره لكل من يدعى الوطنية أو يتمسك بالجنسية المصرية حتى

أنه هو وسيف الله باشا يسرى ما تحملا هذا الحالة خصوصاً وأنه أرسل لهما أسعد بك نجل المشير فؤاد باشا والموظف فى الخارجية يهددهما بالنفى إلى داخل البلاد بصفتهما عثمانيين أو لخارجها باعتبارها أجانب فتشاحنا معه ، وسيف الله باشا أغلظ له القول ومن وقتها امتنعا عن مقابلته بالمرة ، أما بخصوص الخديو فقال لى البرنس إبراهيم بأنه كتب له يرجوه بالخروج من سويسره والإقامة بالنمسا كما كان أو بألمانيا إن لم يرد العودة إلى الآستانة ، وأرسل له الجواب مع عقيل يسرى ، ولذلك فالصدر غاضب على عقيل يسرى وأمر بمنعه من الرجوع إلى أراضى الدولة فظل نحو ثلاثة شهور بين ويانه وصوفيا ، وعاد أخيراً قبل مبارحتى الآستانة بنحو أسبوعين أى فى منتصف مارس . يقول البرنس إبراهيم أن الصدر قال له أثناء المشاحنة : إنك أرسلت تطلب من الخديو عدة آلاف من الجنيهات لتشترى بعض رجال جمعية الاتحاد ليعزلونى من الصدارة ، ولكنى سألت الجمعية عن رضاهم عنى فأجابونى بانى لاخطر على من العزل . فانظر إلى هذه السخافة : يعترف هذا الصدر بأنه رجل اللجنة وان غضبت عليه تعزله ، وأن رجال اللجنة يشتروا بالمال.

فى ١٥ منه ، قابلت شكيب بك(١) الذى كان من رجال لجنتنا بمصر وانقلب من أنصار الصدر ، فأراد أن يسألنى عن اجتماع جنيف ، فقلت له قد حضره حسين بك شيرين الذى وصل هنا يوم ١٢ منه الجارى وهو مقيم فى منزل عماد الدين فاسأله ، أما أنا فلا تسألنى مطلقاً عن شىء .

يوم ١٨ منه ، حضر الدكتور أحمد فؤاد بناء على طلبى إلى الأوتيل لمعالجة عينى وأخذت أسأله عما قدم ضدى من التقارير حديثاً فقال إن لديهم أخبار بأنى زرت والدة الخديو عباس مرتين ،

(١٨٨)

واختليت بها أكثر من ساعة وأقسمت لها ( ماسكا شاربى ) بأن الخديو عباس لابد أن يدخل مصر على رأس الجيش المحارب رغم الأتراك ، وبأنى زرت زوجة الخديو كذلك بقصر جبوقلى ، فقلت له الحقيقة ، وهى أنى ذهبت لسراى الوالدة وقابلت

---

(١) شكيب أرسلان ( ١٨٦٩ ـ ١٩٤٦ ) مؤرخ وعالم فى السياسة والأدب . ولد بلبنان وأقام بمصر فترة ، وزار الأستانة بعد أن عين نائبا عن حوران فى مجلس المبعوثان ، زار أكثر المدن الأوربية كما زار أمريكا ، وكتب عن كل رحلة رسالة أو معالة أو بحثا . تحمس للسياسة الاسلامية وعالج القضايا العربية . له مؤلفات عديدة تتناول الرحلات والأدب ، بالاضافة الى مذكراته وشعره الذى نظمه فى صباه ( أنظر : الموسوعة الميسرة : ص‌ص ١١٧ و ١١٨ ) .

الباش أغا دون خلافه وأرسلت إليها السلام عن يده، وإنى لم أقابلها فى حياتى، على أنى لم أزل متمسكا بحريتى المطلقة فى زيارة من أريد ، وإنى أعتبر هذه المراقبة إهانة لى ، ودليل جديد على عدم ثقة رجال الحكومة بى .

ثم أخبرنى فؤاد بأنه سمع من الدكتور Weber ترجمان أول السفارة بأن الطلبة المصريين بسويسره الذين قطعت مرتباتهم التجأوا إلى قنصلاتو(١) إنكلترا بجنيف وطلبوا منه(٢) المساعدة ، فلم أصدق هذا الخبر واعتبرته من مخترعات فؤاد ، ولكنى بكل أسف علمت عند رجوعى إلى جنيف أن الخبر حقيقى وأن بعضهم عادوا إلى لوندره لإتمام دراستهم هناك وهم : عباس طلعت صبور وحسين أمين حتحوت وحشيش . تكدرت من ذلك لأن الترك يتخذوه دليلا على ضعف وطنيتنا ورجوعنا إلى عدونا عند ملاقاة أقل صعوبة فى الحياة . ولكن من جهة أخرى هذا العمل يؤيد ما قلته وكررته فى الآستانة من أن معاملة المصريين بهذا الجفاء واظهار الشك وعدم الثقة نحوهم تكون نتيجته نفورهم منهم وابتعادهم عنهم بل وتفضيلهم الإنكليز عليهم.

فى ٨ منه ، قابلت البارون أوبنهايم وقصصت عليه كل شكاواى من الأتراك تفصيلا ودسائسهم أو دسائس الصدر كما يقولون، تفصيلا وارسالهم الجواسيس من المصريين خلفى إلى برلين تحت قيادة الشيخ جاويش وإلى سويسرا تحت قيادة فؤاد سليم ، وقطع مرتبات الطلبة واسماعيل لبيب وغيرهم ، وأن هذه السياسة تبعد المصريين عنهم ولو علمت بمصر ربما أوجدت حركة سيئة تعرقل الحملة ، فأخذ مذكرات بكل ذلك ووعدنى بتقديم تقرير إلى السفير . ثم تكلمنا بفكرة سفرى إلى الشام بدون أن أخبره بأنى تكلمت بشأنها مع زمرمان فلم يوافق وقال إن جمال باشا لايريد أن يكون بجانبه مصريين خصوصا من الحزب الوطنى ، فقلت له أنى عدلت عن هذا الرأى لما وجدته هنا من الجفاء .

كنت مع أحمد فريد ذات يوم فى البوسفور فقابلنا شكيب بك صدفه فى الوابور ودار ذكر قطع المرتبات عن المصريين . فقال إن عبد الملك وأخوانه أعيدت لهم مرتباتهم لأنهم غير المقصودين بذلك القرار ( أى أنهم من أعوان الصدر وأن كل من لاذ به لا يجد إلا معاملة حسنة ) .

---

(١) المقصود به : القنصل .

(٢) هكذا وردت فى الأصل وصحتها : «منى» .

يوم الثلاث ٢٢ منه ، قصدت نظارة الداخلية حسب الاتفاق وقابلت طلعت بك وكان معه رجل لم أعرفه ، فبعد مبادلة التحية أعطيته قطعة من جريدة برلينر تاجبلات الصادرة فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٥ بها صورة قرارات اجتماع جنيف ومعها ترجمتها بالفرنسية ، ثم قال لى أن أشغالى لا تسمح لى بالإستعلام منك عما أريد وقد كلفت عزيز بك هذا (الذى كان معه) مدير الأمنية العمومية ليستعلم منك عما هو لازم ثم يقدم لى ملخصاً ، وقلت وهو كذلك . واتفقت مع عزيز بك المذكور بالمقابلة فى الغد بديوان الأمنية العمومية وانصرفت . داخلنى الريب عند ذلك وقلت إن إحالة المسألة على مدير الأمنية العمومية تفيد أنهم يريدون استجوابى كمتهم ، وبما أن الحكومة عرفية فلا يبعد أن يحيلونى على المجلس العسكرى لمحاكمتى بالخيانة ، وأنور باشا سندى الوحيد غائب فى جهات الشام ، ولذلك لما عدت إلى الفندق أخبرت أحمد فريد ابن أختى بملخص ما دار ولم أخف عنه تخوفى من غدر هؤلاء الأشرار ، وأخبرته أنى عزمت على إخبار سفارة ألمانيا بكل ذلك لتحمينى إذا قصدونى بشر ولتساعدنى على السفر من أرض الدولة ، وعلى أخبار جويد بك لأنه يميل إلى وربما يقدر على مساعدتى على الخروج من هذا الشرك وهكذا حصل. أخبرت البارون أو بنهايم بكل ما لدى فأخذ به مذكرات طويلة وقابلت جاويد بك فى النادى التركى الساعة ٧ مساء وقصصت عليه أعمال طلعت بك فوعدنى بالتكلم معه وأخذ يهدىء خاطرى. وقلت له إن لم أحضر باكر إلى الساعة السادسة مساء فأخبر سفارة ألمانيا وجويد بك بغيابى إذ ربما أكون قد حجزت .

فى اليوم التالى الأربعاء ٢٣ فبراير سنة ١٩١٥ ، الساعة ٢ بعد الظهر قصدت الأمنية العمومية فأدخلت فى غرفة الدكتور أحمد فؤاد ولم يكن هو بها . وبعد قليل حضر عزيز وقعد أمام مكتب فؤاد وأخرج منه دوسيه غليظ من درج المكتب المذكور ، مما يؤيد أن أحمد فؤاد هو الذى كان مكلفا بجمعها أو حفظها . فجلست أمامه ولكن بلا أقل احترام بل تعمدت إظهار الكبر والعظمة ، وخلعت طربوشى ووضعته على كرسى والبالطو على كرسى آخر ، ووضعت إحدى رجلى على الأخرى. ثم قلت له بكل فظاظة : أريد أن أعرف قبل كل شىء هل أنت تسألنى بصفتك مدير الأمنية العمومية وأنا أمامك بصفة متهم ، أو أنك تكلمنى بصفتك مندوب من طلعت بك للإستعلام منى عن بعض نقط يضيق وقته عن أن يسألنى عنها ، لأنك لو اعتبرتنى متهماً فلا أجيبك

عن شيء مطلقاً ولا أدافع عن نفسى بل أقول لك (كما قلت للانكليز فى مصر) إفعلوا ما شئتم فبيدكم القوة استعملوها كما تريدون ، وأما إذا كان الأمر إستعلام بسيط فأجيبك على ماتريد. فقال بآدابهم التركية المبنية على الرياء والنفاق : أستغفر الله افندم ، نحن إخوان وحاشا أن نتهمك

(١٩٠)

إننا نريد أن نستعلم منك عن بعض النقط. قلت : فليكن، سل ما تريد. فأخذ فرخاً من ورق وقلماً وأراد أن يكتب شيئاً ، فقلت ماذا تريد أن تكتب أمحضر تحقيق؟ أنا لا أقبل ذلك بل أرفض الإجابة . وكررت له ما قلته بكل خشونة فضحك وقال : كنت أريد أن أكتب بعض مذكرات ولكن بما أن هذا الأمر يغضبك فلا بأس .

[ ثم سألنى عن اجتماع جنيف فشرحت له مسألته كما سبق ثم قال لى إنه كان بالإجتماع امرأة فرنسية، فقلت غير حقيقى ولم يكن به أجنبى إلا المسيو فالك الألمانى مكاتب الجرائد الألمانية، وإنكم تقصدون مدام دى روشبرون الصحافية والتى لى بها معرفة قديمة فأقول لك إنها لم تكن موجودة بسويسره إذ ذاك بل أنها سافرت من جنيف إلى فرنسا فى ٢ أكتوبر سنة ١٩١٥ أى قبل الإجتماع بأزيد من شهرين ويمكن قنصلكم التأكد من ذلك إذا كلف خاطره واستعلم من قنصل فرنسا بجنيف، الذى وقع على جواز سفرها ، ولكنه يكتب بسوء نية وخبث طوية إرضاء لسيده الصدر. فضحك ضحكة صفراء وقال هذا غير مهم . ثم أطلعنى على الجواب المرسل منى لإسماعيل لبيب وادعوا بأنهم ضبطوه معه عند سفره من الآستانة لأوروبا فى أغسطس سنة ١٩١٥ ، فوجدته نصف جواب بخطى مرسل إليه من الآستانة إلى دمشق عقب تعيين جمال باشا قائداً عاماً للحملة المصرية ، أعطيه بعض ملحوظات عما يجب عمله مع جمال باشا وعند دخولهم مصر ، ويتلخص (بقدر ما أتذكر) فى أنه يكون بصلة تامة مع جمال باشا وأركان حربه ليقف على أعمالهم ويخبرنا بها أولا بأول سواء كنا بالآستانة أو بالطريق (أريد بذلك بالطريق إلى الشام فمصر حسب ما كان متفقاً عليه بين الخديو وأنور باشا) وأنهم إذا دخلوا مصر يعينون فى الوظائف بعض إخواننا الأشداء، وأنهم لا يؤذون أحد مطلقاً من مخالفينا وأعدائنا بل يقبضون عليهم ويبقونهم حتى يصل الخديو ويشكل مجلس عسكرى لمحاكمتهم بصفة قانونية ، وأنهم يقومون بمصر عند وصول الخديو بمظاهرة كبرى لنبرهن للأمة أن الخلاص من الإنكليز هو نتيجة مساعى الحزب الوطنى . أما من يقبض عليهم شاهرين السلاح فى وجه

حديثى مع عزيز بك مدير الأمنية العمومية

جيش الدولة فهؤلاء يحاكمون فى الميدان ويضربون بالرصاص . اه ملخصاً .

فقلت : هذا الجواب بخطى ولكنه نصف جواب ومكتوب عليه بالقلم الأزرق حرف ب فأين النصف الأول المرموز له بحرف أ . إن هذا الجواب لم يضبط مع إسماعيل لبيب بل سرق من البوسطة بالآستانة أو بالشام مما يدل على أنكم تراقبون أعمالنا من أول الأمر وقبل أن يحصل

(١٩١)

أقل خلاف بينكم وبين الخديو بل فى الوقت الذى تظهرون لنا فيه كل ثقة وإخلاص فهل هذا يصح ؟ قال : هذا ليس من شأنى وأنا وجدت هذا الجواب بهذه الصفة وأنا عينت فى هذه الوظيفة من عهد قريب ولا أدرى أين أذهب النصف الثانى . فقلت له أخفاه أصحاب الغايات ، إذ ربما كان به من جمل وعبارات تهدم ما بنوا من دسائس وتدك ما شيدوا من مفاسد . بعد ذلك سألنى هذا الغبى : ولم لم تمض هذا الجواب . فقلت له يظهر أنك لم تفهم ما قاته لك من أن هذا الجواب هو نصف فرخ وهو بمثابة برنامج لما يفعل والجواب على النصف الفاقد ، ولابد أن يكون موقعا عليه ، فإن وجدته وكان خالياً من التوقيع يكون لك الحق فى توجيه هذا السؤال لى . ومع ذلك فأنا خطى معروف فى جميع الدوائر ولم أنكر ما فيه حتى يكون عدم التوقيع عليه قرينة ضدى . ومع ذلك فما فى هذا الجواب ضد الدولة ، أيفيد أنى أحرض على مقاومة جيشكم وأنا القائل فيه بضرب من يقف فى وجهكم شاهراً سلاحه بالرصاص ؟ فقال : لا ولكنه يفيد عدم الثقة لإنك تقول للبيب بك لا تفارق جمال باشا وأركان حربه مطلقاً . فقلت هذا غير صحيح ، لأنى قلت له أن يكون على صلة تامة معهم وهذا لا يفيد منى الملازمة ملازمة الظل للشبح . فقال الترجمة التركى تفيد هذا المعنى . فقلت مترجمكم خائن فإنه لم يصدق فيه ولا بد أن يكون من حزب الصدر . أخيراً بعد مجادلة طويلة لم تخرج عن هذا المعنى قلت أنا أعرف أن هذه كلها دسائس من رجال الصدر الذين يرأسهم عماد الدين ويعضدهم الشيخ جاويش ومن معه ، وأرسل من بينهم فؤاد سليم إلى برن ليكون جاسوساً علينا ، وليس بهذه الكيفية تستميلون المصريين . فإن هذه المعاملة الفظة وقطعكم مرتبات من تساعدوهم ما لم يسكنوا الآستانة ، ومنعكم دخولهم الدولة أو الخروج منها إلا بأمر مخصوص كأنهم جواسيس لأعدائكم . هذه الأعمال لو علمت فى مصر ، ولابد أنها تعلم ، تضركم وتعرقل مساعيكم فإن الدولة العلية لو ظلت بمفردها أمام أوروبا فهى مأكولة لا محالة ، ولابد لكم من صداقة المصريين

والاتفاق معهم إتفاق الند مع الند والقرين مع القرين، وإلا أكلتكم أوروبا بل أكلكم الألمان أصدقائكم الآن كما أكلت أوروبا مصر لما أرادت الإنفصال عنكم، فلا خلاص لنا ولا لكم إلا بالإتفاق، كالنمسا والمجر أو كبروسيا والولايات الألمانية كما شرحته في رسالتي الأخيرة. ولكن كان كلامي بشدة وبصوت عال أرهب الرجل وأثر عليه.

ثم قال: لم أنت في خلاف مع أحمد فؤاد والشيخ جاويش؟ فقلت له لست في خلاف مع فؤاد فهو صنيعتي وأنا ربيته وصرفت عليه ولم يختلف معي في شيء، أما الشيخ فلا رأي له أعرفه وهو ليس

(١٩٢)

من لجنتنا الإدارية ولا من حزبنا بل كان كاتباً بالأجرة(١) يكتب في صالحنا ما نأمره به كما يكتب في صالحكم وكما يكتب الآن في صالح ألمانيا ويكتب غداً لصالح الإنكليز، ومع ذلك ليكتب أولا عقيدته السياسية وموقع عليها بخطه ثم يطلعني عليها لأرى إن كانت موافقة لمذهبنا المبني على أن (مصر للمصريين) أم لا. قال بعد ذلك: هل الحزب ما زال موجوداً، هم يقولون إنه غير موجود، فقلت: إن حزبنا الآن بعضه مشتت في أوروبا والبعض مختفي في مصر، فحالة حزبنا الآن كحالة حزب الإتحاد أثناء إضطهاد عبد الحميد لكم، ومع ذلك تريدون أن تقولوا بأن الحزب الوطني تشتت أو عدم بالمرة، وبالتالي فلا معنى لأن أكون رئيساً لحزب غير موجود، فأنا مستعد للإقرار لك بأني متنازل عن الرئاسة لأني شبعت شهرة، فضلا عن أن مثل هذا التنازل لا يفيدكم بشيء لأن اسمي لن يزال هو المسموع في أوروبا. بعد ذلك قلت له: هاك ما عندي من الأقوال أرجوك أن تبلغها حرفياً مع جميع ما قلته لك من الملحوظات إلى طلعت بك وتبلغه استيائي من هذه المعاملة وهاتيك المراقبة الشديدة، فإن أراد بيانا أوضح فأنا تحت طلبه ومستعد للإجابة مع العلم بأني أعتبر نفسي حرا في أن أقابل من أريد رغماً عن جواسيسكم العديدين مصريين وغير مصريين

ثم عدت إلى الأوتيل وقابلت أحمد، فوجدته منشغل البال ولكنه إطمأن. وبعدها قصدت أوبنهايم وقصصت عليه ملخص ما دار وقلت له: لا أقبل الإقامة في هذا البلد محاطاً بالجواسيس ومهدد في كل لحظة وانشا الله عند

---

(١) يقصد أنه كان كاتبا مأجورا.

عودة أنور باشا سأسعى للسفر إلى الخارج ولن أعود إليها مطلقاً حتى تنتهي الحرب ونعلم ماذا تكون حالة مصر بعدها .

في ٢٥ فبراير ، حضر جويد بك لتناول طعام الظهر معي وأحمد بالأوتيل فقصصت عليهما دار بيني وبين عزيز بك تفصيلا ، وأظهرت له إستيائي من هذه التصرفات وكيف أني مراقب من أول الحرب، وكيف أنهم سرقوا جواباتي بدمشق ، كل ذلك بواسطة الشيخ جاويش وأعوانه الذين أفهموا جمال باشا بأن اسماعيل لبيب بك جاسوس الخديو ، وأنه يراقب حركاته بأمر الخديو والحزب الوطني ، نسمح لكل المصريين الذين كانوا بدمشق بالسفر إلى الحدود وحجزه هو فقط ، كما أنه أهمل توزيع الرسالة التي طبعها إسماعيل بك بالشام ووقع عليها باسمه بصفته مندوب الحزب الوطني . كل ذلك يفيد أن لا ثقة للجمعية بنا لأننا ننادي بأن مصر للمصريين ، والصدر ومن على رأيه يقولون مصر للأتراك .

زيارة جويد بك لي

(١٩٣)(١)

وهذا مالا يكون أبدا ، فأبدى الرجل أسفه ولكنه لم يجسر على قول كل أفكاره ، على أنه وعدني بالتكلم مع طلعت بك، وفي أثناء الحديث فهمت من أقواله أن لا أمل لهم في دخول مصر لانشغالهم في العراق وبالأخص في أرمينيا . ومما أيد لي هذا الظن أنه أخذ يتداول معي فيما تكون حالة مصر فيما إذا تم الصلح بدون أن تحتل الخديو (٢) التركية مصر ، فقال: ان الحالة لا تخرج حينئذ عن إحدى ثلاث ، الأولى رجوع الحالة إلى ماكانت عليه قبل الحرب ، أي بقاء الاحتلال مع ارجاع السيادة العثمانية ، الثانية رجوع الحالة إلى ماكانت عليه قبل سنة ١٨٨٢ ؛ اجلاء الإنكليز عنها مقابل جلاء الألمان عن بلجيكا مثلا ، والثالثة جعل مصر مستقلة تماماً وعلى الحياد المطلق كما كانت بلجيكا قبل الحرب ، فقلت له: يلزم على أي حال أن تكون ضفة قنال السويس الأسيوية في قبضة الدولة حتى يمكنا الاستمرار على حركتنا الوطنية . ويمكن للدولة مساعدتنا في إدخال السلاح والاستعداد للثورة حتى نقوم عند سنوح الفرصة وعلى شرط أن يكون لمصر جيش قوي يمكنها معه من الدفاع عن استقلالها ضد كل مهاجم أياً كان . ثم قال : إن حالة الدولة المالية سيئة جداً ولا يمكنها الاستمرار في الحرب إلى آخر هذه

---

(١) في أصل المذكرات وضع محمد فريد رقما مزدوجا ( ١٩٢/١٩٣ ) وثانيهما هو المتمشي مع تسلسل ارقام الصفحات .

(٢) هكذا وردت بالأصل وصحتها « الخديوية » .

السنة إلا بكل مشقة ، لأنها تكون صرفت فيها إلى آخر سنة ١٩١٦ زيادة عن مايتين مليون جنيه عثمانى علاوة على الديون القديمة ، وحالة الدولة لاتسمح بالقيام بفوائد هذه المبالغ الباهظة زيادة عما يلزم من الأموال لإصلاح أمورها الداخلية وفى غير إمكانها زيادة الضرائب بسبب فقر البلاد من جهة وبسبب نقصان الإيراد بسبب ما سلخ عنها من البلاد فى حرب البلقان ، ولا أمل فى زيادة الإيراد إلا من الجمارك ثم قال : ومما يضطرنا لقبول الصلح قبل ختام هذه السنة نقصان المساحة المتزرعة غلال فإنها لاتتجاوز أربعين فى الماية مما كان متزرعاً فى العام الماضى وإذا استمر (١) الحرب إلى سنة ١٩١٧ حلت بالبلاد الفاقة والمجاعة الشديدة . مما قاله لى أن الشيخ جاويش يخدم الآن فى ألمانيا بأموال ألمانيا فقلت : لاعجب ، فهو طول حياته أجير يخدم من ينقده المال فهو أنانى متشرد يخدم نفسه ، وما اتخذ مسألة الجامعة الإسلامية الاأحبولة لكسب المال.

منع نشر مقالة عمر رضا يوم تاريخ وفاة مصطفى كامل

مما يفيد تغير الأتراك علينا لأننا نقول بأن مصر للمصريين ، أن عمر أفندى رضا المحرر القديم بجرائد الحزب الوطنى كتب فى العام الماضى مقالة فى يوم وفاة مصطفى كامل ونشرت فى جريدة «تصوير أفكار» فى ١٠ فبراير . وفى هذه السنة أراد ذلك وحرر المقالة وأطلعنى عليها ثم

(١٩٤) (٢) .

سلمها لادارة الجريدة المذكورة فمنع المراقب العسكرى نشرها ، وذلك لأنهم لا يريدون أن تذكر مصر فى جرائدهم بصفتها مطالبة بحريتها وذكر مصطفى كامل يجر حتماً لذكر مطالب المصريين .

الأمير ابراهيم حلمى وولى العهد وسن الرشد

فى ٢٦ مارث ، قابلت البرنس ابراهيم حلمى فقال لى أثناء الحديث انه تكلم مع أحد رجال الترك وأظنه جويد بك بخصوص سعى الصدر فى نوال خديوية مصر ، فقال إنه لا يستحق الخديوية لا بمقتضى الفرمانات القديمة ولا الحديثة ، لأنه ليس بأكبر أعضاء العائلة سناً بل يسبقه البرنس حسين كامل وأخوه محمود ، وهو أى ابراهيم والأمير على فاضل ، فالصدر حينئذ يكون الخامس ثم اقترح ان كان ولابد أن يعين

---

(١) هكذا وردت بالأصل وصحتها : استمرت .

(٢) فى أصل المذكرات ورد الترقيم على هذه الصورة ( ١٩٣/١٩٤ مكرر ) وثانيهما هو المتمشى مع تسلسل أرقام الصفحات .

الأمير عبد المنعم مكان والده ويجعل سن الرشد ٢٠ سنة أو ٢٢ مثلا ويستحضر إلى الآستانة ليتربى تربية معتنى بها ولا يترك كما هو الآن مهملا .

فؤاد سليم والتقارير

في ٢٩ مارث ، حضر أحمد فؤاد بناء على طلبي للاستعلام منه عما قاله لكامل افندى نجاتى باشمهندس ولاية أزمير بخصوص ما قدم ضدى من التقارير الجديدة ، وملخصها بأنى أتوجه إلى سفارة أمريكا وآخذ منها بوسطة الخديو عباس وأسلمها إلى رجاله فى جبوقلى ، وأنه أى فؤاد يوافق على ما قلته لنجاتى بأن أسافر إلى أزمير وأقضى بها بضع أسابيع حتى تهدأ هذه الزوبعة وعندما(١) اعترض نجاتى على معاملتى بهذه الكيفية فقال إن الحكومة متخوفة منى كثيرا ، لذلك هى تراقبنى بكل شدة ، أعاد لى نجاتى هذه الحادثة فطلبت منه أن يستدعى فؤاد تلفونيا فحضر فى ذلك اليوم الساعة ٤ مساء بقهوة الدستور ، فكرر لى هذه الأقوال ثم زاد عليها بأنه قدمت تقارير ضدى بأنى زرت السيدة الطليانية التى كنت أسكن عندها سنة ١٩١٤ وسيدة أخرى رومية اسمها خرالمبوس ، كما انى زرت سفارة ألمانيا وأوبنهايم ، وانى سافرت مرارا لزيارة الوالدة والحرم فى قصر جبوقلى ، فقلت : انى لا أعرف سفارة أمريكا ولا علاقة لى بها ، وانى حقيقة زرت سفارة ألمانيا لأنى حر أزور من أريد ، أما زيارتى للوالدة الحرم(٢) فهذا غير صحيح . والحقيقة أنى سافرت إلى بيوكدره لزيارة بعض المعارف ، وكان قد قابلنى نبيه افندى المصرى ، أحد جواسيسه ، على الكوبرى ولما سألنى إلى أى جهة ذاهب قلت له للبسفور ، فظن انى أقصد جبوقلى وبلغه هذا الخبر خطأ فلم ينكر فؤاد بل قال : من الغريب أن التقارير التى تأتينا ضدك هى من مصادر تركية ومصرية وكلها متفقة المعنى ، فقلت له كأنك تكذبنى وتصدقها

تخوف الحكومة العثمانية منى

حديث مع احمــد فؤاد

والتقارير المقدمة ضدى

(١٩٥) (٣)

فقال استغفر الله ولكن هذا الاتفاق يوجب الحيرة قلت : وكيف تراقبوننى هذه المراقبة الشديدة بعد ان تفاهمت مع طلعت بك وعزيز بك ؟ قال : ان الحكومة تريد أن تتأكد (٤) اخلاصى ومع ذلك فهذه التقارير ليست من رجال رسميين ، قلت : ان سلمنا بهذا القول جدلا فهؤلاء الجواسيس الغير الرسميين على حد قولك أو المتطوعين

---

(١) هكذا وردت بالأصل ، وصحتها ، وعندها .

(٢) هكذا وردت بالأصل ، وصحتها : للوالدة والحرم .

(٣) فى أصل المذكرات ورد الترقيم على هذه الصورة ( ١٩٤/١٩٥ . [illegible] ) وثانيهما المتمشى مع تسلسل أرقام الصفحات .

(٤) هكذا وردت بالأصل ويستقيم المعنى لو أضيفت كلمة ( من ) بعد كلمة ( تتأكد ) .

للتجسس لايقصدونكم الا لأنهم يجدون لديكم قبولا واحسانا ، ولولا لو كنتم تطردونهم لما عادوا بمثل هذه التقارير المكذوبة . أخيرا تكلمت معه بشأن سفرى إلى أزمير فحسنه واستحسنه ولكن قلت له : نعم كنت عزمت على هذه الرحلة التى أتوق لها من مدة خصوصا لأطلع على الأحوال فى داخل البلاد ، ولكنى عدلت الآن لأنى لوسافرت وعلم ذلك لدى المصريين هنا فى أوروبا لظنوا بأنى منفى بأمر الحكومة ، وهذا يضر سمعة الحكومة ويزيد الخرق بينها وبين المصريين ، أما أنا فالأمر لايضرنى حتى لو كان النفى رسميا لأنى سواء كنت فى أوروبا أو فى الأناطول فأنا فى النفى على أى حال .

فكرة سفرى الى ازمير والعدول عنها

فى أثناء الحديث جاء ذكر ماقدمه فؤاد سليم وأعوانه من التقارير فقال نعم ولكن فؤاد بك سليم لم يرسل الا تقريرا واحدا ملخصه انى حضرت إلى جنيف فى ديسمبر وعقدت مؤتمر الطلبة ، وتحصلت منهم على القرار القائل بأنى الممثل الوحيد لمصر (كذا) فى الخارج . ثم سافرت إلى ألمانيا لمخابرة الحكومة هناك وقد وردتهم عدة تقارير بدون امضاء من المصريين وتقرير مطول عرف فيما بعد بأنه مرسل من أحد المحامين المصريين هناك — اه تقريبا .

مما قاله لى أحمد فؤاد أنه قدمت لهم تقارير بأنى جمعت المصريين بوابور المحروسة الراسى بخليج أيوب ، وأخذنا نطعن فى الدولة ونواياها ضد مصر ، وان رجال الخديو بجبوقلى حضروا هذا الاجتماع ، فقلت له أنى حقيقة ذهبت إلى المحروسة مرتين ، الأولى فى ثانى يوم وفاة كاتبها والثانية فى ختمة اليوم الأربعين بعد وفاته لسماع القرآن وهذا واجب كل مصرى فى الغربة الخ الخ فانظر إلى أى حد بلغت المراقبة؟؟

جنازة كاتب وابور المحروسة واجتماعنا هناك

مما يفيد سوء معاملة المصريين قصدا من جهة الأتراك أنهم لم يعطوا نشانا للآن للضابط المصرى أحمد أفندى عبد الحميد الذى سلم نفسه وفرقته المؤلفة من عشرين سودانيا بجهة سيناء ثم خدم مع رجاله فى الحملة ، بل ولم يرقوا رتبته بل بقى على حالته . كذلك لم يعطوا هؤلاء الجنود نشان الحرب إلا فى هذين اليومين بعد سعى طويل ، والأغرب أنهم أرسلوا لهم يخيرونهم بين أخذ أراض زراعية وبين أن يسافروا إلى العراق ، فقالوا نحن مصريون وسلمنا نفسنا لنخدم مصر وان كنا نريد الزراعة فلدينا فى مصر

التقصير فى حق الجنود المصرية التى سلمت فى سيناء

والسودان مايكفينا ولانسافر للعراق لأن غايتنا خدمة مصر. هذا ماأخبرني به حرفيا ضابطهم أحمد عبد المجيد والصول الذى معهم .

(١٩٦) (١)

احمد فريد والصدر

فى يوم ١٨ مارث، قابل أحمد فريد، الصدر فى منزله، وجاء ذكر قطع مرتبات الطلبة واعادتها فقال الصدر لاغرابة فانهم يجدون من يدلعهم. يريد الاشارة إلى ما فعله أنور باشا بناء على طلبى .

مقابلتى مع مستشار السفارة

فى ١٣ مارث، زرت البارون de Weurath مستشار سفارة ألمانيا وقصصت له ماجرى فأظهر استياءه من تصرف الترك معنا بل ومعهم وقال إن الكبر والإدعاء يقتلهم، وأنهم لايقبلون نصائحهم إلا بعد أن يضربوا ضرباً جديداً كما حصل لهم فى أرضروم، وأن الحملة المصرية لا تسير فى هذا العام، وأن جمال باشا لايريد أن يكون بجانبه مصريون مطلقاً وأظهرت له ضرر ذلك وأنه ضرورى من وجود هيئة ملكية تكون بجانبه عند دخول مصر، وكررت له ما قلته فى برلين للمسيو زمرمان .

مقابلتى لشيخ الاسلام

فى ١٤ منه، قابلت شيخ الإسلام خيرى أفندى فلم أجد منه اللطف الذى كنت أجده عنده من قبل، وتحاشى الدخول فى السياسة معى وكلما حاولت أن أجره إلى موضوعها تهرب .

فى ٢٤ مارث، قابلت باشحميه ليلا فى منزله، وطلبت منه أن يكلم أنور باشا فى رغبتى السفر إلى سويسرا حيث لا عمل لى هنا، وحيث تحيط بى الجواسيس بكيفية جعلت مقامى هنا صعباً جداً فوافق وتكلمنا فى تلك الليلة طويلا عن عدم فهم الأتراك للمسألة الإسلامية واشتغالهم بالجامعة التركية وتنفير المسلمين منهم إلى غير ذلك. وفى يوم الجمعة التالى، عدت إليه فقال إن أنور باشا قد وافق، وأنه هو كلف مختار بك زميله بأن يستحضر لى الأوراق اللازمة، فقصدت قلم التشكيلات يوم السبت وسلمته الجواز لإجراء اللازم .

حديث مع احمد فؤاد

ذهبت بعد يوم أو يومين لسحب الجواز، فقصدت أحمد فؤاد وكان معى أحمد فريد، فلم يحضر باشحميه ولا مختار بك ولم أرد أن أكلم فؤاد بخصوص سفرى مطلقا، ولو أنى معتقد بأنه عالم به. بسبب أخذ الرخصة فى البوليس ولسبب أنها لاتعطى

---

(١) فى اصل المذكرات ورد الترقيم على هذه الصورة ( ١٩٥/١٩٦ مكرر ) وتاليهما المتمشى مع تسلسل ارقام الصفحات .

إلا بعد تصريح نظارة الداخلية ،وقد كنت علمت من باشحميه بأن الحربية كتبت لها بذلك بناء على القرار الأخير القاضي بأن لايسافر مصرى من الدولة أو إليها إلا بتصريح مخصوص . أخذ فؤاد يتكلم بشأن الحزب الوطني ، وعدم وجود جريدة له ثم عرض على أن نعيد نشر العلم أو الشعب بالآستانة باسم الحزب وتحت رئاستي ومراقبتي وأن الحكومة مستعدة للصرف على هذا المشروع بسخاء،فقلت ومن يشتغل معي في تحريره فقال هؤلاء المحامون الذى (١) لاعمل لهم الآن (أى عبد الملك حمزة وإخوانه ) فقلت له : أنا لا أشتغل

اعادة نشر العلم او الشعب بالاستانة

## (١٩٧) (٢)

مطلقا مع هؤلاء النفر ، فضلا عن أنى أقبل (٣) نشر جريدة هنا مع المراقبة العسكرية الشديدة ، فان كانت الحكومة تفكر فى مثل هذا المشروع فليكن نشره فى سويسرا أو فى أى بلد محايدة أخرى . يريد فؤاد بذلك (بناء على رأى أسياده ، طلعت بك وأخوانه ) أن يغوينى لترك فكرة السفر إلى أوروبا لتخوفهم منى . وفى أثناء هذا الحديث أظهرت له أشياء من سوء سياسة الأتراك نحونا ونحو غيرنا من المسلمين اللاجئين إليها . أقصد بذلك أن يوصله إلى أسياده .

لما قررت يوم السفر، قابلت البارون أوبنهايم والدكتور ويبر Weber ترجمان أول السفارة ثم قابلت السفير فى مساء يوم الاثنين ٣ أبريل ولم تخرج أحاديثهم عما دار بينى وبين رجال ألمانيا فى الأحاديث السابقة . ثم سافرت فى صباح الخميس ٦ أبريل الساعة ٧ ولم أخبر أحداً بسفرى مطلقاً ولم يرافقنى إلى المحطة إلا أحمد فريد .

فى أثناء حديثى الأخير مع أحمد فؤاد بشأن نشر العلم قلت له كيف يمكننا نشر جريدة هنا مع هذه المراقبة الشديدة مع أنى لم أتحصل للآن بعد سعى شهرين على الإذن بطبع رسالتى عن الدولة العلية بالعربية والتركية . نعم إنهم لم يرفضوا ولكنهم يوعدون من يوم إلى آخر ، مع أنى أهديت منها نسخاً للنظار وقرأها أنور باشا وهنأنى عليها أسعد باشا طبيب العيون ! فقال إن هذا أمر سهل ويمكن الحصول

(١) هكذا وردت بالأصل ويستقيم المعنى لو عدلت الى ( الذين ) .

(٢) فى أصل المذكرات ورد الترقيم على هذه الصورة ( ١٩٧/١٩٦ ~~سطر~~ ) وثانيهما المتمشى مع تسلسل أرقام الصفحات .

(٣) هكذا وردت بالأصل ، ويستقيم المعنى لو أضيفت كلمة (لا) قبل ( أقبل ) .

فى بحر أسبوع (١) فقلت له هذا كلام . أنت تعودت على السياسة التركية .

فى أثناء حديثى مع أنور باشا يوم ١٢ فبراير تشكيت له من أعمال فؤاد سليم ضدنا وأن الصدر لم يعينه لما كان وزيراً للخارجية إلا لمراقبة الخديو والنكاية بنا . قال : هذا أمر غريب أنا لم أوافق عليه إلا لاعتقادى أنه منكم فقلت : كان ولكن تحول ، قال : سأكتب له جواباً خصوصياً ، و لكن أظن أنه لم يكتب لأنه سافر مساء ذلك اليوم إلى الشام .

هذا ما أمكننى تذكره عما حصل وقيل أثناء إقامتى الأخيرة بالآستانة لأنى لم أكتب هذه المفكرات إلا فى شهر مايو فى جنيف خوفاً من أنها تضبط معى أثناء خروجى من الدولة وأظن أنها مضبوطة . ومع ذلك فاذا تذكرت شيئاً كنت نسيته أقيده على الفور .

(تابع صحيفة ١٩١ : حديثى مع عزيز ) سألنى هل أخذت نقود من الخديو عباس ؟ (ج ) نعم ولا عيب على فى ذلك لأنه خديوننا الشرعى ولا يعتبر أخذ الفلوس منه خيانة . س : هل أخذت نقود من ألمانيا ؟ ج : أبداً قلت ذلك غاضباً ثم قلت : ولم تسألنى هذه الأسئلة الجارحة (أأنا متهم بالخيانة لألمانيا صديقتكم ؟ وهب أنى أخذت منها نقوداً فهل هى من الأعداء المحاربين؟ ج : سكوت س: ومما تصرف الآن؟ ج : اسأل أنور باشا فهو الذى يعطينى ما أعيش ؟ س : كم أعطاك؟ ج: إذا

من اين اعيش ؟

(١٩٨) (٢)

كان ضرورى من ذكر المبلغ فهو ٤٥٠ جنيه تركى أعطاها لى فى يونيه الماضى للصرف على بعض الأمور الصحافية وعلى نفسى أ هـ .

وقد سألنى عزيز بك أيضاً عن عبارات كنت قلتها فى أكتوبر سنة ١٩١٤ فى اللجنة التى كانت شكلت لبحث مسألة مصر وترتيب حركة بها وكان من ضمنها سليمان عسكرى بك ( الذى انتحر فى العراق بعد أن هزمه الإنكليز بسبب فشل

---

(١) هكذا ورد بالأصل والمقصود بهذه العبارة أنه يمكن الحصول على تصريح بطبع الرسالة فى بحر أسبوع .

(٢) فى أصل المذكرات ورد الترقيم على هذه الصوره ( ١٩٧/١٩٨ ) وتابعهما المتمشى مع تسلسل ارقام الصفحات .

تدبيره ) وبهاء الدين مناسترلى واحمد فؤاد الدكتور ولبيب مسلم واسماعيل لبيب والشيخ جاويش وأنا ، وكرر لى الألفاظ التى قلتها وقتئذ وهى ( احترسوا فى الكتابة حتى لا يقول إخواننا المصريون بأننا سلمنا مصر للأتراك خصوصاً ونحن متهمون بذلك من قبل ) فقلت : نعم قلت ذلك ولم أزل أكرره لأن هذا إعتقادى ولم أتحول ، وإن تحول الشيخ جاويش وتبعه بعض طلاب الوظائف فهم وشأنهم . ثم سألنى عن اللجنة التى كانت تجتمع بمسكنى عند مدام لاتومى وفيها شفيق باشا والسيد كامل والشيخ .

تحول الشيخ جاويش للأتراك

فى أثناء ذلك وصلنى جواب من اسماعيل لبيب بك ، وبالتأمل فى ظاهره وجدت آثار أحماض مختلفة الألوان وضعت عليه بفرشة صغيرة لتظهر ما تكون به من الكتابات السرية بأحبار كيماوية ، فأطلعت عليه باشحميه ليخبر أنور باشا بهذه المعاملة الغريبة الدالة على عدم الثقة بكيفية قبيحة ، وكنت حفظت هذا ليكون حجة لى وقت اللزوم ولكنى بكل أسف مزقته ضمن أوراق أخرى عن غير قصد. ولما عدت إلى جنيف أخبرت اسماعيل لبيب بك فقال إنهم فعلوا ذلك بالجوابات التى أرسلتها إليه .

وضع الأحماض على الجوابات لاظهار ما يكون بها من الكتابة السرية

إنى أذكر هذه المسائل لأبرهن على غدر الأتراك ، وعلى أنهم كانوا يراقبون حركاتى وأقوالى من أول الأمر رغما عن تأكيداتهم الكاذبة بعدم الطمع فى مصر وفى العمل معنا باخلاص . ولأبرهن بأن الناقل لهذه العبارات لابد وأن يكون هو الشيخ جاويش لا محالة ، فهو كان يجتمع معنا ليقف على نقول (١) وما نفعل ثم ينقل ذلك حرفياً لجمعية الاتحاد .

يوم ١٦ مارث سنة ١٩١٦ ، قصدت مكتب جلال الدين عارف المحامى (وكان يتمرن بمكتبى بمصر وهو الآن نقيب المحامين بالآستانة وأستاذ بمدرسة الحقوق ) للزيارة ، وكان معى أحمد فريد وعبد الحميد رفعت ، وبالطبع دار الكلام على تصرف الحكومة العثمانية نحو المصريين وقطع مرتباتهم ما لم يعودوا للآستانة وعدم خروجهم من الدولة أو الدخول إليها إلا باذن مخصوص ، فأخذ يدافع عنها دفاعا بارداً أهمه أن بين المصريين رجال يوالوا الإنكليز وينقلون لهم أخبار ، مثل محب باشا ، لذلك الدولة اضطرت لهذا التشديد ، قلت : حسن ، ولكن يلزم أن يكون التشديد على المشبوهين فقط لا على كل المصريين لأنك لا تنكر أن بين غيرنا من

جلال الدين عارف والترك والعرب والمصريين

---

(١) هكذا وردت بالأصل ، ويستقيم المعنى لو اضيفت ( ما ) قبل ( نقول ) .

(١٩٩) (١)

المسلمين جواسيس فلم لم يكن الأمر عاما ضد كل مسلم أو كل مسافر على العموم ، ان تخصيص المصريين بهذه المعامله مؤلم لنا فضلا عن تأثيره السيء لدى المصريين عامة ونفورهم من الدولة لو أستمرت على هذه السياسة الغشومة .

ثم تكلمنا بخصوص حركة تورك يوردى وتفضيلهم المجر على العرب مثلا بدعوى أن المجر من أصل تركي ولو أنهم مسيحيون ، فقال إن السبب فى هذه الحركة (التى لا أوافق عليها ) هم العرب أنفسهم لأنهم أسسوا بالآستانة نوادى عربية وهم يتمسكون بجنسيتهم ، قلت : لهم الحق فى ذلك لأنكم تريدون تتريكهم ( أى جعلهم أتراكاً ) وتحتقرون لغتهم وعوائدهم وتعاملونهم معاملة الكلاب الخ الخ . قلت ذلك لجلال الدين لينقله للصدر الأعظم من رجاله(٢) . ومن الغريب أن الحين بلغ منه مبلغاً عظيما حتى لم يزرنى ولا مرة أثناء المدة الأخيرة التى قضيتها بالآستانة وهى أكثر من شهرين بخلاف عادته .

أثناء عودتى إلى جنيف ، رقفت بمدينة ويانه وقابلت السفير العثمانى حسين حلمى باشا مرتين وفى كلتيهما كان يجتهد فى أن لايتكلم فى السياسة مطلقاً تارة باشتغاله بما أمامه من الأوراق وأخرى بسماع ما يترجمه له مترجمه من قطع الجرائد وغير ذلك ، وهذا بخلاف ما عودنى أياه من قبل من التكلم معى فى المواضيع الهامة ، وهذا ناشيء طبعا عن أوامر وردت له من الخارجية .

وصلت جنيف فى أول مايو سنة ١٩١٦ ، فقابلنى اسماعيل لبيب والشمسى ومحمد باشحميه .

وجدت المدينة مفعمة بالجواسيس أتراك ومصريين ، تحت زعامة الدكتور بهجت وهبى أخ عماد الدين بك وكيل الصدر الأعظم وعبد الملك حمزة وابتدأ هذا وأخوانه فى مقاطعتى علنا وكذلك قنصل تركيا ، لأنه قابلنى فى اليوم التالى لمجيئى بالبنك فسلم من بعيد برفع البرنيطة بكل تكلفة ثم انصرف بسرعة ، وهذا بالطبع من أوامر الخارجية أو على الأقل بأمر فؤاد سليم . وأصبحت دار هذا القنصل مجمع عبد الملك حمزة وإخوانه المنشقين علينا لتدبير طرق التجسس علينا ولكن كل هذا بالطبع لا يهمنا مطلقاً .

---

(١) فى اصل المذكرات ورد الترقيم على هذه الصورة ( ١٩٨/١٩٩ ) وثانيهما المتمشى مع تسلسل ارقام الصفحات .

(٢) يقصد : عن طريق رجاله .

من ضمن مساعى فؤاد سليم ضدنا أنه قال لسفير ألمانيا فى برن : ان لكم عامل فى Territet اسمه يعقوب وهذا يجتمع كثيراً بالمصريين الوطنيين فحذره منهم لأنهم جواسيس الخديو ، وقد قال ضيا بك القنصل ليعقوب نفسه إن الشمسى ولبيب من رجال الإنكليز وأخبرنى اسماعيل لبيب أن الخديو أخبره على حدة بأن هذا القنصل أخبره بأنه سامنى ٢١ ألف فرنك للصرف منها على الصحافة ولم أفعل ، فأكد له لبيب كذب هذا الخبر .

بعد عودتى بيومين حضر السيد كامل ( من قبل الخديو طبعا ) وأخذ يسألنى عن الحالة فى الآستانة ليقف على ما إذا كنت خرجت منها غاضبا أم لا ، فلم أخبره بشىء مطلقاً بل بالعكس قلت له انى مسرور من الحالة ،

(٢٠٠) (١)

وأن علاقتى كما كانت مع رجال الحكومة وجمعية الاتحاد . وأما من جهة الخديو فلم يبق له مخلص إلا أنور باشا ولكنه يأسف على عناد الخديو وعدم تركه سويسره حتى لا يدع لخصومه سبيلا لاتهامه . ثم علمت من السيد كامل أن الخديو فى مخابرة مع الإنكليز ليعينوا ولده بعده وليحفظوا له أمواله فقلت له حسنا . فعلى فرد قائلا أنا لا أؤكد شيئا ولكنى أظن ، فقلت له إن الذى أخشاه هو أن الخديو يغضب الترك ومحالفيه ولا يسترضى الإنكليز من الجهة الأخرى فيخسر الصفقتين ويضر نفسه والبلد معا(٢) . ثم انصرف ولم يأتنا خبر من الخديو للآن(٣) .

حديثى مع السيد كامل

فى ٥ مايو ، ورد لى تلغراف من أحمد فريد من ويانه فحمدت الله على تمكنه من الخروج من الآستانة سالما .

وصول احمد فؤاد لويانه

فى ١٢ منه ، تكلم معى محمد باشحميه بخصوص عدم قبولنا أن يكون سعيد حليم باشا خديو على مصر منعا لكل هذه الدسائس التى لا فائدة منها خصوصا وأننا كنا دائما ضد الخديو عباس فقلت له نعم اننا كنا ولم نزل ضد عباس وإن كنا اتفقنا معه بضع شهور . فانما كان ذلك ظنا منا بأن يسير معنا باخلاص ولكننا لا نقبل سعيد حليم لأنه يكره المصريين ويذلهم فى كل مكان ويقول عنهم أنهم غنم أو متاع تابع لمن يملك

باشحميه والصدر

(١) فى أصل المذكرات جاء ترقيمها ١٩٩ ، وتمشيا مع تسلسل ارقام الصفحات صار صحته هو رقم ٢٠٠ . أنظر الملحق رقم (١) .

(٢) يلاحظ فى أصل المذكرات أنه بعد هذا الحديث ، اربعة أسطر مشطوبة .

(٣) يلاحظ فى أصل المذكرات أنه بعد كلمة ( للآن ) ، سطران مشطوبان .
( للملاحظتين الثانية والثالثة أنظر الملحق رقم (١) أيضا ) .

أرض مصر التى هى فى نظره جفلك (١) للترك، وأرسل يهددنى بالنفى إن قلت مصر للمصريين الخ ما حصل ويحصل منه ، أما لو كان تودد الينا ووعدنا بتنفيذ طلباتنا التى نسعى وراءها من سنين وهى الحصول على دستور كامل لسرنا معه وساعدناه ضد عباس ، ولكنه أساء السياسة وأظهر الغلطة فضر نفسه وضر الحكومة العثمانية ، لأن بعضنا تأكد أن هذه أفكار رجال الاتحاد والترقى وإن كنت ما زلت أعتقد فى حسن نواياهم تجاهنا وبالأخص أنور باشا .

الأمير محمد على والانكليز

علمت من الشمسى ( وهو فى صلة تامة مع الأمير محمد على ) أن هذا الأمير كتب تقريراً للإنكليز ينصحهم فيه بأن يعطوا المصريين مطالبهم ويرجوهم أن يصرحوا لدائرته بأن ترسل إليهماية ألف فرنك فأرسل إليه المبلغ ولكن لم تجاوبه الحكومة الإنكليزية بخصوص باقى التقرير .

يوسف صديق والانكليز

فى أحد الأيام كنا بقهوة البورصة ، فحضر يوسف صديق باشا وأخذ يتكلم فى ضرورة الاتفاق مع الإنكليز .

(٢٠١) (٢).

حيث لم يبق لنا أمل تقريبا فى الحملة التركية على مصر بسبب اشتغالهم فى العراق وأرمينيا فتركناه يشرح هذا الأمر ورغبته فى أن يقدم لهم تقريراً مبينا مطالب المصريين منهم ويظهر فيه استعداده وقدرته على استرضائنا للموافقة على الحماية الإنكليزية لو أعطيت لنا النظامات الدستورية فنصبح مثل كندا . ولعلمنا أنه رجل مالى مادى لا يسعى إلا لسمسرة يأخذها أو مال يقبضه باسمنا لم نجبه صراحة بل تركناه يشرح وأخيراً قلنا له سنفكر فى هذا الأمر ، على أنه كثيراً ما يعاود التكلم فى فى هذا الموضوع ولكننا لا نأ ن اليه ولو خالج نفسنا الدخول فى مثل هذا الموضوع فلا يكون هو واسطتنا إلا معنا . فى أثناء التكلم فى هذا الموضوع قال محمد فهمى : ان هذا ما كنا نسعى إليه ونحن فى الآستانة، فأرسلنا نستحضر سعد زغلول باشا لنأخذة ونذهب إلى لوندره وذلك قبل دخول الدولة فى الحرب ونسعى

---

(١) الجفلك ( جمعها جفالك ) : كلمة تركية متسفة من أصل فارسى معناه : الحقل الذى يزرع سنويا بواسطة محراث يجره ثوران ثم اسع مفهوم الكلمة . فأصبحت تعنى الأرض ورأس المـــال ، أى المزرعة الكاملة العدة .

( أنظر . د. رءوف عباس : النظام الاجتماعى فى مصر فى ظل الملكيات الزراعية الكبيرة من ســـنة ١٨٣٧ ــ ١٩١٤ ، ص ٣٤ . ( أنظر أيضا ) .

Rivlin: The Agricultural Policy of Mohamed Ali in Egypt, 1961, p. 66.

(٢) فى أصل المذكرات ورد الترقيم على هذه الصورة ( ٢٠٠/٢٠١ مكرر ) وثانيهما المتمشى مع تسلسل أرقام الصفحات . أنظر الملحق رقم (٢) .

هنالك لنوال الدستور ولكن لم نوفق . أذكر هذا الاعتراف لأثبت أن الرجل ذو وجهين، كان يتظاهر بالوطنية وبالجامعة الإسلامية ومن جهة أخرى يشتغل فى الاتفاق، مع الإنكليز هو والشمسى (والخديو طبعا ) وذلك بدون علمنا .

حديثى مع الدكتور رجب عن فؤاد سليم بك

فى ٢١ مايو ، قابلت فى لوكاندة إنكلترة حيث أتناول غدائى شاب مغربى الأصل تركى التربية اسمه الدكتور رجب كنت عرفته لما كان بباريس بصفة طالب ، فقال لى إنه الآن ملحق بسفارة الدولة العلية فى برن ثم سألنى :لم لم أحضر لبرن قلت: لاشغل لى هناك ، س: ألست صديق فؤاد سليم بك السفير . ج:لا ، أناكنت صديق لشخص اسمه فؤاد سليم بك مصرى كان معنا فى لجنة الحزب وكان كاتب أسرار لجنته وإن هذا الشاب الوطنى توفى فى مصر من نحو خمس سنوات ودفن بها . أما فؤاد الجديد سفير الدولة فلا أعرفه ولا أريد أن يكون لى معه أى علاقة . س : كيف ذلك وأنتما أصدقاء . انى أحترمك وأحترم فؤاد ولا أرضى بمثل هذا التقاطع (١) . ج : لا تقاطع ولاشىء ، فؤاد صاحبنا مات ثم بعث بشكل جديد فأنكرناه وهذا يحصل كثيراً فى السياسية حيث يغير الشخص مبدأه مرة أو أكثر اه . قلت ذلك عمداً وقاصداً أن ينقل هذا الحديث لفؤاد سليم ولابد أنه ينقله (٢) .

(٢٠٢) (٣)

أفكار رجال الدولة العلية نحو مصر

الإسلامية باسم الدين كما ظهر لى أخيراً أثناء وجودى فى الآستانة من جميع رجال الاتحاد ما عدا أنور باشا ، ومن جهة ، لا أمل فى أن ألمانيا تساعدنا عند الترك لأنهم محتاجون اليهم . ولا يريدون أن يغضبوهم فى شىء كما صرح لى بذلك المسيو زمرمان وكيل خارجيتها عند تكلمى معه بشأن معاملة الترك للخديو (فقال حرفيا : نحن لا نغضب الترك حبا فى عيون سموه فليتفق معهم ) حينئذ لا أمل فى خلاص مصر على يد الترك والألمان بل لو دخلاها لجعلاها تركيا ولاية عثمانية بسيطة أو لبقى فيها الألمان . ونحن فى مثل هذه الظروف نفضل بقاء إنكلترا والاتفاق معها على أخذ الدستور ولو تدريجيا من أن يحل محلهم الترك أو الألمان . (٤) .

---

(١) يقصد : هذه القطيعة .

(٢) هناك ستة أسطر عقب هذه الجملة مشطوبة شطبا تاما لدرجة يتعذر قراءتها وهى مرتبطة ، كما يبدو ، من حيث المعنى بالصفحة التالية ، وكان هناك عنوان جانبى هو : على الشمسى . والأمير محمد على ( انظر الصورة الواردة بالملحق رقم (٣) ) .

(٣) فى أصل المذكرات ورد الترقيم على هذه الصورة ( ٢٠١ ) وتمشيا مع تسلسل أرقام الصفحات صار صحته هو رقم ٢٠٢ .

(٤) بعد هذه الجملة فقرة من ثمانية أسطر مشطوبة ( انظر الملحق رقم (٣) أيضا ) .

مقابلة الخديو ولبيب فى زوريخ

٢٦ مايو، وصلنى اليوم جواب من اسماعيل لبيب بزوريخ يخبرنى بأنه قابل الخديو صدفة فى اللوكاندة النازل بها Golden فأخبره بأن الحكومة العثمانية لم تسمح لنور الدين كاتبه بالدخول إلى الدولة وقد عاد، وأنه كتب لخليل بك ناظر الخارجية يبلغه الحادثة فورده الرد شفاهيا عن يد فؤاد سليم وهو بلغه للخديو بالتلفون (بأن فهموا الخديو بأن يخاطب الصدارة العظمى كالمعتاد قديما) يريدون بذلك إذلال الرجل وجبره على مخابرة عدوه وهو سعيد حليم باشا. (١).

ولاية بسيطة وتصريح رجالها بذلك وبالأخص الصدر الأعظم (٢).

(٢٠٣)

٣١ مايو، اليوم وقت الغذاء جاء تلفون من السيد كامل بلوزان إلى الشمسى يخبره بأن لبيب هناك وقابل الخديو وأن الخديو يريد مقابلتنا اليوم قبل أو بعد العشاء، وأنه يريد مقابلتى على انفراد فاعتذر الشمسى عن نفسه ولكن لما أخبرنى امتنعت عن قبول هذه المقابلة بالمرة لما يظهره الرجل نحونا من عدم الاهتمام بل والاحتقار فان لى هنا اليوم شهراً كاملا والسيد كامل أتى من قبله وحادثنى بعد مجيئى بيومين ثم تركنى على أنه سيخبر الخديو بما دار بيننا ويحدد لى ميعاداً للمقابلة ولم يعد. عاد الشمسى للتلفون وأخبر السيد كامل بأنى أخرت سفرى إلى الجبل باكر لتوعك مزاجى ففهم القصد وأتى بلبيب بك إلى عدة التلفون فى أمل أنه يؤثر علينا فلامه الشمسى على سفره إلى لوزان ومقابلته الخديو بعد ما فعله معى ومعهم قبلى أثناء غيابى بالآستانة من رفضه مساعدتهم مالياً لا من ماله الخاص بل بضمانته لهم لدى أحد الماليين فاعتذر لبيب بأنها (زيارة على الهامش) ولكننا صممنا على الرفض حفظا لكرامتنا قبل الرجل الذى بعد أن لوث اسمه بأخذه نقود ألمانيا وبعد امتناعه عن العودة إلى ألمانيا أو النمسا بل وبعد مخابرته إنكلترا أولا وأخيراً بشأن أموره الخصوصية ونحن ندافع عنه حتى اتهمنا معه، ويعاملنا بهذا الاحتقار يعود ويطلبنا لمقابلته كأننا من خدمه يقربنا ويقصنا حسب أهوائه. هذا وسأصمم على هذا الرفض مالم يحصل ما يوجب تغيير فكرى.

امتناعى عن مقابلة الخديو بلوزان

---

(١) بعد هذه الجملة ستة أسطر مشطوبة (انظر الملحق رقم (٣)).

(٢) هذه العبارات، بالاضافة الى عبارات وردت بالهامش الأيسر لهذه الصفحة وهى: «أخبرته فيما بعد فوافق تمام الموافقة» — هى العبارات الوحيدة التى يمكن قراءتها فى صفحة مشطوبة باكملها كان قد رقمها محمد فريد فى بادىء الأمر برقمى ٢٠٢ و ٢٠٣ ولكنه أسقط ترقيمها من حسابه، بدليل أن الصفحة التالية لها رقمها برقم وحيد هو ٢٠٣ (أنظر الملحق رقم (٤)).

علمت اليوم أن مرتب توفيق طلعت صبور أفندى من الذين أعيدت لهم مرتباتهم بناء على سعي لدى أنور باشا ، قد قطع من جديد بلا سبب معلوم . فكتبت لعلى بك باشحميه ليعرض الأمر على الأمر نفسه (١) وقد علمت أن قنصل تركيا يعامل الطلبة المصريين الآن بغاية الاحتقار ، فلا يقابلهم شخصيا كما كان يفعل ويطالب منهم تحرير الوصولات بالتركية بعد أن كان يقبلها بالعربية . وغير ذلك أخبرني حسني بك يكن من نحو أسبوع بأنه كان فى برن وعلم من فؤاد سليم أن لى جوابا عنده مرسل عن يده وسأله عن عنوانى لارساله لى فأخبره حسني بك بأنه لايعلم محل اقامتي ولكنه يعلم بأنى أتناول غذائى فى أوتيل إنكلترا ، ولم يصلنى هذا الجواب للآن ولابد أن يكون أرسل للآستانة ليحفظ ضمن ملف أوراقى لدى الدكتور فؤاد المصرى . وقد ذكرت هذه الحادثة الأخرى فى جوابى لباشحميه .

قطع مرتب توفيق طلعت صبور

حجز جواباتى بمعرفة فؤاد سليم

ومن الغريب أن مثل هذا الأمر حصل من سفارة ألمانيا فان المسيو يعقوب أخبر على بك الشمسى بأن جوابا ورد باسمى بسفارة ألمانيا فى برن فذهبت إلى القنصل هنا فأجابنى بأنه لم يصله شيء باسمى وبمجرد .

كذلك فى سفارة ألمانيا

(٢٠٤) (٢)

وصوله يرسله لى . وقد كتب لى على علوى أفندى بالآستانة بأنه سلم فى منتصف أبريل جوابين باسمى للدكتور Weber ترجمان أول السفارة الألمانية ليرسلها لى فاستلمها بعد التردد وهما لم يصلانى للآن . ويغلب على ظنى أن الجوابين المذكورين أعلاه هما المرسلان من علوى أفندى .

فى ٥ يونيه ، كنا بالجهة المساة Les avants (٣) بقصد تغيير الهواء فأتانا تلفون من السيد كامل بلوزان يفيد استياء الخديو من أنى مررت مع الشمسى من على لوزان ولم نقف بها لمقابلته فقلت له ان السبب بأن باحدى رجلى جرح يمنعنى عن لبس المداس ولا يمكننى أن أقابل سموه بمداس البيت فقال سأبلغه ذلك . ثم دعوته للحضور لزيارتنا هنا فوعد وحضر فعلا فى اليوم نفسه الساعة ٤ بعد الظهر وكان اسماعيل لبيب حاضراً فتكلمنا كثيراً بخصوص اهمال الخديو لنا وعدم ارساله الرد على

المخابرات بشأن مقابلة الخديو

---

(١) هكذا ورد بالأصل ولعل المقصود بهذه العبارة : ليعرض الأمر على أنور ( باشا ) بنفسه .

(٢) فى أصل المذكرات ورد الترقيم على هذه الصورة ( ٢٠٤/٢٠٥ ) واولهما هو المتمشى مع تسلسل ارقام الصفحات ، والدليل على ذلك أن الصفحة التالية رقمها ٢٠٥ . أنظر الملحق رقم (٥) .

(٣) صحة الاسم Les avants sonloup وتقع على بحيرة ليمان Léman بسويسرا ، وهى مصيف ومكان للتزحلق فى الشتاء . ( انظر Petit Larousse, p. 1153 . وانظر خريطة سويسرا بالمرجع نفسه )

ما تكلمت بخصوصه مع السيد كامل عقب حضورى من الآستانة وعدم إعطائنا ما نصرف منه إلا الكفاف، واضطرارنا إلى أخذ مرتب من الدولة العلية أو بالحرى من أنور باشا المساعد الوحيد الباقى لنا بالآستانة . وأطلت فى هذا الموضوع طالباً أن يدفع لنا ما يكفينا على الأقل مدة سنة لنتمكن من عدم (١) أخذ المرتب من أنور باشا قبل أن يقطع عنا، بدسائس رجال الصدر، وأن أنور باشا مهما كانت محبته لنا لا يقوى على اغضاب جميع إخوانه من أجلنا الخ، وطلبت منه أن يبلغ هذه العبارات حرفيا للخديو .

فى ٦ منه مساء ، ورد تلفون من السيد كامل يبلغنى سلام الخديو وسؤاله عن صحتى ، فشكرته . وفى يوم السبت ١٠ منه ، تكلم ثانياً راغبا منا أن نحضر لمقابلة الخديو يوم الإثنين ١٢ منه قائلا ان الخديو مسافر الآن وسيعود يوم الأحد ١١ ويحسن أن نكون هناك لمقابلته فى اليوم التالى فرفضت أن أذهب بدون تحديد ميعاد كما رفضت أن أقيم بلوزان . بعد الظهر عاد السيد كامل وطلب أن يسافر إسماعيل لبيب يوم الإثنين لمقابلة الخديو بمفرده (وهذا طبعاً بناء على أمر الخديو فانه كان بضواحى لوزان لا غائباً عنها كما ادعى السيد كامل فى أول الأمر ) فوافقت على ذلك . ولكن فى صباح الأحد ١١ ورد تلفون من محمد يكن باشا يطلب من إسماعيل لبيب أن يحضر لمقابلة الخديو بعد ظهر ذلك اليوم فذهب وعاد فى المساء وقص علينا مادار بينهما من الحديث ، وخلاصته أنه مستعد لدفع ماطلبنا ، واتفقا على أن نجتمع كلنا يوم الخميس ١٥ منه فى الدار التى أستأجرها الخديو جديداً فى بلدة Clarence (٢) لنتكلم فى جميع هذه الشؤون (٣).

(٢٠٥) (٤)

غرق كتشنر

فى ٧ منه ، وردت الأخبار بأن كتشنر عدو مصر وعدونا مات غرقاً فى سفينة حربية كانت تقله وأركان حربه إلى روسيا ، أغرقها الألمان .

فى يوم الخميس ١٥ منه ، قابلنا الخديو بالقصر الذى استأجره بجهة (كلارنس) إسماعيل لبيب والشمسى وأنا فأخذ يتكلم فى عموميات . ثم تقابلنا فى يوم السبت ١٧ منه.

قابلنا الخديو مرة أخرى فى يوم الخميس ٢٢ يونيه .

---

(١) لعل الزعيم محمد فريد اراد ان يقول : « لنتمكن من أخذ المرتب .. » أما كلمة ( عـــدم ) فهى زائدة .

(٢) صحة الاسم : Clarens ، وتقع على بحيرة Léman بسويسرا ( Petit Larousse, p. 1253)

(٣) بعد هذه الفقرة سطران مشطوبان ، كما هو واضح فى الملحق رقم (٥) .

(٤) أغلب هذه الصفحة مشطوب ( أنظر الملحق رقم (٦) ) .

قيام شريف مكه والخديو

فى يوم الجمعة ٢٣ منه ، كنا بلوزان فأتى الخديو واجتمعنا به فى لوزان بالاس وكانت الجرائد فى ذلك اليوم نشرت خبر قيام الشريف حسين أمير مكة على الدولة العلية ، فأظهر الخديو كل ما كان يخفيه علينا من دسائسه من قديم الزمان مع العرب ، ولكن من جهة أخرى أظهر كدره من حصول هذه الحركة بدون أن يكون له يد فيها أو أن تكون له صلة مع الشريف فيشترك معه لتنفيذ مشروعه القديم ، وهو إيجاد السلطنة المصرية والخلافة العربية فيخدم الانكليز ويخدم نفسه وينتقم من الأتراك . وأخذ يفكر فى طريقه للمخابرة مع الشريف الآن .

(٢٠٦) (١)

وأخذ يقص علينا بعض أعماله مع الأشراف فمنها أن الشريف أرسل إليه بمصر خمسة من عبيده ليتمرنوا على إستعمال مدافع المترايوز فمرنوا وأعيدوا إليه ومعهم عدة مدافع من هذا الطراز خرجوا خلسة من كمرك السويس ، ومنها أنه أرسل إليه ولده عبد الله بك ليستشيره فيما يريد طلبه من الدولة ، فاتفقوا على أنه يطالب أن يكون الشريف حسين أميرا على مكة طوال حياته ، وأن تكون الوراثة فى عقبه هو كما هى فى البيت الخديوى وأنهم حرروا عريضة بذلك للسلطان وأرسلوها مع مخصوص إلى مكة ليوقع عليها الشريف ولكنها لم ترسل لقيام الحرب .

الخلاصة أن كل ما كنا نسمعه من مصر وكان يداخلنا(٢) بعض الشك ، أصبح محققا باعتراف الرجل إلينا بحضور إسماعيل لبيب وعلى الشمسى وعبد الله البشرى والسيد كامل ومحمد باشا يكن ، وهؤلاء الثلاثة الأخيرين يعلمون بكل هذه الدسائس بل هم مشتركون فيها من زمن ككل رجاله . ان من حسن حظ الدولة أن الرجل كان بالآستانة وقت قيام الحرب ، وأن الإنكليز منعوه من العودة لمصر فلو كان بها وقتئذ لكان أضر بالدولة ضرراً جسيما واتحد مع عرب الجزيرة والشام وحقق أحلامه القديمة ، فالإنكليز بعزله وتعيين عمه حسين كامل خدم(٣) الدولة خدمة لا تقدر .

الحكم على شمس والهلباوى والعفو عنهم

من أخبار مصر أنه حكم على محمد شمس الدين ونجيب الهلباوى بالشنق فى قضية إلقاء القنبلة على حسين كامل فى ٩ يوليه سنة ١٩١٥ ، وأن حسين كامل نفسه

---

(١) فى أصل المذكرات ورد الترقيم على هذه الصورة ( ٢٠٦/٢٠٧ ) واولهما هو المتمشى مع تسلسل ارقام الصفحات بدليل ان الصفحة التالية لها رقمها ٢٠٧ .

(٢) هكذا وردت بالأصل ، ويستقيم المعنى لو أضيفت (فيه) بعد ( يداخلنا ) .

(٣) هكذا وردت بالأصل ، ويستقيم المعنى لو عدلت كلمة ( خدم ) الى ( خدموا ) .

طلب من القائد العام الإنكليزى(١) العفو عنهما فقبل واستبدل الإعدام بالأشغال الشاقة المؤبدة . فكان لهذا العمل وقع حسن لدى الأمة خصوصاً وأنه حصل في وقت وصول أخبار ما فعله جمال باشا بالشام من الحكم بالشنق على ٢٢ نفس من أكابر سوريا ومن أكبر العائلات الإسلامية ومن بينهم الشيخ عبد الحميد الزهراوى (٢) الأعيان وشنقوه بدون أخذ رأى مجلس الأعيان كما يقضى به القانون الأساسى . كل هذه الأعمال تنفر المصريين من الأتراك وتجعلنا نخشى أن يكون نصيبنا الشنق لو دخل جمال باشا مصر ، كما هددنا بذلك أكثر من مرة فى بلاد سوريا .

الحكم على رؤساء حركة سوريا بالاعدام

رأى احمد رضا بك

فى ٢٥ يونية ، قابلت أحمد رضا بك العضو بمجلس الأعيان بالآستانة وتكلمت معه كثيراً بخصوص حوادث الشام الأخيرة فقال لى انها أعمال مضرة جدا ومنفرة للمسلمين وأنه هو اعترض كتابة على عمل الحكومة بمجرد القبض على الزهراوى وبرهن على أن القبض عليه مخالف للدستور ولقانون الأحكام العرفية ، ولكن الحكومة لم تعبأ بهذا الإحتجاج بل استمرت فى نظر القضية ، وحكمت على ماحكمت وشنقتهم ، وقال لما وصل الإحتجاج إلى يد طلعت بك أظهر استغرابه من القبض على الزهراوى كأنه من الممكن أن يقبض عليه بدون أمره ، وهذا مستحيل بالطبع .

ما أمكنى أن أعرف سبب مجىء أحمد رضا بك إلى سويسره ، وعلمت منه أنه كان يتغدى أمس مع سليمان أفندى البستانى (٣)

(٢٠٧)

ونورادنجيان أفندى الأرمنى وهما من زملائه بمجلس الأعيان ، ولا بد أن يكون أتى بمأمورية سياسية . طلبت منه أمس أن يكتب للحكومة العثمانية مستعملا بالتلغراف عن حقيقة الأخبار ببلاد العرب فقال أنا لا أريد أن أكتب للحكومة لأنى أسمعها ما لا يرضيها ، ولكنى سأرسل تلفونياً إلى فؤاد سليم سفيرنا ببرن بأن يستعلم هو حتى إذا كان الأمر مكذوباً يكذبه رسمياً ولو كان مبالغاً فيه فينشر الحقيقة .

فى يوم ٢٦ يونيه ، قابلت سليمان أفندى البستانى العضو بمجلس الأعيان وتكلمنا طويلا بخصوص ما ارتكبه الأتراك من الفظائع ببلاد سوريا ، وعلمت منه

---

(١) القائد المذكور هو ( السير آرشيبلد مرى ) الذى خلف ( الجنرال مكسويل ) منذ أوائل سنة ١٩١٦ وظل فى منصبه الى أن خلفه ( الجنرال اللنبى ) فى يونيو ١٩١٧ .

(٢) عقب اسم « الزهراوى » توجد كلمة مطموسة ويرجح أنها « العضو بمجلس » لتوافقها مع الكلمة التى بعدها .

(٣) هو ابن عم بطرس البستانى ( انظر ترجمة بطرس البستانى على هامش (١) على ص ٦٤ من هذه المذكرات ) .

سليمان البستاني ومصر والمسألة العربية ومسألة مصر

زيادة عما قاله أحمد رضا بك أنه صدر عفو عام سياسى مرتين بعد تصالح الترك والعرب عقب مؤتمر باريس فى سنة ١٩١٣ (١) وأنه هو الذى عقد هذا الصلح بين الطرفين ، وأتى مدحت شكرى سكرتير جمعية الإتحاد للتوقيع عليه باسم اللجنة ».

ثم تكلمنا بخصوص سوء سياسة الأتراك معنا معشر المصريين فأظهر أسفه الشديد وقال ان هذا رأى الكثيرين من رجال الاتحاد ، وأنه أظهر لهم مراراً فساد سياستهم: سياسة الفتح التركى على الطريقة القديمة ، وأن لا قيام للدولة إلا بالاتفاق مع باقى الأجناس الإسلامية مع حفظ استقلال كل جنس فى سياسته الداخلية .

مؤتمر الاجناس بلوزان

انعقد مؤتمر الأجناس بلوزان فى أيام ٢٧ ، ٢٨، ٢٩ يونيه ، وكان للمصريين فيه القدح المعلى ، وخطبت خطبة مطولة ستنشر فى مجلة ترقى الإسلام حرفياً .وقدم على بك الشمسى تقريراً مطولا بشأن المسألة المصرية وطلباتنا ، وفى الجلسة الأولى التى نظر فيها (إعلان حقوق الأمم ) كانت كل التعديلات التى قبلت مقدمة منا .

نحن والخديو

بعد أن وعد الخديو بدفع ما طلبنا ، انقطع عن مقابلتنا من يوم الجمعة ٢٣ الشهر ، ثم بعد أربعة أو خمسة أيام ورد تلفون من عبد الله البشرى إلى السيد كامل ، يأمره فيه باسم الخديو بأنه قرر أن يدفع لكل منا أربعمائة فرنك بدل خمسمائة ( مع أننا نأخذ ستمائة شهرياً من تركيا ) وأن يكون الدفع شهرياً فرفضت قطعياً وتبعنى إسماعيل لبيب والشمسى ، فكتب السيد كامل جواباً للخديو بذلك ، وبعد إنتهاء المؤتمر، قررنا ترك لوزان فى يوم الجمعة ٣٠ منه ليذهب كل منا إلى حيث يريد . ولما علم الخديو بذلك أرسل تلفوناً فى ظهر يوم الجمعة المذكور للسيد كامل يطلب منه أن يبلغ إسماعيل لبيب بأن الخديو يريد مقابلته فى لوزان بالاس الساعة ٦ ونصف. فسافرت أنا والشمسى إلى جنيف . فى الساعة ٤ ونصف ووقت العشا بلوكاندة انكلترا ورد لى تلفون من السيد كامل بأن إسماعيل لبيب سيحضر بقطار الساعة ٩ مساء لمقابلتنا . ذهبت مع الشمسى إلى المحطة فى الميعاد المذكور فحضر لبيب وأخذ يقص علينا ما دار بينه وبين الخديو من الحديث وخلاصته أن الرجل يدعى الفقر ويعرض الدفع شهرياً ، وقال انه أنزل المبلغ من ٥٠٠ إلى ٤٠٠ فرنك ليدبر مبلغ

(١) مؤتمر باريس سنة ١٩١٣ : تألفت فى باريس عصبة من الشبان العرب أخذ اعضاؤها ، من شهر مارس سنة ١٩١٣ فى عقد الاجتماعات للتداول فى مسألة ضعف السلطنة والوسائل التى تؤدى الى تقويتها والتى تكفل الاصلاح الصحيح لبلادهم على الطريقة اللامركزية . فاستقر رأيهم على عقد مؤتمر للعرب يقوم به السوريون فى أواخر ابريل فتجتمع فيه وفود من أكابر بلاد العرب وعقلائها وأفاضلها الموجودين فى داخل البلاد أو خارجها لتمثل الامة العربية فى هذا المؤتمر وتحقق كلمة التضامن الاجتماعى فيه . وقد عقد المؤتمر أربع جلسات كانت أولها فى ١٩١٣/٦/١٧ وآخرها فى ١٩١٣/٦/٢٣ .

(انظر : توفيق على برو : العرب والترك فى العهد الدستورى العثمانى ، ص ٥٠٤ ).

يدفعه لمحمد أفندى فهمى فيأخذ مثلا ٤٠٠ فرنك شهرياً ، فرفضت بتاتا وكذلك الشمسى ، وعلى ذلك

**(٢٠٨)** (١)

عاد لبيب إلى لوزان بقطار الساعة واحدة بعد نصف الليل .

محمد فهمى خادم الخديو

أما فهمى فبعد أن اتفق معنا على العودة معاً إلى جنيف فى قطار الساعة ٤ ونصف ، انتحل أعذارا واهية ليؤخر سفره إلى المساء . فاستنتجنا بأنه سيقابل الخديو خلسة ، وبالفعل تأكد هذا الأمر ، لأن إسماعيل لبيب أخبرنا بأنه رآه نازلا من عند الخديو عندما ذهب لمقابلته فى لوزان بالاس . حينئذ أصبح لا شك فى أن فهمى من رجال الخديو وهو ماكنا نظنه بلا دليل عليه فهاك هو الدليل القطعى (٢ ) .

حقيقة مشروع جمعية اسلامية لمساعدة العسكر المسلمين فى جيوش المتحاربين

من مشروعات الخديو الشيطانية أنه يشرع الآن ( كما أخبرنا هو بنفسه ) فى تشكيل جمعية لمواساة المسلمين المحاربين فى جيوش الأعداء وجرحاهم وأسراهم . هذا هو مقصد الجمعية الظاهرى أما مقصدها الخديو(٣) الذى يريده الخديو من تشكيلها فهو أنه يتمكن بهذه الطريقة من إرسال بعض رجاله إلى فرنسا وانكلترا للمخابرة تحت شعار مواساة المسلمين . والعامل له فى هذه المسألة لطفى بك التركى قنصل الدولةسابقاً فى باريس وامرأته الفرنسية الجنس (٤ ) .

عودة احمد فريد من الاستانة والخديو

فى يوم الاثنين ٤ منه، عاد أحمد فريد ولكنه وقف بلوزان ليقابل الخديو ، وعلمت ذلك من عائلة كانت معه بالقطار فخاطبته تلفونيا وتواعدنا على أن أقابله فى محطة لوزان الساعة ٦ من مساء ذلك اليوم عند سفرى إلى Tarasp (٥ ) حيث كنت عزمت على السفر إليها للاستشفاء بمياهها من مرض الكبد القديم الذى عاودنى فى هذه السنة. قابلت أحمد بالمحطة ، واستحسنا أن أبيت معه لأشرح له ما حصل من الخديو حتى لا يؤثر(٦) هذا الممثل المحتال أو يفهمه المسألة على غير حقيقتها وقد أوقفته على الحقيقة وحذرته من أن الخديو يجمعه بالسيدة أوبرى ويوهمها بأنه هو فريد رئيس الحزب الوطنى .

---

(١) فى اصل المذكرات ورد الترقيم على هذه الصورة ( ٢٠٨/٢٠٩ ) واولهما هو المتمشى مع تسلسل ارقام الصفحات بدليل ان الصفحة التاليةرقمها ٢٠٩ ( أنظر الملحق رقم (٧) )

(٢) بعد هذه العبارة هناك سطران مشطوبان ( أنظر الملحق السابق ) .

(٣) هكذا وردت بالأصل ، ولعل محمد فريد يقصد : مقصدها الخفى .

(٤) بعد هذه الفقرة توجد فقرة مشطوبة.( أنظر الملحق السابق ) .

(٥) مدينة للاستشفاء ، بها ينابيع معدنية ، وهى تقع فى وادى اين Inn بسويسرا ( انظر : (Petit Larousse, pp. 1641, 1663)

(٦) هكذا وردت بالأصل ويستقيم المعنى لو اضيفت ( عليه ) بعد ( يؤثر ) .

جـــوابات مـــن لبيب بالطلبات

٦ منه : وصلني صباح اليوم جواب من اسماعيل لبيب يقول فيه انه لما عاد إلى لوزان أخبر السيد كامل بما دار بيننا من الحديث وهو كتب للخديو خطاب بكل ذلك وللآن لم يرد رد . .

(٢٠٩) (١)

السيد كامل واسماعيل لبيب

بعد ذلك لم يقابله أحد منا مطلقا لغاية تحريره (٧ سبتمبر سنة ١٩١٦ ) . فقط قابل اسماعيل لبيب بك السيد كامل فى محطة لوزان عند عودته من الجبل فى ٣٠ أغسطس فأخذ السيد كامل يتألم من جمودنا بلا عمل وقد اشتدت الحالة على ألمانيا ، وقد أصبح نجاح حزب انكلترا أقرب من نجاح الحزب الآخر بعد انضمام رومانيا إليهم وإعلانها ذلك فى ٢٨ أغسطس المذكور ، فأعاد عليه اسماعيل بك ما قلناه له مرارا بأن كل ذلك من بخل الخديو وعدم اخلاصه فى العمل ، و بالطبع السيد كامل أبلغ ذلك لسيده. لم يزر أحد الخديو فى يوم عيد الفطر (أواخر شهر يوليه سنة ١٩١٦ ) : ولم تهنئه احدى الجمعيات الا جمعية لوزان الوهمية المسماة باسم (مصر) ورئيسها منصور القاضى ، فادعت أنها اجتمعت وأرسلت إليه تلغراف تهنئة أرسل للجرائد ، وزاره كذلك أحمد فريد .

ضيا بك قنصل الدولة وما يقوله فى حقى

أقمت فى مدينة Tarasp إلى ٢٧ يوليه ثم عدت إلى جنيف بعد أن أقمت يوما فى لوسرن قابلت فى خلاله الأمير محمد على باشا ، ولم يدر بيننا حديث يذكر ولم أحدثه فى شأن التقرير الذى قدمه لسفير انكلترا فى برن . قضيت شهر أغسطس كله فى جنيف ، ولم نحصل فى أثنائه شيء مهم سوى مجاهرة قنصل الدولة العلية بمعاداتى

عوض البحراوى وجريدة مصر الفتاة وارســـال تقريرا لأنور باشا

وتكلمه فى حقى فى المجامع بأنى خائن للدولة ، وبأنه قدم فى حقى تقارير عديدة ، وحدث فيه أنه عاد إلى جنيف عوض أفندى البحراوى أحد المنشقين علينا ، وأشاع بأنه مكلف من أنور باشا بنشر جريدة تسمى مصر الفتاة بالفرنسوية تدافع عن حقوق مصر وكتب على بك باشحميه بهذا الخصوص إلى أخيه محمد هنا ، بأنه نصح لعوض أفندى المذكور بالاتفاق معى على هذا الأمر ولكنه لم يقبل ، وقد كتبت لأنور باشا جوابا أرسلته اليه مسجلا فى ٢٨ أغسطس ، وأرسلت صورة أخرى منه اليه عن يد محمد باشحميه ليرسلها إلى أخيه بواسطة القنصل ، أشتكى فيه من تشجيع هذا النفر على مجافاتى وتكليفهم بعمل يخص مصر بدون اشراكى فيه أو بدون أن يكون تحت مراقبتى وهو بالفرنساوية

---

(١) هذه الصفحة تبدأ بستة أسطر مشطوبة وان كان لها عنوان جانبى : احمد فريد والخديو ( أنظر الملحق رقم (٨) ) .

وهاك مسودته ملصقة فى هذا الكراس (١).

(٢١٠)(٢)

عودة على افندى زكى طالب طب

عاد من الآستانة فى شهر أغسطس على أفندى زكى الطالب بالطب وقال ان حالة المصريين هناك أصبحت سيئة جدا لاعتقاد الأتراك فيهم الخيانة وعدم ميلهم إلى تسليم مصر اليها، والكل مراقبون مراقبة شديدة، بالأخص على أفندى علوى الذى كان فى زوريخ مكلف بمأمورية من اسماعيل باك لبيب بأمر أنور باشا. وعاد كذلك أحمد شريف الضابط بالطوبجية (٣) وابن رضوان بك الشريف وأخبر بأشد من ذلك وأنكى وزاد على ذلك بأنه فاتح اسماعيل لبيب بك بأنه دخل فى جمعية شبان العرب الذين قصدهم ضم الشام إلى مصر واخراجها من تحت نير الدولة العلية.

مجيء احمد افندى شريف الضابط الى جنيف

وأخذ يحرض على مخابرة انكلترا والاتفاق معها حيث قد أصبح وصول الجيش العثمانى إلى مصر مستحيلا بعد أن أقام الانكليز التحصينات المنيعة التى رآها هو بنفسه حين كان مرافقا لحملة فبراير سنة ١٩١٥ وحملة ابريل سنة ١٩١٦ على القنال ولكنى أخشى أن يكون مرسلا من أحمد فؤاد بالآستانة لاستطلاع أسرارنا ومعرفة ما إذا كان بيننا وبين الانكليز مخابرات أم لا ولذلك نبهت على اسماعيل لبيب بك بالاحتراس منه.

واقعة رمانة فى جزيرة سينا

فى أوائل أغسطس، تقدمت حملة عثمانية نحو مصر ولكنها هزمت هزيمة أشد من سابقاتها، حيث أخذ منهم نحو أربعة آلاف أسير ساروا بهم فى شوارع العاصمة بين صفوف الحرس من الانكليز، لذلك دخل اليأس إلى قلوب المصريين وأصبح كل يفكر فى أحسن طريق للاتفاق معهم على منح مصر الدستور.

محمد افندى صالح

وصل من مصر فى أواخر يوليه شاب اسمه محمد صالح أفندى كان ضمن الطلبة المصريين بمدارس الآستانة الحربية وأشيع عنه أنه جاسوس، فقابلته وباستطلاع أحواله تأكدت ذلك لأنه يوالى زيارة المسيو (بارودى) مراقب الطلبة المصريين فى سويسره وشبه وكيل الحكومة المصرية بها ويكاتب المقطم وغير ذلك مما لا يدع عندى شكاً فى أنه من رجال البوليس السرى. ولذلك أردت استعماله فى نشر ما أريد إذاعته

---

(١) هذا الخطاب ملصق بغلاف هذه الكراسة (الكراسة السابعة) فى أصل المذكرات المحفوظة بدار الوثائق بالقلعة، وقد أفردنا هنا للخطاب: الملحق رقم (٩). والخطاب مكتوب فى خمس صفحات مرقمة فى الملحق من أ ـ هـ.

(٢) فى أصل المذكرات ورد الترقيم على هذه الصورة (٢١٠/٢١١) وأولهما هو المتمشى مع تسلسل أرقام الصفحات بدليل أن الصفحة التالية رقمها ٢١١.

(٣) انظر ترجمة محمد فريد له على ص ٢٩٠ من مذكراتى بعد الهجرة.

فى مصر من الأخبار فى جريدة المقطم عن الخديو وأعماله ومن بقى معه من رجاله لأسقطه تماماً بمصر وأفقده ما كسبه من ميل الأهالى فى أول الحرب حين انضم (مكرها) إلى فريق الترك والألمان ، وقد أمليته فعلا مقالة فى هذا الموضوع فأرسلها إلى المقطم عن يد بارودى نفسه .

فاتنى أن أذكر أن الخديو أرسل نحو شهر مايو نور الدين أفندى أو بك أحد رجاله وهو تركى الأصل إلى الآستانة (وكان بها وقت وجودى ومنع عن السفر منها نحو شهرين ثم سمح له بعد صعوبات جمة ) فلما وصل إلى صوفيه امتنع قنصل الدولة عن التعليم على جواز سفره قائلا بورود أوامر خصوصية بعدم دخوله الأملاك العثمانية فخاطب الخديو تلغرافياً وهذا خاطب خليل بك ناظر الخارجية .

(٢١١)

وبعد مدة وصله الرد عن لسان فؤاد سليم سفير الدولة فى برن بأن يخابر الباب العالى كما هى العادة إذ لا علاقة له مع الخارجية وفؤاد سليم هذا أبلغه الأمر بالتلفون لأنه لم يزره مطلقاً من عهد وصوله إلى برن فى ديسمبر سنة ١٩١٥ . فأرسل الخديو الدكتور امستر Amster النمسوى الجنس والذى كان موظفاً بمصر ، إلى برلين ليبلغ خارجيتها هذه المعاملة وليسافر من هناك إلى الآستانة ، وقد حصل وسمح له بالدخول إليها حيث أقام بها بضع أيام ثم عاد إلى سويسره عن طريق ويانه . فانظر إلى الخلط التركى فى السياسة إذ لو كان القصد منع الخديو من مخابرة رجاله الموجودين بالآستانة أو غيرهم أو إيجاد دسائس بينه وبين الأتراك الإرتجاعيين المقيمين بالآستانة لأمكنه ذلك بواسطة امستر ، فكأن منع نور الدين لم يفد مطلقاً ، يمنعون الأمر اليوم ثم يبيحونه فى الغد ، هذا خلط ما بعده خلط يزيد ما فى النفوس ولا يمنع الضرر المقصود منعه إن كان ثمة ضرر يخشى .

سوء سياسة الترك مع الخديو أيضا

تركت جنيف يوم الإثنين ١١ سبتمبر قاصداً حمامات Rheinfelden (١) حسب إشارة الأطباء ونزلت فى الطريق إلى St. Cergue (٢) حيث يقيم أحمد فريد ، وكنت لم أقابله من عهد أن زرته فى لوزان عقب رجوعه من الآستانة فى أوائل يوليه عند ذهابى إلى حمامات Schuls فى شرق سويسرا ومكثت معه اليوم والليلة ولم أقف منه

زيارتى لأحمد فريد فى سان سرج واقامتى فى راين فلدن

(١) تقع على نهر الراين وتتميز بأنها محطة من المحطات الهيدروكبريتية ، كما أن بها ملاحات .
(٢) صحة الاسم St. Cergues وتقع فى سافوي العليا بفرنسا وتتميز بأنها منطقة جبلية
( انظر : Petit Larousse, p. 1665)

على شيء جديد بخصوص سياسة الخديو وأخباره غير ما بلغه لي اسماعيل لبيب في حينه وذكر في أخبار شهر يوليه . وفي صباح ١٢ ، قمت قبيل الظهر ووصلت في المساء إلى راين فلدن وهي قرية صغيرة واقعة على نهر الزين (ومنه اشتق اسمها) وسأقيم فيها إلى ٣ أكتوبر أي ثلاثة أسابيع كاملة .

قبل قيامي من جنيف اتفقت مع يحيى أفندي الدرديري على أن يدعو باسم جمعية ترقي الإسلام جميع المسلمين المقيمين بها يوم عيد الأضحى الذي سيقع في ٦ أو ٧ أكتوبر ، لتبادل فروض المعايدة وتوثيق روابط الأخوة الإسلامية بينهم ، وكان ذلك بالاتفاق مع السيد محمد باشحميه . ولكن بعد بضع أيام وصلني جواب من الدرديري يقول فيه بأن أغلب الإخوان المصريين المخلصين لا يرغبون حضور مثل هذا الاجتماع لما رأوه من سوء معاملة الأتراك لهم واحتقارهم اياهم ، وكذلك الشوام ممتنعون بالمرة لما أصاب عائلاتهم من الأتراك من القتل والنهب في بلادهم . وكتب لي اسماعيل لبيب بك بأن الاخوان يرون عدم مناسبة الظروف لمثل هذا الاجتماع بسبب ابتعاد الأتراك الرسميين عنا ، وخوفاً من تأويل ما يقال فيه كما حصل في اجتماع ديسمبر الماضي ، وخوفاً من أن بعض الخطباء يقول مالا يرضى بعد(١) الحضور فيرد عليه بما يزيد الخرق

العدول عن جمع المسلمين في عيد الأضحى سنة ١٣٣٤ .

(٢١٢) (٢).

اتساعاً إلى غير ذلك من المحذورات المقبولة ، فوافقت على عدم الاجتماع وكتبت للدرديري بذلك ، وهذه نتيجة أخرى سيئة لسياسة الأتراك مع العرب ومعنا ونظرهم إلى غير التركي بعين الاحتقار وميلهم إلى استعباد ما دونهم من العناصر ، ولكن لله الحمد فقد أظهروا ما أبطنوا قبل فوات الوقت .

أهم أخبار مصر في شهر أغسطس ، إباحة الحج في هذه السنة إلى البيت الحرام في مكة وتسهيله على الطلاب بابطال التأمين الباهظ الذي تقرر دفعه من كل حاج قبل سفره من ابتداء أيام الحرب ، ولكن الحكومة قررت أن عدد الحجاج من المصريين لا يزيد عن ألف وعينت لهم الحرس الكافي وأمر البرنس حسين أن يرافق المحمل ثلاث بلوكات من حرسه الخصوصي زيادة في المحافظة عليه ، وأرسل على مصاريفه ثمانية

الحج الى بيت الله الحرام

---

(١) لابد وأنه يقصد ( بعض الحضور ) وليس ( بعد الحضور ) .

(٢) في أصل المذكرات ورد الترقيم على هذه الصورة ( ٢١٢/٢١٣ ) وأولهما المتمشى مع تسلسل ارقام الصفحات ، بدليل أن الصفحة التالية رقمها ٢١٣ .

عشر عاماً ليحجوا. كل ذلك للاعتراف باستقلال الشريف حسين وانفصاله عن الترك تماماً . كما أن فرنسا أباحت الحج فى هذه السنة واحتفلت فى مراكش بسفرهم طلباً لهذه الغاية السياسية بعينها . أما المدينة المنورة فلم تزل فى أيدى الترك فالحجاج يسافرون من جدة إلى مكة فقط ثم يعودون من نفس هذه الطريق .

اطلعت على رسالة من جنيف منشورة فى جريدة Le Petit Marseillais الصادرة فى ١١ سبتمبر الجارى ، جاء من ضمنها أن الصدر الأعظم أرسل إلى سويسره أحد رجال السياسة المدعو أدهم بك أخو نابى بك سفير الدولة فى رومه لإستطلاع أفكار رجال دول الاتفاق بالنسبة للدولة ، وأنه أرسل معه شاب مصرى اسمه حسين شيرين الملحق بالسفارات ليعاونه فى هذه المأمورية . حسين شيرين هذا طرد من مصر فى العام الماضى وأقام بإيطاليا ثم عاد إلى مصر لإحضار زوجته وكان قد تركها بها لأنها كانت حاملا وقت سفره فلم يسمح له بالنزول إلى البر بل أتت إليه زوجته إلى السفينة وعادا معا إلى إيطاليا ، بعد ذلك سافر إلى ويانه معها لمقابلة الخديو وهناك قابلته فى يونيه سنة ١٩١٥ ، ثم سافر إلى الآستانة وأقام بها بضع أيام لزيارة عديله إبراهيم راتب بك المتطوع بالجيش العثمانى ، ثم عادا إلى جنيف وأقاما بها إلى فبراير من هذه السنة ، وفيه سافرا ثانياً إلى الآستانة أثناء وجودى بها وأقاما بمنزل عماد الدين بك وكيل الصدر ضيوفا إلى أن عادا إلى سويسره فى يونيه الماضى وما زالا بها ينتقلان من بلد لآخر ولكن مركزهما جنيف ، وعلاقاتهما حسنة ومستمرة مع فؤاد سليم والدكتور بهجت وهى أى رجال الصدر ولكنه ينكر علينا إشتغاله بالسياسة ولا أدرى حقيقته للآن وستظهر الأيام ما خفى من أمره ، وقد سألته فى الشهر الماضى (وكان يشتكى من قلة النقود التى تأتيه من مصر بأمر القائد العام الإنكليزى وهى خمسون جنيه شهرياً ) عما إذا لم يسع فى الآستانة ليرتب له شىء شهرياً فقال : لا ولكن ان إنقطع ورود النقدية من مصر يسعى حينئذ لدى الحكومة العثمانية ، فلم أدر إن كان صادقاً أو كاذباً

حسين شيرين والصدر الأعظم

(٢١٣)

فيما يقول ، كذلك لم أعلم أنه ملحق بإحدى السفارات .

كتب لى إسماعيل لبيب بك بأن محمد باشحميه كلفه بإخبارى بأن أخاه على بك كتب إليه ليخبرنى بأن جوابى المرسل إليه قد وصله وأنه سيكتب لى فيما بعد

باللازم وهو يقصد الجواب المرفق به الجواب المرسل باسم أنور باشا وأرسلته إليه فى ٢٨ الماضى وملصقه صورته فى أول هذا الكراس .

وصول جوابى الى انور باشا

فى ٢٥ سبتمبر ، ورد لى جواب من روشبرون تخبرنى به بأن بوسنو مشغول جداً ولا يمكنه الإعتناء بالمسألة التى كنت كلفته بها ، وتعرض على أن تسافر هى إلى باريس لحثه على العمل ومرافقته عند الضرورة عند مقابلته وزير الخارجية (١) لأن(٢) أعلم من بوسنو برغباتنا،وكتبت ذلك بعبارة ظاهرة ضايقتنى جداً لأن الجواب فتح فى المراقبة العسكرية بفرنسا وربما يكون جواسيس الألمان اطلعوا عليه فى سويسره لذلك كتبت إليها رداً عنيفاً قلبت فيه الموضوع وجعلتها كأنها هى التى تعرض على هذا الأمر ومن ضمنه العبارة الآتية حرفياً :

روشبرون وبوسنو وعرضها القيام بالمأمورية ورفضى

[illegible] من الأصول

Quant à la proposition que vous me faites dans votre dernière lettre, j'ai décidé, après de mûres réflexions, de ne pas l'accepter et de vous prier même si vous allez à Paris de n'en parler à personne. Je refuse catégoriquement d'entrer dans cette voie.

وذلك لأنى لم أكتب لها ولا كلمة فى جواباتى السابقة بهذا الخصوص ، ولكن بوسنو هو الذى أخبرها أو كتب لها بمقابلتى معه بجنيف ، واتفاقى معه على أن تكون هى الرسول بينى وبينه عند الحاجة لتكون المخابرات كلها شفوية ، وهو استعجل فى اخبارها مادام لم يقم بمأموريته أو مادام لم ينجح ؛ وكان الواجب عليه أن لا يخبرها إلا عند تكليفها بالسفر إلى سويسره لمقابلتى ، لذلك أرسلت هذا الرد بهذه الكيفية حتى لا يكون بيدها جواب منى أكلفها فيه بأى عمل بل بالعكس أنى رفضت ماعرضت هى على .

شكلت الجمعية الإسلامية بلوزان ( التى تكلمت عنها فى صحيفة ٢٠٨ )

---

(١) يقصد وزير خارجية فرنسا .

(٢) لعله يقصد : لأنها ( أى مدام روشبرون ).

وقررت عمل وليمة كبيرة احتفالا بتأسيسها فى ٧ أكتوبر (١) الموافق ١٠ ذى الحجة سنة ١٣٣٤ أى يوم عيد الأضحى وقد دعونى

(٢١٤)(٢)

وإسماعيل لبيب والقائم بتنظيم الحفلة السيد كامل وقد كتب لإسماعيل يخبره بالدعوة قبل وصولها وإسماعيل كتب لى فرددت عليه بضرورة عدم إشتراكنا معهم فى هذا العمل للأسباب التى من أجلها عدلنا نحن عن إجتماع جنيف ولأن القائم بالجمعية هو الخديو ولأننا نعلم بسر تأسيس هذه الجمعية .

عقدت الوليمة المذكورة فى لوزان بالاس بمدينة لوزان ولم يحضرها من مسلمى جنيف إلا محمد فهمى وأحمد فريد ، وقد خطب لطفى باك التركى وأبان مقصدها ، ثم خطب رئيس بلدية لوزان الذى رأس الحفلة وقال بصريح العبارة انه تحوم حول هذه الجمعية شكوك وأوهام ، ويقول بعضهم أن القصد منها خدمة بعض المقاصد السياسية أو الوطنية أو بعض الدول المتحاربة . فان صح ذلك فلا تجد الجمعية منا أقل مساعدة ، وقد ورد إلى سكرتارية الجمعية جواب بهذا المعنى من الحكومة السويسرية ، وقد دعوا أعضاءها لحضور الوليمة ولذلك أشار لطفى بك فى خطبته قائلا (إن الجمعية غرضها إنسانى محض وإنها ليست مساعدة من إحدى الدول بل ان القائم بنفقاتها مسلم عظيم جداً لا يريد أن يعرف الآن) . وقد علقت جريدة التريبون بجنيف على ذلك قائلة بأنها تؤكد بأن ذلك المسلم العظيم هو الخديو عباس . ولم يصدر من لدنه تكذيب لهذا الخبر . ولكل ذلك سقطت الجمعية فى أعين الجمهور وتنظر إليها الحكومة السويسريه بعين الحذر ، ومن سوء سياسة الخديو أنه جعل كاتبها الثانى السيد كامل وكاتبها الثالث منصور أفندى القاضى وصندوق بوسطة الجمعية المطبوعة نمرته على ورقة الدعوة وعلى جواباتها هو صندوق عبد الله البشرى. ويؤكد رجال الألمان بأن الحكومة الفرنسويه دفعت للطفى بك باسم الجمعية ثمانين ألف فرنك . كان يوم الأحد ٨ أكتوبر يوم عيدنا الأكبر (١٠ الحجة سنة ١٣٣٤) ولم يحتفل به هنا إلا بعض الطلبة الأتراك أعضاء جمعية (ترك يوردى) فاجتمعوا فى قهوة

وليمة الجمعية الاسلامية بلوزان

عيد اضحى سنة ١٣٣٤

---

(١) هكذا ورد بالاصل وصحته ٨ اكتوبر ، وقد اورد محمد فريد هذا التاريخ مصححا على ص ٢١٤ من مذكراته .

(٢) فى أصل المذكرات ورد الترقيم على هذه الصورة ( ٢١٤/٢١٥ ← ) واولهما المتمشى مع تسلسل أرقام الصفحات ، بدليل أن الصفحة التالية رقمها ٢١٥ .

Eaux vives وحضرتها مع بعض إخواننا المصريين وتبودلت بعض الخطب البسيطة أما الخديو فلم يرسل إليه أحد تلغرافاً من هنا ولم يزره إلا أحمد فريد ومحمد فهمى فقط.

ظهر العدد الأول من مجلة (مصر) أصدره عوض البحراوى وإسماعيل كامل بمال الدولة العلية ولم يكتبوا عليها أو بها شيئاً يفيد أنها تعبر عن لسان الحزب الوطنى ولم نجد شيئاً يخالف مبادئنا. أما أنور باشا فلم يرد على جوابى لا مباشرة ولا بواسطة باشحميه.

يوم الخميس ٢٦ أكتوبر، قابلت يوسف صديق فأخبرنى بأنه آت من لوجانو (١) حيث أقام أسبوعاً

مجلة مصر L'Egypte

(٢١٥)

تقريباً وأنه قابل ثرياً بك الأرنوطى عم جلال الدين باشا زوج ابنة الخديو. فأخبره بأن الحكومة السويسرية قبضت على محمد يكن باشا فى لوزان بتهمة التجسس لألمانيا، ثم أتى إليه فى منزله صباح اليوم المذكور مبكراً وأخبره بأنهم وجدوا فى أوراق يكن باشا أوراقاً تدينه (أى يوسف صديق) فعليه بالاحتراس. وكان يوسف أثناء اخبارى بهذه الحادثة مضطرباً وواجفاً فقلت له هل لك فى هذه المسائل فقال لا فقلت له حينئذ لا تخف وانى أظن أن هذا الحادث نتيجة من نتائج أخذ نقود من ألمانيا لمشترى صحف ورجال فرنساويين وإيطاليين فى العام الماضى فقال: لو سئلت عنها لأثبت بالبراهين المحسوسة أن الخديو هو السارق للمبلغ بأجمعه وأنه المسؤول الوحيد.

القبض على محمد باشا يكن

بعد ذلك قابلت إخوانى وأخبرتهم بما بلغنى واتفقنا على أن إسماعيل لبيب يكتب للسيد كامل مستعلماً عن الحقيقة وقد كتب فعلا جوابا إليه وأودعناه صندوق البوسطة فى مساء اليوم المذكور.

صباح السبت ٢٨ منه، كتبت جريدة التريبون دى جنيف هذا الخبر بدون ذكر اسم. وفى الظهر تقابلنا بالقهوة فأخبرنا يوسف صديق بأن البوليس أخذ صناديق للخديو ملآى بالأوراق كانت مودعة فى شقة مستأجرة باسم يكن باشا (بخلاف المنزل المقيم به هو وزوجته اليهودية الإيطالية) وأن الخديو مهتم بهذا الحادث وأرسل زوج بنته إلى رئيس الجمهورية يطلب منه تخليص يكن باشا ورد الصناديق

وسعى الخديو فى تخليصه وفى السفر الى اسبانيا

---

(١) Lugano مدينة فى سويسرا تقع على بحيرة لوجانو Lugano (انظر: Petit Larousse, p. 1495)

إليه فأجابه بعدم إمكانه التداخل حتى ولو قبض على الخديو نفسه ، أما الصناديق فلا يمكن ردها اليه لأنها لم تضبط عنده بل فى مسكن يكن باشا فلا يلومن حينئذ إلا نفسه . فأرسل إليه جلال الدين باشا ثانياً يطلب منه التوسط لدى حكومة فرنسا لأجل أن تسمح له بالذهاب إلى اسبانيا. فى أثناء الحديث حضر فائد بك ثابت وأكد رواية سعى الخديو للسفر إلى اسبانيا . وفى المساء أخبرنا على الشمسى بأنه تكلم تلفونياً مع البرنس محمد على فأخبره الأمير بأن القبض على يكن باشا حقيقى وأنه محبوس حبس إنفراد وأن أخاه عباس تكدر من هذا الحادث ، وهو كذلك فى غاية الكدر ولكنه نفى مسألة طلب أخيه السفر إلى أسبانيا ، على أنى أرجح خبر سعيه لأن له مخابرات مع ملك اسبانيا أخبرنا بها وبأنه كلف عمة الملك الدوشيس دى مادريد وكانت مقيمة فى مونترو Montreux فى ربيع هذه السنة، بالتوسط لدى الملك ليتوسط بينه وبين الإنكليز .

كذلك أخبرنا بأنه كان يريد إرسال أخيه محمد على إلى اسبانيا لهذا الغرض ، وأن يكون معه أحمد فريد ابن أختى بصفة سكرتير خصوصى ولكن محمد على رفض ، كل هذا يؤيد القول بأنه يريد الآن السفر إلى اسبانيا .

(٢١٦)(١)

فى يوم ٢٩ منه ، أعادت جريدة التريبون دى جنيف الخبر ، ولمحت بعلاقات يكن باشا مع الخديو حيث قالت بأنه ممن لهم علاقات متينة مع أصحاب السعادة والسمو (فقط ).

فى مساء ٢٩ منه ، تكلم السيد كامل مع أحمد فريد بالتلفون رداً على جواب اسماعيل لبيب بأن الحادثة حقيقية وأن محمد يكن باشا محبوس حبس انفراد ولكنه سيفرج عنه قريباً ، ولما سأله عن سعى الخديو للسفر إلى اسبانيا راوغ ولم يجب .

فى صباح ٣٠ منه ، علمنا أن يكن نقل مخفوراً إلى (برن )وقال حسين ثمرين ان فؤاد سليم احتج رسمياً ضد هذا التصرف ولكنى لم أصدق هذا الخبر أولا لأن مأمورية فؤاد سليم مضايقة الخديو لا مساعدته على الخلاص من مثل هذه الورطة . وأظن أنه لو وجد طريقاً للإيقاع به أو بأى شخص من الملتصقين به لما تأخر ولكنه

---

(١) فى أصل المذكرات ورد الترقيم على هذه الصورة ( ٢١٧/٢١٦ ) واولهما المتمشى مع تسلسل أرقام الصفحات بدليل ان الصفحة التالية رقمها ٢١٧ وهى نهاية الكراسة السابعة حيث تبدا الكراسة الثامنة برقم ٢١٨ .

تريد باشاعة مثل هذا الخبر التعمية فقط على من لا يعرفون سر مهمته والقصد من تعيينه ، أما الجرائد الكبرى فلم تذكر شيئاً مطلقاً لا بالإجمال ولا بالتفصيل عن هذا الحادث .

فى ٣٠ منه ؛ طلب يوسف صديق باشا لدى قاضى التحقيق الذى أتى خصيصاً من لوزان واستجوبه عن معلوماته فى مسألة نقود ألمانيا ورجال الخديو وبالأخص عن عبد الله البشرى والسيد كامل ، ثم سأله عن على الشمسى ومحمد فهمى وعما إذا كانا يأخذان نقوداً من الخديو ، فأجاب بأنه لا يدرى ، ولكن إذا كانا يأخذان نقوداً منه فيكون ذلك على سبيل المساعدة ، ثم سأله عنى فقال له انه يعرفنى ويجتمع معى ومع باقى الإخوان فى قهوة ( كورون ) كل صباح لشرب القهوة وقراءة الجرائد المصرية وتبادل أخبار مصر الخ ، وأنى ضحية عقيدتى السياسية ، ثم سأله عن محل إقامتى فقال له انه لا يعرفه ولذلك فانى أتوقع أن أسأل أنا الآخر. ولقد قص يوسف على قاضى التحقيق كل معلوماته ضد الخديو ومحمد يكن .

وقد علمنا أن سبب القبض على يكن هو أن الحكومة الفرنسية قبضت على جاسوس هناك ظهر أنه مرسل من طرف محمد باشا يكن ، وأنه هو الذى أخبر بذلك وبناء على بلاغه وعلى ما وجد معه من الجوابات من يكن باشا قبض على هذا الأخير . ولما سئل عن علاقته بالفرنساوى المذكور أنكر معرفته به فأظهروا له ما وجدوه معه من الجوابات وما وجدوه لديه هو (يكن باشا ) من الجوابات المرسلة إليه من الشخص المذكور .

أخبرنا كذلك يوسف صديق بأن قاضى التحقيق أظهر له مسودة وصل بمبلغماية خمسة وسبعين ألف فرنك محررة بخطه وسأله عنها ، فأجابه بأنه كتبها وعرضها على الخديو حتى إذا وافق عليها يوقع عليها الشخص الذى سيستلم المبلغ وهو إيطالى اسمه هانو أحضره كفالينى ليكتب أو يستكتب فى جرائد فرنسا مقالات فى معنى

(٢١٧) (١)

تقريب فرنسا من ألمانيا ، وقد كتب فعلا عدة مقالات فى هذا الموضوع وأظهر له أيضاً جواباً مرسلا منه إلى (بولو ) فى لوزان بخصوص هذه المسائل فاعترف به طبعاً ، ولم ندر كيف وجد هذا الجواب بين أوراق الخديو المضبوطة . هذا دليل على أنه يحفظ كل شىء حتى غير المرسل إليه حتى يكون سلاحاً لديه ضد الكاتب أو

---

(١) فى أصل المذكرات ورد الترقيم ٢١٧/٢١٨ .

المرسل ، وأخيراً سأله القاضى عما إذا كان القصد من كل ذلك التجسس لألمانيا أو النمسا فقال: كلا، بل كان القصد التقريب بين ألمانيا وفرنسا للوصول إلى صلح عام أو صلح خاص . هذا ملخص ما قصه علينا يوسف صديق نفسه .

أول نوفمبر ، فى هذا الصباح كتبت جريدةتريبون دى جنيف فى طبعتها الأولى بأن القاضى فتش منزل يوسف باشا ، وأخذ منه عدة أوراق ثم نشرت فى الطبعة الثالثة جواباً من يوسف باشا بنفى ذلك .

( انتهت الكراسة السابعة )

## الكراسة الثامنة

من صفحة ٢١٨ الى صفحة ٢٢٧

[illegible]

Mon cher ami,

S. E. le ministre à qui j'ai communiqué votre [illegible] du 18 7bre m'a chargé de vous faire savoir qu'il [illegible] pouvait pas en autorisant la [illegible] d'une [illegible], que celle-ci ne peut être [illegible] qu'en vertu d'une [illegible] dans la forme [illegible] [illegible].

En conséquence j'écris par ce même courrier à [illegible] pour lui dire qu'il doit s'entendre avec vous pour la [illegible] de la [illegible], à moins qu'il ne préfère y renoncer la [illegible] à cause de l'[illegible].

Croyez bien, cher ami, à mes affectueux [illegible]

A. Bach[illegible]

[illegible] 9bre 1911.

في آخر المناقشة التي حصلت بين محمد فهمي ويوسف صديق اعترف فهمي بأنه أخذ نقوداً من الخديو أثناء وجوده بالآستانة في أواخر سنة ١٩١٤ وعند سفره منها ، وأن مجموع ما أخذه لايتجاوز الألفين فرنك .

ود جوابي لأنور باشا بخصوص حزب الصدر

في ٢ نوفمبر ، حضر لمنزلي السيد محمد باشحميه وسلمني جواباً من أخيه إلي يقول فيه بأنه عرض جوابي على أنور باشا فقال له أنه لم يقصد مطلقاً عندما صرح باصدار مجلة (مصر) التي يصدرها عوض البحراوي واسماعيل لم يقصد مساعدة فريق من الحزب الوطني على فريق آخر وأنه أصدر أمره بالتنبيه على هذين الشابين بالاتفاق معي على كل ما ينشر بالمجلة ، وإلا إن أصرا على خطتهما فليبطلا إصدارها وليعودا إلى الآستانة ( والجواب ملصق بغلاف هذا الكراس يمينه ) ، على أنهما لم يعملا بهذا الأمر لغاية يوم تحريره (آخر نوفمبر )ولم يحضر أحد منهما للاتفاق معي على ما يلزم ، وبالمصادفة أضرب عمال المطابع عن العمل ولم يصدر عدد نوفمبر وسأنتظر إلى انتهاء الاعتصاب فإن لم يعدلا عن عنادهما ارتكانا على تعضيد حزب الصدر لهما كتبت محرراً لأنور باشا .

تفتيش محل علي الشمسي والافراج عن محمد باشا يكن

في يوم الاثنين ٦ منه ، فتش البوليس سكن علي الشمسي وأخذ ما لديه من الأوراق ،واستجوبه في دار الحكومة عن معلوماته في تصرفات الخديو ورجاله وبالأخص محمد باشا يكن ، وعن مبلغ خمسماية فرنك كان أعطاها له الخديو عن يد يكن باشا في شهر يونيه أثناء مخابراتنا معه على الاتفاق معنا ، فأجاب بأنه أخذها لاحتياجه وقتها ولأن الخديو حاكم مصر الشرعي ولا عاد في أخذه(١) مالامنه، ثم سئل من أين يعيش فبرهن لهم على أنه كان يستلم مرتبه من مصر بصفته عضواً في الجمعية التشريعية(٢) ، ولما قطع مرتبه كان قد أرسل إليه أخوه مبالغ من وقت لآخر بواسطة بنوك معلومة وعلى ذلك أطلق سراحه .

وفي مساء اليوم المذكور بلغنا أن يكن باشا أخرج كذلك من السجن وأن الحكومة السويسرية اعترفت بأن شخص الخديو ورجاله وسكنه محترمين طبقاً للقانون الدولي

(١) يقصد بذلك : لم يعد يتلقى منه أموالا .
(٢) كان علي الشمسي عضوا عن الشرقية في الجمعية التشريعية .
( أنظر الرافعي : محمد فريد ، ص ٣١٨ ) .

العام وذلك بناء على احتجاج الخديو واحتجاج سفير الدولة العلية فؤاد سليم . والمقول أن القضية لم تحفظ لساعة تحريره .

القاء القنابل على القاهرة

فى ١٤ منه ، ورد فى البلاغ الرسمى الإنكليزى أن الأتراك ألقوا القنابل من طيارة لهم على القاهرة نحو الظهر ، وأنها قتلت ١٤ منهم أربعة أوروبيون وجرحت ٢١ منهم ٤ أجانب كذلك . وفى اليوم التالى نشروا أن سبعة من المجاريح توفوا بينهم ٢ أجانب وكان لهذا وقع مختلف على السامعين فبعضهم (وأنا منهم) استقبحنا هذا العمل اعتقاداً منا بأنه يغير قلوب المصريين على الأتراك ويفتح الباب للإنكليز وأنصارهم للطعن على الدولة وعلى ألمانيا بأنهم يقتلون ،

(٢١٩)

وفريق استحسنه كما يستحسن أعمال الدولة أيا كانت ومنهم باشحميه وكثير من الأتراك طبعاً .

ثم وردت جرائد وفيها أسماء القتلى والجرحى ولم يوجد بينهم أحد من الأعيان أو كبار الموظفين ، ولكنهم لم يذكروا المحلات التى وقعت فيها الكرات ، ولكننا علمنا من جواب خصوصى ورد لأحد كبار اليهود الموجودين بجنيف بأن إحداها وقعت فى قصر الدوبارة على زوجة الافوكاتو البلجيكى الشهير المسيو مرزباخ وقتلتها فى الحال . ولله الحمد لم يصب أحد من معارفنا أو من أقاربنا .

فى ٢٠ من هذا الشهر ، وصل الدكتور عبد العزيز عمران من الآستانة بأجازة مرضية قدرها شهران . ومما قاله أن أحمد فؤاد وأعوانه من رجال الصدر مازالوا يطعنون على بأنى انقلبت على الدولة وأخابر الإنكليز مع الخديو ، وأنهم يصفون خروجى من الآستانة بأنه هروب ولولا مساعدة أنور باشا لى لما أمكننى ذلك (وهذا صحيح) .

فى ٢ ديسمبر ، حضر لزيارتى أحمد أفندى شريف المصرى (١) الضابط بالجيش العثمانى وأخبرنى أنه كان فى برن وقابل فؤاد سليم، فأخذ هذا يعتب على مقاطعته

(١) أنظر ترجمة محمد فريد عنه على صفحة ٢٩٠ من « مذكراتى بعد الهجرة »

وأنه يريد مقابلتى للتفاهم إلى غير ذلك من أقوال النفاق ، فقلت له إن قابلته ثانياً فقل له إن هذه أعذار لا أساس لها وكلها نفاق في نفاق ، والا إن كان يريد حقيقة التفاهم وكان مخلصاً فى أقواله فما الذى منعه من مكاتبتى أو مقابلتى ،وقد مضى على هنا سبعة شهور من يوم عودتى من الآستانة فى أول مايو الماضى ، ولم لم يجاوب على جواب التهنئة الذى تركته له فى برن فى ديسمبر من السنة الماضية أثناء سفرى إلى برلين ، وإن اعتذر بجهله محل إقامتى فقل له بأنى كتبته له فى جوابى المذكور ، ومع ذلك فإن كنت نسيت ذلك (فرضاً) فكان من السهل عليه أن يكتب لى عن يد سفارة الدولة فى برلين . ومع كل ذلك ، فالباب ما زال مفتوحاً للتفاهم وما عليه إلا أن يحضر لهنا وأنا مستعد لمقابلته وأما إن كان ينتظر أن أذهب إليه فى برن فهذا مستحيل .

. . . . . .

عبارة طلعت بك واسماعيل لبيب

من ضمن ما سمعه الدكتور عمران من الدكتور أحمد فؤاد وشيعته أنى قلت إن طلعت بك ناظر الداخلية رجل أمى فكيف تسلم إليه أعنة الأحكام فى الدولة ، وأن هذه العبارة نقلت إلى طلعت بك ولذلك فقد أصبح حاقد على .

وحقيقة هذه المسألة أنى كنت أدافع عن اسماعيل لبيب باك فى العام الماضى فى برلين ضد عبد الملك حمزة ومحمد على محمد اللذين كانا يقولان لى كيف أنى أتخذ اسماعيل لبيب

(٢٢٠)

خليلا ومستشاراً فى الأمورالسياسية،مع أنه يكاد يكون أمياً ،أجبتهما ماذا ينقص اسماعيل ، آ الشهادة فى العلوم الحقوقية (ليسانس) ،إن عدم حيازتها لاتفيد أن الرجل جاهل أو غير كفؤ ، ها أمامنا مثال محسوس وهو طلعت بك أعدم حصوله على مثل هذه الشهادة منعه من أن يكون أول رجل فى حكومة الدولة يدير دفتها من حديد ؟؟! فقال عبد الملك: هذا نابغة فقلت: وهل النبوغ قاصر على الأتراك دون المصريين ؟؟ حرف هذا الحديث ونقل إلى طلعت بك فى شكل ذم . فهل بعد هذا خبث وسوء نية من هذا النفر ؟ إنى أعوذ بالله .

كنت ذات ليلة أتمشى مع حسنى بك يكن فى شوارع جنيف فى أواسط هذا الشهر ، فدار الحديث على أطماع الترك فى بلادنا فقال لى ما ملخصه : أنى كنت ذات يوم فى الآستانة فى اجتماع يشمل الكثير من الأتراك ، كانوا يعتقدون بأنى تركى أكثر من مصرى . وكانوا يصرحون أمامى بما فى ضميرهم فقال لى بعضهم اننا إذا دخلنا مصر نستعبد المصريين وننكح أمهاتهم ونأخذ فداديتهم . هذه هى أفكار جميع الأتراك نحو مصر . انتهى كلام حسنى .

عبارة حسنى بك يكن

فى ٧ منه ، حضر إلى منزلى السيد محمد باشحميه وأخبرنى أن أخاه كتب له (بأنه قد بلغ الوزارة العثمانية من تقرير ورد إلى السفارة الألمانية بالآستانة من سفيرهم فى برن بأنى جاهرت بسخطى على مجلة مصر التى يصدرها عوض البحراوى واسماعيل كامل ، وقلت بأنى سأكتب فى جرائد سويسرا ضدها وأقول أنها من أعمال الأتراك ) وأن أنور باشا تأثر من هذا الخبر ولذلك فهو (أى على باشحمية يستحسن أنى أكتب إلى أنور باشا بتكذيبه) ، فحررت الجواب المرسلة صورته (١) فى ظهر هذه الورقة وسلمته إلى محمد باشحميه لإرساله لأخيه ليوصله إلى أنور .

دسائس خصوصى لدى أنور باشا وردى عليها

ظهر العدد الأول من هذه المجلة فى ١٧ نوفمبر ، وهذه باسمى الجاويش وعبد الملك حمزة ، وبها مقالات لكثير من كتاب الألمان وقد اطلعت عليها فوجدت بها مقالة لألمانى أسمه Reventlow عن مصر والحرب جاء ضمنها ما ملخصه (ان المهم هو عدم السلطة الإنكليزية فى البحار ولايكون ذلك إلا بتحرير مصر . أما مسألة ما إذا كانت مصر تحكم نفسها بعد ذلك أو هى قادرة على ذلك فمسألة ثانوية ) فقد أماط الكاتب اللثام عن نوايا ألمانيا نحونا هم وحلفاؤهم الترك والغريب أن الجاويش

مجلة العالم الاسلامى الالمانية لمحررها الشيخ جاويش

(١) الجواب المقصود هو المصبور على الصفحة التالية والمحرر باللغة الفرنسية .

وعبد الملك يسمحان بنشر هذه العبارة فى مجلة أنشئت بمال دولة الخلافة للدفاع عن المسلمين. هذا دليل جديد أن الشيخ ومن انضم إليه لا يخدما إلا صالحهم الشخصى .

فى أوائل شهر نوفمبر، عزمت على الذهاب إلى برلين، فقصدت قنصل ألمانيا فى جنيف، وطلبت منه إعطائى التسريح (١) اللازم بالتعليم على جواز سفرى ، فقال لى أن لديهم تعليمات جديدة تفيد أن الطالب للسفر لألمانيا لابد وأن يبين أسباب سفره فأجبته (انك تعلم أنى أشتغل فى السياسة المصرية مع الدولة العلية وحليفاتها ، وأنى سافرت مراراً لبرلين فى العام الماضى ، وتعلم علاقاتى مع نظارة الخارجية ، وأنى أريد السفر الآن لأقابل المسيو زمرمان وكيل الخارجية لأكلمه فى بعض الشؤون الخاصة بالمسألة المصرية ) ، فأجابنى ( لا بد لى أن أستأذن من النظارة ببرلين وأفيدك بما تجيب) على ذلك انصرفت ثم عودت بعد أسبوع مرة ، ثم بعد عشرة أيام مرة أخرى ، وكان الجواب بعدم وصول رد ما . فى أثناء ذلك كان قد تعين المسيو زمرمان ناظرا للخارجية فكتبت إليه تهنئة ، وهو رد على بالتلغراف الملصقة صورته فى هذه الصحيفة ، هذا الرد بعثنى على أن أكتب له بخصوص تأخير الرد على طلبى فأرسلت إليه الجواب الملصقة مسودته فى ظهر هذه الصحيفة (٢)

امتناع ألمانيا عن السماح لى بالسفر اليها مراعاة للأتراك

Telegramm — Télégramme — Telegramma

ss berlin c/ 3865 9 2712 8-39 n = cnsbl.

= mohammed farid

bay case fusterie gen

meilleurs remerciments! = zimmermann

(١) وصحتها : التصريح .

(٢) الجواب المقصود مصور على الصفحة التالية . وتجدر الاشارة الى أن هذا الجواب يتكون من صفحتين ملصقتين على صفحتى ٢٢٣ و ٢٢٤ ( بالأصل المحفوظ بدار الوثائق ) ولا يمثل الكلام على الصفحتين المذكورتين الا شريطا ضيقا على الجانبين : الأيمن ( ص ٢٢٣ ) والأيسر ( ص ٢٢٤ ) .

"بتاريخ ٦ ديسمبر سنة ١٩١٦ ، وعقب ذلك قرأت فى جرائد الآستانة أن جويد

بك ناظر المالية العثمانية سابقاً قد وصل برلين ، فكتبت إليه بتاريخ ١٤ منه أخبره بأنى أريد مقابلته للتكلم معه فى بعض الشئون وطلبت منه أن يسعى لدى المسيو زمرمان ليرسل لى التصريح المطلوب .

وأنا فى انتظار هذا التصريح ذهبت إلى القنصلية الألمانية فى ١٩ ديسمبر بخصوص إرسال بعض نسخ مجلة ترقى الإسلام إلى زوريخ بقلم التوزيع الألمانى ، فأخبرنى القنصل بأنه ورد إليهم بتاريخ ٦ ديسمبر جواب من برن من السفارة الألمانية هناك يكلفه بتبليغى بأنه من المستحسن أن أؤخر سفرى إلى برلين حتى تهدأ ثورة الحكومة السويسرية بسبب المسألة التى حبس من أجلها يكن باشا ، وحتى لا تتهمنى الحكومة المذكورة بترويج السياسة الألمانية ، وذلك فيما إذا كنت ما زلت عازماً على السفر لبرلين حيث بلغهم بأنى عدلت عن السفر ، فقلت له بأنى لم أعدل عن ذلك ولا أدرى من أين

(٢٢٤)

أتى سفارة برن هذا الخبر المكذوب ، وانى لا يهمنى إساءة ظن الحكومة السويسرية بى ، ولو حصل ذلك بالفعل فانى أقيم فى ألمانيا إلى نهاية الحرب ، فقال هذا ما كلفت بتبليغك إياه وقد بلغتك ، ثم انصرفت . ولغاية تحريره (٢١ ديسمبر ) لم يأت زمرمان ما يفيد وصول جواب إليه .

يظهر لى أن الألمان لم يستحسنوا أن أسافر إلى برلين مراعاة لخاطر الحكومة التركية التى تخشى وجودى هناك ، خوفاً من أن أسعى لدى الألمان لإحباط غايتهم فى جعل مصر ولاية مصرية (١ ) والألمان الآن فى احتياج لمساعدة الترك العسكرية حيث توجد جنودهم مع الألمان فى غاليسيا وفى رومانيا وأمام سلانيك وها أنا بانتظار ما يفعله جويد بك مع زمرمان ، على أنى أصبحت أفضل البقاء هنا فى سويسره حتى تنتهى الحرب خوفاً من دسائس الصدر ورجاله .

---

(١) لابد وأنه يقصد ولاية عثمانية لا مصرية .

(٢٢٥)

أخبرنى السيد محمد باشحميه أن قنصل تركيا ( ضيا بك ) أخبره بأنه لما ورد أمر أنور باشا بواسطة على باشحميه إلى اسماعيل كامل والبحراوى بأنهما يكونان باتفاق معى فيما يختص بمجلة (مصر) التى ينشرانها هنا ، ذهبا إليه وقالا له بأن

قنصل تركيا ومجلة ( مصر ) وقصدها

الاتفاق بينهما وبيني مستحيل لأني أكره الدولة والأتراك وأقول باستقلال مصر التام، وهما يحبان الدولة والأتراك ويقولان ببقاء مصر ولاية عثمانية، فقال له باشحميه أنهما سخرا منه، لأن مبدأهم المطبوع على غلاف المجلة هو نفس مبدأ فريد وإخوانه ، أى استقلال مصر الداخلي المضمون بالفرمانات والمعاهدات، وأن الحقيقة أن لا خلاف بين الفريقين ولكنها مسألة أشخاص لا مسألة مبادىء ليس إلا ، فراجع القنصل غلاف المجلة وبهت المغفل .

جواب جويد بك

فى ٢٨ منه ، وصلنى جواب من جويد بك يقول فيه أنه سعى المساعى اللازمة لدى المسيوزمرمان وأن هذا الأخير أخبره يوم تحرير الجواب (٢٢ ديسمبر) بأنه أرسل الأوامر اللازمة وأنه أى جويد بك سيسافر إلى الآستانة ويعود إلى برلين فى ٤ يناير ، ويرجونى أن أؤجل سفرى إلى هذا التاريخ حتى نتقابل . توجهت على الفور إلى قنصلاتو ألمانيا ، وسألت عما إذا كانت الأوامر وصلت إليهم أم لا فأجاب بالنفى ووعدنى باخبارى عند وصولها . وجواب جويد ملصق بالصحيفة التالية وهو بخطه(١) .

جواب من احمد شريف عن مناقشة بينه وبين رجال الاتحاد بشأن مصر

فى ٣٠ منه ، وصلنى جواب من أحمد شريف الضابط المصرى الموجود بدافوس(٢) يخبرنى فيه بوجود شخص تركى هناك اسمه جمال بك مفتش لجنة الاتحاد فى البلاد العربية ، وأنه تحادث معه فى شؤون مصر والمصريين ، فأخذ يطعن علينا بدعوى أننا ميالون للإنكليز وللخلافة العربية ، فدافع شريف بقدر الإمكان ثم كتب إلى سيفى بك رئيس قلم المخابرات فى الحربية العثمانية ، مشتكيا من أقوال هذا الرجل الذى يعتبره معبرا عن رأى الجمعية التى يمثلها (والجواب مهم فى بابه ومحفوظ ضمن أوراق) .

عدم رد زمرمان وجويد بك

١٧ يناير سنة ١٧ ، إلى هذا التاريخ لم يأت إلى ما يفيد وصول خبر إلى القنصل الألمانى بالتصريح لى بالسفر إلى ألمانيا مع أنى أرسلت تلغرافا إلى جويد بك ببرلين فى ٥ منه ، وجواب آخر فى ٦ منه بالاستعجال ولم يأتنى رد منه هو الآخر لليوم ، فيظهر لى أنه تكلم بهذا الخصوص مع إخوانه بالآستانة، ولم يستحسنوا سفرى لبرلين للأسباب التى شرحتها بالصحيفة السابقة .

سفر عوض البحراوى الى الآستانة

علمت أن عوض البحراوى سافر إلى الآستانة بناء على تلغراف ورد إليه من الشيخ جاويش . وأظن أن ذلك نتيجة أمر أنور باشا بأنه واسماعيل كامل يكونان تحت مراقبتى فيما يختص بمجلة (مصر) وامتناعهما عن الانصياع تبعاً لنصائح فؤاد سليم ، أما اسماعيل كامل فما زال هنا ولم يصدرا المجلة من بعد عدد أكتوبر أى

(١) الجواب المقصود عبارة عن كارت من وجهين مكتوب باللغة الفرنسية ومصور على صفحة ٢٢٦ من هذه المذكرات .

(٢) Davos بلدة فى سويسرا .

Berlin, le 28 déc. [19]16

Mon cher Ferid Bey,

J'ai reçu votre lettre du 14 courant. J'ai fait les démarches nécessaires afin qu'on donne les instructions nécessaires à Genève. Aujourd'hui même Son Excellence le Ministre vient de me dire qu'il

وجه الكارت المرسل من جويد بك الى محمد فريد ( ومحرر بالفرنسية )

a déjà donné des ordres à ce sujet. Moi, je pars pour quelques jours à Constantinople. Je serai de retour le 4 Janvier et je vous serai reconnaissant si vous pouviez remettre votre voyage afin que nous puissions nous rencontrer. Bien à vous

Djavid

ظهر الكارت نفسه موقع عليه من جويد بك

بعد العدد الثانى . نعم أن الجميعة (١) كانوا معتصبين لآخر ديسمبر ولكن الاعتصاب قد زال . وقد ظهر عدد مجلة المغرب وكذلك ستظهر مجلة ترقى الإسلام فى هذا الأسبوع ، وقد أخبرنى المطبعجى بأنهما لم يعطياه أصول العدد الثالث للآن :

فى يوم السبت ٢٠ منه ، ورد لى جواب من قنصل ألمانيا فقصدته فأخبرنى بأن وزير ألمانيا فى برن كتب لى ليرجونى فى أن أؤجل سفرى إلى برلين الآن مراعاة للظروف وخوفاً من أن سويسرا تسىء الظن بى الخ ، وكرر لى ما قاله لى من مدة شهرين فأجبته بأنى لا أقبل أن أؤجل سفرى ، ولابد من أنى أسافر إلى برلين مالم تكون لديهم موانع شخصية ولكن ما دامت المسئلة قاصرة على سويسره فلا أبالى بما تظنه ولا يهمنى إن منعتنى من العودة إلى هنا ، وأنى أرجوه بأن يكتب لى السفير ببرن بذلك . فقال لا لزوم للكتابة وما دام أنك مصمم على السفر فلا بأس أحضر الجواز العثمانى ونحن نؤشر عليه فعلمت من ذلك أنه اذن لديهم ، وأن هذه المساعى غير رسمية حتى يحتجون (٢) قِبَلْ جويد بك مثلا

(٢٢٧) (٣)

بأنى أنا الذى عدلت عن السفر ، وعليه قصدت القنصلاتو وأخذت جوازاً جديداً بما أن القديم كانت انتهت مدته ولكنى لم أقابل القنصل بل نهى لى العمل الكاتب وكنت كلفت حسين شيرين بك بأن يخبر القنصل بأنى لا أريد مقابلته بالقنصلاتو وهكذا تم .

يوم الثلاث ، علم القنصل الألمانى على هذا الجواز وتقرر سفرى من جنيف صباح الخميس حتى أمر من الحدود بعد ظهر اليوم المذكور . ولقد قبل القنصل أن أضع ما لدى من الكتب والجرائد والأوراق التى أريد أخذها معى فى ملف واحد وهو يختمه بالطابع الرسمى حتى لا يفتح فى الحدود وهذا منتهى المجاملة :

( انتهت الكراسة الثامنة )

---

(١) المقصود : صفافو الحروف .

(٢) المقصود : يتحججون ( أو ) يبررون .

(٣) يبدو أن محمد فريد أسقط من حسابه ترقيم هذه الصفحة رغم أنها مرقمة برقم ( ٢٢٧ ) أو انه تم يرقمها على الاطلاق ، نظرا لأنها لا تتعدى فى الأصل ستة أسطر ونصف ، ومن المحتمل أن يكون شخص ما ممن سنحت لهم الظروف بالاطلاع على هذه المذكرات قد رقمها بهذا الرقم . ومما يؤكد ما ذهبنا اليه أن الصفحة الأولى من الكراسة التاليه ( وهى التاسعة ) تبدأ برقم ٢٢٧ .

# الكراسة التاسعة

من صفحة ٢٢٧ الى صفحة ٢٦٤

وصول برلين

تركت جنيف فى صباح يوم الخميس ٢٥ يناير سنة ١٩١٧ ، فوصلت الحدود بعد الظهر ، ولم أجد صعوبة ما ، لا فى الحدود السويسريه ولا فى الحدود الألمانيه ، وبعد تفتيش العفش بكل سهولة وفحص جواز السفر قعدت بقهوة بجوار المحطة انتظاراً لقيام القطار . وأول شيء استرعى نظرى هو عدم وجود السكر بالقهوة ولما سألت الخادمة قالت ها هو السكر وأشارت إلى صحن صغير لا شيء به فقلت إنى لم أجد به شيئاً فهل نسيتين السكر ، قالت لا وأشارت إلى شيء صغير بقدر العدسة وقالت هذا هو السكر ، وهو مركب كيماوى يسمى سكارين ، وحقيقة أن هذا الشيء يحلى كالسكر المعتاد أو أكثر . أردت أن أستأجر سريراً فى عربة النوم فأجبت بعدم وجود عربات نوم الآن بهذا الخط ، وبأننى مضطر لقضاء الليلة فى مدينة ستوتجاردت (١) . وفعلا وصلتها فى العاشرة مساء وتركتها فى العاشرة والنصف من صباح اليوم التالى الجمعة ٢٦ منه . طبعاً لم أجد وقتاً لزيارة هذه المدينة الكبيرة عاصمة مملكة ورتنبرج (٢) لكنى قضيت بشوارعها نحو ساعة فى الصباح فوجدتها ذات مبان شاهقة وشوارع منسقة وميادين عظيمة ، وكانت كلها مغطاة بالثلج الذى كان يومئذ نازلا بشدة لم أعهدها من قبل .

وصلنا برلين بعد نصف الليل بقليل وبلغ تأخير القطار عن ميعاده أكثر من

---

(١) اسمها الحالى Stuttgart ( شتوتجارت ) وتقع فى المانيا الغربية

(٢) صحتها : فيرتمبرج Württemberg ، وكانت وقتها تقع الى الجنوب الغربى من المانيا الغربية ، وهى الآن جزء من بادن ـ فيرتمبرج Baden-Württemberg

ساعة ونصف، وهوما لم أره فى السنة الماضية بألمانيا، وينسب عدم الانتظام الآن فى سير القطارات إلى نقص العمال الناتج من تجنيد عدد عظيم من مستخدمى المصلحة .

حديثى مع جويد بك

فى صباح السبت ٢٧ منه، ابتدأت عملى بزيارة جويد بك فى أولون أوتيل وحادثته كثيراً فى مسألتنا المصرية، وما تنوى تركيا عمله الآن ، وقد أصبح ارسال حملة كافية لطرد الانكليز منها (١) شبه مستحيل بسبب وجود معظم الجنود التركية فى العراق وأرمنيا والنمسا والبلغار ورومانيا، وأفهمته بأن طلب ألمانيا للصلح قبل التمكن من طرد الانكليز يفيد أنها تركت هذه الفكرة ، فقال : نعم هذا أمر يؤسف عليه وأن الظروف لم تساعد على تنفيذ هذا المشروع العظيم فسألته وماذا تنوى تركيا عمله فيما لو اجتمع مؤتمر الصلح ، والانكليز ما زالوا بمصر ؟ هلا يمكنكم على الأقل أن تطلبون منها منحها

(٢٢٨)

الدستور على الأقل ، حتى نتكمن نحن معشر الوطنيين من الاستعداد لثورة ضدها بمساعدة تركيا ؟ فقال : ربما أن تركيا تفضل عدم ذكر مصر فى مؤتمر الصلح بالكلية ، حتى يستمر الباب مفتوحاً للمخابرات فيما بعد لو سمحت الظروف . قلت : وهل تظنون أن انكلترا تقبل هذا السكوت ولا تطلب منكم الاعتراف بحمايتها على مصر؟ وهل يرضيها أن تبقى مصر بحالة معلقة قبلكم كما كانت حال تونس والجزائر إلى قبيل الحرب قال : هذا ما أشك فيه ومالا أعتقده ، وما العمل والدهر لم يساعدنا . هذا مجمل ما دار بينه وبينى من الحديث فى ذلك اليوم . بعد ذلك توجهت إلى نظارة الخارجية وتركت بطاقة زيارتى للمسيوزمرمان ناظرها وويزندونك وفون زمرن من رؤساء أقلامها الكبار .

الدكتور منصور رفعت ومشروعاته وافكاره

علم الدكتور منصور بمقدمى من الحرمة التى اعتدت بالسكن بمنزلها ، وكنت قد كتبت لها بتجهيز المكان ، فأتى لمقابلتى بالمحطة ثم عاد إلى فى الصباح وأخذ يشرح لى ما يريد عمله ، وهو لا يخرج عن مشروعات خيالية أساسها الطيش والجنون ، وتتلخص فى أنه يريد الخروج من ألمانيا وأن أصاحبه فى هذا الخروج أو الهروب لنشرع فى إيجاد حركة ضد الدولة العلية بسبب ما ظهر من نواياها نحو مصر ، وأن ندعو

(١) المقصود هنا : مصر .

اسماعيل لبيب وغيره من الإخوان للانضمام معنا ، وأنه فى إمكانه أن يقترض ( ثلاثة آلاف مارك لنعيش بها بضع شهور مع التقتير ، ولما سألته وهل تسمح لنا ألمانيا بالخروج ، قال هذا سهل ثم أعترف لى بأنه شرع مراراً وأوقف فى الحدود وأهانه البوليس ولم يخلص الابشق الأنفس ، فقلت ولم هذا الخروج على الدولة وقد أصبحت ولاخطر على مصر منها الآن ، وهل من الحكمة أن نفعل ذلك ونضر الاسلام وجامعته ، فلم يجد جواباً ثم أخذ يحسن لى أن أقرر بصفتى رئيس الحزب الوطنى بشطب اسم عبد الملك حمزة واخوانه المنضمين على الشيخ جاويش ، ونشرح خياناتهم واتفاقهم مع الأتراك على جعل مصر ولاية بسيطة ، فقلت هذا لم يقم عليه دليل محسوس ، لأنهم لم يكتبونه فى جرائدهم وكثيراً ما سئلوا عن ذلك فأنكروه فعلى أى دليل نبنى شطبهم ، وهل من الحكمة أن نظهر هذا الانقسام للملأ أو نسعى فى تلافيه بالحسنى ان أمكن . بالاختصار لم أوافقه على شىء من آرائه بل قلت له انى مصمم على السكون حتى تسمح لنا الظروف بعمل

(٢٢٩)

شىء مفيد . ان معاملتى لعبد الملك وأخوانه فستكون بسيطة : لاتقاطع ولا مصاحبة بل سأعاملهم كأجانب ان وجدنا فى محل عمومى أو جمعتنا الصدفة فى محل آخر فتكون المعاملة فى غاية البساطة ، وأنى لا أوافق مطلقاً على هذه الأعمال الصبيانية كالخصام وغيره مما يحبذه هو .

ثم أخبرنى بأنه أرسل صورة التلغراف الذى أرسله للسلطان و حلفائه إلى سعيد حليم باشا فرده إليه ، وأنه طلب من تركيا فى ذلك التلغراف أن تتنازل عن حمايتها لمصر لما تخرج الإنجليز من مصر ، فقلت له : وهذا أيضا عمل ضار لأ نه سيكون سلاح جديد لخصومنا يؤيدون به دعواهم ، وهى أننا نسعى للانفصال عن الدولة تماما ولا نكتفى بالاستقلال الداخلى الذى تراه الحكومة الحالية كثيراً علينا. بالطبع هذا الكلام لم يوافقه، ولذلك طلب منى أن لا أقول لأحد بعدم موافقتى على هذا العمل. وقد كانت نتيجة عمله هذا أن الدولة لم ترسل مرتبه عن يد المعاون العسكرى بالسفارة لغاية تحرير هذا (١٤ فبراير سنة ١٩١٧ )ويغلب على الظن أنها قطعته عنه .

فى يوم السبت ٣ فبراير ، كتبت للمسيو زمرمان ناظر الخارجية جواباً أطلب به منه أن يحدد لى موعداً لمقابلته مقابلة خصوصية ، فأتانى الرد محدداً يوم الجمعة ٩ منه بين الساعة ٦ ، ٧ مساء بالنظارة .

فى يوم ٣٠ يناير ، دعانى البارون أوبنهايم إلى الغداء ، فتحادثنا كثيراً

مقابلتى مع اوبنهـايم

وأخذ يظهر أسفه لما فعله جمال باشا فى الشام ، فشرحت له بعض ما كان يجهله من التفصيلات ، وأن هذه التصرفات كانت سبباً فى قيام شريف مكة الذى تسمى الآن بملك العرب واعترفت به فرنسا وإنكلترا، وكررت له ماقلته مراراً من أن لاحياة للدولة العلية إلا اذا نظمت على طريقة الاتحاد الألمانى بحيث يتمتع كل جنس بحريته الداخلية .

مقابلة الحاج عادل بك

فى يوم الثلاث ٦ منه ، قابلت الحاج عادل بك فى أوتيل أولون وكانت وزارة سعيد حليم قد سقطت ، وحل محله طلعت باشا « بك سابقاً » فسألته عن سبب استقالة سعيد وأخيه عباس فتجاهل ، وقال انى بعيدا عن الآستانة ولا أعلم السبب ، فقلت لقد أنصفا فى خروجهما من الوزارة فان سعيد حليم كان سبب كل ما حصل بين الخديو عباس والحكومة العثمانية بطمعه فى خديوية مصر، واظهاره العداء للحزب الوطنى لاتفاقه إذ ذاك مع الخديو . وقلت له : ان العائلة الخديوية لا يخرج منها إنسان طيب ذكرا كان أو أنثى ، حتى ولا فرع حليم فانهم جميعاً فاسدون مفسدون ، فتبسم موافقاً ، وقال ان الأمير سعيد كان ضعيفاً فى بعض المواقف . ثم أخبرنى بأن جويد بك قبل وزارة المالية وأنه سيسافر قريباً للآستانة لاشغال مركزه وأخذ يمدح فيه ،

(٢٣٠)

ويروى بعض ما سمعه فى مدحه من رجال المال فى برلين . ثم سألته عن رأيه فى حملة مصر فأجاب بأن الأمر متعلق على الحوادث وهو جواب سياسى طبعاً . وعند وصول الحديث إلى حادثة الشريف حسين قال هذه ليست مهمة فاننا نرسل إليه الجيش الكافى لقمعه بعد نهو الصلح فنرجع الحالة كما كانت .

فى مساء الأربع ٧ منه ، ذهبت إلى منزل المسيو وزندونك حيث دعيت لتناول الشاى الساعة ٩ مساء ، فوجدت كل من جمعهم القوم هنا من الأقوام الشرقية لترويج سياستهم فى بلدانهم من فرس وتونسيين وهنود وتتار وجورج (١) وكافة رجال القلم الشرقى تقريباً . وكان هناك من المصريين عبد الملك حمزة ومنصور رفعت وأنا ، فقابلنا رب الدار وزوجته أحسن مقابلة ، لكننا لم نتكلم فى السياسة لعدم مناسبة المكان والظرف . وانتهزت فرصة وجود عبد الملك حمزة لأجل أن أظهر له استغرابى من إضافته لقب بك إلى اسمه على ظهر مجلة العالم الإسلامى التى تصدر فى برلين باسمه

دعـوة ويزندونك وملاحظاتى لعبد الملك حمزة

---

(١) يقصد : من جورجيا .

وباسم الحاويش ، مع أنه رفض الرتبة حينما أنعمت الدولة بها عليه قبل الحرب بسبب خدمته أثناء حرب طرابلس والبلقان وكان لرفضه رنة كبيرة فى جرائد مصر فتلعثم وأخذ يحتج بأنه وضع هذا اللقب أمام اسمه مضطرا لأن القوم يحترمون أصحاب الألقاب بصفة خصوصية الخ الخ. ثم سألته عن الحملة التى أتت فى مقالة المسيو رفنتلو Reventlow فى مقالة له فى العدد حيث قال (أما مسألة ما إذا كانت مصر قادرة على أن تحكم نفسها أو يجب أن تحكم نفسها ، فهذه مسألة ثانوية ينظر فيها فيما بعد ) فادعى أنه لم يرها وأنه يستغرب صدورها من هذا الرجل المحب لمصر الخ ووعد بأنه سيراجع هذه العبارة ويتكلم مع كاتبها بخصوصها . تحادثت فى هذه الليلة كذلك مع خليل خالد الكاتب التركى ، وأتى ذكر سعيد حليم بحضور عبد الملك حمزة ، فقلت لقد استقال سعيد باشا قبل أن يولى مصر وينتقم منا معشر الوطنيين بالنفى والقتل كما كان يتهددنا من قبل سفر الحملة إلى الحدود المصرية ، فأظهر خليل خالد سخطه على الرجل ، وقال انه كان ضعيفاً قلت نعم إلا علينا ، أما عبد الملك فلم ينبث ببنت شفه .

تلغراف تهنئة للصدر الجديد طلعت

لما وردت الأخبار منبئة باستقالة سعيد حليم وأخيه وتعيين طلعت بك مكانه والانعام عليه برتبة الوزارة ، ارتأى منصور أن نرسل له تلغرافاً باسمى وصفتى بالتهنئة معبرين به من آمال المسلمين فيه وآمال المصريين بأن ينالوا حرية بلادهم فى أيامه ، فكتبناه وأرسلناه فى مساء اليوم نفسه وأرسلناه كذلك لجريدتى طنين وتصوير أفكار بالآستانة ، والقصد الأهم من ذلك التشفى من حليم .

فى مساء يوم الجمعة ٩ منه ، فى الساعة السادسة توجهت لنظارة الخارجية وأرسلت بطاقتى للوزير

(٢٣١)

حديثى مع الوزير زمرمان

زمرمان فما عتم أن استدعانى الحاجب وأدخلنى إلى القاعة الكبرى التى استقبلنى فيها منذ سنتين مع محمد فهمى ، فوجدت الوزير واقفاً فى وسطها فسلم على بكل بشاشة وأجلسنى بجانبه ، ثم أخذ يسألنى عن صحتى وعما أنويه من الإقامة هنا أو العودة إلى سويسرا ، فقلت ان نيتى الإقامة هنا لأكون قريباً منه أرقب الحوادث . ثم سألته عن حملة مصر ، فقال صراحة ان الحالة لا تسمح بالتفكير فيها الآن ، وأن غاية آماله أن تشديد حرب الغواصات يقهر انكلترا وفرانسا ، فعند ذلك يمكننا أن نطلب منها ما نريده لمصر. ثم أخذ يتكلم عن حادثة الحجاز وأعمال جمال باشا ، فأجبته بمثل ما قلته لأوبنهايم ولكن ببعض التطويل والشدة من أن جمال باشا أضر الدولة فى مصر وجميع البلاد العربية .

اقول ماكررته مرارا وكتبته فى رسالتى

ضرراً بليغاً ، وأن الأتراك أعماهم تعصبهم للجامعة التركية ، فاضطهدوا العرب كما اضطهدوا الأرمن من قبل،وانى لم أزل أقول ماكررته مراراً وكتبته فى رسالتى المنشورة فى العام الماضى من أنه لا سلامه للدولة إلا بنظام اتحادى En relion du fédéralisme، فقال مافهمت منه أن الأتراك غير ميالين إلى تنفيذ هذه الفكرة الآن Pas de solution ثم قال انهم قد أوفدوا شخصاً كبيراً من أصدقاء الشريف حسين ليفاتحه فى الصلح مع الدولة ، فقلت انهم أضاعوا الفرصة فلوكانوا (١) ما طلبه من أول الأمر وهو جعل وظيفته وراثية فى عقبه بعد موته ما كان حصل شىء من ذلك . على أنه ما زال لا يقول بالخلافة الاسلامية ولا بانفصاله عن الترك ولكن كل طعنه هو على الاتحاديين . ثم سألته عن حرب الغواصات وقطع العلائق السياسية بينهم وبين أمريكا، فقال اننا لا نخشى أمريكا فانها بعيدة ومستحيل نقل عدد كبير من جنودهم إلى أوروبا لعدم وجود وسائل النقل وإننا سنسير فى خطة تغريق المراكب بكل شدة Nous allons poursuivre la guerre sous-marine à fond قلت له اننا لم نر اسم مصر مذكوراً فى المذكرات التى تبودلت بين ألمانيا وولسون بشأن الصلح مع أن أرلاندا والهند ذكرتا ، وأن هذا النسيان أو الإغفال كدرنا كثيراً فقال كلا قد تكلمنا اجمالا عن شمال أفريقيا . قلت هذا غير كافى لأن مركز مصر بالنسبة لكم ولتركيا غير

(٢٣٢)

مركز تونس والجزائر بالنسبة لقنال السويس من جهة،ولقربها من البلاد الحجازية والعربية من جهة أخرى . فتفكر قليلا ثم تبسم وقال سنصلح هذه الغلطة فى أول فرصة . ثم سألنى عن الخديو عباس فقلت له بأنه فى سويسرا وحيداً شريداً لأننا وجميع المصريين هناك قطعنا علاقاتنا معه،ولم يبق معه إلا إثنان من رجاله اضطرتهما الضرورة المعاشية للبقاء معه . سألنى عن يوسف صديق باشا فقلت له انه يصرف بسخاء من أموالكم التى سرقها مع سيده وأظنه أنه لا يتأخر عن الانحياز للانكليز إذا اضطرته الحاجة إلى المال لأنه مسرف ويلزمه فى الشهر نحو عشرة آلاف مارك ولابد له من إيجادها بأى كيفية ا. هـ .

استمرت المحادثة نحو ثلث ساعة ثم انصرفت قائلا له انى سأقيم فى برلين لأكون تحت طلبكم فيما لو لزمكم بعض استعلامات أو كان لديكم بعض الأوامر بشأن مسألتنا .

إلى اليوم ١٨ فبراير، لم يأت مرتب منصور رفعت . ولما توجه أخيراً إلى المعاون

(١) هكذا ورد بالأصل ، ويستقيم المعنى لو اضيفت ( ليوا ) قبل ( ما ) .

العسكرى وأرسل له الوصل ، عاد الخادم قائلا انتظر حتى يأتيك خبر كتابى فتحضر . قطع مرتب الدكتور رفعت
وهذا طبعاً نتيجة تلغرافه الذى سبق التكلم عنه وقد نصحته بأن يبحث عن مكان يشتغل فيه كطبيب فيكسب عيشه بعلمه ، فوعدنى ولكن هل هو فاعل ؟ ان حبه للسياسة والحركة الجنونية لا يسمح له بذلك .

فى ٢١ منه ، أخبرنى الدكتور رفعت بأن مرتبه وصله فالحمد لله ، ولكنه سيعدل طبعاً عن البحث عن محل للعمل .

فى ٢٢ منه ، وصلنى جواب من اسماعيل لبيب يخبرنى فيه بأنه عند وصول خبر استقاله سعيد حليم من الصدارة ، وتعيين طلعت بك ( باشا ) مكانه أرسل فى الحال إلى طلعت تلغرافا هذا نصه :

Vive et sincère félicitations. Les Egyptiens se réjouissent

فارسال هذا التلغراف مضاف إلى التلغراف الذى أرسلته إليه من هنا ( برلين ) ربما أثر تأثيراً حسنا وساعد على احباط مساعى الأعداء .

الغدا مع وزندونك

دعيت المسيو وزندونك للأكل معى فقبل ، وتناولنا طعام الظهر معا يوم الجمعة ٢ مارث فى أوتيل بريستول ، ولكنه تجنب التكلم فى السياسة وفعلت مثله . والقصد فقط هو تحسين العلائق مع رجال الخارجية لأكون حرا فى السفر من هنا إلى سويسره ثانيا ان أردت ، أما لو توترت العلائق فربما أمنع من السفر كما منعوا الدكتور رفعت مرارا .

عدم رد زيارة قنصل الدولة وسفيرها

للآن ( ١٠ مارث ) لم أقابل السفير العثمانى مع انى توجهت اليه مرتين ولم يعتن بارسال بطاقة ردا لزياراتى كما يفعل الألمان . وكذلك زرت القنصل العثمانى لطفى بك فلم يرد الزيارة ، ولكنى لن أزورهم بعد هذا إلا لضرورة .

**(٢٣٣)**

من نتيجة هذا التحسين ان المسيومتووخ رئيس قلم الاستعلامات ، طلب منى مقالة لينشرها فى مجلة مكتبتهم المسماه N.O. فكتبت له مقالة فى الحركة العربية ضمنتها بعض معلوماتى الخصوصية عن دسائس الانكليز والخديو ، وأظهرت تقصير الأتراك نحو العرب وقد نشرت فى جريدة الصليب Kreuz Zeitung الصادرة فى ٦ مارث ، وفى مجلة قلم الاستخبارات الصادرة فى ٥ منه ، ويظهر انها أعجبت القوم لأن وزندونك أطنب لى فيها :

جريدة النيل

وصلني في أواخر فبراير جريدة جديدة ظهرت في لوزان اسمها النيل وليس عليها اسم مصدرها أو مديرها أو المسؤول عنها أو أي اسم آخر. ولابد أن يكون مصدرها السيد كامل ومنصور القاضي، بأمر الخديو وهي وريقة صغيرة من أربع صفحات تصدر في الشهر مرتين، وقد قرأتها فوجدتها لا لون ولا طعم لها وليس بها شيء عن مطالب المصريين أو آمالهم بل يظهر ان المراد منها ارضاء طرفي المتحاربين، وعدم ذكر اسم مصدرها حتى لايعلم انها من أعمال حاشية الخديو.

صدور العدد الثالث من مجلة مصر بجنيف

ظهر العدد الثالث من مجلة (مصر) في جنيف التي كتب لي بخصوصها على باشحميه أن أنور باشا أمر بأن تكون(١) رقابتي أو لا تظهر، فلا أدري ان كان الجاويش توصل إلى الغاء الأمر ثانيا، أو أنهم أظهروها بعد سفري من جنيف ارتكانا على اني غير مقيم بها الآن وغير ممكنهم اطلاعي على ما بها. على اني أرجع الرأي الأول لأن عوض البحراوي سافر إلى الآستانة عقب ورود أمر أنور باشا ولابد أن يكون اتفق مع الجاويش وحصلوا من أنور باشا على ما يريدون.

تغير في سياسة عبد الملك واخوانه

ولكني لاحظت من عهد استقالة سعيد حليم باشا تغيير في سير عبد الملك حمزة وجماعته هنا نحوي، من ذلك انه مر مع عوض البحراوي (الذي حضر أخيرا إلى هنا) على قهوة طاوتسين التي أجلس فيها عادة لمطالعة الجرائد الفرنساوية، ولما لمحاني دخلا خصيصا للسلام علي مع انهما كانا اذا صادفاني بالطريق في جنيف يلويان وجهيهما لجهة أخرى ويتبجحا بعدم السلام علي هما وباقي جماعتهم، وفي ثاني يوم وصلتني دعوى من أحد التياترات مكتوب عليها بأنها مرسلة بناء على طلب جريدة العالم الاسلامي. فلا أدري ان كان ظني في محله أم لا وستظهر الحقيقة فيما بعد. أما أنا فتصميمي هو عدم الاشتغال مع هذه الجوقة على أي حال بعد ما حصل منهم نحوي.

## (٢٣٤)

سعي عبد العزيز عمران في التوفيق بيني وبين عبد الملك واخوانه

لما كان الدكتور عمران هنا في النصف الأول من فبراير، أراد ان يوفق بيني وبين عبد الملك ومن معه، فعرض علي الأمر فكان جوابي أنا لا أشتغل معهم في أي عمل ولا أكتب في مجلة عليها اسم الشيخ جاويش، ولكني اذا قابلتهم أو أحدهم فلا بأس من تبادل التحية ولكن بشرط عدم التكلم معهم في مسألة مصر مطلقا، أما الشيخ جاويش فلا أكلمه ولا أضع يدي في يده، إذ اشترطت قبل كل شيء أن

---

(١) هكذا وردت بالأصل ويستقيم المعنى لو اضيفت (تحت) قبل (رقابتي)

يزورونى فى منزلى معتذرين عن تقصيرهم فى حقى فى جنيف وغيرها ، بعد ذلك ربما أقبل أن أزورهم وأقبل دعوتهم ان أرادوا دعوتى للطعام عندهم .

تكلم معهم عمران فكان جوابهم انهم لا يقدروا على زيارتى بهذه الكيفية إلا بعد أن يكاتبوا اخوانهم فى جنيف والآستانة ومكاتبة عبد الحميد سعيد فى الشام ، وعلى ذلك طلبت من عبد العزيز أن يترك هذا المسعى . ظهر من ذلك أنهم متحالفون تحت زعامة الجاويش على محاربتى شخصيا ليفوز الجاويش بالزلفى لدى الحكومة العثمانية .

جواب الدكتور فؤاد وردى عليه

من دلائل تغير سياسة هذه الفئة نحوى ان الدكتور فؤاد أرسل لى بتاريخ ٢٧ الماضى جوابا وصلنى فى ٧ مارث الجارى يعزنى فيه بفقد ابنتى المتوفاة فى السنة الماضية ، فرددت عليه فى اليوم نفسه بجواب كله تأنيب ولوم على سياسته نحوى وعلى عقوقه ونكرانه جميلى عليه والجواب وصورة الرد منصقان فى الصحيفة التالية (٢٣٥) .

دعوة ويزندونك لى لتناول الشاى

دعانى المسيو ورندونك لتناول الشاى فى كلوب السيارات يوم الجمعة ٩ مارث بعد الظهر . فتوجهت فى الميعاد حيث وجدت الداعى وزوجته فى استقبالى أنا والمدعوين ، وكانوا ايوسف آقجورة ، والأستاذ حسين على بك ، والشيخ عبد الرشيد وابراهيم(١) وخليل خالد والباقون من مستخدمى قلم الاستخبارات . وقد علمت منهم انهم حضروا من الآستانة (الا خليل خالد فانه مقيم هنا من نحو سنة ونصف ) للسفر إلى عاصمة السويد حيث فى النية جمع مؤتمر من الأمم الخاضعة للروس لاعلان استيائهم وطلبهم حرية بلادهم من الألمان وحلفائهم على نحو ما حصل فى يونيه الماضى فى لوزان ، ولكن هذا المؤتمر سيكون قاصرا على التابعين للروس أى ضد الروس فقط .

مؤتمر استوكهلم عاصمة السويد

**(٢٣٥)**

دار الخلافة العظمى فى ٢٧ - ٢ - ١٩١٧ (٢)

سعادة سيدى المفضال المجاهد الكبير محمد فريد بك الأكرم حفظه الله

السلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد فقد بلغنى ما أحزن فؤادى ، وكدر نفسى ، وأبكى عينى ، ألا وهو نعى كريمتك المرحومة أسكنها المولى فسيح جناته وألهمك وذويك جميل الصبر والسلوان . فرأيت من أول واجباتى المقدسة أن أبادر بتقديم فروض

---

(١) الواو زائدة ، اذ أن الاسم الكامل للشيخ عبد الرشيد هو الشيخ عبد الرشيد ابراهيم ، كما ورد على صفحات ١٣٣ و ١٣٤ و ٢٣٦ من هذه المذكرات .

(٢) أنظر صورة هذا الخطاب بالملحق رقم (١٠) .

التعزية . مولاى أنت تعلم أن الفناء محتوم على البشر . ولم ينج منه حتى سيد الرسل ، وتدرك ان الموات نقاد على يده جواهر يختار منها الحسان ، وان الناس كجياد السباق خيرهم أسبقهم فى الخروج من دارالابتلاء ، دار الهموم والأرزاء ، وتذكر قوله تعالى لخاتم رسله انك لميت وانهم لميتون (١) ، فلا عجب اذا لاقيت هذه النكبات المتوالية والقوارع المتتالية بما هو معروف عنك من الصبر والثبات وقوة العزم والشجاعة . نعم ان المصاب جلل ولكن عقلك أجل والحزن شديد ولكن قلبك الكبير وايمانك المتين وتوكلك الشديد يضمن لى ولجميع اخوانك ومحبيك احتمال هذه القارعة ، دون أن يتزعزع لك ركن (٢) أو يوهن لك عزما ، ولا أخالك الا فاعل ان شاء الله بتوفيقه .

مولاى أذكر الضحايا البشرية التى تقدمها الأمم من خيرة أولادها وزهرة شبانها فى سبيل سعادة بلادها ، وان كل فرد هو ابن أسرة تنعيه وان جميع العالم اليوم فى مأتم عام . وان من كان مثلك قائدا لأمة احتمل ظلمة السجون ومرارة النفى والبعد عن الأهل والوطن ، يجب أن يكون خير أسوة لمواطنيه على احتمال المصائب ومقارعة الخطوب ومصارعة الكوارث . انى مع ثقتى التامة بأن من كان مثل سعادتك فى التجربة والعزم لا يحتاج إلى تشجيع مثلى ، ولكن هذه سنة السلف الصالح من جهة ، ولأننا وان اشتركنا فى الرزىء فانك أكبرنا نصيبا ، فابق على نفسك رحمة بأهلك ووطنك . ألهمك الله الصبر والسلوان وأسكن الفقيدة فسيح الجنان انه الرحيم المنان والسلام عليك فى المبدأ والختام

ورد فى برلين يوم الأربعاء ٧ مارث سنة ١٩١٧

من المخلص المشتاق

احمد فؤاد

حضرة الدكتور الفاضل

أدهشنى صباح اليوم وصول جوابكم الرقيم ٢٧ الماضى بعد انقطاع الصلة تماما عدة سنوات . وزاد دهشى لما وجدته تعزية عن المصيبة الثانية التى ألمت بى من سنة مضت ، مع انك لم تعزنى أثناء وجودى فى الآستانة عن مصيبتى الأولى التى دهمتنى فى إبريل سنة ١٩١٥ ، وهى فقد بنت أخرى فى الثانية عشرة من عمرها ، مع انى أتيت إلى الآستانة بعدها مرتين ، على أى حال فانى أتقبل تعازيكم بكل شكر وممنونية ، وأقدر قيامكم بهذا الواجب ولو متأخرا حق قدره بل واعتبره رجوعا إلى معرفة مالى عليك من حقوق الأبوة بعد هذا العقوق الطويل .

---

(١) هذا ما ورد بالأصل ، وصوابه ، قوله تعالى : « انك ميت وانهم ميتون » ( الزمر : ٣٠ )

(٢) فى الأصل : ركنا ، ولذا لزم التصويب .

وقد ألهمنى الله الصبر على هذه المصائب المتكررة ، وأعاننى بفضله وكرمه على تحمله كما أعاننى على تحمل كل مالا قيته فى حياتى السياسية من أنواع الخيانة والغدر والانقلاب. وأملى فى وجهه تعالى أن يديم على منته المتتالية ، وأن يؤيدنى بروح من عنده فيما بقى لى من السنين القليلة فى هذه الحياة الفانية ، انه لا يضيع أجر من أحسن عملا وأختم جوابى باهدائك مزيد شكرى مع وافر سلامى .

محمد فريد

(٢٣٦)

وبما أنى مولع بالسياحة طول حياتى ولى أصدقاء فى هذه البلاد ، طلبت من المسيو وزندونك أن أرافق هذا الوفد لا بصفة رسمية حيث لا يمكن الكلام فيه ضد إنكلترا ، ولكن بصفتى الشخصية فقط بقصد السياحة . فقبل بكل ممنونية وكلف المسيو ( كوزاك ) بإضافة إسمى إلى أسماء المسافرين الذين سيقدم بهم كشف إلى الحكومة السويدية . ولى قصد آخر من انضمامى إلى هذه الرحلة ، هى أن أحصل على برهان بأنى حر فى السفر إلى حيث أريد من البلاد المحايدة ، ولأبرهن للدكتور رفعت بأن معارضة الألمان له فى خروجه من ألمانيا مبنية على حالته الشخصية وطعنه عليهم بمناسبة وبغير مناسبة ، وبأنه لو سار معهم بالحكمة والروية لأمكنه الانتقال إلى حيث يريد ولكن ....

كنت سمعت بهذا الخبر من منصور رفعت نقلا عن بعض الهنود فلما اجتمعت مع الشيخ عبد الرشيد إبراهيم لدى وزندونك وقت تناول (١) استعلمت منه عن الحقيقة ، فقال ان الشيخ صالح كتب جواباً للسيد أحمد السنوسى عن يد البارون بأنه تعين نائباً للسلطان فى بلاد طرابلس، وأنه يكون له السيطرة على بعض الأمور الإدارية والعسكرية ، وأمضاه أنور باشا على غير علم بما فيه على ما يظهر ، وأن هذا الجواب كدر السنوسى فكتب لأنور باشا بهذا الخصوص فغضب أنور لأن الشيخ صالح دس عليه هذا الجواب بالعربية ، وأن الشيخ صالح أخرج من نظارة الحربية حيث كانت له غرفة خصوصية وسحبت منه كذلك كل الوظائف التى كان يتقاضى مرتبها وخصص له أربعون جنيه شهرياً كإحسان ، والمظنون أن للشيخ جاويش يداً فى هذا المسعى .

غضب انور باشا على الشيخ صالح الشريف

الشيخ صالح الشريف

(١) هكذا ورد بالأصل ، ولعله يقصد وقت تناول وجبة ما .

سقوط بغداد بأيدى الانكليز

فى يوم الاثنين ١٢ مارث ، نشرت الجرائد هنا خبر سقوط بغداد بأيدى الإنكليز ودخول هؤلاء إليها فى صبيحة الأحد ١١ منه ، فكان لهذا وقع سىء لدى الألمان ورنة حزن فى قلوب المسلمين لما سيكون لهذا الخذلان من التأثير الأدبى لدى مسلمى العالم ، إذ أنه يخشى أن يتهزه الإنكليز فرصة لإعلان أحد أمراء العرب خليفة بها لمحاربة الخليفة العثمانى ، فينشق المسلمون ويتفرقون أكثر مما هم متفرقون الآن . والظاهر أن قبائل العرب فى هذه الجهات انحازت للإنكليز بعد ما ارتكبه جمال باشا من الفظائع فى الشام، وارتكبه غيره من الأتراك بجهات الحلة بالعراق وما جاورها .

ومن نتائج سقوط بغداد السيئة ، اضطرار الجيش المحارب فى فارس للانسحاب خوف أن يقطع عليه خط الرجعة ، فأخلى العثمانيون همدان وانسحبوا إلى كرمانشاة وربما انسحبوا إلى ما وراءها . وبالطبع سينتقم الروس

(٢٣٧)

من الفرس أشد انتقام لمساعدتهم الأتراك فى هذه الحرب . ولقد شرحت بعض ذلك فى مقالة أرسلتها أمس (١٣ مارث ) إلى جريدة مونيخ المسماة München Neuste Nachrichten راعيت فيها إحساس الأتراك بقدر الإمكان . كما أنى نشرت مقالة فى جريدة الصليب Kräugen Zeitung الصادرة فى ٦ الجارى شرحت فيها دسائس الإنكليز فى بلاد العرب من سنين ، وإغفال الترك لمحاربة هذه الدسائس وما يتوقع منها من النتائج . وقد نشرت هذه المقالة فى مجلة قلم أخبار الشرق المسماة N. O. فى نفس يوم ٦ الشرح ، ونشرت ترجمتها بالتركية فى جريدة تركيا الجديدة الصادرة بتاريخ ١٢ منه ، وهذه الجريدة يصدرها شاب تركى اسمه **سعدى** فى برلين نصفها بالألمانية ونصفها بالتركية :

سياسة مجلة العالم الاسلامى الألمانية نحوى

من الغريب أن عبد الملك حمزة نشر فى مجلته الصادرة بتاريخ مارث مقالة عن الحركة الوطنية فى مصر تكلم فيها عنى بعبارات ولو أنها بسيطة ولكنى ما كنت أنتظرها منه ومن إخوانه بعد انقلابهم على تبعاً لسياسة الشيخ جاويش . وأظن أن هذه علامة أخرى على ميلهم إلى الانضمام إلى ثانياً خصوصاً بعد خروج سعيد حليم من الوزارة .

حديث مع رفعت باشا

أتى إلى هنا رفعت باشا سفير الدولة فى باريس قبل الحرب عائداً من سويسرا . وقد قابلته اليوم (١٣ مارث ) وكان الحديث دائراً على سقوط بغداد ونتائجها السيئة ، فأخذ يظهر ألمه من هذه الحالة وتأسفه على إرسال جزء عظيم من جيوش

الدولة إلى غاليسيا ورومانيا لمساعدة الألمان وترك الحدود مهددة بهذه الكيفية بلا حامية كافية ، مع أن البلغار لم يخرجوا جنديا واحداً وراء حدودهم . وبالاختصار فحالة الدولة سيئة جداً والغالب أنها ستفقد بلاد الجزيرة وأرمنيا وفلسطين وربما ضاعت الشام منها أيضاً فتصبح قاصرة على الولايات التركية الأصيلة فى بلاد الأناضول . وهذا كله من نتائج سياسة التتريك Pan Turquisme التى جنوا بها أخيراً . فلا حول ولا قوة الا بالله .

خطابة فى نادى العثمانيين

حضرت خطابة ألقاها يوسف آقجوره(١) من أنصار التريك فى هذا النادى يوم الجمعة ١٦ مارث ، فكانت كلها على تاريخ الترك القديم والأتراك الموجودين بالروسيه والجامعة التركية إلى غير ذلك فاستغربت جداً لاشتغال الترك بإخوانهم بالشمال وعدم اهتمامهم بالاسئلة العربية ، بغداد والجزيرة ، فان الخطيب لم يذكر كلمة عن هذا الموضوع مع أن بغداد كانت سقطت فى أيدى الإنكليز فى يوم ١١ الشهر . هذا دليل على عدم اهتمام الترك ببلاد العرب ،

(٢٣٨)

واعتقادهم إمكانهم البقاء بمفردهم بدون أن تكون بلاد العرب معهم ، وهى سخافة عظيمة سمعتها من الكثيرين منهم ، ولكنهم بكل أسف سيضيعون ملكهم وسيخرجون من هذه الحرب دولة صغيرة كالعجم أو الأفغان وتصبح كل البلاد العربية فى أيدى الإنكليز والفرنساويين .

وفاة عمر سلطان

قرأت فى جرائد مصر خبر وفاة هذا الرجل ، وهو فى سن الخامسة والثلاثين على الأكثر قضاها فى اللهو والملذات ولعب القمار ، حتى خسر جزءاً ليس بقليل من ثروته الواسعة التى خلفها والده سلطان ، أكبر أعوان الخديو اسماعيل على السلب والنهب فقد جمع هذه الثروة من طرق غير مشروعة فذهب أعظمها على يد هذا الغر .

كان هذا الشاب من أصدقاء مصطفى كامل واشترك معنا فى تأسيس اللواء الفرنسية بمبلغ ألفى جنيه ، دفع النصف الأول وضمن مصطفى فى حساب خصوصى فى بنك رومة ، ولما مات مصطفى لعب دوراً مضراً معنا بخصوص اللواء ، إذ أخذ حصصاً من الشركة التى أسسناها لمشترى نصف اللواء بمقدار ما كنا ضامنين

---

(١) هو أول من دعى الى بناء الدولة على أساس « العثمانية » او « الاسلامية » او « الطورانية » فكان من رأيه أنه لا يمكن أن تعيش الدولة وهى مؤلفة من سلالات وقوميات متباينة ، وأنها ستتداعى وتنقرض لا محالة ، ولكن بعد موتها ستقوم دولة تركية خالصة لا تضم الا الأتراك ( أنظر : ساطع الحصرى ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ص ١٠٨ ـ ١١٠ ) .

مصطفى فيه من المال . وكانت حصتى من ذلك ثلاثة آلاف وخمسماية جنيه ، وحصة سلطان إثنى عشر ألف والباقى لمحمد الشريف والمجموع عشرين ألف جنيه . ثم لما حصلت المشاكل المالية بين على كامل وأخواته بخصوص النصف الآخر ، سار عمر سلطان ضدنا بإيعاز من الخديو واتفق مع عثمان صبرى زوج إحدى أخوات مصطفى وساعده على ذلك طلعت حرب وكيل أشغاله خدمة لحزب الأمة أى للإنكليز ، واتفقوا جميعاً على تعيين يوسف المويلحى من رجال البوليس السرى حارساً قضائياً فاستلم إدارة اللواء ، ونحن تركناها وأسسنا (العلم) وأعلنا أن اللواء لم يكن لسان حال الحزب الوطنى فانقسم الحزب بسبب ذلك وابتدأ الخلاف بين أعضاء اللجنة الإدارية كما هو مشروح فى الجزء الأول من هذه المذكرات (١).

ولقد استمال الخديو عباس عمر سلطان بأن أعطاه رتبة المتمايز ثم رتبة مير مران (باشا) ، وزاره فى داره بالمنيا فانشق عنا تماماً ، وكان قد بدأت معاكسته من سنة ١٩٠٨ حيث كان وعدنى أنا والدكتور صادق رمضان حين كنا بباريس بأن يساعد بماله على نشر اللواء الفرنساوى مهما كلفه وأنه كتب بذلك لطلعت حرب ، ولكن لما عدنا وجدنا من طلعت حرب مماطلة ثم منه بعد عودته . وأخيراً اضطرتنا الحال

(٢٣٩)

لإبطال إصدار الجريدتين الفرنسية والإنكليزية (٢) . وبعد ذلك صار عمر سلطان (خديويا) محضاً ثم إنكليزيا بعد إعلان الحماية على مصر . وكانت وفاته فجأة على ما جاء بالجرائد ، ولا يبعد أن يكون انتحر تخلصا من مضايقة الديون والدائنين فمصر لم تخسر بموته شيئاً .

حديث مهم مع الشيخ صالح الشريف بخصوص حالة الدولة وحالة حزب الاتحاد

فى يوم ٢٨ مارث ، حضر لزيارتى الشيخ صالح الشريف ، وقد حضر من الآستانة من بضع أيام قلائل ، ثم زرته فى الفندق بعد الظهر ، وتكلمنا كثيراً فى مسائل الدولة الحاضرة بعد سقوط بغداد والعراق وتهديد إنكلترا لفلسطين . وملخص الحديث أن الحالة هناك سيئة جداً ولا أمل تقريباً فى إرجاع بغداد وأن سبب هذا الانهزام انفصال متطوعى القبائل عن الترك لما رأوه منهم من الاحتقار وسوء المعاملة

---

(١) يقصد الكراسة الأولى . أنظر صفحتى ٩ ، ١٠ .

(٢) ألغيت الجريدتان فى أوائل سنة ١٩٠٩ لعجز محمد فريد عن الاستمرار فى الانفاق عليها بعد نفاد رأسمالها . ( أنظر : الرافعى . محمد فريد . ص ١٠٠ ) .

ولما وقع لديهم من الوقع السيء لفظائع جمال باشا فى الشام . وأنه يخشى ضياع فلسطين وسوريا أيضاً بسبب أعمال جمال باشا ، وأن جمال سائر فى هذه الجهات سير حاكم مستقل مستبد لا يطيع أوامر ولا يسمع نصائح . ولما وصل الحديث إلى ذكر الكتاب الذى نشره دفاعاً عن أعماله فى الشام قلت ان نشره أضر أكثر مما أفاد ، لأن الدفاع ركيك ، ويمكن للأعداء الاستناد على نفس أقواله لاتهامه ، فقال ان أنور باشا كان معارضاً فى نشره ولكن جمال أرغد وأزبد وصمم على نشره . فنشر رغم إرادة أنور . ثم قال ان هذا الطاغية لا يترك الشام حتى يدخلها الأعداء . ومما قاله الأستاذ أنه اجتمع هنا بألمانى كان قنصلا فى إحدى ثغور الشام ، فقال له انه اجتمع يوماً بجمال باشا ونبهه إلى تقدم الإنكليز وأخذهم العريش واستعدادهم للزحف على فلسطين ، فأظهر عدم اهتمام ، وقال فليأخذوا أورشليم ماذا يضرنا هذا . ثم سألته عن أسباب استقالةسعيدحليم فقال هى بالطبع خلافات بينه وبين إخوانه لا تعلم تفصيلاتها ، ولكن من المؤكد وجود خلاف بين أعضاء لجنة الاتحاد أنفسهم ويخشى من حصول أشياء مضرة بينهم تكون القاضية على الدولة . وكل ذلك سببه التحاسد وسعى كل عضو فى إفساد ما يعمله الآخر . والخلاصة أن الرجل يائس من المستقبل ، وإن كان يظهر الأمل فى مساعدة ألمانية وقت إبرام الصلح والتكلم فى المفاوضات بين ما يحتله كل فريق من بلاد الفريق الآخر .

كان كتب لى أحمد فريد من جنيف بأنه سمع من ثقة أن سبب خروج سعيد حليم من الصدارة ، أنه كتب أو أوعز بكتابة رسالة بامضاء ( محمد ) طعن فيها على رجال الاتحاد وحكومتهم فسألت الشيخ صالح

(٢٤٠)

عن حقيقة هذه الإشاعة ، فقال : نعم الكتاب ظهر وسعيد حليم معترف به . وجمال باشا يجهز كتاباً رداً عليه سيكون اسمه ( من جمال إلى محمد ) ، وكتاب محمد هذا يشمل انتقادات مرة على الحالة الاجتماعية العامة وبالأخص تبرج النساء وخروجهن بلا قناع أو خمار تقريباً ومقابلتهن للرجال إلى غير ذلك ، وبه مغامز كثيرة ضد الحكومة . فهذا دليل محسوس على وجود الخلاف بين أعضاء اللجنة حيث وصلت بهم الحالة إلى نشر الرسائل ضد بعضهم البعض، ثم وعدنى الأستاذ بأنه سيحضر لى من (١) كتاب محمد ، فشكرته .

---

(١) هكذا ورد بالأصل ، ويستقيم المعنى لو أضيفت كلمة ( نسخة ) قبل ( من ) .

في ذلك اليوم قابلت شخصاً تركياً اسمه ضيا بك من رجال السفارة في إدارة جريدة تركيا الحديدة ، وتكلمنا كثيراً في حالة الدولة ، فأخذ يظهر ألمه من معاملة الترك للعرب واهتمامهم بالمسألة الطورانية(١) وإهمالهم ماعداها حتى أشرفت الدولة على الخراب ، وأنه من الحمق أن يعتمد الترك على أنفسهم دون غيرهم وهم لا يبلغون الستة ملايين نسمة فكيف يمكنهم تكوين دولة بهذا العدد يكون لها مركز في العالم . كما أخذ ينتقد إرسال الجنود العثمانية إلى غاليسيا ورومانيا ، وعدم الاهتمام بالدفاع عن العراق ، ولكن كنت معه في غاية الاحتراس لأنه لا يبعد أن يكون جاسوساً ينقل ما يسمع إلى السفارة ومنها للآستانة . ومن الغريب أن الأتراك عموماً غير مهتمين بضياع بلاد العرب منهم ولا يخطر ضياع الخلافة منهم ، بل منهم من يقول أن ترك الخلافة والأمور الدينية والتعلق بالطورانية بصرف النظر عن الدين أولى وأفيد . وهذا هو الجنون بعينه لأن الدولة بلا خلافة لا قيمة لها .

حديث مع تركي بهذا الخصوص

اجتمعت بشابين من أحفاد الأمير عبد القادر الجزائري (اسمهما) محمد علي وأحمد مختار ، وهما أخوان يتعلمان هنا على نفقة عمهما علي باشا المنفي الآن في بورصة ، فقصا علي أمور كثيرة مما هو معلوم ، ولكن ذكر لي أحدهما محمد علي أن جمال باشا رغبة في محو كل ماهو عربي ولو اسما أمر برفع اللوحة الرخام الموضوعة قبر(٢) سيدي محي الدين بن العربي ، ووضع لوحة أخرى كتب عليها هذا قبر محي الدين أفندي . فانظر إلى هذه الأمور الصبيانية ، وأنه هدم فعلا قبر الأمير عبد القادر لوقوعه في طريق أريد إنشاؤه وكان في الإمكان تحويله قليلا احتراماً لمقام

بغض جمال باشا بالشام

(٢٤١)

هذا الرجل ومراعاة للظروف الحاضرة .

حضر أنور باشا إلى برلين مساء الأحد ٢٥ مارث بعدما زار الامبراطور في المعسكر . وزيارته هذه مقصود منها الاتفاق مع الألمان على مساعدة الدولة بالرجال

---

(١) يقصد الحركة الطورانية . وهي حركة تركية بحتة ظهرت قبيل الحرب العالمية الأولى تقوم دعوتها على اعتبار أن الاتراك عنصر نقي متميز وكانت تهدف الى تكوين دولة تركية خالصة تضم الأجناس التركية المبعثرة وذلك من خلال ثلاثة محاور : أولا ، تخليص التراث التركي من المؤثرات الفارسية والعربية . ثانيا ، خلق صلة قوية دائمة بين أتراك الامبراطورية العثمانية والأتراك خارج هذه الامبراطورية ثالثا ، تفوق العنصر التركي وسيادته في الدولة العثمانية ( أنظر : د. محمد أنيس ، الدولة العثمانية والشرق العربي ص.ص ١١٦ و ٢٥٨ و ٢٥٩ ) .

(٢) هكذا ورد بالأصل ، ويستقيم المعنى لو أضيفت ( على ) قبل ( قبر ) .

على صد الإنكليز من العراق وفلسطين ، ولكنى علمت من مصادر كثيرة أن الألمان غير راضين عن أعمال الأتراك مع ضباطهم بسبب تكبرهم وعدم سماع نصائحهم .

السفر الى اقليم تورنجن

تعبت من قلة الأكل فى برلين خصوصاً من قلة مقدار الخبز المقرر لكل شخص وهو ٢٥٠ غراما كل يوم ، فحسن لى بعض المعارف السفر إلى جهة تورنج Thüring والتى تبعد عن برلين بنحو خمس ساعات حيث المأكولات وافرة وتكاد تكون بلا قيد . فسافرت يوم السبت ١٤ أبريل الساعة ١٠ ، ٢٦ دقيقة إلى قرية يقال لها بلانكنبرج Blankenburg فوصلتها فى الساعة ٣ وربع بعد الظهر ، ونزلت فى فندق صغير اسمه Schellhorn بسبعة مارك ونصف كل يوم ، وحقيقة وجدت الأكل به كثيراً جداً يشبع الآكل بل يكفى الأكول ، والبيض يعطى لى كل يوم صباحاً مع الزبدة واللحم بلا حساب والبطاطس كذلك . وهذا دليل على أن توزيع المأكولات فى ألمانيا غير سائر على وتيرة واحدة ، وهذا ناشىء عن نظام ألمانيا الدستورى الذى حفظ لكثير من الولايات والإمارات الصغيرة استقلالها بالداخلى .

طلعت باشا فى برلين

أثناء إقامتى فى هذه البليدة ، قرأت فى الجرائد خبر مجىء طلعت باشا الصدر الأعظم إلى برلين ، وبما أنى أعلم علم اليقين بأن هذا الرجل لا يحبنى بسبب دفاعى عن حقوق مصر وطمعه هو فى استرجاعها ولاية عثمانية بسيطة ، حمدت الله على بعدى عن برلين حتى لا أضطر لمقابلته أو لمجرد زيارته . أما هذه الزيارة ففى غير محلها لأن وزراء (١) يسعون دائماً لزيارة الإمبراطور ولا أحد من وزراء ألمانيا يزور الآستانة أو يهتم بزيارة سلطانها فهذا الترامى تحت أقدام ألمانيا ليس من السياسة فى شىء ، وقد عدت إلى برلين مساء الخميس ٢٦ أبريل .

العودة الى برلين

الشيخ جاويش يأسف على تركه مصر

مما هو خليق بالذكر أن الدكتور شرومبف Schrumpf أخبرنى بأنه حادث الشيخ جاويش مراراً فى المسائل السياسية فكان الجاويش يظهر ألمه المر من حالته ويجاهر بأسفه على ترك مصر والاندفاع فى التيار السياسى ، فعجبت كثيراً من هذا النفاق اللامتناهى ومن هذه الوطنية والاسلامية الكاذبة التى يتبجح بها أمام الأتراك،

---

(١) هكذا وردت بالأصل ويستقيم المعنى لو أضيفت كلمة ( تركيا ) بعد كلمة ( وزراء )

ولكن هذا الرجل ( كما قلت وكتبت مراراً ) لا مبدأ له وأنه يريد أن يعيش بأى كيفية كانت . ولو تمكن الآن من العودة إلى مصر وضمنت له الحياة ،

(٢٤٢)

لما تأخر عن السفر . بل لو أمكنه أن يخابر الإنكليز طالباً العفو لما تأخر . ويظاهر أن الألمان أدركوا هذا الأمر كما أيقنوا تذبذبه وتقلبه ، فامتنعوا عن الإجازة له بالعودة إلى برلين كما أخبرنى بذلك اسماعيل حسنى (أخ مختار المحبوس بمصر فى قضية المنشورات) الذى عاد من الآستانة مساء ٢٦ الجارى .

اخبار الشام من اسماعيل حسنى

مما أخبرنى به اسماعيل حسنى عن أحوال الشام أنها سيئة جداً ، وأن الأهالى فى أشد السخط على الأتراك ، وأنهم يفضلون أى دولة أجنبية تأتى بلادهم على بقاء الأتراك ، وأن جمال باشا سائر فيهم سير الحاكم بأمر الله الفاطمى ، وأنه تقريباً مستقل ببلاد الشام . ولا يسمع ما يأتيه من الأوامر من الآستانة ، وأن هناك شقاق كبير بينه وبين أنور باشا ، وأن لجمال حزب قوى فى الجيش ، وهذا يوافق ما أخبرنى به الشيخ صالح شريف عند وصوله من الآستانة من نحو شهر ، وقال كذلك أن هناك حركة بين ضباط العرب وهم كثيرون خصوصاً بين أركان حرب وأنهم يستعدون لثورة ضد الأتراك ، والخلاصة أن البلادالعربية كلها ضاعت أو ضائعة لا محالة بسبب سوء سياسة الأتراك .

اخبار منه عن الحجاز

وقد أكد لى أن أعمال جمال عجلت بثورة الحجاز ، وتفصيل ذلك أن الشريف فيصل بن الشريف حسين كان مع الحملة المصرية ، ومعه نحو ألفين من الفرسان أبلوا بلاء حسناً فى الميدان ، ولما شرع جمال باشا فى محاكمة أعيان الشام وشنقهم توسط لديه لحقن الدماء وتشفع فى بعض المحكوم عليهم فرفض وأهانه . فأسرها فيصل فى نفسه مدة ، ثم أستأذنه فى العودة إلى بلاده مع فرقته ليستبدلها بفرقة غيرها من القبائل المشهورة بالشجاعة والثروة حتى لا يكلف الدولة مالا كثيراً فأذن له ، وبعد وصوله بقليل أعلن والده العصيان . ويؤكد اسماعيل حسنى ما بلغنا من أن الأتراك كانوا عازمين على القبض على الشريف وعائلته بعد أن يجمعوا قوة كبيرة تركية فى الحجاز وأن خبر هذا العزم وصل إلى الشريف أيضاً .

مما أدهشنى من أخبار حسنى ما قاله لى بخصوص الشيخ جاويش : كان أنه تكلم معه طويلا

فى شأن ما بيننا من الخلاف ، وأنه يود الاتفاق معى على السير معاً فى خدمة مصر . وأنه كلفه بمفاوضتى فى ذلك ، وأنه قابل كل ما اقترحه من الشروط . فأجبته : أنى مصمم على أن لا أضع يدى فى يد هذا الرجل مادمت حياً بعد ما ارتكبه فى حق من الوشايات والسعايات لدى الأتراك بقصد الإفساد بينى وبينهم ليخلو له الجو لديهم ويأمن مزاحمتى له . وطلبت منه أن يكتب له بذلك ان أراد فأظهر هذا الشاب الحيرة والاستغراب وطلب منى تفصيل ما أجملت ، وبيان ما أشكو منه ، فقلت له : لا تفصيل لدى فللشيخ جاويش شأن ولى شأن ، وأنى لا أسامحه ولا أصافحه مطلقاً فليفعل ما يريد .

تكليف جاويش لاسماعيل حسنى بعرض الصلح على ورفضى بتاتا

فى يوم الخميس ٣ مايو سنة ١٩١٧ ، قابلت المسيو هوبتمان Hauptmann العضو فى مجلس نواب بروسيا وتكلمنا بخصوص بغداد وضياعها وسألته عما يعلمه بخصوص نوايا الألمان نحو مساعدة الدولة فى هذه الجهة ، فقال ما ملخصه : أن الذنب فى هذا الانحدار العظيم واقع على رجال الدولة لأن كبار ضباط الأتراك تعجرفوا وتكبروا على ضباط الألمان ، بل وأساءوا معاملتهم وأهانوهم خصوصاً بعد الانتصار على الإنكليز فى كوت الإمارة فى آخر أبريل سنة ١٩١٦ ، فانهم كانوا يقولون للألمان أنفسهم أن الفضل فى هذا الانتصار للأتراك دون الألمان ، وراد كبرهم وخيلائهم وبلغ منهم التعنت مع الألمان إلى أنهم كانوا يكلفون بعض ضباط الألمان بأعمال حربية مستحيلة عقلا ، كانوا يكلفون ضابطا بمهاجمة مكان بقوة قليلة ويعطون كل عسكرى ثلاثة خراطيش فقط ، ولما يبدى الألمانى ملاحظة على قلة الذخيرة يقول له الضابط الكبير التركى انكم تخافون الهجوم بالسلاح الأبيض وانكم لاتنجحون إلا بكثرة الذخائر وليست هذه بالشجاعة الحقيقية ويأمره بالسير فيضطر الألمانى للإطاعة ، وبالطبع لاينجح فى عمله ويعود بالفشل فيزيد لوم التركى له . قال : وقد سمعت هذه التفصيلات من ضباط كانوا هناك وقصوها على فى نفس نظارة الحربية هنا ، ولما وصلت هذه الأخبار إلى الحكومة الألمانية سحبوا جنودهم وضباطهم تدريجيا وتركوا الأتراك يفعلون ما يريدون بدون مساعدة فساءت الحالة وانكسروا هذا الانكسار الشنيع . سألته : ماذا تنوون الآن ، هل تتركون بغداد فى أيدى الإنكليز مع أن استردادها فى صالحكم كما هو فى صالح الدولة فقال :

توتر العلاقات بين الترك والألمان وانسحاب الألمان من العراق

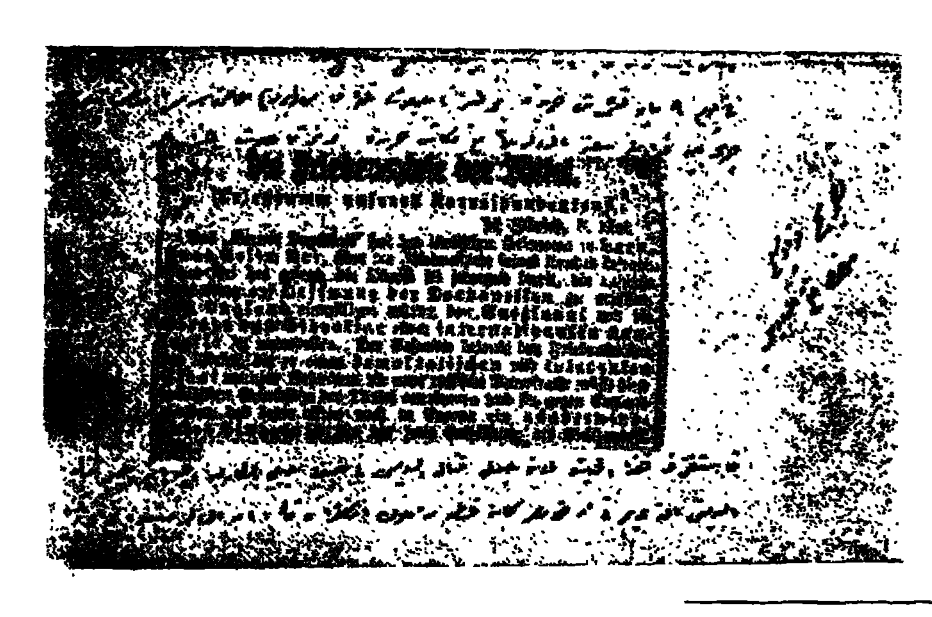
حديث مع المسيو هوبتمان العضو بمجلس نواب بروسيا

(٢٤٤)

ليس فى النية(١) موجهة الآن إلى إرسال مدد إلى العراق بل الهمة مبذولة كلها إلى الوجهة الغربية ، فإن تم الانتصار هناك أمكن استرجاع هذه الجهات بسهولة وكذلك لو حصل صلح مع الروسيا كان استرجاعها كلها أسهل . والخلاصة أن العلاقات بين الترك والألمان متوترة جداً ، رغماً مما يقابلون به وزرائهم هنا من الحفاوة والإكرام . وسبب ذلك كبر الأتراك وسوء سياستهم مع جهلهم وعدم استعدادهم العسكرى وعجزهم الفاضح فى كل شىء حتى فى توريد ما يلزم للجنود من الأكل وضروريات المعيشة . لذلك أرى مستقبل تركيا مع ألمانيا مظلم جداً .

فى هذا اليوم تعرفت ببعض رجال حزب الاشتراكيين فى مجلس الريشتاج (٢) حتى إذا ساعدتنى الظروف وسافرت إلى استوكهلم أثناء المؤتمر الاشتراكى المزمع انعقاده بها فى هذا الشهر سعياً وراء الصلح ، أمكننى رفع صوت مصر بقدر ما تسمح به الأحوال فتعرفت بالمسيو دافيد Leitch, Südekunn, David وتعرفت فى الوقت ذاته بأهم عضو فعال فى حزب الكاثوليك وهو حزب الوسط : المسيو Erzberger

فى يوم ٩ مايو ، نشرت جريدة برلينر تاجبلات تلغرافاً من ( برن ) عاصمة سويسرا متضمنا حديثاً جرى بين فؤاد سليم سفير الدولة بها مع مكاتب جريدة برلنر تاجبلات هذا هو :



تصريح فؤاد سليم بخصوص فتح الدردنيل

(١) المقصود : ليست النية .

(٢) صحتها الرايشستاج Reichstag .

فاستفزني هذا الحديث لأنه جعل قنال السويس فى صف جبل (طارق) أى أنه اعتبر قنال السويس الذى يمر فى أرض مصر كأنه قطعة من أملاك انكلترا . وقال : أن الدولة مستعدة فى أى وقت

(٢٤٥)

لتلبية طلب روسيا فتح بواغيز الدردنيل والبوسفور إذا قبلت إنكلترا وضع مراقبة دوليةً على قنال السويس وجبل طارق . كدرنى هذا التصريح لصدوره ممن يمثل الدولة ، وبالأخص لأنه مصرى ، وكان من رجالنا ، بل كان سكرتير الحزب الوطنى أيام المرحوم مصطفى كامل . فى الحال كتبت لناظر الخارجية الألمانية أطلب منه التكلم بهذا الخصوص ثم توجهت للسفارة العثمانية لاستلفات نظر السفير لهذا التصريح الذى لا يليق صدوره من السفير ، فلم أجد السفير فطلبت مقابلة مستشاره أدهم بك فحضر وأطلعته على الجريدة فأظهر اندهاشه ، وقال : لابد أن يكون المكاتب لم يدرك قصد السفير أو لم يعبر عن فكره تماماً ، ثم وعد بأن يكتب له لتصحيح التصريح إن كان وقع به تحريف ، ثم فكرت فى أن أكتب لناظر خارجية الدولة ولحويد بك بالآستانة ، ولكنى عدلت عن الشطر الأول واكتفيت بالكتابة لحويد لأنه الرجل الوحيد الذى يفهمنى وأفهمه .

مقابلتى مع المسيو زمرمان ناظر الخارجية

فى يوم ١٢ منه ، ورد لى الرد من الخارجية بتحديد المقابلة مع وزير الخارجية بين الساعة ٦ ، ٧ مساء من ذلك اليوم ، فتوجهت للنظارة وقابلته فى الميعاد المحدد فابتدأنا الحديث بخصوص الحرب بصفة عمومية ، فقال ان مركزنا جيد جدا لأن الروسيا أصبحت لا يعتد بها عسكريا لعدم وجود حكومة ، فان الحكومة المؤقتة فى أيدى الاشتراكيين تتلاعب بها الأيدى وتزيد تطرفا كل يوم نحو الشمال (١) ونحو الفوضى ، واما فى جهة الغرب فلم ينجح الفرنسيون ولا الانكليز فى هجومهم الأخير ولا يمكنهم أن ينجحوا فى المستقبل . فسألته وكيف تتكلمون الآن فى الصلح ومسألة مصر لم تنته ، فقال ان حل مسألة مصر وغيرها سيكون فى الجبهة الغربية ومعلقا على نتيجة حرب الغواصات فاذا نجحنا فى إجاعة انكلترا كما يؤكد لنا رجال البحرية أمكننا أن نملى ما نريد من الشروط على انكلترا . وسألته : أليس فى النية تجهيز حملة جديدة على مصر ؟ قال لا أظن ذلك ذلك لأننا نوجه كل قوانا نحو الغرب ، قلت : ونحو بغداد ، قال : هذا ممكن ولكن غير

(١) المقصود به نحو اليسار بالمفهوم العصرى .

مجزوم به الآن . ثم قلت ومارأيكم فى تصريح فؤاد سليم. وأطلعته على قطعة الجريدة فقرأها وتفكر قليلا ثم قال مبتسما : انى لا أحب التكلم كثيرا مع رجال الصحيفة خوفا من الوقوع فى مثل هذا الخطأ ، ثم سألنى هل تعرف فؤاد سليم ، قلت :

(٢٤٦)

نعم وهو من رجالنا وهذا ما يزيد انتقادى عليه ، فقال : مثل هذا التصريح لا يؤثر على مجرى الأحوال ولا مخابرات الصلح ولكنه غلطة لا شك .

ثم سألته : لم حضر طلعت باشا إلى هنا ؟ قال : ليقدم نفسه للامبراطور ورجال الحكومة وهذه أول مرة زارفيها برلين بل خرج فيها من الآستانة صدر أعظم، قلت: وما رأيكم فيه ؟ قال : انه رجل لديه شيء من الذوق السليم Bon sens وإن كان غير متعلم .

ثم انتقلنا إلى مؤتمر الاشتراكيين فى ستوكهلم وأخبرته بأنى عزمت على السفر لحضوره ، وأريد أن استصحب معى اثنين من رفاقى هما الدكتور رفعت واسماعيل حسنى ، فقال حسنا تفعل وانى موافق ، فقلت له ان الدكتور رفعت يجد صعوبة فى الحصول على جواز السفر قال لماذا ؟ قلت لا أدرى والذى أعلمه انه أراد السفر أكثر من مرة إلى الآستانة وإلى الدانمراك فمنع على الحدود وأعيد ، وإن المسيو وزندونك يعلم ذلك تفصيلا ، فقال أخبر وزندونك عن لسانى بأن يجرى اللازم للحصول على الجوازات اللازمة له ولاسماعيل حسنى .

وفاة احمد بك عبد الرازق القاضى

قرأت فى جرائد مصر خبر وفاة أحمد بك عبد الرازق الذى كان قاضيا بالمحاكم الأهلية . وهو من أقدم أصدقائى ، كنا معا مدة الدراسة بمدرسة الحقوق ، وظلت صحبتنا على متانتها ولم يؤثر فيها اختلافنا فى السياسة ، فهو كان من الرأى القائل بالاتفاق مع الانكليز ، وبعدم الطعن على الخديو وكان يميل إلى التقرب من الحكام

مساعدته لى فى حادث الوردانى ومعلوماتى الخصوصية بهذه الحادثة

كل ذلك كان بصفاء نية مع حب للوطن وقد خدمنى فى حادثة الوردانى (قتل بطرس باشا ) فأنه هو الذى طلب منه الأمر بتفتيش منزلى ففعل قياما بالواجب، ولكنه احدى السيدات أخبرت أختى ١ ) منتهى هانم لقرب منزلها من منزله بالعباسية، وهى أتت فى الحال إلى منزلى بشبرا وأخبرت بما ينوى عليه البوليس لكن كنت أخذت أهبتى من

(١) المقصود بهذه العبارة : « ولكنه كلف احدى السيدات اخبار أختى .. » .

قبل وأعدمت كل الأوراق التي كان يمكن اتخاذها سببا للاضرار ببعض اخواننا .

في هذا اليوم قابلت الكاتب الشهير مكسمليان هاردن صاحب مجلة المستقبل Zukunft وتحادثنا كثيرا في مسائل مصر وتركيا فرأيت منه عدوا لدودا للأتراك لا يميل إلى مساعدتنا في

مقابلتي مع Maxmillian Harden في ١٠ مايو

(٢٤٧)

مسألتنا المصرية ، ولكنه قبل مني مقالة بعنوان ( يجب تحرير مصر (١) ) ووعد بنشرها ( لم تنشر ) .

مسألة سفري إلى استوكهولم ( سويد )

قابلت ويزندونك وكان معي منصور رفعت واسماعيل حسني وتكلمنا معه في مسألة سفري إلى ( استوكهلم (٢) ) وأبلغته أمر زمرمان الوزير وأني أريد أن أستصحب معي اسماعيل لبيب وأحمد فريد وعلى الشمسي ومحمد فهمي من جنيف لنكون عصبة ترفع اسم مصر في هذا المؤتمر فوافق على الفكرة وحبذها . ولكن لما تكلمنا في مسألة مصاريف السفر أظهر صعوبة ووعد بالبحث فيها . وفي اليوم الثاني أبلغني تلفونيا بعدم أمكان ذلك فقلت له إن أنا مسافر وغير محتاج لمساعدتكم فكلف من يلزم باعطائي الجواز فوعد وفعلا أخذت الجواز وسافرت يوم الجمعة ٢٥ مايو صباحا فوصلت عاصمة السويد في صبيحة السبت ٢٦ منه .

بعد رفض المساعدة المالية ، أراد منصور رفعت واسماعيل حسني أن لا أسافر أنا أيضا اظهارا لاستيائي من هذا الرفض ، فأفهمتها بأني على خلاف رأيهم والأحسن اني أسافر ولو بمفردي اذ مالا يدرك كله لا يترك كله ولكن منصور دخل في دور عصبي شديد وأخذ يهرف فاستعملت السياسة معه ، وأظهرت له الموافقة على عدم السفر مع تصميمي عليه اجتنابا للمناقشة معه . ويوم الخميس ٢٤ منه . سافر اسماعيل حسني إلى جنيف ويوم سفري كتبت تذكرة إلى منصور أشرح له الأمر وأخبره بسفري وتذكرة أخرى إلى اسماعيل حسني بهذا المعنى وبالطبع هذا الأمر لم يرض منصور ولكن ما العمل ورأيه في نظري غير مصيب .

وصلت إلى استوكهلم قبيل ظهر يوم السبت ٢٦ مايو ، وفي الحال خاطبت اسماعيل بك جانبلاط سفير الدولة تلفونيا ، وأعلمته بحضوري فأظهر السرور . وبعد الظهر

(١) نشر هذا المقال في جريدة ستكهولم داجبلاد ( أنظر ص ٢٥٠ من هذه المذكرات ) .

(٢) في أصل المخطوطة مكان هذه الكلمة بقعة من الحبر واستنادا الى وجود اسم هذا البلد بالعنوان الجانبي صار من المؤكد أن اسم هذا البلد هو مكان بقعة الحبر .

قصدت السفارة فلم أجده وتركت بطاقة الزيارة. فى المساء وجدت بالفندق بطاقة زيارة من لايق بك مقبل المصرى بن المرحوم مقبل باشا ، وهو شاب غيور اشتغل معى مدة قصيرة بصفة محام تحت التمرين بمصر ودخل الآن خدمة الدولة بصفة كاتب ، يطلب منى فى هذه البطاقة أن أحدد وقتا لمقابلته فى ثانى يوم . قابلته وقابلت جانبلاط بك وتكلمت كثيرا مع هذا الأخير بخصوص القيام بحركة

(٢٤٨)

كبيرة فى اثناء انعقاد المؤتمر وقبل انعقاده، لتفهيم الرأى العام حقيقة المسألة المصرية وغيرها من المسائل التى تهم الدولة . وعرضت عليه أن أستدعى بعض اخوانى لنكون شبه لجنة تتكلم باسم مصر ، حتى لا يقال بأن فريد هو الشخص الوحيد الذى يوجد دائما فى المؤتمرات دون خلافه . فوافق على الفكرة وطلب منى تحرير تقرير بذلك لأنور باشا ووعد هو بتعضيدى وبتحبيذ المشروع ، فحررت التقرير وطلبت استحضار اسماعيل بك لبيب وأحمد بك فريد من السويس (١)، ومنصور رفعت من برلين وأظهرت استحسانا لاستدعاء على بك الشمسى وان كان غير محبوب فى الآستانة لأنه عضو فى الجمعية التشريعية وصفته هذه تقوى صوتنا نوعا وطلبت زيادة السلفة التى تعطى لكل منا ٢٥ جنيه تركى شهريا بسبب غلاء المعيشة فى استوكهلم و٢٥ جنيه للجنة للمطبوعات والمصروفات الأخرى .

رحلتى واعمـال فى السويد

حررتُ هذا التقرير فى ٢٩ مايو، وأرسل مع البوسطة الرسمية وكتب جانبلاط بك تلغرافاً بملخصه وبالموافقة عليه ؛ ثم كتبت لاسماعيل بك ولأحمد بتفصيل ذلك ، وطلبت منهم الاستعداد للسفر عند ورود إشارة بالموافقة على المشروع وبأنى متفق مع خارجية ألمانيا على إعطائهم الجوازات اللازمة للسفر . تأخر الرد نحو أسبوعين فكتب جانبلاط تلغرافاً بالاستعجال فورد الرد فى ١٨ يونيه بالموافقة على المشروع مبدئياً وباعطائى ماية جنيه كمصاريف للسفر ولزيادة المصروف (فكانت قيمتها ألف كورون بسبب نزول سعر الجنيه التركى تبعاً لنزول سعر المارك الألمانى إلى ما يقرب من نصف قيمته ) . وبانتظار التفصيل تأخر ورود هذا التفصيل نحو أسبوعين آخرين فكتب جانبلاط استعجالا . أخيراً ورد الرد فى ٨ يوليه ، أى بعد إرسال التقرير بنحو أربعين يوماً، بالموافقة وبصرف كل ما يلزم لتحقيق هذه الفكرة .

---

(١) المقصود : سويسرا .

فى الحال أرسلت فى ١٠ منه إلى اسماعيل واحمد تلغرافين أخبرهما بالموافقة وأطالب منهما الحضور وأرسلت

(٢٤٩)

لكل منهما مايتين فرنك مصاريف السفر تلغرافياً . وكتبت كذلك لمنصور رفعت ببرلين وأرسلت إليهماية وخمسين مارك . كل ذلك من أصل ألف كورون سلمت لى على حساب مصاريف السفر وتنفيذ المشروع . لم يرد رد ممن كتبت إليهم فاستعجلتهم تلغرافياً فى ١٧ منه . أخيراً وصلنى تلغراف من أحمد فريد بتاريخ ٢١ منه من جهة تاراسب Tarasp يعد بالحضور بعد إتمام المعالجة إن سمحت صحته . وأتانى جواب من اسماعيل بك بتاريخ ١٥ منه ملصق(١) . يظهر من مطالعته أنه وقع تحت تأثير على الشمسى وفهمى وهما من الأصل غير موافقين على سفرى إلى ألمانيا ، وكذلك لبيب ، ويظهر هذا جليا من عبارته التى فى آخر الجواب والتى نصها «كنت أود أن تشمل دعوتك أخينا على بك إذا كان لا يوجد ما يمنع ذلك» ، مع أنى قلت له فى جواباتى الأولى أنى ذكرت اسمه فى تقريرى لأنور باشا من باب الاحتياط .

رحلتى وأعمال فى السويد

وهذا الجواب وصلنى فى مساء ٢١ الشهر ، وكنت فى ذلك اليوم كتبت له ولأحمد فريد ألومهما على تأخير الرد وأشرح لهما حرج مركزى أمام الدولة التى قبلت تقريرى ، رغما من دسائس الخصوم فى السنة الماضية المشروحة فى موضعها . فكتبت إليه جواباً ثانياً فى ٢٢ منه زدت له فيه أن تعاقده مع صاحب لوكاندة إنكلترا لا يجعله أسيراً له مدة وجوده فى أوروبا . وأدحض فيه كل حججه الواهية . كذلك وصلنى جواب أحمد ، المؤرخ ٢٣ منه ، وهو الموعود به فى تلغراف ٢١ منه وهو ملصق فى ظهر هذا(٢) ويؤيد ظنى بأن امتناع لبيب ناشىء عن تأثير الشمسى . وأما منصور فكتب لى يرفض الحضور قطعياً لما حصل بيننا قبل سفرى (وهو سفرى لا غير رأيه ) ويقول فى آخره بأنه لا يحضر إلا إذا عملنا بروجراما ورسمنا خطة إلى آخر ما هو متشبث به من أول الأمر وهو ملصق كذلك فى هذا الكراس(٣) .

أخيراً لما وجدت نفسى فريداً وقد خذلنى إخوانى ، ارتكنت على تأخير انعقاد المؤتمر من شهر لآخر واقتراب أجل الصيف واحتياجى إلى المعالجة فى ويسبادن

---

(١) هذا الخطاب ملصق على صفحة ٢٥٩ فى الأصل المحفوظ بدار الوثائق بالقلمة .

(٢) هذا الخطاب ملصق على صفحة ٢٥٨ فى الأصل المحفوظ بدار الوثائق بالقلمة .

(٣) هذا الخطاب ملصق على صفحة ٢٦٠ في الأصل المحفوظ بدار الوثائق بالقلمة وهو باللغة الانجليزية .

بأنى استحسن السفر الآن إلى ويسبادن Wiesbaden وتكلمت مع أسعد نائب جانبلاط الذى كان قد سافر إلى الآستانة

(٢٥٠)

حتى إذا تقرر انعقاد المؤتمر يكتب لى فأحضر مع إخوانى أولى من بقائنا فى استوكهلم نصرف مصروفات باهظة بلا فائدة ، فوافق وكتب تلغرافا للدولة بذلك . وسافرت فعلا يوم الأحد ٢٩ يوليه الساعة ٨ وثلاثة دقائق مساء فوصلت مساء الاثنين فى منتصف الساعة الحادية عشرة هذا .

رحلتى وأعمالى فى السويد .

أما عملى السياسى مدة إقامتى فيتلخص فى أنى تعرفت بمدير جريدة ستوكهلم داجبلاد السياسى Stockholms Dageblad المسمى دكتور Sodeberg ومساعده الدكتور Laurentz ونشرت فى جريدته يوم ١٠ يونيه مقالة بعنوان ( يجب تحرير مصر ) . وكذلك تعرفت بالمسيو برانتنج Branting رئيس حزب الاشتراكيين السويدى ورئيس اللجنة الهولاندية الاسكاندينافية القائمة بالدعوة إلى هذا المؤتمر العام ، وقابلته مرارا هو والمسيو هويسمانس البلجيكى سكرتير اللجنة : ولى به معرفة قديمة من عهد مؤتمرنا الوطنى الذى عقد فى بروكسل سنة ١٩١٠ . وتكلمنا كثيراً فى مسألتنا المصرية فأفهمونى بعدم إمكان قبولى عضواً فى المؤتمر لأنى لا أمثل حزبا اشتراكياً ولكنهم سيقابلوننى (١) فى اللجنة لأشرح دعواى ثم أقدم تقريراً للمؤتمر وربما سمح لى إذ ذاك بالتكلم فى المؤتمر بدون أن يكون لى صوت فى المداولات . وهذا ما كنت أتوقعه .

وفعلا دعيت للجنة يوم ١٢ يوليه ، وتكلمت فيها كثيراً وفصلت وشرحت بقدر الطاقة فكانوا يظهرون العطف والميل ، ثم سألونى هل نطالب الاستقلال التام أو نريد أن نبقى ولاية عثمانية ممتازة ، فوجدت الجواب صعباً ( لأنى إن قلت أننا نريد الاستقلال التام أغضبت الدولة وقدمت سلاحاً لأعدائى الذين يحاربوننى فى الآستانة بهذه العبارة ، وإن قلت أننا نريد البقاء ولاية ممتازة سقطت فى أعين الاشتراكيين الذين يقولون باستقلال الأمم . لذلك أبهمت فى الجواب وقلت إن سيادة الدولة إسمية فقط وهى لم تتداخل فى شؤوننا مطلقاً من عهد أن منحتنا هذا الاستقلال الداخلى سنة ١٨٤٠ ، على أننا على أى حال نريد أن نحكم أنفسنا بأنفسنا تبعاً لمبدئكم . فسألونى وما رأيك

(١) المقصود : سيقبلوننى .

(٢٥١)

فى الجزية التى تدفعها مصر للدولة العلية ، قلت إن هذه مسألة لا تهمنا الآن مطلقاً لأن الدولة تنازلت عن هذه الجزية إلى بنك روتشيلد بلوندره لمدة ستين سنة ، ومصر قبلت هذا التنازل وتعهدت بالدفع لهذا البنك وهو لمدة ستين سنة أولها سنة ١٨٩٠ على ما أذكر فلا تنتهى إلا سنة ١٩٥٠ . وبالطبع لا تقبل مصر أن تخل بتعهدها على أى حال ، ا هـ ملخصاً .

رحلتى واعمالى فى السويد

ثم نشرت اللجنة ملخصاً صغيراً للحديث فى جميع الجرائد فى ١٥ يوليه ثم حررت تقريراً بمسألتنا وسلمته للمسيو هويسمانس لعرضه على المؤتمر عند انعقاده وقد نشرت جريدة استوكهلمس داجبلاد ترجمته حرفياً وعند عودتى استلمه الأستاذ متفوخ مدير قلم الاستخبارات ووعد بنشر ترجمته بالألمانية فى مجلتهم المساة N.O. وفى طبعه فى عدة لغات بصفة منشور على أوراق منثورة لتوزيعه فى جميع الجهات .

سفرى واقامتى شهرا بمدينة ويزبادن

سافرت من برلين يوم الثلاث ٧ أغسطس ، قاصداً مدينة ويزبادن Wiesbaden للاستشفاء بمائها . وقد أقمت بها ثلاثين يوماً كاملة ، وعدت منها يوم الخميس ٦ سبتمبر إلى برلين للمداولة مع الدكتور رفعت فيما يمكن عمله يوم ١٤ سبتمبر يوم تذكار دخول الإنكليز مصر فى سنة ١٨٨٢ ، ولم يحدث شىء مهم أثناء هذه الرحلة يستحق التقييد ، كما أنى لم أقابل أحداً من رجال السياسة هناك ، فقط ، كنت فى مدينة فرنكفورت يوم الأحد ١٢ أغسطس عندما ألقت طيارة فرنساوية القنابل عليها الساعة ٧ ونصف مساء ، وقد خرجت إلى الشارع على أراها فلم أتمكن لشدة ارتفاعها ولكنى رأيت قنابل الألمان تنفجر حولها فكان المنظر كمناظر السواريخ ولكن نهاراً لا ليلا .

جويد بك فى برلين وحديثى معه

علمت فى آخر أيام إقامتى بأن جويد بك ناظر المالية العثمانية ببرلين . تصدت لوكاندة أولون بعد ظهر يوم الجمعة ٧ سبتمبر الساعة ٤ فوجدته هناك ، ومكثت معه نحو ساعة ، دار بيننا فى خلالها الحديث الآتى ملخصه :

شرحت أولا إجمالا أعمالى فى استوكهلم ولخصت له تقريرى السابق الذكر ثم أخذت أستعلم منه .

(٢٥٢)

وكانت خلاصة أقواله أن المحصول جيد جداً فى هذه السنة ولكن وسائل النقل غير مساعدة على تصريفه وتوزيعه بين الولايات بكيفية مفيدة ، وأن الغلاء مستمر رغماً

عن تحديد الأسعار وذلك لعدم ورود أى شيء من خارج البلاد من أول الحرب للآن ، وأن مسألة توزيع المأكولات أحيلت إلى عهدة اسماعيل حقى باشا الشهير مدير مصلحة المؤن فى الحربية ويؤمل العموم أن يحسن إدارتها ، وأن الأحوال العسكرية فى تقدم عظيم ، وأن جيشاً عظيماً أرسل إلى جهة العراق لاستخلاص بغداد تحت قيادة الألمانى فالكنهايم Falkenheim وهومن أكبر قوادهم. أما فى جهة غزة فستبقى الجيوش فى مركز الدفاع فقط . أعنى أنهم تركوا فكرة التقدم نحو مصر الآن لأن العراق وبغداد أهم فى نظرهم وفى الأخص فى نظر الألمان من تخليص مصر .

مسألة عودة الخديو للآستانة

كتب لى اسماعيل لبيب فى جوابه الأخير أنه مشاع بأن الخديو وحاشيته سيعود قريباً إلى الآستانة ، فاستغربت الخبر كثيراً بعد ماحصل بين الطرفين وبعد رفضه السفر فى يونيه سنة ١٩١٥ بعد تقريرنا ذلك جميعاً فى ويانه ، وبعد الذى حصل منه نحو الألمان وبعد مخابراته وأعماله مع الفرانسويه والإنكليز . فسألت جويد بك عن معلوماته فى هذا الشأن فقال : هذا حقيقى . الخديو أرسل شفيق باشا للآستانة ليخابر طلعت باشا فى هذا الأمر ، وبالطبع الحكومة وافقت على طلبه ، ثم كلف عارف باشا ، الذى كان سافر إلى سويسرا مع عمه البرنس إبراهيم حلمى ، بالتكلم أيضاً فى هذا الموضوع ، ولما وجد ارتياحاً من الدولة كتب رسمياً لطلعت باشا وهذا (١) جوابه بالموافقة . وطلباته هى أن يعامل كأمير وكخديو مصر ، وهذا طبعاً لا يمكن للدولة رفضه مطلقاً ، وأن يكون حراً فى سرايه وأملاكه . وأخيراً وهو الأهم أن تدفع له الدولة شهرياً المرتب الذى يتقاضاه فى مصر وهو عشرة آلاف جنيه مصرياً كل شهر فقبلت الحكومة (٢) كذلك ، عند ذلك شعرت وأدركت بأن المسألة المالية هى التى اضطرته لهذا التنازل

(٢٥٣)

ولهذا الخضوع لأن كراهته للحكومة التركية معلومة ؛ واعتقاده أن طلعت باشا يريد قتله وأن إطلاق مظهر الرصاص عليه فى ٢٥ يوليه سنة ١٩١٤ كان بعلمه إن لم يكن بايعازه وأمره ، هو الذى يجعله يخشى العودة إلى الآستانة ، ولكن لما فرغت منه النقدية ولم يقدر على قبض فائدة أسهم البنك العقارى التى لديه ولم ينجح فى مخابراته مع الانكليز طلب العودة إلى الآستانة . ثم سألت جويد بك وماذا يكون العمل بشأن

(١) المقصود : وهذا ( طلعت باشا ) ( أرسل ) جوابه بالموافقة
(٢) المقصود . فقبلت الحكومة ( هذا الشرط الأخير ) كذلك .

خايلة الخديو الفرنسوية التى لا تفارقه ، وكيف يمكن التصريح لها بالمرور من النمسا وبالدخول إلى الدولة ، فقال هذا أمر سهل ما دام رجوعه يكون متوقفاً على ذلك فيصرح لها بالسهولة .

كان منصور رفعت كتب لى وأنا فى ويزبادن يستعجلنى فى الرجوع لعمل احتفال سياسى أو مظاهرة أو أى شىء آخر فى يوم ١٤ سبتمبر تذكارا لدخول الانكليز مصر فى ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ . فلما عدت إلى برلين قابلنى وأخذ يهرف ويقول إن الترك والألمان يسخرون منا ، وأنه من الضرورى أن نطلب رسمياً من هاتين الحكومتين إعلان نواياهم نحو مصر كأننا حكومة ترسل بلاغاً نهائياً إلى حكومتى ألمانيا وتركيا . تركته يقول ويعيد ثم أفهمته أن أحسن شىء هو أننا نجتمع فى إحدى القاعات لنخطب ونطلب ذلك فى خطبنا بلهجة معتدلة ، ولكن يجب علينا قبل ذلك أن نتفق مع السفير العثمانى ، فوافق . وفى ظهر يوم السبت ٨ منه قصدنا السفارة معاً وعرضنا على السفير مشروعنا ( بالطبع بدون ذكر شىء مما كان يريد منصور أن يطلبه ) فوافق عليه وعرض علينا أن يكون الاجتماع فى نادى العثمانيين فقبلت لأن حصول هذا الاجتماع المصرى فى النادى العثمانى تحت رئاسة القنصل الذى هو رئيس لجنة النادى ، يكون له وقع سياسى عظيم ، ثم طلبت من السفير أن يقول كلمة فى آخر الحفلة يؤيد فيها مطالبنا ويشجع المصريين على الصبر والانتظار ، فاستحسن حقى باشا أن يظهر رأيه فى مسألتنا بطريق النشر فى إحدى الجرائد الكبرى بشكل حديث مع صاحب تلك الصحيفة واختار لذلك صحيفة Vossische Zeit. وأن يكون نشر الحديث فى ظهر يوم الجمعة ١٤ سبتمبر الذى سيكون الاحتفال فى مسائه فقبلنا مع الممنونية .

احتفال ١٤ سبتمبر سنة ١٩١٧ ونجاحه

ويجب أن ألاحظ هنا أن مقابلة السفير لى كانت فى غاية من اللطف والمجاملة بخلاف ما أعهده فيه .

**(٢٥٤)** (١)

ويمكننى أن أقول بأن معاملة رجال الدولة نحوى تغيرت كثيراً أى تحسنت من عهد إنتصار الإنكليز عليهم وإبعادهم عن مصر نحو غزة ( الشام ) لأنهم فقدوا أو كادوا يفقدون **الأمل فى فتح مصر وجعلها ولاية عثمانية كما كان يتمنى سعيد حليم واحمد جمال باشا** أو كما كانوا يتمنون أنفسهم فى فتحها لأنفسهم ، هذه الفكرة المشؤومة

(١) فى أعلى هذه الصفحة مكتوب العبارة التالية. وهى ( نوايا الترك نحو مصر فى عام فتحها ) • ومن المرجح أن تكون هذه العبارة بخط عبد الرحمن الرافعى •

التى جعلتهم وحكومتهم يحاربوننى بواسطة الجاويش والغلمان أعوانه لأنى مازلت ولن أزال مصراً على أن مصر للمصريين .

يوم الأربعاء ١٢ منه، قصدت السفارة لأذكر حتى باشا بالحديث فوجدت بالصدفة مدير جريدة Vossische المسيو لودويج ستاين عنده ، وأنه كتب الحديث قبل حضور المدير حتى لا يحصل تحريف فى النقل والنشر ، ثم أخذ حتى باشا يقرأه علينا فوجدته كما أريد وأكثر لأنه صرح بأن برنامج الحزب الوطنى المصرى وبرنامج الحكومة العثمانية منطبقان ومتحدان كمال الاتحاد على رد مصر للمصريين وحفظ استقلالها الداخلى كما كانت .

تابع احتفال ١٤ سبتمبر سنة ١٩١٧ (١)

ظهر هذا الحديث ظهر يوم الجمعة ، ثم اجتمعنا فى المساء فكان الاحتفال حافلا حضره سفرة الدولة العلية ،ومندوب رسمى عن وزير خارجية ألمانيا،وسفير العجم ، ومندوب رسمى عن سفير النمسا والمجر ، وقنصل بلغاريا الجنرال ، والكونت رفنتلو Reventlow الصحافى الشهير ،والمسيو ستاين وغيرهم ، ومن الغريب أن عبد الملك حمزة ،وأخاه: والفونى أخ زوجة الجاويش ،حضروا بدون دعوة ، بل اننا رفضنا دعوتهم لما طلبها منا محمد سليمان المصرى التاجر المصرى المقيم فى برلين من نحو عشرين سنة .ولما قابلنى عبد الملك سلم على بكل احترام كما هى عادته المبنية على النفاق والجبن وقال ( ها قد حضرت بلا دعوة ) فقلت حسناً فعلت وهل يكرم المرء فى منزله ) .

قدمنى أولا للحضور لطفى بك قنصل الدولة ثم خطبت وخطب بعدى منصور رفعت بحركات وإشارات جنونية محضة وخطب Stein, Reventlow وعبدالملك حمزة ، ووحيد الملك الفارسى ، وآخر هندى ، وثالث أرلاندى ،وكذلك البارون أوبنهايم ، والأمير شكيب أرسلان الكاتب السورى المشهور ، وانتهت الحفلة على أتم ما يكون من السرور والانشراح. ولكن أغلب الجرايد لم تكتب عنه شيئاً فى اليوم التالى فقط جريدة لوكال انزايجر كتبت بضع سطور فى الصباح وجريدة Vossische فى المساء .

(٢٥٥)

مقابلتى مع الكونت Reventlow

فى يوم الثلاث ١١ سبتمبر ، زرت الكونت رفنتلو فى داره بعد الظهر مع منصور رفعت ، وشاب هندى كان الواسطة فى هذا التعارف ، فوجدت منه وطنياً ألمانياً مخلصاً يريد تقدم بلاده والانتفاع من انتصارات ألمانيا ، عدوا لدودا لانكلترا يريد

---

(١) من المحتمل أن يكون هذا العنوان الجانبى بخط عبد الرحمن الرافعى حيث أنه يخالف خط الزعيم محمد فريد .

قهرها والقضاء عليها ، وبالتالى معضدا قوياً لنا ولحركتنا،وهو من المؤسسين للحزب الوطنى الألمانى الذى تأسس حديثاً لمحاربة حزب الوسط الكاثوليكى والاشتراكيين الذين يقولون بضرورة الصلح بدون ضم أى بلاد لألمانيا وبدون أخذ تعويض ما من فريق الأعداء، وهو الآن من الرجال المشار إليهم بالبنان بسبب آرائه السياسية ، وسياسته تشبه سياسة ماكسمليان هاردن ، إلا أن هذا الأخير يمتاز بطعنه الشديد على الامبراطور ، ولذلك قفلت مجلته الاسبوعية المسماة المستقبل Die Zukunft وأخذ هو للخدمة الملكية القهرية كما تقضى به القوانين الجديدة التى صدرت أخيراً باستخدام جميع الرجال والنساء مدة الحرب كل فيما يصلح له . رفنتلو يطعن كذلك أحياناً من طرف خفى على الامبراطور ، ولذلك تعطل جريدته أحياناً يوماً أو بضع أيام . كما أن قلم المراقبة يمنع نشر كثير من مقالاته ، وزوجته فرنسويه الأصل رقيقة متعلمة وله منها ولد كبير يناهز العشرين ، دخل فى فرقة الطيارين ، وقد حضرت مجلسنا فى آخره وقدمت لنا الشاى وتوابعه بقدر ما تسمح به حالة الحرب .

جمال باشا فى برلين

لما كانت فى ويسبادن قرأت فى الجرائد خبر وصول جمال باشا إلى برلين فحمدت الله على عدم وجودى بها حتى لا أضطر لمقابلته أو زيارته . ولما عدت إلى برلين كان هو خارجاً عنها ولكنه عاد بعد قليل ولذلك فكرت فى ضرورة دعوته إلى احتفالنا ، فذهبت إلى الأوتيل لهذا الغرض وتركت له بطاقة زيارتى لما لم أجده فأرسل الرد عليها بطريق البوسطة . ويوم الأربع ١٢ منه، عدت للوكاندة فقيل لى بأنه عاد إلى الآستانة فحمدت الله على ذلك .

كراهية جمال باشا لفريد بك (١)

هذا الرجل طامع فى فتح مصر لنفسه ويكره المصريين الأحرار وبالطبع أنا فى مقدمتهم لإعلانى دائماً حقوق مصر ومجاهرتى بمقاومة كل من يقول بغير ذلك أياً كان .

فى مساء الجمعة ، أثناء الاجتماع وصلنى جواب من الآستانة من على باشحميه بتاريخ ٢٠ أغسطس كان أرسل

(٢٥٦)

إلى استوكهلم لتوصيله إلى ، وبه يطلب منى أن أسرع بالعودة إلى استوكهلم لأصدر مجلة أو جريدة بصفتى رئيس الحزب الوطنى المصرى تدافع عن حقوق مصر لأن مجلة

---

(١) من المؤكد أن هذا العنوان الجانبى : اضافة من عبد الرحمن الرافعى ، اذ لا يمكن أن يذكر محمد فريد اسمه مقرونا برتبة البكوية .

مصر التي كان يصدرها بعض أعوان جاويش هناك سقطت بعد صدور أربعة أعداد منها ، ولسوء سير وتصرف عوض البحراوى وأنه (أى باشحميه ) أصدر الأمر تلغرافياً لسفارة استوكهلم بأن تضع تحت أمرى ما يلزم لنفاذ هذا المشروع من الأموال وعليه صممت على السفر فى أقرب وقت .

طلب سفرى الى استوكهولم لاصدار جريدة تكون لسان حال الحزب الوطنى

هذا التكليف دليل جديد على تغير السياسة التركية نحو مصر وحزبنا الوطنى ، لأننى كثيراً ما سعيت فى الآستانة لمساعدتى على ترقية مجلة ترقى الإسلام التى كنت أصدرها فى جنيف ولكن بدون انتظام لعدم وجود المال الكافى ، فلم أنجح بسبب امتناع طلعت بك (باشا الآن ) تبعاً لدسائس الجاويش وأعوانه الذين كانوا دائماً يفهمونه بأنى ساع فى فصل مصر تماماً عن الدولة .

فطلبهم منى هذا الأمر الآن وبدون طلب منى يفيد أن أطماعهم فى فتح مصر قد زالت والحمد لله ، وأنهم أصبحوا محتاجين لحزبنا لحفظ ما كان لهم من السيادة التى تكاد تكون اسمية فقط .

١٨ سبتمبر ، دعيت للغداء فى هذا اليوم لدى حقى باشا وسأطلعه على جواب باشحميه وأطلب منه المساعدة للحصول على جواز السفر من ألمانيا . اطلعته عليه وسلمته جواباً لباشحميه رداً على كتابه وكان جوابى مفتوحاً فقفله بنفسه وسلمه إلى أحد الكتاب لإرساله ، ثم وعد بالحصول على التأشير على الجواز فى أقرب وقت .

كان من ضمن المدعوين لدى السفير : الأمير شكيب أرسلان . وقال فى أثناء الحديث عن أحوال سورية أنه مات حقيقة بالجوع فى جبل لبنان وبيروت فقط ما يزيد عن مائة وخمسين ألف نسمة ، وأخذ يعلل ذلك وينتحل الأعذار ، وكان كذلك من ضمن المدعوين البارون فون Rosenberg الموظف بالخارجية ، وغيره من رجال هذه النظارة .

وفى يوم السبت التالى ٢١ سبتمبر ، دعانى شكيب أرسلان إلى وليمة فى أوتيل أولون كان بها حقى باشا السفير وعبد الحق حامد بك الشاعر التركى المشهور والبارون روزنبرج وكان على يسار حقى باشا وأنا على يساره ، فانتهزت الفرصة لأن أكلمه فى مسألة مصر وفى رجوع الخديو إلى (١)

---

(١) يستانف محمد فريد سرده لأحداث هذه الصفحة ابتداء من صفحة ٢٦١ من هذه المذكرات أما الصفحات من ٢٥٧ الى ٢٦٠ فقد الصق عليها خطابات مرسلة اليه بيانها كالآتى : ص ص ٢٥٧ و ٢٥٨ خطابات من ( احمد فريد ) ابن أخته ، ص ٢٥٩ : خطاب من ( اسماعيل لبيب ) ، ص ٢٦٠ : خطاب من ( منصور رفعت ) .

(٢٥٧)

آخر أخبار مصر .

حضر من مصر قبل سفرى من جنيف شاب من الوطنيين المشهورين بالغيرة والحماسة يدعى عز الدين . وهو من أصدقاء شيرين ومن زملائه وكان ببوليس الاسكندرية ، ثم تعين مأموراً لإحدى المراكز ، ثم أحيل على المعاش أخيراً وحضر إلى سويسرا للمعالجة من السل والعياذ بالله ، وأخبرنا أن الحالة بمصر الاقتصادية صعبة والميل لوصول الجيش لخلاصهم عظيم والآمال والحماسة كبيرة وأنه يوم ضرب العاصمة من الطيارة العثمانية كان العامة يصفقون طرباً عن (١) سقوط القنابل ويهللون فرحاً ، وقد أغاظ هذا الأمر الانكليز كثيراً جداً جداً ولكنهم لم ينبثوا ببنت شفة وهم لا يثقون مطلقاً بالمصرى من أى طبقة كانت ويعلنون ذلك جهاراً ولو كانوا يثقون به لجندوه ، .

فريد

قد اشتركت لك فى الجرائد الفرنساوية التى طلبتها

بعد غلق الخطاب ورد خادم الفيلا ومعه البوستة فوجدت بها جواب من برلين وبه التصريح بمرور الملابس فأرسلته فى الحال إلى محل Ockermann وأتعشم أنها تصلك قريباً .

احمد

(٢٥٨)

Telegram Address : SILVANA-VULPERA

٢٣ يوليه سنة ١٩١٧ (٢)

خالى العزيز

وصلنى جوابك المؤرخ فى ١٠ الجارى وأنا هنا ، كذلك ثلاثة تلغرافات ، والعجيب أن الجواب وصل قبل تلغراف يوم ١٠ ، ولكن الثانيين وصلا فى ثانى يوم من تاريخهما . وبعد فإليك التفصيل : تفصيل عن صحتى : سافرت من جنيف يوم عشرة مساء لهنا فوصلت يوم ١١ الساعة الخامسة بعد الظهر ، وقابلت

(١) هكذا وردت بالأصل ، وصحتها ( من ) .

(٢) انظر صورة الخطاب بالملحق رقم (١١)

طبيباك الدكتور Steiner فذكرنى بك ، وأمرنى بشرب الماء بكمية كبيرة مائتين جرام كل دفعة ، والدفع ثلاث ، وأمرنى بأخذ حمامات acide carbonique ، ومن ضمن تشخيصه أن القلب به تعب ، فهل هذا التعب مرض أم من الأملاح والصفراء الموجودة فى الدم ( لأنى عملت تحايل عند العزم على السفر إلى هنا ، فكان حمض البوليك بكمية مضاعفة عن الطبيعى ، وبالبول كمية عن الصفراء ) فلا يمكنه أن يقر إلا بعد الكور (١) وبعد الاستراحة منها بضعة أسابيع . هذا ما يخص الصحة .

أما فيما يختص بالعموميات ، فعند ورود تلغرافك الأول مساء والجواب صباح اليوم نفسه ، كتبت لإسماعيل لبيب أخبره وأقول له أنه لابد أن يكون ورد له مثل ماورد لى ، وقلت له أنه لابد من سفرى ، وطلبت منه أن يخاطبنى تلفونياً لنتشاور فى الأمر لأن الخطاب لا يفى بالحاجة ، ولوكان بمنزله تلفون وأعلم مواعيد وجوده به مؤكداً لخاطبته أنا . هذا الخطاب أرسلته له فى نفس يوم ورود خطابك وتلغرافك . فنى صباح اليوم التالى ورد لى منه تذكرة بوسته يفيدنى بوصول المرتبات وبورود دعوتك بالحضور ويطلب رأيى . فظهر أن جوابينا تقابلا بالطريق ، فانتظرت لغاية أول أمس فلم يخاطبنى لا تلفونياً ولا كتابياً بالمرة . فاضطررت أن أرد عليك تلغرافياً بشأنى فقط فى يوم ٢١ منه ، وهذا سبب التأخير فى الرد عليك تلغرافياً ، ولغاية يوم تاريخه لم يصلنى من إسماعيل لبيب شىء لا تلفونياً ولا كتابياً وهذا من المدهشات نظراً لما أعهده من آداب وكمال لبيب .

أما أنا ، فأود جداً الحضور ، وسأعمل مجهودى فى ذلك بكل ماتسمح به صحتى ، وأما ما أراه فى هذا الأمر هو أن الشمسى تمكن من لبيب وتغلب عليه فهو طوع إرادته ، وأما أنت فسر فى طريقك بعون الله وقوته ، واستمر فى خطتك متوكلا على المولى القدير ، فان لم تنجح فى هذا الطريق ، فلا أمل بعد ذلك لنجاح وطننا العزيز إلا مع الزمن الطويل ، وهذا الوقت لا نراه مع الأسف .

وعند إمكانى السفر أفيدك فى الحال وإنى منتظر منك المخاطبات الكثيرة وأقبلك بشوق .

اخيك
احمد فريد

---

(١) الكور : Cours أى فترة العلاج .

(٢٥٩) (١)

Hôtel d'Angleterre
Genève

جنيف فى ١٥ يوليو سنة ٩١٧

عزيزى الأخ فريد بك

منذ أربعة أيام تقريبا وصلنى كتابا من بنك بارسين والبلاد الواطئة يخبرنى بأنه استلم باسمى من ستوكهلم مبلغ مايتين فرنك ويدعونى لإستلامهم نطبعا عرفت بأنه مرسل منك ولكنى انتظرت خطابك لأقف على السبب. واليوم وصلنى كتابك وعلمت لى الحقيقة ، وقد جئت بكتابى هذا أعرض عليك ما عن لى من الملاحظات. أولا ، لا يخفاك أن السلفة التى نتقاضاها من الدولة فى نزول مستمر ، وقد وصلت إلى ثلاثة عشر فرنك الليره وربما نزلت إلى عشرة فقط فى الشهر المقبل ومن يدرى بعد ذلك ؟ فلهذا تخابرت مع مدير لوكاندة انجلترا واتفقت معه على الاقامة عنده بشروط كشروط أخينا على بك ، أعنى الدفع يكون بعد الحرب ، فقبل ، وعلى ذلك انتقلت إلى اللوكاندة ، ونظمت معيشتى كما ترى . ثانيا ، أنى علمت من أحد كبار الاشتراكيين بأن المؤتمر سيعقد فى أواخر سبتمبر فاذا لاأرى داعيا للحضور من الآن ، وخير لنا أن نتربص قليلا حتى نرى نتيجة الحركة المرجودة فى المانيا الآن ، فربما جرت إلى الصلح ، وعندها **نذهب (جميعا) الى الجهة** التى يتقرر اجتماع مؤتمر الصلح بها .

لم أقف على رأى أحمد بك لأنه سافر إلى تراسب يوم ١٠ الجارى ، أما منصور فقد كتبت إليه بما يلزم ، وعلى ظنى أنه سيوافيك هناك ، وأتعشم بهمتك وبتوفيق الله يرفع صوت مصر عاليا وتنال ما يتمناه لها أبناؤها . تنشر هنا مجلة تحت عنوان Revue de la Presse يديرها صديق لى بلجيكى ، وقد ترجم مقالك الذى نشرته جريدة التاجبلاط السويدية ، أخبرنى اليوم بأنه ترجم مقالا لنواب الروسيا المسلمين يحتجون به لدى المسيو استيرمنسكى ناظر الخارجية لأنه لم يحتج بخصوص الجزائر ومصر وتونس وألبانيا و و الخ أسوة باليونان .

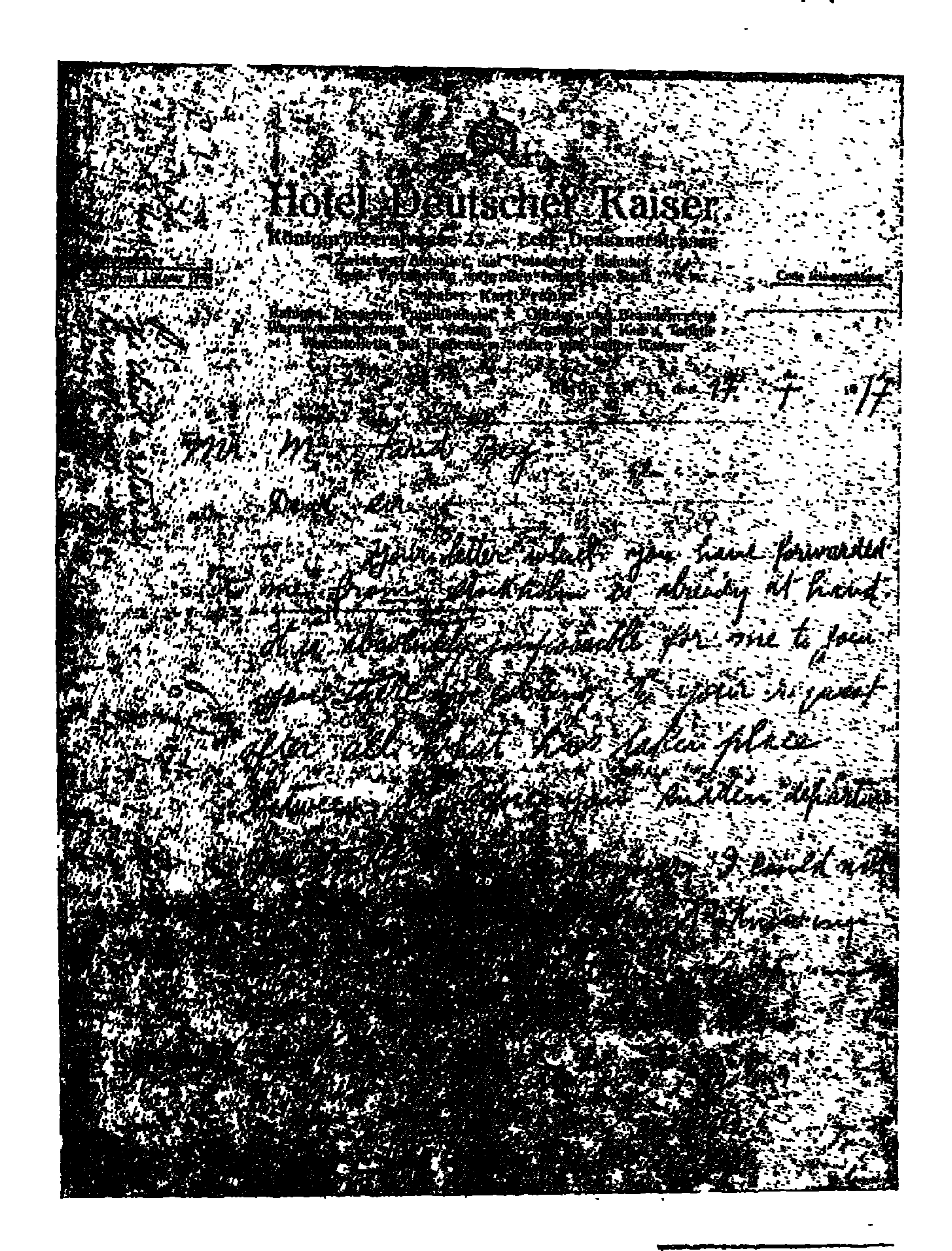
وعند ظهوره سأرسله إليك . كنت أود **ان تشمل دعوتك اخينا على بك اذا كان لايوجد** ما يمنع ذلك . وفى الختام أدعو الله لك بالتوفيق والصحة حتى تتغلب على جميع الصعوبات التى تقف فى طريقك . والسلام من أخيك

**اسماعيل لبيب**

---

(١) أنظر صورة الخطاب بالملحق رقم (١٢) .

(٢٦٥) (١)



Hotel Deutscher Kaiser

17. 7. 17

Mr M. Farid Bey

Dear sir,

Your letter which you have forwarded to me from Stockholm is already at hand. It is absolutely impossible for me to join you ... to your request after all that has taken place between ... your sudden departure ... I would ...

---

(١) هذا هو نص الخطاب المكتوب بالانجليزية والمرسل من منصور رفعت فى ١٩١٧/٧/١٧ الى محمد فريد وقد سبق أن أشار اليه محمد فريد على صفحة ٢٤٩ من هذه المذكرات ، واورد ملخصا لمحتواه ..

الخديو إلى(١) الآستانة بعدما ارتكبه من الدنآت . وأخيراً اتفقنا على أن أقابله يوم الاثنين التالى فى النظارة ، وقد قابلته فعلا فى الوقت المعين ولم يشمل الحديث شيئاً يستحق التقييد . وسافرت إلى استوكهلم يوم الأربعاء ٢٥ سبتمبر مع الدكتور منصور رفعت ووصلناها صباح السبت ٢٨ منه . أما منصور فرافقنى بعد مناقشة وتردد كبير وكنت أود لو رفض مرافقتى لأنه لا يعاشر بسبب ما يفعله من الخبل ، ولكن مراعاة لأخيه اسماعيل لبيب ، وحتى لا يقال بأنى سافرت بمفردى ، قبلت مرافقته لى عن كره واشمئزاز .

قصدنا السفارة فى مساء اليوم نفسه ، وسألت نائب السفير (أسعد بك) عما إذا كانت لى لديه جوابات أو نقود من الآستانة فأجاب بالسلب ، عند ذلك أطلعته على جواب باشحميه بك فاستغرب الأمر ثم وعدنى بارسال تلغراف مستعلماً عن حقيقة الأمر وكتبت أنا أيضاً لباشحميه جواباً بهذا الخصوص . بعد ذلك بنحو عشرة أيام ورد خبر بأن مبلغ ثلاثمائة جنيه خاص بى سبق أرسل إلى مندوب التشكيلات محمد على بك (هو ضابط تركى اسمه الحقيقى محمد نورى Noury وأظنه يشتغل بصفة جاسوس مع الروس لأنه يحسن الروسية جيداً ) وكان المبلغ موجوداً فعلا ولكنه كان يجهل لمن يسلمه فسلمنى إياه وبلغت قيمته بالكورون ٢٤٩٤ . وعلى ذلك شرعت فى طبع منشور كنت جهزته لإرساله لجميع الحكومات ، ثم أنشأت نشرة شهرية باسم نشرة الحزب الوطنى المصرى واستأجرت مكاناً ليكون مسكناً لى ومكتباً للجريدة فى آن واحد . وبعد قليل حضر الشاب الدكتور على أفندى علوى بناء على طلبى لمساعدتى فى هذا العمل .

أما منصور رفعت ، فقد طرأ عليه دورجنون مطبق حمله على التعدى على بالسب والشتم والتهديد بدرجة كان يمكن معها أن أتهمه بالجنون وأطلب حجزه فى إحدى المستشفيات ، ولكن مراعاة لأخوته وحفظاً لكرامة الاسم المصرى ، تركته وساعدته على العودة إلى برلين لأخلص من شره . وتفصيل ذلك أنه كان يريد أن يلقب بسكرتير الحزب الوطنى نكاية بعبد الملك حمزة فلم أقبل خوفا من أنه يكتب

---

(١) يلاحظ أن كلمتى ( الخديو الى ) الواردتين هنا انتهت بهما ص ٢٥٦ من هذه المذكرات ، وهذا يؤكد أن بداية صفحة مكملة لما انتهت به صفحة ٢٥٦ .

(٢٦٢)

ما يمر بدماغه من السخافات وينسبها للحزب بتوقيعها بلقب السكرتارية ، ووسط جماعة الوطنيين الهنود فى هذا الأمر ، فقلت لهم ان هذا التعين ليس من اختصاصى بل إن تعين السكرتير هو من أعمال جمعية الحزب العمومية . أخيراً طلب منى منصور بصفة بلاغ نهائى أولا أن يلقب بالسكرتير — ثانياً أن يكون له التصرف المطلق فى أعمالنا كلها من سياسية وإدارية ومالية ، أى أنه يكتب ما يريد فى الجرائد بدون أخذ رأيى ويصرف كذلك بلا محاسبة فضحكت وقلت له (إذا أنت تريد أن تكون فى مركز المستشار الانكليزى وأنا فى مقام الوزير المصرى) فقال لا أشتغل معك بغير ذلك . إنى أريد أن أكون دكتاتور الحزب الوطنى والا فالحرب بينى وبينك ، وانصرف . وانقطع عن مقابلتى يومين ثم عاد وكرر طلبه فكررت الرفض فهاج ودخل فى دور جنونى فظيع وأخذ يسبنى ويلعننى بألفاظ يأبى قلمى أن يكتبها مما لم يحصل لى فى حياتى مطلقاً ثم انصرف . عند ذلك بلغت هذا الحادث المؤلم لأسعد بك سفير الدولة العلية هناك ، وطلبت منه مساعدة منصور على الرجوع إلى برلين وأنه لو طلب منه توصيل مكاتيب إلى الآستانة فلا يقبلها منه إلا مفتوحة .

حادثة منصور رفعت فى استوكهلم

بعد ذلك ببضع أيام ، لما آلمه عدم(١) النقود وأصبح عيلة على الهنود ، أتانى شاتوباديا الهندى وطلب منى أن أعطيه مصاريف السفر ليرحل إلى ألمانيا فقبلت وأرسلت له ما يكفى للسفر وزيادة . وقبل سفره طلب من علوى أفندى أنه يريد استسماحى فقبلت فأتى إلى دارى وأخذ يعترف بأنه مخطىء وأنه ندم الخ الخ . وبعد ذلك سافر على أنه سيصدر فى برلين جريدة الوطن المصرى التى كان يصدرها بالفرنساويه فى جنيف وسيفتح مكتباً باسم الحزب الوطنى فى برلين فقلت له حسناً تفعل ولكن من أين لك المال اللازم لمثل هذا المشروع ، إن الألمان لا يساعدونك وكذلك الأتراك فقال سأجد من يقرضنى أو يساعدنى فقلت له : على بركة الله ، ثم سافر وخلصت منه .

(٢٦٣)

فى أوائل أكتوبر ، وصلنى من أحمد فريد جواب يخبرنى فيه بأن الخديو أرسل إليه شفيق باشا ليعرض عليه بأن يكون تشريفاتياً فى معيته ، وأن يسافر معه إلى الآستانة

تعين الخديو احمد فريد تشريفاتيا فى معيته

(١) هكذا ورد بالأصل ، ويستقيم المعنى لو اضيفت ( توفر ) بعد ( عدم ) .

وأنه قبل وسيسافر معه فى ٧ أكتوبر ، وأخذ يعلل قبوله بأسباب غير كافية فكدرنى هذا الخبر وكتبت إليه الرد المكتوبة صورته على الجواب الأصلى والملصق فى الصحيفة الأخيرة من هذا الكراس (١ ). وعقب ذلك نشرت فى إحدى جرائد استوكهلم حديثاً أعلنت فيه عدم وجود أى علاقة بين الخديو والحزب الوطنى وذلك حتى لا يتخذ هذه العلاقة سبيلا للنصب والاحتيال كما فعل مع الألمان فى سنة ١٩١٥ مما هو مشروح فى مكانه .

المؤتمر الاسلامى فى استوكهلم

فى أوائل أكتوبر ، حضر إلى استوكهلم جماعة يمثلون الأمم الإسلامية التابعة لفرنسا وانكلترا والروسيا بقصد عقد مؤتمر إسلامى يطالب بحقوق أممهم ، وهم مرسلون من قبل الدولة العلية ، وهم الشيخ صالح الشريف ، والشيخ إسماعيل الصفايحى عن تونس والجزائر ، والسيد محمد الاعتابى عن مراكش ، وآخرون عن طرابلس الغرب ، والتتر والتركستان والهند ، فانضممت إليهم لأمثل مصر . ثم علمت أن الشيخ جاويش ومعه عبد الملك حمزة والدكتور فؤاد وأخيه توفيق سيحضروا كذلك لتمثيل مصر معى ، وقد حضر الجاويش قبيل الاجتماع بيومين ، أما فؤاد وأخيه فتأخرا بالآستانة ووصلا برلين بعد إنتهاء الأعمال ، وعبد الملك حمزة وصل استوكهلم بعدها كذلك ، ولم تسمح الحكومة لنا بالاجتماع والخطابة علنيا مراعاة للحيدة . ولكن المسيو كارل لندهاجن Lindhagen شيخ المدينة والعضو فى مجلس النواب دعانا جميعاً لاجتماع خصوصى ، ودعا إليه نحو ستمايه نسمه بتذاكر اسمية فى يوم مساء الجمعة ٩ نوفمبر (٢ ) وكانت الدعوة باسم جمعية السلام فاجتمعنا وتكلم كل منا عن ظلامة (٣ ) بلاده وطلبات أمته . ونشرت الجرائد فى اليوم التالى ملخص الأعمال ، كما أن كل ماكتبه المندوبون ترجم إلى الفرنساوية والسويدية ووزع فى جميع الجهات . ثم سافر الأعضاء فى يوم الأحد ١١ منه ، أما الجاويش فأقام نحو عشرة أيام بعد سفرهم ، ثم سافر عن طريق كوبنهاجن عاصمة الدانمارك مع عبد الملك ، وهناك أراد أن يلقى محاضرة فمنعه البوليس بعد أن استأجر المكان ووزع الدعوة ، وقد نشرت له الجرائد

(٢٦٤) (٤)

بعض أحاديث وصف نفسه فيها بأنه رئيس الحزب الوطنى وهذا مرض الجميع .

---

(١) انظر ص ٢٦٥ ـ ٢٦٧ من هذه المذكرات .

(٢) المقصود : مساء يوم الجمعة ٩ نوفمبر .

(٣) المقصود : مظلمة بلاده .

(٤) رقم محمد فريد هذه الصفحة برقمين ٢٦٤ و ٢٦٢ ، والرقم الصحيح طبقا للمسلسل العام هو ٢٦٤ .

(ما علينا ). كان أخبرنى الشيخ صالح الشريف بأن أنور باشا وطلعت باشا أفهما الحاويش بأنه لابد بأن يتفق معى على كل شيء ويترك سياسة الشقاق التى اتبعها للآن، وأخبرنى الاعنابى بأن على باشحميه يعارض فى سفر الحاويش إلى استوكهلم اكتفاء بوجودى وخوفاً من حصول(١) بينى وبينه يكون له وقع شيء أمام الأجانب ، وأخبرنى علوى أفندى بأن أحمد فؤاد دعى المصريين الموجودين بالآستانة للاجتماع فى انتخاب من يمثل مصر فى المؤتمر الإسلامى باستوكهلم فانتخبونى رئيساً للوفد، وكان فؤاد أول العارضين لاسمى ويقول علوى بأن فؤاد يريد بذلك مضايقة الحاويش ومعاكسته .

ومما يؤكد تحول سياسة الآستانة نحوى ونحو من تبعنى من القائلين بالمحافظة على امتيازات مصر أن الحاويش كان يزورنى فى استوكهلم مع عبد الملك حمزة كل يوم تقريباً ، وأخذ الاثنان يعللان ما هو كائن بيننا من الخلاف ويطلبان تحقيقاً لما دس بيننا من الدسائس مدعين البرآة من كل ما نسب إليهم جميعاً ، حتى أن الحاويش قال لى هذه العبارة (أنا مستعد لكل ما تطلبه منى ترضية لك إن ثبت على شيء بل انى قابل أن تضربنى تأديباً لى ) .

وفى يوم سفرهما ، حضرا إلى بيتى أثناء توجههما إلى المحطة للتسليم على ، فاضطررت لمرافقتهما إليها أنا وعلوى أفندى . وعلى ذلك سافرا وقد أوصيت عبد الملك بأن يجهز احتفالا فى برلين يوم ١٩ ديسمبر احتجاجاً على رفع إنكلترا الحماية على مصر (٢) فى سنة ١٩١٤ ، كالذى عمل تذكاراً . ليوم ١٤ سبتمبر ، فوعد .

وفى يوم ١١ ديسمبر ، وصلنى تلغراف من عبد الملك يخبرنى فيه بعزمهم على هذا الاجتماع ويدعونى للحضور . فقمت يوم الأحد ١٦ منه إلى برلين ، حيث وصلتها مساء الاثنين ١٧ منه ، ووجدت بانتظارى بالمحطة الحاويش وحمزة ومحمد على حمد وهذا أمر لم يحدث مطلقاً من الحاويش لا بالآستانة ولا بغيرها ، من عهد خروجى من مصر ونصبه نفسه محاربتى ، على أنى لا أغتر بهذا النفاق البارد الذى لا ينسينى كل مساعيه ضدى ،

---

(١) هكذا ورد بالأصل ، ويستقيم المعنى لو اضيفت كلمة ( شيء ) بعد ( حصول ) .
(٢) يقصد : فرض انجلترا حمايتها على مصر .

تلك المساعى التى خابت أمام ثباتى وعدم تحركى عن مبدأى حتى احترمنى العدو قبل الصديق (١) .

Gd. Hôtel de la Paix
Genève

فى ٣ أكتوبر سنة ١٩١٧

خالى العزيز

وصلتنى كارتك من ستوكهلم ، ولكن الجواب لم يصل ، وربما يكون فى الطريق ، وأخبرك بمسألة جديدة ربما تدهشك ، ولكن أعتقد أنك لا تحكم عليها عندما تعلم الأسباب . طلبنى الخديوى بواسطة شفيق باشا وأخبرنى الأخير أن الجناب اصطلح مع الآستانة وسوء التفاهم السابق زال وهو عائد إليها مع المعية ويريد أن أكون معه بصفة تشريفاتى فقبلت ذلك بعد التفكر طويلا للأسباب الآتية :

أولا — مادام الخديوى متفقاً مع الحكومة العثمانية فهذا فى صالح المسألة المصرية وخلاص الوطن .

ثانياً — وجودى فى الآستانة مع المعية يمكنى من أن أزيل (باذن الله) التأثير الذى حصل من الوشايات فى حقك لدى طلعت بك فأرجو الله أن يقوينى على هذه المأمورية .

ثالثا — ما رأيته من أمور الشمسى كرهنى فى الإقامة فى جنيف ، وتذبذبه كرهنى فى الاشتغال معه فى الوطنية .

فلو كنت سافرت إلى برلين معك فتكون الآستانة خالية من أحدنا فاخترت الثانية لخدمة الوطن العزيز :

إننى لا أقصد خدمة الوطن فقط بل أقصد خدمتك أيضاً بوجودى فى الآستانة ، لأن عدم تزعزع مكانتك فى الآستانة وبقاء مقامك فيها كما كان أولا وحصول النتيجة التى نتمناها للوطن على يديك كما حصل البدء فيها ليس فيه فخر لك بمفردك فقط بل الفخر يشاركك فيه جميع العائلة ويتوارثه أبناؤها جميعاً . لهذا عولت مع التوكل

---

(١) استكمل محمد فريد تدوين ما جاء من معلومات مكملة لما سرده على هذه الصفحة فى بداية الكراسة العاشرة ( ص ٢٦٥ من هذه المذكرات ) ، ويتضح من هذا أنه أسقط من حسابه ترقيم الصفحات الملصق عليها الخطاب التالى المرسل اليه من احمد فريد ، ابن أخته ، ورده هو عليــه ، ويقعان فى ٣ صفحات مرقمة على الوجه التالى ٢٦٣/٢٦٥ و ٢٦٤/٢٦٢ و ٢٦٣/٢٦٥ · أنظر الملحق رقم (١٣) ·

على الله على قبول أمر الخديوى فإذا استقام الحال استمريت وإن اعوج اعتزلت وعلى الله التوفيق .

ما يختص بمرتبك كلفت به لبيب . وكلفته أيضاً بكل ما يلزمك .

خطاباتك لى أرسلها إلى جنيف بعنوان محل سكنى 116, Rue des Eaux-Vives إن أردت أن لا يطلع عليها أحد ، ومن جنيف ترسل لى بالطريقة التى رتبت لخطابات جميع من مع الخديوى .

هذا وأرجو منك أن لا تطيل المخاطبات وخصوصاً ما تراه مفيداً للعمل الذى وهبنا حياتنا له ، قوانا الله على إتمامه . وسأقوم باكر إلى زوريخ ومنها نقوم جميعاً إلى الآستانة . فاسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يهدينا الطريق للوصول إلى خلاص الوطن العزيز .

وفى الختام أقبلك كثيراً .

**اخيك**
**احمد فريد**

فأنت فى برلين ولبيب فى جنيف وأنا فى الآستانة لخدمة وطننا العزيز .
وفقنا الله وقوانا للوصول إلى النتيجة التى نرجوها من أعماق قلوبنا .

**احمد**

صورة ردى عليه فى ١٠ أكتوبر

جوابك وصلنى ولا حاجة لى بأن أقول لك بأنه أدهشنى ، لأنى ما كنت أتصور أو أتخيل مطلقاً أنك تقبل الدخول فى خدمة الخديو ، بعد ما وقفت عليه بنفسك مدة إقامتك بسويسره ، وبعد قولك لى أكثر من مرة بأن الاشتغال مع هذا الرجل غير ممكن بل مستحيل لعدم إخلاصه فى العمل وتذبذبه . نعم أنى أعلم من مدة ميلك إلى الوظائف والترقى ، وهو أمر طبيعى على شرط أن يكون من جهة تشرف ولا تحط بقدر الإنسان كخدمة عباس باشا . هذا الخبر أحزننى كثيراً لأنه أضر بسمعتك لدى جميع المصريين على اختلاف أميالهم وما كنت أحب أن تقبل هذا الأمر لنفسك ولكن قدر فكان ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

بلغني من مدة أنك كنت تستلم نقوداً من مصر بواسطة بارودى وأن علاقاتك معه كانت شديدة حتى أثناء وجودى معك فى سويسره ، وأنك ذهبت إلى برن خصيصاً لمقابلة فؤاد سليم . فهل هذا صحيح ؟

أما علاقتى وعلاقة الحزب مع الخديو فسأشرحها فى الجرائد وأرسل لك نسخاً مما أكتب فى هذا الباب أو فى غيره . أكرر الأسف وأطلب من الله أن لا تصلك عدوى هذا الرجل وبطانته المنتنة وأن تخرج من هذه البؤرة طاهر الذيل كما دخلتها .

والسلام عليكم

خالك
الحزين (*)

( انتهت الكراسة التاسعة )

---

(*) بعد هذين الخطابين بين أحمد فريد وخاله الزعيم محمد فريد ، توجد بأصل المذكرات المحفوظة بدار الوثائق بالقلعة ورقة مستقلة ، بها احصائية المراكب المغرقة وهي مطبوعة هنا ولاحقة للخطابين المتبادلين ، وبهذه الإحصائية تنتهي الكراسة التاسعة .

# بيـــان بعدد وحمولة المراكب الحـــر

| | مجموع حمولة المراكب المغرقة فى شهر | | للأعداء | |
|---|---|---|---|---|
| | عدد | حمولة | عدد | حموا |
| يناير سنة ١٧ | ٢٥٨ | ٤٣٩,٥٠٠ | ١٧٠ | (١)٣٣٦,٠٠٠ |
| فبراير | ٣٦٨ | ٧٨١,٥٠٠ | ٢٩٢ | ٦٤٤,٠٠٠ |
| مارث | ٤٥٠ | ٨٨٥,٠٠٠ | ٣٤٥ | ٦٨٩,٠٠٠ |
| أبريل | | ١,٠٩١,٠٠٠ | | (٢)٨٢٢,٠٠٠ |
| مايو | | ٨٦٧,٠٠٠ | | |
| يونيه | | ١,٠١٦,٠٠٠ | | |
| يوليه | | ٨١١,٠٠٠ | | |

سنة ١٩١٦

| | |
|---|---|
| يناير وفبراير معاً | ٢٣٨,٠٠٠ |
| مارث وابريل | ٤٣٢,٠٠٠ |
| مايو ويونيو | ٢١٩,٠٠٠ |
| يوليه وأغسطس | ٢٧٣,٧٧٩ |
| سبتمبر | ٢٥٤,٦٠٠ |
| أكتوبر | ٣٩٣,٥٠٠ |
| نوفمبر | ٤٠٨,٥٠٠ |
| ديسمبر | ٤١٥,٥٠٠ |

| | عدد | حمولة |
|---|---|---|
| (١) للانكليز خاصة فى يناير سنة ١٧ | ٩١ | ٢٤٥ر٠٠٠ |
| (٢) فى ابريل | | ٦٦٤ر٠٠٠ |

## المغرقة خلال الحرب العالمية الأولى

| للمحايدين | | المجموع الكلى من أول الحرب | | |
|---|---|---|---|---|
| عدد | حمولة | الحمولة للأعداء | للمحايدين | عدد المراكب |
| ٥٨ | ١٠٣,٥٠٠ | ٤,٣٥٧,٥٠٠[١] | ٦٤١,٠٠٠ | ٤٥٩ |
| ٧٦ | ١٣٧,٥٠٠ | ——— | ——— | ——— |
| | | ٥,٧١١,٠٠٠[٢] | | |

---

| عدد | حمولة |
|---|---|
| (١) | ٣ر٣١٤ر٥٠٠ |
| (٢) | ٤ر٢٧٠ر٥٠٠ أى ٢٣ فى المايه من حمولة المراكب الانكليزيه فى أول الحرب |

# الكراسة العاشرة

من صفحة ٣٦٥ الى صفحة ٣٩٤

وجدت أنهم استعدوا للاحتفال بتذكار يوم ١٩ ديسمبر وأنهم وزعوا تذاكر الدعوة باسمى وبالنادى العثمانى. وقد تمت الحفلة على أحسن نظام وكان الخطباء الشيخ جاويش، وأمهوف باشا الألمانى، وهندى، وأنا رأست الحفلة وتكلمت فى أولها وفى آخرها. وقد نشرت جريدة Deutsch Tage Zeitung خطابى حرفياً فى عدد ٢٣ منه وكذلك نشرت بالسويدية فى جريدة استوكهلمس داجبلاد فى ٢٠ منه وقد كنت تركتها لدى المسيو سودبرج (١) قبل سفرى، ولم يحضر الدكتور منصور رفعت هذه الحفلة مع أنه كان متفقاً عليها مبدئياً مع الدكتور فؤاد ولكن يظهر أنه غضب لأنه لم يكلف بتنسيقها كما يحب ويرغب، وكذلك لم يزرنى لغاية تحرير هذا (٦ يناير ١٩١٨) مع أنى زرته فى محله مع الدكتور عدوى، وسبب نفرته هو اتفاقى مع الشيخ جاويش وزمرته. أما هذا الصلح فبنى على ما حصل فى استوكهلم من اعتذاره هو وعبد الملك حمزة لى كما شرح فى محله، وخضوعهم لى واذعانهم لرغباتى بأن أكون المسيطر على كل شىء يختص بالحزب وأعماله.

تابع حفلة ١٩ ديسمبر ١٩١٧

بعد حفلة ١٩ ديسمبر ببضع أيام، اجتمع كل المصريين الموجودين ببرلين تحت رئاستى فى إدارة مجلة العالم الإسلامى، واتفقنا على أنه يقوم بإدارة أعمال الحزب الموجودين هنا الآن من أعضاء اللجنة الإدارية وهم حمزة ومحمدعلى محمد ومن يحضر من السويس(٢) من الأعضاء وهم اسماعيل لبيب وعوض البحراوى واسماعيل كامل وأحمد طاهر وأن تضم اللجنة لنفسها من ترى فيهم اللياقة للعمل وأن يكون باقى

اجتماع لجنة الحزب الوطنى

(١) وهو مدير الجريدة المذكورة (أنظر ص ٢٥٠ من هذه المذكرات).
(٢) يقصد : سويسرا.

المصريين مستعدين للقيام بكل ما يؤمرون به من اللجنة . وقد حرر بذلك محضر وقع عليه جميع الحاضرين (وبالطبع منصور رفعت لم يحضر وهو الآن شق لوحده لا يشتغل بل يكاد لا يقابل أحدا ).

بعد ذلك اجتمعت اللجنة وقررنا ضم الشيخ جاويش إليها وهو الأمر الذى يتوق إليه من سنوات عديدة .

(٢٦٦)

وقد قررت عدم العودة إلى استوكهلم ونشر مجلة الحزب هنا وكتبت لعلى أفندى علوى بالعودة بعد إصدار العدد الثالث من المجلة وتوزيعه من هناك .

كانت أول أعمال اللجنة تقرير إرسال تلغراف الى المؤتمر المجتمع فى مدينة Brest-Litovisk لتقرير الصلح بين الروسية وألمانيا وحلفائها وقد أرسل فعلا ونشر فى جميع الجرائد وهاك نصه بالألمانية كما نشر فى جريدة برلينر تا جبلات فى عدد ٤ يناير ١٩١٨ .

ارسال تلغراف لمؤتمر برست لتوفسك

**Ein Appell der Ägyptischen Nationalpartei in Berlin an den Friedenskongreß.** 4.1.18

Die Mitglieder der Ägyptischen Nationalpartei in Berlin richten den folgenden Appell an den Präsidenten des Friedenskongresses in Brest-Litowsk: „Die in Berlin versammelten Mitglieder der ägyptischen Nationalpartei haben die Ehre, die Aufmerksamkeit des Kongresses auf die Notwendigkeit der Befreiung Ägyptens im Sinne des von allen Mächten angestrebten Nationalitätsprinzips zu lenken. Die Sowjets in Petersburg haben sich feierlich für dieses Prinzip, sowohl wie für die Freiheit der Meere erklärt. Die Befreiung Aegyptens ist um so notwendiger, als die Neutralität des Suezkanals nicht wirksam werden kann, solange England Aegypten besetzt hält, wie der gegenwärtige Krieg zur Genüge bewiesen hat. Unsere Forderung beruht erstens auf dem natürlichen Recht, das jeder Staat besitzt, sich selbst zu regieren und sich seiner Eigenart gemäß zu entwickeln; zweitens auf dem Neutralitätsvertrag von Terapia vom Juni 1882; drittens auf dem Vertrag von London vom Juni 1884 usw. Solange unser Kanal unter der Kontrolle irgendeiner Großmacht steht, kann die Freiheit der Meere, die eines der Grundprinzipien der Demokratie im allgemeinen und der russischen Sozialisten im besonderen bildet, nicht in wirksamer Weise gewährleistet werden. Nur ein freies Aegypten kann den Schiffen und [illegible] Nationen während des Krieges und in Friedenszeiten freie Durchfahrt garantieren. Aegypten, das mehr als alle anderen Nationen die zur Anwendung des Nationalitätsprinzips notwendigen Vorbedingungen besitzt, und dessen geographische Lage an einer großen internationalen Weltverkehrsstraße seine Befreiung dringend notwendig macht, ist überzeugt, daß dieser Kongreß, der sich versammelt hat, um den Krieg zu beenden und eine Wiederholung des vergangenen Blutvergießens zu verhindern, seine natürlichen und unveräußerlichen Rechte anerkennen wird.“

Im Auftrag des Komitees:

Mohamed Farid Bey, Präsident.

وبما أن جلسات هذا المؤتمر الابتدائية كانت تحت رئاسة حقى باشا سفير الدولة العلية بصفته أكبر سناً . أرسلنا هذا التلغراف باسمه ولما أوقفت

المخابرات بضع أيام بمناسبة عيد رأس سنة ١٩١٨ وعاد إلى برلين حتى ونسيمى بك ناظر خارجية الدولة، قابلهما الشيخ جاويش وعلم منهما أنهما لم يهتما بهذا التلغراف ولم يعرضوه على الهيئة قولا بأن المسألة لا تخص الروسية وبأنها مسألة عثمانية داخلية، فتداولنا فى الأمر وقررنا إرسال صورة التلغراف إلى الجرائد ليعلم به باقى الأعضاء (وقد حصل)، وبتحرير تقرير مطول يرسل لجميع أعضاء المؤتمر وللجرائد أيضاً نثبت فيه أن مسألتنا ليست عثمانية بل هى دولية وأننا نطلب الاعتراف بحق الأمة المصرية بأن تقرر بالتصويت العام رغبتها فى الكيفية التى تريد أن تحكم نفسها بها والاعتراف كذلك بحيدة ترعة السويس تبعاً لمبدأ الجنسيات ولمبدأ حرية البحار.

واهمال مندوبى تركيا له

ارســـال تقرير مطول للمؤتمر نفسه

وأخيراً وصل لعلمنا أن المسيو Lénine لينين رئيس الحكومة الروسيه أرسل تلغرافا لاسلكياً إلى عموم العالم يطلب فيه تحرير مصر والهند ووصلنا هذا الخبر من الأمير شكيب أرسلان عن لسان وكيل الخارجية نفسه وأن هذا التلغراف نشر فى جرائد البلاد المحايدة ولكنه لم ينشر هنا. عند ذلك قررنا ضرورة شكر لينين على هذه العناية تلغرافياً وفعلا أرسل التلغراف عن طريق استوكهلم وأرسلنا صورته للجرائد هنا لكن لم ينشر ولا فى واحدة منها . والظاهر أن الحكومة منعت نشره لأسباب لم نعلمها:

ارســـال تلغراف للينين

كنت سمعت أن الخديو طلب إبعاد الدكتور فؤاد عن الآستانة مدة إقامته بها لأنه يخشى على حياته منه، فقبل طلعت باشا وأعطوه أجازة يقضيها فى الخارج وهو الآن ببرلين وكنت أشك فى هذا الخبر إلى أن سمعته من الدكتور نفسه أول أمس ٨ يناير لأن الترك كانوا يريدون إرجاع الخديو للآستانة على أى حال منعاً لدسائسه مع انكلترا وفرنسا . فتساهاوا فى كل طلباته حتى انهم أباحوا له أن يحضر رفيقته الفرنسويه معه، مع تأكدهم أنها كانت ولم تزل المحرضة له على الانضمام لجانب فرنسا وحليفاتها:

ابعاد فؤاد من الآستانة بناء على طلب الخديو

وصل إلى برلين طلعت باشا ذاهباً إلى برست لتوفسك لىرأس وفد الدولة العلية المكلف بابرام الصلح مع الروسية، وقد قابلته وكنت لم أره من عهد أن قابلته فى الآستانة فى

(٢٦٨)

فبراير ١٩١٦ فأحسن مقابلتى كما هى عادتهم يقابلون الإنسان بالبشر والايناس ثم يرسلون خلفه من يقتله .

٢١ يناير ، حضر من سويسرا اسماعيل كامل ، وعوض البحراوى بعده بيومين وسيحضر كذلك أحمد طاهر وهم من الأعضاء الذين كانوا منشقين على بسبب تشددى مع الأتراك وتساهلهم هم فى حقوق مصر (مما هو مشروح فى محله فى أواخر ١٩١٤ ) والقصد من عودتهم الانضمام إلى ثانياً تبعاً للصلح الذى حصل بينى وبين الشيخ جاويش وعبد الملك حمزة ، ذلك الصلح الذى لم يسع إليه الشيخ الجاويش وأتباعه إلا بعد أن علموا وأيقنوا بمطامع الترك فينا وشعروا بغلطهم وأدركوه واعترفوا بأنهم كانوا مغرورين ، كما اعترف بذلك عبدالملك حمزة مرة أمام الأمير شكيب أرسلان وكنا مدعوين بمنزل الكونت رفنتلو . وعلى ذلك يكون موجود هنا الآن خمسة من أعضاء لجنتنا الإدارية وأصبح يمكننا أن نقول بأننا هيئة مشكلة يمكن أن يكون لها تأثيرها .

رجوع اسماعيل كامل ومن معه من السويس

أما الجاويش فقد سافر إلى الآستانة يوم الجمعة ١٨ الجارى ، ليسعى لدى جمعية الاتحاد فى تخصيص مبلغ ذى قيمة للصرف على أعمال الحزب الوطنى لتقوية حركتنا والإكثار من المطبوعات والمنشورات فى هذه الأوقات التى يتكلم فيها بشأن الصلح بين الروسيا وفريق الدول الوسطى علنا نصل إلى ما يفيد مصر .

سفر الجاويش الى الآستانة

توجد فى برلين جمعية من بعض رجال السياسة ورؤساء الأحزاب فى مجلس النواب تسمى جمعية الأربعاء ومن أعضائها المسيو لودفيج استاين رئيس تحرير جريدة Vossische Zeitung وقد تكلم معنا هنا بشأن مسألتنا المصرية مرارا وحضر بعض اجتماعاتنا وخطب فيها لصالحنا وأخيرا طلبنا منه أن نتباحث مع أعضاء جمعيتهم هذه لتقنع رؤساء الاحزاب بأن يطرحوا المسألة المصرية أمام مجلس النواب ويطلبوا من الحكومة أن تفصح عن رأيها فى تلك المسألة التى تهم ألمانيا بسبب قنال السويس ، فوعدنا بالتكلم مع اخوانه ، وفعلا حددوا

جمعية الأربعاء

(٢٦٩)

لنا يوما لهذه الغاية ثم أجل إلى يوم الأربع ٣٠ يناير الجارى .

فى يوم الخميس ٢٤ يناير خطب الجراف (١) هرتلنج فى برلين والجراف زرنيتى

(١) الجراف Graf لقب من القاب النبالة كان يستخدم فى ألمانيا والنمسا والسويد وهو يطابق لقب ايرل Earl فى انجلترا والكونت Comte فى فرنسا . ( انظر Hamlyn Encyclopedic World Dictionary, p. 691.

فى ويانه فى شروط الصلح التى شرحها لويد جورج الانكليزى (١) وويلسن رئيس الجمهورية الأمريكية وأسهبوا فى الردود، لكنهما لم يلفظا لفظا واحدا بشأن مصر أو غيرها من المستعمرات الانكليزية أو الفرنسويه. أما بخصوص الدولة العليا فقال هرتلنج بأنه يترك الجواب لرجال السياسة التركية ولكنه يقول بأن ألمانيا ستكون دائما بجانب الدولة للمحافظة على كيانها، أما وزير النمسا زرنينى فلم يقل شيئا عنها مطلقا. فيكون الواجب اذن على رجال الدولة أن يردوا هم كذلك على تصريحات لويد جورج وويلسون فهل هم فاعلون ؟

خطبة هرتلنج ردا على ويلسون

فى ٢٤ الجارى، قابلت نسيمى بك وزير خارجية الدولة (وقد عاد من برست ليتوفسك لأن الجلسات تأجلت إلى ٢٩ الجارى بسبب سفر تروتسكى الروسى لبطرسبورج) وسألته عما اذا كان أطلع على التلغراف الذى أرسلناه إلى مؤتمرهم فى أوائل انعقاده فقال نعم ولكن هذا ليس وقت التكلم فى المسألة المصرية التى ستتكلم عنها فى مؤتمر الصلح العام، قلت حقيقة ان هذه المسألة لا تهم الروسيا ولكن اذا تكلمت هى فى حرية البحار والبواغيز يمكنكم حينئذ الدخول إلى مسألة مصر عن طريق قنال السويس الذى يجب تحريره، فقال هم لم يتكلموا فى ذلك للآن ووعد بالمساعدة اذا سنحت الفرصة. انى أرى أن الدولة غير مهتمة الآن بمسألة مصر بل هى باذلة جهدها لتخليص أراضيها فى العراق وفلسطين وأرمنيا وفى حماية سوريا من تهديد انكلترا ومحالفيها لها.

مقابلتى لنسيمى بك ورأيه فى المسألة المصرية

دعتنا جمعية الأربعاء إلى العشاء فى مساء الأربع ٣٠ يناير فذهبت مع عبد الملك حمزة ومحمد على محمد واسماعيل كامل وعوض البحراوى إلى أوتيل كونتيناتتال فوجدنا الجمعية شاملة لكبار القوم وأعاظمهم بينهم الوزراء السابقون والقواد ورؤساء البنوك وكثير من

(٢٧٠)

أعضاء مجلس النواب وبعض رؤساء الأحزاب والسفراء السابقين. وبعد العشاء حضر وزير العدلية الحالى والهرزوج فون شلسويج هولستين Schleswig Holstein أخ الامبراطورة، وغيره. وبعد الانتهاء من العشاء انتقلنا إلى قاعة أخرى وفيها افتتح الجلسة المسيو لودويج ستاين بكلمتين ثم قدم عبد الملك حمزة فشرح المسألة بما لا يخرج

---

(١) لويد جورج Lloyd George (١٨٦٣ – ١٩٤٥) سياسى بريطانى، ولد فى مانشستر، كان رئيسا لحزب الأحرار. عين أثناء الحرب العالمية الأولى وزيرا للامدادات الحربية، ثم وزيرا للحربية، ثم رئيسا لوزارة ائتلافية فى الفترة من ١٩١٦ الى ١٩٢٢، وقد لعب دورا بارزا أثناء المفاوضات الخاصة بمعاهدة فرساى التى وفق فيها الى تحقيق مطامع بريطانيا. (أنظر : (Petit Larousse, p. 1484

جمعية الأربعاء وما قيل فيها

عن المذكرة التى طبعناها أخيرا وقدمناها لمؤتمر برستليتوفسك وبعده توالى الحضور. ثم هذا القاضى ، فأظهر الجميع عطفا على المسألة المصرية وأجمعوا على أن الحكومة الألمانية لم تعرها ما تستحقه من الاهتمام وكذلك الصحافة لم تقم بالواجب عليها وكان أشدهم انتقادا المسيو Dr. Paul Von Schwabuch من السفراء السابقين . وبالاختصار كانت الحفلة جميلة وقد كتبنا عما دار فيها من الخطب ملخصا أرسلناه للصحافة وستنشره مطولا نوعا فى مجلة الحزب الوطنى التى تصدر فى بحر فبراير .

معاهدة سرية بين ألمانيا وانكلترا بشأن مصر فى سنة ١٩٠٤

وقال المسيو شواباخ أثناء كلامه ان ما يدل على ضعف السياسة الألمانية فى الخارج انه لما عقدت انكلترا مع فرنسا معاهدة ٨ أبريل ١٩٠٤ (١) الخاصة بمصر ومراكش وتعهدت فيها فرنسا بأنها لا تطلب من انكلترا تحديد موعد لجلائها عن مصر مدة ثلاثين سنة أخذت فى مقابل هذا التعهد مملكة مراكش وتعهدت لها انكلترا بأنها لا تمس مركزها التجارى فى مصر . أما ألمانيا ، فاكتفت بمعاهدة سرية مع انكلترا تعهدت لها فيها بالمحافظة على مركزها التجارى فى مصر وأن تعاملها معاملة أحسن الدول معاملة من الوجهة الكمركية — هذه المعاهدة كانت مجهولة لنا كما قال الخطيب وكانت مجهولة لدى الألمانيين أنفسهم . ولكن وقف هو ( ٢ ) بسبب وجوده فى السفارات . وقد كان لإفشاء أمر الاتفاق بين الحاضرين تأثير سىء جدا .

## (٢٧١)

مقابلة الجاويش للخديو بالآستانة وسعيه فى تكوين جمعية تشتغل بغير اسم الحزب الوطنى

فى ٢٢ فبراير سنة ١٩١٨ وصلنى جواب من الدكتور عبد العزيز عمران من الآستانة بتاريخ ١٣ منه يقول فيه ان الشيخ جاويش جمع الدكتور فؤاد وأخاه الدكتور توفيق وعبد الرحمن عزام وعمران وصادق بك (وأظنه أحمد بك صادق وكيل الخاصة الخديوية ) وقص عليهم خبر مقابلاته مع الخديو وأن الخديو يريد أن يشتغل مع الوطنيين فأقروا كلهم على هذه الفكرة ، فكرة الاشتغال مع الخديو ، ثم قال لهم جاويش بأنه يرى جمع جميع المصريين من كل حزب ومن كل جمعية للاشتغال معا فى صالح مصر وقت انعقاد مؤتمر السلام العام ويرى أن لا يكون الشغل باسم الحزب الوطنى ، فرفض هذا الاقتراح بأربعة أصوات ضد صوتين (وأظن أن الصوتين الموافقين هما صوتا الشيخ وأحمد صادق ) وأنهم أخيرا قرروا بأن يكاتبونى فى هذه الشؤون .

بعد ذلك قابلت حمزة فى دار الكونت رفنتلو حيث كنا مدعوين فسألته عما إذا

---

(١) المقصود بها الوفاق الودى L'Entente Cordiale

(٢) هكذا ورد بالأصل ، ويستقيم المعنى لو أضيفت ( عليه ) بعد ( هو ) .

كان لديه أخبار من جاويش ، فقال : نعم، ورد منه جواب يقول بأنه قابل الخديو مرارا بعد الحاح كثير وتكلم معه كثيرا. وأن الخديو أظهر رغبته فى الاشتغال والعمل معنا . ولكنه لم يذكر فى جوابه شىء تفصيليا عما دار بينه وبين الخديو وأنه أى الجاويش سيحضر قريبا للمداولة معنا فى هذه الشؤون . ثم قال عبد الملك حمزة بأنه هو وإخوانه قرروا بارسال تلغراف لجاويش يقولون له فيه بأن لايتفق على شىء مع الخديو الابعد حضوره هنا وتقرير مايلزم، وأنهم أرسلوا التلغراف فعلا وأنهم يريدون الاجتماع معى للاتفاق على صورة الجواب الذى يرسل لجاويش ردا على جوابه ، ثم اتفقنا على الاجتماع. واجتمعنا فعلا فى منزلى يوم الأحد ٢٤ الجارى وبعد المداولة تقرر أن يكتب له جواب يحذر فيه من الاكثار من التردد على الخديو ومن الاتفاق معه على أى أمر ، وأن يطلب منه الاسراع فى العودة. فى أثناء الحديث قالوا حبذا لو طلب من الخديو أن يشكل له حكومة ووزارة تكون بجانبه وأن يعلن الدول المحالفة والمحايدة بذلك حتى يصبح مركزه كمركز ملك البلجيك أو الصرب معا ، فقلت هذا ما طلبته من أول لأمر ولكنه جبن وتردد لأنه يريد أن يحفظ خط الرجعة مع الانكليز ، فقالوا اننا نطلب هذا الأمر لنجرب اخلاصه ونعرف إذا كان يريد السير معنا حقيقة باخلاص أم لا ، ونطلب أن أكون أنا رئيس الوزارة وأن لايكون فيها أحد من رجاله الذين تلوثوا معه فى مسألة بولو باشا مع ألمانيا ، فطبعا لم أظهر اهتماما بمسئلة تعيينى ولم أبد فيها رأيا .

مداولة فى لجنة الحزب بشأن اجتماع الجاويش بالخديو وتظاهر الخديو له بالرغبة فى العمل معنا

( ٢٧٢ )

ليس من الغريب ان جاويش يسعى فى أن يكون العمل بغير اسم الحزب الوطنى بل يكون باسم آخر جديد ، فانه يرمى بذلك لازالة صفة الرئاسة ولأن ينتخب هو رئيسا لهيئة الجديدة التى يريد تشكيلها ولكن من الغريب انه عرض هذا الاقتراح لدى اجتماعنا فى برلين فى ديسمبر الماضى وبحضورى فلم يوافقه أحد ، مطلقا ثم أعاد الكرة فى الآستانة كما جاء فى جواب الدكتور عمران ، ولا يبعد أن يكون بدسيسة من الخديو كأن يكون أفهمه بأن توحيد الأحزاب يقوى مركز مصر فى الخارج ، وهو أيضا يريد الانتقام منى لمقاطعتى له بعد حوادث لوزان فى صيف ١٩١٦ ، وجاويش من غفلته قبل الفكرة ويسعى فى تنفيذها لأنها صادفت هوى فى نفسه وهو الانتقام منى أولا وأخذ مركز كبير فى المسألة المصرية ثانيا ، ولكن سأحبط مساعيهم باذن الله . لم يكاتبنى جاويش بشأن اجتماع الآستانة الأخير كما تقرر فيه ، بل يظهر أنه اكتفى بمكاتبة عبد الملك حمزة .

فى يوم الخميس ٢٨ فبراير كنت بنظارة الخارجية مع عبد الملك حمزة وزرنا البارون ويزندونك، وفى أثناء الحديث قال لنا ما يأتى : انى تكلمت مع طلعت باشا الصدر الأعظم حال وجودى ببرلين مسافرا إلى برست ليتوفسك بشأن التكلم فى مسألة القنال والدخول منها إلى المسألة المصرية اذا تكلم الروس فى حرية الملاحة فى البحار والبواغيز . (فكان جواب طلعت باشا انه لايستحسن فتح هذه المسألة الآن لعدم تعقيد الصلح مع الروسية ورأيه أن المسألة المصرية يؤجل البحث فيها إلى حين المفاوضة مع انكلترا) ، وسبب ذلك أننا كنا تكلمنا مع رجال الخارجية، كما تكلمت مع نسيمى ناظر خارجية الدولة بهذا الخصوص وقدمت مذكرة إلى المؤتمر نفسه بعد أن أرسلنا تلغرافا باسم حتى باشا بصفته رئيس ذلك المؤتمر ولم يهتم به مطلقا كما ذكرت ذلك فى الصفحات السابقة. فاستغرب عبد الملك حمزة هذا القول من طلعت باشا لاعتقادهم فيه الاخلاص لمصر والمصريين حسب تفهيم جاويش لهم . ولكنى لم استغربه مطلقا لأنى سمعت من جويد بك عندما كنت بالآستانة فى فبراير أو مارث ١٩١٦ ما يقرب

رأى طلعت باشا فى مسألة مصر من حديث له مع ويزندونك

(٢٧٣)

من ذلك ودونته فى وقته فى مذكراتى المحفوظة ، فليراجع فى موضعه .

الاتراك لايهتمون بالمسألة المصرية بل قال بعضهم انه يفضل أن تكون مصر انكليزية من أن تكون مستقلة لأنها لواستقلت تصبح خطراً على الدولة لاستعداد أهلها ونباهتهم وذكائهم ، كذلك لا يرغبون فى أن تكون متحدة معهم اتحاد ممالك ألمانيا تحت رئاسة بروسيا لأن مثل هذا الاتحاد يوجب إيجاد مجلس نواب عام مثل (الريشتاج الألمانى) يكون فيه للمصريين وباقى الممالك العربية مندوبون يفوق عددهم عدد نواب الأتراك فيصبحون هم المسيطرون على الدولة العثمانية ويصبح الأتراك فى المقام الثانى . على أن سماع عبد الملك حمزة مثل هذه العبارات مفيد جداً لأنه يقنعه هو وأخوانه المغرورين بأن لا أمل فى الأتراك مطلقاً وأنهم كانوا المخطئين فى سياستهم نحوى فى السنتين الماضيتين .

اليوم اجتمعت بأحد شبان الأتراك واسمه نظام الدين بك وهو من موظفى السفارات وكان حاضراً مخابرات برست ليتوفسك فقال لى ضمن حديث طويل ان حالة رجال الدولة العلية فى هذا المؤتمر كانت من المضحكات المبكيات لأن طلعت باشا قاصر جداً فى معارفه . أما مندوبو الروس، وبالأخص تروتسكى، فهم من المطلعين العالمين بالتاريخ ، فكان طلعت باشا أمامهم كالتلميذ الابتدائى ليس إلا ، ثم قال ان الحالة فى الدولة شديدة والجيش أصبح حبراً على ورق لأن ثمانمائة ألف من رجاله

رأى تركى صميم فى حالة الدولة ورجالها الحاليين

هاربون فى الغابات والقفار والجبال ، والأرض أجدبت لعدم وجود من يزرعها وأصبح الفلاح يأكل حشائش الأرض ، أما حالة الآستانة فمحزنة ويموت بها من الجوع كل أسبوع بضع عشرات فضلا عن زيادة عدد الوفيات بالأمراض العادية، تضاعف بسبب موت الضعفاء والشيوخ من زيادة الضعف الناشىء عن قلة الغذاء وانتشار داء السل للسبب بعينه وأن غلاء الأسعار بلغ حداً غير معقول بسبب احتكار بعض أفراد للمأكولات والملبوسات واشتراك بعض أعضاء مجلس النواب ،

(٢٧٤)

بل واشتراك بعض رجال الحكومه معهم وأن عدم انتظام التوزيع بالورق (١) ناشىء من جهة سوء الإدارة المشهورة عن الترك ومن أخرى من الرغبة فى تمكين هؤلاء المحتكرين وشركائهم من الربح الغير مشروع . وبالاختصار فهذا الشاب يائس جدا من حال الدولة ومستقبلها وهو تركى صميم لا يمكن اتهامه بالغرض.

رسالة الشمسى

وردتنى من جنيف رسالة مطبوعة بشأن المسألة المصرية باسم على الشمسى يحبذ فيها من طرف خفى الاتفاق مع الانكليز على أن تكون (٢) مستعمرة مستقلة تماماً فى الداخل مثل كندا واستراليا، فكتبت لاسماعيل لبيب أقول له ان هذه الرسالة مكتوبة بعبارة يمكن تأويلها ضد كاتبها وضدنا لأننا من الملازمين له، فرد على بقوله انه غير مسؤول عما يكتبه الغير ولكننى أظن بل أعتقد أن الرسالة المذكورة كتبت بعلم واتفاق اسماعيل لبيب وأنه موافق عليها ومنشأ ذلك كراهته للترك بعد ما رأيناه منهم فى مسألة مصر وطمعهم فى جعلها ولاية بسيطة كما كانت من مائة سنة . نعم إنى أنا كذلك غير راض عن سياسة الأتراك نحونا ولكن لا أقول بالاتفاق مع الانكليز ما دام عندنا أمل فى الخلاص منهم، وقد زاد هذا الأمل فى هذه الأيام بعد انتصار الألمان على الروس وضمهم ما أرادوه من بلادهم، وبعد صلحهم مع رومانيا وامكانهم توجيه كل قواهم ضد فرنسا وانكلترا، فضلا عن نتائج حرب الغواصات الحسنة جداً ، فإن الرأى السائد الآن أنه لو استمرت حرب الغواصات وحصل هجوم كبير ضد فرنسا وإنكلترا فى الساحة الغربية يكون النصر لا محالة للألمان وحلفائهم ويمكن خلاص مصر من الانكليز »

---

(١) المقصود : بالبطاقات .

(٢) المقصود : مصر .

خطب بلفور وبونارولو (١) فى هذا الشهر (مارث) وقالوا بخصوص المسألة المصرية أن إنكلترا لا تترك مصر إلا إذا هزمت شر هزيمة فرأينا أن نلفت نظر الحكومتين الألمانية والعثمانية للرد على هذا التصريح وقابلنا (أنا وعبد الملك واحمد طاهر)، حتى باشا السفير يوم الاثنين ١١ الشهر وطلبنا منه أن يصرح هو بشىء فى الجرائد عن رأى حكومته

قول وزراء الانكليز بعدم ترك مصر

(٢٧٥)

بشأن مصر وأن يطلب من كبير وزراء ألمانيا مثل ذلك فى أحد خطبه وأن يكتب للباب العالى يلفت نظر الدولة للرد على بونارولو، فى مجلس النواب العثمانى فوافق على كل ذلك ووعد بالعمل، عدت إليه بعد يومين فقال لى إنه أرسل تلغرافاً للدولة بطلبنا وأنه تكلم مع هرتلنج فوعده بالنظر ولكنه لم يعده وعداً صريحا بأن يرد فى إحدى خطبه المقبلة ولم يقل شيئاً عن الحديث الذى كان وعد بنشره فى إحدى الجرائد. بعد ذلك قررنا إرسال تقرير بهذا المعنى للآستانة من ثلاث صور لأنور باشا وطلعت باشا ونسيمى بك ناظر الخارجية وكتبناه فعلا وأرسل لجاويش لتقديمه.

يوم الأربعاء ٢٠ مارث، ورد من جاويش تلغراف يقول فيه أنهم قرروا سفر شكيب بك إلى بودابست والدكتور توفيق أخ فؤاد مع الدكتور عبد العزيز عمران إلى ويانه وأن يسافر من هنا ليلحق بهم اسماعيل كامل، وعوض البحراوى أحدهما إلى ويانه والآخر إلى بودابست لعمل حركة فى هاتين العاصمتين وأنه أرسل خمسين جنيه للبحرواى مصاريف سفره إلى الآستانة ومائة جنيه للحزب. فتذمر إخوانه وقالوا كيف يجوز لمن بالآستانة أن يصدروا قرارات ثم يبلغونها للجنة فى برلين لتنفيذها، ان هذا قلب موضوع، لأن القرارات لا يمكن صدورها إلا من اللجنة. وأخذوا يشنعون على الدكتور فؤاد بل وعلى جاويش هم الذى ينقاد لمثل فؤاد. وأخيرا قرروا أن يرسل له تلغراف بأن اللجنة لا توافق على هذا القرار وأن ينبه على من تقرر سفرهم من الآستانة بعدم السفر وأرسل له التلغراف فعلا بامضائى، ثم حرروا تقريرا مطولا بهذا المعنى ووقع عليه الجميع وأنا بالطبع وأرسل يوم ٢١ منه عن يد السفارة،

(١) صحة الاسم هو : بونارلو Bonarlaw ، وهو من حزب المحافظين ، وكان رئيسا لوزراء انجلترا خلال سنتى ١٩٢٢ ، ١٩٢٣ ولم يستطع البقاء فى رئاسة الوزارة طويلا لمرضه . كان من أشهر مبادئه : الهدوء والاستقرار Tranquillity and Stability وأثناء رئاسته للوزارة ، استطاع وزير خارجيته لورد كرزون Lord Curzon أن يعقد اتفاقية مع تركيا لاعادة السلام الى شرق البحر المتوسط .

أما أنا فكنت واقفا موقف المتفرج على هذه الأعمال الصبيانية التى لا يراد منها الا ظهور الجاويش بمظهر الرئيس الآمر وأن اخوانه الذين يعتمد عليهم غير راضين عن هذه التصرفات ، فتركتهم يقررون ما يشاؤون بدون أن أظهر بمظهر المنتقد أو المتشفى .

(٢٧٦)

فى يوم ٢٢ منه ، دخلت إحدى المستشفيات الخصوصية لعمل عملية القيلة المائية ومكثت بها لغاية يوم الأربع ٢٠ أبريل وقد شفيت ولله الحمد .

فى ٢١ منه ، ابتدأ هجوم عام من جهة ألمانيا ضد فرنسا وانكلترا وتقدم الألمان تقدما عظيما بعد أن اخترقوا صفوف أعدائهم فرأينا أن نرسل تلغرافات تهانى للقيصر والوزير الأول وللمارشال هندنبورج وقد أرسلوا فعلا. وهذا نص التلغراف المرسل إلى الامبراطور وقد نشرته جميع الجرائد تقريبا واشارت إلى التلغرافين الآخرين (١)

وقد أرسلت الخارجية جوابا إلى بالشكر باسم الامبراطور وآخر باسم الوزير الأول .

خطاب خليل فى مجلس نواب الآستانة وردنا عليه

فى يوم ٤ أبريل ، نشرت الجرائد تلغرافا من الآستانة يفيد ان خليل بك ناظر العدلية والقائم بأعمال الخارجية صرح فى مجلس النواب (عند التكلم على معاهدة الصلح مع الروسيا ومع أوكرانيا وبناء على ذكر شكيب بك أرسلان لمصر عند التكلم فى هذا الموضوع ) بأن مصر كانت ولم تزل عثمانية ويجب أن تبقى كذلك، ولم يشر مطلقا لامتيازات مصر وحقوقها كأنه يريد أن يقول بأن مصر

(٢٧٧)

يجب أن تكون ولاية عثمانية بسيطة ، ولما اطلعنا على هذا الخبر وجدت أن أعضاء اللجنة مشروحين مسرورين جدا منه لأن هذا التصريح كان بناء على مسعى من الشيخ جاويش بناء على تقرير أرسلناه له من هنا بمناسبة تصريح بونارولو ولويد جورج (كما هو مشروح بصحيفة ٢٧٤ ) لتقديمه لطلعت باشا وأنور باشا وناظر الخارجية، فأظهرت لهم أن سرورهم فى غير محله لأن الوزير لم يشر إلى امتيازات مصر بكلمة بل قال ان مصر لنا Egypten ist unser كما فى التلغراف الألمانى وأنه يجب علينا ان نستدرك على هذا التصريح بشيء يفيد أننا محافظون على حقوق مصر وامتيازاتها فوافقوا بعد

---

(١) غير موجود بأصل المذكرات .

تردد قليل الا أحمد طاهر فقال بعدم ضرورة ذلك ، أما حمزة فكان أشد اعتراضا مني على تصريح خليل بك وأظهر عدم ثقة بالحكومة التركية ما كنت أتوقعها منه . وأخيرا اتفقنا على ارسال تلغرافات لطلعت وأنور وخليل بالشكر على هذا التصريح وبالتعبير عن أملنا بأن النصر النهائي يعيد لمصر حريتها واستقلالها الداخلي . وأرسلت هذه التلغرافات فعلا أمس واليوم، وأرسلت صورها لشركات التلغرافات . ثم نشرت رسالة فى جريدة فوسيشه زيتونج بمعنى التلغرافات لافهام الأتراك بأننا لهم بالمرصاد وبأننا لانتركهم يقولون مايشأون بشأن بلادنا بدون اعتراض، وكتبت رسالة مطولة فى هذا الموضوع ستنشر فى نشرة الحزب الوطنى التى تصدر فى ابريل الجارى.

فى يوم ٥ أبريل صدر البلاغ الرسمى الألمانى وفيه ذكر جبهة فلسطين كأنها جبهة ألمانية، وذكر فيه بأن الألمان مع الترك صدوا الإنكليز شرق نهر الأردن وهذا يدل على عجز الأتراك عن مقاومة الإنكليز واضطرارهم لقبول معاونة الألمان العسكرية لهم، وهو الأمر الذى كان يرفضه دائما جمال باشا ، وسبب عدم نجاح حملة فبراير ١٩١٥ وما بعدها . نطلب من الله أن يقى مصر شر الأمتين ، التركية والألمانية .

مشروع جمعية أصدقاء مصر

فكرنا فى تأسيس جمعية تسمى (جمعية أصدقاء مصر )القصد منها عمل نشرات واجتماعات لإيقاظ الرأى العام الألمانى بشأن مصر، وحثه على الاشتغال بها وتفهيمهم أن من مصلحتهم تحرير مصر تماما من ربقة الانكليز

(٢٧٨)

وردها لأبنائها ، وتكلمنا فى هذا الموضوع مع حقى باشا السفير فوافق على الفكرة كما وافق عليها كل أصحابنا من كبار الألمان، وقبل الأميرال تربتس Tirpitz (١) أن يكون رئيس شرف لها ، ونحن نفاوض الآن بعض كبار السياسيين ليكونوا ضمن مجلس ادارتها ، ونجتهد فى أن هذا المجلس يشمل رجالا من أحزاب سياسية مختلفة حتى لاينسب لنا التحيز لحزب دون الآخر، والأمل معقود بالنجاح .

فكرة وضع الجمعية تحت رعاية الأمير سعيد حليم

ومن غرائب الأمور أن عوض البحراوى وزملائه ارتأوا انتخاب أحد الأمراء المصريين لتكون الجمعية تحت حمايته وانتهزوا هذه الفرصة لاقتراح التماس هذا الشرف العظيم من سعيد حليم باشا أو على الأقل من أخيه عباس، ولا أدرى ما هو سبب تحيز

---

(١) يعتبر الفريد فون تربتس Alfred von Tirpitz مؤسس البحرية الألمانية ، وكان اول من سلحها لمواجهة حرب الغواصات . ولد تربتس ( ١٨٤٩ ـ ١٩٣٠ ) فى كوستون Küstrin وشغل منصب وزير البحرية من ١٨٩٨ حتى ١٩١٦ .

هؤلاء الجماعة لسعيد حليم، فانهم لايتركون فرصة لخدمته إلا أنتهزوها فاعترضت على الفكرة من حيث هى، ولأنه لايوجد أمير من العائلة الخديوية يليق لمثل هذا الشرف وأخذت أشرح تصرفات سعيد حليم معى ونحو المصريين فى سنه ١٩١٤ عقب إعلان الحرب مما هو مشروح فى مكانه، وقلت انى لاأوافق مطلقاً على أن جمعية تشتغل لتحرير مصر تكون تحت رعاية أو حماية من يحتقر المصريين ويعتبرهم غنما أو عبيداً لعائلة محمد على، فأخذ البحراوى يسفسط سفسطة المحامين النصابين ويقول اننا نريد خدمة مصر والإنتفاع باسم الأمير ولقبه لأن الألقاب لها تاثير فى ألمانيا إلى غير ذلك من الترهات، فشددت فى المعارضة وأخيراً تقهقر بانتظام وارتأى عدم البت فى هذه المسألة فى ذلك الإجتماع ، وفى الإجتماع التالى ترك الموضوع تماما وصرف النظر عن وضع الجمعية تحت رعاية أو حماية أى إنسان اكتفاء برئيس الشرف وباللجنة الإدارية التى ستكون مشكلة من أعاظم القوم .

توغل الترك فى فارس وقفقاسيا

من غرائب الأمور أن الأتراك بعد معاهدة برست ليتوفسك التى ردت اليهم ولايات قارص وباطوم وأردهان أخذوا فى احتلال هذه الجهات ، ولم يكتفوا بها بل توغلوا فى داخل بلاد القوقاز بل وفى ولاية أذربيجان الفارسية بدعوى أن سكانها أتراك

(٢٧٩)

ويجب الحاقهم بتركيا، فأغضبوا الفرس وأغضبوا كذلك أهالى كورجستان من مسلمين أو مسيحيين، ولم يلتفتوا إلى تقدم الإنكليز فى جهات العراق حيث احتلوا كركوك وفى جهة فلسطين حيث اجتازوا نهر الأردن وأخذوا يهددون سكة حديد الحجاز بمساعدة العرب الذين انضموا اليهم .

حديث مع ماتشابللى

ولقد سمعت من البرنس ماتشابللى Macciabelli ، أحد زعماء الكورج (١) فى برلين أنه أتفق كتابة مع طلعت باشا الصدر الأعظم أثناء وجوده فى برلين ذاهبا إلى برست ليتوفسك على أن باطوم تبقى للكورج وكان هذا الاتفاق عن يد الألمان . ولما طلب الأتراك هذه المدينة من الروس وسمحوا هؤلاء لهم بها وأعلنت معاهدة الصلح، سافر البرنس ماتشابللى المذكور إلى الآستانة ليحتج على عمل الأتراك المخالف لاتفاقهم، ولكنه لم ير صدرا رحبا بل عاد حزينا ساخطا على الترك والألمان معا .

---

(١) يقصد بعبارة الكورج : جورجيا ( انظر ص ٢٨٢ من هذه المذكرات ، وانظر أيضا ما كتبه فريد فى الصفحة نفسها عن : ما تشابللى .

حديث مع جوبرت

على أن الألمان غير راضين عن هذه السياسة بدليل أنى سمعت من المسيو Goppert أحد كبار موظفى الخارجية انتقادا مرا على طمع الأتراك فى توسيع ملكهم من جهة الشرق والشمال ، بينما هم يتركون الانكليز يفعلون ما يشاؤون فى العراق وفلسطين ، وقال لى بأن الألمان لاموهم على هذا الإهمال وألزموهم بارسال جنودهم التى فى القوقاز إلى جهة كركوك لصد الإنكليز عن الموصل ، كما الزموهم بعدم احتلال مدينة تبريز عاصمة اذربيجان ( كان هذا الحديث مساء الأثنين ٢٧ مايو ١٨ ) ومما حكاه لى أن الأرمن هزموا فرقة تركية فى جهة أدرينه (١) مؤلفة من نحو خمسة عشر ألف . وهذه أول وقعة هزم فيها الأرمن مثل هذه القوة العظيمة ، وأن هذا الخبر وصل رسميا إلى الخارجية وكان له أسوأ وقع حيث زاد السخط على سياسة الأتراك الحالية المبنية غلطا على ترك سياسة الجامعة الإسلامية والتمسك بالجامعة التركية أو الطورانية كما يسمونها ، وقال لى ، كما قال لى كثير من الألمان ومنهم المسيو زمرمان وزير الخارجية السابق ، أن الألمان لم يتحالفوا مع الترك لأنهم دولة تركية بل لأن دولتهم دولة

(٢٨٠)

الخلافة الإسلامية .

فى أوائل مايو حضر إلى برلين عبد الرحمن أفندى عزام مسافراً إلى طرابلس الغرب عن طريق ثغر بولا Pola التابع للنمسا على بحر الأدرياتيك بواسطة غواصة ألمانية ، ووصل معه البرنس عثمان فؤاد من العائلة المالكة العثمانية لهذه الغاية . وقد أقام هنا نحو خمسة أيام ، اتفقنا معه فى خلالها على أن يجتهد فى إيجاد صلة مخابرات بينه وبين مصر لمعرفة الأخبار الحقيقية ، ولتوصيل وتوزيع بعض نشرات نطبعها هنا ونرسلها اليه بواسطة الخارجية والبحرية . وهو ساخط أشد السخط على الأتراك وسياستهم الجديدة الطورانية ويقول بأنه لم يبق فى الآستانة باقيا على سياسة الجامعة الإسلامية إلا أنور باشا فقط ، وقد سافر يوم ٧ مايو ، رافقته السلامة .

سفر عبد الرحمن افندى عزام الى طرابلس الغرب

هذا الشاب من الأتراك المتطرفين وهو رئيس تحرير جريدة هلال التى تصدرها جمعية الاتحاد بالآستانة باللغة الفرنسية ، قدم إلى النمسا وألمانيا بمأمورية هى القاء محاضرات فى أصل الترك وفتوحاتهم وأعمالهم وتمجيد تاريخهم وإظهار ضرورة اتحاد الألمان معهم إلى غير ذلك ، وقد ألقى هنا خطابا فى ٢٥ مايو وآخر يوم الثلاث ٤ يونيه بالفرنسوية ، لم يكن لها تأثير حسن لأنه بالغ فى ذكر تاريخ الترك وتمدنهم

خطبة محمد على توفيق فى برلين يوم ٢٥ مايو

(١) المقصود بها : أدرنة .

ولم يذكر شيئا عن العرب مطلقا ، وكل الألمان هنا مجمعون على أنهم إنما يحالفون الترك لأنهم يمثلون الإسلام ليس إلا .

وصول عبد الرحمن عزام الى طرابلس الغرب

في ٥ يونيه ، وصل إلينا جواب من عبد الرحمن أفندى عزام يفيد وصوله إلى جهات طرابلس يوم ١٨ مايو ويطلب منا أن نرسل له مطبعه من النوع الصغير الذى يطبع كتابة اليد مما يسمى (Ronos) أو ما شاكله ، مع جانب من الورق ليطبع عليها منشورات يرسلها لمصر ، وأخبرنا بأن شابا من الذين كنا نعتقد أنهم استشهدوا على ضافه قنال السويس فى فبراير سنة ١٩١٥ ، اسمه على إبراهيم من تلامذة المدرسة الحربية بالآستانة ، كان جريحا ووقع فى أسر الإنكليز وأنه هرب من الأسر ووصل أخيراً إلى طرابلس وانضم إليهم ومعهم شفر (١) من الأخوان بمصر لإيجاد صلة كتابية بيننا وبينهم ، والجواب وصل عن يد نظارة البحرية .

حديث مع محمود خان سفير ايران فى الآستانة

يوم ٨ يونيه ، توجهت لزيارة محمود خان وكان معى عبد الملك حمزة وأحمد طاهر وكان مدار

(٢٨١)

الحديث على علاقة الدولة العلية بايران . فأخذ الرجل يشرح ما فعله الأتراك فى بلاد فارس عندما دخلوها بصفة أصدقاء لمحاربة الروس والإنكليز وما ارتكبوه من الفظائع من قتل ونهب وسبى ، مما حبب الإيرانيين فى الإنكليز والروس .

راى محمود خان فى سياسة الترك

وقال من ضمن حديثه بأنهم ضربوا حاكم مدينة (صادوق بولاق) بالرصاص ، وكانوا يكرهون الأهالى على أخذ العملة التركية الورق بسعر الذهب ويعاقبون من يخالف هذا الأمر بالضرب الموجع ، مع أنهم لم يفعلوا ذلك فى بلادهم نفسها ، كما أن الإنكليز والروس لم يكرهوهم على مثل ذلك ، وقال ان رؤوف بك قيوادن حميدية المشهور كان يقود فرقة هناك وحدث أن أحد جنوده اغتصب امرأة فقتله أهلها فأمر رؤوف بك بضرب البلدة بالمدافع حتى خربها وهدمها على رؤوس أهلها ، وقال إذا كانت هذه أعمالهم وهم آتون بصفة محالفين فماذا تكون لو تملكوا وسادوا فعلا ؟ إن الأتراك أضاعوا فرصة عظيمة لإعادة مجدهم باتحادهم مع المسلمين ، ولكن جهلهم وكبرهم جعلهم سكروا بإنتصارهم فى الدردنيل فشمخوا بأنوفهم وطغوا وبغوا ، وأخذ يطيل الشرح فى هذا الموضوع وقال أخيراً بأنهم يفتحون

---

(١) الشفر Chiffre : الرموز السرية بالاصطلاح المصرى .

الآن إقليم اذر بيجان بدعوى أن سكانه من الترك ، مع أن هذا غير صحيح ، وأن الحالة ساءت بينهم وبين الألمان حتى أن الجنرال ليمان فون سندرس ، قائد فيلق الشام الذى يحارب الإنكليز الآن فى فلسطين ، اضطر لإرجاع جميع من كان عنده من ضباط الألمان لعدم إمكان إتفاقهم مع الضباط الترك ، وأنهم لما كانوا معا فى فارس وصلت الحالة بينهم إلى المحاربة فعلا ، وهذا قاله لنا رؤوف عندما كان هذا الشتاء ببرلين ودونته فى وضعه ، وقال السفير فى الختام بأن الفرس لا يقبلون سيادة الأتراك ولا تحكمهم ، بل جل أملهم الإتحاد الإسلامى المبنى على المساواه فى الحقوق . ولما خرجنا أظهر عبد الملك سخطه على الأتراك وكذا أحمد طاهر مع أنه من أكثر هذه الفئة تعصبا لهم .

فكرة اعادة نشر مجلة مصر بالألمانية

كنا يوما مجتمعين ، فقال عبد الملك هل هناك مانع من إعادة إصدار مجلة مصر التى كان يصدرها البحراوى وإسماعيل كامل فى جنيف وتكون هذه الدفعة باللغة الألمانية ، فتكون متممة لنشرة الحزب الوطنى التى تصدر بالفرنساوية ( وهى تلك المجلة التى كلفهم الشيخ جاويش بإصدارها فى جنيف فى النصف الثانى من سنة ١٦ واحتججت وقتها على صدورها بجواب أرسلته لأنور باشا وموجودة صورته فى مكانها واحتجبت بعد صدور أربع أعداد منها لعدم قبولهم الرضوخ لمراقبتى ومباشرتى لها بصفة رئيس الحزب ) يريدون إعادتها الآن بموافقتى فقلت : (١) لها مخصصات من الدولة تضمن دوام نشرها

(٢٨٢)

بانتظام . فقال أحدهم ، وأظنه إسماعيل كامل ، ان مصاريفها تؤخذ من المبالغ المخصصة لأعمال الحزب ، فقلت إن تلك المبالغ قليلة و الأولى أن تعمل أولاميزانية عما تتكلفه هذه المجلة مع مراعاة أن ثمن الورق دائما فى صعود متزايد وعندها ينظر فى الأمر ، وعلى ذلك سكتوا وأجلت الفكرة إلى أجل غير معين . أما أنا فلا أوافق مطلقا على إعادتها وسأصدر نشرة الحزب من أول سبتمبر أى بعد عطلة الصيف بالفرنساوية والألمانية حتى تصبح مصر بالألمانية لا معنى ولا ضرورة لها .

صدرت فى جنيف فى أواخر سنة ١٧ رسالة بقلم إنكليزى واسمه Wilemore كلها مدح فى الإنكليز ، ويريد كاتبها أن يثبت أن مصر تقدمت كثيراً فى عهد الاحتلال

(١) يستقيم المعنى لو اضيفت ( هل ) قبل ( لها ) .

وأن المصريين راضون عن السيادة الإنكليزية ويودون بقاءها ، فانبرى له إسماعيل لبيب وكتب رداً علنيا دحض فيه أقواله بحجج رسمية ، فطلبت منه أن يرسل منها عدداً كبيراً لتوزيعه مع نشرة الحزب ، وقد وصلني منها اليوم ١٧ يونيه (ستون) نسخة سأوزعها مع عدد يونيه الذي سيصدر في آخر الشهر ، لأني عزمت على السفر في آخر هذا الشهر أو في أول الآتي للرياضة والإستحمام بالمياه المعدنية حسب عادتي.

رسالة اسماعيل بك لبيب

وقد طلبت أن أذهب إلى سويسرا وكلمت مستشار السفارة في ذلك ، فقال لابد من الإستئذان من الآستانة حسب التعليمات الأخيرة وكتبت فعلا تلغرافيا بذلك يوم الجمعة ٢٤ الجاري (يونيه ١٩١٨).

في يوم الجمعة المذكور ، قابلت البرنس ماتشابللي الجورجي Géorgien مفوض حكومة القوقاز أو بالأحرى جمهورية الجورج Géorgie وسألته عن حالة علاقات حكومته مع الأتراك فقال : إن خليل بك ناظر العدلية ورئيس الوفد التركي الموجود الآن في باطوم للمخابرة مع سكان القوقاز ، أكره حكومة الجورج على أن تتنازل للدولة عن ولايتين أخريين خارجتين عما سمح لها باسترداده بمقتضى معاهدة برست ليتوفسك (١) وأن الألمان غير موافقين ولا معترفين بهذه المعاهدة ، أما الحكومة الألمانية فاعترفت بجمهورية جورجيه وهي تتخابر معها الآن في عقد معاهدات تجارية واقتصادية . وقد انتقل المتخابرون من الطرفين من باطوم إلى برلين إظهاراً لسخطهم على الترك وتصرفاتهم ، وأن الترك غير ممثلين في هذا المؤتمر .

تنازع الترك وألمانيا في مسألة القوقاز

(٢٨٣)

وكنت قابلت قبلها بيوم المسيو ويزندونك فسألته عما جاء بجرائد ذلك اليوم من عقد معاهدة سياسية بين تركيا بمعرفة خليل بك ناظر العدلية مع حكومة ققفاسيه الجنوبية ، فتبسم وقال إن هذه الجمهورية لا وجود لها فقد انحلت وحل محلها جمهورية جورجيا .

---

(١) عقدت هذه المعاهدة في ٣ مارس سنة ١٩١٨ في مدينة برست ليتوفسك (أوكرانيا الغربية) بين كل من روسيا في جانب وألمانيا والنمسا وبلغاريا وتركيا في جانب آخر ، في ظروف دعت روسيا الى وقف الحرب بأي ثمن بسبب نشوب الثورة الشيوعية . وقد نصت المعاهدة على تنازل روسيا عن سيادتها على بولندا الروسية وليتوانيا ولاتفيا واستونيا وبعض جزائر بحر البلطيق ، كما تعترف باستقلال أوكرانيا وجورجيا وفنلندا ، وتنص على قيام روسيا بدفع تعويضات قيمتها ستة آلاف مليون مارك ذهبي . وقد أصبحت هذه المعاهدة ملغاة بعد توقيع معاهدة فرساي فيما بعد .

(أحمد عطية : القاموس السياسي ، ص ص ٦٣ - ٦٤) .

وفى مساء يوم الجمعة وكان عندى ضابط ألمانى مدعو على العشاء وهو كان فى باطوم مع الوفد الذى كان به ويزندونك ممثلا للخارجية ، فسألته عن رأيه فى مسائل القوقاز فأخذ يسب ويلعن فى الأتراك قائلا غير أكفاء لإدارة أمورهم يقتلهم الكبر والجهل معاً ثم شرح لى حالة القوقاز بما ينطبق على ماقاله لى البرنس ماتشابللى تماماً .

والخلاصة أن الأتراك غير مهتمين باسترجاع بلاد العراق ولا فلسطين ، يسعون لإحتلال بلاد القوقاز وولاية اذربيجان الفارسية لتقوم مقام ما يفقدونه من بلاد العرب وفات هؤلاء الحمقى أن متاخمة الإنكليز لهم من الجزيرة إلى البحر الأبيض خطر جسيم عليهم، وأنهم بعد ذلك يفقدون سوريا بلا محالة ، أما بلاد قافقاسيا واذربيجان فلن ترضى بحكمهم مطلقاً ويجدون مساعدة فى المستقبل من ألمانيا فينالون استقلالهم ، فضلا عن أن هذه السياسة قبل مملكة فارس تلقى بهذه الدولة فى أحضان الإنكليز أو الألمان .

أما ما يخبئه المستقبل للترك من جهة الألمان فأظنه أشد خطراً من كل ذلك .

جمعية تحرير مصر

تشكيل هذه الجمعية سائر فى طريق حسن ، وقد قبل أنور باشا أن يكون ضمن لجنتها الشرقية وكذلك سعيد حليم وأخيه عباس، وقد وافقت على ذلك ، وقبل الخديو عباس أن يكون رئيس شرف لها ودفع قيمة تبرعه السنوى وقد قدره بخمسماية (٥٠٠) جنيه عثمانى ، كما قبل أن يكون فى تلك اللجنة **Stresemann** رئيس حزب الأحرار والمسيو **Westarp** رئيس حزب المحافظين بمجلس النواب الألمانى وكثير غيرهم . وقد عرضنا الرئاسة الفعلية على أخ زوجة جلالة القيصر فأتى الرد من كاتبه الخاص بالتشجيع وبمساعدة الجمعية وحمايتها ، ولكنه أرجأ الجواب النهائى بعد عودته من سفره إلى بلاد أكرانيا .

فى يوم ١٩ يوليه ، سافرت إلى سويسرا بقصد الاستحمام فى مياه **Tarasp** التى كنت بها عام ١٩١٦ ، ولزيارة الإخوان . وقد وصلت جنيف يوم ٢٢ منه ولكن لم ألبث بها

(٢٨٤)

إلا قليلا حيث وصلنى فى يوم ٢٢ منه تلغراف من اللجنة ببرلين بأن الخديو سيصلها فى ٢٤ منه ، ويحسن أن أكون هناك لمقابلته مع اللجنة لعلنا نوفق إلى العمل معه ،

سفرى الى سويسرا

فسافرت يوم السبت ٢٧ منه ، ووصلت برلين صباح الثلاث ٣٠ منه فعلمت أن

الخديو سافر إلى ميدان القتال لزيارة الإمبراطور . وقد عاد فعلاصباح أول أغسطس فذهبت إلى اللوكاندة النازل بها مع عوض البحراوى ، ولكن لمشغولية الخديو بمقابلات محددة من قبل أرسل إلينا معتذراً ومحدداً الساعة العاشرة من اليوم التالى (الجمعة ٢ أغسطس) لمقابلته فعدنا إليه فى الميعاد المضروب ،وتكلمنا طويلامدة ساعة . وكان أهم مابالحديث استعداده للسير معنا وتعويض ما فاتنا فى الأربعة سنوات الماضية بسبب التفريق الذى أوجده سعيد حليم بين المصريين من جهة وبين الخديو والأتراك من جهة أخرى بسبب منعه من مصاحبة الحملة المصرية ، وتصرفات جمال باشا مع رجاله حتى اضطر إلى ترك الآستانة ، فقلت حينئذ ان سعيد حليم لم يكتف بذلك بل سعى كثيراً لدى ألمانيا فى أن يعين خديوياً لمصر أثناء الحرب وكان يذكر سفراء الدول المحالفة للدولة فى كل اجتماع أو مقابلة للسفراء فى الباب العالى (١) ، وحملت على سعيد حليم حملة منكرة أمام عوض البحراوى الذى كان من أكبر المشتغلين مع الشيخ جاويش وجماعته وبالأخص مع عبد الملك حمزة فى ترويج سياسة سعيد حليم .

وعودتى منها لسبب مجىء الخديو الى برلين

وأخيرا ، اتفقنا على أن الخديو يقابل أصحاب الجرائد فى صباح السبت والاثنين والثلاث بحضورنا . وفى اليوم التالى ( السبت ٣ أغسطس ) توجهت بمفردى وقدمت له المسيو استاين من كبار محررى جريدة الفوس Vossische Zeitung فحادثه حديثاً طويلا نشر فى عدد اليوم نفسه فى طبعة المساء . والسبب فى ذهابى بمفردى هو أن جماعة اللجنة أرادوا أن لا أكون حاضراً فى كل المحادثات بين الخديو والصحافيين. فقال لى عبد الملك إن الأحسن أن نتوجه فرادى إذ لا ضرورة فى أن نكون دائماً اثنين فأنا أتوجه مرة وهو أخرى وعوض المرة الثالثة وهكذا . فرفضت وقلت أما أنا فأوجد فى كل اجتماع ولا بأس أن يكون أحدكم معى إن أردتم فظهر عليه الامتعاض وتبسم بسمة صفراء كلها غيظ ونفاق .

تشييع جنازة حقى باشا سفير الدولة ببرلين

حضرنا جميعاً حفلة تشييع جنازة المرحوم إبراهيم حقى باشا سفير الدولة فى برلين الذى توفى مساء الإثنين ٢٩ يونيه وشيعت جنازته بعد ظهر يوم الجمعة ٢ أغسطس إلى الآستانة على قطار البلقان وصادفت فى الجنازة المسيو زمرمان وزير الخارجية الأسبق وتكلمنا طويلا ، ثم طلب أن يقابل .

(١) المقصود أن سعيد حليم كان يذكر السفراء فى كل مناسبة بطلب تعيينه خديويا لمصر أثناء الحرب .

الخديو فحدد له يوم الثلاثاء بعد الظهر (٦ أغسطس سنة ١٩١٨).

من غرائب الأمور أن إسماعيل لبيب لما قابلني في زوريخ يوم ٢٨ يوليه ، أخبرني أن البرنس محمد على النازل الآن في لوسرن أتى ذات يوم إلى برونيخ Brunig حيث يقيم هو وعلى الشمسى وتناول طعام الظهر معهما ، ثم أخبره في أثناء الحديث أن أستاذاً ألمانياً قابله وعرض عليه مشروع لجمع كلمة جميع المصريين الموجودين في سويسره ، وتأليف مكتب منهم يشتغل لصالح مصر ، وأن يصرف على هذا المشروع من طرف ألمانيا بواسطة الأمير محمد على المذكور ، فرفض إسماعيل بك المشروع قائلا انه لا يكون عضواً في جمعية يكون أعضائها كالأنعام يؤمرون فيأتمرون مقابل دراهم معدودة تصرف لهم شهرياً .

مشروع ألمانى بتأليف جمعية مصرية فى السويس

لما عدت إلى برلين أخبرني عبد الملك حمزة بأن المدعو المسيو ريشتر Richter من قلم المخابرات الشرقي تكلم معه في مثل هذا المشروع أو فيه نفسه ، ولما ذهبت إلى القلم المذكور كلمني فيه كذلك ريشتر المذكور والمسيو هاس Haas القائم برئاسته موقتاً أثناء غياب المسيو متووخ Mittwoch وكلمني فيه أيضاً ، فتجاهلت ما علمته من لبيب وسألته هل قابل الأمير محمد على فقال نعم ، فتأكدت أنه هو الذى حادث الأمير في هذا الأمر ، ثم سألته هل قابل محمد فهمى ، فقال نعم فعلمت أن المشروع صادر من فهمى بالإشتراك مع المسيو فالك Falk مكاتب جريدة فرنكفورت في سويسره ، والذى طردته ولاية جنيف من عامين لاشتراكه في تهريب بضائع لألمانيا ، وهو صديق فهمى من قديم والواسطة في استخدام الألمان له مقابل مرتب شهرى . لما شرح المسيو هاز المشروع قلت له إن كل جمعية خارجة عن دائرة الحزب الوطنى تكون مضرة ضرراً تاماً ، وإذا كان لابد من تأسيس شيء من هذا القبيل فلتكن لجان فرعية لذلك الحزب تابعة للجنة المركزية الموجودة الآن في برلين ، فقال نعم نعم هذا هو المقصود ، ثم قلت له إن كنتم تفكرون في محمد فهمى لإدارة مثل هذا العمل فهذا رأى عقيم ، لأن فهمى غير محترم وغير محبوب من الشبيبة الموجودة هناك ، وكثيراً ما تشاتم بل تضارب معهم ولهم قضايا نظرت في محكمة جنح جنيف حكم فيها له أو عليه ، والأولى أن مثل هذا العمل يكون تحت رئاسة إسماعيل بك لبيب ، لأنه عضو من اللجنة الإدارية ومحترم لسنه ولشخصه ومسموع الكلمة ، فاستعمل المكر في الجواب وقال إننا لم نفكر في الأشخاص للآن ، ثم

إنصرفت على أن نعود لهذا الموضوع ثانياً . بعد ذلك أخبرت رجال اللجنة بهذا الحديث وبما سمعته من لبيب، فوافقوا على ما أجبت به .

**(٢٨٦)**

فى يوم الإثنين ٥ أغسطس ، كنت فى اللجنة فأخبرت حمزة بأن المسيو هاز صاحب مشروع الجمعية المصرية بسويسره كلفه تلفونياً طالباً من اللجنة أن تحدد له موعداً للحضور و التكلم فى مشروعه ، وأنهما اتفقا على أن الإجتماع يكون فى صبيحة الأربعاء ٧ منه ، وبما أنى كنت عازماً على النزول إلى البلد فعرجت على قلم الإستخبارات وقابلت هاز وتكلمنا ثانياً فى الموضوع فوجدت أنهم عدلوه بحيث صار يلائم أفكارنا ، وهو أن تكون هذه الجمعية بصفة لجنة فرعية للحزب الوطنى يرأسها أحد أعضاء اللجنة المذكورة مثل إسماعيل لبيب مثلا ، ثم تصادف أنى قابلت وزندونك Wesendonck فى الخارجية يوم الثلاث ٦ منه بخصوص جواز سفرى ثانياً إلى سويسره ، وتكلمنا فى هذا الموضوع ، فوجدت كلامه موافقاً لكلام هاز وزاد عليه بأنه يرى من الأوفق (١) لجنة فرعية كذلك بالآستانة ، ولقد أخبرنى بأنه هو كذلك سيسافر الى سويسرا قريباً ، وأننا ربما نتقابل هناك مع هاز ومع إسماعيل لبيب .

مشروع لجان فرعية للحزب الوطنى فى سويسره والآستانة

فى يوم الثلاثاء قدمت للخديو الكونت رفنتلو وكان معى حمزة فتكلم الخديو مع الكونت بحضورنا أكثر من نصف ساعة ، ووعد الكونت بأن يكتب مقالة أو أكثر فى جريدته يضمنها ما سمعه من الخديو .

من غرائب السياسة الألمانية أن الحكومة أوعزت لجرائدها الشبيه بالرسمية بألا تنشر للخديو أحاديث ولذلك بعد أن وعدنا مكاتب جرائد ألمانيا الشمالية وجريدة كلونى Cologne بنشر حديث للخديو ، واتفقنا مع الخديو على أن يقابله فى صباح الثلاث قبل رفنتلو، عدلنا عن ذلك وأخبرنا الخديو بأن الرجل مرض فجأة واستكتبناه جواباً بهذا المعنى لعارف باشا ، فيظهر من ذلك بأن القابضين على أزمة السياسة بنظارة الخارجية أوخارجاً عنها ، وجدوا أن ناظر الخارجية تورط أكثر من اللازم فى خطابه الذى ألقاه فى وليمة الخديو فأرادوا تخفيف تأثيرها بهذه الطريقة ، أى بإسكات الجرائد الرسمية أو الشبيهة بها .

تقهقر السياسة الألمانية فى مسألة الخديو ومصر

---

(١) هكذا ورد بالأصل . ويستقيم المعنى لو اضيفت كلمة ( تشكيل ) قبل كلمة ( لجنة ) .

كنت فى أوتيل كيزر هوف عصر يوم ٦ منه ، وأخبرنى رجال الخديو بأن فؤاد سليم المصرى قديما وسفير الدولة الآن فى برن ، أتى إلى برلين ونزل معهم ومعه محمد كنج بن شاكر باشا ، مع أن الشيخ جاويش كان أرسل للجنة تلغرافاً يقول فيه بأن فؤاد سيعود مباشرة إلى سويسره ، وأنه ،أى جاويش، غير قادر على المجىء إلى برلين الآن ، وذلك بعد أن أرسل بجواب آخر يقول بأنه سيحضر لبرلين مع فؤاد ، فضايقنى هذا الخبر لأنى أريد مقابلته إلا إذا زارنى هو أولا وخشيت أن رجال

مجىء فؤاد سليم لبرلين

(٢٨٧)

اللجنة وكلهم من محاسيبه ، ربما يريدون دعوته إلى الوليمة التى دعونا إليها جويد بك ، فى مساء الأربعاء ٧ أغسطس. وبعد التفكير طويلا قررت بأنهم لو تمسكوا بدعوته رغماً من معارضتى فلا أذهب إليها وأرسل خبراً بالتلفون فى آخر لحظة مدعياً المرض ، لأنه لا يعقل أنى أكون مقاطعه بسبب تحيزه لسياسة سعيد حليم ، ثم أقبل أن يحضر فى وليمة أنا الداعى إليها ، ولو كان هو فيه ذرة من الكرامة لما يقبل أن يحضر إليها إلا بعد أن نتصالح . بهذه المناسبة أقول بأنى لما قابلت جاويد بك فى الأسبوع الماضى عقب عودتى من سويسرا ودار الكلام بيننا على سفراء الدولة بالخارج، أتى ذكر فؤاد عرضاً فشرحت له تصرفاته معى ومع المصريين مرضاة لسعيد حليم ورجاله عماد الدين وأخيه الدكتور بهجت وهبى وأن هذا الأخير هو الفعال فى سفارة برن ويقيم بالسفارة وله بها مكتب ، وأنه يحسن لو تكلم مع زملائه الوزراء فى الآستانة فى إبعاد بهجت وهبى عنه وفى تفهيم فؤاد ، بمحاسنة المصريين والرد على جواباتهم لو كتبوا له ، لأنه اعتاد على عدم الرد حتى على الجوابات الموصى عليها . فسألنى جويد هل أريد أن يتكلم معه لو أتى إلى برلين فى تحسين علائقنا ، فقلت له لا بأس بشرط أن لا يفهم بأنى أخبرته بشىء مطلقاً فقال طبعاً .
أخبرنى الخديو لما أخبرته بوصول فؤاد سليم ، بأن فؤاد لم يقابله أثناء وجوده بالآستانة مع أن علاقاتهم كانت تحسنت لما كانوا فى برن وبأنه بسبب ذلك لما علم أن فؤاد سيحضر إلى برلين فى القطار البلقانى ، الذى حضر فيه الخديو ، تكلم مع طلعت باشا بأنه لا يحسن أن يسافرا معاً مع هذا التجافى ، فأمر طلعت باشا فؤاد بتأخير سفره وقد حصل .

حديث مع جويد بك بخصوص فؤاد سليم

تأخير سفر فؤاد من الآستانة حتى لا يسافر مع الخديو فى قطار واحد

دعانى الشيخ صالح شريف الى وليمة عشاء مع أعضاء اللجنة وفؤاد سليم

وأدهم بك مستشار السفارة وإسماعيل مشتاق بك سكرتير مجلس الأعيان العثمانى ، فترددت فى قبول الدعوة ثم قبلت مراعاة لخاطر الشيخ الداعى وأدهم بك ، ولما حضر فؤاد ومعه كنج قابلانى بكل إشتياق ، عادة المنافقين ، واشتركنا فى كثير من الأحاديث ولكن بالصفاء المعهود بيننا فى السابق . ثم سافر فى اليوم التالى إلى برن ولم أرافق المودعين بالمحطة ولم أزره كذلك فى اللوكاندة لأنه لم يزرنى فى مسكنى مع أنه زار عبد الملك وإخوانه فى منزلهم .

حديث مع هاز بخصوص الحـركة المصريـة فى سويسره

فى صبيحة الأربعاء ٧ أغسطس،اجتمعنا فى دار اللجنة وأتى هاز فى الميعاد المضروب، وتناقشنا كثيراً فى الموضوع ، وأخيراً اتفقنا على أن ندرس المسألة جيداً فى سويسره مع إسماعيل لبيب ، وأن ندعو جميع المصريين لاجتماع كالذى حصل هنا عند تشكيل اللجنة ونعين لجنة فرعية برئاسة

**(٢٨٨)**

اسماعيل لبيب بك وعضوية اثنين آخرين ينتخبان من بين المعروفين بصدق وطنيتهم (ومن رأيى أن يكون الدكتور عمران أحدهما ) وأن تكون علاقتها معنا رأسا بدون أن يظهر الألمان فى الميدان ، وأن تكون ماليتها من مالية لجنتنا المركزية بحيث لا تحتاج لشىء من الألمان (بالطبع هذا الاتفاق كان بيننا بالعربية ولم يبلغ لهاز إلا ما يخصه فقط ) ، وعلى ذلك انفض الاجتماع على أن أتقابل مع هاز فى سويسره لتنفيذه . وقد عزمت على السفر مساء الأحد ١١ أغسطس ، وكتبت لاسماعيل بك بأن ينتظرنى فى زوريخ لأنى أريد أن أسافر أولا إلى سان مورتس بالجبال St. Moritz بولاية انجادين Engadine ولكنى أخشى أن اسماعيل لبيب يرفض الاشتراك فى هذا العمل بسبب كراهته لجماعة اللجنة ، وعند ذلك أضطر لقبول جعل اللجنة الفرعية تحت رئاسة أحد (١) الفريق الآخر . وسأبذل جهدى فى اقناع لبيب ولو أنى أكاد أن أكون متحققاً من رفضه ، والله يساعدنا بفضله وكرمه .

الفاعيل علوى وزميليه

من أغرب الأمور ما حصل أخيراً من الدكاترة علوى وعدوى وحسن خليفة ، ذلك أن عدوى وخليفة حضرا اجتماع تشكيل اللجنة فى أواخر ديسمبر الماضى ووقعا على محضر تأسيسها (أما علوى فكان باستوكهلم )ولكن قبيل سفرى إلى سويسره فى شهر يوليه ،ورد لى منهم جواب (موصى عليه ) يقولون بأنهم غير راضين عن هذه

---

(١) هكذا وردت بالأصل وهو يقصد احد افراد الفريق الآخر .

اللجنة وأنهم سيكتبون تلغرافاً لرئيس جمعية أبى الهول فى جنيف بالاحتجاج على تشكيلها وبانتخاب لجنة أخرى من المعروفين بصدق الوطنية لتقوم بخدمة البلاد ، ومع الجواب جواب آخر مقفول معنون باسم جمعية أبى الهول يطلبون منى توصيله للجمعية المذكورة فعجبت كثيراً لهذا التصرف خصوصاً وأنى أقابل علوى كثيراً وبيننا التلفون ، وكان من الأليق أن يكلمنى فى هذا الموضوع قبل كتابة مثل هذا الجواب ، لذلك رددت اليه جواب جمعية أبى الهول لعدم امكانى أخذ أوراق معى عند مرورى من الحدود الألمانية ، ولمته لوماً خفيفاً على جوابه الموصى عليه ، فكلمنى ثانى يوم بالتلفون فزدته تأنيباً ثم أخبرته بأن زميليه موافقان على العمل الذى يحتجون عليه الآن فقال بأنهما لم يخبراه بذلك . وبعد ذلك زارنى بمسكنى فشرحت له المسألة من جديد ، ثم سلمته مرتبه عن شهر أغسطس مقدماً واعتقدت أنه اقتنع بما قلته وعدل عن هذه الأعمال الصبيانية التى توجب التفريق ولكن بمجرد وصولى جنيف .

(٢٨٩)

أخبرنى الدكتور توفيق صبور رئيس جمعية أبى الهول الحالى بورود التلغراف إليه وأطلعنى عليه ففهمته حقيقة المسألة فاستغرب كثيراً حصول الإحتجاج بعد موافقة اثنين منهم على العمل :

سياحتى الثانية الى سويسره

سافرت إلى سويسره فلم أجد اسماعيل لبيب فى زوريخ ، ثم سافرت فى اليوم التالى إلى سان مورتس ومنها كاتبته فعلمت منه أن هاز دعى محمد فهمى وعلى الشمسى لمقابلته مرتين فى احدى المحطات الصغيرة القريبة من برونج Brunig ذلك المكان الجبلى الذى كان يقيم فيه لبيب والشمسى ، أما فهمى فكان فى مكان قريب منهما ، وأن فهمى رفض الاشتراك فى أى عمل يكون لى فيه دخل لأنه لا يفهمنى ولا أفهمه ، هذه عبارته لهاز ، وعلى بك رفض لمثل هذا السبب لأنه زعلان منى بسبب عدم موافقتى على رسالته التى طبعها ووجه فيها الكلام للإنكليز طالبا منهم أن يعطوا مصر امتيازات داخلية . أما لبيب فرفض مقابلة هاز بالمرة معانداً كعادته . والغريب فى كل هذا أن هاز لم يقم بتنفيذ ما اتفقنا عليه وهو عدم عمل شىء إلا بعد حضورى واجتماعنا كلنا معا ، والأغرب من ذلك أن كتبت له بمجرد وصولى إلى زوريخ أعلمه بوصولى وأطلب منه أن لا يعمل أى عمل حتى نجتمع ونتفق ، ولكن سوء سياسة الألمان واستعجالهم أدى إلى خيبة المشروع . وكان معى فى سان مورتس الأستاذ متووخ Mittwoch فقابلنى ذات يوم وأخبرنى بأنه ورد اليه جواب من هاز يكلفه فيه

سقوط مشروع تشكيل جمعية مصرية او لجنة فرعية فى سويسره

بأخبارى بأنه قد عدل عن المشروع تماما،ويطلب منى أن أكتب لأعضاء اللجنة فى برلين بعدم الحضور ، فأخبرته بأن الأولى أن تكون الكتابة بالشفر اليهم بواسطة الخارجية ، لأن كل ما أكتبه أنا يطلع (١) جواسيس الفرنسويين والإنكليز فكتب له بذلك ، أما ويزندونك فمع أننا كنا متفقين على الاجتماع معا فانه سافر بدون أن يقابلنى .

رفض الشمسى وفهمى وتصرفات الألمان

ومما يوجب الضحك، أنه تقابل مع الشاب المهووس باهر صدقى فى لوسرن وبحث معه فى مشروع عمل بروباجنده فى سويسرا بواسطة جمعية تضم المصريين الخ الخ ، وطلب لذلك عشرة آلاف جنيه وعند مرورى من لوسرن مساء يوم السبت ٣٠ أغسطس ، قابلنى باهر صدقى

(٢٩٠)

وأخبرنى بتفاصيل هذا المشروع . ثم سافر معى صباح الأحد إلى برونيج لمقابلة لبيب والبحث معه فيه ، وبعد مناقشة طويلة رفضناه كما رفضنا ونرفض كل مشروع تكون نتيجته أن نكون آلات فى أيدى الألمان كالهنود والفرس مثلا ، إلا أنه رفض كذلك الاشتراك فى لجنة فرعية تكون تابعة لنا لعدم رغبته الاشتراك مع حمزة واخوانه فى أى عمل كما كنت أتوقعه .

باهر وصدقى والألمان

أما الشمسى فنزل من الجبل إلى لوسرن يوم السبت حتى لا يوجد به فى وقت واحد معى لأنه لا يريد أن يرانى للأسباب التى شرحتها آنفا .

مكثت بالجبل نحو أسبوع ثم نزلت إلى جنيف ، أما لبيب فنزل إلى زوريخ لمقابلة بعض معارفه بها وحيث كان بانتظاره صديقه على بك الشمسى .

عند مرورى بمحطة لوزان، (٢) بانتظارى بها أحمد أفندى شريف الضابط المصرى بالجيش العثمانى الذى رفت من الجيش وقطعت عنه كل مساعدة، بدعوى أنه يخابر الإنكليز بل انه جاسوس لهم، فأخبرنى بقصته وهى طويلة تتلخص فى أنها كلها دسيسة قبله من أحمد فؤاد، وفؤاد سليم لم يمل اليهم يوم أن كانوا يقولون بارجاع (٣) ولاية عثمانية وأنه الآن يعيش من مساعدة قنصلية النمسا له لأنه يشتغل معها ، ثم قال لى ( وهو المهم ) بأنه تخابر مع الألمان وقابل ويزندونك وأخبره بأعمال فؤاد سليم وأن له علاقات مع الإنكليز بواسطة شاب إنكليزى صديق للدكتور بهجت

احمد شريف وعلاقته مع النمساويين والألمان

---

(١) هكذا ورد بالأصل ، ويستقيم المعنى لو اضيفت كلمة ( عليه ) بعد ( يطلع ) .

(٢) هكذا ورد بالأصل ، ويستقيم المعنى لو اضيفت ( وجدت ) قبل ( بانتظارى ) .

(٣) هكذا وردت بالأصل ، ويستقيم المعنى لو اضيفت ( مصر ) قبل ( ولاية ) .

وهي، وأنه استقى كل هذه الأخبار من امرأة كانت خطيبة لذلك الشاب الإنكليزى ثم تركها، وهى تعيش فى أوتيل انكلترا بجنيف على مصاريف سفارة النمسا (على ما أظن)، وأن دليله على مخابرة فؤاد سليم للإنكليز وحسن علاقاته معهم أنهم أرسلوا له من مصر سمّاية جنيه بينما أنهم يقطعون مرتبات كل من لم يقبل جوازاً إنكليزياً ثم قال لى ان فزندونك سافر إلى بال Bâle وسيعود قريباً إلى لوزان للتكلم فى هذه المواضيع، فأخبرته بأنى علمت من ثقة بأن ويزوندونك عاد إلى برلين فقال إذا كان كذلك فلابد من أنه يرجع قريباً لمقابلتى وأنه سيرسل له بالحضور ثم رافقنى.

(٢٩١)

إلى جنيف لمقابلة صديقة ذلك الشاب الانكليزى، وطلب منى أن يقدمها لى خوفاً من أنها تكون دسيسة للدكتور وهى ليقف منها على أخبار أحمد شريف.

ومما أخبرنى به شريف أن عباس الفار ما زال يشتغل مع الألمان وأنه سافر مراراً إلى ألمانيا سراً بدون جواز فى سيارات السفارة الألمانية الرسمية.

اجتماع ١٧ سبتمبر فى جنيف

بعد وصولى جنيف بيومين، ورد لى تلغراف من عبد الملك حمزة بأنه وصل مع بعض اخوانه إلى سويسره وأنهم سيصلون قريباً إلى جنيف، مع الوقوف فى برن (طبعاً لمقابلة رئيسهم الحقيقى فؤاد سليم) ثم خاطبونى تلفونياً من برن بأنهم حضروا جميعاً أى الخمسة وغايتهم عقد اجتماع بمناسة عيد الأضحى لسنة ١٣٣٦ الذى يوافق ١٥ أو ١٦ سبتمبر. وبما أن هذا التاريخ يوافق تقريباً يوم دخول الإنكليز مصر فى ١٤ منه، فيمكننا فى هذا الاجتماع تجديد احتجاجنا السنوى ضد الإنكليز، وقالوا بأنهم يروا أن يكون ذلك فى برن، فرفضت وقلت بضرورة عقده فى جنيف إذ بها أكثر المصريين، ومن الأسهل انتقال مَنْ فى برن إلى جنيف من العكس فقبلوا. ويظهر أن قصدهم كان جعل مثل هذا الاجتماع فى برن ليكون تحت مراقبة واشراف فؤاد سليم، وليقال بأنه هو صاحب الفكرة. أما أنا فقد كنت اتفقت مع من فى جنيف من الشبان على عمل وليمه فى ذلك اليوم كعادتنا السنوية، وقبلوا أن يدفع كل منهم خمس فرنكات، وإن لم تكف أدفع أنا الفرق. بعد ذلك حضر عبد الملك حمزة واسماعيل كامل وعوض البحراوى ونزلوا معى فى لوكاندة الروسيا، أما محمد على محمد فبقى فى برن وأحمد طاهر لم يحضر إلى جنيف إلا صبيحة الاجتماع لأنه كان فى لوزان، وقال بأن مرضا منعه من الحضور، واتفقنا على جعل الاجتماع فى لوكاندة Belle-Vue

فى مساء ١٧ الشهر ، ولو أن العيد كان فى ١٦ منه ، لنتمكن من إرسال الدعوى إلى المصريين المقيمين خارج جنيف . وقامت اللجنة بدفع جميع المصاريف وتمت الحفلة على أحسن ما يكون . - ضرها مكاتبو الشركات التلغرافية الألمانية ، ونحو عشرون مصرياً وخطبت فى ختامها بما ناسب المقام ، ثم تلوت صورة تلغراف أرسلناه للسلطان فى الآستانة ، ثم خطب اسماعيل كامل فى تاريخ المسألة المصرية وأرسلت الشركات ملخصاً عن الاجتماع وما قيل للجرائد .

(٢٩٢)

ولم يحضره محمد فهمى مع أنه وعد بالحضور ، ولا الشمسى لأنه غضبان (!) كما قلت ، أما اسماعيل لبيب فاتفقت معه تلفونياً على أن يؤجل عودته من زوريخ إلى ما بعد الاحتفال حتى لا يلاحظ عدم حضوره .

وفى أثناء وجود هذا النفر فى جنيف ، أخذوا يجتمعون مع الشبان الموجودين بها تارة بحضورى وتارة سراً لكسبهم لطرفهم ، وسعوا كثيراً لديهم فى تشكيل جمعية مصرية أو لجنة فرعية للحزب تكون تحت رقابتهم ، فرفضوا جميعاً قائلين بأنهم لا يريدون أن يكونوا تابعين لأحد بل يبغون البقاء مستقلين ليمكنهم المناداة بطلب استقلال مصر استقلالا تاماً . وفى إحدى هذه الاجتماعات ورد ذكر فؤاد سليم فشددت النكير عليه ، لعدم زيارته لى فى برلين وتكبره وعجرفته وقلت بشدة وحدة ان كان يرى نفسه وزيراً فأنا أرى نفسى أكبر منه ، وانى لا أحترمه ولا أزوره فى برن رغماً من مركزه الرسمى ، مالم يقم نحوى بالاحترام اللائق الخ الخ ، وقلت ذلك ليبلغ إليه ، فأراد عبد الملك الدفاع عنه لكنه لم يفلح ، أما اسماعيل كامل والبحراوى فحافظا على الصمت ، والخلاصة ، أن هذه الجماعة لم تحسن علاقاتها معى إلا ظاهراً فقط ليتمكنوا من تشكيل اللجنة وأخذ المخصصات لها من الآستانة ، وهم فى الحقيقة ، كما كانوا ، عصبة برئاسة الشيخ جاويش وفؤاد سليم ، يسعون ضد شخصى لقتل اسمى ونفوذى بكل وسيلة . وقد أخذ كل منهم مائة جنيه من نقود الحزب لهذه الرحلة بناء على تلغراف من الشيخ جاويش يقول فيه بأن أنور باشا أمر لكل منهم بمثل هذا المبلغ ، ولكن ربما يتأخر ارساله فليأخذوه بصفة سلفة من نقود الحزب بمقابل رده .

بارحت جنيف يوم الجمعة ٢٧ سبتمبر إلى ألمانيا ، عن طريق زوريخ وعند وصولى قرأت فى الجرائد خبر طلب بلغاريا الصلح منفردة ، فنزل على هذا الخبر كالصاعقة

لاعتقادى بأن تركيا ستضطر لعمل صلح منفرد مع الحلفاء لانقطاع المواصلات بينها وبين ألمانيا ، وعدم إمكان وصول أى مدد إليها ، ولأن الآستانة نفسها تصبح عرضة لهجوم الأعداء عليها من طريق البر ، لذلك ترددت فى العودة إلى برلين قليلا ، وكنت أفضل إطالة الإقامة فى سويسره حتى تعلم نتيجة هذه الأزمة الجديدة ، ولكن وجود نقودى وأوراقى وملابسى فى ألمانيا وعدم وجود من أثق به لتكليفه بجلب هذه الأشياء إلى ، فضلت السفر اضطرارا فبارحت زوريخ يوم الاثنين ٣٠ سبتمبر فوصلت (لنداو (١)) فى المساء ، ولسفر قطار الليل إلى برلين اضطررت لقضاء الليلة بها ، ثم بارحتها مساء يوم الثلاثاء أول أكتوبر ووصلت صباح الأربعاء ٢ منه إلى برلين .

شهر أكتوبر سنة ١٩١٨

ان هذا الشهر كان من أتعس الشهور على الدولة العلية ، حيث انهزمت فيه جيوشها فى سوريا واحتل الانكليز دمشق يوم ٣٠ سبتمبر ، ثم بيروت فى ٨ منه وأخيراً حلب فى ٢٦ منه وبذلك تم لإنكلترا ما أرادت من فتح جميع البلاد العربية . وفيه تقهقر الألمان فى فرنسا وبلجيكا ، وطلبت ألمانيا عقد مهادنة فى ٥ منه ، وبدأ الانحلال فى امبراطورية النمسا والمجر ، وانفصلت المجر تماماً فتشكلت حكومة مستقلة فى بوهيميا وأخرى من صقالية الجنوب تشمل الصرب والكروات وغيرها ، وكذلك قبلت بلغاريا شروط الحلفاء وسلمتهم سككها الحديدية وطرقها النهرية الخ الخ . كل ذلك اجر الدولة العلية لطلب مهادنة توطئة لعقد الصلح ، وكان الواسطة فى المخابرات الجنرال تاونسهند Towenshand (٢) الذى أخذ أسيراً فى واقعة قوت الامارة فى ٢٩ ابريل سنة ١٩١٦ ، فوصلها الرد فى ٢٦ أكتوبر ببيان شروط الهدنة فقبلتها ووقعت عليها فى ٣٠ أكتوبر وعمل بها من يوم ٣١ منه وقت الظهر ، وهى مطولة أهمها : احتلال قلاع البواغيز واستعمالها لترسانات الدولة لصالح بحريتها واستلامها السكك الحديدية والتلغراف اللاسلكى وقطع كل علاقة مع ألمانيا والنمسا وطرد رعايا هاتين الحكومتين فى بحر شهر وتسليم أسرى الحلفاء الموجودون بالدولة مع اعتبار الأرمن

---

(١) لنداو Lindau مركز سياحى بالمانيا الغربية ، بأعلى جزر بحيرة كونستانس Constance.
( انظر : Petit Larousse, p. 1482 )

(٢) صحة الاسم : Townshend, Charles
انظر The Encyclopedia of Military History, 1974, pp. 957 and 963.

المأسورين أو المعتقلين من ضمنهم، وتسريح الجيش العثمانى الا العدد القليل اللازم لحفظ الأمن وتحديد عدده بالاتفاق مع الدولة بعد ذلك، وعدم اتلاف أى شىء من المؤن أو الذخائر أو الأسلحة، وتسليمهم السفن الحربية جميعها الموجودة فى الثغور العثمانية إلى غير ذلك من الأمور المهينة المذلة، ومنها تسليم الجنود العثمانية الموجودة فى اليمن والعسير وبلاد العراق أو الشام وكذلك التى فى طرابلس الغرب .

لما اطلعنا على هذه الأخبار المكدرة، قصدت رفعت باشا سفير الدولة يوم ٢ نوفمبر وسألته : ماذا يكون مركزنا نحن المصريين فى هذه الحالة وقد قطعت كل علاقة بين الدولة وألمانيا وأصبح من المستحيل وصول مرتباتنا الشهرية وما كان يرسل لنا من وقت لآخر للصرف على الأعمال الحزبية لصالح المسألة المصرية، فأجابنى أنه حقيقة غير ممكن ورود نقود مباشرة وربما كان ذلك أسهل عن طريق السويسره، لذلك يرى هو من الأوفق أننا نسافر إلى سويسره فرادى، ونكاتب الدولة من هناك. وقد أخبرت زملائى عبد الملك حمزة وأحمد طاهر الذى عاد من نحو ثلاثة أيام، ثم بعد المداولة اتفقنا على أننا نتكلم فى هذا الموضوع مع بعض المعارف من أركان حرب ألمانيا ومن رجال الخارجية ليساعدوننا كما يساعدون الفرس والهنود مثلا، فان وجدنا مساعدة على شرط أن ننقل مركز العمل إلى سويسره كان بها وإلا سافرنا . أما أنا، فمن فضل الله اقتصدت فى هذه السنة والتى قبلها ما يكفينى ست شهور على الأقل، وكذلك لدى لحساب مجلة الحزب الوطنى مبلغ يكفى لصرف نحو أربعة شهور فيكون مجموع ما لدى يكفينى نحو عشرة شهور، والمظنون أن الحرب لا تدوم مثل هذه المدة لأن جرائد أمس (٢ نوفمبر) قالت بأن الحلفاء اتفقوا على شروط المهادنة التى تطلبها ألمانيا وسترسل إليها قريباً، والمظنون أن ألمانيا تقبلها مهما كانت شديدة لعدم إمكانها استمرار الحرب بمفردها ضد هذا العالم المتفق (١) عليها .

( انتهت الكراسة العاشرة )

---

(١) يقصد بهذه العبارة : العالم المتحد عليها .

# الكراسة الحادية عشرة

من صفحة ٢٩٥ الى صفحة ٣١٦

( نوفمبر سنة ١٩١٨ )

**(٢٩٥) (*)**

انهزام ألمانيا وحالة تركيا

كان هذا الشهر شؤماً على ألمانيا ، إذ قامت فيه الثورة واضطرت الحكومة إلى طلب الصلح بواسطة ولسن رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية . كما اضطر الإمبراطور و ولى عهده إلى الإستقاله والتجآ إلى هولانده وكذلك باقى ملوك وأمراء ألمانيا استقالوا الواحد تلو الآخر حتى أصبحت البلاد فوضى ، أما تركيا فبعد التوقيع على المهادنة احتل الفرنساويون والانكليز قلاع الدردنيل والبوسفور بل الآستانة نفسها ، وأصبحوا هم المسيطرون، وهرب أنور باشا وجمال باشا وطلعت باشا وأغلب رؤساء الإتحاديين إلى ألمانيا خوفاً من المحاكمة على مذابح الأرمن والأروام وعلى ماسرقوه من أموال الأمة ، إما من خزائن الحكومة وإما بالاتجار بالمواد الغذائية والحاجيات الأولية حتى بلغت الأثمان ما لم يخطر على فكر انسان . وبذلك أصبحت إنكلترا محتلة بلاد العراق وما بين النهرين وفلسطين وسوريه وولاية أطنه ولم تترك لفرنسا إلا جبل لبنان وثغر بيروت .

هرب جاويش وبعض المصريين من الآستانة

وقد هرب من الآستانة يوم ٤ نوفمبر ، الشيخ عبد العزيز جاويش وكثير من المصريين المشتغلين بالسياسة والضباط المصريين الذين كانوا تركوا الجيش المصرى وانضموا إلى الجيش العثمانى ، ووصلوا برلين فى ١٩ منه بعد سفر أسبوعين فى أشق

---

(*) نوجه نظر القارئ الى أن جميع صفحات هذه الكراسة ( البالغ عددها ٢٢ صفحة ) مرقمة بالأصل المحفوظ بدار الوثائق بالقلعة برقم مزدوج على هيئة بسط ومقام ، يبدأ البسط برقم (٢١٨) وينتهى برقم (٢٣٩) بينما يبدأ المقام برقم (٢٩٥) وينتهى برقم (٣١٦) ، والترقيم الأخير هو الذى أخذنا به ، نظراً لتمشيه مع المسلسل العام لصفحات هذه المذكرات .

الظروف وأشد الأحوال ، وقد أحضر الشيخ معه لى ولكل من أعضاء لجنة الحزب أربعماية جنيه عثمانى ، إلا أنه حذف من قائمة أعضاء اللجنة اسم إسماعيل بك لبيب إنتقاماً منه لعدم قبوله الصلح معه والاشتغال مع اللجنة . ووضع مكانه عبد الحميد سعيد مع أنه ليس من اللجنة ، ولما لمته على ذلك قال ان الأتراك هم الذين حذفوا اسمه لكثرة إنتقاده عليهم ووصول ذلك إلى آذانهم بواسطة جواسيسهم من الأتراك، ولكن الشيخ صالح الشريف الذى هرب معهم أكد لى أن اسم لبيب حذف بسبب تأثير الدكتور أحمد فؤاد على الشيخ جاويش وكذلك أخبرنى عبد الحميد سعيد بأنه رأى اسم لبيب فى القائمة الأولى ولم يدر سبب حذف اسمه ولكن ظهر لى من خلال كلامه أنه لا يريد قول كل ما يعرفه فى هذا الموضوع ، والأغرب من ذلك أنه ، أى الجاويش ، أضاف اسم أخ زوجته محمد الفولى ، كأنه من اللجنة مع أنه ليس منها بل لم يكن فى وقت من الأوقات عضوا فى الحزب الوطنى .

لما اشتدت الثورة وخيف مجىء الفرنساوية والإنكليز إلى برلين لتسكين الحالة ، رأينا أننا نترك ألمانيا حتى لا نقع فى أيديهم ، فسافرنا إلى سويسرا بعد أن عانينا المتاعب الجسام فى الحصول على الاذن من مندوب سويسرا إلا بشهادات طبية من طبيب رسمى بأن حالتنا تستدعى الإقامة فى الجبال .

## (٢٩٦)

عودتى من ألمانيا إلى سويسرا فى اواخر نوفمبر سنة ١٩

تركت برلين يوم الأربعاء ٢٧ نوفمبر إلى مونيخ ، وكان القطار مزدحماً إزدحاما لم أره فى حياتى مطلقاً ، إذ كان مفعماً بالجند الراجعين إلى بلادهم بلا نظام شاغلين للمقاعد جميعها بالدرجات الأربع حتى اضطررت مع كثيرين إلى الوقوف فى الممشى نحو ثمان ساعات أمكننى فى أثنائها أن أستريح قليلا على حقيبة لأحد المسافرين من سكان أمريكا الجنوبية ، وعند Leipzig أمكننا أن نجلس مكان عائلة نزلت فى تلك المدينة . وصلنا مونيخ بعدتأخير أكثر من ثلاث ساعات أى قبيل ظهر يوم الخميس ٢٨ منه ، وفى المحطة قابلت البارون وزندونك الموظف فى خارجية ألمانيا وعائلته قاصدين سويسرا ، وفى الأوتيل وجدت الشيخ صالح الشريف التونسى ورفاقه أتوا فى نفس القطار ولم نتقابل بسبب الزحام ، ووجدت به كذلك عبد العزيز جاويش وأحمد طاهر وعبد الحميد سعيد وكانوا قد وصلوا فى اليوم السابق مع إبراهيم بك راتب ، وسافروا إلى لنداو فى نفس اليوم الساعة

واحدة بعد الظهر ، أما إبراهيم راتب فتأخر بضع أيام بسبب عدم حصوله على التصريح اللازم من حكومة سويسرا . مكثت فى مونيخ باقى يوم الخميس ويوم الجمعة ثم سافرت منها ظهر يوم السبت إلى Lindau حيث وصلتها قبيل منتصف الليل بسبب إبطال القطار السريع ، وبعد قضاء الليلة بها ، سافرت إلى سويسرا يوم الأحد أول ديسمبر بعد تفتيش العفش بصفة بسيطة فوصلت زوريخ يوم الأحد نفسه فى الساعة السادسة مساء .

قضيت بها تسعة أيام مع الشيخ صالح الشريف وقابلت عزيز باشا عزت ثم سافرت إلى سان مورتس يوم الثلاث ١٠ منه ، وأقمت بها إلى يوم الأربعاء ٢٢ يناير أى بعد أن قضيت بها ٤٣ يوماً قضيتها فى الأكل والنوم والاستراحة التامة .

اقامتى فى سان مورتس

مؤتمر الاشتراكيين فى برن

فى أثناء ذلك لم يحصل ما يستحق التدوين إلا مسألة تقرير إجتماع مؤتمر الإشتراكيين فى برن ، ومسألة مجيء ولسن الأمريكى إلى أوروبا لحضور مؤتمر الصلح ، وقبيل إجتماع مؤتمر الصلح حررت لجنة الحزب الوطنى تلغرافاً إلى رؤساء اللجان الدولية فى المؤتمر المذكور ، يطلبون استقلال مصر ، وبلغونى ملخصه تلفونيا فوافقت عليه وصرحت لهم بوضع اسمى عليه ، وكانوا قد أرسلوا تقريراً مطولا إلى ولسن عن يد قنصل جنرال أمريكا فى برن تعرفوا به بواسطة رجل مجرى ، وكذلك جهزوا تقريراً آخر ليقدم لمؤتمر الإشتراكيين . لذلك استحسنت أن أسافر إلى برن للاطلاع على نص هذا التقرير والتوقيع عليه والاجتهاد فى مقابلة بعض من أعرفهم من أعضاء المؤتمر .

(٢٩٧)

فسافرت يوم الأربعاء ٢٢ يناير ، وقضيت الليلة فى زوريخ ثم سافرت منها فى اليوم التالى إلى برن وكان معى عبد الملك حمزة الذى كان حضر لقضاء بضع أيام معى فى سان مورتس ، بعد أن قضى أكثر من أسبوعين فى مدينة Arosa مع الدكتور مرسى الخولى المريض بالسل ، والمقيم بها من نحو ثلاث سنوات . فى برن وجدت جاويش وعوض البحراوى فأطلعانى على صورة ماجهزوه لمؤتمر الإشتراكيين فوافقت عليه بعد أن أدخلت عليه بعض تعديلات ، وبعد ذلك ترجم هذا التقرير إلى الفرنساوية ( وكان الأصل بالانكليزية ) والألمانية والطليانية وطبعت منه عدة نسخ بهذه اللغات الأربع ، ووزعت على أعضاء (١) . ومن غريب أعمال جاويش

تصرفات جاويش فى برن واجتهاده فى الظهور

---

(١) هكذا وردت بالأصل ويستقيم المعنى لو أضيفت كلمة ( المؤتمر ) بعد ( أعضاء ) .

وجماعته أنهم طبعوا عليها جميعاً (وكيل الحزب الوطنى) ليمضيها الشيخ جاويش مع وجودى معهم ، فشطبت لفظة وكيل واستبدلتها بلفظة رئيس ووقعت عليها بإمضائى. وبالطبع لم يجسر أحد منهم على إنتقاد عملى هذا لأنه قانونى، ولكنهم امتعضوا وتضايقوا وظهر ذلك على وجه الجاويش بصفة خصوصية ، لأن كل سياسته ترمى إلى الظهور قصد الإنجار بما يكسبه من النفوذ كما فعل بالآستانة .

ثم اطلعت على صورة التقرير الذى أرسل إلى لجان المؤتمر بباريس فوجدت ضمن حيثياته عبارة كدرتنى جداً ، وهى أنهم جعلوا من ضمن الأسباب التى يجب أن تحمل المؤتمر على مساعدة مصر ( أن مصر إنحازت لجانب دول الاتحاد من إبتداء نشوب الحرب ) وهى تناقض سياستنا حيث كنا منحازين إلى تركيا ومحالفيها ، وكنا ببرلين نسعى لترويج هذه السياسة فى تأسيس جمعية تحرير مصر تحت رئاسة عباس باشا خديو مصر الذى عزله الإنكليز، ولما لمت جاويش وزمرته على هذا الغلط السياسى قال عوض البحراوى ان المقصود بمصر هى مصر الرسمية فقلت له كان يجب ذكرها بهذا الإيضاح . ومع ذلك فلا يجوز أن نتمسك نحن أعداء هذه الحكومة الرسمية والغير متمسكين بها أو معترفين بها بما تفعله هى، فوافقنى جاويش وعبد الملك على انتقادى حيث يظهر أن الفكرة كانت صادرة من البحراوى ، وفى الحقيقة هو المؤثر عليهم فى كل الأمور بخبثه ودهائه ، أما الشيخ فضعيف جداً وعبد الملك أضعف منه .

ثم طلبت منهم حساب نقود الحزب فارتبكوا لتداخل حساب الحزب فى حساباتهم الخصوصية ، وأخيراً استدعوا الدكتور أحمد طاهر أمين الصندوق فضبطه ووافقنا عليه واقتسمنا ما كان باقياً ، ثم دفع كل منا ماية فرنك لتكوين رأس مال يصرف منه فى شؤون الحزب ، وشددت عليهم كثيراً بعدم صرف شيء بدون اخبارى تلفونياً وعدم الإسراف ومراعاة الاقتصاد الكلى فى الصرف .

ارتباك حساب الحزب الوطنى

**(٢٩٨)**

ومما لاحظته من أعمال جاويش التى ترمى إلى مجرد الظهور بأنه هو المؤثر الفعال فى الحزب ، أنه تعرف بقنصل جنرال أمريكا وبالمستر هندرسون رئيس حزب العمال الإنكليزى أثناء وجودى فى سان مورتس ، ولم يفكر بأن يعرفنى بهم مدة إقامتى فى برن مع أنى أقمت بها ١١ يوماً ، وقد لاحظت عليهم أنهم أولموا وليمة للقنصل المذكور صرفوا عليها أكثر من أربعماية فرنك ، كما أن جاويش أعطى بصفة سلفة

(لاترد طبعاً) إلى شخص مجرى يظهر أنه نصاب، مبلغ ثلاثماية وخمسين فرنك، وكل ذلك بدون أخذ رأيي، فلمته وقرعته كثيراً ونبهت عليه وعلى زمرته بعدم العودة إلى مثل هذه الأعمال مع السعي فى مطالبة الرجل بهذه السلفة . وبالإختصار فإنى عرفتهم حقيقة مركزهم وأنى مازلت الرئيس الحقيقى .

سافرت إلى Bestenberg ، المقيم بها عبد الملك وإخوانه، يوم الأربعاء ٢٩ يناير وقضيت معهم ثلاثة أيام ثم عدت إلى برن يوم السبت أول فبراير . وفى اليوم (١) حضر عبد الحميد سعيد ومعه محمد على محمد وحمزة لمشترى ملابس، فأخليت (٢) بعبد الحميد واستدرجته إلى أن قص على كل أعمالهم التى يشكو منها وبالأخص ما أتاه جاويش من مفاتحة محمد فهمى أثناء وجوده فى Territet صيفاً عند حسين بك شيرين، فقال ذهب جاويش لزيارة شرين ثم كلف شرين المذكور باستدعاء فهمى بالتلفون للمفاوضة معه فى الإتفاق على السير معاً فى تعديل مبادىء الحزب وقصرها على المطالبة بمنح مصر دستوراً كاملا يجعلها فى مركز كندا أو استراليا مثلا، فقال فهمى انه لابد له من مفاوضة زملائه المكونين للجنة المصرية بجنيف (وسيأتى الكلام عليها (٣)) وهم إسماعيل لبيب وعلى الشمسى ويحيى الدرديرى ثم عاد إلى جنيف ولم يرد عليه بجواب ما لعدم موافقة إخوانه له وخيراً فعلوا . ثم خاطب جاويش رفاقه فى ضواحى برن بذلك ملخصاً، فغضبوا ولا موه ثم كلفوه بالعودة حالا فعاد وهناك زادوه عتاباً وتقريعاً، وأفهموه بأنه لا سلطة له فى المفاوضة مع أى إنسان باسم الحزب وأن اللجنة شريكة له فى العمل فلا يحق له الانفراد بعمل ما (والأغراب من ذلك أننا كتبنا له عدة جوابات أثناء وجوده بالآستانة باللوم فى مثل هذه الحالة، وشددنا عليه فى عدم إتيان أى عمل باسم الحزب بدون استشارة اللجنة) فاعتذر . ومما يدهش أنه لم يخبرنى بهذه الحادثة وكذلك إخوانه وعبد الملك الذى كان معى نحو أسبوع فى سان مورتس، وذلك خوفاً من أنى ألوم الشيخ أو أعنفه، ومن أنى

اجتماع فهمى وجاويش لدى حسين شيرين بك

---

(١) هكذا وردت بالأصل، ويستقيم المعنى لو اضيفت كلمة (نفسه) بعد (اليوم) .

(١) هكذا وردت بالأصل، وصحتها (اختليت) .

(٢) انظر التفاصيل فى الفقرة الأخيرة من ص ٢٩٩ من هذه المذكرات .

أثبت عليهم الخروج عن القواعد المتبعة فى جميع الأحزاب وأقدم له هذا الدليل الجديد برهانا على خرق جاويش فى الرأى وجهله المطبق فى السياسة ،

(٢٩٩)

ثم رجانى عبد الحميد سعيد فى أن لا أذكر هذه المسألة ولا أكلمهم فيها خوفاً من أن يظن بأنه هو الذى بلغنى تفصيلاتها .

اجتماع جاويش وفهمى فى دار حسين شيرين بك

بعد ذلك تركت برن يوم الخميس ٦ فبراير لعدم وجود فائدة من إقامتى ، حيث أن أعمال المؤتمر كانت قاصرة على أمور الإشتراكيين والعمال . وقصدت Territet لزيارة شرين فوصلتها فى منتصف الساعة الرابعة وأقمت ضيفاً عنده ليلتين، ثم سافرت إلى جنيف يوم السبت ٨ منه،وفى أثناء وجودى أخبرنى باجتماع جاويش وفهمى فى منزله ولكنه لم يذكر لى تفصيلات ما دار بينهما،كذلك لم أصل إلى معرفة هذه التفصيلات من على ذو الفقار المقيم معه . ولما وصلت جنيف كتبت لعبد الملك حمزة بصفته سكرتير اللجنة جواباً مطولا ملخصه : أنه بلغنى من عدة مصادر أن جاويش وفهمى اجتمعا عند شرين وتفاوضوا فى العمل معاً ، وأن الإجتماع كان بناء على رغبة وطلب جاويش ، وأن بعضهم ذهب إلى القول بأن سفر الشمسى وفهمى إلى برن يوم ٦ فبراير مع السيد محمد باشحميه كان بناء على هذا الإتفاق ، وطلبت منه أن يرسل لى تقريراً مفصلا عن هذه المسألة . بعد يومين أو ثلاثة خاطبنى بالتلفون من Branting وقال لى بأنهم لاموا الشيخ على هذا العمل فى حينه ، فأجبته بضرورة مراقبة الرجل حتى لا يأتى مثل هذه الأعمال الصبيانية ، ثم قال بأن البحراوى أخبره بأن جاويش قص علىّ هذه الحكاية أثناء وجودى فى برن فقلت هذا غير حقيقى بالمرة ولا يراد به إلا الدفاع عن جاويشهم . وبذلك انتهى هذا الفصل ولا بد أنهم يكونون أخبروا جاويش بجوابى وما جاء فيه من لومه ولومهم جميعاً عن عدم إخبارى به بمجرد وصولى ، ولكنى لا أظن أن هذا الدرس يفيد.مطلقاً لأن الرجل أخرق أحمق لا يصح أن يشتغل بالسياسة مطلقاً .

دسائس الشمسى وتاليف اللجنة المصرية بجنيف

تأليف اللجنة المصرية بجنيف — لما سافرت إلى ألمانيا فى يناير سنة ١٩١٧ كان ذلك بغير رغبة الشمسى وبدون موافقة اسماعيل لبيب فغضبا ، ولكن صحبتى الشخصية مع لبيب (١) على مداومة مكاتبتى . أما الشمسى فبعد أن كتب تذكرة على ما أظن

(١) توجد نقطة حبر بعد ( لبيب ) طمست الكلمة التى من المحتمل ان تكون : ( حملته ) .

قطع المكاتبة بالمرة ، وسبب ذلك أن الشمسى كان يخشى نجاح السياسة الألمانية التركية فى الشرق ومصر ، فأخذ منصبا فى الحكومة ولا كان يريد مرافقتى لأنه لو رافقنى أكون مقدما عليه دائما ، وهو لا يتحمل ذلك . وقد شاهدنا ذلك لما كنا فى برلين فى أواخر سنة ١٩١٥ مع لبيب وباشحميه ، وكان قد سافر بالاتفاق مع المسيو Jacoby ووعده هذا بمقابلته فى برلين فى عيد ميلاد سنة ١٩١٥ . ولم يحضر حسب وعده (هذا كله مشروح فى موضعه من هذه المذكرات ) .

(٣٠٠)

بعد ذلك أخذ الشمسى يسعى ضدى لدى بعض الطلبة هنا ليكون له حزبا يسميه (١) بدعوى انى أسأت إلى سمعة الحزب الوطنى بانضمامى للترك والألمان وكتب أحمد فريد (٢) بذلك وقتها . ومن ذلك الحين جاهرنى العداء . ولما حضرت إلى سويسرا فى صيف سنة ١٩١٨ هرب من مقابلتى (كما شرحته فى مكانه ) خصوصا وأنى كنت كتبت لاسماعيل لبيب انتقد على الشمسى رسالته التى حبذ فيها الاتفاق مع الانكليز اذا منحوا مصر الامتيازات التى منحها لها الترك من عهد محمد على باشا .

اللجنة المصرية بجنيف من لبيب والشمسى وفهمى والدرديرى

وأخيرا لما انهزم الألمان ورضخ الترك لطلبات انكلترا وحلفائها ولم يبق شك فى فوز انكلترا ونجاح سياستها فى الشرق ، أقنع اسماعيل لبيب وضموا إليهم محمد فهمى (طبعا ) ويحيى الدرديرى بصفته وكيل جمعية أبى الهول لأن رئيسها الدكتور محمد طلعت صبور أبى الانضمام اليهم ، وألفوا ما سموه اللجنة المصرية فى جنيف Comité égyptien وأرسلوا تلغرافا لولسن يطلبون منه تطبيق قواعده المشهورة (٣) على المسألة المصرية ، ثم طبعوا رسالة صغيرة شرحوا فيها تاريخ المسألة المصرية وأرسلوها لرجال المؤتمر فى باريس موقعا عليها منهم الأربعة ، ولا أدرى من قام بمصاريف الطبع ، كنت أظن ولم أزل أظن انهم الألمان بواسطة محمد فهمى الذى له علاقة مستمرة معهم ويعيش من مرتب صغير يعطونه له شهريا ، ولكن محمد باشحميه أخبرنى بأن الشمسى اقترض من البرنس محمد على عشرة آلاف فرنك ولا أدرى ان كان هذا الأمر حقيقيا أو هو أوهم باشحميه بذلك لازالة الشبهة عنه ، (وسأحقق هذا الأمر ) أما اسماعيل

---

(١) فى الأصل بعد كلمة ( يسميه ) كلمة مشطوبة ولعل محمد فريد كان فى نيته أن يكتب اسم الحزب ولكنه صرف النظر عن ذلك .

(٢) هكذا وردت بالأصل ويستقيم المعنى لو اضيفت كلمة (لى) بعد (فريد) .

(٣) المقصود المبادىء الأربعة عشر الشهيرة .

لبيب فاكتفى بقوله لى بأنه يعلم أن الشمسى اقترض مبلغا من المال وأنه يعرف اسم المقرض ولكنه لم يقل عنه وأنا لم أرد التشديد عليه .

الشمسى وأنا

لما وصلت إلى جنيف لم أرد الاجتماع بالشمسى فى أول الأمر ، ولكن بعد مجيئى ببضع أيام دعانى لبيب إلى مسكنه للغداء ، وهناك اجتمع الشمسى وفهمى وباشحميه ثم ألحوا علينا بالمصالحة فقلت بأن الخصام من أعمال الأطفال وأنا لم أخاصم الشمسى ولكنه هو الذى قاطعنى ، ولا أدرى لذلك من سبب وبعد ذلك صرنا نجتمع من وقت لآخر بالقهوة ولكن لم نتكلم مطلقا فيما كتبوه أو فعلوه قاطبة .

الشمسى وعبد العزيز عمران

وفى أول مارس قال لى الدكتور عبدالعزيز عمران بأنه يرى أوفقية توحيد الكلمة حتى لاتشمت الأعداء بتفرقنا ، وأنه يريد التكلم مع الشمسى فى شأن اجتماعنا جميعا ووضع كتاب فى شرح المسألة .

(٣٠١)

ووصف حالة مصر الادارية من جميع وجوهها يكون متمما للكتاب الذى جمعت فيه أعمال مؤتمر بروكسل ، ويوقع كل كاتب الفصل الذى يكتبه فوافقت على ذلك مع اعتقادى بأن الشمسى وفهمى لن يقبلا ذلك مطلقا . ثم عاد عمران بعد يومين أو ثلاثة وأخبرنى بأن الشمسى لم يقبل قائلا بأن جميع من كانوا فى برلين أصبحوا ملوثين لا يحسن أن يظهروا فى أى عمل أو يوقعوا بأسمائهم على أى كتابة ، ولكنه أى الشمسى واخوانه يمكنهم التنازل لقبولنا فى اجتماعاتهم والمداولة معهم بشرط عدم ظهورنا كما سبق القول ، مع أن الشمسى هذا كان جاسوسا رسميا لألمانيا ، من قبل المسيو Jacoby ، على الأتراك وكان له مرتب نظير ذلك وكان له معاونون فى ذلك ينقدهم مرتبات مقررة كما أنه سافر معى إلى برلين فى أواخر ديسمبر سنة١٩١٥ ، وقدم مشروعا إلى الخارجية هناك ورفضته النظارة المذكورة ، وأظن انه مازال جاسوساً لهم ولو أن المسيو يعقوبى ترك سويسرا من مدة . وبمثل هذه الأعمال لا يمكن للمصريين أن يتفقوا على أى عمل ماداموا على هذه الحالة .

الشمسى جاسوس الألمان على الأتراك

طبع تقارير لجنة الحزب لمؤتمر الصلح ومؤتمر الاشتراكيين

شرعت فى طبع التقارير التى قدمت من لجنة الحزب الوطنى إلى ولسن ومؤتمر باريس ومؤتمر برن(١) ، فى كراسة صغيرة صدرتها بمقالة فى أعمال الحزب الوطنى قبل الحرب وفى أثنائها . والذى دفعنى لطبع هذه الرسالة ما توخاه الشمسى وفهمى

(١) المقصود به مؤتمر الاشتراكيين ، أنظر ص ٢٩٦ من هذه المذكرات .

فى كراسهم من نسبة القيام بالحركة الوطنية فى أوروبا لجمعية الشبيبة المصرية التى يدعى فهمى أنه رئيسها مع أنها غير موجودة بالمرة بل انحلت من سنوات عديدة ، والذى أدهشنى أن اسماعيل لبيب قبل أن يضع اسمه بجانب هذا الرجل مع انه يعتقد فيه الخيانة والجاسوسية كما يعتقد أنه والشمسى صرفا حياتهما فى محاربة الحزب الوطنى وتسوىء سمعة رجاله ، ولكن كراهة لبيب للشيخ جاويش ومن معه أدت به إلى النزول إلى درجة هذا الحشاش ، فلا حول ولا قوة .

مشروع نشر جريدة اسبوعية والمانيا

فكرت بعد كل ذلك فى ضرورة نشر جريدة أسبوعية تشرح فيها المسألة المصرية تباعا علها تؤثر نوعا أثناء انعقاد مؤتمر الصلح ، و فكرت فى كيفية الحصول على المصاريف اللازمة لها ، وأخيرا رأيت أن لا طريق إلا الاتفاق مع ألمانيا فكتبت للمسيو ويز ندونك النازل الآن فى Montreux ليحدد لى ميعادا للمقابلة ، وتواعدنا على الاجتماع فى لوزان يوم الثلاث ٤ مارث بعد الظهر ، وفعلا اجتمعنا فى اليوم المذكور ، وتكلمنا طويلا فى ضرورة الاستمرار فى الحركة الوطنية حتى بعد الحرب ، فوافق على فكرى ووعد بالسفر إلى برن لمقابلة سفير ألمانيا الجديد بها والتكلم معه فى هذا الخصوص .

(٣٠٢)

ثم تقابلنا بعد ظهر يوم السبت ٨ منه ، فى داره بحضور الدكتور هاز فقال لى ان السفير لم يوافق على ذلك لأنه يرى ضرورة محاسبة حكومات الاتحاد الآن ، ولكنه أى ويز ندونك كتب مباشرة لبرلين معضدا طلبى ، وعند ورود الجواب يقابلنى الدكتور هاز فى جنيف ويبلغنى مغزاه .

ثم فى عشرين مارس تقريبا ، سافرت إلى برن لمقابلة الاخوان ، ولبعض مسائل أخرى ، فأردت انتهاز هذه الفرصة لمقابلة أحد رجال السفارة الألمانية للغاية نفسها ، فكتبت إلى المسيو ديل Diel الذى عرفته فى برلين بالقلم الشرقى ، وهو الآن بسفارة برن وطلبت منه أن يقابلنى فحضر . عندها شرحت له مشروعى فوعد باخبار السفير وإرسال الرد لى تلفونيا آخر النهار ، لأنى كنت عزمت على العودة إلى جنيف ، ثم خاطبنى قائلا بأنه لم يتمكن من مقابلته وأنه سيرسل لى الرد عن يد قنصلهم فى جنيف .

فى أول أبريل أو ٢ منه ، قصدت القنصلية وقابلت القنصل ، وسألته عما إذا كان لديه اخبارا من برن تخصنى فقال نعم إن السفير وافق على مشروعى وأن السفارة مستعدة لدفع ما يلزم لاصدار نشرة عن المسائل المصرية ، فقلت له انى سأصدرها الآن كل شهر مرتين لمعرفة ما تتكلفه بالضبط ثم ننظر فيما إذا كان يلزم اصدارها

عدة مرات فى الشهر الواحد . وفعلا نشرت العدد الأول منها فى ٧ إبريل والثانى فى ٢٢ منه ثم قابلت القنصل يوم ٢٦ وقدمت له مشروعا بضرورة إصدارها كل أسبوع ، وبينت ما تتطلبه من النفقات شهريا لأنه ليس فى إمكانى أن أقوم بنشرها أسبوعيا بمفردى ، بل ضرورى من مساعدين من اخوانى المصريين الذين يحسنون الفرنسوية فوعد بالكتابة إلى سفارة برن وإفادتى بما تجيب به ، وأنه هو موافق على نشرها أسبوعيا مراعاة للظروف الحاضرة ( ثم ورد الرد بعد ذلك بأن السفير الحالى لا يوافق على أى عمل يغضب فرنسا وحلفائها ) .

## الثورة فى مصر

من الأمور التى كانت غير منتظرة ما حصل بمصر فى شهرى مارث وإبريل وهو قيام ثورة عامة اشتركت فيها الأمة بجميع طبقاتها واتحد فيها الأقباط والمسلمون مطالبين باستقلال مصر التام . وكيفية ظهورها أن حسين رشدى طلب من الانكليز عقب التوقيع على الهدنة مع ألمانيا أن يسافر إلى لوندرة مع عدلى باشا ناظر المعارف لشرح حالة مصر الخارجيها والاتفاق معها على مصالح الوطن المصرى ، فوعده الانكليز بالسفر ولكن فى شهر مارث سنة ١٩١٩ ،

(٣٠٣)

بدعوى أن رجال الحكومة الانكليزية مشتغلون الآن بمسألة المؤتمر وغير ممكنهم التفرغ لمناقشة الوزراء المصريين ، فاستقال فى ٦ ديسمبر سنة ١٩١٨ وبقى مصرا على استقالته رغماً من الحاح الانكليز والسلطان عليه ، ثم قبلوا أن يسافر مع عدلى ، ولكنه طلب أن يصرح كذلك للوفد الذى ألف فى أثناء ذلك من سعد زغلول باشا وبعض كبار حزب الأمة ليسافر إلى لوندرة وباريس مطالبا باستقلال مصر فرفض الانكليز بتاتا ، ثم قبل السلطان استقالة الوزارة فى أول مارث . وفى ٦ منه استدعى الجنرال وطسون قائد الحامية الانكليزية سعد باشا واسماعيل صدقى باشا ، ومحمد محمود باشا (١) ، وحمد

---

(١) هو ابن محمود سليمان باشا ، ولد سنة ١٨٧٧ وتوفى سنة ١٩٤١ . تلقى العلم فى اكسفورد ولما عاد الى مصر عين مفتشا بالمالية فمحافظا للقنال فمديرا للفيـــوم والبحيرة . اشترك فى تاليف الوفد المصرى ، وفى السنة التالية اعتقل فى مالطة مع سعد زغلول واسماعيل صدقى وحمد الباسل ، ثم سافر الى امريكا للدعوة للقضية المصرية اثناء وجود الوفد فى باريس ، وفى سنة ١٩٢٢ استقال مع بعض وزرائه من الوفد وأسسوا حزب الأحرار الدستوريين الذى رأسه عدلى يكن باشـا ، واختير وكيلا له . عين وزيرا للمواصلات من ٧ يونية ١٩٢٦ الى ٢١ ابريل ١٩٢٧ ووزيرا للمالية من ٢٦ ابريل ١٩٢٧ الى ٢٥ يونيه ١٩٢٨ . شكل وزارته الأولى من ٢٥ يونيه ١٩٢٨ الى ٢ أكتوبر ١٩٢٩ واشترك أثناءها فى مفاوضات مع مستر هندرسون ، ثم شكل وزارته الثانية من ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ الى ٢٧ أبريل =

الباسل باشا (١) إلى مركزه وأظهر لهم استياء حكومته من تداخلهم فى سياسة البلد ، واتهمهم بعرقلة مساعى الحكومة الاصلاحية وهددهم بمحاكمتهم عسكرياً ، ثم قبض عليهم فى مساء نفس ذلك اليوم وقرر اعتقالهم فى جزيرة مالطة ، وأرسلوا إليها فعلا فكان خبر القبض عليهم ونفيهم خارج القطر سبباً لمظاهرات فى مصر وطنطا وغيرهما ، مؤلفة من طلبةا لمدارس العليا والثانوية والأزهريين ، وكثير من شبان الموظفين والمحامين بل والقضاة . وقد انتهت بعض هذه المظاهرات بسلام ولكن حصل فى بعضها تصادم مع رجال البوليس وجيش الاحتلال استعملت فى أثنائها البنادق فقتل وجرح كثيرون فى مصر وطنطا واسكندرية وغيرها ، فزاد غضب الأمة لهذه الفظائع وشكلت فى الحال عدة جماعات لتخريب السكك الحديدية ، وحرق المحطات ، وقطع أسلاك التلغراف والتلفون ، فى جميع أنحاء القطر من اسكندرية إلى أصوان ، وامتدت الحركة إلى جميع المديريات . وبما أن الجنرال اللنبي كان وقتئذ فى باريس صدر إليه الأمر بالعودة بأسرع ما يمكن معيناً مندوباً سامياً للحكومة الانكليزية بدل الجنرال ونجت باشا ، وأعطى سلطة مطلقة فى إدارة القطر المصرى عسكرياً ومدنياً ، فعاد مسرعاً ولكنه أراد مزج اللين بالشدة ، فمع إصداره أوامر مشددة بمجازاة البلاد والقرى التى يحصل بجوارها تخريب فى السكك الحديدية بحرقها بواسطة الطيارات ، وتشكيله جملة فرق سيارة لقمع الحركات الثورية فى البلاد ، وتأليفه عدة محاكم عسكرية لمحاكمة القائمين بالحركة ، أصدر أمراً بارجاع سعد باشا ورفاقه من المنفى وبالتصريح لهم ولمن يريد السفر إلى أوروبا ، فحصلت مظاهرات فرح كبيرة فى العاصمة بهذه المناسبة ، ولكنها انتهت بتداخل الجنود الانكليزية وقتل وجرح كثيرون . كذلك استرضى رشدى باشا بوعود ( لا نعلم ما هى ) حتى قبل تشكيل وزارة جديدة

---

= ١٩٣٨ وشكل رزارته الثالثة من ٢٧ ابريل ١٩٣٨ الى ٢٤ يونيه ١٣٩٨ ، والرابعة من ٢٤ يونيه ١٩٣٨ الى ١٨ اغسطس ١٩٣٩ . ورأس المعارضة فى مجلس النواب الى أن توفى فى ٣١ يناير ١٩٤١

( انظر الياس زخورا ، ج ٢ ص ص ١٧٧ ـ ١٧٨ ، النظارات والوزارات المصرية ، ١ج ، ص٥٤٧ ، احمد عطية الله ، القاموس السياسى ، ص ٣٥١ ) .

(١) حمد الباسل ( ١٨٧١ ـ ١٩٤٠ ) مغربى الأصل ، ولد بمصر ونشأ نشأة بدوية ، عين عمدة لقبيلة الرماح بالفيوم خلفا لوالده محمود الباسل ، وتخلى عن منصب العمودية لأخيه عبد الستار الباسل . وفى سنة ١٩١١ عين فى مجلس مديرية الفيوم ، وفى سنة ١٩١٤ أنعم عليه برتبة ميرميران الرفيعة ، كما انتخب عضوا فى الجمعية التشريعية ، واختير بعد ذلك وكيلا للوفد المصرى . ألف كتاب « لهج البداوة » .

( الياس زخورا ، ج ٢ ، ص ص ٣٣٣ ـ ٣٣٥ ، الموسوعة الميسرة ، ص ٧٣٦ )

فى ٩ أبريل دخل ضمنها حسن حسيب باشا ، وجعفر والى باشا (١) وأحمد مدحت يكن (٢) بدل أحمد حلمى ، واسماعيل سرى ، وأحمد زيور (٣). بالطبع غير ممكن ذكر تفصيل كل ما حصل بمصر أثناء ذلك فى هذه المذكرات الصغيرة ، ولكن الذى يمكن قوله أن هذه الحركة لم تكن فى الحسبان وان ما أظهره المصريون من التضامن

(٣٠٤)

والاتفاق ما كان أحد ليحلم به ، خصوصاً اشتراك السيدات فى المظاهرات واتفاق الأقباط والمسلمين لدرجة أن قسوسهم كانوا يزورون علماء المسلمين فى الجامع الأزهر والشيخ بخيت نفسه زار بطريرق الأقباط ، وصنع الأهالى بمناسبة هذا الوئام أعلاماً جديدة وضعوا بها الصليب موضع النجمة من الهلال ، وكان المتظاهرون يحملون أعلام جميع الدول حتى المحايدة ما عدا العلم الانكليزى .

وعند دفن من قتل فى هذه المظاهرات احتفلت الأمة بهم احتفالا ، قالت بعض

---

(١) هو جعفر ولى باشا ، الذى تقلد منصب وزير الأوقاف ثلاث مرات : الأولى من ٩ ابريل ١٩١٩ الى ٢٢ ابريل ١٩١٩ ، والثانية من اول مارس ١٩٢٢ الى ٢٩ نوفمبر ١٩٢٢ ، والثالثة من ٢٧ يونيه ١٩٢٨ الى ٢ أكتوبر ١٩٢٩ ، كما تقلد منصب وزير المعارف العمومية مرة من ١٧ مارس سنة ١٩٢١ الى ٢٤ ديسمبر ١٩٤١ ، ومنصب وزير الداخلية مرة ( ٣ يونيه ١٩٢٩ ) ومنصب وزير الحربية والبحرية ثلاث مرات : الأولى من ٢٦ أبريل ١٩٢٧ الى ١٦ مارس ١٩٢٨ والثانية من ١٧ مارس ١٩٢٨ الى ٢٥ يونيه ١٩٢٨ ، والثالثة من ٢٧ يونيه ١٩٢٨ الى ٢ أكتوبر ١٩٢٩ ، ( النظارات والوزارات المصرية ، ج ١ ، ص ٢٧٠ ) .

(٢) درس احمد باشا مدحت يكن الحقوق بالقاهرة ثم سافر الى سويسرا ودخل مدرسة جنيف العالية ومكث فيها فترة ثم قصد فرنسا والتحق بكلية اكس وحصل منها على شهادة الحقوق، ولما عاد الى مصر تفرغ للأشغال الزراعية بعد أن ورث أملاك أبيه حيدر باشا يكن فى سنة ١٨٩٧ . وكان عضوا فى الجمعية الخيرية الاسلامية ومن أكبر العاملين على نهوضها . تولى وزارة الزراعة من ٩ أبريل ١٩١٩ الى ٢٢ أبريل ١٩١٩ والأوقاف من ١٧ مارس ١٩٢١ الى ٢٤ ديسمبر ١٩٢١ والخارجية من ٤ أكتوبر ١٩٢٩ الى اول يناير ١٩٣٠ .

( الياس زخورا ، صص ١٤ ـ ٥٠ ، والنظارات والوزارات المصرية ج ١ ، ص ٥٦٥ )

(٣) هو ابن زيور بك القوقازى الأصل ، ولد بالاسكندرية فى ١٤ نوفمبر ١٨٦٤ ، تعلم فى مدرسة العازاريين بالاسكندرية لمدة ثلاث سنوات ثم سافر الى بيروت ودخل مدرسة الجيزويت ومكث خمس سنوات بها درس خلالها العلوم واللغات العربية والفرنسية والانجليزية والايطالية وسافر الى فرنسا سنة ١٨٨٥ والتحق بكلية اكس ونال شهادة الليسانس فى الحقوق . ولما عاد الى مصر شغل وظائف قاضى ورئيس نيابة ورئيس محكمة ومحام عام فى كل المحاكم الأهلية ، وفى ٢ مارس ١٨٩٩ عين مستشارا لمحكمة الاستئناف الأهلية ، ثم محافظا للاسكندرية . وتولى رئاسة الوزارة فى ٢٤ نوفمبر ١٩٢٤ عقب استقالة سعد زغلول بعد حادث اغتيال السردار سير لى ستاك ومكث فيها الى ١٣ مارس ١٩٢٥ ، ثم رأس الوزارة لفترة ثانية من ١٣ مارس ١٩٣٥ الى ٧ يولية ١٩٣٦ . ( الياس زخورا ، ج ٢ صص ١٦٤ ، ١٦٥ ، محمد فريد ، مخطوطة تاريخ مصر من ابتداء سنة ١٨٩١ مسيحية ، ص ٩٦ ، النظارات والوزارات المصرية ، ج ١ صص ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٥٤١ ) .

الجرائد وبعض من أتى من مصر من الاخوان أنه فاق الاحتفال بدفن مصطفى كامل .

وممن أتى من المصريين عقب هذه الحوادث ، سليم أفندى القلعاوى الطالب فى كلية جنيف وكان قد سافر إلى مصر فى أوائل صيف سنة ١٩١٤ ولما أعلنت الحرب منع من العودة مثل كثير غيره فقص علينا تفصيلات هذه المظاهرات بكيفية أحيت الأمل فى قلوبنا وأوجدت عندنا الاعتقاد اليقين بأن هذه الأمة العريقة فى القدم لن تموت مطلقاً وأنها لابد حاصلة على استقلالها يوماً ما .

كذلك قص علينا عبد الخالق باشا مدكور ، أثناء مروره بجنيف للحاق بالوفد المصرى فى باريس ، أشياء كثيرة وأعطانى نسخاً من كل ما كتبته اللجنة من التقارير أو أرسلته من التلغرافات والعرائض، وكلها دالة على أن هذه اللجنة المؤلفة من رجال حزب الأمة القديم تطالب بالاستقلال التام ، ولكن لم يعجبنى فى كل كتاباتها قولها بأن مصر ساعدت إنكلترا على الانتصار على الدولة العلية بمالها ورجالها ، فان هذا أولا غير صحيح لأن من أخذ من المصريين بالفرق المسماة بفرق العمال وفرق الجمالة أخذوا قسرا لا اختيارا وكانوا عملة غير مسلحين ، ولا ننسى امتناع رجال الرديف المصرى فى أول الحرب امتناعهم عن السفر وتجمهرهم فى ميدان عابدين وإطلاق الإنكليز الرصاص عليهم . فان دعوى مساعدة مصر للإنكليز تغضب المسلمين عموماً وتعتبر فى نظر العقلاء تملقاً لانكلترا وحلفائها ، وهو تملق بارد لايرضى به المصريون. ولكن هذه السياسة هى سياسة حزب الأمة (١) من يوم تأسيسه وما زال متمسكا بها على ما يظهر رغما من مطالبته بالاستقلال ، فانى ما زلت أعتقد أن هذا الحزب لا يتأخر عن الاتفاق مع الإنكليز لو وجد منهم صدراً رحباً ، ولا يبقى مطالب فعلا وبإخلاص حقيقى باستقلال مصر التام الا حزبنا الحزب الوطنى . ولكننا لم نرد الآن الظهور بمظهر الانشقاق، فأظهرنا رضانا عن هذا الوفد وتشجيعنا له مع اعتقادنا بعدم إخلاص رجاله..

---

(١) تاسس حزب الأمة فى ١٩٠٧/٩/٢٠ وكان فى الأصـــل عبارة عن ادارة لجريدة تكونت فى اغسطس سنة ١٩٠٦ . وكان اول رئيس له هو محمود باشا سليمان وسكرتيره الدائم احمد لطفى السيد وكان اعضاء الحزب كما وصفهم نائب رئيسه ، من وجهاء المصريين .
( د. يونان لبيب : الأحزاب المصرية قبل ثورة ١٩٥٢ ، ص ص ٢٨ ، ٢٩ ) .

فى ٢٠ أبريل وصل الوفد المصرى إلى باريس وهو مؤلف من عشرين نفساً تحت رئاسة سعد باشا زغلول ، ولما اطلعنا على خبر وصوله أسرعت بتهنئته بتلغراف هذا نصه :

« Saluons en vous patrie absente, vous souhaitons plein succès »(١)

وصول سعد باشا زغلول واخوانه الى باريس

وقد أرسلت إليه عدة تلغرافات من جنيف ولوزان تشجيعاً وتعضيداً له ولإخوانه . وقد صرح سعد باشا لمكاتبى الصحف بأنه هو ومن معه لا يمثلون حزباً معيناً بل يمثلون الأمة المصرية ، وأن برنامجهم يتلخص فى عبارة صغيرة هى استقلال مصر التام.

وها نحن بانتظار ما يفعله المؤتمر ، هل يقابل الوفد ويسمع شرحه وبيانه أو لا يعتبر له صفة رسمية ويهمله تماما ، وماذا يفعل معهم ولسن الذى وضع الكل آمالهم فيه ولو أن أعماله للآن لم تطابق أقواله ، بل قد اضطرته الظروف لمجاراة فرنسا وانكلترا فى أمور كثيرة تخالف مبادئه الأربعة عشر .

يوم الجمعة ٢٥ أبريل ، ذكرت الصحف خبراً منقولا عن جريدة ديلى ميل الإنكليزية ، مفاده أن الولايات المتحدة قد اعترفت بحماية انكلترا على مصر مع إظهارها العطف على الأمة المصرية وإظهارها الأمل فى أن انكلترا توسع لها فى الامتيازات الداخلية .

اعتراف ولسن بحماية انكلترا على مصر

فلم نعبأ بالخبر لأن جريدة الديلى ميل مشهورة بالكذب فيما تنشره غالبا ، ولكن فى اليوم (٢) ورد الخبر مفصلا رسمياً من لوندره فى جميع الجرائد ونشرت بعضها صورة خطاب أمريكا لانكلترا بهذا الخصوص ، فكان لهذا الخبر أسوأ وقع خصوصاً وأن أمريكا لم تعترف بحماية انكلترا طول مدة الحرب ، ولم تعجل به الآن إلا بعد وصول الوفد المصرى إلى باريس، فكأنها أرادت بذلك قتل الأمل فى قلوب المصريين ، وهى سياسة غدر وخيانة من ولسن يريد بها خدمة الإنكليز . أما فى نظرى فهذا الاعتراف لا يؤثر فى الموضوع من حيث الجوهر ، لأن حق الأمة فى الاستقلال حق طبيعى لا يمحوه اعتراف العالم كله بحماية انكلترا على مصر ، ولكن ماذا يكون لهذا الخبر من التأثير فى الحركة القائمة بمصر ؟

---

(١) وترجمته : « نحيى فيكم الوطن الغائب ، نرجو لكم كمال التوفيق والنجاح » .

(٢) هكذا ورد بالأصل ، ويستقيم المعنى لو أضيفت (نفسه) بعد (اليوم) .

هذا ما ننتظر أخباره بفارغ الصبر . وقد احتج المصريون فى سويسرا وباريس ولوندره على ولسن وعمله القبيح .

علمت يوم ٢٧ أبريل ، بأن انكلترا صرحت لوفد آخر كل أعضائه من الحزب الوطنى بالسفر إلى باريس ، وأن هذا الوفد الجديد ربما يغادر مصر اليوم أو غداً وهو مؤلف من أحمد بك لطفى وكيل الحزب؛ والدكتور اسماعيل صدقى ، ومحمد حافظ بك رمضان ، وعبد اللطيف بك الصوفانى ، ومحمد كمال بك أبو جازيه عضو الجمعية التشريعية عن الغربية ، وأحمد وجدى ، ومصطفى الخوربجى ، ومحمد زكى على ، واحمد . . . .

سفر وفد الحزب الى باريس نقلا عن جريدة الأهرام الصادرة فى ١١ ابريل

(٣٠٦)

وفيق رفعت ، ومحمد فؤاد حمدى المحامين ، وكلهم إما من أعضاء لجنة الحزب الإدارية أو من الأعضاء المشتغلين العاملين ، إلا محمد كمال أبو جازيه فلا أعرفه ، وكذلك محمد فؤاد حمدى . ويظهر لى أن جماعة الحزب لما رأوا أن لجنة سعد باشا كلها من حزب الأمة الذى كان يقول دائماً بالاتفاق مع الإنكليز ، خشوا أن يتساهل مع الأعداء ، فقرروا السفر لتأييد مبادئنا وهى الاستقلال التام . وقد نشر الجنرال اللانبى القائد الإنكليزى أمراً يبيح لمن يريد السفر خارج القطر ، فانتهز إخواننا هذه الفرصة للمجىء ، ولكن من المظنون أن المؤتمر لايتداخل فى المسألة المصرية مطلقا ولكن ربما أن ولسن يساعد حزب سعد على نوال شىء من الاستقلال الداخلى .

فى نفس اليوم الذى ذكرت فيه الجرائد خبر اعتراف ولسون بحماية انكلترا على مصر ، نشرت الجرائد خبر استعفاء وزارة رشدى الثانية التى شكلت بمساعى الجنرال اللنبى فى ٩ أبريل ، فكأنها مكثت مده ١٢ يوماً فقط ، حيث ذكرت التيمز أنها استعفت فى ٢١ وقبل فؤاد استعفاءها فى ٢٢ منه . ويظهر أن سبب استقالتها هو عدم تمكن رشدى من تهدية الأحوال وإرجاع مستخدمى الحكومة عن الاعتصاب ولكن السبب الرسمى هو المرض كما هى العادة .

استعفاء وزارة رشدى الثانية

أما عن اعتصاب المستخدمين فيظهر من أقوال الجرائد الإنكليزية بأنه انتهى عقب إصدار الجنرال اللنبى أمراً عسكرياً بأن كل من لم يحضر إلى وظيفته يعتبر مستعفياً فضلا عن محاكمته عسكرياً ، لكن يظهر من جهة أخرى أن المستخدمين لما علموا بنية اللنبى على إصدار هذا الأمر عجلوا وقررت لجنتهم الاكتفاء بالاعتصاب

انتهاء اعتصاب المستخدمين

هذه المدة لإظهار إحساسهم نحو الحماية والعودة إلى أشغالهم لعدم تعطيل أشغال الناس

وفيق افندى رفعت فى ايطاليا

٦ مايو سنة ١٩ ، أتانى جواب من وفيق أفندى رفعت من نابولى مؤرخ ٢٧ أبريل ينبيء بوصوله ، وأنه سيسافر إلى رومه ثم إلى تورينو، ويقول فى آخره (أرجو إيقاف كل مخابرة مع سعد ومن معه الآن ). وهذه العبارة تدل على أن جماعة

وصول وفد الحزب الوطنى الى اوروبا

الحزب الوطنى غير راضين عن سياسة سعد بل يخشوا ( كما أخشى ) أن يتفق مع الإنكليز على بعض إصلاحات داخلية فقط ولذلك أتى رجال الحزب الوطنى ليطالبوا بالاستقلال التام .

مصر بلا وزارة

فى هذا اليوم ، أتى فى الجرائد الأوروبية أن مصر ما زالت بلا وزارة، وأن الجنرال اللنبى بما له من السلطة المطلقة أجاز لوكلاء النظار بالتصرف فى الأعمال مقام النظار مؤقتاً حتى لا تعطل الأعمال ، وهذا دليل على ارتباك الإنكليز فى مصر وأن الأحوال لم تهدأ كما يدعى الإنكليز فى جرائدهم .

الخديو عباس وقضية Cavallini

ذكرت جرائد إيطاليا عند كلامها على قضية Cavallini مؤدى شهادة سفير انكلترا فى رومه السير

(٣٠٧)

رنل رود Rennel Rodd حيث أن Buonocardiz المبعوث الإيطالى أتى إليه فى سنة ١٩١٥ من قبل الخديو يطلب منه التوسط بين الخديو وانكلترا للصلح ، وأنه بلغ هذا الطلب إلى خارجية بلاده فرفضت . وهذه فضيحة جديدة للخديو عباس تضاف إلى غيرها وتبعده عن عرش مصر ، وهو الآن مقيم فى الآستانة بعد دخول جيوش المتحدين إليها ، لأن السلطان محمد السادس (١) على ما يقال طلب منهم عدم التعرض له بسوء لأنه فى ضيافته وساعده أيضاً ولى العهد عبد المجيد أفندى لأنه صاحبه من زمان طويل .

عدول وفد الحزب الوطنى عن السفر الى باريس

أتانى جواب آخر من وفيق أفندى يفيد أنه وصل بمفرده وأنه مقيم فى رومه، فكتبت له فى ١٣ مايو سنة ١٩ مستعلما عن سبب مجيئه منفرداً وتأخر إخوانه ، وعن عدم حضوره إلى سويسرا أو سفره إلى باريس ، وقد كنت قرأت فى جريدة الأهرام بلاغاً بتوقيع عبد اللطيف بك الصوفانى عن وكيل الحزب مفاده أنهم قرروا عدم السفر لأسباب سيذكرونها فيما بعد ، وقد سمعت من توفيق بك زاهر القاضى

(١) هو السلطان وحيد الدين الذى تولى السلطنة العثمانية فى الفترة من ١٩١٨ — ١٩٢٢ ( ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ص ١٧٥ )

بيور سعيد ، وحضر أخيراً (١)سويسرا لزيارة ولده ، أن سبب عدول الحزب عن إرسال وفده أن الجنرال اللانبي قال « كيف يدعي سعد باشا واخوانه أنهم يمثلون الأمة . والحال أن الحزب الوطني الذي هو أكبر حزب فى مصر غير راض عنه وسيرسل وفداً آخر لباريس » . فرجال الحزب عند سماعهم هذا الكلام قرروا عدم السفر لعدم عرقلة وفد سعد ما دام هذا الوفد يطالب باستقلال مصر وحتّى تسقط دعوى الإنكليز بأن المصريين غير متفقين .

وفض بنت عبد الرحيم باشا صبرى الزواج بفؤاد سلطان مصر بسبب خيانته

من الأمور السارة ما بلغني من توفيق بك زاهر المذكور أن بنت عبد الرحيم صبرى باشا التى كان خطبها السلطان فؤاد لتكون زوجة له ، رفضت بتاتا الاقتران به عقب هذه الحوادث لما علمت أن فؤاد طلب من الإنكليز حرساً إنكليزيا يحميه من غضب الأمة . ولم تكتف هذه الشابة بذلك بل دخلت فى الحركة الوطنية واشتركت فى مظاهرات السيدات وفى كل الأعمال الوطنية مثل تأسيس جمعيات وطنية أو ملاجىء للأيتام أو ما شاكل ، وهى حركة جديدة سيكون من ورائها خير كبير لمصر . ومن هذا القبيل فى شدة الغيرة الوطنية الأميرة أمينة هانم زوجة حسين شرين بك، فإنى رأيتها تبكى عندما تتكلم بشأن خيانة ولسن وغدره بالمصريين باعترافه بحماية انكلترا بعد أن شجع كل الأمم الصغيرة على طلب الحرية بنشر مبادئه ، فأمة تبلغ الوطنية من نسائها هذا المبلغ لا يخشى على مستقبلها مطلقاً بل مصيرها حتما إلى الاستقلال .

وطنية السيدات المصريات

بعد شهر من استعفاء وزارة رشدى الثانية أى فى ٢١ مايو سنة ١٩ ، ذكرت التلغرافات خبر تعيين محمد سعيد باشا رئيساً لمجلس النظار ، وأنه شكل الوزارة من اسماعيل سرى للأشغال والحربية والبحرية كما كان ، ويوسف وهبة بك فى المالية ، وتوفيق نسيم بك القاضى بالاستئناف للأوقاف (٢) مع رتبة باشا ، وعبد الرحيم صبرى محافظ مصر لنظارة

---

(١) هكذا وردت بالأصل ، ويستقيم المعنى لو اضيفت ( الى ) بعد ( اخيرا ) .

(٢) عين ناظرا للأوقاف فى ٢١/٥/١٩١٩ فى وزارة محمد سعيد باشا الثانية ، ثم شكل الوزارة ثلاث مرات : الاولى من ٢١/٥/١٩٢٠ الى ١٦/٣/١٩٢١ ، والثانية من ٣٠/١١/١٩٢٢ الى ٩/٢/١٩٢٣ والثالثة من ١٤/١١/١٩٣٤ الى ٣٠/١/١٩٣٦ . ( النظارات والوزارات ، ج١ ، ص ص ٥٩٢ ، ٥٩٣ ) .

(٣٠٨)

الزراعة، والداخلية مع محمد سعيد، أحمد طلعت باشا، النائب العمومى للمعارف (١) وزيور باشا لنظارة المواصلات التى أنشئت حديثاً، وأحمد ذو الفقار باشا المستشار بالاستئناف ناظراً للأمور العدلية.

وزارة محمد سعيد (٢)

ولكن الأمة غير راضية عن تعيين هذه الوزارة لقبولها الحماية (طبعاً)، وأرسلت جوابات تهديد لمحمد سعيد بل وللسلطان فؤاد. ومن الغريب أن محمد سعيد يقول فى حديث له نشر فى الصحف المصرية أنه سيسعى فى رفع الأحكام العرفية وإعادة الأحكام للسلطة المدنية كما كانت، وفى توسيع سلطة واختصاصات الجمعية التشريعية، أما المسألة السياسية فيترك حلها لمؤتمر باريس، مع علمه بأن دول الاتحاد وضعت فى شروط الصلح نصاً يقضى، باعتراف جميع الموقعين عليها، بحماية إنكلترا على مصر، ويلزم ألمانيا ومن كانوا معها بذلك، فتركه البت فى الحماية إلى ذلك المؤتمر نفاق ومواربة أصبحت لا تنطلى على أحد(٣) المصريين، ولا يبعد أن يقتل قريباً لأن الوطنيين ما زالوا فى تحمسهم وأظن أنهم لا يتأخرون عن قتله قريباً.

وقد تبع تشكيل الوزارة تعيين محمود فخرى باشا الذى تزوج حديثاً بالأميرة فوقية ابنة السلطان فؤاد محافظاً لمصر بدل عبد الرحيم صبرى، وتعيين حسن عبد الرازق (الذى كان محامياً بمكتبى) محافظا لاسكندرية مكان زيور باشا الذى كان فى وزارة رشدى.

اعمال وفيق رفعت فى ايطاليا

قام وفيق أفندى رفعت فى إيطاليا بحركة فى صالح مصر يشكر عليها، وساعده كثير من الطليان وبالأخص حزب الاشتراكيين، فألقى محاضرتين فى تورينو فى ٣ وفى ٦ يونيه ونشر عدة أحاديث فى الجرائد كلها طعن فى الإنكليز، وأرسل لى نص محاضرته الكبرى فى تورينو ومعها أوراق رسمية مهمة جداً، تثبت أن الإنكليز أحرقوا عدة قرى بمديرية الجيزة، وأنهم سرقوا ما وجدوه ببيوت عمدها ومشايخها من النقدية والمصاغ، وقتلوا من عارضهم وقتلوا امرأة أرادوا الفسق بها فدافعت عن نفسها حتى آخر رمق من حياتها. ومن ضمنها صور محاضر تحقيق أجراها

---

(١) تولى منصب وزير المعارف العمومية من ٢ يولية ١٩١٩ حتى ٢٠ نوفمبر ١٩١٩ فى وزارة محمد سعيد باشا الثانية التى تشكلت فى ٢٠ مايو سنة ١٩١٩ واستمرت حتى ٢٠ نوفمبر سـنة ١٩١٩ (النظارات والوزارات المصرية، ج ١، ص ص ٢٤٧، ٥٦٢).

(٢) تشكلت هذه الوزارة وهى الوزارة الثانية لمحمد سعيد باشا فى ١٩١٩/٥/٢٠.

(٣) هكذا ورد بالأصل، ويستقيم المعنى لو أضيفت (من) بعد (أحد).

البوليس المصرى ومحضر لمجلس مديرية الجيزة يحتج رسمياً على هذه الأعمال ، وقد أرسل لى عدة صور شمسية لمظاهرات القاهرة ، وكنت أود نشر هذه المحاضرة مع ترجمة هذه المحاضر وأصدرها بمقدمة منى لولا ضيق ذات اليد وسأجتهد لدى الألمان علهم يقبلون دفع مصاريف نشرها .

زواج السلطان فؤاد بابنة عبد الرحيم باشا صبرى

بكل أسف لم يتأكد خبر رفض ابنة عبد الرحيم صبرى الاقتران بالسلطان فؤاد ، كما كان قد بلغنا من توفيق زاهر ومن الأميرة أمينة هانم حرم حسين شيرين بك ، بل ذكرت الجرائد تلغرافا من العاصمة بأنه عقد عليها فى ٢٤ مايو (٢٤ شعبان سنة ١٣٣٧ ) ، كذلك تزوجت ابنة السلطان حسين المتوفى بأحد أولاد أخته الأميرة فاطمة هانم من زوجها الثانى ، الذى كان سايساً أو عربجياً أو شيئاً من هذا القبيل عند السلطان عبد الحميد .

(٣٠٩)

جواب محمد افندى ابو الفتح

أبو الفتح أفندى حضر مع الوفد المصرى إلى باريس بصفته مراسلا لجريدة وادى النيل . ولكن يظهر أن بعض أعضاء الوفد يخشون أن يكون جاسوساً عليهم من قبل (١) لأنه أعطى كل التسهيلات الممكنة وحجز له مكان على الباخرة التى سافر عليها الوفد بأمر السلطة العسكرية . إنى لم أتذكر هذا الشخص ولكن خليل أفندى مذكور ذكرنى به ، فانه كان معه بجمعية وطنية اسمها الحياة ، زرتها مرة أو مرتين فى جهة الداوديه(٢) .

امتناع سعد زغلول باشا عن مساعدة المصريين الموجودين فى سويسرا

وقد أرسل لى جواباً من باريس بتاريخ (٣) ومعه صورة مقالة كتبها عن أعمال الوطنيين بسويسرا أثناء الحرب وقبله وأرسلها لوادى النيل ، وطلب منى أرسل إليه شيئاً مما نشرته فى غضون هذه المدة ليكتب عنه ، وبما أن جوابه وصلنى فى أوائل يوليه أثناء وجودى بجبال سان مورتس St. Moritz فقد كتبت لمذكور أفندى بأن يرسل كل ما يمكنه جمعه من النشرات أثناء إقامتى بسويسرا وألمانيا والسويد .

وقد وردت فى جواب أبى الفتح أفندى (٤) تفيد عدم رضاه عن أعمال الوفد حيث ورد فيه ما يأتى : ليس لى أن أشكركم على الجهاد العظيم والجهود الكبرى

---

(١) هكذا ورد بالأصل ويستقيم المعنى لو اضيفت كلمة ( الانكليز ) بعد ( قبل ) .
(٢) الداودية تقع بالقرب من ميدان باب الخلق بالقاهرة .
(٣) لم يذكر التاريخ .
(٤) هكذا ورد بالأصل ، ويستقيم المعنى لو اضيفت كلمة ( عبارة ) بعد ( افندى ) .

التى قمتم ولا تزالون تقومون بها لخدمة بلادنا المنكودة الحظ ، أقول المنكودة لعدة أسباب لا يتسع لها المجال ، على أن الأجيال القادمة ستذكر فى ظل الحرية العمل الذى قام به نفر من المخلصين فى ظروف شاقة حرجة ..

مما يدل على أن سعد واخوانه يبتعدون عن الحزب الوطنى وكل من هم غير تابعين لحزب الأمة ، أن بعض الإخوان كانوا كلفوا عبد الخالق مدكور باشا أثناء مروره بجنيف ذاهباً إلى باريس بأن يطلب من سعد إقراض المصريين الممنوع عنهم إرسال النقود من مصر مبلغاً من المال مقابل استلامه من عائلاتهم بمصر ، فامتنع قائلا ان النقود التى جمعتها اللجنة جمعت لمقاصد مخصوصة لم يدخل فيها مثل هذا القصد مع أننا علمنا من مدكور باشا بأن الوفد أخذ معه مليون فرنك عند سفره ومدكور باشا أحضر لهم معه مليون ونصف أى أن المجموع يصل إلى ماية ألف جنيه ، ومما يؤكد أن حزب الأمة ، هو هو أنهم لم يردوا على أحد ممن كاتبهم من المصريين من سويسرا حتى ولا على أصدقائهم الخصوصيين ، فقد كتب أحمد فريد للدكتور حافظ عفيفى (وكان معه فى حرب طرابلس )فلم يجاوبه، وسعد لم يجاوبنى على تلغراف التهنئة الذى أرسلته إليه :

توقيع ألمانيا على شروط الصلح

وقعت ألمانيا على شروط الصلح فى ٢٨ يونيه سنة ١٩ ، وأيده مجلسهم الملى فى ٨ يوليه. وعلى ذلك ستبتدىء الأحوال العمومية فى التحسين،على أن حركة العمال آخذة فى الانتشار فى جميع ممالك أوروبا،والغلاء العام ما زال مستمراً بسبب زيادة أجور العمال زيادة فاحشة وعدم وجود المراكب الكافية

(٣١٠)

للنقل بسبب ما أغرقه الألمان (١) أثناء (٢) وعدم بناء غيره للآن .

نشر خبر وجود معاهدة بين انكلترا ولجنة مصرية

من الأمور المستغربة ، ما نشرته جريدة Daily Herald فى ٢٨ يونيه من وجود معاهدة سرية بين انكلترا ولجنة (ذات نفوذ تمثل الأهالى فى مصر والجزيرة وسوريا وبلاد العرب)تضمن بمقتضاها انكلترا استقلال هذه البلاد بشرط أن هذه اللجنة تستعمل نفوذها القوى لمنع أى مساعدة للأتراك ، وأن هذه اللجنة قد قامت بما تعهدت به حتى سقطت الدولة العثمانية ، ولكن انكلترا لم تقم بما تعهدت به بل قبضت على كثير من

---

(١) أنظر الاحصائية الخاصة بهذه المراكب ، والموجودة فى نهاية الكراسة التاسعة من هذه المذكرات .

(٢) هكذا ورد بالأصل ويستقيم المعنى لو أضيفت كلمة ( الحرب ) بعد كلمة ( أثناء ) .

أعضاء هذه اللجنة وفر الباقون إلى قبائلهم لتنظيم حركة لمقاومة انكلترا التى لم تقم بعهودها ا. هـ . ملخصاً .

وإنى بانتظار الجرائد العربية المصرية لأرى ما تعلقه على هذا الخبر ، والغالب أنها لا تذكر عنه شيئاً .

ومما لا أستبعده أن ما تقوله هذه الجريدة هو تحريف لما بلغنا من أول الحرب من أن انكلترا تعهدت لوزارة رشدى بمنح مصر الاستقلال بعد انتصارها بشرط عدم قيام المصريين بأى حركة عدائية ضدها فى صالح الأتراك ، وأن رشدى اكتفى بهذه الوعود ولم يطلب تعهداً خطياً ، فلو كان لديه تعهد كتابى لذكره أو نشره عقب استقالته أو لبنى استقالته على عدم نفاذه . ومن جهة أخرى لا يستبعد أن يكون ذلك مع بعض حزب الأمة الذين يميلون للاتفاق مع الانكليز ويظهرون عداءهم للترك من قبل الحرب بل من سنين عديدة .

مســـاعى انكليزية لاستمالتى

أخبرنى الدكتور Schrumpf الذى تعرفت به فى برلين ، وهو الآن بسويسره ، بأنه قابل بعض رجال الانكليز فى برن ممن لهم علاقة بالسفارة الانكليزية وسمع منهم مدحاً كثيراً بشأنى ، وأن الانكليز يحترموننى ويعتبروننى الرجل المخلص الخالى (١) غرض دون جميع الوطنيين المصريين ، وأنهم لا يتأخرون عن المخابرة معى بشأن إعطاء مصر استقلالا داخلياً فيما لو قبلت ذلك وطلبته منهم ، طبعاً بشرط قبول الحماية الانكليزية ، لأن انكلترا لا تترك مصر مطلقاً ما دامت ذات السلطة والنفوذ فى البحار . ومن الغريب أن هذا الدكتور ينصحنى ، من وقت أن تعرف بى فى برلين فى سبتمبر سنة ١٩١٥ ، بأنى أحسن لنفسى ولبلادى فيما إذا اتفقت مع الانكليز ، وهو الآن يتخذ زيادة مرض الكبد عندى للتأثير على ، وينصحنى بأن أعود لمصر لأنى فى احتياج للاقامة فى بلاد حارة ، وانى لو أقمت الشتاء المقبل فى برد أوروبا كان فى ذلك خطر على حياتى . ولقد تكلمنا فى هذا الموضوع كثيراً وأفهمته بأنى لا أقبل الحماية الانكليزية مطلقاً وبأن حزبنا لا يرضى إلا بالاستقلال التام (٢) .

(٣١١)

فى ١٢ يولية ، وصل وفيق أفندى إلى سويسره وأتى تواً لمقابلتى بجهة سان مورتس ، ومكثنا بها معاً إلى ٢٩ منه حيث سافرنا إلى لوسرن لحضور اجتماع للاشتراكيين

---

(١) هكذا ورد بالأصل ، ويستقيم المعنى لو أضيفت عبارة ( من أى ) بعد كلمة ( الخالى ) .

(٢) فى الأصل المحفوظ بدار الوثائق بالقلعة ، يلاحظ أن بقية هذه الفقرة مشطوبة وهى نحو ثلاثة أسطر ( انظر ملحق رقم (١٤) )

مجيء وفيـــق الى سويسرا

مزمع انعقاده فى ٢ أغسطس التالى (١) . وقد أخبرنى وفيق بتفصيل ماحصل بمصر من الثورة تفصيلا وما حصل من سعد باشا ومن معه (وكلهم تقريباً من حزب الأمة القديم الذين مبدأهم الاتفاق مع الانكليز على تنظيم شؤون الحماية ليس إلا ) حتى لا يسافر ضمن الوفد . وفى وفد آخر فريق من الشبان التابعين للحزب الوطنى ولا تسمح هذه المذكرات بشرح ذلك تفصيلا ولكن أذكر هنا باختصار أن أصل المشروع صادر من حسين رشدى وعدلى وسعد وأحمد لطفى السيد وعبد العزيز فهمى وأن القصد الأصلى كان الاقتصار على السفر إلى بلاد الانكليز للاتفاق مع رجال الحكومة الانكليزية على منح مصر بعض امتيازات داخلية . ثم تحور وتعدل على(٢) المشروع تدريجياً بناء على مناقشة رجال الحزب الوطنى لهم ، كما عدلت صيغة التوكيل بحيث أنهم انتهوا بطلب الاستقلال التام . ولكن مما يدل على أنهم ما زالوا فى الباطن على رأيهم الأول، أنهم بعد وصولهم

ملاحظات على وفد سعد

باريس لم يكاتبوا أحداً من رجال حزبنا الموجودين بسويسرا حتى ولم يجاوبوا على الجوابات الخصوصية التى أرسلها بعضهم إليهم . ومع أنهم سافروا ومعهم ما يقرب من مايتين وخمسين ألف جنيه ، لم يقبلوا أن يرسلوا أقل مبلغ لمن فى سويسرا للقيام بحركة قوية مساعدة لهم فى أعمالهم بباريس، بدعوى أننا هنا معتبرون من رجال تركيا وألمانيا ومساعدتهم لنا لا ترضى انكلترا وحلفاءها المجتمعين فى باريس، والذى نقل إلينا هذه العبارة هو عبد الخالق مدكور باشا عند عودته من باريس فى نحو يوليه عائداً لمصر .

ومما قاله لى وفيق ويؤيد هذا الإعتقاد فيهم ، أنه طلب منهم بأن يرسلوا ثلاثة مثلا من أعضاء الوفد ليشتركوا معه فى العمل بايطاليا فرفضوا ، وقالوا انهم أرادوا إرسال بعضهم إلى أمريكا فامتنع الإنكليز ، فكتب إليهم وفيق ثانياً بأن فى إمكانه بما له من العلاقات المتينة مع بعض رجال إيطاليا بأن يتحصل لهم على جوازات السفر إلى أمريكا إذا حضروا ، فلم يجاوبوه .

مما ذكره لى وفيق أيضاً هو أن رجال إيطاليا مستعدون لمساعدتنا بالسلاح عن طريق بنغازى وأنهم مستعدون كذلك لمساعدة الأتراك فى آسيا الصغرى ضد اليونان على الأخص بسبب مزاحمتهم لهم فى هذه الجهات واحتلالهم مدينة أزمير ، وأنهم طلبوا منه أن يخبر الأتراك بذلك ، فشرح لى الأمر واتفقنا على أننا نسعى فى هذا الأمر بعد نزولنا من الجبل .

---

(١) عقد هذا المؤتمر فى لوسرن فى أغسطس سنة ١٩١٩ وقدم فيه محمد فريد مذكرة ضمنها شرحا للقضية المصرية وما تعانيه مصر من عسف السلطات البريطانية فى مواجهتها لأحداث ثورة سنة ١٩١٩ . ( الرافعى : محمد فريد ، ص ٣٦٣ )

(٢) المقصود : حدث تغيير وتعديل على المشروع .

أخبرنى كذلك بوجود شخص مصرى فى إيطاليا اسمه أحمد فؤاد وهو ابن على بك علوى المستخدم

(٣١٢)

بقنصلاتو إيطاليا بمصر من سنين ، وأن هذا الشاب أثرى فى أثناء الحرب وجمع مالا طائلا بطريق الإتجار ، وأنه مستعد لمساعدة الحركة الوطنية وأنه أعطاه فعلا عشرة آلاف فرنك إيطالى ، ووعده بدفع كل ما يلزم لهذه الغاية الشريفة فيما بعد . وطلب منى أن أرسل له جواباً خصوصياً أشكره فيه على وطنيته لأن مثل هذا الجواب يسره ويشجعه على الإستمرار فى هذا الطريق،طريق خدمة البلاد بمجهوداته وبماله . فكتبت له الجواب ووصلنى منه رداً بالشكر وباستعداده للقيام بكل ما تسمح به الظروف

مرضى واقامتى فى سان موريتس

إن صحتى فى هذه السنة معتلة جداً بسبب إشتداد مرض الكبد المصاب أنا به من نحو ثلاثين سنة ، ورشح الماء فى تجويف البطن مما يستدعى بذله من وقت لآخر، فقصدت أولا فى شهر إبريل بيت صحى ( سناتوريوم ) بالقرب من ليمان اسمه Sanatorium du Léman وأقمت نحو ست أسابيع شعرت فى أولها بتحسن خفيف ثم زال هذا التحسن ، وأخذت الحالة فى إزدياد . عندها قابلت الدكتور شرومبف Schrumpf الذى باشر حالتى وعالجنى مدة إقامتى فى برلين فنصحنى بالتوجه إلى حمامات باسوج Passugg ، فسافرت إليها فى ١٧ يونيه ، وقضيت ليلة فى زوريخ للاستراحة ، ووصلت هذه الحمامات فى ١٨ منه ففحصنى طبيب الحمامات ورتب لى ما يلزمنى من الحمامات والشرب . ولكن زادت ماء الرشح بسرعة فخشيت العاقبة ، وكتبت للدكتور شرومبف استنصحه ، فأرسل لى تلغرافاً يطلب منى به أن أسافر على الفور إلى مستشفى Samaden بجوار سان مورتس لعمل البذل فى يوم الإثنين ٢٣ يونيه ، فسافرت من باسوج فى ٢٢ منه وبعد ظهر اليوم التالى حضر شرومبف بنفسه مع طبيب المستشفى وأخرجا ماء الرشح الذى بلغ مقداره تسعة لتر فاسترحت فوراً وأقمت بهذا المستشفى ثمانية أيام ثم سافرت يوم ٢٩ منه إلى سان مورتس لأن جوها مقوى ومنعش ومفيد جداً لمن هم فى نقاهة من مرض،وكان طبيب المستشفى يتوقع ضرورة إعادة البذل بعد عشرة أيام،ولكن لله الحمد قضيت بهذه المدينة شهراً كاملا ولم يصل الماء إلى درجة يستدعى معها إعادة البذل . وفى ٢٩ يوليه سافرت مع وفيق أفندى إلى لوسرن لحضور مؤتمر للإشتراكيين مزمع إنعقاده فى ٢ أغسطس التالى ،

وكانت نصيحة الدكتور شرومبف لى أنى لا أستعجل فى إعادة عملية البذل إلا إذا شعرت بضيق أو تعب فى جهة القلب، عندها يكون الإنتظار مضراً وتتحتم العملية .

وصلنا لوسرن فى مساء اليوم المذكور، وبعد يومين وصل الشيخ جاويش أيضاً . وبهذه المناسبة أذكر شيئاً عن تصرفاته وجماعته نحوى فى المسائل الشخصية والسياسية ، وأشرح ما قاله لى عبد الحميد سعيد الذى حضر إلى لوسرن أثناء وجودنا فأقول أن :

(٣١٣)

معاملة جاويش وجماعته لى وانقسامهم على انفسهم

الشيخ جاويش وجماعته من عهد عودتنا من برلين فى أواخر نوفمبر الماضى ، جعلوا مركزهم فى برن ليكونوا بجوار فؤاد سليم ومستشاره الدكتور بهجت وهى أخ عماد الدين وكيل البرنس سعيد حليم، المحرك لهذه الحرب ضدى لأنى لم أوافق على تعيينه خديو لمصر كما سبق شرحه فى مواقعه . أما أنا فلما حضرت من برلين ذهبت تواً إلى سان مورتس ثم عدت فى أواخر يناير إلى برن قبيل إجتماع مؤتمر الإشتراكيين ، وبعد ذلك أقمت فى جنيف ، ولما ازداد بى مرض الكبد أخذت انتقل من جهة لأخرى حسب إشارة الطبيب ، ولما أمرنى بالسفر إلى باسوج Passug لم أقف فى برن بل ولم أخبرهم لأنهم أهملوا السؤال عنى أثناء مرضى . وأقمت بين باسوج وسان مورتس إلى آخر يوليه ، وفى كل هذه المدة لم يكتب أحد منهم مستفسراً عن صحتى ، ولما حضر وفيق أفندى إلى سان مورتس فى ١٢ يوليه كتب لعبد الملك حمزة فلم يجاوبه ، وكتب لجاويش فجاوبه ، ولكن لم يكتب لى . ولما تقابلنا مع جاويش فى لوسرن علمنا منه أن عبد الملك والبحراوى وإسماعيل كامل مقيمون فى أروزا Arosa بالقرب من سان مورتس ولم يخبرونا بذلك فلمت الجاويش أمام وفيق على هذا السر ، فاحتج أولا بأنه لم يعرف عنوانى مع أنه يعرف عنوانى الثابت فى جنيف ، ومع أن وفيق كتب له بأنه مقيم معى ، فتلعثم كما هى عادته ، ثم سافر بعد يومين ، ويوم سفره وصل عبد الحميد سعيد ، وكان جاويش أخبرنا بأنهما متخاصمان لأن عبد الحميد أهانه وشتمه مراراً، فأخبرنا عبد الحميد بأن سبب إهانته للشيخ فى برن أنه دعى عبد الخالق مدكور باشا للشاى بإتفاقه مع عبد الملك حمزة بدون إخبار عبد الحميد ، ولكن حان (١) وقت تناول الشاى كان عبد الحميد معه صدفة فوجد معهم

---

(١) لعل المقصود بكلمة ( حان ) هو ( حال ) .

وفى هذا الإجتماع أخذ جاويش يطلب من مدكور باشا بأن يبلغ وفد باريس بأنهم يكونون أكثر ملاينة مع الإنكليز وأنهم يكتفون باعطاء مصر امتيازات لتكون مثل كندا ، فخرج فيه عبد الحميد وقال له كيف أنك تنصح الوفد بمثل ذلك مع أنك مع حزب يطالب بالجلاء والإستقلال فى الوقت الذى ما كان أحد يجسر فيه على فتح فمه وكان الكل يرمون أعضائه بالهوس والجنون ، والآن والأمة أصبحت مجمعة على طلب الاستقلال التام تكتفى بمثل ذلك ، وكيف يسوغ لك أن تتكلم بما ينافى مبادىء الحزب وأنت لا تملك تغيير مبادئه ، إلى غير ذلك حتى أدى به الإنفعال إلى شتم جاويش وإهانته فى هذا المجلس ثم قابله مرة أخرى فى المستشفى الذى كان به حسين شرين بك فشتمه وقال له « سأؤدبك على عدم الحياء يا قليل الأدب » هذه العبارة نقلها لنا جاويش نفسه .

ميل جاويش الى قبول الحماية الانكليزية ومحادثته مع عبدالخالق مدكور بهذا الشان واهانة عبد الحميد سعيد له

والخلاصة ، أنهم اصبحوا ثلاث فرق . وأن اجتهدوا فى إخفاء انقسامهم (١) عبد الحميد سعيد ويقيم فى ضواحى برن و (٢) محمد على محمد ويقيم فى برن نفسها و (٣) حمزة والبحراوى وإسماعيل كامل بأروزا ، أما

(٣١٤)

جاويش فمتجول من بلد إلى أخرى لا يعلم له مقر ثابت ، وأحمد طاهر انعزل عنهم تماماً لإستبدادهم فى الرأى وعدم إخبارهم إياه بما يفعلون ، وكتب لهم بذلك فعلا كما أخبرنى هو حين مقابلته لى فى جنيف بعد عودته إليها فى منتصف أغسطس .

مما أخبرنى به عبد الحميد سعيد أمام وفيق فى لوسرن ، أن ضابطاً انكليزياً اسمه الكولونيل سميث Smith أرلاندى الأصل كان بمصر فى الأيام الأخيرة ، حضر إليهم فى الأوتيل التى ينزلون بها عادة فى ضاحية برن فلم يجد بها إلا عبد الحميد وعبد الملك فقابلها وتكلم معهما فى الإتفاق مع الإنكليز ، فأجاباه بأنهما لا يقبلان إلا الإستقلال التام لمصر ، وأنهما مستعدان لحفظ مصالح إنكلترا بمصر ، فطلب منهما جواباً للوفد المصرى الموجود بباريس فكتبا له ما أرد مع الإحتياط ومع المحافظة على مبادىء الحزب الوطنى ، فانتقدته على تصرفهما فى مثل هذه المسألة المهمة بدون إجتماعنا حتى يكون العمل باتفاقنا ، فاحتج بضيق الوقت ، وبأن الرجل كان مزمع السفر إلى باريس وليس هناك متسع من الوقت للإجتماع والمداولة ، ولكن المهم أن الجواب منهما ولا دخل لى فيه مطلقاً والله أعلم بما قالوا وبما كتبوا .

مخابرة عبد الحميد سعيد وعبد الملك حمزة مع ضابط انكليزى بشان مصر

ولما قابلنا جاويش فى Territet فى ٨ أغسطس ، سألته عن هذا الموضوع فقال

بأنه أخبر به فيما بعد ، ولما سألته عن سبب عدم إخباري به عند مقابلتي معه في لوسرن قال بأنه كلف بذلك من إخوانه فرفض خوف غضبي فكلف عبد الحميد بذلك .

كنت ذات يوم من شهر أغسطس في جنيف ، إذ قابلني يوسف صديق باشا وأخبرني (أمام وفيق) بأن ضابطاً إنكليزياً برتبة كولونيل يكاتب جميل طوسون من لوندره ويستعلم منه عن كل ما يهمه بشأن المسألة المصرية التي يشتغل بها ، وبأن جميل أخبره بأن هذا الإنكليزي يحضر كثيراً لسويسره ، فقلت له : أظن أن اسمه (اسميث) فقال نعم ، اني سمعت عنه بعض الشيء أ . هـ .

ثم عقب ذلك كتب لي عبد الحميد سعيد بتاريخ ٢٨ أغسطس سنة ١٩ بأن هذا الضابط أرسل لها جواباً يخبرها بأنه قابل معظم النظار وتحادث مع كثير من رجال السياسة ومعظمهم ميالون للوفاق على أساس الاستقلال على شرط أن يحصلوا على الضمانات الكافية بخصوص قناة السويس حتى تكون صلاتهم مع آسيا في مأمن من كل تعد ، وأن يكون لهم طريق إلى مستعمراتهم الإفريقية من جهة البحر الأبيض أي أن تكون مواصلاتهم مع افريقيا الداخلية حرة أ . هـ .

ولكنه لم يكتب لي عما أجابوه به على هذا الجواب .

(٣١٥)

فأجبته في الحال بما يأتي : أما من خصوص الارلاندي . فقد علمت بأن له صلة أكيدة بالبرنس جميل طوسون المعروف بأنه من جواسيس الإنكليز ، وأنه يكاتبه من إنكلترا ويأخذ رأيه في كل شيء ولذلك أرى أن الإبتعاد عن مثل هذا الرجل أصوب وعلى أي حال فأنا شخصيا لا أحب أن أتداخل في هذه المخابرات أ . هـ (الجواب وصوره الرد محفوظين في ملف أغسطس سنة ١٩ ) .

بعد عودتي إلى جنيف زاد ماء الرشح بسرعة فاستحضرت طبيباً بزلها في ٢٤ أغسطس ثم في ٣ سبتمبر ولكنها عادت مرة أخرى فاستحسنت أني أقيم في دار صحية تحت مباشرة طبيب وكلفت حسين شيرين بك بأن يبحث لي عن محل مناسب بجهة Territet ، فوجد محلا اسمه Clinique de Collogne لأكون تحت إشراف طبيبه الدكتور Chessex فسافرت إليه يوم الإثنين ٨ سبتمبر ، وفي يوم الجمعة بزل الدكتور الماء فأخرج من جوفي ١٧ سبعة عشر لتر ماء . ثم رتب لي بعد ذلك الأكل والعلاج فقل ماء الرشح وتحسنت الحالة نوعاً وليوم تحريره (٢٣ سبتمبر ) لم يزد الماء الموجود لدرجة توجب البزل والمأمول استمرار هذا التحسين .

بعد قيام الأمة بثورة مارث وإبريل الماضى ، رفعت المراقبة تدريجيا عن الصحافة مع تقييدها بعدم الخوض فى عدة مسائل ، وتركت للأحزاب بعض الحرية فى الظهور ثانيا وفى الكتابة فاشترى عبد اللطيف بك الصوفانى بالنيابة عن لجنة الحزب جريدة الأفكار ، وظهر العدد الأول منها فى أول شهر ذى القعدة سنة ١٣٣٧، واشترى السيد أفندى على (١) إمتياز جريدة اسمها النظام من محمد أفندى مسعود وأصدرها بلهجة وطنية وإن كانت غير تابعة تماما للحزب الوطنى . وعاد بعض أعضاء اللجنة لمكاتبتى عن أعمال الحزب مثل الصوفانى وعلى فهمى كامل . وفى عيد الأضحى لتلك السنة أرسل إلى الصوفانى (٢) مهنئا باسم الحزب واسم الأمة ومعنون باسمى وصفتى ، وأصبحت اللجنة تجتمع رسميا . ولكن هل تدوم الحالة هذه أو أن القصد منها تخدير أعصاب الأمة ، هذا ما ستظهره الأيام .

حالة الحزب الوطنى ولجنته بمصر

فى يوم الإثنين أول سبتمبر، ألقى أحد طلاب المعهد الدينى السكندرى قنبلتين على محمد سعيد باشا فى جهة الرمل باسكندرية ، فأصابت الأولى مؤخرة السيارة وأتلفته ، ولكنها لم تصب محمد سعيد ، والثانية انفجرت بعيداً عنها ، ولم تنشر الجرائد عن هذا الحادث إلا ما ترسله الداخلية من البلاغات الرسمية فقط بدون تعلق . والمهم فى هذا الأمر أن الأفكار الثورية والإرهابية وصلت إلى هذه الطبقة من الطلاب الذين كان يضرب بهم المثل فى الجبن ، وهو ما يرهب الحكام الخونة ويجعل الإنكليز (٣) .

القاء قنابل على محمد سعيد باشا

(٣١٦)

سافر وفيق يوم الجمعة ٢٦ سبتمبر إلى إيطاليا ، لينتظر هناك تصريح الإنكليز له بالعودة لمصر ، وقد حمدت الله على سفره لأن هذا الشاب وإن كان كاتبا لا بأس به فى العربية والفرنساوية إلا أنه مغرور ككل الشبان ، وفوق ذلك فهو مسرف بدون أن يحسب للغد حسابا ، مدمن على شرب الخمر يذهب إلى أحط محلات الفساد ، خليع مهزار مع من هم أقل منه سنا ومركزاً ، يقترض الأموال من معارفه وإخوانه بدون

عودة وفيق الى ايطاليا وحكمى عليه

---

(١) وكان يدعى « السيد على محمد » وقد حوكم امام محكمة الجنايات التى حكمت عليه فى فبراير سنة ١٩٢٠ بالأشغال الشاقة لمدة عشر سنوات .
( أنظر كتاب : ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، اصدار مركز الوثائق والبحوث التاريخية بجريدة الأهرام ، ص ٣٧٤ ) .

(٢) هكذا ورد بالأصل ويستقيم المعنى لو اضيفت كلمة (تلغرافا) او (خطابا) بعد (الصوفانى) .

(٣) هكذا ورد بالأصل ، ويستقيم المعنى لو اضيفت عبارة ( فى رعب دائم ) بعد ( الانكليز ) .

نية الدفع ثانياً ، فأعماله في هذا الباب تكاد تقرب من النصب ، أو هي النصب بعينه . أقام هذه المدة القصيرة فأساء سمعته وخلف اسما غير شريف ، فمع السلامة .

النقابات والاعتصامات في مصر

إن حركة العمال وتأسيس النقابات لجميع الحرف تقريبا سائرة بهمة ونشاط وعلى رأسها بعض شبان المحامين وأحمد بك لطفي . ولقد أضرب عمال شركة الترامواي والمطرية عن العمل من ١٠ أغسطس ولم ينته إضرابهم الى اليوم ( ٣٠ سبتمبر ) وقد عينت الحكومة لجنة أسمتها لجنة التوفيق لفحص مطالب العمال والتوسط بينهم وبين أصحاب الأعمال منعا لحصول ما يكدر الصفاء العام . ويظهر من أقوال الجرائد المصرية أن هذه اللجنة أكثر ميلا لأصحاب الأموال ، وأن صادق بك يونس رئيس نيابة إسكندرية وأحد أعضائها استعمل الغلظة بل التهديد مع العمال ، فاحتجوا عليه وتظاهروا ضده كما احتجوا على : حسن باشا عبد الرازق محافظ إسكندرية لقوله لمحامي عمال ترامواي إسكندرية والرمل بأن حركتهم سياسية لا إقتصادية فقط . وأخيراً قبضت الحكومة أو السلطة العسكرية الإنكليزية على : كامل أفندي حسين محام عمال ترامواي مصر واعتقلته بدعوى أنه يحرض مستخدمي السكة الحديدية على الإضراب . وهذا الإضراب متوقع حصوله لأن الحكومة تسوف في إجابة طلباتهم .

وامتدت حركة تشكيل النقابات إلى طلبة العلوم الدينية بالأزهر وفروعه ، وإلى طلبة المدارس الثانوية والعالية ، وقد نشر مشروع قانونهم ويظهر من مواده أنهم يريدون إعادة نادي المدارس العليا بشكل جديد .

خبر سفري الى امريكا وتكذيبه

نشرت جريدة الأفكار ونقلت عنها النظام بأني سافرت إلى أمريكا مع بعض أعضاء الحزب الموجودين بسويسرا ، ولما اطلعت عليه هنا أرسلت في الحال بتكذيبه تلغرافياً في ١٧ سبتمبر ، ولا أدري كيف ينشرون مثل هذا الخبر مع علمهم بمرضي وبدون أن يستعلموا مني تلغرافياً عن حقيقته (١) .

**( انتهت الكراسة الحادية عشرة )**

---

(١) انتهت المذكرات بانتهاء هذه الكراسة ، وتجدر الاشارة الى أن محمد فريد كتب عنوانا جانبيا هو « قرار لجنة الأمور الخارجية لمجلس شيوخ أمريكا وتكذيبه ، أمام فراغ متبق من هذه الصفحة ، كما كتب عنوانا جانبيا هو « مأمورية اللورد ملنر وأحاديث الجنرال اللنبي .» في الثلث الأول من صفحة مواجهة لهذه الصفحة غير مرقمة ، ويبدو أنه كان ينوى استكمال تدوين سرده للأحداث خاصة وأنه اعتاد أن يكتب العناوين الجانبية أولا على هامش الصفحات كنوع من التذكرة له ، ولكن مرضه الذى اشتد عليه ابتداء من أبريل ١٩١٩ ، واستمر يعانى منه حتى أودى بحياته فى ١٩١٩/١١/١٥ ، حال بينه وبين تدوين ما كان ينوى تدوينه .

# الملاحق

ملحق رقم (١)

صورة لصفحة زقم ١٩٩ من مخطوطة « مذكراتي بعد الهجرة »

( انظر هامش صفحة ٣٠٢ من الكتاب )

ملحق رقم (٢)

صورة لصفحة رقم ٢٠٠/٢٠١ من مخطوطة « مذكراتي بعد الهجرة » .

( أنظر هامش صفحة ٣٠٣ من الكتاب )

**ملحق رقم (٣)**

**صورة لصفحة رقم ٢٠١ من مخطوطة « مذكراتى بعد الهجرة »**

**( أنظر هامش صفحة ٣٠٤ من الكتاب )**

ملحق رقم (٤)

صورة لصفحة رقم ٢٠٢/٢٠٣ من مخطوطة « مذكراتي بعد الهجرة »

( انظر هامش صفحة ٣٠٥ من الكتاب )

**ملحق رقم (٥)**

صورة لصفحة ٢٠٤/٢٠٥ من مخطوطة « مذكراتي بعد الهجرة »

( أنظر هامش صفحة ٣٠٦ من الكتاب )

ملحق رقم (٦)

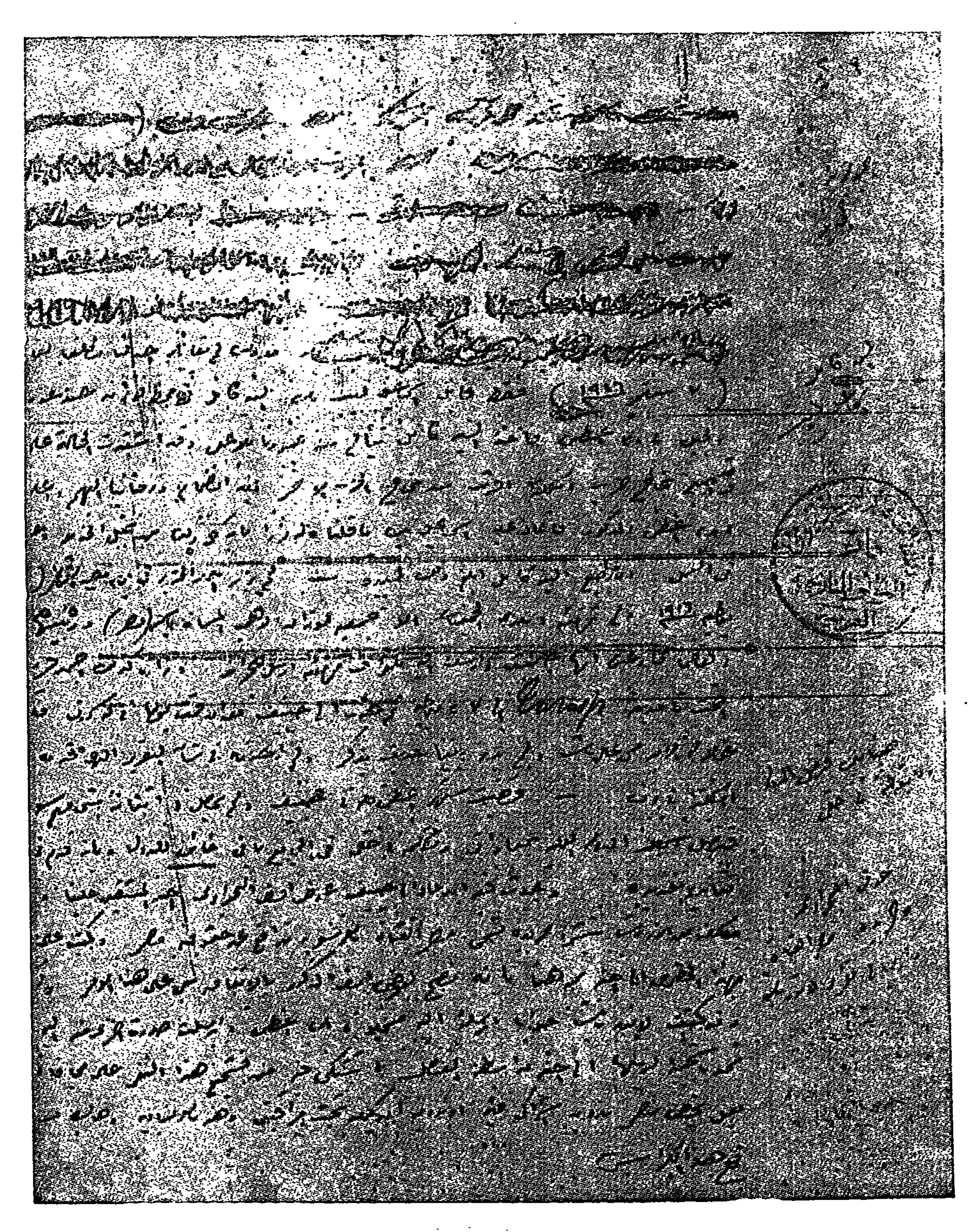
صورة لصفحة رقم ٢٠٥ من مخطوطة « مذكراتي بعد الهجرة »

( انظر هامش صفحة ٣٠٧ من الكتاب )

ملحق رقم (٧)

صورة لصفحة رقم ٢٠٨/٢٠٩ من مخطوطة « مذكراتي بعد الهجرة »

( انظر هامش صفحة ٣١١ من الكتاب )

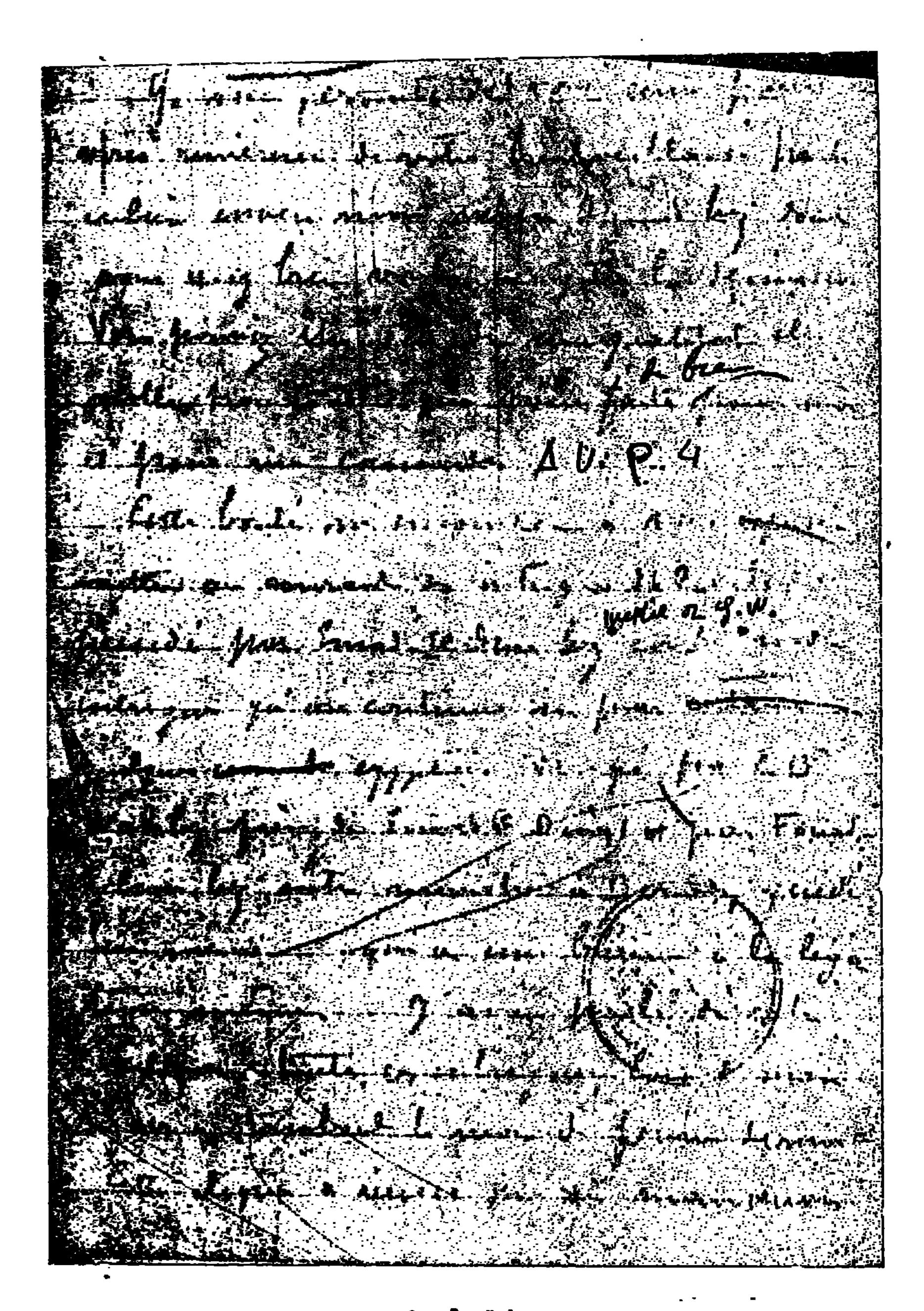


**ملحق رقم (٨)**

**صورة لصفحة رقم ٢٠٩ من مخطوطة « مذكراتي بعد الهجرة »**

**( أنظر هامش صفحة ٣٦٢ من الكتاب )**

( أنظر هامش صفحة ٣٦٢ من الكتاب )



**ملحق رقم (٩)**

**صورة لمسودة الخطاب الذى أشار اليه محمد فريد فى نهاية الصفحة رقم ٢٠٩ من هذه المذكرات ( للتفاصيل أنظر هامش صفحة ٣٦٣ من الكتاب ) .**

[illegible] rien [illegible] journal [illegible]

[illegible] cette [illegible] devient plus

apparent et plus [illegible] pour les [illegible]

[illegible] journal

destiné à défendre la cause égyptienne

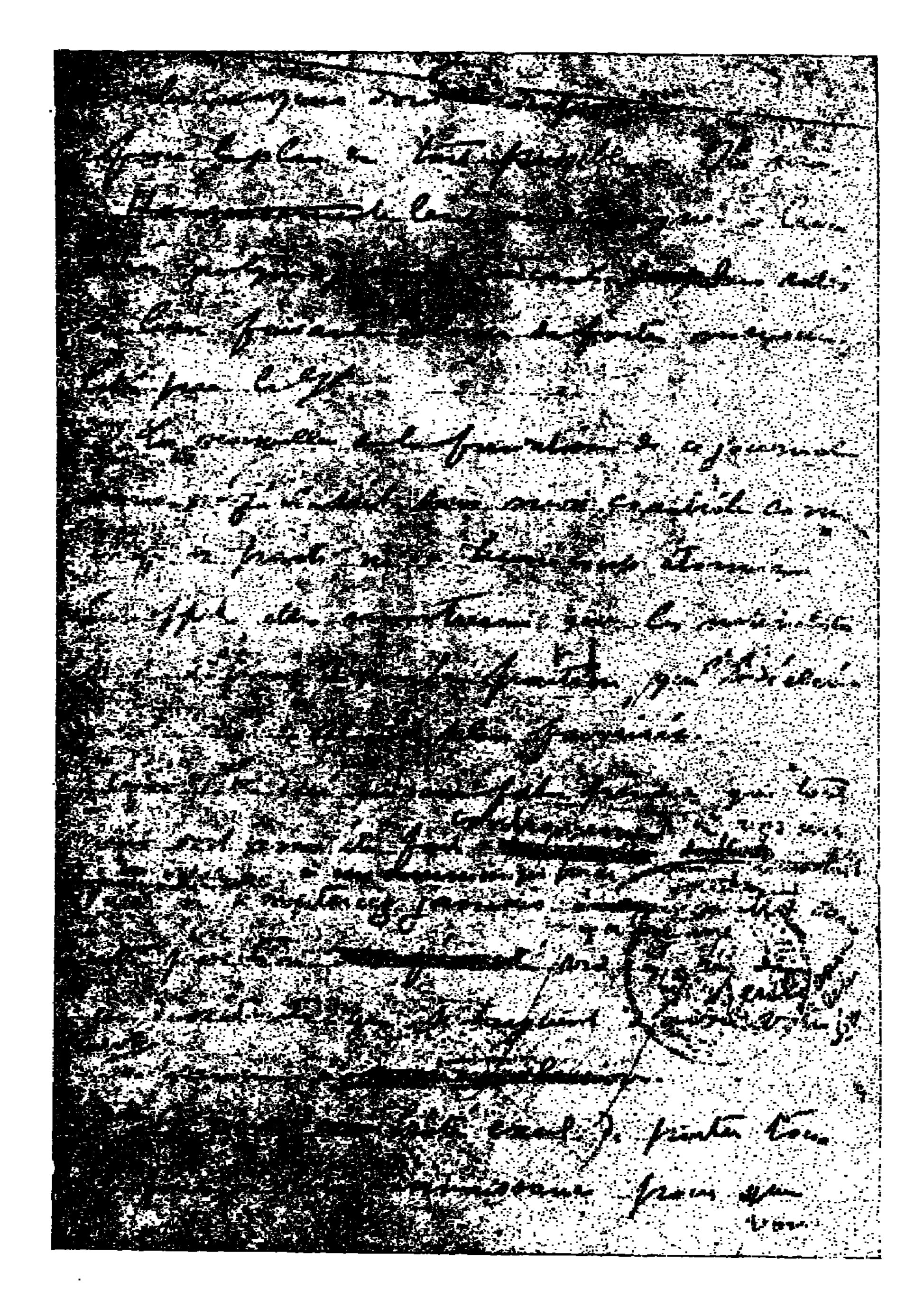
qu'on appelera « La Jeune Egypte ».

Aussi Monsieur le Bahraoui est revenu dernièrement en Suisse pour le fonder avec des fonds fournis par l'ancien Ecchtikal, [illegible] le journal de cheikh Chaouich [illegible] approuvé par votre Excellence.

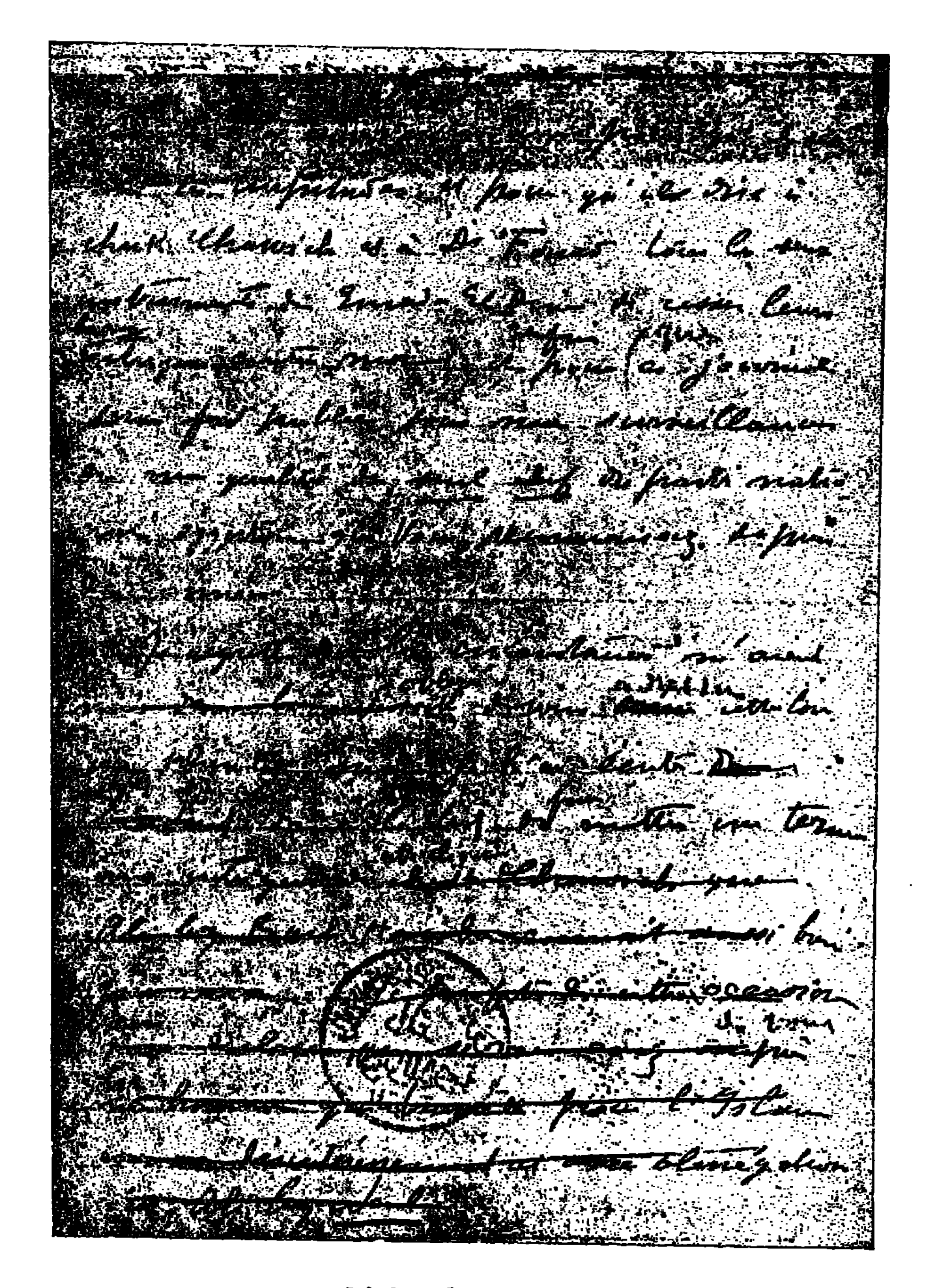
Cet [illegible] Le jeune avocat plein de lui-même [illegible] répandit la nouvelle en prétendant que Vous n'aviez plus confiance en moi, que c'était eux, (le parti Chaouich) qui représente le parti national auprès du gouvernement turc, qu'ils allaient former un nouveau comité qui serait présidé par l'ancien cheik [illegible], le consul [illegible] bey et le [illegible] Fouad Sélim) les [illegible] de la

[illegible] marque [illegible]

( تابع ملحق رقم ٩ الصفحة ب )



( تابع ملحق رقم ٩ الصفحة ج )



( تابع ملحق رقم ٩ الصفحة ٥ )

Dans la certitude que vous daignerez donner à ma lettre l'attention qu'elle mérite, je vous prie Votre Excellence d'agréer mes salutations fraternelles.

P. S. J'ai vu Ahmed Chérif le jeune Musulman égyptien, qui vient en Suisse en congé de six mois. Il me demanda de prier V. E. de donner les ordres nécessaires pour qu'on lui envoie les appointements que le 4e ordre lui ont [illegible] que son indemnité pour cause de maladie. Il a envoyé à V. E. une requête dans ce sens par l'entremise de [illegible] à Berne. Je sais que la demande sera bien accueillie. J'ajoute ma faible voix à la sienne pour que la suite lui soit donnée.

T.

( تابع ملحق رقم ٩ الصفحة هـ )

في ٢٧-٢-١٩١٧

سعادة سيدي المفضال المجاهد الكبير محمد فريد بك الأكرم حفظه الله

## ملحق رقم (١٠)

صور لخطاب مؤرخ ١٩١٧/٢/٢٧ ( مطبوع نصه على صفحة ٢٣٥ من المذكرات ) مرسل من الدكتور احمد فؤاد يواسى فيه محمد فريد فى وفاة ابنته ( لطيفة هانم ) ورد محمد فريد عليه ، فور وصول الخطاب فى ٧ مارث سنة ١٩١٧ ( انظر هامش صفحة ٣٤٩ من الكتاب ) .

٢٣ يوليه ١٩١٧

Telegramm-Adresse: SILVANA-VULPERA

خالي العزيز

[illegible]

ملحق رقم (١١)

صورة لخطاب مؤرخ ٢٣ يوليه ١٩١٧ ( مطبوع نصه على صفحة ٢٥٨ من الذكرات )
ويقع في ثلاث صفحات متتالية ، مرسل من أحمد فريد الى خاله .
( انظر هامش صفحة ٣٧٣ من الكتاب )

اما ما يختص بالجوابات فقد ورد تلغرافك [illegible] والجواب [illegible]

فقد كتبته لو كان لبيب احضر واشتهر انه لابد ان يكون ورد لي مثل ما ورد لي

وقلت له انه لابد [illegible] وفهمت انه يخابر تلفونيا للاستشارة في الامر لانه

الخطاب لا يفي بالحاجة ولو كان من تلقاء نفسه اعطى مواعيد وجوده [illegible] فاهمته اما

هذا الخطاب [illegible] له في [illegible] فلذا [illegible] في صباح اليوم

التالي [illegible] تلك [illegible] بالحضور

[illegible] فقد انتظرت نهاية الاسبوع

فلم يخابرني لا تلفونيا ولا كتابيا بالمرة فانتظرت [illegible] تلغرافا [illegible]

فقط يوم ١٢ منه [illegible] بسبب التأخير في الرد عليك تلغرافيا ولغاية يوم

تاريخه لم يحصل من كامل لبيب شيء لا تلفونيا ولا كتابيا [illegible]

[illegible] من آداب [illegible] كامل لبيب

واما انا فاوجه الحضرة [illegible] في ذلك بكل ما تسمح به صحتي واما

ما اراه في هذا الامر هو ان [illegible] من لبيب [illegible] عليه [illegible]

واما انت فسر في طريقك بعون الله وقوته واستمر في عملك متوكلا على

المولى القدير فان لم تنجح في هذا الطريق فتواصل بعد ذلك [illegible]

العزيز [illegible] الزمن الطويل وهذا [illegible]

وعند [illegible] السفر [illegible] في الحال والمنتظر [illegible] كثيرة

واقبلك [illegible]

[illegible]

( تابع ملحق رقم ١١/الصفحة ب )

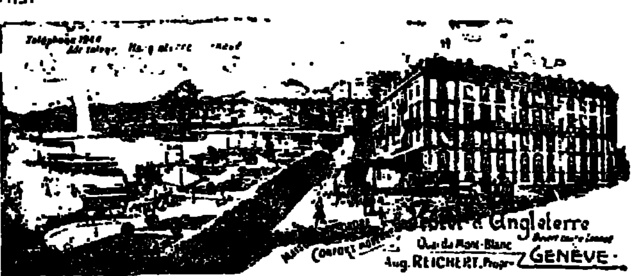
ومن اخبار مصر

حضر من مصر قبل سفري من جنيف شاب من الكتبة [illegible] بالغرفة
والمحامين يدعى فؤاد [illegible] وهو من اصدقاء [illegible] ومعروف وكان [illegible]
ثم تقيد محاميا [illegible] ثم [illegible] على المحاماة [illegible] الى سويسرا للعلاج
من السل والعياذ بالله ، اخبرنا ان الحال من الوجهة [illegible] صعبة والميل للعمل
الجدي للمصريين عظيم والوطنية والحماسة كبيرة وانه يوجد حزب للمطالبة من
الطبقة العالية [illegible] العامة يعتقدون [illegible] سقوط [illegible]
فرحا وقد [illegible] منذ الامر [illegible] كثيرا جدا ولكنهم لم يثبتوا [illegible]
وهم لا يثقون [illegible] كانت [illegible] ويعتقدون ذلك
جهارا ولكنهم لا يثقون به [illegible]

قد اشتركت لك في الجرائد الفرنساوية التي طلبتها

بعد [illegible] ورد [illegible] [illegible]
[illegible] Ackermann [illegible]
[illegible]

( تابع ملحق رقم ١١/الصفحة ج )




جنيف في ١٥ يوليه ٩١٧

عزيزي الحاج فريد بك

منذ [illegible] ايام تقريبا وصلني كتابا من [illegible] بارسيه والبلاد الواطئة يخبرني بانه [illegible] باسمي من [illegible]
مبلغ ما [illegible] ويدعون للاستقلال وطبعا عرفت بانه مرسل منكم ولكني انتظرت خطابكم لاقف
على السبب [illegible] وعلمت الحقيقة وقد جئت بكتابي هذا اعرض عليكم ما عن لي
من الملاحظات . اولا لا يخفاكم ان المبالغ التي نتقاضاها من الدولة [illegible] وصلت
الى ثلاثة عشر فرنك اليوم وربما نزلت الى عشرة فقط في السنة المقبل ومن يدري بعد ذلك ؟ [illegible]
[illegible] مع [illegible] الوكالة [illegible] على الاقامة [illegible] احيينا [illegible]
[illegible] ذلك [illegible] الى الوكالة [illegible] معيشتي كما ترى .
ثانيا اني علمت من احد كبار [illegible] ان المؤتمر سيعقد [illegible] فاذا لا ارى
داعيا للحضور [illegible] لنا ان نتربص قليلا حتى نرى نتيجة الحركة الموجودة في المانيا
فربما جرت الى الصلح وحينئذ نذهب جميعا الى الجهة التي يتقرر اجتماع مؤتمر الصلح بها .
لم اقف على رأي احمد بك لانه سافر الى [illegible] الجاري اما منصور فقد كتبت
اليه [illegible] وعلى ظني انه [illegible] هنا [illegible]
[illegible] صوت مصر عاليا [illegible] ما يتمناه لها ابناؤها . [illegible] مجلة تحت عنوان
Revue de la presse [illegible] الذي [illegible] جريدة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] كنت اود ان [illegible] احيينا [illegible]
لا يوجد ما يمنع لذلك وفي الختام ادعوا الله لكم بالتوفيق والصحة حتى
[illegible] على جميع [illegible] والسلام من [illegible]

**ملحق رقم (١٢)**

صورة لخطاب مؤرخ ١٥ يوليه ١٩١٧ ( مطبوع نصه على صفحة ٢٥٩ من المذكرات )
مرسل من اسماعيل لبيب الى محمد فريد أو يقع على صفحتين متعاقبتين .
( انظر هامش صفحة ٣٧٥ من الكتاب )




Succursales: Branch Houses.
HÔTEL VICTORIA, [illegible]
HÔTEL VICTORIA [illegible]
HÔTEL DE FRANCE, NICE
FRÉD. WEBER, Propriétaire
GENÈVE, le          في ٢ اكتوبر ١٩١٧

خالي العزيز

وصلني كتابك من ستوكهلم وكذلك الجواب لم يصل وربما يكون في الطريق و [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ملحق رقم (١٣)

صورة لخطاب مؤرخ ٣ اكتوبر ١٩١٧ ( مطبوع نصه على صفحات ٣٨١ - ٣٨٣ من الكتاب ) مرسل من احمد فريد الى خاله محمد فريد ورد الزعيم عليه فى ١٠ اكتوبر من السنة نفسها .

ثالثا - وما رأيته من امور يشعر كرهي في الاقامة في جنيف وترددي كرها
في الاشتغال معه في الوطنية

فلو انتهت سافرت الى برلين معك فتذكر الاستانة خالو منها احدنا فاعتبرت
الشاذ في حزبنا الوطني الحر

انني لا اقصد خدمة الوطن فقط بل اقصد خدمتك ايضا بوجودي في الاستانة
لانه عندي [illegible] مكانتك في الاستانة ولقاء معاملتك [illegible] واولاد وحصول
النسب التي [illegible] للحزب علي يدك كما حصل الان فذلك ليس في نحن
لانك تعرف فقط بل الفخر مشاركتك في جميع العائلة ومتوارثة لنا ولنا
جميعا [illegible] مع التوكل على الله على قبول امر [illegible] فاذا تمام
الحال [illegible] والراعي الاستقلالية وعلى الله التوفيق

ما يخص برلين طلبت به لبيب ووضعته ايضا بكل ما يلزمك و
خطاباتك لي ارسلها الى جنيف بعنوان محل سكني 116, Rue des
Eaux-Vives. [illegible] ومن جنيف [illegible]
لي بالطريقة التي رتبنا لها جميع [illegible] الجزئيات

هذا وارجو منك [illegible] المخالطات وحصول ما اراه مفيدا للعمل [illegible]
وهذا ما اننا له فوفقنا الله على اتمامه وسافر [illegible]
[illegible] نقوم جميعا الى الاستانة فاسأل الله الكريم رب العرش
العظيم ان يوفقنا الطريق للوصول الى خدمة الوطن العزيز
وفي الختام اقبلك كثيرا يا اخي

محبك
[illegible]

قائمة في برلين ولبيب في جنيف وانا في الاستانة لحزبنا [illegible]

( تابع ملحق رقم ١٣ ، الصفحة ب )

وفقنا الله ووفقنا للوصول إلى النتيجة التي [illegible]

صورة رد على عدد ١٠ أكتوبر . أحمد

جوابك وصلني وراجعته لما ١٠ أكتوبر [illegible] أدهشني لأني ما كنت أتصور أنا أتخيل مطلقا أنك تقبل الدخول في خدمة الجزائر بعد ما وقفته عليه سفينتك حتى أنا [illegible] سويسرة وبعد [illegible] في الجزائر [illegible]
مع هذا الرجل [illegible] بعد [illegible] في السجن [illegible]
[illegible] الجزائر [illegible]
[illegible] هذا الجزائر [illegible]
كثيرا لأنه أجبر سفينتك [illegible] جميع [illegible] على [illegible] وما كنت [illegible]
أن تقبل هذا الأمر [illegible] ولكن قدر [illegible] فلا [illegible]

[illegible] أنك كنت تشتغل [illegible] بواسطة [illegible] والأخلاقيات
مدة ٥ سنين شديدة [illegible] سويسرة وأنك ذهبت إلى [illegible]
[illegible] وقال هذا صحيح ؟

أما علاقتي وعلاقة [illegible] مع الجزائر [illegible] في الجزائر [illegible]
في هذا الباب [illegible] أكثر [illegible] الجلسة [illegible] الله [illegible]
هذا [illegible] الثقة [illegible] الصورة [illegible] الذي في [illegible]

والسلام عليكم - [illegible]
[illegible]

( تابع ملحق رقم ١٣ ، الصفحة ج )

ملحق رقم (١٤)

صورة لصفحة رقم ٣١٠/٢٣٣ من مخطوطة « مذكراتي بعد الهجرة »

( أنظر هامش صفحة ٤٣٩ من الكتاب )

# مَراجع التحقيق

# أولا : كتب عربية


١ – إبراهيم عبده (دكتور) : أعلام الصحافة العربية الطبعة الثانية ، القاهرة ، مكتبة الآداب ، ١٩٤٨ .

٢ – ابراهيم عبده (دكتور) : تطور الصحافة المصرية وأثرها فى النهضتين الفكرية والاجتماعية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، مطبعة التوكل ، ١٩٤٥ .

٣ – ابراهيم زكى خورشيد (وآخرون) : دائرة المعارف الاسلامية ، دار الشعب ، ١٩٦٩

٤ – أحمد شفيق (باشا) : مذاكراتى فى نصف قرن الجزء الثانى ؛ عباس حلمى الثانى ، القسم الثانى من يناير ١٩٠٣ إلى ١٩١٤ القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٣٦

٥ – أحمد عطية الله : القاموس السياسى ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤١ .

٦ – أحمد لطفى السيد : صفحات مطوية من تاريخ الحركة الاستقلالية فى مصر من مارس ١٩٠٧ إلى مارس ١٩٠٩ ، عصر الانقلاب الفكرى فى السياسة الوطنية ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٦ .

٧ – اسماعيل صدقى : مذكراتى ، القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٥٠ .

٨ – إلياس زخورا : مرآة العصر فى تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصر ، الجزء الأول ، القاهرة ، المطبعة العمومية ، ١٨٩٧ .

٩ – الياس زخورا : مرآة العصر فى تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصر ، الجزء الثانى القاهرة ، مطبعة إلياس زخورا ، ١٩١٦ .

١٠ – أنيس صايغ : الفكرة العربية فى مصر ، بيروت ، ١٩٥٩ .

١١ — توفيق على برو : العرب والترك فى العهد الدستورى العثمانى ، ١٩٠٨—١٩١٤ ، القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٠ .

١٢ — جورج انطونيوس : يقظة العرب ، ترجمة : على حيدر الركابى دمشق ، مطبعة الترقى ، ١٩٤٦

١٣ — رءوف عباس ( دكتور ) : النظام الإجتماعى فى مصر فى ظل الملكيات الزراعية الكبيرة ( ١٨٣٧ — ١٩١٤ ) ، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر ، ١٩٧٣

١٤ — ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٥٧

١٥ — شحاته عيسى إبراهيم : عظماء الوطنية فى مصر فى العصر الحديث ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ .

١٦ — عبد الخالق لاشين ( دكتور ) : سعدزغلول ودورهفىالسياسة المصريةحتى سنة١٩١٤ ، القاهرة دار المعارف ، ١٩٧١ .

١٧ — عبد الرحمن الرافعى : ثورة ١٩١٩ ( تاريخ مصر القومى من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٢١ ) الطبعة الثانية ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٥ .

١٨ — عبدالرحمن الرافعى : الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزى ، الطبعة الثانية ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٩ .

١٩ — عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل ، الجزء الثانى ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٨ .

٢٠ — عبد الرحمن الرافعى : محمد فريد رمز الإخلاص والتضحية (تاريخ مصر القومى من سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩١٩ )الطبعة الثانية ، القاهرة مكتبة النهضة المصرية ، سنة ١٩٤٨ .

٢١ — عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ( تاريخ مصر القومى من سنة ١٨٩٢ إلى سنة ١٩٠٨ )الطبعة الثالثة ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٠ .

٢٢ — عبد الملك عودة (دكتور ) : سنوات الحسم فى أفريقيا ١٩٦٠—١٩٦٩ ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٩ .

٢٣ — عبد الوهاب المسيرى (دكتور) : الأقليات اليهودية ، القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٧٥

٢٤ – علي فهمي كامل : سيرة مصطفى كامل في أربعة وثلاثين ربيعا ، الطبعة الثانية ، القاهرة : مطبعة الدفاع الوطني ، ١٩٢٦ .

٢٥ – فؤاد كرم : النظارات والوزارات المصرية منذ إنشاء أول هيئة نظارة في ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ حتى قيام الجمهورية في ١٨ يونيه ١٩٥٣ ، ج ١ ، مراجعة وإشراف مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٦٩ .

٢٦ – محمد أنيس ( دكتور ) : الدولة العثمانية والشرق العربي ( ١٥١٤ – ١٩١٤ ) مكتبة الأنجلو ( بدون تاريخ )

٢٧ – محمد حسين هيكل ( دكتور ) : تراجم مصرية وغربيه ، مطبعة مصر ( بدون تاريخ )

٢٨ – محمد حسين هيكل (دكتور) : مذكرات في السياسة المصرية ( من سنة ١٩١٢ إلى سنة ١٩٣٧ ) الجزء الأول ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥١ .

٢٩ – محمد شفيق غربال ( مشرف ) : الموسوعة العربية الميسرة ، القاهرة ، دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، ١٩٦٥ .

٢٠ – محمد فريد : مخطوطة تاريخ مصر من ابتداء سنة ١٨٩١ مسيحية .

٢١ – مصطفى النحاس جبر : سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية ١٩٠٦–١٩١٤ ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ .

٣٢ – نقولا يوسف : أعلام من الاسكندرية ، الاسكندرية ، منشأة المعارف ١٩٦٩ .

٣٣ – يوسف الدسوقي ، محمد الدسوقي : في الصحافة ( بدون ناشر وبدون تاريخ ) .

٣٤ – يونان لبيب رزق (دكتور ) : الأحزاب المصرية قبل ثوره ١٩٥٢ ، القاهرة ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، الأهرام . ١٩٧٧ .

---

# ثانيا . كتب افرنجية

1 — Collins, 'The Daily Telegraph World Atlas', 1975.
2 — Concise Oxford Turkish Dictionary, 1975.
3 — Cromer, the Earl of : Abbas II, 1915.
4 — Encyclopedia Britannica, 1962.
5 — Hamlyn Encyclopedic World Dictionary, 1971.
6 — Hussey, W.D., British History (1815-1939), 1971.
7 — Hutchinson's, Story of the Nations, Vol. II.
8 — Petit Larousse Illustré, 1974.
9 — Swallow, Charles, The Sickman of Europe (Ottoman Empire to Turkish Republic, (1789-1923), 1973.
10 — The Encyclopedia of Military History, from 3500 B.C. to the present, 1974.

# ثالثا : الدوريات

١ — مجلة الآداب : أعداد ٢ / ١٠ / ١٨٨٩ وما بعدها ، ١٦ / ١١ / ١٨٨٩ ، ٢٣ / ١١ / ١٨٨٩ ، ٣٠ / ١١ / ١٨٨٩ .
٢ — جريدة الأهرام : أعداد ١٢ / ٦ / ١٩١٣ ، ٢٨ / ٩ / ١٩٧٧ .
٣ — جريدة الجريدة : أعداد ٢ / ٨ / ١٩١٣ ، ١٩ / ٨ / ١٩١٣ ، ٢٢ / ١ / ١٩١٤ .
٤ — جريدة العلم : أعداد ٢٢ / ٨ / ١٩١١ ، ٣ / ١١ / ١٩١٢ ، ٧ / ١١ / ١٩١٢ .
٥ — مجلة الكاتب : عدد مايو ١٩٧٠ .
٦ — جريده المحروسة : أعداد ١١ / ٤ / ١٩١٣ ، ١٢ / ٤ / ١٩١٣ ، ٢٠ / ٦ / ١٩١٣ ، ١٨ / ٨ / ١٩١٣ .
٧ — جريدة المقطم : عدد ٢٦ / ٢ / ١٩٠٩ .
٨ — مجلة الموسوعات : أعداد ٢٦ / ٤ / ١٨٩٩ ، ١٨ / ٨ / ١٨٩٩ ، ٢٢ / ٨ / ١٨٩٩ ، ١٩ / ١١ / ١٨٩٩ ، ٣١ / ٣ / ١٩٠٠ ، ٣٠ / ٤ / ١٩٠٠ ، ١١ / ٨ / ١٩٠٠ .
٩ — جريدة المؤيد : عدد ٢٠ / ٩ / ١٩١١ ؛
١٠ — جريدة وادى النيل : عدد ١٤ / ٧ / ١٩٠٨ ؛

# الكشافات (*)

وتشمل :

١ ـ كشاف الاعلام
٢ ـ كشاف الأماكن والبلدان
٣ ـ كشاف الصحف والمجلات

(*) تام باعدادها ومراجعتها الأستاذان : عبد الحميد سليم وأحمد نجيب حمدي ٠

# ١ ــ كشاف الأعلام(*)



---

(*) ارقام الصفحات الواردة قرين كل اسم فى هذا الكشاف هى ارقام صفحات « مذكراتى بعد الهجرة »

(ب )



(ت)

# ٢ ــ كشاف الأماكن والبلدان(*)



(*) ارقام الصفحات الواردة قرين كل اسم في هذا الكشاف هي أرقام صفحات « مذكراتي » بعد

( ب )

( ش )



(ص)



(ض)



( ط )

( ن )



( هـ )



( و )

## ( ى )

# ٣ ـ كشاف الصحف والمجلات*



(*) المرجو ملاحظة ما يلي :

أولا : أن الأرقام الواردة بهذا الكشاف هي أرقام صفحات « مذكراتي بعد الهجرة »

ثانيا : أن حرف ( ج ) أو (J) يرمز الى : جريدة أو Journal ، كما يرمز حرف ( م ) أو (M) الى : مجلة أو Magazine

# الفهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٨/٣٧٩٠

ISBN ٩٧٧ ٢٠١ ٥٥٦ ٠

٣٠٠ قرش

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب